

يبحث عن معتقدات اليزيدية وطبقاتهم الروحية وأمرائهم وشيوخهم وتقاليدهم وعاداتهم وكتبهم الدينية ومراقد أئمتهم وأساطينهم وقبائلهم وعشائرهم والاماكن المأهولة فيهم ، وحالة اليزيدي النفسية وخلوده الى حياة الفقر ، والرحلات التي قام بها المؤلف بينهم ومحادثاته مع زعمائهم ، وبحث منفصل عن الاوهام والاخطاء التي وقع فيها الكتاب الشرقيون والغربيون فيما كتبوه عنهم وارجاعها الى أصولها ، والفتاوى التي أصدرها علماء الاسلام بحقهم واخبارهم التاريخية في الشيخان وسنجار .

مؤلفه

صدّيق الدّملوجي

ـ طبع في مطبعة الاتحاد ـ

الموصل ـ العراق

١٣٦٨ ـ ١٩٤٩



تقريظ

الاستاذ العلامة خليل عزمي بك متصرف لواء الموصل

جهد كبير متواصل حارب الكلال وحالف الصبر والثبات عشرين عاماً ، وتتبع دقيق كافح الملل واعتضد بالتروي والأناة ليالي وأياما ، فتم لصاحبها ما أراد من اكتشاف مطويات أمة لم يتوصل اليها غيره من شرقيين وغربيين حتى ظهر اليوم للعالم حاملا بيده سفره الجليل « تاريخ الملة اليزيدية » جذلا بثمرة اتعابه ، متواضعاً في عرض انتاجه ، كابحاً جماح غروره شأن عظام النفوس وكبار العقول .

تاريخ قيم تلوته بدقة وامعان فوجدته طافحاً بالمعلومات الثمينة التي كانت خافية على علماء التاريخ فضلا عن سواهم . ولهذا لم أجد ما يطمئن ضمير قلبي بتقريظه سوى قولي :

أصديق لا أدري بماذا أقرض * فلست بموف حق ما لا يعوض

١٩٤٩/٣/١٣

موصل : خليل عزمي

تقريظ

ـ الأستاذ الجليل ابراهيم بك الواعظ ـ

ـ رئيس محكمة استئناف الموصل ـ

لقد تناول الطائفة اليزيدية عدة علماء في بحوثهم الكثيرة، فمنهم من ألف كتباً، ومنهم من نشر مقالات مفصلة في هذا الموضوع ، إلا ان كل واحد منهم سواء كانوا من علماء الغرب أو الشرق ، لم يوف الموضوع حقه . وقد ساعدني الحظ بان اطلعت على ما أمكنني الاطلاع عليه من أسناد ، واخيراً فقد اطلعت ـ وأنا اشغل رئاسة المحاكم في لواء الموصل أحد ألوية العراق الشمالية ـ على هذا المؤلف الذي قام بجمعه وتأليفه الأستاذ الفاضل والمحقق الكامل صديق بك الدملوجي أكبر افراد الأسرة الدملوجية في الموصل، فانه بعمله هذا لم يترك شاردة ولا واردة فيما يتعلق بهذه الطائفة إلا وسجلها تسجيلا موافقاً للواقع .

وقد طالعت هذا الكتاب بامعان وتدقيق ، فوجدته قد تناول الخليقة في معتقد اليزيدية ، فقارن المؤلف بينها وبين العقيدة الاسلامية ، ودلل على تلك العقيدتين ، ثم استطرد الى اعتقادهم فى الطوفان وظهور « يزيد » الذي يعتبره قسم منهم « الآله الأكبر » وقارنه مع ما ورد فى التاريخ بحقه على وجه التفصيل . ثم فصل اعتقادهم فى إقامة « طاؤوس ملك » وبما له من سلطان على الحق تعالى وتذلله له . وما يعتقدون بالحجرة « مجر الكبش » ثم أخذ يحلل أخذهم كلمة « طاؤوس » وسبب اتخاذه إلهاً وأنواعه والقبائل التي تدين به ، وكيف تسربت التماثيل الى متاحف اوروبا ، وبين المقدسات الأخرى لليزيدية عدا الطواويس بصورة مفصلة .

ثم استطرد الى ذكر الطبقات الروحية وحقوقها ، وأسرة الأمراء ونسبها وانتقال

الإمارة اليها ، ولخص تاريخها وعاداتها وتقاليدها . وذكر « البسميرية » وهؤلاء طبقة دون الأمارة والمشايخ وتقسيمها و « البير » (١) وأقسامه ودرجاته ، والفقير وما يترتب عليه من أعمال وما يجب عليه من تقاليد ، ثم « القوال » و « المريد » و « الكوجك » وما عليه هؤلاء من الشعوذة والدجل ونبذة من تاريخ أعمالهم .

ثم تطرق الى ذكر عوائدهم بصورة تفصيلية ، فذكر « الكرافة » (٢) والتحريم والميراث والتعميد والختان وتعدد الزوجات والطلاق والاغتسال والأخوة الأخروية ودفن الأموات ، وما يترتب عليهم بعد دفن الميت ، ومراسم الأفراح ، وآمالهم في المستقبل . ثم أخذ يفصل تاريخ حياة الشيخ « عدي بن مسافر » وآله وأعقابه من الشيوخ .

وبين المديح المنسوب الى الشيخ عدي ، والقصائد الشعرية للشيخ حسن وحفيده الشيخ زين الدين يوسف ، وتناول كتب اليزيدية ، وتكلم عن كتاب « الجلوة » باسهاب ، وعلق عليه تعليقات مهمة للغاية . وأثبت صورة العريضة التي قدمها اليزيدية حول طلب إعفائهم عن التجنيد ، وذلك لما احتوت عليه من كثير من معتقداتهم وتقاليدهم الدينية ، وأورد ما أخذته الديانة اليزيدية من اعتقادات ومبادىء من البرهمية والزردشتية والثنوية والمانوية والمزدكية ، وتكلم عن ذلك بتفصيل ، ثم عاد وبحث عن اعتقاد الصوفية بالاسلام في « ابليس » وعرف عن وجه تسمية اليزيدية ، وذكر مراقد أئمتهم ومشايخهم في الشيخان وسنجار ، وأعيادهم ومواسمهم ، وبادر بالكلام عن مرقد الشيخ عدي بن مسافر واتخاذ هذا المرقد زاوية ، ورجع الى تحقيق أصلها وماذا كانت عليه قبل مجيء الشيخ عدي اليها ، وأثبت ذلك بالدلائل التاريخية ، ومنها مخطوطة لدى أحد القسس وبين ملاحظاته حولها .

وذكر العشائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم في الشيخان وسنجار وبقية المواقع ، وأشار الى طائفة من زعماء جبل سنجار وذوي الوجاهة منهم ، وما لهم من الأخبار المهمة ، وأبدى مطالعة فيما يحتاج اليه يزيدية سنجار من الاصلاح .

---

١) معناه بالفارسية الشيخ المسن وفي اصطلاحهم المرشد والمربي

٢) الكرافة ـ بمعنى الصداقة

ثم تطرق للبحث عن حالة اليزيدي النفسية واستكانته وقبوله الذل والخنوع ودرجة الجبن المستحكم فيه وما يتحمله من الشدائد ، وصورة معيشته ، وتجنبه اللذات وخلوده الى حياة الفقر ، ونفور المرأة اليزيدية من الرجل غـير اليزيدى ، والأحكام التى تتعلق بالنكاح ، وكيفية تهريب النساء والفتيات ، وكيفية عقد النكاح ، وتعدد الزوجات ، والطلاق وبحث عن نفوسهم ولباسهم ، وأورد جملة من عاداتهم وتقاليدهم .

وبعد ان أوفى هذه المواضيع حقها بصورة منقطعة النظير ، تكلم عن رحلاته التي قام بها بين اليزيدية ، ومحادثاته مع علمائهم وذوي الرأي والمكانة منهم فكشف عن حقائق على غاية من الأهمية مما لم يكن ليتوصل الى معرفتها أحد .

ولما كان يرى ان الكتاب الذين بحثوا عنهم من شرقيين وغربيين وقعوا في أغـلاط وأوهام عظيمة فيما كتبوه تناول كتاب «تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم» للمحامي عباس العزاوي نقداً وتمحيصاً ، وذكر الأخطـاء التي وقع فيها عنهم ، وأرجعها الى أصولهـا الصحيحة ، وهكذا فعل فيما كتبه المسترجورج .برسي بادجر ، ومؤلف رسالة «اليزيدية او عبدة الشيطان » والشيخ علي الشرقي ، والسائحة الانكليزية « مس روزيتا » والشيخ عبدالسلام الماردينى ، والدكتور قسطنطين زريق واوليا جلبي وأبان عن أخطائهم .

وبحث عن الوصية الكبرى للامام الشيخ ابن تيمية واحتج بها على بطلان كل ما عزى الى هذا الدين ، وأرجعه الى الديانة الاسلامية ، وبحث عن الفتاوى التى أصدرها جماعة من علماء الاسلام بحق هذه الطائفة والأثر الذي تركته على الحالة السياسية والاجتماعية فى هذه البلاد .

وبعد ان فرغ من هذه الأبحاث أخذ يسرد حوادثهم التاريخية في الشيخان وسنجار وبحث بحثاً مستفيضاً عن حالة جبل سنجار وانتقال اليزيدية اليه ، وما لاقاه اليزيديون من صعوبات فى الدور العثماني .

***

لقد صرف المؤلف جهوداً جبارة في جمع الأخبار والحوادث والمعلومات حتى اصبح مؤلفه موسوعة كبرى تجد فيها كلما يتعلق بهذه الطائفة من اخبار وعادات وتقـاليد وتاريخهم

وتاريخ البلاد التي يسكنونها بصورة تفصيلية ... وان هذه الجهود العظيمة استغرقت مدة تتجاوز العشرين سنة ، كان المؤلف خلالها يتنقل من بلدة الى اخرى ، ومن قرية الى قرية ، ويجتمع بهذا وذاك ، واذا ما طرق سمعه خبراً أو حادثاً ، شد الرحال غير مبال بجميع العقبات التي تقف أمامه ، وكم من مرة تعرض المؤلف للموت في سبيل تحقيق أمنيته هذه ، وقد توصل اليها غير مكترث ، ولا مبال عما لاقاه من أتعاب ، وما بذله من مال .

والحق أقول ان هذا السفر الجليل هو من الأسفار العظيمة الفائدة ، إذ ان المطلع على ما فيه يستوفي معلومات تاريخية مهمة تخص هذه الطائفة وغيرها من الملل ، كما وأنه يطلع على أحوال بلادهم ، وما جرت على تلك البلاد من ويلات .

فأني أقدم الي القراء الكرام هذا الكتاب الجليل ، بهذه الكلمة المتواضعة ، والله من وراء القصد .

ابراهيم الواعظ

رئيس محكمة استيناف الموصل

شكر وثناء

إني أشكر الاستاذين الجليلين خليل عزمي بك متصرف لواء الموصل وابراهيم بك الواعظ رئيس محكمة استيناف الموصل على تقريظهما كتابي هذا كما اني أقدم وافر الشكر الى اخواني الافاضل الذين شجعوني على اخراجه وأخص بالذكر الاستاذ العلامة الدكتور داؤد بك الجلبي فانه أمدني بآرائه السديدة في كثير من المسائل التي تناولت البحث عنها ولاحظ مسودات كتابي وأجرى التصليح عليها .

ولا يسعني من التنويه بفضل جماعة من « كرفائي » الشيوخ والبيرة والقوالين الذين لم يبخلوا علي باعطاء كل ما احتجته من اخبار ومعلومات عنهم وحديثهم معي دون تحفظ وتكتم .

المؤلف

اهداء الكتاب

الى صديقي الذي لا أبوح باسمه وهمسة في أذنه

صاحبتك ثلاثين عاماً وهي مدة تكفي لأن تقرب بين اثنين مها اختلفا في المبدأ والعقيدة والروح وفي كل شيء . بالغت في احترامك مجاراة لقومك ، اجتنبت عن ذكر اسمك عملا بوصيتك التي تقول فيها : « لا تذكرون اسمي ولا صفاتي لئلا تذنبوا .. » حضرت مراسم أعيادك ، اشتركت في الحفلات التي تقام لأجلك عملا بما يحتمه علي واجب الصداقة. ولا أكتمك أني مغتبط جداً بك ، وفيك من الذكاء والفطنة والألمعية وخفة الروح ما حببك إلي وفتنني بك . واذا كنت اكتفيت بجعلك صديقاً لي ولم أتخذك أستاذاً كما فعله أبو الحسين الصوفي الحلاج قبلي ، فلكل منا فيك وجهة نظر ، وخاتمة الصوفي الحلاج كما تعلم كانت أليمة جداً .

إن فطنتك ونباهتك هما اللتان جعلتاك سيداً لشعب عظيم دان بك سبعة عصور كاملة فصار بيدك آلة ماضية توجهها الى نحور أعدائك فكنت موفقاً .

ولكن اسمح لي ان أهمس بأذنك أن شعبك هذا الذي دان بك طيلة هذه العصور ، وقدم لك القرابين والنذور ، وأحرق لك الند والبخور ، وتمرغ تحت أقدامك ، وذرف الدمع على أعتابك ، قد مل معاشرتك وأخذ يشعر بأنه كان مخدوعاً بك ، ويريد الآن ان يخرج من طاعتك لما لاقاه من عنت واضطهاد في سبيلك ، وأقله ان أنكره أخوه الانسان ، وأنكر عليه حقه في الحياة .

أنت يا صديقي عصبي المزاج ، سريع الانفعال ، فيك عنجهية وعجب وغرور ، وهذا ما جعلك تضحي بمكانتك الرفيعة السامية في عالم الملكوت . فرجائي منك ان لا يأخذك الغضب عندما أفشي لك هذا الخبر ، وأنا لم آت به من عندي وتعلم أني واقف على خفايا القوم وما تكنه صدورهم .

إن رفض شعبك طاعتك يعد كارثة بالنسبة اليك ، ولكن ما العمل وقد أدرك هذا العصر الذي يعبرون عنه بعصر المدنية والنور . وقد استنار عقله ، واتسعت مداركه ، ويريد ان يندمج في هذه الحياة ويأخذ منها نصيبه . يريد ان يلتحق بركب الحضارة

المهذبة ويغسل عنه وضر الجهل والضلال الذي دنسته به . ولذلك فنصيحتي لك ان تتحمل هذه الصدمة بثبات وشجاعة ولا تيأس ، وسوف لا تعدم أناساً ينخدعون بك .

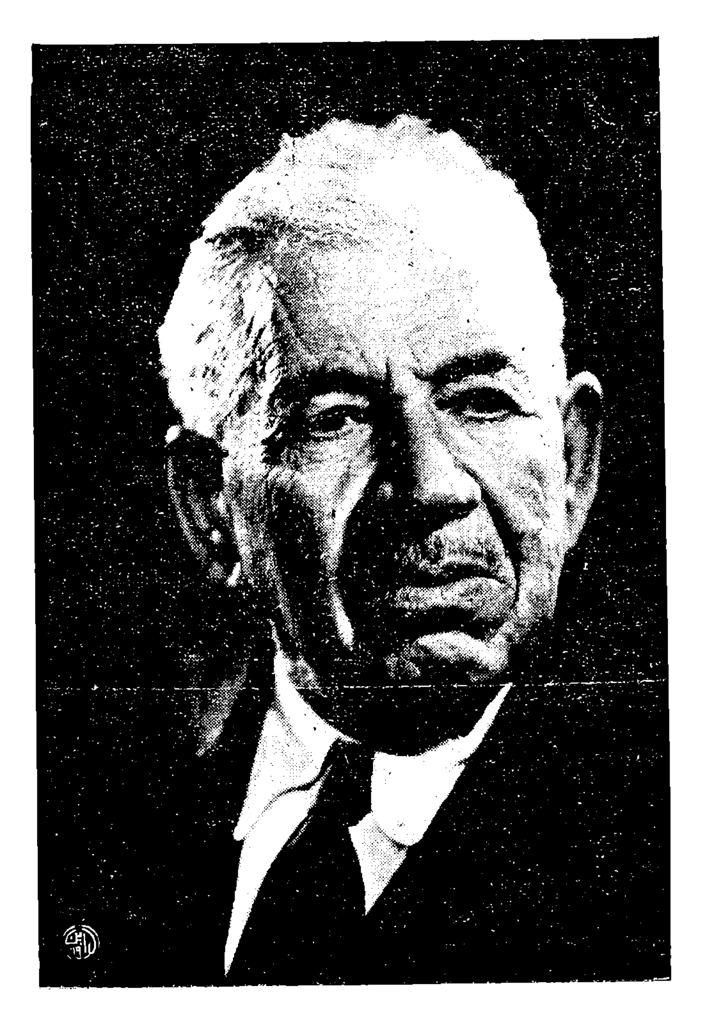
لنتكلم يا صديقي بصراحة - وإن لم تكن تحب الصراحة - لقد كنت قاسياً جداً على هذا الشعب ، ولم يكن لقسوتك عليه حد . أنت تعرف تاريخ الأمم والشعوب والأديان أكثر مني ، وقد سايرتها في جميع أدوار حياتها منذ الخليقة . قل لي بربك هل رأيت متشرعاً فرض على قومه الجهل والغباوة وحرمهم من العلم والتعلم ، وأنزلهم منزلة الحيوانات السائمة كما فعلت ؟ ما ضرك لو جعلت فيهم من الذكاء والفطنة والعقل والتفكير شيئاً وهم قومك الخاص ، وأولادك الذين يحملون اسمك . عار عليك ان يكونوا هكذا أغبياء وهذا لا يتفق مع عبقريتك .

لقد حكمت عليهم بالعزلة والانفراد ، وأفهمتهم انهم من عنصر خاص غير هذا البشر ، وان البشر جميعهم أنجاس قذرون وحظرت عليهم مخالطتهم ومعاشرتهم ومؤاكلتهم وحرمتهم من المزايا الانسانية ، وأوجدت فيهم طبقات متباينة ، وجعلتهم خاضعين لطبقة ميزتها عليهم وأطلقت يد هذه الطبقة في مقدراتهم وعقولهم وأرواحهم وأجسادهم ، وأنذرتهم بالقحط والغلاء والفقر والجوع والمرض والموت اذا خالفوك . وقد أطاعوك طاعة عمياء ونزلوا عند كل ما أمرتهم به ، ولكنهم مع كل ذلك بقوا في قحط وغلاء وقتل وجرح ومرض وموت ، واصبحوا سخرية للعالم وأخذ الناس يأتون من أقاصي البلاد لمشاهدتهم كمن يأتي لمشاهدة متحف للآثار .

والآن وقد تغير كل شيء في الحياة ، ومحت آية النور آية الظلام ، ونالت العقول رشدها ، وانطلقت الألسن من عقالها ، فلا عتب لك عليهم اذا أرادوا فراقك .

وأنا أكتب هذه الكلمات وقلبي مملوء حزناً عليك ، فعزاء لك ، وصبر جميل على مصابك ، ورجائي منك ان تتقبل كتابي هذا كهدية متواضعة تتسلى بقراءته كلما ضاق صدرك وارتبك عليك أمرك . وتجدني قد أكثرت فيه الكلام عنك ، وأظن ان هذا ما يبهجك وينفس عنك كربتك ، اذ يعيد اليك ذكرى أدوارك الذهبية التي لعبتها فوق أشلاء أبنائك التعساء .

وبعد اذ أكملت وظيفتي معك أرجو ان تعتبر صداقتي معك من الآن لاغية ولا لقاء بعد هذا .



المؤلف

المقدمة

حللت سنجار وأنا شاب يافع لم أتجاوز من العمر عشرين ربيعاً ، وقد أحببتها لمناظرها الخلابة ، وحدائقها الفينانة ، ومياهها الزاخرة ، وما خلعته الطبيعة عليها من جمال وبهاء ورواء . وأكثر ما كان يلفت نظري فيها أناس قد ظفروا شعورهم وأسدلوها على أكتافهم ولبسوا على رؤوسهم قبعات مخروطة عالية ، واكتسوا ثيابا بيضا فضفاضة ، يروحون ويجيئون ، وقد صحب بعضهم معهم نساءهم الجميلات وهن لا يتميزن عن الرجال بشكلهن وملابسهن عدا أنهن يلبسن عمائم بيضاء ويتقنعن بقناع أبيض رقيق ، ويحتذين الأحذية الحمراء او السوداء ، بينما الرجال أكثرهم حفاة .

هؤلاء هم اليزيدية الذين كنت أسمع عنهم إنهم يعبدون « الشيطان » ويؤذون المسلم ، وان ظفروا به قتلوه . وكان يخيل لي أنهم من غير جنس البشر ، لهم أنياب ومخالب يعدون بها . والآن فقد رأيتهم ، وأخذت أتكلم معهم ، وأشعر في نفسي ميلا اليهم . فمن هم هؤلاء الناس ، ولماذا سموا باليزيدية ، ومن أين جاؤوا ، وهل صحيح ما يقال عنهم انهم يعبدون « الشيطان » ويحملون العداء للمسلم ؟ كانت هذه الأسئلة تتزاحم في مخيلتي ولم أستطع جوابا عليها .

اجتمعت يوماً بسائح أجنبي في سنجار وهو في طريقه الى حلب ، وكان يحسن العربية ودار بيننا الحديث عن اليزيدية ، فأخذ يورد الأدلة على نصرانيتهم وانهم زاغوا عنها بعد ان انقطعوا في هذا الجبل ، ولم يكد رجال الدين يصلون اليهم ، ومتى يستتب الأمن في هذه البلاد ، وتعود الكنائس الى فعاليتها سيعودون الى نصرانيتهم ، والحق ان كلام هذا السائح لم يرق لي ، وكنت أريد ان أرد عليه ، إلا ان معلوماتي الناقصة عن اليزيديين وديانتهم وتاريخهم حالت دون ذلك ، واكتفيت بان قلت له : إذاً ما قولك في يزيدية « الشيخان » ورجال الدين النصراني على صلة بهم ، وليس ما يمنعهم من ان يقوموا بواجبهم نحوهم ويعيدونهم الى نصرانيتهم التي تخلوا عنها على ما تزعمه ؟ قال : هذا

أمر لم يأت أوانه وسيتم كل شيء في حينه .

كان حديث هذا السائح الأجنبي أول حافز لي الى دراسة هذا الدين ، وكيف ومتى ظهر ، وهل ان هؤلاء القوم كانوا قبلا على النصرانية وقد خرجوا عنها ؟ كان أمامي طريقتان ، الاولى : مراجعة الكتب والمدونات الموضوعة عن هذا الدين ، وأكثرها من وضع الكتاب الأجانب ، وقد وضعوها لغايات دينية وسياسية فلا يصح التعويل عليها وما كتبه الشرقيون معظمه مأخوذ من هؤلاء الأجانب ، وقد وافقوهم فيه دون بحث وتمحيص، والطريقة الثانية : هي الاكثار من مخالطة هؤلاء القوم والوقوف على عباداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأصول دياناتهم ، وهذه الطريقة أضمن لمعرفتهم معرفة صحيحة لاغش فيها ولا تضليل .

فتعلمت لغتهم ، وأكثرت مخالطتهم ، واتخذت لي « كرفاء » منهم ، فكنت أحضر مجالسهم ونواديهم وأشاركهم في أفراحهم وتعازيهم ، واطلع على طقوسهم الدينية وأصول عباداتهم ، وأحضر زياراتهم في مرقد « الشيخ عدي » « وطوافاتهم » التي يقيمونها في أمهات القرى ، وأباحث رجال الدين منهم وأحاورهم في شتى المسائل ، واخترت الاقامة في قرية « باعذرة » مقر الأمراء ثلاث سنين ، وأكثرت من التردد الى سنجار والشيخان ومرة واحدة الى الجزيرة وطور عابدين ونصيبين ، وهكذا وقفت على أسرارهم ومخفياتهم وأصبحت حجة في مسائلهم الدينية وكانوا يستفتونني بها .

***

إن دراستي التي قمت بها عن هؤلاء القوم الذين نسميهم الآن « باليزيدية » دلتني على انهم كانوا قديماً على « المانوية » يعتقدون بثنوية الآلهة والاباحية والحلول ، وقد ظلوا على هذه العقيدة ولم تؤثر فيهم دعوة الاسلام ولم ينقادوا لها الى ان أدركهم « الشيخ عدي بن مسافر الأموي » ـ الذي يتصل بالأب الرابع بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين ـ فهداهم الى الاسلام وخلصهم من شرك الوثنية فظهر منهم : « أهل صلاح وتقوى وأهل قتال مجاهدون » وأصبحت زاويته العدوية قبلة الرواد من أصحاب السلوك والطرائق يأخذون فيها التعاليم الصوفية البريئة وينشرونها في مختلف الأقطار .

وغدا « لالش » من أعظم مراكز الارشاد والتهذيب الديني والعقلي في الشرق الأدنى وانتهى الى شيوخها تنشئة المريدين وتنظيم سلوكهم .

***

في هذا العصر كانت بلاد الجزيرة والفرات وسوريا وفلسطين ومصر يسودها القلق والاضطراب من جراء الحكم الذي يقوم به الأمراء والسلاطين من المماليك الذين بسطوا نفوذهم عليها بطريقة الغصب والتغلب من الحروب الصليبية ، وأصبحت مسرحا لتنافس سياسي عنيف . وكانت الموصل يحكمها اخيراً مملوك ارمني تربى في حجر الملوك « الاتابكيين » وورث ملكهم بالغدر والخيانة . وقد سلك هذا المملوك الارمني في ادارة ملكه سياسة البطش والارهاق مما جعل النفوس تهابه وتدين بالطاعة له . كل ذلك ولم يظهر في هذه الحقبة من الزمن من اصحاب البيوتات العربية العريقة من يتصدى لطرد هؤلاء الدخلاء في العراق والجزيرة والشام ومصر ويقيم فيها دولة عربية ويعيد اليها سالف عزها ومجدها وسؤددها ، فالعلويون تلاشت عزائمهم بعد الاخفاق الذي منوا به في تجاربهم العديدة التي قاموا بها لنيل الملك ، والدولة العباسية مزقتها الحوادث شر ممزق وأفقدتها حيويتها ، والأمويون نعموا بملكهم الذي أقاموه في بلاد الاندلس ولم يبق لهم ثمة علاقة بالشرق إلا بصيص أمل يشع في بقية رجال منهم انزووا في بقعة مجهولة من جبل « الهكارية » سلكوا طريقة الارشاد ، ولبسوا خرقة التصوف ، فكان الأمل معقوداً عليهم ، ولهم عصبية قوية من مريديهم تغنيهم عن عصبيتهم القومية التي لم يبقوا عليها .

إن اول من اختلجت أمنية الحكم في نفسه من رجال هذا البيت هو : « الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن » ابن « الشيخ أبي المفاخر عدي الثاني » ابن « الشيخ أبي البركات » ابن أخي « الشيخ شرف الدين عدي بن مسافر الأموي » عميد هذا البيت ، وواضع هذه الطريقة . والشيخ شمس الدين الحسن هو فيلسوف صوفي وعالم إلهي ، وقد ذهب به الحماس الى نيل الملك لدرجة ان جعله يضحي بدينه ، فوضع نفسه بمنزلة الآلهة ودعا قومه للايمان به ، فآمنوا به واتبعوه وعدوه إلهاً وعبدوه ، وتفانوا في سبيل دعوته ،

وكادت خطته تنجح بالنسبة اليه وبالنسبة الى العصر الذي كان فيه. ونحن لا يهمنا أفشل في خطته السياسية هذه او لم يفشل. إلا ان الذي يهمنا ما كان لدعوته من الناحية الدينية من أثر على حالة هذا المحيط، وكيف عاش هذا الدين طول هذه العصور ثابتاً وراسخاً امام الاعاصير التي عصفت به.

لقد وضع الشيخ الأموي مبادءه على غاية الاتقان بعد ان درس حالة قومه النفسية والعقلية والروحية ووقف على مواضع الضعف فيهم. فأدخل فى عقولهم انهم من عنصر خاص من غير هذا البشر، وانهم يمتازون بنبل أرومتهم وشرف محتدهم، وأفهمهم ان البشر أنجاس قذرون لا يجوز لهم مخالطتهم ومعاشرتهم ومؤاكلتهم. وفرض عليهم « الأمية » وأحاطهم بسياج كثيف من الجهل وحرمهم من النظر والتفكير فى شأن من شؤون الحياة. وهذان المبدآن لهما أهميتها وخطورتها في حياتهم الدينية والاجتماعية، إذ بعد ان جعلهم ينظرون الى بني الانسان نظر كراهية واحتقار بصفتهم أشرف منهم وبأنهم ليسوا أهلا ليكونوا على قدم المساواة معهم، فأمات فيهم كل شعور حي يدركون به فهم الاشياء المحيطة بهم، فبقوا بعيدين عن كل تأثير خارجي، وتم له ما أراده.

اما من ناحية العقيدة، فقد دعاهم الى عبادة إله الشر « وهى عقيدة مجوسية » وأوجب عليهم مجاملته ومصانعته وأفهمهم ان لا خلاص لهم من شروره وآثامه إلا بتقديمهم النذور والقرابين اليه وأوجب عليهم التقرب الى بقية الآلهة الذين هم دونه وهم من أهل بيته، ووضع عنهم التكاليف الدينية وأبدلها بما هو أخف منها، وأباح لهم كل عمل يلقى هوى فى نفوسهم، ووعدهم بأن « عديا بن مسافر » سيضعهم في طبق على رأسه ويدخلهم الجنة دون حساب وعقاب. وهذا الترهيب والترغيب كان له أثره فى نفوسهم، وقد منعوا عن التفكير وحظر عليهم التحدث بأمر الدين.

كان لهذا الشيخ الأموي من بعد النظر وسعة التفكير ما لم يكن لغيره من أصحاب المذاهب الذين ظهروا في الشرق الأدنى وفي بلاد فارس فى الأعصر التي تقدمته. فلا « ماني » ولا « مزدك » ولا « خرم البابكي » ولا رؤوس المذهب « الاسماعيلي »

فكروا فيها فكر فيه ووضعوا مذاهبهم على الأسس والقواعد الراسخة التي وضع مذهبه عليه . وقد ضعف شأن تلك المذاهب وزالت من الوجود، حتى ان المذهب «الاسماعيلي» ـ الذي أصبح له دولة في بلاد فارس وأرهب الحكومات الاسـلامية واغتال ملوكها وأمراءها وعاشت نحو (١٨١) عاماً ، قام فيها ثمانية ملوك كان لهم تنظيماتهم ووزراؤهم وجيوشهم ـ لم يقو على ضربة واحدة أنزلها بهم سلطان المغول فزالت دولته . اما اليزيدية فقد نزل بها ألف ضربة وضربة ولم تبد تراجعاً . وقد عولج اكثر من مليوني نسمة من تابعي هذا الدين بحد السيف منذ زمن ظهوره حتى عصرنا الحاضر ، فلم يظهروا توجعاً وما ذلك إلا لما لهذه التعاليم المحكمة من أثر في نفوسهم .

***

ظلت الحكومة العثمانية قابضة على زمام الحكم في هذه البلاد نحو اربعة عصور كاملة، وهي تنظر الى هذه الطائفة كعصابة ثورية دأبها العبث بالأمن والاخلال بالنظام ، وكانت تريد اخضاعها بالقوة ، فحملت عليها بجيوشها الزاخرة المرة تلو المرة ونكلت بها ، فلم تستطع تغيير ما في نفسها . ولما جاء دور الحكومة العراقية كان من المنتظر ان تعرف الداء وتتخذ له الدواء الناجع وتدخل عليهم الاصلاح من طريق غير الطريق الذي سلكته حكومة أبناء عثمان معهم ، ولكنها أخذت كذلك تستعمل القوة معهم عندما تجد ما يدعوها الى استعمالها . وسياسة القوة لم تكن مجدية وليس من شأنها ان توجد اصلاحا في النفوس ، بل تزيدها إمعاناً في الضلال والغي ، وكان من الواجب افهامهم خطأهم فيما يعتقدونه من التميز على باقي الأجناس وان الحالة الاجتماعية تدعوهم الى ان يندمجوا في الركب الانساني ويأخذوا بأسباب الحضارة والتمدن .

***

وقد أكثر رجال السياسة والادارة الانكليز من الاتصال بهم ـ بعد تبدل الحكم في العراق ـ وأكثروا من التردد الى جبل سنجار ـ أهم مراكزهم ـ وأوجدوا لهم منهم أصدقاء وقربوهم اليهم وأظهروا عطفهم عليهم ، إلا انهم لم يؤيدوا هذا العطف بادخال شيء من الاصلاح عليهم ، بل تركوهم على ما هم عليه من الجهل والفقر . والانكليز

يعرفونهم جيداً منذ عهد « لايارد » و « بادجر » وكان الأخير ينتظر تيقظ الكنائس من رقادها لتأخذ في تنصيرهم . ولكن آمالهم خابت بعد ان علموا ان اليزيدي محال عليه ان يتهاون في دينه ، وقد جاهر أحد شيوخهم بقوله : « أن كلا من المسلمين والنصارى يزين لنا دينه ، ونحن لا نرضى بديننا بديلا » وعندما علقت المحكمة العسكرية في سنجار سنة (١٩٣٥) سبعة من رؤسائهم على المشانق ، نادى أحدهم بحياة « يزيد » ولم يرهبه الموت .

ان دعوى رجوع اليزيدية الى المسيحية وكونها قد خرجت منها ، تدور في رأس كثير من الكتاب والباحثين الغربيين دون ان يرجعوا فيها الى تحقيق علمي او دراسة تاريخية ، وقد قاموا بهذه الدعوى بعد ان وجدوا ان ليس أحد من المسلمين يحنو عليهم ويدعي بهم ، فطمعوا فيهم وعقدوا آمالهم على أخذهم الى جانبهم .

***

كانت هذه الحقائق تمر من أمامي آخذة بعضها برقاب بعض ، وكنت أفكر في حياة هؤلاء القوم البائسين منذ زمن نشأتهم عندما كانوا يتوجهون الى عبادة الرحمن بعقيدة خالصة وإيمان ثابت . ثم كيف حل بهم الضلال والزيغ واتخذوا لهم آلهة من شيوخهم وعبدوا « الشيطان » وابتعدوا عن الاسلام ، وكيف كان صاحب الموصل « بدر الدين لؤلؤ » يحاربهم بجيوشه الجرارة ويذبحهم ويقطع أوصالهم ويعلقها على أبواب مدينة الموصل ، وأمراء الاكراد يطاردونهم في رؤوس الجبال ويوقعون المذابح فيهم ويخربون ديارهم وينهبون أموالهم ويسبون نساءهم وذراريهم . وعندما جاء دور حكومة أبناء « عثمان » كيف تنكروا لهم واخذوا يستصدرون الفتاوى الشرعية بعدهم كفاراً مرتدين ويطبقون حكم المرتد الكافر بحقهم حيث نجم من وراء ذلك مجازر بشرية دامت اكثر من ثلاثة عصور ، لم يكن يرى الانسان فيها غير الدم والنار ، فعمت الفوضى أنحاء البلاد وانعدم الأمن واصبحت الحياة جحيما لا يطاق .

***

كنت استعرض هذه الحوادث وأرثي لحالة هذا الشعب الذي لم يكن له ما يستحق

عليه هذه النقمة غير تمسكه بمبادىء غرسها فيـه شيوخه وعلماؤه وهو لم يكن له مشيئة فيها ، فمن هو المسؤول عن بقائه على هذا الضلال حتى اصبح منبوذاً محتقراً مهانا ؟ أليست الحكومة التي تولت أمره أربعة قرون كاملة ولم تدعه يوما الى التفاهم وتقف على مرضه وتعالجه وتشفيه ؟ والتفاهم بلغة السيف والبارود بدلا من لغة الكلام يزيد الوحشة ويقوي أسباب التنافر والتناكر . إن التفاهم مع هذا الشعب ودعوته الى الاصلاح ليس بالأمر الصعب وليس فى الوجود انسان لا يقبل الاصلاح حتى الزنوج سكان أواسط افريقيا ، فالرجل الأبيض أدخل عليهم الاصلاح وهذبهم بعد ان كانوا يقتنصونه ويأكلون لحمه .

***

ومما نأسف له ان أحداً من الكتاب الذين بحثوا عن هذا الشعب ـ ونخص كتابنا الشرقيين ـ لم يتطرق الى الكلام عن تاريخ حياته ، والأدوار التي مرت عليـه ، والمحن والآلام التي لاقاها فى سبيله ، وتقاعد الحكومة العثمانية التى تولت أمره عن ادخال الاصلاح عليه ، وعدته غير قابل للاصلاح وزجحت اقلاعه من على الأرض ؟ لم يتكلم عن هذا احد وكل ما قالوه وتكلموا عنه ينحصر في تعليل اسمه وكيفية اشتقاقه ، وعن عاداته وأخلاقه وأعياده ومراسم زياراته وشيوخه وعلمائه ، وهل انه يرجع فى الأصل الى الاسلامية او النصرانية ، ومن هو الشيخ « عدي » ؟ أمسلم عربي ، ام مجوسي تبرهي؟ الى غيرذلك من المسائل التى لا طائل تحتها .

***

كانت ولا تزال هذه الهواجس تساورني في أمر هذا الشعب الذي أهملناه ، ولم نعره اهتماما كأنما لم يكن يوما لنا مصاحباً فى العقيدة والدين ، وتربطه بنا مصالح مشتركة في هذا الوطن ، فتركناه فريسة للشقاء والجهل ، وأخذ أصحاب الأديان الأخرى يطمعون به ويعدونه لقمة دسمة ناعمة يريدون ازدرادها ، وفاتهم انالظروف مهما باعدت بينه وبين المسلم لا تكفي لانكار قرابته منه من الناحية الدينية والجنسية ، فهو يشترك معه في كثير من العادات والتقاليد والعبادة، والطابع الاسلامي لا يزال بارزاً فيه ، والرسوم التصوفية

ظاهرة عليه ، وهو وان كان من الجنس الآري ، تربطه أواصر القربى في كثير من القبائل العربية ، تلك الاواصر التي يعترف بها ويحترمها ، ولذلك اذا وجد له الطريق معبدة سرعان ما يعود الى الاسلام ، وعودته لا تكون شيئاً بدعا ، شأنه في ذلك شأن من عق أبويه وعاد اليهما نادما مستغفراً .

***

لقد كان اهتمامي بهذا الشعب عظيما جداً وأنا أتألم له على ما لاقاه من اجحاف في حياته المديدة لم ينعم فيها بحرية وهدوء . وقد وقفت على جميع مراحل حياته ، فكانت سلسلة مآس لم يلاقها أي شعب آخر غيره في تاريخه . وكان اهتمامي هذا به هو الذي دعاني الى تأليف كتابي هذا عنه لأدل على محله في التاريخ الاسلامي والسياسي وأبين الحيف الذي لحق به من جراء السياسة الغاشمة التي سارت الحكومة العثمانية عليها وإثارتها وجه مقت وكراهية ضده وعملها على ابادته فوقعت في اخطاء يحاسبها التاريخ عليها .

***

إن مهمتي كانت شاقة وصعبة جداً ، فكنت اختار عناء سفر يستغرق أياما لأطلع على كتيب قديم يذكرونه لي عند أحد شيوخهم . وأعرض نفسي لأخطار جمة لأقف على مراسم دينية لهم يقيمونها سراً وبعيدة عن الأنظار ، وأدخل مع علمائهم في محاورات دينية لا تخلو من اثارة الرأي العام وحقده علي ، وأتجشم اتعابا شديدة لمشاهدة « مضيق » صعب جرى لهم فيه حروب عنيفة مع جيش الحكومة يذكرونها في أناشيدهم وكم من مرة حضرت حروبهم ومقاتلاتهم بغية الوقوف على الأساليب التي يتبعونها في اعمال القتال ، وان نسيت لا أنسى ما لاقيته من اخطار ومهالك عند ذهابي الى « طور عابدين » مع « كريف » لي من فقراء يزيدية سنجار وأنا في مقترب العقد الثاني من عمري لأدرس حالة سكانه اليزيدية « الجيلكيين » الاجتماعية والاخلاقية والمعيشية ، هذا عدا ما عانيته من آلام واسقام في الأيام الطويلة التي أمضيتها بين ظهرانيهم ، كل ذلك لأتمكن من القيام بمهمتي على الوجه الذي أرغب فيه ولتكون دراستي عن هذا الشعب كاملة غير ناقصة .

***

ولما أردت مقارنة استطلاعاتي الشخصية ومشاهداتي بما جاء في المدونات التي وضعت عن اليزيدية ، ظهر لي ان ليس في تلك المدونات ما ينطق بالصواب عنهم ، ولم يكتب عنهم أحد لغاية العلم والتاريخ إلا ما ندر ، وهؤلاء ايضا شذوا فيما كتبوه ، وقد نقبت في بطون التواريخ الأسلامية فوجدتها مع خلوها من خبر يتعلق بهذا الدين تلقي ضوءاً ضئيلا على بعض الشيء عن ظهوره وتكونه ، وحقيقة أمر البيت «العدوي» الذين تم على يده هداية هؤلاء القوم الى الاسلام ، وكيف تطورت عقيدتهم وظهر هذا الدين وانتشر العقيدة بالسرعة الفائقة في معظم انحاء كردستان وأوجد له فيها مراكز مهمة وانتقل الى جبل سنجار واستقر فيه واستنكار الحكومات له ومقاومتها اياه بشتى الوسائل وما نتج من وراء ذلك من حوادث سيئة كان لها أثرها على هذا المحيط .

***

ان قصدي الوحيد من تأليف هذا الكتاب الذي تجشمت الأخطار والمتاعب لأجله هو أولا ايقاف الرأي العام على حقيقة هذا الشعب الذي عاش قرونا طوالا بين ظهرانينا دون ان يعرفه أحد حق المعرفة او يعرف تاريخه والحوادث التي ألمت به ، ثانياً : الفات نظر رجال الحكم في المملكة الى ان هنالك شعباً منسياً قد نكب في عزته وقوميته ودينه ويحتاج الى منقذ ينقذه من محنته .

وكأني بذلك اليوم الذي أرى فيه « الطواويس » السبعة التي اتخذها هؤلاء القوم رمزاً لمعبودهم قد أخذت لها محلا في المتحف العراقي ، وقد خفت صوت الدف والمزمار ، وتقوضت القباب ، وخبت نيران السرج والقناديل ، وانصرف المشائخ والبيرة والقوالون الى الأعمال العادية ، واستغنى الفقراء عن صبغ خرقهم بورق « الزركوز » وقضي على أحلام « الكواجك » وأخذ الأمراء يعيشون من كد يمينهم وعرق جبينهم ونال الشعب حريته وأخذ طريقه الى « مكة » بدلا من « لالش » وما ذلك على الله بعزيز .

الموصل : ٢٨ رجب ١٣٦٨
٢٥ ايار ١٩٤٩

صديق الدملوجي

فهرس الرسوم



امير الشيخان "حسين بك

الخليقة في معتقد اليزيدية (١)

لم يكن هذا الفضاء الواسع سوى ظلمات ، تجري من تحته أمواج ، وتعصف فيه رياح وليس فيه سوى الله قائماً بوحدانيته ، منفرداً بربوبيته .

ولما أراد الله خلق هذه الكائنات ، أوجد من نوره الأزلي درة بيضاء وضعها فوق ببغاء وسكن عليها أربعين الف سنة ، ثم صاح بالدرة فانفلقت وخرجت منها هذه الأرض ثم تفجرت منها الأنهر والبحار .

ولم يكن هذا الكون في بدء خلقه على نظام وترتيب ، فأرسل الله جبرائيل على صورة طير فأحسن تنظيمه ووضع له الجهات الأربعة وزاد في تنسيقه .

وخلق سفينة طاف بها في البحار ثلاثين ألف سنة ، ثم جاء (لا لش) فاهتزت به الأرض وربت ولم تستقر إلا بعد أن خلق الجبال وجعلها لها أوتاداً .

ثم أمر جبرائيل فأخذ قطعتين من درة بيضاء وعلقها في السماء ، فكان منها الشمس والقمر ، وخلق مما تناثر من الدرتين مصابيح في هذا الفضاء .

وخلق أشجاراً وثماراً ونباتات وزين بها الأرض ووضع عرشاً على عرش وصعد عليه وخاطب الملائكة قائلا : أني خالق آدم وحواء ليكونا جدين للبشر ومنهما تكون الملة اليزيدية التي تدعي ملة « عزازيل » وهو « طاووس ملك » .

وخلق يوم الاحد ملكا سماه عزازيل وهو « طاووس ملك » .

وفي يوم الاثنين خلق ملكا سماه دردائيل وهو « الشيخ حسن » (٢) .

وفي يوم الثلاثاء خلق ملكا سماه أسرافيل وهو « الشيخ شمس » (٣) .

---

١) مأخوذ من الكتاب الاسود (مصحف رش) وهو ثاني كتابيهم الدينيين

٢) و ٣) كلاهما واحد ويلقب الشيخ حسن بشمس الدين وعرفوه بالشيخ شمس

وفي يوم الاربعاء خلق ملكا سماه ميكائيل وهو « الشيخ ابو بكر » .

وفي يوم الخميس خلق ملكا سماه جبرائيل وهو « الشيخ سجادين » (١) .

وفي يوم الجمعة خلق ملكا سماه شمنائيل وهو « الشيخ ناصر الدين » .

وفي يوم السبت خلق ملكا سماه نورائيل وهو « الشيخ فخر الدين » (٢) .

وجعل « طاووس ملك » رئيساً للجميع .

ثم نزل الى الأرض وأخذ بيده قلماً وبدأ يكتب الخليقة ، فكتب ستة آلهة من نوره وذاته فكان خلقهم « كما يوقد انسان سراجا من سراج » . ثم قال للآلهة انى خلقت السماء فليخلق كل واحد منكم شيئاً ، فخلق الأول الشمس ، والثاني القمر ، والثالث الفلك والرابع نجمة الصبح « الفرغ » والسادس الفردوس ، والسابع الجحيم . (٣)

***

لم يكن طاووس ملك في بدء أمره إلا ملكا من الملائكة ، فميزه الله على كافة الملائكة

---

١) يراد به الشيخ سراج الدين

٢) وفي نسخة الشيخ بدين

٣) ان نظرية التكوين عند اليزيدية عبدة الطاووس هي عين نظرية التكوين عند الاسلام ، وقد وضعوها بالشكل الذى يتفق وعقائدهم . ونظرية التكوين عند كافة الديانات ترجع الى اصل واحد . في اسطورة بابلية تقول : (في البدء قبل ان تعرف السماء ويعرف للارض اسم كان المحيط وكان البحر ومنه حصلت الكائنات) ، وفي اسطورة فرعونية تقول : (في البدء كان الماء الاول او المحيط المظلم وكان الاله « آمون » وحده وهو خالق الآلهة والبشر والاشياء) . وفى اسطورة اخرى تقول : (ان الارواح كانت ترفرف فوق البحار وفى الفضاء، ونفذ روح الآله بهذا الفضاء وخلق كل شيء : الارض والسماء) ويقول سفر التكوين العبراني : (في البدء خلق الله السموات والارض وروح الله ترفرف على وجه المياه) .

ان عقيدة الديانة العبرية في التكوين هي كما جاء في الصفحة الاولى من العهد القديم (التوراة) ان الله بدأ بخلق السماوات والارض وكانت الارض خالية وخربة ، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفرف على وجه الماء . في اليوم الاول خلق النور ودعا النور نهاراً والظلمة ليلا ، وفى اليوم الثاني خلق السماء، وفي اليوم الثالث خلق جميع المياه بمكان واحد وأظهر اليابسة وانبت العشب والبقل والاشجار والأثمار ، وفى اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والكواكب لتنير الارض ، وفي اليوم الخامس خلق الدبابات والطيور ، وفي السادس خلق البهائم والوحوش ، وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طيور السماء فخلق الله الانسان على صورته ذكراً وانثى ، خلقهم وسلطهم على كل طير يطير فى السماء وحيوان يدب على وجه الارض وسمكة فى البحر وفرغ الله فى اليوم السابع .

أما الديانة الاسلامية فقد أيدت ما جاء فى سفر التكوين من ان الخلقة كانت بستة ايام بصورة اجمالية دون ان تعد الايام يوما فيوما وجاءت بآيات متفرقات حول الخلقة في مختلف السور من القرآن منها :ـ

واتخذه عونا له وفرض على الملائكة طاعته ، ولما طغى واستكبر غضب عليه وألقاه في نار جهنم ، ولبث فيها سبعة آلاف سنة يقاسي صنوف الآلام وأنواع العذاب وظل يبكي على نفسه حتى ملأ سبعة أكواب من دموعه وهناك من الله عليه بالغفران وأرجعه الى الفردوس الاعلى ، غير ان الملائكة ما برحوا يهزأون به ويسخرون منه ، فشكاهم الى الحق تعالى فغضب عليهم ولعنهم ، ورفعه الى منزلة الابرار والصديقين وجعله قرينا له وأشركه في ملكه .

وقد أمر الحق ان تحفظ السبعة اكواب الملأى من دموع طاووس ملك في احدى زوايا جهنم الى ان يعود الشيخ عدي من الارض ويطفىء بها نيران جهنم على أمته (١) .

***

ولما أراد الله ان يخلق البشر ويسكنه الارض التي أعدها له ، نزل أرض المقدس وأمر جبرائيل ان يأتي له بتراب من أربع جهات الارض ، فعجنه بالماء والهواء والنار وخلق منه روحا سماه (آدم) وخلق من ضلعه الايسر حواء وأسكنها الارض ، فتناسلا وكثرا

(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) . ومنها :(ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب) . ومنها : (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) . ومنها : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرهاً ولكن اكثر الناس لا يعلمون) . وقد سكت علماء الاسلام عن تفسير الايام الستة التى وقعت فيها الخلقة مكتفين بان اليوم الواحد كان مقداره خمسين الف سنة.. واذا كان القرآن الكريم لم يعد ايام الخلقة بصورة تفصيلية . فقد ورد في حديث عن ابن عباس ان اليهود أتوا الى النبي(ص) فسألوه عن ابتداء الخلق فقال : خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء ، وخلق الماء والشجر والمدائن والعمران يوم الاربعاء فلذلك قوله جلت قدرته (أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله (سواء للسائلين) وخلق يوم الخميس السماء والكواكب والنجوم والملائكة ، وخلق يوم الجمعة النار وآدم عليه السلام . قالوا ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش . .) ـ اخبار الزمان ص ٤ ـ

١) وفى نسخة اخرى للكتاب الاسود : ان جهنم خلقت فى زمن آدم الاول . ولما جاء آدم الثانى ،وهو الذي يرجع اليه اليزيديون وكان يسمى (الابريق الاصغر) وهو صاحب كرامات ويعتقد به رفاقه ، ونظر الى جهنم حزن حزنا عظيما وظل يبكي سبع سنوات الى ان ملأ بقبوقا كان لديه من دموعه وقد اطفأ بها نيران جهنم وخلص قومه من عذابها .

وملأ البسيطة ثم كتب عليهم الفناء وأبادهم جميعا بعد مضي عشرة آلاف سنة ، وما ترك احدا غير الجن يسبحون بحمده ويقدسونه .

ثم عاد بعد ذلك يخلقهم ويبيدهم هكذا خمسة أجيال ، وفي الجيل السادس خلق (آدم) جد البشر الحالي وأسكنه و (حواء) الجنة وأباح لهما التمتع بنعيمها وأكل ثمارها عدا شجرة الحنطة فانه منعها عنها .

وأمر الله (طاووس ملك) ان يسجد لآدم بعد ان أتم خلقه ، فاستكبر وعصى بحجة انه خلق من نور وآدم خلق من تراب ، فلا يسجد لمن هو أحط منه مادة ، فغضب عليه وأراد ان يطرده مرة ثانية ، إلا أنه ما لبث ان أدرك عجزه فعفا عنه وابقاه في منزلته .

وأراد (طاووس ملك) ان ينتقم من آدم ، وكان آدم على جانب من الغفلة والسذاجة فأغراه بأكل شجرة الحنطة التي نهاه الله تعالى عنها قائلا له إنها شجرة الخلد ، وأقنعه بانه لا يكون مخلدا ما لم يأكل منها ، فوقع في شركه ، وأكل من تلك الشجرة ، ولكن سرعان ما انتفخت بطنه ، فجاء طير وظل ينقر به الى ان فتح له مخرجا وهناك استراح من الانتفاخ الذى أصابه .

ظل آدم يبكي مائة سنة حزنا على مخالفة أمر ربه ، إلا ان بكاءه لم يجد نفعاً فأمر الله بطرده من الجنة وإنزاله الى الارض هو وحواء وأباحها له (١) .

وقد أتأمت حواء مائة وأربعين بطناً ذكراً وأنثى إلا (شهد ابن جرة) فانه لم يكن له توأم بل هو سر من الاسرار خلقه الله ليميز به طائفة من البشر ، وهم (اليزيدية) شعبه الخاص .

تزوج كل أخ بأخته التى ولدت معه في بطن واحد إلا (شهيد ابن جرة) فقد أرسل طاووس ملك اليه حورية من الجنة فتزوجها وولدت له ولداً سماه (يزدان) واليزيدية

---

١) ان قصة آدم وابليس وطرد آدم من الجنة وانزاله الى الارض تناولها جميع اصحاب الديانات التي ظهرت في الازمنة قبل التاريخية . فقد جاء ذكرها في قوانين حمورابي التي وجدت مدونة على الاحجار ونشرت في سنة ١٩٠٠ ويظهر ان حمورابي اخذها من (السومريين) بعد نكبة بلدة (اريدو) المقدسة

من نسله . ومن اجدادهم الاولون (مرج ميران) بن (نوح) بن (يزدان).

ويقال ان نزاعا وقع بين آدم وحواء في الولد هل هو منه ام منها ، فنزل جبرائيل من السماء ووضع شهوة كل واحد منهما في جرة وختمها . وبعد تسعة اشهر جاء وفتح الجرة التي فيها شهوة حواء فلم يجد فيها سوى ديدانا وخنافس ، أما الجرةالتى ألقى فيها شهوة آدم فوجد فيها ولدين ذكراً وأنثى ومنهما تناسلت الملة اليزيدية .

وجعل الله فى صدر آدم ثديين لارضاع ولديه اللذين خلقا من غير حـواء ، فالثديان فى صدر كل رجل من الأعضاء الغامضة هما أثر تلك الخلقة .

***

وقد ظهر من صلب (شهيد ابن جرة) الذي تناسلت الملة اليزيدية منه جميع الانبيـاء والمرسلين والأولياء والصالحين والعلماء والمصلحين ، منهم الشيـخ عدي بن مسافر،ويزيد بن معاوية ، وحسن البصري ، والشيـخ عبد القادر الكيلاني ، والشيـخ محمد بن الحنفية ، وشمس الدين التبريزي ، وقضيب البان وغيرهم إلا (محمد) نبي الاسلام فهو من ابنـاء آدم الآخرين الذين تزوج كل واحد منهم باخته التى ولدت معه .

***

ولما تم أمر الخليقة ، وفرغ الله من عمله ، اختار العزلة وأودع شؤون العالم الى

وسجلها فى قانونه . وربما عرفتها الاقوام التي ظهـرت قبل السومريين ولكن بشكل آخر . وفي الآثار الاسلامية ان آدم خلق يوم الجمعة لست خلون من نيسان وكساه الله لباساً من خضرة واسجد لهملائكته فسجدوا الا ابليس وكان ملـكا على الارض يصعد الى السماء متى شاء ، فأبى السجود لآدم وقال انا كنت خليفتك على الارض وهو من تراب كنت أطؤه ، وأنا من نار وهو من طين فلي الفضـل عليه من كل جانب وافضله بالاجنحة التي أغشى بها اقطار الارض في اقل من لمح البصر . فلما امتنع السجود ابلسه الله ولعنه.

وجاء ان الله تعالى بعد ان خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة ، اباحهما جميع ما فيها الا الشجرة التى نهاهما عنها ، وعلى قول اكثر اهل العلم انه كان البر ، ولما رأى آدم ما اعطيه من الكرامة اشتاق الى الخلود فطمع فيه ابليس فاحتال عليه حتى ادخله الجنة فخاطب حواء فيها وقال :« ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا لتكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما من الناصحين » ولم يزل بحواء حتى اكلت من الشجرة واطعمت منها آدم فأكل ، فلما أكلا منها انكشف لباسهما عنهما الى اطراف اصابعهما وبدت لهما سوآتهما فطفقا يأخذان من ورق الجنة ويستتران بها . فقال الله عز وجل : قـد جعلت هـذه الشجرة غذاء لكما ولذريتكما يعـني الشجرة التي أكلا منها عاصيين فاهبطوا جميعاً انتما وابليس والحية فان بعضكم لبعض عدو . ـ اخبار الزمان ص ٤٩ ـ

(طاؤوس ملك) لما اصبح له من النفوذ والقوة ، وخافه البشر وخشي بطشه وغضبه .

وبدأ طاؤوس ملك منذ ذلك الحين يبعث الأنبياء والرسل الى الأرض ليعلموا البشر تعاليمه وينذرونهم عقابه فيما اذا خالفوه وعصوا أمره . فالذين آمنوا به واتبعوه كان عطفه عليهم عظيما ، والذين خالفوه وعصوا أمره لا يزال يسلط عليهم العالل والأمراض جزاءهم .

﴿ اعتقادهم فى الطوفان ﴾

يعتقد اليزيدية بظهور طوفانين على الارض . فالطوفان الاول ظهر على زمن (نوح) جزاء للجنس البشري على سوء اعماله ، وهم المسلمون والنصارى واليهود الذين تناسلوا من آدم وحواء باستثناء اليزيدية الذين هم من عنصر خاص .

أما الطوفان الثاني فقد شملهم وكان نصيبهم منه مثل ماكان لغيرهم . وقد قامت السفينة من عين ماء جارية فى قرية (عين سفني) شرقى الموصل حتى وصلت جبل سنجار فاصطدمت بقمة عالية من الجبل وانخرقت وكادت تغرق لو لم تلتف حية كانت فيالسفينة على نفسها وتسد الخرق . ولم تستقر السفينة إلا على الجودي (١).

وكثرت الحيات بعد ذلك وأخذت تؤذي الناس والحيوان فجمعوها وأحرقوها فكانت البراغيث من رمادها ، وقد تكاثر العنصر اليزيدي من (نعمي) المنحدر من نسل (ملك

---

١) ان قصة الطوفان اخذت بها جميع الاقوام التي ظهرت فى العصور الاولى للتاريخ . ويعتبر بعض المدققين ان اول من ذكرها المصريون القدماء ، فقد شوهدت بعض النقوش على جدران مقبرة (سيتي الاول) فرعون مصر تشير الى هلاك البشر فعبروا عنه بالطوفان واخذتها الامم السائرة عنهم ومزجوها باقاويل عديدة مختلفة حسب المؤثرات التى كانت تحيط بهم . وقد تحقق من الحفريات التي جرت فى جنوبى العراق ان بلدة (اريدو) خربت بالطوفان العام فهلك من كان فيها وفي جوارها . وكان اول من اخذ هذه القصة عنهم الكلدانيون في ما بين النهرين (مه زوپوتاميا) . وقد اكتشف العلامة الانكليزى (جورج سميث) في خرائب نينوى الحجر المسماة (ساروانديوليس) وهي محفوظة فى لندن وعليها قصة حادثة الطوفان . ونصت قوانين (حمورابي) على ان الطوفان ظهر فى العراق ، والمرجح انه اخذ ذلك عن السومريين .

ومن الاقوام التي اخذت بقصة الطوفان ، الفرس . فيقولون ان العالم قد فسد من اعمال (اهرمن) فوجب غسله بالماء . ويقول بها اليهود كما هو مكتوب بالتوراة . وفي القرآن ان الطوفان الذى ارسله الله على الارض كان على عهد (نوح) اذ أمره ان يصنع الفلك ويأخذ معه نساءه واولاده ومن الحيوانات من كل زوجين اثنين .

والطوفان العام ليس مجرد اسطورة خيالية او ممسوخ من اسطورة فرعونية انما هو ما احدثته قطع الجليد عند ذوبانها في الادوار الجليدية وفي اوائل الدور الرابع الارضي فأهلك من كان في العراق كافة .

ميران) كما تكاثرت العناصر الاخرى من نسل (حام) الذي أهان أباه .

مضى على الطوفان حتى الآن سبعة آلاف سنة ، وفى كل الف سنة ينزل إله من الآلهة السبعة الى الأرض فيضع الشرائع ويصلح ما فسد من أمر اليزيدية . وكان نزول الله الى الأرض فى الألف السنة الاخيرة اكثر من سائر الأوقات، وكان يتكلم بالكردية وفيها يضع القوانين والشرائع .

﴿ اعتقادهم في ظهور يزيد (١) ﴾

كان نبي الاسماعيليين (يريدون به محمداً) يسلك فى عمله مسلكا يخالف مراضي الحق فعاقبه بوجع الرأس ولما اشتد عليه الوجع أمر خادمه (معاوية) ان يحلق رأسه ليخف عنه ، وكان معاوية يحسن الحلاقة ، وبينما هو يحلقه جرحه وأسال دمه ، وخوفا من ان يراه محمد لطع الدم بلسانه ، فقال له محمد أخطأت ، وسيأتي من صلبك من يكون عدواً لأمتي ، فأجابه بانه سوف لا يتزوج أبداً ، وأخيراً تسلطت على معاوية العقارب ولدغته في وجهه فجزم الأطباء بموته إن لم يتزوج ، فتزوج إمرأة فى الثمانين ليأمن حبلها ، ولكن هذه العجوز ما لبثت ان ظهرت فى اليوم الثاني فتاة فى ريعان العمر وحملت (بيزيد) الذي أصبح إلهاً للملة اليزيدية .

يقول الكتاب الأسود بعد ان سرد هذه القصة ، اما اليزيدية فلا يذعنون لهذه الرواية ولا يصدقون بها إذ يعتقدون ان (يزيد) هو إلههم الكبير ويعرفون صورته وتمثاله وهو على شكل ديك لا يزالون يحتفظون به ويتوجهون بعبادتهم اليه .

﴿ اعتقادهم في اقامة طاؤوس ملك ملوكا لهم ﴾

جاء فى الكتاب الاسود ان الفساد لما انتشر في الارض نزل (طاؤوس ملك) وأقام لشعبه ملوكا ـ عدا ملوك آشور القدماء ـ منهم نسروخ وهو (ناصر الدين) وطاموش وهو (فخر الدين) وارطيموس وهو (ملك شمس الدين) وملكان آخران وهما شابور الاول والثاني دام ملكهما مائة وخمسين سنة ومن نسلهما ظهر امراء اليزيدية الحاليون .

---

١) هو ابن معاوية بن ابى سفيان ، وامه ميسون ابنة بجدل الكلبية من بني حارثة . استمر ملكه ثلاث سنين ونصف سنة (٦٠ـ٦٤هـ) وقد غدا ممقوتا لوقوع حادثة كربلاء الاليمة على عهده ولم يذكر انه وضع ديانة دان بها احد من البشر .

وكان لهم ملك في بابل اسمه (بختنصر) وآخر في العجم اسمه (حشوراش) وفي القسطنطينية ملك اسمه (اغريقالوس) .

وكانت الديانة اليزيدية تسمى قبل المسيح بالديانة الوثنية ، وكان ملوك آحاب ومنهم (بلعزبوب) الذي يطلق عليه الآن (بيربوب) على هذه الديانة .

﴿ اعتقادهم بما لطاؤوس ملك من النفوذ على الحق تعالى ﴾
(وتذلل الحق - جل وعلا - له)

يتناول القوالون حكاية ذكرها مصحف رش - الكتاب الاسود - ان الحق تعالى غضب على (عيسى) وسجنه في جب عميق ووضع على فم الجب صخرة كبيرة . فاستغاث عيسى بالرسل والانبياء ليشفعوا له عند الله فلم يجبه احد منهم ، فأتاه أحد معارفه وناداه من فم الجب : مسكين أنت يا عيسى ! لماذا لم تستغث بطاؤوس ملك ، فهو وحده يقدر على تخليصك من هذا السجن . فلما استغاث به ادركه على الفور ورفع الصخرة من على فم الجب وأخلى سبيله .

ولاقى (الحق) عيسى في السماء وسأله : من أخرجه من الجب وأتى به الى هنا ؟ أجابه : طاؤوس ملك . فلما سمع ذلك تغاضى عنه وذهب في سبيله ولم ينبس ببنت شفة .

﴿ اعتقادهم بالمجرة - مسحال الكبش - ﴾

يتناقل اليزيدية اسطورة تتلخص في ان الحق تعالى دعا الشيخ عديا مع جماعة من مريديه الى وليمة أولمها لهم في السماء ، وعندما لم يجدوا في السماء تبناً لخيولهم ، أمر الشيخ عدي أحد مريديه أن يهبط الى الارض ويأتي بتبن من بيدره . فلما كان المريد يعود بالتبن تناثر منه شيء على الطريق فبقي أثره في السماء الى يومنا هذا ولذا يسمونه درب التبان(١).

---

١) ويسمى بالتركية (صمان يولي) وبالفارسية (كهكشان) ويؤديان عين المعنى. ويسميه الفرنسيون (طريق القديس جاك) وهو القديس جاك دي غاليسيا ، ويزعمون انه خطه للبطل شارلمان ليدله على الطريق الواضح في حروبه الشعواء مع عرب اسبانيا .



﴿ الطاؤوس ﴾

اتخذ اليزيدية الطاؤوس رمزاً للشيطان بعد ان حظر عليهم تسميته باسمه . فكيف وممن أخذوا هذا الاسم ؟ وهل كان أخذه من باب الصدفة والاتفاق أم من منبع اجنبي كما يدعيه بعض الكتاب الاجانب ؟ فكتب السير والتاريخ والتفسير تدل على ان الملك المنبوذ قبل ان طرد من الجنة كان يسمى (طاؤوس الملائكة) للطافة شكله وجميل صورته ، وفي اللغة (الطوس) بمعنى حسن الوجه ونضارته ومنه اشتق اسم (طاؤوس) ويطلق على الجميل من الرجال . ويستدل من ذلك أن هذا الاسم أخذ من منبع اسلامي محض وهو عربي صرف . أما علماء المشرقيات المولعين بتحليل هذه الاسماء وارجاعها الى أصول اجنبية فقد ذهبوا مذاهب شتى في تعيين اصل هذا الاسم . فالمستشرق الفرنسي الموسيو (ف . نو) صاحب كتاب « النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » ذهب الى ان كلمة (طاؤوس) محرفة من (ثيؤس) التي تفيد معنى الآله باليونانية ، زيد عليها ملك فاصبحت (طاؤوس ملك) اي الملك الآله (ص١٧) وبعد ان ذكر (ص٢٦،٢٧) ان طاؤوس ملك هو الآله السامي الذي كان قبل الموجودات ، وهو لا نهاية له ، ويسود الخلائق ، وهو موجود في كل مكان ، ويرسل خدامه الى العالم لكي يفرقوا بين الضلالة والايمان قال : « ومن هنا نستدل على ان كلمة (طاؤوس) محرفة من (ثيؤس) الآله، اذ لا يخفى ان هذه الكلمة أخذها مسيحيو هذه البلاد من اليونانيين واستعملوها كثيراً

في صلواتهم » .

ومؤلف آخر ذهب بتعليله الى ابعد من المستشرق الفرنسي فقال : ان هذه الكلمة مشتقة من الآله (تموز) لدى الاغريقيين، وقال ايضا : ليس ببعيد ان يكون (الطاؤوس) الذي تعبده اليزيدية هو طاؤوس الآلهة الاغريقية (هيرا) الذي كان يقرب اليها كما يشاهد في اللوحة الموجودة في احدى المحلات في روما المدعو (بلازوديكلي كونزير - ناتوري) . وطاؤوس (هيرا) مذكور في (ج ١١ ص ١٤١) من دائرة معارف الاديان والاخلاق في المقالة التي تبحث عن الرموز . والطاؤوس الذي هو من الفن الاغريقي ويعود الى الآلهة (هيرا) أصبح للمسيحيين رمزاً للبعث . ويروى انهم لذلك كانوا يعتقدون ان لحم الطاؤوس لا يتعفن .

ويدعي هذا المؤلف ان عبادة الطاؤوس لدى اليزيدية لم تظهر على زمن (الشيخ عدي) بل ترجع بالقدم الى ما قبل ذلك . وذكر ان قبيلة في اواسط الهند تسمى « موري » تعبد الطاؤوس الحي .

أما قوله ان قبيلة « موري » تعبد الطاؤوس الحي فيجوز ان يكون صحيحا ، أما أن يكون لعبادة اليزيدية الطاؤوس علاقة بهذه القبيلة ومنها اقتبسوا هذا النوع من العبادة فليس بصحيح . فأن اليزيدية لم يعبدوا الطاؤوس إلا بعد ان ذهب بهم الخيال الى ايجاد شيء يرمزون به عن الشيطان الذى حظر عليهم تسميته بهذا الاسم عندما اتخذوه إلهاً . فقد جاء في الفصل الرابع من كتابهم (الجلوة) : « لا تذكروا اسمي ولا صفاتي لانكم لستم تعلمون ما يفعله الاجانب » وقد رمزوا عنه بالطاؤوس عملا بتقليد اسلامي محض كما قلنا آنفاً .

***

لليزيدية سبعة طواويس يرمزون بكل واحد منها على أحد آلهتهم ويسمونها السناجق (كناية عن تخصيصهم كل واحد منها لأحد الجهات التي توجد فيها اليزيدية) مصنوعة من النحاس على شكل طير او بطة يعتقدون انها من صنع القدرة يحتفظ بها الرئيس الديني للملة اليزيدية ، الجالس على كرسي يزيد ، في حجرة تسمى « خانة طاؤوس » وهو وحده

الذي يأمر باخراجها من محلها واعطـائها « للقوالين » للطواف بها . والعادة ان يذهب القوالون بها الى مرقد الشيخ عدي فيباركونها بالماء المقدس ، ويزيلون الصدأ الذي علق بها بماء السماق ثم يدهنونها بدهن الزيت ويأخذون من جوار المرقد ترابا فيعجنونه بالماء المقدس ويضعون منه بنادق صغيرة يهدونها الى اليزيدية عند زيارتهم الطاؤوس .

وبعد إكمالهم هذه العملية يذهب القوالون بالسنجق الى الجهـة المختصة به ، وعندما يقتربون من القرية او الجماعة التي يقصدونها يرسلون أحـدهم اليهم لاعلامهم بمجيئهم ، فيهرع أهل القرية جميعا رجالا ونساء لاستقبالهم وقد لبسوا أفخر ملابسهم وهم يرتلون الأغاني الشعبية والدينية والنساء يزغردن لهم فيأخـذ ذوو الثراء والوجاهة بالمزايدة على السنجق فمن أعطى ثمنا أعلى من غيره يأخذه ضيفا الى داره ، وهـو في حقيبة يحملها القوالون على اكتافهم . وهناك يخرجونه ويضعونه في المحل المعد له بعد ان يتأكدوا من عدم وجود أحد من غير اليزيدية ، ثم يأتي أهل القرية زرافات ووحدانا فيسجدون له ويقبلونه ويقدمون له خيراتهم الموسمية ويتضرعون له ان يغفر لهم خطاياهم ويقيهم هم وأولادهم وأهل بيتهم شره وسخطه . ثم يقف القوالون وهم بين زامر بالمزمار وناقر على الدف فيعزفون بايقاع حار يذوب فيه التفكير اليزيدي الذي ما زال حالما في طفولة ضيقة فيستحوذ على الجميع وحدة من الحس تضطرب بين الخـوف والرجاء ، فيرقصون على الايقاع الشرقي الحزين رقصات خاصة ، وقد يبلغ بهم طغيان الحس الى ان يرفعوا الطاؤوس من مكانه فيشركونه معهم بهذا النوع من الاضطراب الموزون .

وفي هذا اليوم المبارك يكثرون من احراق البخور وايقاد الشموع والقناديل ويسهرون على حراسة السنجق خوفا من ان تمتد اليه يد أجنبية .. وينحر صاحب الدار الذي نزل السنجق ضيفاً عليه بقرة او ثوراً اكراما له ، ويصنع اهل القرية طعاما وافراً فيأكلون ويشربون ويأنسون . وفي اليوم الثاني يضع القوالون السنجق في حقيبتهم ويذهبون به الى قرية اخرى .

﴿ ما يقال عن سرقة عدد من الطواويس وتسربها الى متاحف اوربا ﴾

اتضح لنا ان الطاؤوس او السنجق ، هو التمثـال الذي يرمز به اليزيدية الى إلههم .

وقد يعبدونه ويقدمون اليه نذورهم وخيراتهم ويحرصون على أن لا تقع انظار الغير عليه او تمتد يد اليه . والاوربيون الذين يحرصون على كل اثر نفيس او نادر لا يسعهم ان يتركوا متاحفهم خالية من مثل هذا التمثال الذي يمثل الألوهية عند شعب له شأنه ، وله تاريخه لذلك اقتنى المتحف البريطاني تمثالا يقال انه خرج من معبد لليزيدية فى الدهادية ؟ قرب ديار بكر في كردستان عام ١٨٣٨ كان لدى اليزيدية الساكنين في المنطقة الخالتية ، وقد أهداه الى المتحف المستر « ايمر شويغر » من كلكتا عام ١٩١٢ وقد بحث عن هذا التمثال المستر ر . هـ . و. أميسن فى كتابه «طاؤوس ملك» المطبوع في لندن عام ١٩٢٨ وزين به اول صحيفة من كتابه وقال عنه انه متشكل من ثلاث قطع ومرتكز على قاعدة ومطلي بالأسعد (الانتيمون) وقد زينت حاشية ذيله بصور بشر وحيوانات (تتعاقب صور الانسان والغزال في القسم العلوي منه) ورأسه مرصع بأحجار الفيروزج ويبلغ ارتفاعه ٣٥ عقدة . ونحن ننكر ان يكون هذا الطاؤوس من طواويس اليزيدية وقد خرج من أيديهم فان الطواويس السبعة الموجودة عند اليزيدية تخالفه شكلا وحجما وجميعها على شكل واحد وهي ما بين الحمام والبطة وكل منها يكون من قطعة واحدة ، وليس عليها طلاء ولا نقوش ، وارتفاع الواحد منها لا يزيد على ثماني عقد .. واذا سلمنا جدلا بان لليزيدية طاؤوسا على الشكل الذي وصفه ، وقد خرج من أيديهم حقيقة فيجب ان يكون قد خرج من « الشيخان » لا من « الدهادية » في منطقة الخالتية فى ديار بكر إذ التقليد الديني لم يبح لاحد من اليزيدية مهما كانت منزلته الدينية ان يكون فى حوزته سنجق عدا الامير الجالس على كرسي يزيد وهو خليفته ، ولو كان ليزيدية الخالتية سنجق لوجب ان يكون ليزيدية سنجار وطور عابدين وحلب وبدليس ووان سنجق مثلهم ، وهذا لا تجوزه الشريعة اليزيدية مطلقا ، ثم أين هو معبد « الدهادية » في المنطقة الخالتية فى ديار بكر ؟ نحن واثقون بانه لا يوجد محل تسكنه اليزيدية يحمل هذا الاسم فى هذه المنطقة لا فيما مضى ولا فى الحال الحاضر .

وللاب انستاس الكرملي مقال بعنوان « الاكتشافات الجديدة حول الاسرار اليزيدية » نشرته مجلة « انثروبوس » فى عددها السابع من سنة ١٩١١ مع تصوير يشبه

تماما الطاؤوس الذى أهداه المستر شويغر للمتحف البريطاني وضع مقابل الصفحة ٢٣ من المجلة ذكر فيه : « ان هذا الطاؤوس هو أحد الأربعة الطواويس المسروقة من قبل رشيد باشا عام ١٨٣٨ م وقد عثر عليه في دكان بائع عاديات ببغداد مسلم يسمى علي باعه بعد بضع سنوات الى مسيحي مثر اسمه فتح الله عبود » .

ولما كان هذا الخبر يخالف التقاليد الدينية اليزيدية التي تقضي حتما بجعل الطواويس في حوزة الأمير ، وأن تكون على مقربة من مرقد الشيخ عدي ، فقد طلبت الى الأب الكرملي ان يزودني بمعلومات عن سرقة هذه الطواويس الاربعة وعن هوية (رشيد باشا) هذا الذى سرقها، وكيف كانت السرقة، أبطريقة السطو ليلا كما هي عادة اللصوص أم بطريقة اخرى ؟ ونعلم انه كان على ذلك العهد ثلاثة ممن يسمون بهذا الاسم ، الأول « محمد رشيد باشا » الذى ارتقى مسند الصدارة وعين والياً على سيواس ومأموراً للاصلاحات فى كردستان وتوفي عام ١٢٥٢ هـ (٢٨٣٦ م) في دياربكر أي قبل وقوع حادثة السرقة التي عنى بها الاستاذ بعامين . والثاني « مصطفى رشيد باشا » المعروف بالديلومات وقد تقلد مسند الصدارة على عهد السلطان عبد المجيد ست مرات وتوفي عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧م) ببغداد . والثالث « صربخور رشيد باشا » وكان مشيراً للخاصة وتوفي عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) ، وطلبت اليه أن يعلمني من كان السارق من هؤلاء الثلاثة ، او أن يدلني على الأقل على المصدر الذى أخذ منه هذا الخبر ، فلم يجبني، الأمر الذى دل على أنه هو نفسه في شك من صحة ما رواه . على أنه من الجائز ان يكون قد عثر على طاؤوس عند احد بائعي العاديات ببغداد واشتراه مسيحي مثر ، ومنه انتقل الى المستر شويغر الذى أهداه الى المتحف البريطاني وادخره المتحف كتحفة ثمينة . ولكنني أجزم بان هذا الطاؤوس لم يسجد له يزيدي قط ، ولم تقدم له النذور والهدايا ، ولم يحظ بالاحتفالات الشائقة التى تجري عادة لطواويس اليزيدية ، بل هو مزيف من قبل أناس ليحصلوا على مبلغ ضخم من الدراهم من هوات العاديات الغربيين او انه صنع للزينة كما تصنع صور حيوانات مختلفة تزين بها المناضد والرفوف (١) .

---

(١) لقد أزال الاستاذ يعقوب نعوم سركيس الشك في امر هذا الطاؤوس في مقال نشر له فى مجلة

يقول أمبسن : ويوجد صنمان آخران احداهما فى متحف الدولة فى جيبور في الهند ، والآخر بملكه ج . د . داودن فى ادىمبرغ . اما الصنم الذى فى جيبور فيجوز ان يكون قد صنع فى الهند ، وفي الهند طائفة تعبد الطاؤوس ، واما الصنم الذى فى ادىمبرغ فالأرجح انه من تلك الأصنام المزيفة ، وإلا فليس لليزيدية معمل يصنعون فيه تماثيل لآلهتهم ويبيعونها للناس ، او يسرقها أناس ويتاجرون بها ، وندر جداً من رأى - من غير اليزيديين - طاؤوسهم بعينه ، او شاهد مراسم الزيارة التى تجرى له .

وعندما عزم الفريق عمر وهبي باشا عام ١٨٩٢ م على إرجاعهم الى الاسلام الصحيح قسراً وأبوا عليه ، استولى على اربعة طواويس لهم وأرسلها الى بغداد حيث حفظت فى خزانة الجيش السادس ، ثم أعيدت اليهم عام ١٩٠٨ بعد ان أعلنت الحكومة العثمانية مشروطية الادارة .

﴿ المقدسات الاخرى عند اليزيدية ﴾

جاء فى كتاب « عبده ابليس » لنوري باشا والي الموصل الأسبق ، ان لليزيدية مقدسات اخرى غير الطواويس يحتفظ بها رئيس الطائفة وعددها كما يأتي :

١- كبش اسماعيل « مصنوع من نحاس »
٢- عصاة نبي الله موسى « »
٣- حية « »
٤- مسبحة الشيخ احمد البدوي
٥- مشط لحية الجنيد البغدادي
٦- قضيب الشيخ عبد القادر الكيلاني
٧- طاس سليمان « من نحاس »
٨- حزام الشيخ احمد الرفاعي

« الجزيرة » الموصلية بعددها ٢٠ وتاريخ ١ كانون الاول ١٩٤٧ ونفى كون انه له علاقة برشيد باشا أيا كان من الرجال الذين ذكرناهم بهذا الاسم - وقال: انما هو طائر من صنع الهند للزينة وقد اشتراه فتح الله عبود واحتفظ به ، وكان قد رآه عنده - وهو خاله - فى حدود سنة ١٨٩٣ وهو تحفة للزينة وليس من طواويس اليزيدية . والحكاية التي وردت عنه ملفقة .

أما الآن فلا وجود لهذه الاشياء واليزيدية لا يعرفونها ولا يتكلمون عنها . ويجوز أنها كانت موجودة فيما مضى وقد فقدت منهم ، ويوجد عند اسماعيل بك بن عبـدي بك « من اسرة الأمراء » سراج من خزف يزعم انه السراج الذى كان الشيـخ عـدي يستعمله، واليزيدية يزورونه ويتبركون به .

ونخص بالذكر سريراً يسمونه « برشباكي » وهو في الحقيقة ليس بسرير بل أطـار لشباك يعتقدون ان الشيخ عدياً كان يجلس عليه، يحتفظ به فى الحال الحاضر شخص في قرية بجزاني يسمى « الشيخ بريم ابن الشيخ رمضان » يحيطونه بحرمة زائـدة وسيأتي الـكلام عنه .

ومن أعظم مقدساتهم « سجادة » يعتقدون انها سجادة الشيخ عدي يتولاها « الشيخ الاكبر - بابا شيخ » ولا يخـرجها الا ايام الزيارات او عند حلول نائبة باليزيدية .

تحفظ هذه السجادة فى صندوق مقفل وقد درجت بقطعة من القماش السميك ومحظور على غير اليزيدي رؤيتها ، وهي معمولة من صوف أسود يضرب لونه الى الحمرة وقد لعبت العثة فى حاشيتيها . يبلغ طولها عشرة أشبار وعرضها أربعة اشـبار ونصف الشبر وهى لم تكن حديثة الصنع ، الا انه من الصعب ان نصعد بها الى عهد الشيخ عدي حيث مضى عليه ثمانية عصور ، والويلات والنكبات التي حلت بهذه الطائفة لم تبق لها شيئـا من اسلافها .

●●

الطبقات الروحية وصفوفهم

- الأمير -

هو رئيس الملة اليزيدية ووازعها ، وقدوتهم فى الاحكام الدينية والاعتقادية ، له القضاء المطلق والحكم النافذ ، والارادة التي ليس له فيها منازع او معارض ، وهو من أسرة عريقة بالقدم تتصل بالبيت العدوي الممتاز بقدسيته ، ينتخب باجماع أسرته وموافقتهم عليه دون ان يكون للملة ولا للرجال الروحيين حق المداخلة وابداء الرأي في الأمر بل هم مكلفون بالانقياد والطاعة لكل من يكون أميراً عليهم من الأسرة الأميرية .

ولما كان منصب الأمارة قد جمع بين السلطتين الروحية والزمنية على كل من يدين باليزيدية تحت الشمس ، وبعبارة اخرى ، يمثل صاحبه فى شخصه (الشيخ عديا) الذي يعتقدون بألوهيته ، وقد حل منه جزء آلهي فيه ، وقد كانت الأمارة دوما مطمح أنظار رجال هذه الاسرة ، لذا كان من النادر ان يقضي أحدهم أمارته دون ان تقوم حوله فتن ومشاغبات يعكر عليه صفو حياته حتى ان احد الامراء خرج عليه ولداه وارادا نزع الأمارة منه ، ومن الأمراء من اغتيل على يد أفراد أسرته ، ولم يتمتع بالأمارة الى النهاية إلا من كان محبوبا ومهابا ويعرف كيف يستجلب القلوب ويعمل على ارضائها .

والأمير هو متولي مرقد الشيخ عدي والمكلف بادارة شؤونه ، ويحافظ على (السناجق) ولا يجوز اخراجها من محلها وارسالها الى الجهات المختصة بها الا باذنه ، ويدير الاملاك العائدة الى الأمارة ، ويستلم النذور والخيرات والصدقات ويختص بها دون ان يكون لأحد حق فى ان يشاركه فيها او يحاسبه عليها . إلا انه فى نفس الوقت مكلف بمد يد المعونة الى الضعفاء والمعوزين من افراد اسرته والترفيه عنهم .

ومن وظائفه القضاء في المسائل التى تحدث بين اليزيدية، وحكمه فيها يكون باتاً ونافذاً. وله ان يحرم من يشاء من اليزيدية اذا أتى عملا منكراً او خالف حكم الشريعة، ويستصفي امواله أو يغرمه شيئاً من المال . واذا مات أمير يرثه الأمير الذي يخلفه في ماله . على ان ملابسه يختص بها الشيخ الاكبر « بابا شيخ » .

ويستدل من هذا ان النفوذ الذي يتمتع به الأمراء (الى ما قبل عصر) جعلهم في

منطقة حكمهم أشبه بملوك غير متوجين وكان أصحاب السلطات العشائرية يهابونهم ويخطبون ودهم ، ولو لم يسرفوا في عدائهم المسلمين ويعاملونهم بجفاء ، لما أصابهم مكروه وأضاعوا نفوذهم . وسيرى القارىء الكارثة التى أصابتهم - في منتصف العصر الهجري المنصرم - لأعتداء أحد الأمراء على زعيم من زعماء الاكراد وقتله بالخيانة والغدر فكان عمله هذا سبباً لنكبتهم . أما مكانتهم الآن فليست بالدرجة التى يحسدون عليها . فكلما خطى الشعب اليزيدي خطوة نحو التمدن واتسعت مداركه وعرف حقوقه وواجباته ، فقد الأمراء ما بقي لهم من مكانة وربما لم يبق لهم إلا عنوانهم التاريخي او فقدوا هذا العنوان ايضا عندما يتحقق التطور الذي ينتظرهم .



﴿ الامير سعيد بك ﴾

هو ابن علي بك بن حسين بك بن علي بك بن حسن بك بن جولو بك بن بداغ بك بن ميرخان بك بن سليمان بك . وأمه ميان خاتون بنت عبدي بك بن علي بك بن حسن بك بن جولو بك الخ. تولى منصب الامارة بعد قتل أبيه سنة ١٩١٣م وهو صبي لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر بالوقت الذى كان من رجال هذه الاسرة من هو أحق بهذا المنصب وأجدر به منه . إلا انهم آثروه على انفسهم لما كانوا يحملونه من المحبة لأبيه والعطف على أمه وهى التي عرفت بفطنتها وامتلاكها القلوب بدهائها ، وكانت وصية عليه. ولما كبر أخذ يزاول أعماله بنفسه إلا انه لم يظهر كفاءة ومقدرة تمكنانه من نيل رضاء الشعب واستجلاب مودته ، فقامت في الشيخان وسنجار خلافات شديدة ضده وأرادوا اسقاطه من منصبه إلا انه ظل محتفظا به . ان هذه الخلافات التى فتحت ثغرة سحيقة بينه وبين شعبه وأصبح سدها متعذراً مدة طويلة ، سببها اتهامه بالتسامح فى المحافظة على شعائر الدين وانغماسه في اذواقه وشهواته التى لا تلتئم ومكانته الدينية وعدم اعتداده بذوي الرأي والبصيرة من وجهاء الملة واعتماده على أناس لا قيمة لهم واستئثاره بالخيرات والصدقات التي تصل اليه من طريق (السنجق) دون ان ينفق منها فلسا واحداً على الزوار الذين يؤمون المرقد ويرفه عن المملقين من افراد أسرته . وهذه اشياء لم تكن ترضي الشعب بل تسبب نقمته عليه . إلا ان عدم وجود قاعدة دينية او تقليدية تجيز عزل الأمير من منصبه مهما أساء العمل ، وكون الملة مكلفة بالطاعة له وحملها كل ما تجده فيه من عيوب على محمل حسن وليس لها ان تسيء الظن به ، اضطرها الى الكف عن مناوأته . وهكذا استرجع نفوذه بعد ان أصابه شيء غير قليل من الفتور وعاد الى سيرته الاولى دون ان تترك هذه الحوادث أثراً في نفسه .

﴿ موت الامير سعيد بك ﴾

لا يزال الامير سعيد بك منذ أمد بعيد يعاني أمراضاً وأسقاماً صعابا مما أعجز نطس الاطباء شفاؤها ، وقد كان كثرة مواصلته النساء وإدمانه على شرب الخمر من الأسباب التى زادت فيه هذه الأمراض استعصاء ، وكان اذا غادر فراشه يوما لازمه اياما طوالا وقد علمت انه حضر الموصل هو وزوجته (خوخي) ونزل في دار فى محلة الفيصلية

استجماماً للراحة ، فذهبت الى زيارته فعلمت انه مدعو تلك الليلة في فنـدق (كوكب الشرق) على ليلة ساهرة ولم يتيسر لي ملاقاته ، وفي صباح يوم الخميس (٢٩ تموز ١٩٤٤ - ٢٠ رجب ١٣٦٤) شاع خبر موته في المدينة فاخذتني الدهشة وان كنت أتوقع موته منذ زمن بعيد . والحق انه بموته استراح من عناء هذه الحياة ، واستراحت الملة من تصرفاته التي لم تولد لهم غير المحن والشقاء ، ذهبوا به الى باعذرة محمولا في سيارة وعند انتشار الخبر في الشيخان أخذ اليزيدية يتوافدون الى باعـذرة آخذين بالبكاء والعويل وضربت الطبول وصدحت الزرانى وأطلقت البنادق واجتمع نسوته وأهـل بيته حول نعشه وأقاموا مأتماً لطمت فيه الخـدود وجزت الشعور وشقت الجيوب ورتل رجـال الدين الأناشيد الدينية على صوت الدفوف ونغم المزامير . وفي اليوم الثـاني جرى دفنه بمراسم دينية خاصة وقد ألبسوه أفخر ملابسه ووسدوه فراشاً وثيراً في قبره . ثم ذبحت القرابين وقدمت المآكل ، وبات الناس ثلاث ليالي حول قبره يحرسونه . واستمر العزاء اربعين يوما استمرت فيها وفود المعزين تتوافد الى (باعذرة) من جميع الجهات يواسون أمه العجوز وأزواجه التعسات وأولاده الصغار في مصابهم .

﴿ الاعتقاد بموت الامير سعيد بك ﴾

يعتقد البعض من اليزيدية ان الامير سعيد بك لم يمت ولن يموت كسائر الناس بل هو الآن حي وان كان جسده قد تحطم وأودع التراب . وأيد لي احد شيوخ أسرة الشيخ ناصر الدين انه رآه بعد موته بايام قلائل بين عشيرة (الهويرية) قريبـا من زاخو مع بضعة قوالين في طريقه الى بلاد الروس ، وكان ذهابه احتجاجا على ما لاقاه من شعبه من جحود ونكران ، وما عومل به من مذلة وهوان ، وسوف لا يبقى وقتا طويـلا ويعود بعد ان يكون شعبه قد ندم على ما فعله معه .

﴿ نصب تحسين بك بن سعيد بك أميراً على اليزيدية ﴾
(خلفاً لأبيه)

تطاولت الاعناق الى منصب الامارة الخطير ولم يبق من افراد هذه الاسرة من لم ير لنفسه حقاً فيه بعد موت سعيد بك الذي أشغله احد وثلاثين عاما ، وهناك استعملت

(ميان خاتون) تلك الداهية الدهياء حنكتها وفطنتها واستمالت البعض من افراد الأسرة الى جانبها واستعانت بهم على ترشيح (تحسين بك) ابن الامير الراحل للامارة والملة وان لم يكن لها حق المداخلة فى هذا الترشيح ، فقد أظهرت ارتياحها له لما تتوسمه فى هذا الغلام اليافع من الذكاء والنباهة وهو لا يزال معصوما ولم يدنس نفسه بالآثام والمعاصي .

وقد لاقى هذا الترشيح قبولا من السلطات الادارية العليا ، وتم تعيين (تحسين بك) أميراً ونصبت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت على أبيه من ذي قبل .

ملحوظة : ان ترجيح تحسين بك على بقية أخوته ومنهم خيري بك الذى يكبره سنتين كان باعتبار ان أمه (خوخي خاتون) من بيت الامارة ، فهى بنت نائف بك بن حسن بك بن حسين بك وتجتمع مع زوجها بالجد الثالث ، بينما بقية أخوته أمهاتهم من البسميرية ومن أسرة الشيخ ابي بكر .

﴿ أسرة الأمراء وما يقال عن نسبهم وانتقال الامارة اليهم ﴾

يصعد الامراء بنسبهم الى « الشيخ ابي بكر » وهو الملك ميكائيل المخلوق يوم الثلاثاء من ايام التكوين حسبما جاء في الكتاب الأسود الا أن اسمه لم يرد فى كتب السير والتواريخ . واليزيدية نفسهم لا يستطيعون ان يعينوا درجة اتصاله بالبيت العدوي وأين ومتى عاش وماذا كان له من الأثر في الديانة اليزيدية ؟ وكلما يعرفونه عنه انه من نسل « يزيد » بن معاوية الأموي اختاره يزيد للقيام على شعبه اليزيدي نيابة عنه ، وقد خلفه أولاده فى أداء هذا الواجب وأصبحوا أمراء على هذه الملة ، على ان النصوص التاريخية اليزيدية والتقليد الجاري يدلنا على ان الشيخ حسن عندما وضع هذه الديانة جعل مشيخة هذه الملة الى رئاستها (أمارتها) في أهل بيته ومنحهم امتيازات خاصة ميزهم بها على غيرهم من بقية الأسر التى تنتمي الى البيت العدوي وخص كل أسرة بوظيفة تقوم بها دون ان يترك مجالا لاحتمال تجاوز أسرة على اخرى في الوظيفة التى خصها بها . إذن كيف انتقلت مشيخة هذه الطائفة الى أسرة الشيخ أبي بكر بينما كانت منحصرة في أسرة الشيخ حسن ، وما هي الاسباب والعوامل التى يسرت لها الحصول

عليها ؟.. يتناقل اليزيدية همساً بينهم أن أفراد اسرة الشيخ أبي بكر كانوا يتمتعون بقوة عظيمة وكان لهم أتباع كثيرون ، فأخذوا يتطلعون الى الامارة بعد ان وجدوا في أسرة الشيخ حسن عجزاً وضعفاً ، فخرج احد رجالهم عليهم واسمه الشيخ محمد - ويعبر عنه اليزيدية بالشيخ محمد الكردي الاربلي - وحاربهم وقتل منهم ثمانين شخصاً وقبض على الامارة وحصرها في أسرته ، ولا تزال حتى يومنا هذا في قبضتهم .

على أن شيوخ أسرة الشيخ أبي بكر اذا كانوا وجدوا سبيلا الى نزع الامارة من أصحابها الشرعيين ، فلم يستطيعوا تجريدهم من امتيازاتهم الدينية ، وان هم منعوا « القوالين » من الاشادة بذكر الشيخ حسن في أناشيدهم وحطوا من منزلته الا ان الوظائف الدينية التي اختص بها أهل بيته لم تدع شكا في أن منصب الرياسة كان فيما مضى منحصراً بهم .

والذي نراه ان هذه الحادثة وقعت في مستهل العصر الحادي عشر الهجري بعد ان غلبت اليزيدية القاطنون في منطقة اربل وجبال السهران (الصوران) على أمرهم وعادوا الى الشيخان . والشيخ محمد الذي عرفه اليزيدية بالكردي ثم الأربلي ، والذي قام بغصب الامارة من أسرة الشيخ حسن هو من ذرية الشيخ أبي بكر الذي كان لهم في وقت ما أمارة في جبال السهران .

ونرجح ان الشيخ أبي بكر لم يكن من رجال البيت العدوي البارزين ، لكن اسمه أدخل في الكتاب الاسود (مصحف رش) في عداد الآلهة السبعة بعد ان نال أحفاده هذه المكانة وقبضوا على منصب الرياسة .

***

(١) بداغ بك : ورد اسمه في التاريخ الا ان اسم أبيه وجده لم يردا فيه .

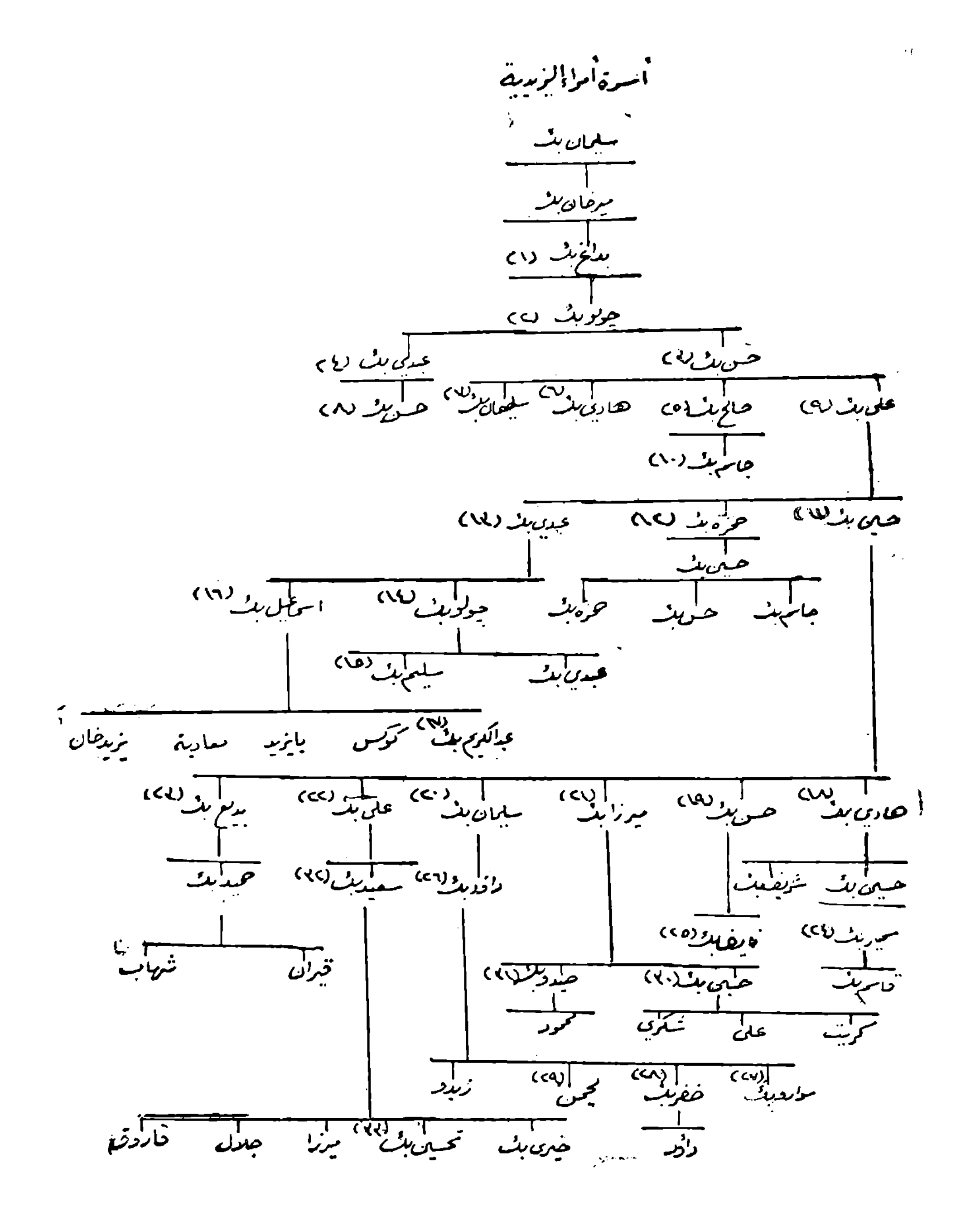
(٢) جولو بك: قتله اسماعيل باشا حاكم العمادية سنة ١٢٠٥هـ (١٧٩٠ م) ونصب بمحله « خنجر بك » ثم عزله وصادره ونصب « حسن بك » بن جولو بك . وخنجر بك هذا هو من « البسميرية » وأسرته لا تزال في قرية كندالة .

(٣) حسن بك : نصب أميراً على الشيخان بمحل أبيه الذى قتله اسماعيل باشا حاكم العمادية سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩١م) ولم نتحقق كم امتدت أمارته ولكننا نعلم انه كان محتفظا بمنصب الامارة في سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) . وقد شق عصا الطاعة على كيقباد حاكم العمادية وهرب الى نواحي جزيرة ابن عمر ، فأرسل قياد بك جيشاً مع اخيه « بهاء الدين بك » لقتاله فانكسر بهاء الدين بك وقتل جماعة من عسكره . وفي حوادث الاثر: أن والي بغداد أرسل عام ١٢٢٤ الى يزيدية الشيخان يستحثهم على النهب والسلب واثارة الشغب والفساد ونهب القرى ليدل على ضعف الولاة الجليليين الذين لم يكن على تمام الود والاتفاق معهم ، فلم يطعه الامير حسن بك ، إلا ان أخاه عبدي بك أخذ يعبث بالأمن على رغم منه . يقول صاحب حوادث الاثر : وقد اعتذر حسن بك الى « محمد باشا » الجليلي من فعل أخيه فقبل عذره .

(٤) عبدي بك : أسر في حادثة أمير راوندز محمد باشا الأعور في قرية خطارة فى الشيخان هو وأخته . ويقال ان الأسر وقع على ابنه حسن بك لا عليه ، وعلى بنته واسمها « فاطمة خاتون » لا على اخته . وقد تزوجها احد قواد « محمد رشيد باشا » الصدر الاعظم الذى قاد حملة على أمير راوندز وهو أمير الألاي مصطفى بك وتوفيت في بغداد .

وعبدي بك هذا هو الذى امتثل أمر والي بغداد وقام بنهب أموال الناس وتخريب القرى فى الشيخان . وقد طرده أخوه حسن بك ارضاء للوالي الجليلي ، فذهب الى سنجار ومنها عاد الى العمادية بناء على دعوة حاكمها « زبير باشا » وأبقاه عنده مراغمة للوالي الجليلي وارضاء لوالي بغداد .

(٥) صالح بك : كان يتمتع بحرمة زائدة لدى اليزيديين ويقال انه اغتيل بالموصل .



أسرة أمراء اليزيدية
سليمان بك
ميرخان بك
بداغ بك (١)
جولو بك (٢)
عبدي بك
حسن بك
حسن بك
سليمان بك
هادي بك
صالح بك
علي بك
جاسم بك
عبدي بك
حمزة بك
حسين بك
حسين بك
اسماعيل بك
جولو بك
حمزة بك
حسن بك
جاسم بك
سليم بك
عبدي بك
عبد الكريم بك
كوكس
بايزيد
معاوية
يزيد خان
هادي بك
حسن بك
ميرزا بك
سليمان بك
علي بك
بديع بك
حسين بك
شريف بك
داود بك
سعيد بك
حميد بك
فايق بك
جاسم بك
قيران
شهاب
شكري
علي
محمود
سواره بك
خضر بك
يحيى
زيدو
داود
خيري بك
تحسين بك
ميرزا
جلال

(٦) و(٧) هادي بك وسليمان بك: يقال انهما قتلا فى حادثة أمير راوندز محمد باشا الأعور هم وذراريهم ، ويروى ان الصورانيين أخذوهما أسرى الى بلاد الصوران وأسلما .

(٨) حسن بك : من الارجح ان الأسر وقع عليه فى حادثة أمير راوندز لا على أبيه وفاطمة خاتون هى أخته . وعلى ما ذكره صديقنا احمد فائق بك رئيس لجنة تسوية الاراضي فى سنجار ان نسبه يتصل به فهو ابن توفيق بك بن سليمان بك بن حسن بك بن عبدي بك .

(٩) علي بك : جاء في تاريخ اليزيدية للاستاذ العزاوي نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية انه توفي عام ١٨٣٢م (١٢٤٨هـ) . والصحيح انه قتل على يد محمد باشا اينجه بايراقدار والي الموصل « امتدت ولايته من سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) الى سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م) وتوفى بمرض الدوسنطاريا ودفن فى جامع النبي شيت بالموصل » فى الموقع المسمى « كرى عرب » مع جماعة من اغوات الانكشارية وقطع رأسه وألقى فى نهر الخازر (تقويم الموصل لسنة ١٣١٢هـ ص ٤٤٤) وأرجح ان قتله كان فى السنة الرابعة من ولاية اينجة بايراقدار على الموصل .

(١٠) جاسم بك : عندما قتل علي بك بن حسن بك وكان ابنه حسين بك صغيراً أعلن امارته على اليزيدية . وبعد ان أمضى ثلاث سنين فى منصب الامارة كان حسين بك قد كبر واشتد ساعده، فقتله فى قرية «ايسيان» قريبا من باعذرة وقبض على الامارة.

كان لصاحب الترجمة ثلاثة أخوات : فتزوج الاولى حسين بك واسمها « روشى » وتزوج الثانية أخوه سليم بك واسمها « شيرين » وتزوج الثالثة اخوه عبدي بك واسمها « خمي » وهي أم ميان خاتون بنت عبدي بك وسيأتي ذكرها .

• • •



﴿ حسين بك بن علي بك بن حسن بك ﴾

(١١) حسين بك : كان صغيراً عندما توفى أبوه فقبض على الامارة ابن عمه جاسم بك بن حسين بك . وبعد ان شب وترعرع قتل جاسم بك واستولى على الامارة . وكانت الملة اليزيدية اذ ذاك معروضة للانقراض بسبب النكبة التي حلت بها ، فلم شعثها وجمع شملها وجدد لها كيانها وحافظ على بقائها . وكان صديقا للسر هنري لايارد المنقب والبحاثة الانكليزى وقد ذهب الى استانبول بارشاد منه وتوصل الى السلطان عبد المجيد وشكى اليه النكبة التي أحلها أمير الصوران بشعبه . فعطف عليه السلطان وواساه وأنعم عليه برتبة « قبوجوقدار » وبعد عودته من استانبول حصلت بعض الاضطرابات في الشيخان

وأتهم بها ، فقبضت الحكومة عليه وألقته في السجن ثلاث سنين ، ثم أخلت سبيله .
وفى خلال هذه المدة خرج ولداه هادى بك وحسن بك على التقاليد المتبعة وطالبا بالامارة وأرادا ان يستأثرا بها ، فعارضها بقية رجال الأسرة وجرى لهم معها مقاتلات أودت بحياتها .

وصاحب الترجمة هو أول من خالف التقاليد اليزيدية وتزوج امرأة من بيت شيخ عبدال يسك من أسرة « شيخ شمسا » التى هي محرمة عليه ، وجمع بين سبع نساء فى آن واحد ، وقد توصلنا الى معرفة أربع منهن وهن : روشي ، وكلي ، ونعامي من بسميرية كذالة ، وغزو من بيت شيخ عبدال بسك .

(١٢) سليم بك : يروى انه لم يكن على تمام الود والمصافات مع أخيه الأمير حسين بك فترك باعذرة واختار الاقامة في عين سفني الى ان مات ، وكان له زوجة واحدة وهي (شيرين) بنت جاسم بك بن صالح بك .

(١٣) عبدي بك : كان يساعد أخاه الأمير حسين فى أعماله ، وله مكانة ممتازة بنظر الشعب . وعندما زار « لايارد » باعذرة كان صغيراً لم يتجاوز العاشرة من العمر ، وقد رسمه بالقلم وهو جالس على الارض بجانب أخيه حسين بك ، ونجد هذا الرسم في تاريخ اليزيدية للاستاذ العزاوى اقتبسه من كتاب رحلة لايارد . ولأسباب لا نعرفها اختلف مع أخيه حسين بك فترك باعذرة واختار الاقامة في قرية بجزاني ثم فى قرية خطارة .

(١٤) جولو بك : لم تحمد سيرته واليزيدية لا يذكرونه بخير .

(١٥) سليم بك : كثيراً ما تآمر على الامير سعيد بك وسعى في إسقاطه من منصبه وهو لا يؤمن له جانباً .

(١٦) اسماعيل بك : طاف في عنفوان شبابه بلاد الاناضول وذهب الى ايران وبلاد الموسقوف ونال أعطيات كثيرة من اليزيدية القاطنين هناك ، وخاصم الامير علي بك وابنه الامير سعيد بك ونازعها الامارة. وبعد سقوط بغداد اتصل بالانكليز فى سامراء وأبدى لهم الاخلاص وأظهر نفسه بمظهر الزعيم ، وتعرف الى رجال الصحافة في سوريا والعراق وأطلعهم على كثير من المعتقدات اليزيدية، ومع ذلك لم ينل ما توخاه من الوجاهة

والرياسة . فالانكليز بعد ان أولوه ثقتهم نبذوه نبذ النواة والصحافيين الذين تعرف اليهم ولوه الادبار . والملة بعد ان وقفت على أعماله قابلته بالنفور والامتعاض ، وقد عرفه الاستاذ العزاوي بقوله : « والرجل يفاوض كل ناحية ، ويريد ان يرضي كل قبيل . يقول للمسلمين أنا أفتح المدارس ، وان عقيدتنا لا تفترق عن عقيدة المسلمين. وللاجانب يقول : نحن أقرب الى النصرانية وأولى الامم بحرمتهم . وهو فى الحقيقة ممن لا تعهد اليه الأمور الدينية ، أوله ان يبوح بأسرارها ، ولا اعتماد للقوم عليه ، ولم ينل منهم قبولا ، فلم يروا له حقا في رياسة » ، ولو انه اتخذ له مسلكا قويما وسار فى حياته العملية سيرة شريفة مرضية لوجد من يشد أزره فى نيله الامارة .

ولو لم يكن له من المساويء شيء فيكفيه قبوله الرسالة التى كتبها الدكتور زريق عن لسانه وضمنها كتابه : « اليزيدية قديما وحديثا » وفيها سب (محمداً) وديانة محمد ، وهو ليس ممن كلف شراؤه غاليا

وهو أول من حطم التقاليد الدينية اليزيدية وعلم ابنه عبد الكريم في المدارس الحكومية وكذلك ولديه الآخرين يزيد خان وبايزيدا ، وعلم بنتيه ونسة وقبرصا فى المدرسة الامريكية فى الموصل .

تزوج أولا روشي بنت حسن فقير ، وبعد موتها تزوج عمشة بنت حمزة بك ، وكان موته يوم ٩ آذار سنة ١٩٣٣ عن عمر ينوف على الخمسين سنة .

(١٧) عبد الكريم بك : استخدمته الحكومة زمنا معلما فى مدرسة عين سفني وفي سنجار ، ثم استغنت عنه ، ثم أعيد ثانية الى التعليم ، وها هو الآن مدرس فى مدرسة عين سفني . تزوج ثلاث نساء ، الاولى نعام بنت علي بك ، والثانية اختها ماميكى وقد توفيتا ، والثالثة شرو من أسرة الشيخ أبي بكر .

(١٨و١٩) هادي بك وحسن بك : انتهزا سجن أبيهما حسين بك واستوليا على السنجق من أيدى القوالين واستأثرا بنذوره وخيراته . فخرج عليهما عمهما عبدي بك وأخواها ميرزا بك وعلي بك وجرى بينهم قتال شديد في قرية دوغات من قرى الشيخان أسفر عن قتلها وقتل جماعة من اعوانهما واسترجع السنجق . ويقال ان نعامي خاتون زارت زوجها حسين بك فى السجن عقيب هذه الحادثة وقد تبرجت خلافا لعادتها

عندما تزوره في السجن ، فأنكر عليها ، ولما أوقفته على الخبر تألم كثيرا وقال لها : كنت أؤثر ان يستقلا بالامارة على ان يقتلا .

كان للاول زوجة اسمها ماشى ، والثاني زوجة اسمها روشى ، وكلتاهما من بسميرية كندالة .

(٢٠) سليمان بك : كان له زوجة واحدة وهى سارى بنت حمزة بك .

(٢١) ميرزا بك : تقلد منصب الامارة بعد موت ابيه حسين بك ، الا انه لم يظهر له مآثر محمودة ، والشعب اليزيدى لا يميل اليه كثيرا لتلبيته دعوة الفريق عمر وهبي باشا وقبوله الاسلام ، وان لم يدم اسلامه اكثر من ثلاثة اسابيع ثم عاد الى يزيديته . كان له زوجتان : الاولى نعام بنت صيدو بسمير ، والثانية عدلاني بنت عبدى بك .



علي بك بن حسين بك بن علي بك المتوفى سنة ١٩١٣ م

(٢٢) علي بك : كان مستجمعاً صفات الامارة بكل معانيها ، وقد أكرهه الفريق عمر وهبي باشا على قبول الاسلام فأبى وآثر الموت على تبديله دينه . وقد نفته الحكومة الى مدينة سيواس وبقي فيها ثلاث سنين . ثم عاد مرفوع الرأس ناصع الجبين بين قومه وأخذ باصلاح ما أفسده الفريق عمر وهبي باشا في المجتمع اليزيدي ، وجدد بناء قباب مشائخهم وأوليائهم التي هدمها وطلب من الحكومة اعادة مرقد الشيخ عدي الذى أخرجه من أيديهم واتخذه مدرسة اسلامية فاجابت طلبه . إلا ان أمده لم يدم طويلا اذ سطت عليه يد أثيمة واغتالته وهو نائم على فراشه ، وعيون الحرس ترصده من كل جانب . وقد اتهم في قتله فتاح وعلي وشمدين اولاد جولو بن جولو المهاني « مهان قرية في الشيخان تقع قريبا من باعذرة » من البسميرية لحقد قديم يحملونه في صدورهم على الأمراء ، اذ يروى ان الامراء كانوا قد أوقعوا القتل في هذا البيت وأبادوهم على بكرة ابيهم لسبب تزوج احدهم امرأة من بسميرية كندالة كان احد الامراء يريد التزوج بها . ولم يبق من هذا البيت سوى « جولو » الذى في بطن أمه وقد سمي باسم أبيه . وقد استقصى داؤد بك بن سليمان بك وحسين بك بن ميرزا بك ولدا أخي علي بك أثر اولاد جولو الثلاثة فعثرا على فتاح وعلي في قرية الحسنية وقتلاهما ، وهرب شمدين الى سنجار وبقي مختفياً نحو خمس عشرة سنة ومات بعد ان كف بصره ، وقبضا على جولو وأتيا به الى قصر الامارة وكان أرمد وقتلاه صبراً . وقد طلب ان يفكوا وثاقه ويمهلوه لحظة ليدلهم على القاتل الحقيقي ، مدعياً انه وأولاده بريئون من قتل علي بك فما أصغوا اليه وأخمدوا أنفاسه في التو واللحظة وبقتله دفنت أسرار لا يعلمها إلا جولو وأصحاب القصر نفسهم .

ان توجيه قتل علي بك الى جولو المهاني وأولاده الثلاثة لا يطمئن اليه الضمير كثيراً إذ ان اقتحام القصر مع حصانته ويقظة حراسه أمر صعب جداً وليس من السهل الوصول اليه ما لم يكن لأهل القصر او الحراس يد في ذلك . لذلك ليس في الوسع نفي الخبر الذى شاع اخيراً من ان « لسفراغا » (١) بن عمر اغا رئيس عشيرة الدوسكية المسلمة صديق القصر يداً في ذلك وكان في تلك الليلة ضيفاً مكرما عليه .

١) يقال : انه يرجع الى اصل يزيدي وقد قتل كذلك ليلا على فراشه(سنة ١٩٢٤م) اي بعد –

(٢٣) بديع بك : هو ابن حسين بك من زوجته نعامى ، كان على جانب من حسن الخلق والخلق ، سريع التودد ، ميالا الى صحبة المسلمين . وقد مقته اليزيدية لانصياعه الى دعوة الفريق عمر وهبي باشا وقبوله الاسلام مع أخيه ميرزا بك ، تزوج ثلاث نساء الاولى : سيرى بنت حمزة بك ، الثانية : هوري بنت عبدي بك ، الثالثة : شيرين بنت صيدو بك .

(٢٤) سمير بك : نزح الى سنجار بعد قتل أبيه وبقي فيها ردحا من الزمن ، ثم صالحه عمه ميرزا بك وزوجه بنته نجمة وأعاده الى باعذرة . يروى عنه بطولة وفروسية نادرة وكان يصل في غزواته وهو في سنجار الى جبل مقلوب فيسلب وينهب ويعود مثقلا بالغنائم .

(٢٥) نائف بك : نزح الى سنجار بعد قتل أبيه وسكن قرية (تبة) وكان يتردد من حين الى آخر الى قصر الأمارة ، تزوج الامير سعيد بك بنته روشن ، فماتت وتزوج بنته الثانية خوخي ، ثم جمع بينها وبين أختها كلي وهي زوجة قاسم بك بن سمير بك ، توفي سنة ١٩٣٨م عن عمر يناهز الثمانين .

(٢٦) داؤد بك : كان له ثلاث زوجات الأولى : شرو من أسرة الشيخ أبي بكر ، الثانية : عدلاني بنت حسن شلال من أسرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، الثالثة : ماشى بنت علي بك .

(٢٧) سوارو بك : هجر باعذرة وذهب الى سنجار واختار الاقامة زمناً في قرية قصركي ، ثم عاد اليها بعد ان عضه الجوع ، وكانت تحدثه نفسه بالأمارة عندما وجد أهل سنجار يريدون إسقاط الأمير سعيد بك من منصبه وجمع له حزبا وتحدثوا بأمارته وعندما توفي سعيد بك وأظهر الناس ميلا الى انتخاب أبنه تحسين بك بمحله عادت اليه أحلامه ووقف موقف المعارض وعمل محضراً من بعض رؤساء اليزيدية في ترشيحه الى

- قتل علي بك باحد عشر عاما وأتهم بقتله سعيد اغا احد رؤساء عشيرة الدوسكية . وقد نال سعيد اغا وجاهة كبيرة وتزعم عشيرة الدوسكية العظيمة وأغنى غناء فاحشاً ، وانتخبته الحكومة عضواً في مجلس النواب العراقي . وقد حضر ديوان متصرف لواء الموصل في (٨ أيلول ١٩٤٧م) لحل نزاع بينه وبين احد رؤساء الدوسكية ويدعى سليم اغا مصطو ، ولما لم يتم الاتفاق بينهما أطلق سليم اغا عياره الناري عليه وقتله على عتبة حجرة المتصرف .

الأمارة وقدمه الى المراجع الرسمية ولكنه لم يلق أذنا صاغية ، وقد رضى الآن ان يكون خادما لدى الأمير الحالي تحسين بك ويعيش بعطاياه .

(٢٨) خضر بك تزوج بنت الأمير سعيد بك ويسمونها (طوطي) وماتت عن ولد له اسمه داؤد ، ثم تزوج تركو من بسميرية الجراحية .

(٢٩) لجمن : تزوج قبرص بنت اسماعيل بك وصار له منها ولد سماه سليمان .

(٣٠) حسين بك : لا يميل اليزيدية اليه كثيراً وسيرته لم تكن ممدوحة بنظرهم ، وكان قد خاصم الأمير سعيد بك وانضم الى الحزب المناويء له وحدثته نفسه بالأمارة وسعى اليها ولم يوفق ، وقد تزوج الأمير الحالي تحسين بك ابنته نعامي فانضم اليه .

(٣١) صيدو بك : له زوجة واحدة وهى شيرين بنت سمو كندالي وقد توفى وترك ولداً لم أعرف اسمه .

(٣٢) سعيد بك : تولى منصب الأمارة بعد قتل أبيه علي بك سنة ١٩١٣م وهو فى الثانية عشر من العمر ، ونشأ نشأة أرستوقراطية لتوفر أسباب الترف والغناء له ، ولما شب أخذ ينغمس فى الأذواق والملاهى بافراط غير حاسب للرأي العام اليزيدي حسابا ، وهذا ما أضر به ولم تبق له مكانة محترمة بنظر الشعب وسخط عليه ومنع عطاياه عنه وأراد إسقاطه من منصبه . وبعد ان منحه ثقته واستعاد مكانته لم يغير من سلوكه وظل دائباً على أعماله الى ان مات موتة رجل عادي في أحد الفنادق بين أناس لم تكن الشريعة اليزيدية لتجوز له معاشرتهم والاختلاط بهم .

تزوج عشر نساء الاولى : ميرم بنت حسن فقير من أسرة الشيخ أبي بكر وقد قتلها سنة ١٩٢٥م ، الثانية : روشن بنت نائف بك وقد عاجلتها المنية ، الثالثة : عمشة بنت حجي سلو البحزاني من أسرة الشيخ أبي بكر ، الرابعة : زارى بنت فقير اوصى السنجاري وقد تخلت عنه وتزوجت من آخر غيره في سنجار فكانت عاقبتها القتل ، الخامسة : قطى بنت شيخ آلو ، السادسة : كني بنت فقير ميرزا ، السابعة : شمي بنت حسين بسمير ، الثامنة : خوخي بنت نايف بك ، التاسعة : اختها كلي بنت نايف بك ، وقد جمع بينهما في آن واحد ، العاشرة : ونسة بنت اسماعيل بك وقد هربت منه وأسلمت وسيأتي الكلام

عنها ، ومات عن خمس منهن لا يزلن أحياء يرقبن أجلهن .

(٣٣) تحسين بك : أصبح أميراً بعد موت أبيه وهو في سن الثالثة عشرة وقد آثروه على أخوته ، وفيهم من هو أكبر منه سناً وأكثر دراية ، باعتبار ان أمه من بيت الأمارة وقد أصبحت جدته « ميان خاتون » وصية عليه كما كانت وصية على أبيه ، وهو على غاية من الصباحة والملاحة وقد تزوج « نعامى » بنت حسين بن ميرزا بك في السنة الثانية من توليه الأمارة ، وقد نصحت جدته ان تعتني بتهذيبه وتثقيفه ، وتجعل منه رجلا صالحاً يفيد شعبه ويعيد اليه ما فاته من نجاح وتقدم ، فعملت بنصيحتي وأتت له بمعلم إلا أن روح المرح واللهو غالبة عليه فلم يظهر ميلا الى التعلم . وقد تحرص جدته على تنشئته تنشأة صالحة وتجعله بعيداً عن المغريات والمفاسد لا كما كان عليه أبوه ومن سبقه من الامراء ، إلا ان كثرة تردده الى الموصل واختلاطه بغير اليزيديين والاكثار من صحبتهم - وهو نقص عند اليزيديين - واستسلامه لنزق الشباب لا يبشر له بمستقبل مأمون العاقبة ، وأسرة الامراء ، على رغم ما يظهرونه من الاخلاص والمودة له يظمرون له السوء وكل واحد منهم يريد ان يكون أميراً ، وهو يمتاز على أبناء هذا البيت باجمعهم بدماثة أخلاقه وحسن سيرته وقد نشأ فى حضن الأمارة وتلقى المزايا الحميدة صاغراً عن كابر .



ميان خاتون بنت عبدي بك بن علي بك

وبعد ان انتهينا من البحث عن الأمراء نري ان نقول كلمة عن « ميان خاتون » التى ورد ذكرها عرضاً فى الكلام عن رجال هذه الاسرة ، وذلك لما لها من المكانة العظيمة عند رجال هذه الاسرة والشعب جميعاً .

تبلغ « ميان خاتون » من العمر خمسة وسبعين سنة ، وقد أدركتها فى مقتبل ايام حياتها وهى على جانب من الحسن والجمال وهي بنت عبدى بك بن علي بك وأمها « خمى خاتون » بنت جاسم بك بن صالح بك بن علي بك ، تزوجت من ابن عمها الامير « علي بك » فى سن الثامنة عشرة ، وبعد موته صار أبنها « سعيد بك » أميراً وأصبحت وصية عليه ثم على ابنه « تحسين بك » بن سعيد بك الذي صار أميراً وهو في سن

الثالثة عشرة ، وقد ظهرت علائم النبوغ والتفوق عليها منذ عهد زوجها علي بك وكانت تقوم باعمال الامارة بالاشتراك معه وواسته في أيام محنته وشقائه واختارت النفي معه عندما أجلته الحكومة العثمانية الى مدينة سيواس ومكث فيها ثلاث سنوات وهي ذات عقل راجح وفكر صائب ونظر بعيد في الامور ، يحترمها الشعب ويخافها وتتمتع بنفوذ عظيم ولا يجرأ أحد ان يخالف لها أمراً ، والكل يرهبونها في الحضور ويغتابونها في الغياب.. فيها عنجهية وكبر وغرور .. اذا حضرت مجلسها ترى آثار العظمة والنبل تلوح عليها .. وهي كثيرة التشاؤم ، لا تثق باحد ، شديدة الامساك لا يفلت من يدها فلس على رغم كثرة مواردها ، تمقت رجال بيت الامارة وتزدريهم ، فيها مكر وخداع ، لا يؤمن لها جانب ، وقد تقسو على من يقف في سبيلها الى ان تنزله القبر

وبالاجمال ، فان منصب الامارة منوط اليوم بها فهي التي تأخذ وتعطي وتحسن وتحرم وتحلل وتحرم ومن الصعب ان يتكهن الانسان عما ستؤول اليه الحالة بعد موتها وهي في مقترب حياتها ، وكل ما فيها قد أدركه الهرم إلا عقلها .

❋ في نصب الامير وعزله ❋

وهنا يجب أن نعلم ماهي القاعدة المتبعة في نصب الأمير ؟ وجوابنا عليه : ليس هنالك قاعدة معينة اكثر من الاستفادة من النفوذ العائلي يضم اليه رغبة الحكومة وهما اللذان يؤثران في هذا النصب ، وبالنظر لما لهذا المنصب من الاهمية القصوى وأثره في حياة الامة الدينية والاجتماعية ، أليس من الواجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار الصفات التي يجب أن يكون الأمير المراد انتخابه متصفاً بها ، وأن يودع انتخابه الى جماعة من ذوي الرأي والكلمة من الرجال الروحيين كما هو الأمر عند النصارى في انتخاب من يكون بطريركا او مطرانا .

نقول متأسفين ان هذا لم يكن ، والتقليد المتبع منذ القديم لا يقره ، والاعتراض الذي يرد في ذلك هو كيف يجوز جعل انتخاب الامير الذي يعدونه آلههم المجسم ويعتقدون بقدسيته بيد الرجال الروحيين الذين يعدون من أفراد الشعب بالنسبة اليه ؟ وهذا وإن كان يبدو صحيحاً ، ولكن نظراً لليقظة التي حصلت في حالة الشعب العقلية والشعورية ،

وانطلاق لسانه من عقاله حيث لم يجد ما يمنعه من تخطئة الامير في أعماله وانتقاد تصرفاته التي لا تلتئم وأمانيه ، أصبح من الواجب المحتم أن يكون له رأي في انتخابه والرؤساء الروحيون هم الذين يمثلونه .

ومن أهم الاسباب التي تحتم جعل نصب الأمير تابعا للانتخاب، هو كون التقليد الديني قد جعله ثابتا في منصبه لا يجري عليه عزل وإقصاء مهما أساء العمل ، والملة مرغمة على الطاعة له . وأمير هكذا شأنه من الخطأ ان يكون نصبه تابعا لرأي واحد وأن تفرض طاعته على شعب عظيم ، ولم يؤخذ رأيه فيه . وهذه القاعدة هي من صالح من سيكون أميراً أكثر . ولو أتبعت هذه القاعدة في المرة الاخيرة لما وقع الأختيار على غير الاميرالحالي لما امتاز به من الصفات التي ترجحه على غيره، ولسد باب الشغبالذي يقيمه رجال هذا البيت ضده وكلهم يرون له حقاً في الامارة .

***

أما جعل منصب الامارة ثابتاً دون ان يجري العزل والانفصال على من يكون أميراً فهي قاعدة أقرها التقليد الديني منذ القدم (١) ، وذلك لما يعتقده الشعب في الامير من العصمة المطلقة ، وتمثيله الشيخ عدياً في زعامته عليهم ، ومن يختاره الشيخ عدي ممثلا عنه لا يجوز لهم ان يعارضوه . وقد لا يفرغ هذا المنصب من صاحبه إلا بالموت او القتل ، والقتل يقع على يد أفراد الأسرة ، والملة تكون بعيدة عنه ، وهذا ايضا لم يقع إلا نادراً .

***

يبلغ رجال أسرة الأمراء في الحال الحاضر ثلاثة وعشرين ، يقيمون جميعهم في قرية « باعذرة » (٢) وهم عاطلون لا عمل لهم ، والعمل بنظرهم عار ومنقصة ، وانهم لم يخلقوا

١) عندما كثر الشغب على الامير المتوفي سعيد بك واصر يزيدية سنجار بالاجماع على اسقاطه من منصبه وتعيين آخر بمحله من هذه الاسرة واتبعهم في ذلك قسم عظيم من يزيدية الشيخان وتحرجت الحالة، وجهت الحكومة الي سؤالا عن جواز عزل الامير وتعيين آخر بمحله ، فكان جوابي بالنفي.

٢) قرية جسيمة كثيرة المياه ، يسكنها امراء اليزيدية ولا يشك في انه كان لها مكانة تعبوية عظيمة على زمن الآشوريين لوقوعها على مضيق مامزدينا وان لم يبق فيها آثار تدل على آشوريتها . ثم اصبحت نصرانية وسميت (بيث عذرِ) . ثم حرفت فصارت باعذرة . ويستدل من آثارها المندرسة على انها -

للعمل ، بل الشعب يعمل ليعيشوا . ولم تكن النذور والخيرات التي يقدمها الشعب اليهم إلا لهذه الغاية ، بينما لا يصيب أحد من رجال هذه الأسرة فلس واحد من هذه النذور والخيرات ، بل يستأثر بها من يكون أميراً . وهذا ما أدى الى فتح باب الخصام بين رجال هذه الأسرة والأمير ، والامير لم يقر لهم بحق ويريد ان يجعلهم دائما في عسر وضيق ليأمن غائلتهم ، وقد كان الامراء الذين سلفوا يعطفون عليهم بعض الشيء ، أما الآن فقد حرموا من هذا العطف .

ان جميع النذور والخيرات من أفراد الشعب على الوجه الذي نراه الآن لم يكن موجوداً فيما قبل ، بل كانت القاعدة ان يؤدي الشعب مقطوعا سنويا لمن يكون رئيسا - وهو يعرف اليوم بالامير - لتأمين ادارة أهل بيته ، ويراد بأهل بيته أقاربه الذين يضمهم واياه نسب واحد ، ويكون لكل واحد منهم حق في ان يكون أميراً . ولما كثر الشعب وتفرق في البلاد ولم يكن في ميسوره تأدية المقطوع المفروض عليه ، أستعيض عنه بخيرات يؤديها باسم (السنجق - الطاؤوس) حيث يطاف به بينهم فيؤدون له خيراتهم ، وزيد على ذلك ان فرض عليهم إعطاءهم خيرات لكل مكان شريف في مرقد الشيخ عدي عند زيارتهم له .

كانت الخيرات التي تجمع على هذه الصورة حتى السنين الاخيرة لم تتجاوز اربعماية ليرة ذهب على أعظم تقدير . أما الآن فقد بلغت عشرة آلاف دينار وربما زادت بعض الشيء على ذلك . ورجال هذه الأسرة لا يزالون محكوم عليهم بالحرمان من هذا الدخل الجسيم وأكثرهم يتضور جوعا وينام على الطوى . وفي سنة ١٩٣٤ أقاموا ثورة عنيفة على الامير السابق سعيد بك وطلبوا محاسبته ولكنهم لم ينالوا مأربا (١)، وعندما

كانت معمورة جداً ، وكثيراً ما عثر على جثث اموات في خواب من الخزف. والقرية الان في واد سحيق يكثر فيه البعوض . وقصر الامراء على ربوة عالية يشرف على القرية .

١) كان على اثر الاحتجاج الذى أقامه يزيدية الشيخان وسنجار على الامير السابق سعيد بك لسوء تصرفه فى اموال الخيرات وحرمانه رجال بيت الامارة منها وصرفها في غير موضعها ، ان امتنع يزيدية سنجار من اعطاء الخيرات سنتين ومنعوا طواف السنجق بينهم . فرأت الحكومة وضع نظام طائفي خاص يبين فيه وظائف الامير وتحدد مسؤوليته وتعين كيفية جمع الخيرات وصرفها ، ووضع قائمقام الموصل خليل عزمي بك (متصرف الموصل الان) مسودة نظامين لهذا الغرض، الا انهما لم يقترنا بالمصادقة ويوضعا محل التنفيذ.

قر الرأي على انتخاب الامير الحالي تحسين بك ، شرطوا عليه وعلى جدته ميان خاتون التي لها القول الفصل في هذا الأمر ان لا يكون له أكثر من ثلث الخيرات ، وان يعطى اليهم الثلث ، ويخصص الثلث الباقي لاعمار مرقد الشيخ عدي والانفاق على زواره ، ولكنه لم ينفذ هذا الشرط .

وهنا نبين مقدار ما دخل على الامير في هذه السنة (١٩٤٨) او بالأحرى على جدته ميان خاتون بصفتها وصية عليه من الخيرات :

دينار	
٤٠٠٠	بدل ضمان طاؤوس سنجار ، يطاف به في السنة مرتين .
١٥٠٠	واردات سنجق طاؤوس الشيخان، يدار بالأمانة ويطاف به في السنة ثلاث مرات.
١٥٠٠	ضمان مرقد الشيخ عدي .
٥٠٠	ضمان مرقد الشيخ شمس .
٥٠٠	ضمان العين البيضاء (كاني اسبي) .
٥٠	ضمان مرقد الشيخ مند .
٥٠	« « خاتونة فخر .
٤٠	« « الشيخ آمادين .
٣٠	« « الشيخ ناصر الدين .
١٥	« « حسن ممان .
٨١٨٥	

فاذا ما أضيف الى هذا الدخل واردات القرى والمزارع الموقوفة على مرقد الشيخ عدي ، والهبات والعطايا التي تصل الى الأمير من الخارج ، ومهر الفتيات اللاتي يتزوجن وليس لهن من يتولاهن ، وأموال العقوبات التي تؤخذ ممن خالف حكم الشريعة والرسوم المفروضة على رعاة الأبقار في بعض القرى لبلغ عشرة آلاف دينار او ما يزيد ، ونحن لا نريد ان نبحث هنا عن فداحة هذه الضرائب التي يسمونها بالخيرات ، وكيف يستطيع الشعب ان يؤديها مع فقره وقلة موارده ، ولا نريد ان نعطف عليه ونألم له ، فقد يبيع

أحدهم بقرته وحمارته ويعطي ثمنها الى الطاؤوس عند مجيئه الى قريته ، او عند زيارته مرقد الشيخ عدي عن رضى وطيب خاطر ، فهذا لم يكن موضع بحثنا بل الذي نريد ان نقوله هو : كيف جاز للامير ان يستأثر بهذا الدخل العظيم ولا ينفق منه فلساً واحداً على أبناء أسرته وقد بلغوا الغاية من الاملاق ، ولم يقم بعمل خيري او مشروع عمراني او ثقافي يحتاجه الشعب جدا ؟ وعندما مات الأمير سعيد بك ترك وراءه ديناً يقدر بثمانية آلاف دينار ، سدد من هذا الدخل .

ان لرجال هذا البيت ان يطالبوا بنصيبهم من هذا الدخل الذي طالما ذهب في طرق غير مشروعة ، فاذا ما انتبهت الملة من غفلتها وطالبت بأنفاقه فى أمور يعود نفعها للمجموع ، او امتنعت عن إعطائه يتحتم عليهم إذ ذاك ان ينصرفوا الى العمل ويخرجوا من أذهانهم القاعدة التى يتبعونها من أنهم لم يخلقوا ليعملوا .

البسميرية

تفيد هذه الكلمة معنى من هو دون الأمير، ولا يصح القول انها محرفة من (بسر أمير) اي ولد الامير . والبسميرية يعدون هم والأمراء من أرومة واحدة ، فهم اولاد الشيخ منصور ، والأمراء اولاد الشيخ ملك ، ومنصور وملك أخوان وهما من اولاد الشيخ أبي بكر . ولهم ما للامراء من الامتيازات الدينية ، وكانوا فى سابق العهد أشبه بوزراء أو مستشارين لهم يستعينون بهم فى حفظ مصالحهم . وقد أقاموا في كل قرية من القرى الكبيرة (بسميراً) لمباشرة أعمالها وحفظ الأمن فيها . وكانت العادة ان يجتمع البسميرية كل يوم جمعة في (باعذرة) ويعقدون مجلساً تحت رئاسة الأمير للبحث عن المسائل المهمة التي تتعلق بالشعب اليزيدي ويقررون ما يجب عمله. ولم يسبق لأحد من البسميرية ان تقلد منصب الامارة سوى ما رأيناه من احدهم المدعو (خنجر بك) فقد نصبه أمير العمادية (اسماعيل باشا) أميراً بمحل (جولو بك) الأمير الشرعي الذي قتله . ولم تدم إمارته اكثر من سنة واحدة ثم عزل وصودر وحبس وأمر حسن بك بن جولو بك . وقد مضى على هذه الحادثة نحو مائة وستين سنة ولا يزال الامراء يحملون على البسميرية غيظاً فى نفوسهم من جراء ذلك .

وينحصر زواج الامراء بالبسميرية تقريباً وبالعكس . والبسميرية معوزون، وموارده

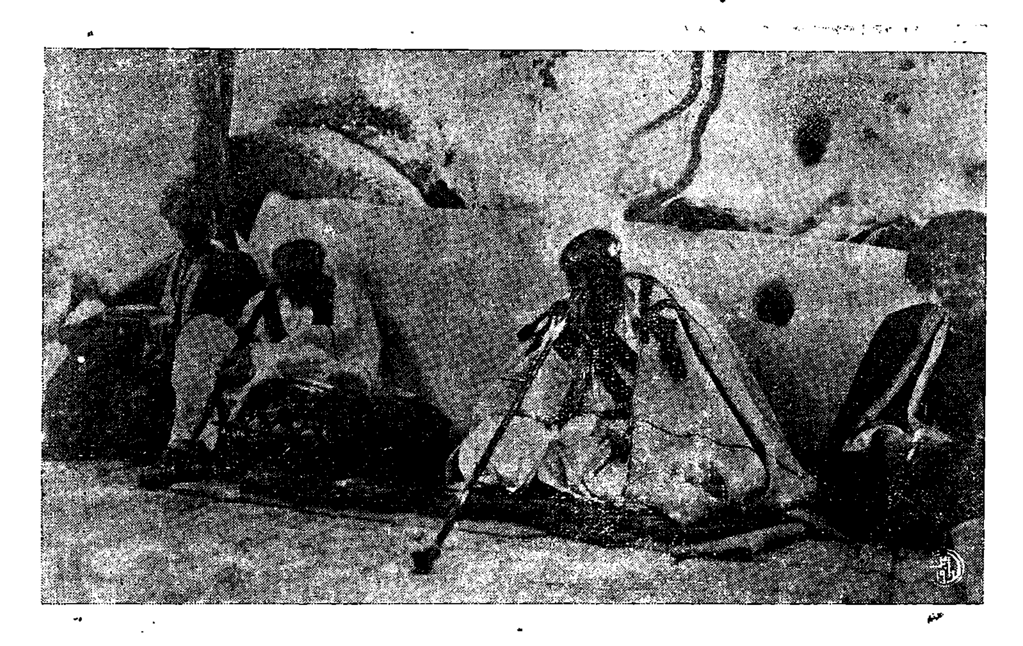
قليلة بالنسبة الى غيرهم من الروحيين . وقد قلوا في السنين الأخيرة وضعف شأنهم بينما كانوا قبلا كثيرون ولهم وجاهة ويأتون بالدرجة الثانية بعد الأمراء . وكان مركزهم الرئيسي قرية « كندالة » و « الجراحية » في الشيخان . والآن لم يبق منهم سوى بيتين في « كندالة » ، وبيت واحد في « الجراحية » ، وبيت في « آلمـان » ، وثلاثة بيوت في « باعذرة » ، وبيتين في « عين سفني » ، وبضعة بيوت في سنجار . وقد نزح منهم أناس ، في أول عهد ظهورهم ، الى بلاد القوقاس ويعرفون هناك ببيت « آلي بك-علي بك » يوجد الآن منهم هناك خمسة اشخاص وهم : حسين بك ، وعرفوت بك، وميران بك ، وخالد بك ، ويوسف بك ، وهذا الاخير متعلم وقد درس في جامعة « اجمازين » وتخرج منها ويعرف الارمنية والجركسية والروسية وكان نائباً في جمهورية « اريوان - الارمنية » .

❊ رئيس الأئمة- بيش إمام - ❊

هو من اسرة الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني الذي اصبح هو « والشيخ حسن البصري » واحداً بالتناسخ حسب اعتقاد اليزيدية ويزعمون ان الشيخ حسن البصري كان كاتباً عند الشيخ عدي . وقد حرم الشيخ عدي القراءة على هذه الطائفة وحصرها في أسرته . وعلى رواية اخرى يرددونها ان « يزيد» بن معاوية لما نزل من السماء وحارب « الحسين » وغلبه ، استقر نحو ثلثمائة سنة في الشام جمع فيها كافة الكتب والمدونات وأحرقها ، وحصر التعليم في أسرة الشيخ حسن البصري وحرمها على من سواهم .

وهذا الاعتقاد وان كان يبدو غريباً ، لكن له صلة بالحقيقة ، اذ نعلم ان الشيخ حسناً واضع هذه الديانة كان قد حرم التعلم على هذه الطائفة وحصره في آل بيتـه ، كما انه جعل « شيختها » فيهم ، والمراد بالشيخة الرئاسة الـتي عبروا عنها بالامارة ، وقـد ساقهم الاعتقاد الى ان الذى حرم مبدأ التعلم على هذه الطائفة وحصره في أسرة الشيخ حسن البصرى هو « يزيد بن معـاوية » . فمن أين عرف اليزيدية « الشيخ حسناً البصرى » ؟ وما هي علاقتهم به ؟ وكيف استعاضوا به عن « الشيخ حسن » الأموي وذهبوا الى هذا الاعتقاد ؟ من المعلوم ان مشيخة هذه الطائفة - اي زعامتها - بعد ان كانت منحصرة في أسرة الشيخ حسن واضع هذه الديانة كان قد نازعها عليها شيخ من

آل « الشيخ أبي بكر » وهو « الشيخ محمد » المعروف بين اليزيدية بالشيخ محمد الكردى الاربلي . وأقام فى وجهها ثورة عنيفة أسفرت عن تغلبه عليها ونزعه الشيخة منها . وقد نال أسرة الشيخ حسن من جراء ذلك اضطهاد عظيم وقتل منهم أناس كثيرون وتفرق الباقون منهم فى انحاء البلاد ، فمنهم من ذهب الى سنجار ، ومنهم من ذهب الى المنطقة الخالتية فى قضاء « البشيرى » في ديار بكر ، وفقدوا مكانتهم الدينية بين اليزيدية ولم يكتف شيوخ الشيخ أبي بكر بنزعهم الامارة من اصحابها الشرعيين وتفريقهم شملهم ، بل حضروا على القوالين الاشادة بذكر الشيخ حسن بأناشيدهم في الحفلات الدينية ، وأرغموا الناس على ان يعرفوه باسم « الشيخ حسن البصرى » لكي ينسوا اسمه ولكن بالرغم من ذلك فهم لا يزالون يتمتعون بامتيازاتهم التى خصهم بها الشارع كاجراء عقد النكاح ، والأمانة في صلاة ليلة القدر فى مرقد الشيخ عدي . والقراءة والتعلم ، وحفظ الكتب والمدونات الدينية ، وهذه الامتيازات هى من اختصاص من يكون متصفاً بالامارة والرئاسة ، والملة تعرف ذلك جيداً ولكنها لا تستطيع ان تجاهر به ، وماذا تجديها المجاهرة به وقد مضى عليه ثلاثة عصور كاملة ؟



الشيخ حاجي بن الشيخ ناصو

﴿ الشيخ الأكبر ـ بابا شيخ ﴾

قدوة المشائخ ورأس الأئمة ، والمعول عليه في الحكم العدل والقول الفصل ، كلامه مسموع ، وأمره مطاع ، وبه يقتدي الجمهور . وهو من أسرة (الشيخ فخر ـ فخر الدين) التي عرفت بحرصها على الزهد والطاعة ، والتمسك باحكام الدين ، يتسنم هذا المنصب الواحد تلو الآخر من هذه الاسرة بمصادقة الامير عليه . والامير يستشيره في الأمور الدينية ويعمل برأيه . يحرم الخمر ولا يشربه خلافاً لليزيدية ، ويصوم اربعينية الصيف والشتاء (١) ويتحاشى مخالطة الناس والحديث معهم، ويجوز له الافطار اذاصنع أحد من ذوي اليسار طعاما له بدعوى انه صنع باسم الشيخ عدي فيأكل منه ويفسد صومه .

ومن امتيازاته توليه على سجادة ينسبونها الى الشيخ عدي وهي مقدسة عندهم، يعتني بالمحافظة عليها ولا يخرجها إلا في أيام مخصوصة ، ويذهب بها في عيد (الجماعية) الى مرقد الشيخ عدي في احتفالات فائقة فيتسابق اليزيديون الى زيارتها وتقديم عطاياهم لها ، واذا ظهر (كوجك) وأيد تصرفاته في الامور الباطنية كالطيران في الجو والمشي على الماء وغير ذلك من الخوارق فيكون مضطراً الى تسليمها له وتبقى في حوزته الى ان ينقضي دوره .

ومن وظائفه الاشراف على زاوية الشيخ عدي وإعمار ما يتهدم منها ، وتنظيم اعمال (الكواجك) وتوجيههم الى الاشغال المناطة بهم ، ويكونون مسؤولين منه مباشرة .

ولشيوخ الشيخ فخر مريدون يجمعون خيراتهم السنوية منهم ، ويتقدمون على بقية المشائخ باستثناء أسرة الشيخ حسن باعتبار ان الشيخ فخر الدين كان الاخ الصغير للشيخ حسن .

﴿ المشائخ ﴾

يرجع شيوخ هذه الطائفة الى الشيخ عدي الثاني الملقب بابي المفاخر ابن الشيخ ابي البركات صخر الذي يتصل بالجد الخامس بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين ويعتقد

---

١) ان عادة صيام اربعينية الصيف والشتاء يعمل بها كثير من اليزيدية ـ لا سيما في الشيخان سواء اكانوا من طبقة الروحيين ام من العوام ويراد بها الطاعة والتعبد .

الشيوخ انهم من نسل يزيد بن معاوية الذي عرفوه إلهاً وقد حل فيهم منه جزؤ آلهي وأصبحوا قادرين على تغيير مجرى الحياة ، والتصرف بشؤون الكون ، وينحصرون في بضع أسر لكل أسرة ميزة خاصة اختصها بها الشارع للدين اليزيدي وجعلهم أمناء على أسراره ، وقواما على شريعته ، وهداة لقومه يتصرفون بعقولهم وأرواحهم ويحللون لهم ما يشاؤون ، ويحرمون عليهم ما يشاؤون ، ويسنون لهم الشرائع ويدعونهم الى اتباعها والعمل بها ، ويلقنونهم ما للاله المنبوذ من سلطة مطلقة على البشر وانه لا سبيل الى خلاصهم منه الا بتقديمهم له النذور والخيرات على يدهم ، ويقصون عليهم حادثة التكوين والخليقة ، وان الشعب اليزيدي لم يخلق كسائر البشر بل خلق بصورة استثنائية محاولين بذلك تميزهم عن بقية الشعوب ، واعتبارهم نفسهم وحدة عنصرية لها تميزها وتفوقها ، ويدخلون في عقولهم ان السلم والحرب ، والخصب والجدب ، والسعادة والشقاء ، والحياة والموت وغيره من كل ما يعترض الانسان في حياته الاولى هو من صنع آلهتهم ، وهم وحدهم قادرون على تغيير مجراه ، وما أنتجته العقول البشرية من اكتشافات واختراعات جميعه قد بحث عنه كتاب (الجلوة) و (مصحف رش) ولولا هذان الكتابان لما توصل أهل الغرب الى اكتشافاتهم واختراعاتهم .

والمشائخ ينقسمون الى بضع أسر وهذه أسماؤهم :

(١) أسرة الشيخ حسن ، (٢) أسرة الشيخ فخرالدين ، (٣) أسرة الشيخ شرف الدين (٤) أسرة الشيخ سجادين «سراج الدين» ، (٥) أسرة الشيخ آمادين « عماد الدين» (٦) أسرة الشيخ ناصر الدين ، (٧) أسرة شيخ شمسا ، (٨) أسرة الشيخ أبي بكر ، (٩) أسرة الشيخ مند .

وعلى عرف اليزيدية ينقسمون الى ثلاثة أصول رئيسية : (١) آداني (٢) شمساني (٣) قاتاني ، وقد تفرع من « آداني » ستة فروع « الأول » أسرة الشيخ حسن وهم في قرية بعشيقة وبحزاني قريباً من الموصل وفي سنجار « الثاني » أسرة الشيخ شرف الدين وهم في سنجار ومنهم « الشيخ بحري » متولي مرقد الشيخ شرف الدين ، ويوجد بيت واحد منهم في الشيخان في قرية ايسيان كبيره « الشيخ اسماعيل » ويعد إماما للشيخ

الأكبر « بابا شيخ » ، وواجبه مرافقته فى الحفلات الدينية .

« الثالث » أسرة الشيخ زندين ولم يثبتوا له ذرية ويقصدون به الشيخ زين الدين ابن الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن الذي هاجر الى الشام ومنها الى مصر وتوفى فيها

« الرابع » أسرة الشيخ ابراهيم الختمي وهم ساكنون فى سنجار .

« الخامس » أسرة الشيخ موسى ومنهم بيت الشيخ باجو فى « كرسي » وبيت الشيخ خيرو فى كاباره وكولكان فى سنجار .

« السادس » أسرة الشيخ يتيما « اي الشيخ اليتيم » ومنهم بيت الشيخ سعدون فى قرية « كنعان » فى سنجار .

وهذه الأسر الثلاثة لم يكونوا معروفين ، وهم فرع من الأسر الأخرى وجميعهم يرجعون الى أسرة الشيخ حسن .

وظهر من أرومة « شمساني » سبعة فروع « الأول » أسرة الشيخ شمس ويقال لهم « شيخ شمسان » ومنهم بيت الشيخ رمضان في قرية « بحزاني » وتنحصر تولية « برشباكى - سرير الشيخ عدي » فيهم ويحملون صفة « شيخ وزير » ، وبيت الشيخ خضر في بوزان ، وبيت الشيخ عبدال فى بايبرة « فى الشيخان » وبيث الشيخ خلف بن الشيخ يزدين فى بردحلي « فى سنجار » ويتولون مراد شيبو القاسم - شيخ ابو القاسم » .

(الثاني) أسرة ملك فخر الدين ويقال لهم أسرة الشيخ فخر ، وينحصر منصب المشيخة الكبرى (بابا شيخ) فيهم . ومنهم شيخ حجي بن الشيخ ناووص الذي يشغل هذا المنصب في الحال الحاضر ، وبيت الشيخ سليمان في قرية عين سفنى فى الشيخان ، وبيت الشيخ خضر ابن الشيخ عطو في سنجار .

(الثالث) أسرة الشيخ مند . منهم بيت الشيخ آودى وبيت الشيخ محمود في سموقة (في سنجار) .

(الرابع) أسرة الشيخ سجادين . ويراد به (الشيخ سراج الدين) ، منهم الشيخ خلف بن الشيخ ناصر كبير المسكان فى سنجار وبيت الشيخ خدر ابن الشيخ برو في

بمشيقة (فى الشيخان) .

(الخامس) أسرة الشيخ ناصر الدين . منهم بيت خديده ديري فى بجزاني (في الشيخان) وبيت الشيخ نذير عيسكو فى نكري (فى سنجار) .

(السادس) أسرة الشيخ بابا دين « ولعله محرفاً من الشيخ بهاء الدين » . منهم بيت الشيخ مراد مالامازن (البيت الكبير) في قرية محمودان (فى سنجار) .

(السابع) أسرة الشيخ آمادين « عماد الدين » وهم قليلون . منهم الشيخ خلف بن الشيخ ابراهيم فى الحليقية ، والشيخ آودي في علي دينا (فى سنجار) ، ومنهم أفراد فى قرية بجزاني .

ويتفرع من أرومة « القاتاني » فرعان : (الاول) الأمراء وفي عدادهم البسميرية ، و (الثاني) أسرة الشيخ أبي بكر وأكثرهم فى قرية بجزاني وفى باعذرة (فى الشيخان) ومنهم أفراد فى سنجار .

ويدخل فى « القاتاني » أسرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وهم فى قرية الجنونية فى سنجار ، وأسرة الشيخ اسماعيل فى بجزاني (١) وأسرة « ايزدين ميرزا » فى بجزاني ايضاً (٢) .

وقد قضت الشريعة اليزيدية بصورة مطلقة تحريم الزواج بين هذه الأرومات الثلاثة

---

١) لم اتمكن من معرفة هذه الاسرة ، واليزيدية كذلك لا يعرفونهم ، وهم — على كل حال — ليسو من البيت العدوي ولم تربطهم بهم رابطة نسب ، الا ان التقليد اليزيدى قد أباح لأسرة الامراء مصاهرتهم . حتى ان الامير المتوفي سعيد بك تزوج منهم وقد توفيت زوجته وتركت ولداً اسمه (ميرزا) وهو اكبر اولاده .

٢) ويراد به (ميرزا باشا) الداسنى الذى سيأتي البحث عنه — في القسم التاريخي من كتابنا ، و (ميرزا باشا) لم يكن له صفة روحية بل هو من العوام ، بدليل عدم وجود مريدين لذريته بين اليزيدية وليس لهم طريقة معروفة . ويظهر ان الامراء قبلوا مصاهرتهم — خلافاً للتقاليد الدينية — لما كان (لميرزا باشا) من السلطة الزمنية فى عهده ، فقد تولى الموصل على زمن السلطان محمد بن ابراهيم (١٠٥٨—١٠٩٩هـ) وكانت ولايته سنة (١٠٦٠—١٠٦١هـ) . وروى لي رئيس الائمة الشيخ نذير ان بيت (ايزدين ميرزا) يتصل ببيت الشيخ اسماعيل وهي رواية ضعيفة . والتقليد اليزيدي الديني لا يؤيدها . ويوجد الان من هذا البيت شخص واحد اسمه (حسن شمسى) يسكن قرية باعذرة ، وأمه شمسي هي بنت عبدي بك وشقيقته ميان خاتون .

ولم يسبق في التاريخ اليزيدي ان وقع زواج بين أرومة واخرى عدا ما ذكرناه من تزوج الامير حسين بك بن علي بك « غزو خاتون » من بيت الشيخ عبدال بسك من أسرة شيخ شمسا من أرومة « قاتاني » .

وحسبما دلنا عليه البحث والتحقيق ان كثيراً من شيوخ أسرة الشيخ حسن والشيخ أبي بكر والشيخ فخر والشيخ سجادين موجودون في تفليس وباطوم والكساندرابول، وهم يراعون تقاليد الزواج بينهم بكل دقة .

***

ومن التقليد الديني ان يكون لكل يزيدي شيخ يتمرد عليه ويستمد الفيوضات المعنوية منه ، كما انه يتحتم على الشيخ ان يشمل مريده بعطفه ويساعده على اكتساب مراضي الآلهة ويقيه سخطهم وغضبهم . ولذلك فقد كانت أعطيات المريد السنوية والموسمية الى شيخه بنسبة ما يناله على يده من سعة في الرزق وبعد عن الارزاء والنوائب ، واذا أشرف المريد على الوفاة يحضره شيخه ويلقنه وجوب اتباع (طاؤوس ملك) والثبات على الدين اليزيدي ويقوم بتغسيله وتكفينه ودفنه .

البير

معناه بالفارسية والكردية « الشيخ المسن » وفي اصطلاح الصوفية يفيد معنى المرشد والمربي ، وقد يطلق على زعماء الطرائق فيقال « بير طريقت » اي شيخ الطريقة ، وهذا الاصطلاح مستعمل عند الباطنية كافة في فارس ، ويجوز أنهم أخذوه من بعض أصحاب المذاهب في الهند .

والبيرة لم تكن منزلتهم الدينية عند اليزيدية بأقل من المشائخ ، وقد ينحصرون في بضع أسر يرجعون بأنسابهم الى رجال من الأسلام كان لهم مقام مشهود في مناصرة آل عدي في نشر دعوتهم عندما كانت خالصة ونقية ولم يدخلها فساد أو زيغ . يكفينا دلالة على ذلك وجود أسرة منهم ترتقي بنسبها الى الشيخ قضيب البان (١) وكان لقضيب

١) هو ابو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحي بن عبد الله بن ابي جعفر بن عبد الله الاكبر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن حسن المثنى بن الامام حسن بن علي بن ابى طالب : كان احد الاولياء الامجاد المشهورين والنبلاء المذكورين ، توفي سنة ٥٧٠ في الموصل ودفن على ربوة مقابل باب سنجار وقبره من المزارات المهورة .

البان هذا صلة بالشيخ عدي بن مسافر ، وكان يتردد بينه وبين الشيخ عبدالقادر في بغداد بالرسائل (١) وكذا بيرة محمد رشان وكان لمحمد رشان صلة صحبة أكيدة مع الشيخ عدي (٢) ، وما يقال عن بيرة قضيب البان ومحمد رشان يقال عن البيرة الاخرى وهذه اسماؤهم :

١- بير هاجالى : « هكذا يلفظونه ولعله محرفا من حاجي علي » تقيم أسرته فى قرية باعذرة واليهم ينتسب بيت « بير سن » المعروف .

٢- بيرمام شفان : ومعناه « العم الراعى » تقيم أسرته فى قرية « مام شفان » في الشيخان ومنهم بيت « بير علو » .

٣- بير محمد رشان وفى كتاب : قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر « محمد بن رشا وهو كردي الأصل » يقع مرقده فى السفح الشرقى من جبل مقلوب ، وأسرته يقيمون قريباً منه ، يؤمه خلق كثير من مسلمي الأكراد واليزيدية للزيارة والحلف به لحسم المنازعات التي تحدث بينهم وأسرته لا يزيدون على بضع بيوت ولهم مكانة مرموقة بين اليزيدية ، ومحظور على الأمراء ان يتدخلوا فى شؤونهم ، او ان يقضوا فى أمر بينهم ، واذا ما حصل بينهم خلاف فعلى الأمير ان يودعه الى « الشيخ الأكبر » وهو وحده له الحق ان يقضي فيه كما انه ليس للامير ان يتدخل فى شؤون مرقد محمد رشان ولا في نذوره وخيراته .

٤- بير جروانه : وأسرته يسكنون قرية عين سفني ، منهم بير عثمان وبير خليل ، والأمراء يتمردون عليهم ، أي يكونون لهم مرداء .

٥- بير حاجي محمد : يقال أنه أخاً لبير جروانه وقد مات بلا ولد ومريدوه هم أسرة « الشيخ حسن » يتمردون على أسرة أخيه ، ولما لأسرة الشيخ حسن من المكانة الدينية الرفيعة ، فقد جرت العادة ان لا يقدم مريدوهم النذور اليهم يداً بيد بل يضعونها على الأرض احتراما وتوقيراً ، فيتناولها بيرهم من المحل الذي وضعت فيه .

٦- بير حسن ممان : توجد أسرته فى عدة قرى فى الشيخان ، ومنهم أناس في نصيبين وفي بلاد الروس وهم أرفع مكانة وأعلى منزلة من بقية البيرة .

(١و٢) قلائد الجواهر

٧- بير ايسبيا : توجد أسرته في الشيخان وفى بلاد الروس .

٨- بيرافات : كذا « «

٩- بير هاسناالكا : تنحصر أسرته في قرية سموقة من قرى سنجار .

١٠- بير آلي : ويجوز ان يكون محرفا من بير علي توجد أسرته في عشيرة الجيلكان في قضاء نصيبين .

١١- بير خاني : أصله من منطقة الخالتية فى ديار بكر ، وقبره موجود يزار ، وقد نزحت أسرته الى قضاء الشيخان ويقيمون الآن فى قرية عين سفني .

١٢- بير قضيب البان : لم يبق أحد من أسرته لا في الشيخان ولا فى سنجار ، وقد انقرضوا منذ عهد قريب وفي قرية « ديرەبون » من أعمال زاخو رجل شيخ وإمرأة عجوز من ذريته لا نعلم هل بقيا أم هلكا ، وحدثني القوالون الذين جابو بلاد الروس أنه يوجد هناك بضع بيوت منهم .

١٣- بير بوال : من ذريته درويش مجيور فى قرية عين سفني .

١٤- بير عمر خاله : له مريدون في الشيخان وفى سنجار .

والبيرة أحرار فى التزاوج بينهم باستثناء « بيرة حسن ممان » فلا يجوز لهم التزاوج مع الغير بصورة مطلقة ، وكذلك بيرة محمد رشان وبيرة جروانه فقد يعدون أكفاء بعضهم لبعض وينحصر تزاوجهم بينهم .

وكما ان لكل « شيخ » بير يتمرد عليه فلكل « بير » ايضا شيخ يعطى كل للآخر نذوره وخيراته .

واليزيدي لا يعد يزيديا ما لم يكن له شيخ وبير يتمرد عليها ، ويكل أمره اليها ، ويرجو منها الشفاعة يوم الآخرة .

والبيرة عدا ما لهم من نفوذ في تدوير شؤون الحياة ، لهم سلطة واسعة على النفوس والأرواح ، وقد يشفون المرضى والمجانين بالرقى والعزائم ، ويعالجون العلل والعاهات بالأتربة التي يأتون بها من أضرحة أوليائهم ومشائخهم وقد يعينون المشائخ فى تغسيل الموتى ودفنهم ، ويزورونهم فى أيام الأعياد ويطلبون لهم المغفرة من الآله السامى .



الفقير درويش بن الفقير حمو شيرو وعلى يمينه أخوه الفقير منذ بخرقهم السوداء
وعلى يساره اسماعيل بك عبدي بك

﴿ الفقير ﴾

ومنهم صنف يقال لهم الفقراء وأكثرهم فى جبل سنجار وقليل منهم فى الشيخان ، والفقير باصطلاحهم تارك الدنيا والزاهد فيها ، يلبس على جسده خرقة سوداء صوف ، ويكتسي فوقها فروة وعباءة في الشتاء ، ويجتنب اللذات في معاشه وفى فراشه ، وليس أصح من وصفه بالناسك المتعبد الذي هجر الدنيا وتفرغ للعبادة وأصبح محل الرحمة والعطف ، وهذا ما دعى القوم الى الاعتقاد بان من أساء الى فقير يكون قد ارتكب اثماً لا سبيل الى تكفيره .

هكذا عرف الفقير فى أول نشأته ، وهكذا عرف الى ما قبل بضع عشرات من السنين ولكن كيف أصبح في السنين الأخيرة عنصراً فعالا وأخذ اليزيدية يخافونه ويخشون بأسه ، وانحصرت زعامة جبل سنجار في (حمو شيرو) الذي هاجر من قرية (خانك وقيغ) فى الشيخان وهو فقير بالمعنيين الديني والمدني ؟

ان الفقير بعد أن وجد هذه الحصانة القوية وهو ذو مطامع كبيرة ، وتحقق عنـده أن التقليد الديني جعله في حرز منيع من اعتداء اليزيدية وانه ليس بالامـكان أن يمسه أحد بسوء ، لم يتوان عن أن يزج نفسه فى الحروب العشائرية فلم يك للعشائر المتعادية بد من الاستعانة به والاستفادة من قوته ، فقويت شوكته واتسع نفوذه ، وهكذا لم يمض عليه طويل زمن حتى أصبح مهابا في نظر اليزيدية قاطبة وتقلد (حموشيرو) حاكمية الجبل طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

أما الفقراء الذين في الشيخان فليس لهم عصبية طائفية ، ولم يكونوا ذوي سـلالات معروفة ، والتقليد الديني أباح لكل يزيدي (سواء أكان من الروحيين أم من صنف العوام) أن يصير فقيراً بعد أن ينذر نفسه لحياة الزهد والطاعة ويكتسي خرقة الفقر على أن يصادق الامير على أهليته لسلوك هذه الطريقة ويلبسه خرقة الفقر بيده . والفقير لا يشترط أن يكون ابنه فقيراً بل يجوز أن يتجرد من هذه الصفة ، وللأمير أن ينزع خرقة الفقر ممن يجد فيه ما يخالف شعائر الدين ، وله أن يعاقبه باشد العقوبات(١) ويحرمه من حقوقه الدينية .

العلامة التي يتميز بها الفقير : يشد الفقير فوق خرقته السوداء حزاما أحمر من صوف ويسمونه (محك) فيه حلقة صفراء من نحاس ويعتقد أنها من صنع القدرة ، ويسمونها (خادم) وهذا الحزام وهذه الحلقة لم تكونا أقل حرمة من الخرقة (٢) ، ويربط فى عنقه حبلا دقيقاً يسمونه (طوق يزيد) ، ويضع على رأسه كمة يسمونها (كلك) - بكاف عربية مضمومة ولام مشددة مكسورة - يستعملها تشبيهاً بتاج الشيخ عدي ولها عندهم حرمة كبيرة وسيان ألثم اليزيدي هذه الكمة أم الخرقة .

١) «الفقير الذى يخالف قوانين وفرائض الديانة ، ويخالف أوامر الخليفـة امير الشيخان يسلخونه (كذا) اللباس الدينى ويحلقون وجهه ويطردونه من بين الجماعة، وهكذا يعملون مع باقي الفرق اليزيدية ايضاً .. » - من مقالة عن معتقدات اليزيدية وعاداتهم لاسماعيل بك جول من اسرة الامراء وردت فى (اليزيدية قديماً وحديثا) ص ٩١ -

٢) من المحتمل ان يكون الفقراء وبقية رجال الدين اليزيدى قد أخذوا هـذا الحزام من المجوس اذ كان هؤلاء يشدون في اوساطهم حزاما غليظاً يسمونه «كستجاً» يكون على الاغلب من الليف . (راجع التنبيه والاشراف للمسعودى).

ولم تكن الكمة مختصة بالفقراء ، بل يلبسها الرجال الروحيون عامة وحتى القوالون .

مصير الخرقة والكمة : نظرا لما للخرقة والكمة من الحرمة الكبيرة عند اليزيدية فقد جرت العادة أن يحفظوها في محل يسمى (خانهٔ خرقي) في مرقد الشيخ عدي عندما تخلق ولم تعد تصلح للاستعمال ، وفي سنجار يحفظونها في محل قريب من « كاني بير آخايي » في قرية كولكان في محل مجوف فوقه صخرة كبيرة فتبقى الى أن تبلى وتصبح ترابا .

ما للخرقة من الحرمة عند اليزيدية : للخرقة عند اليزيدية حرمة كبيرة ، وقد يحلفون بها ويلثمونها ، ويحرمون قتل القملة التي تكون عليها ، واذا ضرب فقير يزيديا ، حتى ولو كان من أصحاب المراتب الروحية ، فليس له سوى ان يقف أمامه مصلباً يديه على صدره ويتلقى ضرباته برضى وقبول ، وان تجاسر على مقابلته فليس له شفاعة .

كيف يكون اليزيدي كاملا : لا يكون اليزيدي بنظر الشريعة كاملا ما لم يتمسك بثلاثة أمور : (١) الشريعة (٢) الطريقة (٣) الدر بخرقة . فالشريعة ان يجتنب مصاحبة من هو خارج عن ديانته ويعتزله بصورة مطلقة . والطريقة ان لا يخرج المريد عن الحدود المفروضة عليه ، ويمارس وظيفته دون ان يتعرض لوظائف غيره ، وان ينقاد لشيخه وبيره انقياداً أعمى دون ان يخامره شك في صحة ما يلقنانه ويفرضانه عليه الدر بخرقة : إظهار العناية الشديدة بالخرقة التي يكتسيها الفقير والحرمة لها ، واليزيدي الذي لا يراعي هذه الامور الثلاثة لا يعد يزيديا كاملا (١) .

***

ومن التقليد الديني ان يدفن الفقير في خرقته ، وولد الفقير اذا مات دون ان يبلغ السن الذي يؤهله لاكتساء الخرقة ، يدرج في خرقة حتى ولو كان ابن عامين .

ويشترط على الفقير ان لا يرخي لحيته ، وان لا يستعمل موسى او مقراضاً ، ويجمع ما يتساقط من لحيته ويضعه في شق حائط او محل بعيد عن متناول الأيدي ووطء

---

١) سمعت امرأة يزيدية تدعو على صاحبة لها ان يعثر حظها وتهين خرقة فقير . سالت احدهم عما تقصد هذه المرأة من هذا الدعاء - قال لي : تقصد اخراج المدعو عليها من الدين اليزيدي .

وكان لدي خادم يزيدي من اهل ايسيان كان سرق مرة دار يزيدي في باعذرة ، وما أشد جزعه عندما وجد خرقة فقير بين الاشياء المسروقة فأعاد الاشياء المسروقة الى صاحبها وذبح ست نعاج وبقرة - وهو كل ما يملكه - قربانا الى الآلهة تكفيراً عن ذنبه .

الأقدام .

واستعمال الموسى والمقراض محرم على رجال الدين اليزيدي قاطبة باستثناء البسميرية والأمراء الذين لم يرشحوا أنفسهم للأمارة .

وأكثر الفقراء هم من المريدين ، ويوجد من الروحيين من اكتسب هذه الصفة ولبس الخرقة تعبداً وزهادة ، ولذلك لا يجوز للفقراء التزاوج بينهم دون مراعاة الصفة الدينية التي يتصفون بها .

كيف استعمل الفقير الخرقة وعمن أخذها؟ : كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الاسلام وقد شاع استعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد المسلمين الأوائل ومنه أشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري . واليزيدية باعتبارهم فرقة « صوفية » أدركها المسخ ، ظل المتزهدون منهم محتفظين بهذا الكساء ولم يغيروه . وكان فى الاسلام يسمى بمختلف الأسماء كالمدرعة والمسوح والملحفة والكساء والرداء وغيرها .

ويرى البعض ان الخرقة دخلت عليهم من متصوفى الهنود ، وأن صفة « الفقر » لا تزال موجودة عند طائفة من البوذيين فى الهند ، وكانت طائفة من « الهنود » (١) من أتباع الشيخ عدي وسالكى طريقته يسكنون قريبا منه فى قرية « اشكفت هندوان » وقد أخذ بعض المتزهدة من مريدى الشيخ عدي هذه الخرقة منهم .

ويذهب بعض كتبة النصارى الى انها مستعارة من « الاسكيم » الذى تكتسيه طائفة الرهبان إقتداء بالعابد الزاهد « انطونيوس » الذى قضى حياته في السهول والبرارى (٢٥١ ـ ٣٥٦ م) وقد يعلل اصحاب هذا الرأى دعواهم بان النصرانية بعد ان انقرضت فى سنجار ، كان من الطبيعى ان يعتنق الباقون منهم الدين اليزيدى طوعا او كرها ، وقد حافظ قسم الرهبان منهم على صفتهم الكهنوتية وأصبحوا فقراء ، وتحول « الاسكيم » الذي يلبسونه عادة الى « الخرقة » وليس من كبير فرق بينهما .

اننا لا نقطع بارجحية احد هذه الاقوال الثلاثة ولكن من الحق ان نعترف بان الطابع

١) سماهم صاحب قلائد الجواهر (ص٨٨) بالهندوان . وقرية اشكفت هندوان القائمة الآن سميت بها . واشكفت تفيد معنى المغارة .

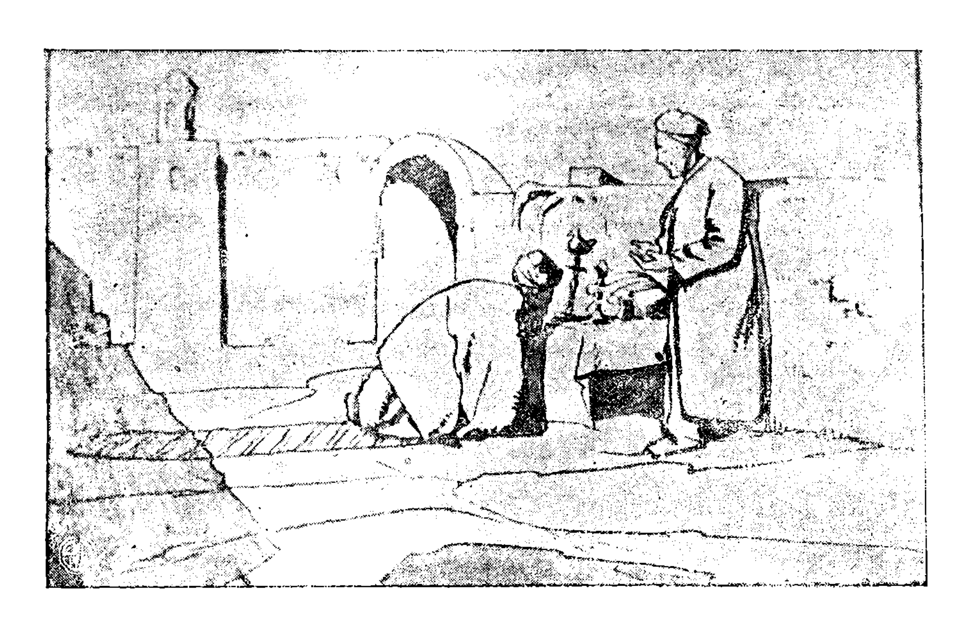
النصراني لا يزال ظاهراً على فقراء جبل سنجار خلافاً للفقراء الذين في الشيخان وطور عابدين ، الأمر الذي يجعلنا ان نميل الى هذا الرأي الاخير ونحله محل الاعتبار .

أما الطابع النصراني الذي نجده فيهم فهو : (أولا) احراقهم البخور في نواديهم ومجتمعاتهم أيام الاعياد والمواسم بينما لم تكن هذه العادة موجودة بين سائر اليزيدية وانما إحراق البخور عندهم خاص بايام الزيارات في مرقد الشيخ عدي فقط . (ثانيا) اطلاق يزيدية سنجار عليهم الى زمن غير بعيد اسم « رهبان ديري » كناية عن ذلهم ومسكنتهم . (ثالثاً) تهاونهم في اجراء سنة الختان حتى أن أحد اولاد مقدميهم لم يختتن إلا عندما أراد أن يتزوج وقد تجاوز العشرين من العمر ، بينما يجري الختان عند اليزيدية في أول أيام الولادة وقد يجوزون تأخيره الى بلوغ المولود العامين من عمره . (رابعاً) ما يرميهم البعض باصطيادهم الخنزير وأكله سراً وهو محرم عند اليزيدية تحريماً مطلقاً . (خامساً) تزوج أحدهم فتاة أرمنية تربت في دار اسماعيل بك بن عبدي بك في سنجار وهي أول حادثة جرت بين اليزيدية من نوعها . (سادساً) بعد أن تم اتصالهم بالانكليز أخذوا يكثرون من القسم « بعيسى النوراني » فمن شاء فليقل أن ذلك تزلفاً الى الانكليز او رجوع الى النصرانية .

﴿ القوال ﴾

القوال في اللغة اللسن الفصيح ، الكثير القول . فيقال رجل قوال وقوالة وتقولة وتقوالة بكسرها ومقول ومقوال . وهو عندهم الذي ينشد الاناشيد في الحفلات الدينية ومراسم الزيارات وعند دفن الاموات ، ويلازم « السنجق » في تطوافه بين اليزيدية . وكان على زمن الشيخ عدي يسمى « بالحادي » ووظيفته انشاد الاناشيد في مجالس السماع . وقد حتمت عليه وظيفته حفظ المدائح التي تتضمن الاشادة بفضائل أئمتهم ومشائخهم ، ومعرفة الاخبار التي تروى عنهم . والقوالون لهم خبرة واسعة بمعرفة الشعوب والقبائل اليزيدية ، ومن شأنهم المبالغة في نقل الاخبار والحوادث . وهم اذكياء لبقون ، جرارون نفعيون ، يعرفون كيف يستهوون الناس في قصصهم وأحاديثهم .. وكان الأمراء يعتمدون عليهم وقد اتخذوهم كسفراء لهم الى اليزيدية الذين هم بعيدون عنهم . وقد جرت العادة ان

يتضمنوا السنجق ببدل معين من الأمراء ويطوفون به على حسابهم ، فيرهقون الشعب بأخذهم الخيرات منهم فوق طاقتهم ..



يزيدي يزور الطاؤوس والقوال يدعو له بالاستجابة

والقوالون هم عرب من اهل الشام كانوا رافقوا الشيخ عدياً في مجيئه الى هذه البلاد وكانوا خداماً له . ويعدون من طبقة العوام، وليس لهم صفة روحيـة ، وينحصرون في أسرتين تضم الأسرة الواحـدة عشرة بيوت ، وكان الزواج محرما عليهم بغـير صنفهم، شأنهم فى ذلك كشأن الأسر الروحية . ولكن لما قلوا وأصبحوا مهـددين بالانقراض ، أصدر الشيخ الأكبر « بابا شيخ » فتوى بإباحة تزوجهم من صنف المريدين، إلا انهم لا يرغبون كثيراً في تزويج فتياتهم من الغرباء اذا وجد من يتزوجهن من جنسهم .

وتنحصر الخدمات الواطئة فيهم ايام الزيارات فى مرقد الشيخ عـدي ، ومن واجبهم تنظيف الأزبال والأوساخ فيه بعد الانتهاء من الزيارة ، وكانوا يقومون بهذه الوظيفة منذ عهد الشيخ عدي ، ولا يزالون يحافظون عليها .

ويسميهم اليزيدية الاكراد بالـ« طازيه » ومعناه السلوقية ويفخرون بهذا الاسم،

ويدعون ان الشيخ عدياً هو الذى سماهم به لأنهم كانوا يركضون كالكلاب السلوقية فى خدمته (١).

﴿ المريد ﴾

يطلق هذا الاسم على كل من هو خارج عن صفوف الروحيين من دهماء الملة وسوادها. وهم أشبه بالطائفة المعروفة لدى البراهمة بالمنبوذين ، وقد جعلهم الدين اليزيدي أحط الطبقات ، وقيدهم بقيود ثقيلة ، وضيق حريتهم ، وحرمهم من كثير من الحقوق الاجتماعية ، ويعدهم الروحيون ـ وهم الطبقة الممتازة ـ غاية فى النجس والرجس ويأبون مصاهرتهم وفرضوا عليهم الخضوع والاستسلام ، ومنعوهم عن التفكير والكلام فى كل ما له مساس بالدين ، وأفهموهم انه لا يتم ايمانهم ولا يعدون من زمرة « يزيد » الناجية إلا باستحصال مراضيهم ، وبذلك جعلوهم آله بيدهم يستخدمونها فى سبيل مصالحهم كما يشاؤون ويحطمونها متى يشاؤون .

هكذا كان المريد الى قبل قليل من السنين ، أما الآن فقد أخذ يستخف بهذه القيود ولا يعبأ بها ، عدا ما كان من مجانبته مصاهرة من لم يكن من جنسه ، واستجلاب مراضى شيخه وبيره اللذان يتلمذ عليهما وازدرى ببقية الواجبات المفروضة عليه ، ولا يكاد ينظر الى رئيسه الديني الاكبر كما كان ينظر اليه قبلا ، والذنب فى ذلك يرجع الى الروحيين أنفسهم إذ هم الذين أحرجوه على الخروج عن طاعتهم بجشعهم وطمعهم الذي لا يقف عند حد ، وسلوكهم معه خطة تنافى الخطة التى يجب ان يتبعها المرشد مع تلميذه .

ولما كان المريد لم يخرج عن كونه عبيد شيخه وليس في مقدوره ان يخالفه بشيء فقد كان من حق شيخه ان يبيع مشيختة عليه لآخر غيره من عين السلالة التى ينتمى اليها ويصبح للشيخ الذي يدخل فى حوزته الحق بان يختص بنذوره وخيراته ، وهذا لا يحدث إلا نادراً وقليلا ، إذ قل من يرضى بان يبدل منفعته الآجلة بمنفعته العاجلة

---

١) وهذا وهم منهم والصحيح انهم بصفتهم عرب ، فلأجل تمييزهم عن الاكراد سموا (تازي) ويطلق بالفارسية على كل ما هو عربي فيقال (اسب تازي) اي الجواد العربي و (زبان تازى) اي اللسان العربي ثم حرفوه فاصبح طازى .

وعلل الدكتور داؤد الجلبي كلمة تازي نسبة فارسية الى طائى كما نسبوا الى الري رازى والى مرو مروزي اذ كانت قبيلة طي مجاورة لمملكة الساسانيين عرفوا جميع العرب نسبة الى هذه القبيلة .

ويحرم أولاده وذريته من مورد خصب لا ينضب .

وهنا يرد سؤال: وهو كيف بالمريد اذا مات شيخه ولم يكن من ذريته او من سلالته من يتولى شيخته ، وهل يجوز ان يبقى دون شيخ يساعده على استحصال مراضي الآلهة ويدفع الرزايا التي تنتابه عنه ؟ والجواب : كلا ! وعليه ان يلجأ الى الأمير فوراً وهو الذي يختار له شيخاً يبيعه عليه بثمن يرضيه .

﴿ الكوجك ﴾

لم نقف على ما يفسر لنا معنى هذه الكلمة ، وقد ذهب أحدهم الى انها محرفة من « كوشه نشين » ولكنه توجيه غير صحيح ، والكواجك هم من طبقة العوام وليس لهم صفة دينية ، ويختصون بخدمة الشيخ عدي ، وهذا هو الذي دعاهم الى دعوى القيام بالاصلاح بين الملة من وقت الى آخر بحجة انهم قد أمروا به . والملة مرغمة على الانقياد لهم والتصديق بكل ما يملونه عليهم، وقد تكون دعوتهم قصيرة المدى، وسرعان ما يقضى عليها بالفشل ، وكثيراً ما يذهبون ضحية في سبيلها .

والكواجك تابعون لسلطة الشيخ الأكبر « بابا شيخ » وهو الذي يوجه هذه الصفة اليهم بعد ان يختبرهم ويتأكد من كفاءتهم ، وقد يتم ذلك بشد حزام على خصورهم فيه حلقة من نحاس ، واذا ظهر غلاء او وباء يجمعهم في صعيد واحد ويأمرهم بالدعاء والصلاة نحو ثلاث ساعات ، وربما الليل كله ، ويضعون رؤوسهم على الارض ليتصلوا بالملكوت الأعلى ، وتنكشف لهم حجب الغيب ويقفون على أسباب ذلك الغلاء والوباء ويعلمون الشيخ الاكبر به ليعالجه هو بدوره ، ومن اختصاصهم الاكتشاف بالقوة الروحية عن مصير الاموات والمكان الذي انتقلت اليه أرواحهم وماذا تلاقيه من نعيم وعذاب ، ويعلمون ذويهم فيهم (١) .

---

١) قرأت في رسالة خطية لكاتب مسيحي سكن قرية (بحزاني) زمنا وخالط اليزيدية ووقف على دخائلهم ان الكواجك عندما يجتمعون يقص الواحد على الآخر ما له من قدرة على المكاشفات واطلاع على اسرار الكائنات، فنهم من يدعي ان الشيخ عديا يظهر عليه كل ليلة في حالة النوم ويوقفه على ما كان وما سيكون من احوال العالم . وآخر يدعي انه في مقدوره ان يظهر باي شكل من الحيوانات ثوراً او قرداً او حية او هرة . وآخر يدعي ان كثيراً من الانبياء يزورونه في كوخه ، ومنهم السيد المسيح الذي



طائفة من الكواجك

﴿ الكواجك وشعوذتهم ودجلهم ﴾

لا غرابة ان نجد اليزيدي أكثر الناس ميلا الى قبول الشعوذة والدجل وكتابه الديني المسمى « بالجلوة » أوجب عليه الايمان والتصديق بما يمليه عليه الكواجك من الاشياء الغيبية التى تصل اليهم بطريق الالهام من لدن المعبود الاعظم، إذ جاء فى الفصل الخامس من كتاب الجلوة : « أطيعوا ، أصغوا الى خدامي بما يلقنونكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » ، فمن هم خدامه الذين يلقنونهم علم الغيب ؟ أليس هؤلاء الكواجك الذين قصروا خدمتهم عليه ، وهم أقرب ما يكونون منه ، وأقرب ما يكون هو منهم ؟ على أنه لم يكن من اختصاص هؤلاء الكواجك ، ولا من صلاحيتهم تبليغ هذه الاشياء

هو الشيخ شمس .

وبما قاله احدهم : انه كان راكباً في البحر سفينة مع النبي يونان ، ولما هاج البحر وقاربت السفينة على الغرق أراد ربانها ان يلقي في البحر عدداً من الركاب بالاقتراع ، وقد أصابت القرعة النبي يونان ونجا هو منها .

وقال احدهم : انه كان جالسا مع الاله الكبير فسأله هل حان الوقت الذى يجب ارسال المسيح فيه الى الارض ؟ فاجابه نعم ! وعمل الاله الكبير بما اشار اليه .

الى اليزيديين ودعوتهم الى العمل بها في كل آن وحين ، بل يشترط لذلك ظهور حالات ذات خطورة تدعو الى الاصلاح ، فيبادرون الى أداء مهمتهم التي أمروا بها .

ولما كان الكواجك كثيرين في الشيخان وفي سنجار فقد كان من الطبيعي أن الذين يقومون بهذه المهمة منهم ، هم الأذكياء اللبقون الذين ضربوا سهما وافراً في الشعوذة والتدجيل ، وعرفوا كيف يستهوون الناس ويؤثرون على عقولهم . وقد يقبضون على ناصية الحال بكل فطنة ودقة ويأخذون بتطبيق خططهم التي يرسمها لهم أناس تواطئوا معهم من وراء ستار ، ويقيمون الثورات في وجه مخالفيهم من اليزيديين وأعدائهم المسلمين ، فينهبون ويقتلون ويحرقون ويختل الأمن وتتوقف الأعمال ويسود الفساد الى أن تأخذ الحكومة باعداد أسباب القضاء عليهم وإحالة الأمن الى حالته الطبيعية .

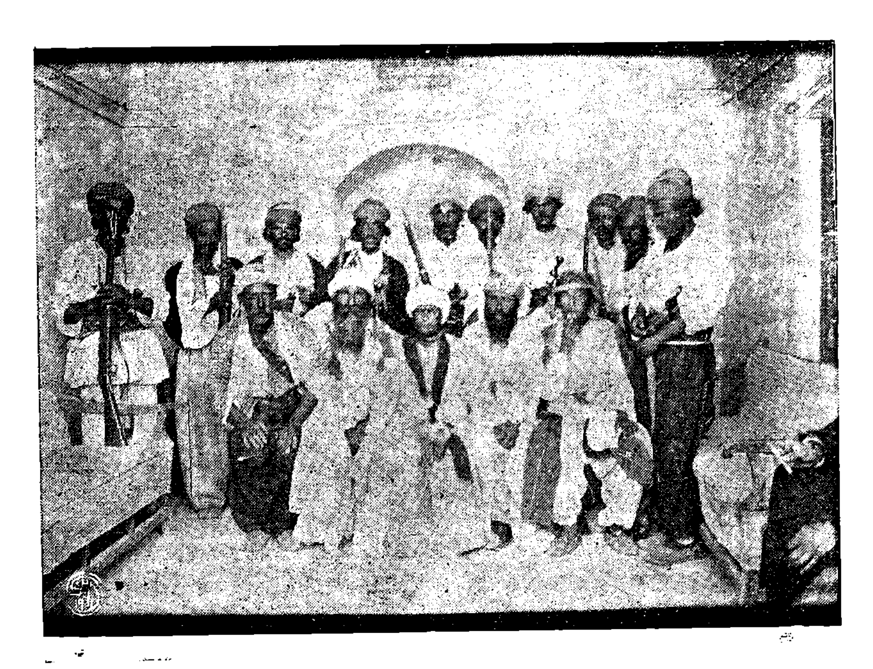
وكان قد ظهر على زمن ولاية نوري باشا على الموصل عام ١٩٠٠ في سنجار اثنان من هذا القبيل أحدهما يدعى « كوجك ميرزا الكاباري » والآخر « كوجك الياس خلو » وكلاهما من الشيخان فاختل الأمن وسادت الفوضى الجبل وبات المسلمون في سنجار في وجل وخوف شديدين وأصبحت حياتهم مهددة بالخطر ، فأحضرهما نوري باشا والي الموصل باستئذان من « علي بك » أمير الشيخان وأزال وجودهما (١) .

وفي عام ١٩٢٠ ظهر في الشيخان شخص يدعى « كوجك سلمان » وأراد أن يقوم بدور المهدي بين اليزيدية فالتفوا حوله، وأكبروا شأنه ، وظهرت بوادر فتنة كبيرة كاد أن يكون لها وقع شديد على حالة الأمن لولم تتداركها الحكومة وتخنقها وهي في مهدها ويذهب هذا الدجال ضحية حمقه وغباوته كما ذهب الذين قبله .

أما الآن فلا احتمال لظهور هكذا دجالين مشعوذين لا في سنجار ولا في الشيخان وسببه ليس هو فقدان من تحدثه نفسه للقيام بهذا العمل من الكواجك ، بل لما حصل من اليقظة والانتباه لكثير من أبناء هذا الشعب حيث لم تعد عقولهم تستسيغ هكذا شعوذات عدا الرعاع وهؤلاء كثيرون في كل مكان .

---

١) يقال ان الاول قتله افراد الجاندرمة قريباً من (سميل) وهم ذاهبون به الى زاخو ، وقد ادعوا ان عصابة من اليزيدية ارادت تخليصه منهم وقد قتلوه خطأ .. والثاني قتله شخص يدعى (سليمان ابو خرمة) احد الاشقياء المعروفين في ميدان باب الجسر في الموصل ، وقد كوفىء بالعفو عن جرائمه .



كوجك سلمان في الوسط

﴿ من هو كوجك سلمان ؟ وكيف ظهر ؟ ﴾

هو من قرية بعشيقة ابن عمر المطربي ، وأمه من المتهتكات اسمها نامي ، كان راعيا للأبقار ، وهي مهنة منحطة لا يقوم فيها إلا المنحطون من الناس ، وكان له ولع شديد بسرقة الدجاج ، وقد شكاه أهل القرية الى عريف الشرطة ، وأراد معاقبته ، فهرب الى الشيخان وأقام في قرية ايسيان ، وقد بقي زمنا يعيش على صدقات اهل القرية ، حتى ملوه وأرادوا طرده، وهناك أعلن اتصاله بالملك القهار (طاؤوس ملك) وادعى انه أرسله داعيا الى الاصلاح ، فأكبروه ، وعظموا شأنه ، وأظهروا الايمان والتصديق به، وبعد أيام هجر قرية ايسيان وجاء الى باعذرة مقر الأمراء وبقي فيها أياما يظهر المعجزات والخوارق ، ثم عاد الى ايسيان ثانية واستقر فيها .

قلت لأحد اليزيدية: هل لك ان تعلمني بشيء من معجزاته؟ قال نعم :انهم أتوه ببقرة فذبحها ثم أحياها كبشاً ، ثم ذبح الكبش فصار ديكاً ، ثم ذبح الديك وأحياه فصار

ثوراً . قلت له : هل رأيت ذلك بعينك ؟ قال لي : لا حاجة ان أراه بعيني وقد رآه مئات الناس غيري .

وروى لي آخر انه كان يحول الاحجار الى سكر ، وقد أتوا له بعجينة عليها بعض النقوش ، فأدخلها في جيبه ثم أخرجها واذا هي سكرة بعين ذلك الحجم والشكل والنقوش .

ورأيت عند اسماعيل بك ابن عبدي بك حلقة صغيرة نحاس يدعي انها من صنع القدرة وقد لفظها الكوجك من فه ، قلت له : وكيف علمت انها من صنع القدرة ؟ قال لي : لفظها الكوجك من فه أمام عيني .

هذا هو كوجك اسماعيل ، وهذه معجزاته وآياته ، وعند ظهور هكذا مخرق من الطبيعي ان يختلف في أمره ، فمن مصدق ، ومن مكذب ، وقد يكون المكذبون على الأغلب رجال الدين الذين يؤثر ظهوره على موقعهم الديني ويتوقفون عن العمل لانقطاع الأسرار الغيبية عنهم ، ويصبحون لا فرق بينهم وبين بقية الناس .

وكان من المنكرين عليه الشيخ الأكبر ، الشيخ اسماعيل ، فقد رماه بالتخريق والتدجيل ودعى الناس الى الابتعاد عنه ، كما ان الأمير لم يكن مرتاحا لظهوره، إلا انه لم يستطع ان يجاهر بتكذيبه وإنكار دعوته خوفا من استياء الرأي العام الذي أصبح يعضده .

وقد طلب الكوجك الى الشيخ الأكبر أن يعطيه سجادة الشيخ عدي التي يحتفظ بها ليجلس عليها كما هي العادة في حالات كهذه ، فامتنع الشيخ الاكبر وأصر على أنه مخادع كذاب ولا يجوز تسليم السجادة اليه . وأية صفة تبقى للشيخ الاكبر اذا خرجت سجادة الشيخ عدي من يده ؟ ألم يكن ذلك اعترافا منه بصحة دعوى الكوجك وأنه أصبح مهدياً حقاً وسقط هو من نفوذه ؟

كانت الكفة الراجحة بجانب الكوجك ، وقد اتبعه السواد الاعظم من الناس ولم يبق مخالفاً له سوى جماعة الروحيين وهؤلاء ايضاً أصبح موقفهم مهدداً بالخطر ، وكاد مريدوهم ينكرون سلطتهم الروحية عليهم ، ولو كان للكوجك شيء من الجرأة لطلب

من الامير السناجق[1] التي يرمزون بها عن آلهتهم وأبقاها تحت تصرفه ، إلا انه لم يستطع أن يفعل ذلك ، ولو كان غيره لفعل وأنزل الامير الى درجة رجل عادي لا قيمة له .

صباح يوم ٢٥ مارت ١٩٢٢ امتطيت سيارة وقصدت باعذرة لرؤية هذا المتنبي من قريب والتأكد من صحة الاخبار التي شاعت عنـه . وكان علي أن أعرج بطريقي الى عين سفني لزيارة صديقي الشيخ الاكبر الشيخ اسماعيل الذي أخذت الاخبار تترى عن وقوعه في قلق واضطراب شديدين . - سألني الشيخ اسمـاعيل : هل ستحافظ على صداقتك معنا أم ستنحاز الى المهدي الجديد ؟ - قلت له في شيء من الدعابة : اني سأكون بعد برهة وجيزة قريباً منه ، فان ظهر لي صحة ما يروونه عنـه فمن الطبيعي ان سأكون بجانبه وأخلص له . - قال لي : واذا ظهر لك خلاف ذلك ؟ وقد قال ذلك في عزم وجد يمازجه شيء من الانكسار والخيبة ، فضحكت وقلت له : دع عنك يا صديقي هذه الاوهام والوساوس ، وما عمل هذا الكوجك سوى مهازل يروجها له أناس يريدون الاصطياد في الماء العكر وعمـا قريب سينفضح أمره ويمقته الناس ويعود الى رعي أبقاره .

كان كوجك سلمان ذلك اليوم مدعواً للغداء في دار بير الياس ابن بيرسن في باعذرة وقد حضر ما يزيد على ثلثماية رجل وامرأة من القرى المجاورة لمشاهـدة وجهه الكريم والتبرك به . قلت للامير (سعيد بك) : أود أن تهيء لي فرصة الاجتماع بالكوجك على إنفراد ولو عشر دقائق - قال لي : وهل تريد أن تكتب شيئا عنه . - قلت له : كلا ، بل فقط أريد أن أراه .

وبعد ساعة من الزمن كنت جالسا معه في غرفة في دار الامير وليس معنا سوى الامير وابن عمه داؤد بك بن سليمان بك واثنان من بزيدية « القائدية » يظهر عليهما أثر الوجاهة كانا يحرسان الباب ، وحجي سلو خادم الامير واقف وراءهما .

لم أعتقد ان هذا الرجل الذي جلس أمامي بكل ذلة ومسكنة دون ان يجـد في نفسه جرأة ليرفع نظره الي هو الكوجك نفسه ، بل كنت أتخيل ان أرى أمامي رجلا لبقاً ذكيا حاد الذهن ، سريع الخاطر ، يتكلم فيسحر ، ويجادل فيقنع ، ويحدث فيخلب ، لم

يتجاوز الثلاثين من العمر نحيف ، ضعيف الجثة ، دميم الخلقة ، ذو أنف أفطس ، وعينان صغيرتان وفم قد انشق الى أسفل الصدغين ، وأسنان بارزة كأسنان الخيل ، وقد أعتم بعمامة بيضاء شأن رجال الدين . قلت له : إني أتفاءل بظهورك بخير لهذه الملة وأعني ان تنال على يدك كل صلاح وسعادة ، فلم يفهم معنى ماقلته له وسأل داؤد بك : « ماذا يقول هذا السيد ، وأي شيء يريده مني ؟ - قال له: إنه يدعو لك بالخير ، وهنا تشجع وقال لي بلغة ركيكة - إذ ان أهل بعشيقة لا يحسنون التكلم بالكردية وكان حديثنا يدور بهذه اللغة - إني يا سيدي رجل فقير وليس لي علاقة بهذا الأمر ، وهذه الجماعات المحتشدة في باعذرة جاءت من تلقاء نفسها .. قلت له : دع عنك هذا الخوف ، ولنتكلم بصراحة وأعدك باني سأكون لك عونا على جميع ما أنت بحاجة اليه . فسكت برهة طويلة ثم قال : إني يا سيدي فقير وهؤلاء الناس هم الذين أرادوا بي هذا .

وقد اتضح لي ان الرجل ليس من أولئك الكواجك الذين لهم قدرة الاستهواء بدجلهم وشعوذتهم ، بل هو فقير مسكين وقد لجأ الى هذه الوسيلة ليشبع بطنه او يهرب من شر يلاحقه ، وقد اتخذه بعض أصحاب النفوس الشريرة آلة بيدهم ، وشجعوه على الظهور بهذا المظهر لاثارة الفتنة بين الشعب ليحصلوا من ورائها على مقاصدهم ، وكانت هذه هي الحقيقة بعينها ، إذ رأينا كيف أخذت الأحقاد والأضغان الكامنة في النفوس تظهر عارية في فريق ضد آخر ، وكشرت الفتنة عن أنيابها وكادت تفتك بالمذنب والبريء على حد سواء لا حباً بالكوجك ورغبة في تأييده في دعوته ، بل انقياداً لداعي الفتنة ليس إلا .

أما الكوجك فقد أصبح آلة عمياء بيد أعوانه وهو لا يعرف شيئاً سوى أكل الدجاج المشوي او المطبوخ على الرز وأصحابه لا يبخلون به عليه .

وقد شعرت الحكومة بما سيكون لهذه الحالة من نتائج وخيمة وقررت جلب الكوجك الى الموصل .

أراد مدير ناحية «القوش» ان يرسله مخفوراً الى الموصل ولكنه أبى بحجة ان مروره من فوق الجسر حرام ويجب عليه إما ان يطير من فوقه او يعبر الشط ماشياً عليه ، وهذا

لا يتيسر له إذا رآه غير يزيدي ، فلم يلتفت اليه مدير الناحية وأرسله مخفوراً .

وقد اقتفى أثره جموع غفيرة من الموالين له ومن المنكرين عليه ايضا ، ولما مثل أمام الحاكم البريطاني « فيلكسمن » وكله بضع كلمات اتضحت له حقيقته وأمر بالفور إطلاق سراحه بكفالة من الأمير سعيد بك واكتفى باسداء النصيحة له ان لا يعود الى مثل هكذا أعمال تسبب التفرقة بين أفراد الشعب وتثير حفائظهم .

وقد ادعى الكوجك انه سلط على الحاكم الانكليزي ثعبانين عظيمين فوقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فهابه وأطلق سراحه ، وزاد على ذلك انه أحضر أمه من بيت الأموات وأراه إياها .

ومن غريب الاتفاق ان قامت في اليوم الذي جيء بالكوجك الى الموصل ومثل أمام الحاكم عاصفه شديدة أرعبت الناس ، فادعى الكوجك أنه هو الذي أثارها ، ولو مسه الحاكم بسوء لقلب هذا العالم وجعل عاليه سافله .

وقد هدأت الحالة بعد أن عاد الكوجك الى محله وتفرق شمل الحزب الملتف حوله وانصرف الناس الى أعمالهم ، الا أنه لم يقر للكوجك قرار بعد ان ذاق حلو هذه الدعوة وما زال يعمل في الخفاء ضد خصومه وفي طليعتهم الشيخ الأكبر الذي أبى إعطاء سجادة الشيخ عدي له ، فكان يذيع الأخبار السيئة عنه وينذره بغضب الآلهة عليه ، والشيخ الاكبر يتلقى هذه الأخبار بشيء كثير من الوجل والخوف ولم يهدأ له روع وكان يخيل اليه ان دعوة الكوجك صحيحة وستتحقق نبوءته فيه .

***



بابا شيخ الشيخ اسماعيل وعلى يمينه الأمير سعيد بك

﴿ موت بابا شيخ الشيخ اسماعيل ، وقتل كوجك سلمان ﴾

بعد مضي شهر كامل على هذه الحوادث ذهبت الى « عين سفني » ، وحللت ضيفاً كجاري عادتي في دار الشيخ اسماعيل ، ولما لم أره في محله ظننت أن حاجة عرضت له في محل ما وذهب اليها ، وعندما سألت أخاه الشيخ عثمان عنه أجابني بان منيته قد عاجلته قبل بضعة أيام وقد فارق هذه الحياة التي لم تولد لهسوى الأكدار والآلام . ولا أكتم القارىء أني حزنت جداً لهذا الخبر الذي لم أكن أتوقعه وأخذت أعزي اخوته وأولاده وأهل بيته على مصابهم به .

سألت أخاه عن مرضه وكم استمر فيه ، ولماذا لم يخبروني حتى أرسل له طبيباً من الموصل ؟ قال لي أنه لم يمرض كسائر الناس ، ويموت كسائر الناس ، قلت له إذن كيف

كان ذلك ؟ قال لي : تعلم أن الكوجك سلمان مازال يرسل اليه الأخبار التى كثيراً ما تزعجه وتقض مضجعه ، ولما ذهب الى قرية « دوغات » لإعمال الجص لمرقد الشيخ عدي (إذ من وظائفه إصلاح المرقد وإعمار ما ينتقض منه كل سنة) أرسل له خبراً بان لا يتعب نفسه هذه السنة في إعمال الجص لأن عمارة المرقد سوف لا تتم على يده . وهكذا كان فانه مرض على فور وصل هذا الخبر اليه فى قرية « بيبان » وبعد يومين أو ثلاثة أيام عاجلته منيته وذلك فى يوم ١٨ مايس ١٩٢٣ .

وقد حمل نفسه على الأكتاف من قرية « بيبان » الى قرية «ايسيان» ودفن فى مقبرة أسرته آل الشيخ فخر ، وهكذا ذهب ضحية الوهم والخوف .

أما كوجك سلمان ، فقد سطع نجمه من جديد ، وأخذ منكروه يتوافدون عليه من كل حدب وصوب طالبين منه العفو والمغفرة على ما بدر منهم نحوه من جحود ونكران ولم يبق من اليزيدية لا من روحييهم ولا من مريديهم من لم يظهر له الولاء والاخلاص باستثناء أسرة الأمراء ، فقد كانوا يحملون له غيظاً في صدورهم ويسعون فى الخفاء ضده .

وفي يوم ٦٥ حزيران ١٩٢٣ خرج صباحا من قرية ايسيان قاصداً مرقد الشيخ عدي ومعه ثلاثة أشخاص من الموالين له ، وعند وصوله رأس الجبل المطل على وادي لالش الذي يضم المرقد المبارك ، كان قد كمن له فى البناية القديمة التى يسمونها « مقابل شيخ عدي » أحد أولاد حسن فقير من شيوخ أسرة الشيخ بكر ، وعندما قرب منه رماه بطلق ناري وأرداه قتيلا وقد هرب رفاقه الثلاثة تاركين جثته طعمة للوحوش والكلاب

فى ذكر عوائدهم

« الكرافة والكريف »

الكريف ، بمعني الصديق ، وللكرافة أهمية عظيمة عندهم . وقد يتكارف المسلم واليزيدي بختن أحدهم ولد الآخر فى حضنه ويسمى « كريف خوني » (١) أى كريف الدم . واليزيدى يحترم هذه الكرافة ويحرص على ما تحتمه عليه من واجبات ، فقد توجد بينه وبين كريفه المسلم وحـدة تامة لا تقبل الانفصام ، وقد يسارع الى نجدته إذا أصـابه مكروه أو عضته نائبة ، وقد يقابله المسلم بمين هذه الوجائب ويكون أميناً على عرضه ويساعده في ماله .

وإذا كانت الكرافة بين يزيديين فقد يدخل الواحد في محرمات الآخر مثل أخ الرضاعة الى خمسة أجيال وربما الى أكثر من ذلك .

إلا مما يؤسف له أن الكرافة بين المسلم واليزيدي لم تبق على أصل وضعها وذلك لاهمال المسلم الواجبات التى تحتمها عليه الكرافة نحو كريفه اليزيدي وعدم اعتداده به وربمـا خانه ، هذا فى الشيخان ، أما في سنجار فالأمر على عكس ذلك، وقد يعتني المسلم بكريفه اليزيدى ويبره ، واليزيدي يضحي بماله وحياته فى الذب عن كريفه المسلم والمحافظة عليه .

❁ التحريم ❁

يراد فى أساس وضعه ردع الأمة عن الاعمال المخلة بأحكام الدين وجعل الدين محاطاً بسياج قوي من الارهاب كيلا تلعب به أيدي العابثين. وسلطة التحريم مختصة بالأمراء وحدهم وقد يجرونها بحق أي شخص شاؤوا من أفراد الملة دون النظر الى مكانته الدينية والاجتماعية . ومن يحرمه الأمير يبقى منبوذاً محتقراً مهاناً ويحرم من حقوقه الدينيـة والمدنية ، ويجتنبه أهله وأقاربه وحتى زوجته الى ان يعفى عنه او يموت . واذا كان

---

١) جاء في (تاريخ اديان) للـكاتب التركي احمد مدحت افندي ان المغول يقدسـون الدم ويعدونه اكبر أداة لعقد العهود والمواثيق بينهم ، وذلك بان يشرب الواحد من دم الآخر بضع قطرات يستخرجها من جسده . واكبر يمين لديهم ان يذبحوا قربانا ويشربون من دمه . واخوة الدم معروفة عند جميع الاقوام المتشعبة من المغول ويطلقون عليها بالتركية (قان قارداشلغى) .

من رجال الدين فقد تحلق لحيته ويحرم من حقوقه الدينية ويمتنع مريدوه من الاتصال به واعطائه خيراتهم وربما يخرجونه من بينهم ، ففي عام ١٩٢١ حرم الأمير أحد الفقراء ونزع عنه خرقة الفقر لاتيانه في مرقد الشيخ عدي عملا يخالف الشريعة .

ويرجح ان الأمراء اتبعوا هذه القاعدة في الأعصر الأخيرة بعد ان أصيبوا بوهن في نفوذهم ، ولم تكد الملة تطيعهم في كل شيء ، وإلا ففي أول عهدهم بهذا الدين لم يكونوا بحاجة الى استعمالها ، وكان اليزيدي يتحمس لدينه الى حد الجنون .

فمن أين عرفوا هذه العادة وعملوا بها ؟ ألا يتبادر الى الذهن انهم أخذوها من رجال الكنيسة النصرانية الذين كانوا يعملون بها في القرون الوسطى بحق مخالفيهم بكل شدة وصرامة ؟ والجواب : ان الأمراء لم يثبت لهم اتصال برجال الكنيسة في دور من الأدوار التي مرت عليهم حتى يأخذوا هذه العادة منهم . والأغلب ان الحاجة هي التي دعتهم الى ابتكارها واستعمالها . واذا كان لا بد من القول انها نقلت عليهم من الخارج، فمن الأحرى ان تكون دخلت عليهم من الاسلام، وقد ثبت أن النبي الكريم أمر بمقاطعة الثلاثة الذين خلفوا عن حرب تبوك ، وهم : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فامتنع المؤمنون عن مكالمتهم واعتزلتهم أزواجهم ، وبقوا على هذه الحالة خمسين يوما - وقيل أكثر - الى ان نزلت الآية الكريمة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ لهم من الله إلا اليه ... » اه . وهذه المقاطعة هي عين العادة التي نجدها عند اليزيدية ويسمونها بالتحريم .

وسبق للأمير سعيد بك ان حرم نصرانياً من آل عبد النور كان يسكن قرية (مهد) ويشتغل بالزراعة ، فاجتنبه الناس من اليزيديين وأصبح بينهم منبوذاً وتخلى عنه خادمه فأرضى الأمير بشيء من المال ورفع عنه التحريم .

❋ البراة ❋

هي بحجم خرزة يصنعها القوالون من تراب مرقد الشيخ عدي ويهدونها الى اليزيدية عند زيارتهم السنجق ، ويحتم على كل يزيدي ان يحمل (براة) يتخذها حرزاً له لدفع

المكاره ، ويقبلها عند كل صباح ومساء ، وقد تكون أكبر ضمان لعشيرتين متناوئتين تريدان عقد هدنة بينهما ، وذلك ان تعطي الواحدة للأخرى (براة) توثيقاً عن كفها عن مناوأتها لها ، وقد تؤدي بعضاً عكس هذه الوظيفة ، أي انها تكون دليلا على استئناف القتال ، وذلك بان ترد عليها هذه البراة .

واذا ظفر عدو بعدوه وعلم أنه يحمل براة ، فقد لا يمسه بسوء حرمة للبراة ، حتى ولو كان قد قتل أباه او أخاه او ولده ، وهذه العادة أكثر ما نجدها بين يزيدية جبل سنجار.

وذهب أحد كتاب الشيعة الى أن البراة عند اليزيدية قد تقوم بعين الوظيفة التي تقوم بها (شد راية العباس) عند الشيعة ، ورجح ان تكون مأخوذة منها .

« تتمة وايضاح » ـ رأينا أن البراة تقوم بوظيفة حفظ السلم والأمن وتقوية روابط التآلف والتآخي بشكل لا تستطيعه أية قوة . فالحروب والمنازعات لا تقوم إلا بعد استرجاع البراة التي جرى تبادلها عند وقوع الصلح . وعند تعاطي البراة لأجل الصلح تذهب الدماء هدراً ، والاموال التي نهبت لا تعوض ، بينما القتل الذى يقع في حالة تعاطي براة الصلح لا يعوض إلا بالقتل ، وقد يجري الصلح بعضاً ، ولكن قد يثأر ذوو القتيل لقتيلهم ولو بعد حين ، وقد يأخذ أحدهم ثأر أبيه الذى قتل وهو في بطن أمه ، واذا لم يكن القاتل حياً ، فيؤخذ الثأر من ولده او ابن عمه ، وعادة أخذ الدية ليست جارية بينهم ، وتعد دليلا على الضعف ، ويعتقدون ان الشيخ عدي قد حرمها .

ولا يشترط تعاطي البراة بين العامة ، بل يتعاطاها الرؤساء ويسري مفعولها عليهم .

﴿ هل يعمل اليزيدية بسنة العماد ؟ ﴾

جرت العادة عند اليزيدية ان يطهروا أولادهم الذين يولدون حديثاً من دنس الولادة في حوض الماء المقدس في مرقد الشيخ عدي ، كتطهيرهم في هذا الحوض سائر الاشياء التي تكون قد أصابتها نجاسة ، والنجاسة بعرفهم مرور الشيء من يد المسلم ، وقد استغل بعض الكتاب النصارى عادة تطهير اليزيدية أولادهم على الوجه المذكور وعدوها (تعميداً) واتخذوها دليلا على صلة اليزيدية بالنصرانية . ولما كان هذا التطهير الذى عبروا عنه بالتعميد مختصا باليزيدية الذين هم قريبون من المرقد ، فقد أرادوا ايجاد

طريقة تحمل على الاعتقاد باتباعه من قبل اليزيدية الذين هم بعيدون عنه ليتم تشميل عادة التعميد اليزيدية قاطبة ، ومن هؤلاء الكاتب الانكليزي هـ . و . آمبسن ، فانه بعد ان ذكر في كتابه (طاؤوس ملك) : « ان الماء الذى يجري حول مرقد الشيخ عدى يستعمل فقط لانجاز سنة تنصير الاولاد الذين يولدون قرب المعبد حيث يؤخذون بعد سبعة أيام من ولادتهم الى الماء المقدس ويغطسون فى إناء على شكل ديك ثلاث مرات ، وفى المرة الثالثة يلقنهم الكاهن بان يكونوا من أتباع يزيد وشهداء لعقيدته »» وقال : « اما الذين يولدون فى سنجار وفى المحلات الاخرى ، فقد يزورهم القوالون من وقت الى آخر ويقدسونهم بالماء الذى يأتون به في قراب معهم » ، وهذا قول يدل على غاية الحذق والمهارة، ولكن ما قوله اذا أعلمناه أن عملية التنصير لم يكن ليعرفها اليزيدية ويعملون بها ، والاناء الذى ذكره على شكل ديك لا وجود له ، ولم يسبق ان أخذ واحد من القوالين ماء مقدسا فى قراب معه الى سنجار والاماكن البعيدة لتعميد او تقديس الاولاد الذين يولدون حديثا ، واذا كان يكفى لتعميد كل مولود حفنة من الماء ، فكم يجب نقله من الماء الى المناطق التي توجد فيها اليزيدية ويرتادها القوالون بلا انقطاع ؟ .

***

إن صاحب كتاب (طاؤوس ملك) لم يكن وحده اول من أباح لنفسه اختلاق هذا الخبر عن اليزيدية وأذاعه دون احتراز وتحفظ ، بل قاله آخرون غيره من الكتاب الغربيين الذين لم يتورعوا عن اختلاق أخبار غير صحيحة عن هؤلاء القوم ليدللوا على صلتهم بالنصرانية ، وفاتهم انهم أساؤوا الى سمعتهم الأدبية اكثر مما أفادوا مصلحتهم وقد استرعى هذا الخبر نظر أحد اليزيدية المتعلمين - وهو معلم فى مدرسة بحزاني لليزيدية - وسألني عما يقصده هؤلاء الكتاب الغربيين عن اختلاقهم الأخبار عنهم ، ومتى كان لديهم في مرقد الشيخ عدي أناء على شكل ديك يعمدون أولادهم فيه ، ويذهب القوالون بالماء المقدس في قراب الى سنجار والأماكن البعيدة لتعميد أولادهم الذين يولدون حديثاً ؟ فالتزمت طريق التجاهل ، وقلت له ألم يكن (التعميد) متبعاً

لديكم كما يدعيه هؤلاء النصارى ؟ - فأجاب : من الخطأ الفادح ان نسمي تطهير المولود الجديد من دنس الولادة في الماء المقدس في مرقد الشيخ عدي تعميداً ، وتطهير جميع الأشياء التي مستها نجاسة - بعرفنا - عادة متبعة منذ القديم . أنظر الى (الطواويس) التي يريدون إرسالها الى الجهات المختصة بها ألم يغطسوها فى هذه العين ؟ ثم الموسى الذي يستعمله المسلم او الشيء الذي يمر من يده هل يجـوز لليزيدي استعماله ما لم يغسله فيها ؟ فهل نسمي ذلك تعميداً ام تطهيراً ؟ على ان عادة تطهير الأولاد فى هـذا الماء أهملت ولم يكد أحد يعمل بها بعد ان ظهر خطرها ومات اكثر الأود من شدة البرد ، ثم اذا كان التطهير فى هذا الماء يسمى تعميداً ، فلماذا يعمل اليزيدية بسنة الختان وغسل الموتى ؟

﴿ الختان ﴾

يجري الختان بعد مضي سبعة أيام على المولود ، ويجوز تأخيره الى بلوغه العامين وهو تقليد إسلامي أتبعوه منذ عهدهم بالاسلام ، وللختان ميزة كبيرة عندهم باعتباره الواسطة الوحيدة للمكارفة بينهم ، وبينهم وبين المسلم ايضا ، ولا يجوز القول أنهم كانوا يعملون به فى مجوسيتهم الاولى وظلوا دائبين عليه ، وقد أثبت التاريخ ان المجوس لم يكونوا يعملون بسنة الختان ولا يعرفونه . وما جاء في التقرير الذي رفعته لجنة الحـدود بين تركية والعراق الى عصبة الامم بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٢٤ عند الكلام عن اليزيدية من « أنها لم تستطع الجزم فى أنهم اقتبسوا سنة الختان من الاسلام » وقولها « وربما - كما يظن ويكرام - أنها اقتبسته من مصدر أسبق من ذلك » فقد أخطأت فيه .

ويدعي ه . و . أميسن صاحب كتاب طاؤوس ملك ان الختـان لم يكن من الفروض الدينية لدى اليزيدية ، وقد مارسوا هذه العادة موافقـة لاتباع محمد (ص ٤٥) وذكر أنهم يختتنون أولادهم بعد عشرين يوما من تنصيرهم . فانظر الى هذه المكابرة والاستهتار بالحقـائق ، فالتعميد الذي لم يستطع تعليل استعماله من قبـل اليزيدية يسميه تنصيراً ، والختان الذي أخذوه من الاسلام منذ عهدهم به يدعي أنهم مارسوه موافقة لاتباع محمد وهذه شنشنة نجدها عند الباحثين الغربيين عامة ، إذ عندما يجدون في هذه الطائفة من عادات وتقاليد اسلامية ولا يريدون ان يعترفوا بأنها مأخوذة من مصدر إسلامي

يعللونها بمثل هذه التعليلات السخيفة التى لا تدل على اكثر من جهلهم وعنادهم .

ومؤلف كتاب النساطرة (بادجر) ايضا - وسيأتي الكلام عنه - ينفي كون الختان الذى فرضه اليزيدية على أنفسهم من السنن الاسلاميـة ، وذلك لان العشيرة الكردية التي فى (رضوان) لا يختتنون مع كونهم يزيديين ، وهذا المنطق المفلوج يدلنـا على ما يحمله هذا الكاتب المتعصب من بغض وكراهية للاسلام ، وحنق عليه وسنراه كيف تهيج أعصابه ويصل الى حد الجنون عندما يقف على عقيدة إسلامية او تقليد إسلامي عند هذه الطائفة فيحاول رده الى النصرانية ويعجزه الامر فيتبع آراء تدعو الى السخرية والاستهزاء .

﴿ تعدد الزوجات والطلاق ﴾

أباحت الشريعة اليزيدية للرجل ان يتزوج بأربع نساء وأن يطلقهن اذا شاء كما هو جار في الاسلام . وللأمير أن يتزوج بقدر ما يشاء من النساء اللاتي أباحتهن الشريعة له. إلا أنه لايجوز له تطليقهن لعدم جواز تزوجهن من غيره وقد يبقين فى داره الى ان يقضين نحبهن (١) .

وتبين المرأة بمجرد أن يلفظ الرجل كلمة الطلاق ، أو يقول لها أنت شيخي او بيري . ويجوز له أن يسترجعها بمجرد حصول التراضي بينهما ولو طلقها اكثر من ثلاث . أما الطبقة الممتازة - ونقصد بهم الروحيين - فقد يراعون حكم الطلاق الثلاث الذي يجري بالتتابع ، وليست العادة على من يطلق زوجته ثلاثا أن يجري وراء استرجاعها باستحصال فتاو من رجال الدين كما هو جار فى الاسلام .. والعدة عندهم لا عبرة لهـا ، والروابط الروحية واهية جداً . وقد لا يأمن الرجل على حياته الزوجية من أن تعبث بهـا ايدي المفسدين . وهذا ناشىء من عدم إعطائهم مناكحاتهم شكلا دينياً او رسمياً يمنع المرأة من التخلي عن زوجها متى شاءت .

ومما يدعو الى الغبطة والارتياح أن نجد هذه الحالة قد أخذت تزول تدريجياً في الشيخان ، وقد يأتي الرجل والمرأة عند حاكم الشرع ويطلبان يعقد لهما النكاح درءاً

---

١) تخاطب زوجة الامير بالام حتى ولو كانت في الخامسة عشر من العمر وكان المخاطب شيخاً كبيراً . وكنت اظن جواز تزوج امرأة الامير بعد موته من يخلفه بالامارة، ولكن ظهر لي خلاف ذلك.

للفساد الذى يحذرانه فى حياتهم الزوجية .

﴿ الاغتسال من الجنابة ﴾

الاغتسال من الجنابة فرض على كل يزيدي وقد يباشره بسائق العادة وبصورة غير مباشرة دون أن يشعر بان هنالك سائقاً دينياً يضطره اليه ، اذ من المحال ان لا يغتسل بالاسبوع ولو مرة واحدة ، ويغتسل فى أيام الأعياد والمواسم وعند زيارته مرقد الشيخ عدي ، وعندما يقصد محلا بعيداً عن قريته ، وخاصة في أيام الصوم . والمرأة تراعي هذا الواجب اكثر من الرجل .

ويحرم على الرجل أن يقرب زوجته فى حالة النفاس والحيض ما لم تغتسل ، ومدة النفاس عندهم أربعون يوما ، وهذه تقاليد إسلامية .

بيد أن الغربيين الذين يرمون الى إبعاد هذه الديانة عن الاسلام لم يقفوا عليها ، وهو أول ما ينبغي أن يعلمه الباحث ، ولذا لم يظفروا بانصاف الحقيقة .

﴿ الأخوة الأخروية او الأبدية ﴾

حتمت التقاليد اليزيدية على كل يزيدي أن يتخذ له أخا وأختاً من رجال الدين يكل أمره اليها ويرجو بهما الشفاعة يوم الآخرة . ومفروض عليه أن يصافحها عند كل صباح ويتحبب اليها . واذا أراد عمل ثوب فعلى أخته الأبدية ان تفتح رقبته . وعندما يوافيه الموت يحضره أخوه الأبدي وأخته الابدية ويساعدان شيخه وبيره فى غسله وتكفينه .

تذييل - من التقليد الجاري أن يكون زيق الثوب الذى يلبسه اليزيدى ، رجلا كان او امرأة ، مدوراً . أما الذين هم بعيدين عن مركزهم الدينى كيزيدية الشرقيان فى ويران شهر وغيرها من الاماكن البعيدة ، فقد لا يعملون به .

﴿ غسل الأموات ﴾

يجري غسل الميت عند اليزيدية طبقا لما هو جار عند الاسلام ، وقد يغسلونه بالماء الفاتر والصابون عضواً عضواً ، إلا أنهم يخالفون المسلمين فى وضوئه . والذي يقوم بغسله شيخه وبيره ، ويعاونهما أخوه الابدي وأخته الابدية ويقرأ شيخه بعض الصلوات

والأدعية أثناء عملية الغسل .

وقد سكت دعاة النصرانية عن تعليلهم عادة غسل الميت عند اليزيدية لانه يعارض العماد الذى يدعونه لهم .

﴿ دفن الأموات ﴾

بعد أن يتم غسل الميت يحشون جميع منافذ وجوده بالقطن ويضعون شيئاً من تراب الشيخ عدي على جبينه وفي عينيه ويدفنونه نحو المشرق ، ويكثرون من الخيرات والصدقات على روحه في اليوم الاول والثاني والثالث والسابع والاربعين من وفاته . ويذبحون عددا وافرا من الغنم والبقر ويتصدقون بها على الفقراء والمعوزين .

ومن السنن المتبعة أن يكفن بنسيج بلدي ويحرمون نسيجاً غيره ، إلا أنهم أخذوا يتركون هذه العادة لعدم تمكنهم من الحصول على النسيج البلدي الذى قل عمله واستعماله

والعادة عند اليزيدية في سنجار ان يقصوا ذوائب المتوفي رجلا كان او امرأة ويعلقونها على قبره الى أن تبلى ، والفتاة التي تكون في سن الزواج ، او قد تزوجت حديثاً ، يلبسونها أفخر ملابسها ، وبعضهم يضعون عليها حليها ويدفنونها ، ويكثرون من إطلاق البنادق عند توديع الميت مقره الاخير إذا كان من ذوي الوجاهة .

وبعضهم يلبسون الميت ملابسه عند دفنه ويضعون له فراشاً في قبره .

﴿ العادة بعد الدفن ﴾

اذا كان المتوفي من ذوي الاعتبار والوجاهة ، يصنعون له تمثالا من الأعواد يلبسونه أفخر ملابسه ويجلسونه في محل مرتفع ويجتمعون حوله ، ويرتل القوالون أناشيدهم أمامه ، والنساء يلطمن وجوههن ويندبنه بأغانيهن الشجية ويعددون محاسنه الى ان تنقضى ثلاثة أيام . اما اذا كان فقيراً فقد يكتفي القوالون باجراء المراسم الدينية عند دفنه ، ويزوره ذووه من وقت الى آخر ويبكون عند قبره .

وللميت حرمة كبيرة عندهم ، ولكن بعد ان يتم عزاؤه لا يبكونه كثيراً ، واذا ذكروه ، يذكرونه بالترحم عليه كما هو جار عند الاسلام . وفي ليالي الأعياد والمواسم يصنعون له طعاما ويذهبون به الى قبره ، فيضعونه عليه ويعودون ، وعند الصباح

يأتون بالماعون وقد فرغ مما فيه .

﴿ مراسم الأفراح ﴾

لليزيدية أفراح دينية تقليدية كثيرة ، أهمها ما يجرونه في الطـوافات (سيأتي البحث عنها) وفي أيام الزواج ، وتكون أفراح الزواج بشكل عام يجتمع فيه أهل القرى المجاورة والبعيدة بدعوة خاصة تستمر ثلاثة أيام بلياليها يضربون فيها على الطبول ويزمرون بالزراني ويرقص الفتيان والفتيات على وقعها الحار بصورة مختلطة ، تذوب فيه الحشمة ، ويرتفع التحفظ ، ويكثرون من شرب الخمر ، حتى ترى أهل قرية بكاملهم قـد علتهم نشوة السكر واستولى عليهم الأنس والفرح .

ومن متممات الأفراح ان يقيموا سباقاً للخيل يشترك فيه المسلمون من أهل القرى المجاورة ، إلا ان هذه العادة أخـذ يضعف شأنهـا وكادت تزول لفقدان الخيول عندهم .

والرقص عند النساء عادة محببة مرغوبة وقد يرقصن بصورة مجتمعة او على الانفراد ومنهن ماهرات في الرقص وقد يتعلمنه على أساتذة ماهرين من القوالين .

والعادة ان يجتمع بضع فتيات ويرتلن أغاني شعبية بصوت عذب رقيق يحركن أوتار القلوب ويأخذن بالالباب والعقول ، ويشترط لذلك عدم وجود مسلم يستمع اليهن .

وتقام الافراح عند مجيء السنجق الى قرية ما فيجتمع أهلها في ميدان فسيح ويرقصون جماعات وأفراداً . وأفراح الزواج تكون في السنين المخصبة اكثر لما تتطلبه من نفقات لا يقوى عليها اليزيدى في السنين المجدبة .

﴿ أملهم في المستقبل ﴾

لليزيدية عقيدة خاصة في المستقبل فهم ينظرون اليه بعين ملؤها الطمأنينة والارتيـاح ويعقدون آمالهم الذهبية عليه ، إذ يعتقدون ان ما لاقوه من المسلمين منذ عهد ظهورهم من مظالم واعتداءات فادحة ستزول ويبتسم لهم الزمن وينيلهم آمالهم وهناك ستنقـاد كافة الامم والشعوب التي على وجه الأرض لهم ويحكمون سيوفهم في رقاب أعـدائهم المسلمين وينتقمون منهم كما انتقم جدهم (بختنصر) من اليهود .

ولكن متى يكون ذلك؟ يكون عندما ينزل يزيد الى الارض ويصلح ما فسد منها ويرفع من شأنها . فمن أطاعه كتب له الفوز والنجاح ، ومن خالفه وعصاه كان نصيبه الهلاك والدمار .

وسيكون الامير الحاكم المطلق على المملكة اليزيدية المنتظرة وتكون البسميرية وزراؤه والبيرة والشيوخ عماله ، والقوالون سفراؤه ، والكواجك جباته ، والفقراء جنوده ، وباعذرة عاصمته ، ودمشق اكبر مدن مملكته .

إن هذه العقيدة هي وليدة الاضطهادات التي لاقوها من المسلمين خلال زمن طويل ، وعندهم شعور عام ورثوه من شيوخهم الأقدمين بعد أن فشلوا في دعوتهم السياسية فهم لا يزالون يتطلعون الى المستقبل لاعادة مجد الأمويين المندرس ،

في الأسرة العدوية ومظاهرهم في التاريخ

(الشيخ عدي بن مسافر الأموي)

لم يكن أحد عرفه وعني بالبحث عنه إلا بعد ان ذاعت الرغبة بين جماعة من أصحاب الأقلام من شرقيين وغربيين في البحث عن الديانة اليزيدية ، وهناك عرفوه ، ولكن معرفة ناقصة ، وبحثوا عنه ، ولكن بحثاً مشوهاً لا ينطق بالاصابة والعدل ، فوصفوه بالكفر والالحاد ، وأنه دعى الناس الى الاباحية والفوضى ، وعدوه بمنزلة مزدك الفارسي وابن عطاش وغيرهما ممن استخفوا بالشرائع ، وهدموا بتعاليمهم صروح الفضيلة والدين.

ان الصاق عقيدة هؤلاء بهذا الرجل العظيم ترجع الى أمرين ، الاول : ما يشاهدونه اليوم في مريديه من فساد العقيدة ، فيذهبون الى أنه هو الذي غرس فيهم هذه البذرة وهو الذي أظلهم وأبعدهم عن الاسلام . الثاني : ما يقرأونه من القصائد والمنظومات المعزوة اليه ، فيتخذونها حجة على إدعائه بالألوهية وأنه لم يكن مسلما بالمعنى الصحيح ، ولو تعمقوا في دراسته ، وعرفوا ما قاله المؤرخون عنه ، واستمعوا الى أقواله ، ثم وقفوا على الاسباب التي أدت الى وضع هذه المنظومات ونسبتها اليه ، لما تورطوا في هذا الحكم.

نسبه ونشأته : هو أموي قرشي ، يرجع نسبه الى الملوك المروانيين ، فهو عدى بن مسافر بن موسى بن مروان بن الحكم (١) ، وقيل ابن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان الأموى بن الحسن بن مروان بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وقد وهم صاحب تاريخ المعتبر فى أبناء من غبر ، بأن جعل مروانا بن الحكم ابن أبي العاص بن عثمان بن عفان بن ربيعة بن عبد شمس بن زهرة بن عبد مناف .

ولد في قرية « بيت فار » من أعمال بعلبك فى الشام ، وعرف « بالهكاري » لسكناه فى جبل هكار شمالي الموصل ، وقد غلبت عليه الروح التصوفية وسلك طريق الارشاد. والغالب انهذه الروح انتقلت اليه من أبيه « مسافر » الذي يروى عنه صلاح وتقوى فى زمانه .

ان كل ما نعرفه عن نشأته الدينية هو أنه هجر قريته التى ولد فيها وهو شاب يافع واخذ بالسياحة وروض نفسه بانواع المجاهدات ، فكان يجوب الصحاري والجبال ، ويقيم في المغارات ، ويكثر من العبادة حتى « سار ذكره في البلاد ، وتبعه خلق كثير ، وجاوز اعتقادهم فيه الحد ، وجعلوه ذخيرتهم في الآخرة ، ومال اليه أهل تلك النواحي ميلا لم يسمع بمثله » (٢) وصحب جماعة من الصوفية كعقيل المنبجي ، وحماد الدباس ، وأبي النجيب السهروردي ، وعبدالقادر الجيلي ، وأبى الوفاء الحلواني وغيرهم ممن كان عصره طافحاً بهم . وكان عبدالقادر الجيلي يعظمه ويثني عليه ويشهد له بالسلطنة على الاولياء وكان يقول :« لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر » .

أما نشأته العلمية وشيوخه الذين أخذ عنهم ، فليس فى كتب السير والتاريخ ما يدلنا عليه إلا انالذى نعرفه عنه أنه كان من المبرزين في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث ويعد من طراز ابن تيمية فى عصره . وهو شديد الوطأة ، كثير المؤاخذة على المخالفين للسنة والشريعة وله رسالة فى العقائد أودعها عقيدته (٣) .

مبدؤه الحزبي والديني : كان يتعصب للأمويين ، وهو فرع دوحتهم ، فقد كان يلتزم

---

١) هكذا ذكره بن خلكان فى ترجمته وقال : هكذا أملاه علي بعض ذوي قرابته .
٢) وفيات الاعيان لابن خلكان .
٣) تجدها ضمن مجموعة فى القصائد في مدرسة الحجيات بالموصل.

جانب معاوية بن أبي سفيان ، ويقول عنه أنه خال المؤمنين ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب وحي الله تعالى ، وأمين الله على وحيه ، شهد النبي له بالجنة ومات وهو عنه راض ويعتقد الصلاح بيزيد ، ويرى أنه بريء مما رمي به من العيوب والنقائص إلا ان تعصبه للامويين لم يكن ليخرج به الى حد الغلو والتطرف والوقيعة بالعلويين وتوجيه المثالب اليهم ، بل كان يذب عنهم ويمنع الناس عن الطعن فيهم .

أما اعتقاده في الصحابة فكان يرى الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم في الخلافة ويرد على من يقدم (علياً) على الثلاثة السابقين .

وكان يندد بالشيعة ويحمل على المعتزلة وينتقد ذوي البدع والاهواء ممن يخالف أهل السنة ، ويعتبر نفسه من أهل الحديث . وأوجد له طريقة تصوفية بناها على إصلاح النفس ومراعاة الاخلاق الفاضلة .

انقطاعه الى جبل هكار وانصرافه الى الارشاد : لماذا اختار الشيخ عدي جبل هكار موطناً لنشر طريقته وهو عربي صميم خرج من البقاع في الشام ؟ وما صلته بالاكراد وكيف عرفهم ؟ يقال انه بعد سقوط الدولة الأموية هاجر البعض من رجال البيت الأموي مع مواليهم الاكراد الى هذه الجبال وانزووا فيها خوفاً من العباسيين الذين كانوا يتعقبونهم ويكثرون القتل فيهم . وقد عرف (عدي) هذه الجبال وجاءها واختار السكنى فيها . والحقيقة ان الأمويين لم يسبق لهم هجرة الى هذه الجبال لا قبل عدي ولا بعده ، ولهذا الكلام موضع آخر غير هذا . والذي نراه أن (عدياً) بعد ان أخذ على نفسه التطواف في البراري والقفار أوصله تطوافه الى هذه الجبال فوجدها في ظلام من الجهل لم تؤثر الدعوة الاسلامية فيها ولا يزال فيها أناس يدينون بالمجوسيه ، فرأى من واجبه الديني أن يبشر بالاسلام بينهم ، واختار لاقامته ديراً للنصارى مهجوراً يقع وسط واد عميق يسمى « لالش » تكثر مياهه واشجاره ، وأسس زاويته فيه وأصبح موطناً له ولأهل بيته بعده . ثم لعبت بعده أيدي الأهواء في طريقته فتحولت الى دعوة سياسية نزاعة الى الملك فنالت زاويته أيدي التخريب وتفرق أصحابه عنها ، ثم عادوا اليها واتخذوا قبره مزاراً يحجون اليه .

نهجه وسلوكه : لم نجد من طعن فى نهجه وسلوكه ممن تناوله بالبحث من المؤرخين قاطبة ، والكل متفقون على تمسكه بالشريعة الاسلامية . يدلنا على ذلك شهادة الامام ابن تيمية بحقه ، وعقيدته المأثورة عنه ، والاقوال الصادرة عن لسانه . إلا ان تعصبه للامويين واعتقاده الصلاح بيزيد وتبرئته مما رمى به من عيوب ونقائص كان سبباً لاطلاق الالسنة بحقه ممن لم يرتح لذكر يزيد وأهل بيته ويراه على عكس ذلك ويقدح فيه.

وقد كان من الطبيعي ان يتأثر سالكو طريقته بهذه العقيدة ، فيعتقدون بيزيد أنه من أئمة الهدى والمجاهدين فى سبيل الله ويولونه محبتهم ويتعصبون له ثم يرفعونه الى درجة الآلوهية ويأخذون بعبادته ، ولم يكن عدياً ليخطر له بان غرسة محبة الأمويين فى قلوب مريديه سيحدث هذا التطور بعد حين .

وهنا يرد سؤال وهو بعد أن رأينا عدياً هو الذي غرس فى قلوب أصحابه الحب ليزيد وجعلهم يعتقدون بصلاحه، هل يجوز أن نوجه اليه تبعة الزيغ الذي حل بساحتهم؟ والجواب أن عدياً بريء من ضلال هذه الطائفة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وإنما أراد بها خيراً وأصلح نفوسها ، ولو لم يدخل بينهم دعاة السوء ويحدثون هذا التغيير في عقائدهم ويأولون كلما نطق به شيخهم من قول بعكس ما أراده، لما وجدنا لهذا الانتكاس أثراً فيهم ولحافظوا على عقيدتهم .

وضع الشيخ عدي طريقته العدوية نقية خالصة من كل ما يستطيع ان يطعن الطاعنون فيها ، وقد ذاعت في أنحاء الشرق وأتبعها خلق كثير وأصبح لها شأن كبير لو لم تلعب بها الايدي وتخرجها عن أصلها . وهذا ما يجعلنا ان نقول ان الشيخ عدياً كان حقاً بائساً لم يبتسم له الحظ بعد وفاته كبقية أصحاب الطرق الذين نالوا شهرة واسعة بعد مماتهم اكثر مما كانوا عليه في حياتهم ، وليس فى طريقته شيء من الاعوجاج يدعو الى ما ناله من سوء السمعة اكثر من أنه كان أمويا ويتعصب للامويين . أليس مما يدل على بؤسه تصدي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل أولا ، والمجتهد الحلواني ثانيا لحفر قبره واخراج عظامه واحراقها ؟ وهو لا ذنب له يستحق عليه هذه الاهانة سوى ان الطائفة المنسوبة اليه زاغت عن عقيدتها وأحدثت لها ديناً لا ينطبق على الاسلام . واذا كانت

هذه الطائفة زاغت عن عقيدتها ، فلماذا يحمل شيخها تبعة عملها ؟ وقد بلغ حد الغاية في هدايتها وإرشادها وقام باصلاحها خير ما يقوم به شيخ طريقة ؟ ثم أي شيخ طريقة صوفية عومل بمثل هذه المعاملة القاسية بعد ان مضى أمد طويل على وفاته حتى أصبح وهو نائم في قبره هدفاً لاحتراصات سياسية ومذهبية كانت تجيش في صدر الملوك الأتابكي والمجتهد الايراني ولم يخجلا من ان يعللا عملها هـذا بالجهاد في سبيل الدين ؟ وهل ان الدين تصدع وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الطائفـة من الضلال ، ولا يمكن إصلاحه إلا بحفر قبر هـذا الشيخ وإخراج عظامه وإحراقها ؟ كلا ، ولكنه الجهل والحمق .

وصفوة القول أن الشيخ عدياً كان عظيما في جميع مظاهره ، عظيما حتى بعد موته ، ولكن يؤسف له أن المصيبة التي أبتلي بها من زعم اليزيدية أنه آله واتخاذهم قبره مزاراً وحجهم اليه واعتقاد الناس به على عكس ما هو عليه من الصلاح والتقوى ، حيث كلما ورد اسمه على الألسن تلقته الأذهان بأنه شيخ اليزيدية ورئيسهم ومعبودهم دون ان يفهموا شيئاً عنه ، وهذا كله لا يلتئم وكبير منزلته وعظيم قدره ، وقد اندثرت طريقته بعد ان كان يتبعها خلق كثير في البلاد الشامية والمصرية ، ولم يبق لها أثر عدا ما تدعيه هذه الطائفة من الانتماء اليها ، وشتان ما بينها وبين عقائدها الفاسدة .

هل كان الشيخ عدي صريحاً في دعوته ؟ : ظهر لنا مما تقدم أن الشيخ عدياً هو الرجل الفذ الذي ظهر في عصره وفاق أقرانه في زهده وورعه الذي جمع اليه وفور العرفان والعلم ، ولم يشر أحد ممن ذكره من معاصريه او كان قريباً من عهده وبحث عن حياته الدينية وسلوكه ، أقول لم يشر الى أنه كان يحمل زيغاً في عقيدته ، بل أجمعوا كلهم على انه ظاهري بحت يعمل بالسنة والشريعة ، بعيد عن النزعات الصوفية ودعاويهم التي لم يروا أنفسهم فيها مقيدين بقيد من قيود الشرع ، ولولا ذلك لما وجدنا الامام ابن تيمية يقول عنه « أن طريقته قدس الله روحه كانت سليمة ولم يكن فيها من هذه البدع شيء » وشهادة ابن تيمية لها قيمتها وليست كشهادة الراهب راميشوع الذي أراد إرجاع البيت العدوي الى التيراهية المجوسية نسباً وعقيدة واتبعها كثير من كتابنا المسلمين دون

تحقيق وبنوا أبحاثهم عليها .

ورب قائل : أن عدياً لم يكن غير واحد من أصحاب الطرائق الذى كان عصره طافحاً بهم ، أمثال الشيخ الجيلي، والسهروردى ، والحلواني ، والمنبجي، والدباس ، والرفاعي، وعلي الهيتي ، وابن وهب السنجارى ، وشعيب بن أبي مدين ، وقضيب البان، وجايكير الكردى ، وعبد الله الشنبكي ، وعبد الرحمن الطفسونجي ، ومطر الباذراني ، وماجد الكردى ، وغيرهم . وما واحد من هؤلاء إلا ورويت عنه أخبار تدل على طول باعه بالتصرف وإظهار الكرامات وهو مضطر الى مسايرتهم بهذه النزعة ليتملك عقول أصحابه ولولا ذلك « لما تبعه خلق كثير وتجاوز حسن اعتقادهم به الحد حتى جعلوه قبلتهم التى يصلون اليها وذخيرتهم فى الآخرة التى يعولون عليها » ، وهذا وإن كان وارداً ، إلا ان شهادة ابن تيمية التى أوردناها بحقه وعقيدته المأثورة عنه ، والكلمات المروية عن لسانه ، تنفي هذه المزاعم التي لم يكن منشؤها أكثر من الظن والوهم .

وهذه نبذة من أقواله « لا تنتفع بشيء إلا اذا كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد. وهنا يجمعك فى حضوره ، ويحفظك فى غيبته ، ويهديك بأخلاقه ، وينورك ويؤيدك بأطرافه ، وينور باطنك باشراقه . وإن كان اعتقادك فيه ضعيفاً لا تشهد فيه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك عليك ، فتشهد صفاته هي صفاتك فلا تنتفع به ، ولو كان أعلا الأولياء درجة » .

ومنها قوله : « حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه ، فمع العلماء بحسن الاستماع وإن كان مقامه فوق ما يقولونه، ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار ومع أهل التوحيد بالتسليم » .

وفى قلائد الجواهر ص ٨٤ و ٨٥ ورد هذا القول على هذا الوجه :

«الشيخ من جمعك فى حضوره ، وحفظك في مغيبه ، وهذبك باطرافه ، وأنار باطنك باشراقه . والمريد من أنار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط ، ومع الصوفية بالأدب والانحطاط، وحسن الخلق والتواضع فى كل شيء ، ومع العلماء بحسن الاستماع ، ومع أهل المعرفة بالسكون ، ومع أهل المقامات بالتوحيد » .

ومنها قوله : « اذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات ، فلا تغتروا به حتى تنظروه عند النهي والأمر » .

ومنها : « من لم يأخذ أدبه من المؤدبين ، أفسد من اتبعه ، ومن كانت فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته لئلا يعود اليكم شؤمها ولو بعد حين » .

ومنها : « من اكتفى بالعلم دون الاتصاف بحقيقته ، انقطع ، ومن اكتفى بالتعبد دون الفقه خرج ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام ، نجا » .

ومنها : « أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ، ترك الدعاوى الكاذبة ، واخفاء المعاني الصادقة (١) » .

ومما جاء في « عقيدته » قوله في القضاء والقدر :

« لا يخلو أخذك وتركك أن يكون بالله أوله . فان كان به ، يبادلك بالعطاء ، وإن كان له ، فاسترزقه بأمره . واحذر ما فيه الخلق ، فمتى كنت معهم ، استعبدوك ، ومتى كنت مع الله عز وجل ، حفظك ، ومتى كنت مع الأسباب ، فاطلب رزقك من الأرض. واذا كنت مع التوكل ، فان طلبت بهمتك ، لا يعطيك ، وان أزلت همتك ، أعطاك. واذا كنت واقفاً مع الله عز وجل ، صارت الأكوان خالية لك من المواطن ، وأنت في القبضة فان ، والكون كله فيك ولك » .

وفي قوله في الرد على القدرية والمجسمة :

« ونؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها . فان كل ما تمثل في الوهم فهو مقدره وخالقه . وهذا هو الذي اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر في الناس التشبيه والتعطيل ، فزع أهل الحق الى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تشبيه ولا حمل على الظاهر ».

وفي قوله عن القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى أبليس عليه

(١) لواقح الانظار في طبقات الاخيار للشيخ عبد الوهاب الشعراوي (كذا) من علماء القرن العاشر الهجري في مصر ، وهو كتاب خطي موقوف على مدرسة آل بكر افندي بالموصل .

اللعنة وليس اليه من الضلالة شيء . قال تعالى : « واجلب عليه بخلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطـان إلا غروراً » . وقوله تعـالى : « أن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وأن جهنم لموعدهم اجمعين » لأنهم فتكوا في الكفر فجعلوا ارادة ابليس لعنه الله وإرادتهم أقوى من ارادة الله تعالى . أراد الملعون ابليس المعصية فوجدت ، وأراد الله أن تكون فكانت ، فجعلوا ابليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقول بهذه المقالة تكذيب لقوله تعالى : « إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عنـدك قل كل من عند الله » .

وفي قوله عن توحيد الباري عز وجل :

« لا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ، جل عن الأمثال والأشكال . صفاته قديمة كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته وأن يضاف الى مخترعاته ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . لا سمي له في أرضه وسمواته ، ولاعديل له في حكمه وإرادته ، حرام على العقول ان تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الفكر أن تحيط ، وعلى العقول أن تتصور إلا ما وصف به ذاته في كتابه العزيز او على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم » .

هذا هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي صاحب الطريقة العدوية، وهذه هيعقيدته. وكانت وفاته سنة ٥٥٥ وقبل سنة ٥٥٧ ، وقد تجاوز التسعين ولم يخلف ولداً ويقـال انه ظل أعزب ، وسنعود الى الكلام عنـه في البحث عن الشيخ شمس الدين الحسن أحد زعماء هذه الطريقة .

﴿ الشيخ العارف صخر بن مسافر الأموي ﴾

هو أخو الشيخ عدي بن مسافر الأموي ولم يذكر احد من المؤرخـين أنه جاء بلاد الهكارية ، والذى جاءها أبنه ابو الـبركات صخر الثاني الذى خلف عمه الشيخ عدياً في الطريقة ، والذي يغلب على الظن ان صخر الأول كان ايضا معروفا بين قومه بالصـلاح

والتقوى وقد تحدث جماعة من المؤرخين عن صلاح أبيه مسافر ، وأنه انقطع في السياحة أربعون سنة ، ويجوز لنا ان نذهب الى ان انصراف هذا البيت الى العبادة والتقوى وتجردهم عن العلاقات الدنيوية هو الذي جعلهم في مأمن من اضطهاد العباسيين وظلمهم الذي أسرفوا فيه بحق بني عمهم الأمويين ، ولو لم يتبعوا هذه الطريقة لما أبقوا عليهم واذا لم نكن نرى فيهم نزوعا الى حب الرياسة طيلة ثلاثة عصور مضت عليهم فهذه الروح كانت كامنة فيهم وكانوا يترقبون الفرصة الملائمة لاظهارها ، وسنرى كيف ظهرت على عهد الشيخ حسن ، وكيف جرت وبالا عليهم .

﴿ الشيخ ابو البركات صخر بن صخر بن مسافر الأموي ﴾

هاجر صخر بن صخر من (بيت فار) الى جبل الهكارية وصحب عمه الشيخ عدياً وخلفه بعد وفاته . وكان الشيخ عدي في حياته يثني عليه ويقدمه ويقول فيه : « ابو البركات ممن دعي في الأزل وكان من السابقين الى الحضرة » ويقول فيه : « ابو البركات يخلفني » وفي تحفة الأحباب للسماوي : « ان الشيخ عدياً (١) كان أعزب ، ويروى انه سأل الله تعالى ان يجعل ذريته في أخيه صخر بن مسافر فاستجاب الله دعاءه ، وهكذا كان فان آل عدي الذين تناسلوا وكثروا هم أولاد صخر بن مسافر لا أولاد عدي .

وقد ترجمه صاحب بهجة الأسرار بما هو بالحرف :

« كان من أجل مشائخ العراق ببلاد المشرق ونبلاء العارفين ، وأركان هذا الشأن وأئمة الدعاة اليه وأعيان العلماء بسبله علماً وعملا وزهداً وتحقيقا ، صحب عمه وهاجر اليه ، واليه كان ينتمي وخلفه بعد وفاته في المشيخة بزاويته في (لالش) بجبل هكار وكان يثني عليه ويقدمه ويعده من ابدال الدهر ، لقي غير واحد من المشائخ وانتهت اليه رياسة هذا الأمر في وقته في تربية المريدين السالكين وكشف مشكلات أحوالهم وتبيان مهمات أمورهم وتخرج عليه غير واحد من العلماء .

كان كامل الآداب ، حسن الاخلاق ، ظريف الشمائل ، ذا بهاء وصمت وحياء ، محباً

---

١) لا يعد اختيار الشيخ عدي العزوبة دليلا على انه أراد تطبيق هذا النظام على سالكي طريقته وهو عمل فردي اختص به . وما ذهب اليه مؤلف التصوف الاسلامي وتاريخه (ص٥٨) من ان الطريقة العدوية هي من الطرائق التي اتخذت الرهبنة نظاما في حياتها التصوفية لم يكن صحيحا .

لاهل الدين ، مكرما لاهل العلم ، وافر العقل ، كثير الكرم ، شديد التواضع .

وترجمه صاحب قلائد الجواهر بقوله :

« كان من أجل مشائخ العراق ببلاد المشرق ، ونبلاء العارفين ، صاحب الكرامات الظاهرة والاحوال الفاخرة ، والمقامات الجليلة ، والانفاس الروحانية ، الى ان قال :

« صحب القدوة شرف الدين عدي بن مسافر رضي الله عنه وهاجر من البقاع العزيز من قرية بيت فار الى جبل الهكار وخلفه بعد وفاته بلالش ، وكان يثني عليه ويقدمه وقال فيه : « هو ابو البركات حقيقة » .

ومن أقواله المأثورة عنه :

« من سكر بكأس المحبة لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه ، فان السكر ليلة صباحه المشاهدة ، كما ان الصدق شجرة ثمرتها المجاهدة .

ومنها ، أصول المحبة في ثلاثة أشياء : الوفاء ، والادب ، والمروءة . فالوفاء انفراد القلب بفردانيته والثبات على مشاهدته والمؤانسة بنور أزليته . وأما الادب : فراعاة الخطرات وحفظ الأوقات والانقطاع عن المقاطعات . وأما المروءة فالقيام على الذكر بالصفاء قولا وفعلا ، والسر عن الاغيار ظاهراً وباطنا وحفظ الاوقات لرعاية ما هو آت واستدراك الأوقات ، فاذا وجدت هذه الخصال في العبد وجد لذة الوصال وخاف حرقة البين ، وهاج في سره نار الاشتياق .

سكن (لالش) الى ان مات ودفن عند عمه وقبره ظاهر يزار . وخلفه ولده عدي ابن ابي البركات وكان على شاكلته في المناقب والفضائل . وذكر السخادي هجرته الى عمه بقوله « وقد نزل الشيخ ابو البركات ابو هذه الذرية عند عمه عدي بن مسافر بالمكان المعروف بلالش بجبل الهكارية » .

وقد زرت قبره اكثر من مرة وهو على يمين الباب المؤدي الى المخدع المدفون فيه الشيخ عدي ويعرفه اليزيدية بالشيخ بركات (بسكون الراء) الا أنهم لا يعرفون شيئا عن حياته .

***

﴿ الشيخ عدي بن ابي البركات صخر بن صخر بن مسافر الاموي ﴾

يلقب بأبي المفاخر ويعرف بالكردي لتولده ببلاد الاكراد ، وقد عرفه صاحب كتاب قلائد الجواهر « بالشامي الاصل والهكاري المولد والدار » وترجمه بما هو بالحرف :

« الشيخ الاصيل ، كان من أعيان مشائخ العراق المعتبرين . صاحب كرامات وأحوال الى ان قال عنه : صحب والده وأخذ عنه ، ولقي غير واحد من مشائخ الشرق ، وانتهت اليه الرياسة في وقته في تربية المريدين بجبل الهكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد .

كان ظريفا ذا سمت وحياء ، محبا لاهل العلم ، وافر العقل ، شديد التواضع ، وأجمع العلماء على تبجيله واحترامه وقصد بالزيارات ، واشتهر ذكره في الآفاق ، ولم أقف على تاريخ ولادته ووفاته .

إن اهمال كتب التاريخ تعيين وفاة الشيخ ابي المفاخر وولده الشيخ ابي البركات يجعلنا في تردد في تقدير سني توليهما المشيخة في هذه الرواية ، واذا فرضنا ان الشيخ حسن المتولد سنة ٥٩١ والمتوفي سنة ٦٤٤ كانت مشيخته نصف مدة حياته فيكون تاريخ وفاة الشيخ ابي المفاخر سنة ٦١٤ او ما يقاربه وعلى هذا التقدير تكون مشيخة كل من الشيخ ابي البركات وابي المفاخر ستين سنة ، وقد قضى الشيخ ابو البركات الشطر الأكبر من هذه المدة بالمشيخة بعد ان عرفناه مات مسنا .

ويجوز لنا الاعتقاد أن هذه المدة هي خير ما لاقته الطريقة العدوية في حياتها من ازدهار واشراق بعد وفاة عميدها ، وقد ظلت محافظة على صفاء جوهرها ، ولم يعرف الفساد والزيغ طريقاً اليها .. وظل هذان الشيخان دائبين على حسن سلوكها مقتفين اثر الشيخ عدي في الدعوة الى الاصلاح ومحاربة الضلال والجهل الى أن ظهر الشيخ حسن ، وهناك دب فيها الفساد وغير صفاءها .

والشيخ أبو المفاخر هذا هو الذي جعله أحد الرهبان النصارى واسمه « راميشوع » موضع قصة تاريخية كتبها الى صديق له في دير مار ميخائيل وساق نسبه الى القبيلة التيراهية المجوسية وإن أباه ـ وأراد به الشيخ أبا البركات ـ كان راعياً لأغنام دير مار

يوحنا ويشو عسبران الذي بنى الشيخ عدي زاويته عليه . وسنورد هذه القصة مع تعليقنا عليها في الحاشية الآتية .

﴿ الشيخ حسن ﴾

هو ابن أبي المفاخر الشيخ عدي الثاني شمس الدين أبو محمد الحسن ويلقب بتاج العارفين. ولد سنة ٥٩١ هـ وانتقلت اليه الشيخة من أبيه الذي لم تعلم تاريخ وفاته .

كان الشيخ حسن يمتاز بمواهب خارقة وذكاء نادر . عبر عنه مؤرخ (١) أنه ذو رأي ودهاء ، وله أدب وفضل وشعر وتصانيف في التصوف . وقد اختلى ست سنوات صنف فيها كتابه « الجلوة لأهل الخلوة » أودع فيها عقيدته التي خالف فيها مبادىء الاسلام . وقد فقد الكتاب ولم يعلم شيء عنه .

ونرجح انه اتصل بالشيخ ابن عربي (٥٥٠-٦٣٨هـ) عند تردده الكثير الى الموصل ، وكان ابن عربي يقيم حينذاك بالجامع النوري يصنف كتابه « التنزلات الموصلية » ومنه أو من غيره انتقلت اليه عقيدة وحدة الوجود فأودت به الى القول بالرجعة والحلول ، وبنى عليه مذهبه الذي عرف به فلاقى في نفوس أصحابه قبولا ، واعتقدوا به وأكبروه ورفعوا به الى منزلة ما فوق البشر ، وأدخلوه في عداد آلهتهم السبعة وسموه دردائيل .

إن قيام الشيخ حسن بهذه الدعوى مما أيده المؤرخون الذين تكلموا عنه ، حتى نبزه أحدهم بالمتأله . وبعد أن وجد نفسه بهذه المنزلة ، وفي جانبه جماعات كبيرة من المريدين يدينون به ، رأى ان ينفذ منوياته التي طالما تختلج في صدره ، وهي ايجاد انقلاب واسع في الدين والعقيدة والسياسة وفي كل شيء . أليست الغاية من وضعه هذا الدين هي تهيئة الأسباب التي تمكنه من ايجاد هذا الانقلاب ؟

بدء الصراع بين الشيخ حسن ورجال الحكم في الموصل : كانت الدعوة التي قام بها الشيخ حسن يرمي فيها الى غايتين على جانب من الخطورة ، الأولى : ايجاد انقلاب ديني واسع والقضاء على الشيعية التي يحمل لها العداء الشديد ، وقد ورث هذا العداء

---

١) صاحب فوات الوفيات

من آبائه الأمويين . الثانية : الوصول الى الحكم واحياء مجد الأمويين في بلاد الجزيرة وجبال الهكارية ثم التوسع في الملك . فكان صراع شديد ينذر بالخطر على هذه البلاد ولا سيما بلاد الهكارية مهد ظهور هذه الدعوة .

كانت سلطة الحكم بالموصل بيد بدر الدين لؤلؤ (١) فلم تخف عليه هذه الحركة وما تنذر به من خطر يهدد ملكه وأخذ يعمل على مقاومتها وخنقها وهي في مهدها واستمال بالحزب الشيعي في الموصل وعمل على تقويته وضمه الى جانبه وهي سياسة تدل على فطنة ودهاء عظيمين. ونحن لا نعتقد ان أرمنيته أوجدت في قلبه فراغا لحب البيت العلوي وشيعتهم ، وما إشادته القباب على أضرحة الأئمة والسادات العلويين في الموصل وجعل قبورهم مزارات وإرساله الخلع والهدايا الثمينة طيلة مدة حكمه الى مشهد الامام علي في النجف إلا قصد التزلف الى الشيعة وكسب ودهم .

وقد اشتد التنافس بين الحزبين الشيعي والعدوي في الموصل فكانت فتن عظيمة ذهب فيها نفوس كثيرة ، حزب مدفوع من زعيم له يعتقد فيه الألوهية ، هدفه نشر مبادئه وتحطيم المبادىء التي يراها مخالفة له لتأمين أسباب وصوله الى الملك ، وحزب يدافع عن نفسه وعن مبادئه من عدو لدود يرى هلاكه على يده اذا ما فاز عليه .

كان التحمس الذى يبديه الحزب العدوي في دعوته من شأنه ان يضمن له النجاح في هذا الصراع ، إلا انه كان يعوزه شيء من الأناة والتروي ريثما تنضج دعوته ويقوى جانبه ، فكان تسرع الشيخ حسن في إظهار منوياته التي لم يطق صبراً على كتمانها ،

---

١) كان ارمنياً مملوكا لنور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل . دبر دولة استاذه ودولة ولده الملك القاهر بن عز الدين مسعود ، فلما مات القاهر سنة ٦١٥ﻫ أقام ولده نور الدين ارسلان شاه بمحله صورة وبقى أتابكه الى ان مات بعد قليل فاستقل هو بالسلطنة وتوفي سنة ٦٥٧ عن عمر يناهز الستة والتسعين سنة ودفن بالموصل ثم نقلت رفاته الى مشهد الامام علي (ر.ع) ، وكان يظهر التشيع ويتعصب للشيعة . وكان يبعث كل سنة الى مشهد الامام (علي) بقنديل ذهب بألف دينار ، وشمعدان مطعم بالذهب والفضة . وقيل انه نذر في اوائل أمرة انه كلما عاش سنة وهو ملك الموصل يكون للمشهد عليه قنديل . ولما مات عد ما ارسله الى المشهد فبلغ اربعين قنديلا واربعين شمعدانا وعليها اسمه ، وكان مع ذلك يبعث الى المشهد بالصدقات الكثيرة .

ويروى انه لم يكن محمود السيرة ، ولا سالماً من الجريرة . وكان كثير القتل والتشويه ، ولم يكن قتله الشيخ حسناً الا خوفا من ان يتغلب عليه ويزيله عن ملكه الذي ملكه بصورة غير مشروعة .

ثم تركه مركز دعوته (لالش) وإقامته بالموصل مما أدى الى فشله ، اذ يحدثنا التاريخ أن (بدر الدين) قبض عليه وسجنه ثم خنقه بقلعة الموصل (سنة ٦٤٤) وقضى على حركته التي لو كتب له النجاح فيها لكان خطرها عظيما .

تطور الحالة بعد مقتل الشيخ حسن : لم يكن بدر الدين مطمئناً من استقرار الحالة في جبل هكار بعد قتله الشيخ حسناً ، وكان يخاف من نشوب ثورة عنيفة يقوم بها أولاد عدي تزلزل ملكه ، وأخذ يوالي حملاته على لالش وينكل بهم، وآخر حملة أرسلها كانت سنة ٦٥٢ فقاتلتهم قتالا شديداً وقتلت منهم جماعة وأسرت جماعة ، فصلب منهم مائة وذبح مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل وأرسل من نبش عدياً من ضريحه وأحرق عظامه (١) .

ان بدر الدين مع حاجته لاتخاذ اجراءآت قوية لاخماد هذه الحركة والقضاء على أماني البيت العدوي ليأمن على سلامة ملكه ، لم يكن مصيبا فى نبشه عديا من قبره وإخراج عظامه وإحراقها ، فقد أجج بعمله هذا نار الحقد الكامن في نفوس أصحابه وزادهم تمسكا بمبادئهم ، فاتسع مذهبهم وعمل به معظم سكان الجبال الأكراد ولا يزال أثره باقيا حتى يومنا هذا ، وقد ورث أصحاب هذا المذهب البغيض والعداوة لأهل الاسلام كافة ولم يتصافوا معهم يوما ويطمئنوا اليهم .

مصير البيت العدوي : كان رجال البيت العدوي يتمتعون بجاه عظيم وقدر رفيع ، ويعيشون فى ترف ورخاء ونعيم لاقبال الناس عليهم ، وتقربهم بصفوة أموالهم اليهم ، وكان الأدب والعلم شائعا بينهم ، وقد حفظ التاريخ أسماء البعض منهم وغفل عن ذكر الآخرين . ولما حلت النكبة بهم بقتل بدر الدين عميدهم الشيخ حسنا ، وتوالي حملاته عليهم وتنكيله بهم، تركوا مواطنهم وتفرقوا فى البلاد حفظا لأرواحهم وصيانة لكرامتهم، ويحتمل أن كثيراً منهم قتل فى هذه الحملات ولم يعرف شيء عنهم . فأول من عرفناه هاجر من البيت العدوي (شرف الدين محمد) بن الشيخ حسن ، فقد التحق بخدمة السلطان عز الدين كيكاوس بن غياث الدين السلجوقي صاحب مملكة الروم بناء على

---

١) الحوادث الجامعة لابن الفوطي .

دعوة منه له ، وذهب (زين الدين يوسف) بن شرف الدين محمد وهو لا يتجاوز سن العشرين ومعه ولده الصغير (عز الدين) الى الشام ، فأنعم عليه بأمرة كبيرة فلم يقبلها وآثر الانقطاع في قرية « بيت فار » القرية التي خرج منها الشيخ عدي الكبير ، ثم ترك الشام وذهب الى مصر وأسس له زاوية في القاهرة ، ثم سجن لسبب ما كان يدور حوله من الشائعات بأنه يسعى وراء الملك ، ثم أفرج عنه بعد ان أعتقل ثلاث سنين وتوفي في القاهرة ودفن في زاويته .

أما ولده (عز الدين) فقد نال عدة إمارات في الشام ، ثم آثر الانقطاع في المزة ، ثم سجن لعين السبب الذى سجن أبوه من أجله ومات في السجن .

وذهب (الشيخ مند) ـ ولم نتمكن من معرفة درجة قرابته من الشيخ حسن ـ الى الديار الحلبية ونشر فيها المباديء اليزيدية بين أكراد « القصير » قريباً من انطاكية وفى « الجومة » و « كلس » (١) ، ونالت اليزيدية توسعاً وإقبالا على عهد الجراكسة في حلب . وتقلد أحد أحفاد الشيخ منـد أمارة لواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية (٢) وأصبحت الديار الحلبية من أهم المناطق التي انتشرت فيها اليزيدية .

وهكذا تفرق رجال هذا البيت في مختلف الانحاء لا سيما في الانحاء الكردية ، فمنهم من اقتصر على نشر المباديء اليزيدية ، ومنهم من عمل لنيل الملك ولكن تحت ستار الدين . إلا ان النجاح لم يكتب لأحد منهم .

***

اننا لا نرى في خروج البيت العدوي ومطالبتهم بالملك شيئاً يدعو الى الاستنكار وهم أحفاد الملوك المروانيين وورثوا عزهم ومجدهم ، ومن حقهم ان يطالبوا بملكهم الذي أضاعوه ويسعون في استرجاعه ويرون الدولة العباسية قد أخذت تنهار وتنتهبها الايدي من كل جانب . فقد دخلت مصر والشام في أيدي عصابة من مماليك الاتراك جيء بهم بالامس القريب من بلاد القبجاق وبيعوا في اسواقها بيد النخاسيين ، وبلاد الجزيرة بعد

---

(١) شرفنامه
(٢) تاريخ اعلام النبلاء للاستاذ الطباخ (٥ : ٣٥٥)

ان كان يحكمها « الاتابكيون » وهم من مماليك للبيت السلجوقي دخلت بيد « بدر الدين لؤلؤ » المملوك الأرمني الذي حكمها بالنار والحديد ، وما يقال عن البلاد العربية يقال عن مملكة الروم وبلاد فارس وغيرها من الاقطار والممالك التى كان يشملها الحكم العباسى ، ودخلت فى أيدي أناس دخلاء لم يكن لهم سابقة فى الحكم .. إذن أليس من حقهم أن ينالوا نصيباً من هذا الملك المتداعي وهم أحق به من غيرهم ؟

إننا لا نشك بان نفوسهم الكبيرة كانت لا ترضى لهم بهذه المذلة بل تحفزهم للقيام بمطالبة ملكهم المضاع ، ولديهم قوة كبيرة من الاتباع والمريدين الذين يستعذبون الموت فى سبيل نصرتهم ، وقد زادت صلة هؤلاء الاتباع والمريدين بهم قوة ورسوخا بعد ان جعلوهم يدينون بالعبادة لهم . وقد سلك « الشيخ حسن » هذه الطريقة عندما أعوزته العصبية ولم يكن له من بني جلدته قوة يعتز بها . غير أن هذه الطريقة كان لها خطورتها ، ولم يكن ليلاقي صاحبها حالة وسطى ، فاما نجاح يرفعه الى الملك ، وإما إخفاق يسوقه الى الموت . وقد أخفق ومات وقبرت أمانيه معه .

ماذا تكون النتيجة لو كتب للشيخ حسن الفوز والنجاح فى دعوته ؟

وماذا تكون نتيجة دعوى يقوم بها رجل موتور أقصى همه الانتقام لاهل بيته الذين سلب منهم ملكهم ، ونكبوا فى عزهم وسلطانهم ، وقد أصبحوا أصحاب طريقة تصوفية يعيشون على ما تجود به أيدي أتباعهم ومريديهم عليهم من نذور وخيرات وصدقات ؟ والبيت الاموي لم يخلق لهذا بل خلق للجاه والسلطان ، خلق أبناؤه ليكونوا ملوكا ، وهذه الفكرة لا تزال تدور فى رؤوسهم منذ خمسة قرون ، ولا يزالون يسعون في تحقيقها ولذلك فالذي نراه ان لو ساعدهم الحظ ونالوا أمنيتهم لأوجدوا انقلابا عظيما فى النظم الدينية والسياسية والاجتماعية ، وأصبح لمذهبهم نوبة تنهزم أمامها بقية المذاهب وينالها الشيء الكثير من الخذلان .

ولا نخطيء اذا قلنا ان كارثة المغول التى حلت بهذه البلاد ـ وذلك فى نفس الوقت الذى قام به البيت العدوي بهذه الدعوة ـ كانت أهون شراً وأقل خطراً مما لو نال هذا البيت الفوز في دعواه لا بالنسبة الى الشيعة الذين يضمرون لهم العداوة والبغضاء منذ

زمن بعيد فقط ، بل الى طوائف السنة ايضا الذين يخالفونهم بالعقيدة والمبدأ ويرونهم خارجين عنهم ، وسوف لا يكون عملهم مع أهل الشيعة الذين يدينون بحب علي وأهل بيته أقل وطأة من عمل الشاه الصفوي مع أهل السنة الذى شاهده التاريخ بعد مرور ثلاثة قرون .

واذا كانت شرذمة قليلة منهم حافظت على بقائها طيلة هذه المدة وكان لها من الخطر الذي شاهدناه على حالة الأمن في هذه البلاد وأعجزت الحكومة العثمانية عن صد عدوانها ولا يزال بقاؤها ينذر بالخطر المستمر على المنطقة الجبلية في سنجار ، فماذا كان أمرهم فيما لو قبضوا على زمام الحكم في هذه البلاد وحصلوا على مبتغاهم ؟ لا شك ان أمرهم كان يضحي عظيما .

علمه وأدبه : أقام الشيخ حسن طريقته على مبادىء غاية في الاتقان ، وقد مر عليها سبعة عصور تماما ولا تزال تحافظ على أصلها . ولو وصل الينا كتابه (الجلوة لارباب الخلوة) لعرفنا أهدافه التى رمى اليها في وضع هذا الدين والآراء والنظريات التي أتبعها ولا شك أنها كانت على جانب من الخطورة وهي التى أوجدت هذا الانقلاب في الحياة الدينية في هذه الطائفة ويجوز ان كان له مؤلفات اخرى غير كتاب الجلوة ذهبت جميعها أثناء الحملات التي وقعت على لالش ولم يبق لها أثر .

وكان ينظم الشعر ويودعه احساساته وهو يضاهي شعر بن عربي وابن الفارض برقته وانسجامه والنزعة التصوفية الظاهرة عليه لو لم يكن قد دخل عليه من التحريف ما أخل به ، فما اقتبسناه من شعره القصائد الآتية(١) :

تجلت لنا ليلى ونحن على الشعب ... وأول قلب هام في حبها قلبي
نظرت معانيها وحسن صفاتها ... وقد علمت ما بي ولم يعلموا صحبي

ومنها :

وإن كان ذنبي يا عواذل حبها ... خذوا حسناتي واتركوني على ذنبي

---

١) اقتبست هذه القصائد وقصائد اخرى تروى عن لسان الشيخ عدي الكبير والشيخ زين الدين من مجموعة اشعار عثرنا عليها عند احد شيوخ اليزيدية في سنجار وهو من شيوخ اسرة الشيخ حسن ونرجح انها ترجع الى العصر الثامن الهجري .

على جانب الوادي ومنعرج اللوى غزال كحيل الطرف مسكنه قلبي
وأنى لمشتاق الى من أحبه كما اشتاق يعقوب الى ساكن الجب

وله (١) :

خليـلي إني للغرام حمـــول عن العهد والميثاق لست أحول
وقد خانني دهري ولم أر مسعدا وقل اصطباری والزمان طويل
ولا أحد أشكو اليه صبابـتي وما نال قلبي من جوى وغليل
فبالله يا حادي اذا جزت (لالشاً) سلامي على تلك الرسوم حمول
وعاينت أقمـاراً بدوراً طوالعـا وحسن قدود كالغصون تميـل
وغنج عيـون والتفات شمائل وأسياف لحظ فى القلوب تجول
عسى يرحمون اليوم صبا متيما طريحا بأسياف الغرام قتيــل

وله :

لا تمزج الراح بالماء الزلال فما يجوز أن تمزج الصهباء بالماء
لأنها ولدت في الأصل منه وما يجـــوز تزويج أبنـاء بآباء
واسمع هديت كلامي أنني رجل ما كان يعرف شرب الراح لولائى
منها خلقت ومنى كان منشؤها وقـــد تمازج آباها بآبائى

وله (٢) :

أعد ذكر من حل الثنية بالسقط وحـدث . . . . . . (٣)
وصف بعض ماعاينت من فرط حسنه وأياك يا غاوي المحاسن ان تخطى

---

١) من المرجح ان يكون ناظم هذه القصيدة الشيخ زين الدين بن الشيخ شرف الدين حفيــد الشيخ حسن نزيل مصر.

٢) هذه القصيدة هي من اروع ما نظمه الشيخ حسن وعليها مسحة تصوفية ظاهرة الا ان ايدي النساخ قد عبثت بها ، كما عبثت في قصائده الاخرى وقد اثبتناها مع المحافظة على الاصـل . وقد نسب له صاحب فوات الوفيات بيتين من الشعر احدهما جاء فى هذه القصيدة ، وقد جاء ايضاً محرفا والآخر لم يرد وهذان هما البيتان :

سطا وله فى مذهب الحب ان يسطو مليح له في كل عارضـة قسط
ومن فوق صحن الخد للنقط غاية تدل على ما يفعل الشكل والنقط

٣) لم يقرأ في الاصل.

أياسعد واعدل نحو منعرج اللوى ... عسى ان ترى المحبوب بالذابل الخط
على خده بالشكل والنقط آية ... تدل على ما يفعل الشكل والنقط
اليها تناهى كل معنى وصورة ... له دولة فى الحب رفعا وكم حط
يلوح على خديه من نور قرطه ... شعاع فيا لله ما فعل القرط
تبسم عن در فقلت لصاحبي ... عقيقا ودراً بات يحويها سمط

وله (١) من قصيدة مطلعها :

كم قلت لما شربت الراح مصطبحاً ... لمن ألوم وفرط السكر يلعب بي
وصرت فرداً بلا ثان أقوم به ... وأصبح الكون والأكوان تفخر بي
أليس منشأ ذات الخال ويحكمو ... مني ومجمعنا فى ذروة النسب
فأن ظهرت فذات الخال ظاهرة ... وإن خفيت فاني غير محتجب
فانظر إلي اذا ما رمت رؤيتها ... وحيث كنت بها يا صاح فارتقب
وكل معناي معناها وصورتها ... كصورتي وهي تدعى إبنتي وأبي

وله :

لام العذول على الحبيب وما درى ... أن الملام يزيد فيه تحيرا
وبدا يعنفني ويزعم أنني ... أصغي اليه وذاك أمر مفترى
كيف السلو وقد تملك مهجتي ... رشأ سبي بالحسن أصناف الورى
ساجي اللواحظ لو بدا لمعنى ... يوما يساعدني عليه وأغدرا
حلو الشمائل كالقضيب قوامه ... يجفو فيجفو ناظري طيب الكرى
بعت الهدى والرشد فى عشق له ... بطل له فضللت فيه مكاثرا

وله :

لله ليلتنا والدار جامعة ... ونحن فى لذة ولت ولم تدم

---

١) وهذه كالقصيدة التى قبلها الا ان التحريف فيها قليل . وقد نسب ابن طولون الحنفى الصالحى بيتين منها اليه عندما ترجمه استطراداً في ترجمة محمد بن موسى بن محمد العدوي وهما هذين :

وصرت فرداً بلا ثاني اقوم به ... فاصبح الكون والاكوان تفخر بى
وكل معناي معناها وصورتها ... كصورتي وهي تدعى ابنتي وأبي

والراح نشربها من كف غانية	اذا بدت خلت بدراً لاح في الظلم
تجلو علينا مداما مثل وجنتها	قد حللت شربها في الأشهر الحرم
حلفت لما لحى اللاحي بقامتها	أن لا أحول وتبريحي عن السقم
وقلت إذ ملكت رقي وما رحمت	ذلي وقد علمت ما بي من الألم
الأمر أمرك بعد الله فاحتكمي	إن صمت صمنا و إن أفطرت لم نصم(٤)

الرجوع الى الشيخ عدي الكبير :

بعد ان كتب الفوز لصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ على منافسيه البيت العدوي وقتل من قتل منهم ، وفرق شمل الباقين منهم وخرب زاويتهم ، صفى الجو للأحزاب المعادية لهم وأخذوا يطلقون ألسنتهم فيهم ، ويكثرون من توجيه المثالب اليهم ، وكان نصيب الشيخ عدي من هذه المثالب اكثر من غيره . وقد مر بنا كيف انتبشه بدر الدين وأخرج عظامه وأحرقها وهو لا يستحق هذه الاهانة . واذا كان الذين خلفوه زاغوا عن عقيدتهم وسلكوا طريقا يخالف ماجاء به الشرع الاسلامي فلم يكن هو مسؤولا عنهم .
والتاريخ يدلنا على أنه انتبش من قبره غير مرة عندما كان أصحاب السلطات الحكومية والقبيلية يهاجمون أتباعه وينالون منهم ؟ وهذا لم يسبق لصاحب طريقة غيره في الاسلام مطلقا . وقد أراد أصحاب الاحزاب المعادية لهذا البيت ان يزيدوا في إساءتهم اليه وأخذوا يذيعون على لسان الشيخ عدي بعض المنظومات والقصائد التي تدل على دعواه بالألوهية ليلقوا في أذهان الناس كفره ، وأنه هو الذي ساق قومه الى الضلال وأبعدهم عن الاسلام . يقول الامام ابن تيمية في وصيته الكبرى «وغلوا في الشيخ عدي باشياء مخالفة كان عليه الشيخ عدي الكبير » ووضعوا على لسانه « أشياء باطلة نظما ونثراً خلافاً لما كان عليه » وهذا النوع من الدعاية كان له أثره في أفكار العامة من الناس في ذلك العصر ، فلهجوا بهذه المنظومات والمنثورات واكثروا من الطعن بعدي باعتباره

---

١) هكذا وردت هذه القصيدة ونسبها صاحب المجموعة الى الشيخ حسن . والشطر الاخير منها وهو « ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم يدور على ألسن الادباء وقد ضمنه الشاعر بن حجلة المغربي المولود سنة ٧٢٥ في بيتين من المجون جاءا في ديوان الصبابة على هامش تزيين الاسواق ص٢٤٢ مما يجعلنا نتردد في نسبة هذه القصيدة الى الشيخ حسن او يكون هو قائلها وقد ضمن هذا الشطر.

قائلها ، واذا كان البعض لم يعتقد بصحتها ولكن لم يكن بوسعه ان يصرح باعتقاده خوفا من ان يتهم بالميل الى البيت العدوي وينالهِ الاعتداء .

وقد مرت العصور والناس على سوء الظن بعدي والاعتقاد بشركه ولم يظهر من يدافع عنه عدا ما رأيناه من الامام ابن تيمية ، الرجل العظيم الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم.

وعندما كثر البحث عن الطائفة اليزيدية في عصرنا هذا ، تجدد القول عنه وأخذ بعض المستشرقين المتطفلين على البحث عن الاسلام ورجال الاسلام يبحثون عنه وعن حياته الدينية وظهوره وينشرون القصائد المروية على لسانه ويعلقون عليها ويحكمون بها على كفره ، وهم أعجز من ان يدركوا حقيقته ويدرسوا عقيدته ، وكلما قالوه عنه استندوا فيه على أقوال جماعة من رجال الكنيسة فى ما بين النهرين الذين يحملون البغض والكراهية لهذا البيت .

إن من أهم القصائد التي يروونها عن لسان الشيخ عدي هي التى تبدأ بقوله :

علمي أحاط حقيقة الأشياء　　　　وحقيقتي قد مازجت آيائي

وهذه القصيدة وإن لم تكن لتخرج عن فحوى القصائد المروية عن لسان بعض المشائخ الصوفية من أصحاب عقيدة وحدة الوجود ، فعدي لم يكن من هذا النوع من المشائخ وهو ظاهري محض يعمل بالسنة والحديث اكثر منه باطنياً ، وقد تناول هذه القصيدة المستشرق الفرنسى (ف . نو) في كتابه (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) والكاتب الانكليزي السر برسى بادجر في كتابه (النساطرة) وغيرهما وحكموا بها على كفره .

فمن أين أتى هؤلاء المستشرقون بهذه القصيدة والقصائد الاخرى المروية عن لسان الشيخ عدي مع ندرتها ؟ فيجوز أنهم أخذوها من اليزيدية عندما كانوا يكثرون التردد اليهم دون ان يشعروا بهم ، او أخذوها من بعض النصارى الذين كانوا يأتمنونهم ويوقفونهم على كتبهم . أما في الكتب الاسلامية فلا وجود لها البتة وقد وجدتها فى مجموعة الأشعار القديمة التى أشرت اليها فأخذتها منها مع قصائد أخرى سأبحث عنها .

إن هذه القصيدة لم تبق على أصلها وقد لعبت بها أيدي النساخ وأدخلت عليها أغلاطاً فادحة ، وهذه هي :

علمي أحاط حقيقة الأشياء ... وحقيقتي قد مازجت آيائي
وجميع من في الكون تحت مشيئتي ... مذ صار في البأساء والضراء
وأنا الذي قد قلت قولا صادقا ... وأنا الحكم حاكم البطحاء
وأنا الذي سجد الرجال لعزتي ... وأتوا إلي وقبلوا قدمائي
وأنا المفيض على السموات العلى ... وأنا الذي قد صحت في البيداء
وأنا الذي قد صرت فرداً واحداً ... وأنا بذاتي أظهر الأشياء
وأنا الذي جاء الكتاب مبشراً ... من ربي . . . . . (١)
وأنا الذي جاء الرجال بأسرهم ... طوعا إلي وقبلوا قدمائي
وأصبحت ألثم من سلافة ريقه ... شهداً وقد دارت على الندماء
وبنوره أصبحت مصباح الدجى ... أهدي لمن طلب الهدى بهدائي
وأنا الذي أسكنت آدم جنتي ... وأسكنت نمرود نار لظائي
وأنا الذي أهديت آدم صفوتي ... وهديته لطريقتي وهدائي
وأنا الذي كل الوجود بأسره ... يأتوا إلي يقصدون عطائي
وأنا الذي حزت المعالي كلها ... والجود والاحسان من نعمائي
وأنا الذي خشت القلوب لسطوتي ... وجلت لقوة هيبتي وجلائي
وأنا الذي قد جاءني سبع الفلا ... . (٢)
وأنا الذي الثعبان نحوي قد أتى ... . (٣)
وأنا لكزت صخرة أرعبتها ... وأفضت من خباها أعذب ماء
وأنا الذى أنزلت حقاً صادقا ... مني كتابا أهدى الثقلاء
وأنا الذى أشرعت شرعا حاكما ... لما شرعت فكان من إعطائي

---

١) لا يقرأ في الاصل .

٢ و ٣) فيهما اشارة الى ما يقال من (ان الحيات والهوام والسباع كانت تأتيه وتأنس بصحبته) والشطرين الاخيرين من هذين البيتين لا يقرآن في الاصل .

وأنا الذى آجريت عيناً ماؤها ... أحلى وأعذب من جميع الماء
وأنا الذى أظهرتهـا بتلطـفي ... وبقدرتي سميتها « البيضاء » (١)
وأنا الذى قد قال لي رب السما ... أنت الحكم حاكم البطحاء
وأنا الذى أظهرت بعض عجائبي ... من بعض فضلي تظهر الأشياء
وأنا الذى شم الجبـال قد عنت ... طوعا تروم محبتي ورضـائي
وأنا الذى بكت الوحوش لهيبتي ... عادوا سجوداً قبلوا قدمائي
وأنا (عدي) الشام ابن مسافر ... قد خصني الرحمن بالأسمـاء
والعرش والكرسي، وسبعاً والثرى ... في طي علمي لا إله سـوائي
من هذه الاشياء تعلم قدرتي ... فلأي شيء تنـكرون علائي
لا تنكرون يا رجال وسلموا ... بعد القيامة تسعدوا بلقـائي
من مات في مغرماً ألقيته ... وسط الجنان مشيئتي ورضائي
وأنا الذى من مات عني غافلا ... يلقى العـذاب بذلة وعنـاء
وأنا أقـول بأنني فرد صمد ... أخلق وأرزق من أشاء برضائي
سبحان ذاتي والأمور مشيئتي ... والكون قد أشرق ببعض عطائي
اني أنا الملك المعظم شأنه ... وجميع رزق الخلق تحت يدائي
أخبرتكم يا قـوم بعض طرائقي ... من زارني يخرج عن الدنياء
وأنا الذي قد قلت قولا صادقا ... فالجنة العليـا لأهـل رضائي
وأنا طلبت الحق صرت محققاً ... ويحـق مثـلي يملك العليـاء (٢)

١) أراد بها (العـين البيضاء) فى لالش، وحسب معتقـد اليزيدية ان ماءهـا يأتي من بيت المقدس ويسمونها (عين زمزم) وفي القلائد (ص٨٦) في البحث عن كرامات الشيخ عدي : «... فضرب برجله صخرة فتفجرت من ماء النيل ..» ا . هـ .

٢) نشر كاتب عراقي سلسلة مقالات في عدد ٦ و ٧ و ٨ من مجلة « اليقين » البغدادية المحتجبة في سنتها الثـانية عربها عن كتاب (معتقدات النسطوريين) للـكاتب الانكليزي جي . جي بادجر المطبوع سنة ١٨٤٢ فيما يتعلق بمعتقدات اليزيدية أتى فيها على ترجمة لهذه القصيـدة وهي توافق النص العربي الذى بيـدنا تبدأ بقوله : « ان حكمتي تعرف الاشيـاء ، وامتزج صدقي بي . ان اصلي من نفسي ، لم يكن الشر معي ، جميع الخلائق رهينة أمري . بي كان العـالم المسكون والصحارى ، كل مخلوق خاضع لي ، أنا القائل الـكلام الصدق ، أنا موزع القوى ووازع الـكون ... » ا . هـ

ونحن لا يهمنا ما في هذه القصيدة من ركاكة واسفاف فضلاً عما هي عليه من اختلال الوزن والقافيـة ، والأغـلاط النحوية واللغوية المضحكة الفاضحة(١) بل الذي يهمنا ما احتوته من غلو فاحش في دعوى الالوهية ونسبتها الى الشيخ عـدي بن مسافر الذي أجمع علماء عصره على صلاحه ، وفيها من الأقوال ما لا يصح صـدوره إلا عن لسان أشد الناس زيغاً وأعظمهم إلحاداً وكفراً . وليس أسخف ممن يريد أن يجعل لقائلي مثل هذه المنظومة عذراً بأنها قد تصدر عن لسانهم في حالة الغيبوبة ، وقد استولى عليهم الوجد وفنيت مشاعرهم في وحدة الذات الالوهية ، ولا يقولها إلا مخارق يريد أن يستهوي السذج من الناس ، او قد أصيب في عقله بمس من الجنون .

والشيخ عدي رضي الله عنه براء من كلتا هاتين الحالتين . ولننظر الى القصيدة الآتية وقد تنسب اليه ايضاً ومطلعها :

غير بنت الكروم يا ابن الكريم . . . .

يقول فيها :

يعلم العالمون أن علوم الناس فيها من بعض بحر علومي
سدرة المنتهى محـل مناجاتي فلهـذا أنا السميع العليم
عز قدسي وجل إسمي ، أنا الجنـة راجي ، والنـار حر سمومي
سجدت لي الأفلاك حـتى تعاليت ، بسجود الخـدام للمخـدوم
وجميع من في الوجود قال لي : يا رب أهدنا الى الصراط المستقيم

ويقول :

والبرايا طويتها بعد نشر طي فتيان كهفها للرقيم .

---

(١) من ذلك ما جاء في البيت الاول كلمة (آبائي) بدل (آباتي) ، وفي قافية البيت الرابع (قدمائي) بدل (قدماي) على ان قدماي ايضا غلط في الاعراب لانه في موضع المفعول فيجب ان يقال وقبلوا قدمي . وفي البيت الخامس عشر كلمة (وجلائي) بدل وجلالي . وفي الشطر الثاني من البيت التاسع عشر (كتابا اهدى الثقلاء) فبدل (الثقلين) بالثقلاء . وفي البيت الثاني والعشرين (تظهر الاشياء) فالقافية تقتضي كسر الهمزة والاعراب يقتضي ضمها لانها في موضع الفاعل . وفي البيت الخامس والثلاثين (تحت يداي) بدل يداي ، على ان يداي ايضاً غلط في الاعراب لانها مضاف اليه فيقتضي ان يقول : تحت يدي . وفي البيت الذي بعده : (عن الدنياء) بدل الدنيا . وفي البيت الاخير : (يملك العلياء) فالقافية تقتضي كسر الهمزة والاعراب يقتضي فتحها لانها في موضع المفعول به.

وأبو مرة اللعين عزازيل أبى السجود فكنيته بالرجيم
شرفي مشرف على كل شيء وأنا الواحد القوي القويم
وأنادي بقدرتي لمن الملك سواي أنا العلي العظيم
آمنوا يا عبادي لا تكفروا بي إنما الكفر من طباع اللئيم
أنا أسقي الكفار ناراً حميا والذين آمنوا بي من التسنيم
وعدي أنا . . . . . ومن سار أمامي ومن . . . . مأموم

وهذه القصيدة ايضاً لا تقل غلواً وكفراً عن أختها التي سبقتها ، وقد أراد قائلها ان يوهم الناس بصدورها عن لسان (عدي) وأتى فيها على اسمه كما فعل صاحب القصيدة التي سبقتها . والذي يفيدنا من هذه القصيدة البيت الذي يذكر فيه اسم (أبي مرة اللعين) عزازيل الذي عرفه اليزيدية ، أتباع طريقة عدي ، بآله الشر ومجدوه وعبدوه، فهو يدلنا على أن هذه القصيدة قيلت قبل ان تدخل العقيدة الثنوية عليهم عندما كانوا ينظرون الى إبليس كما ينظر اليه أهل الاسلام . ومن هنا يفهم بان كثيراً من المظاهر التي نجدها الآن في الديانة اليزيدية من الخطأ أن نرجعها الى (الشيخ حسن) الذي عرفناه بأنه واضع هذه الديانة ، وقد ثبت عندنا أن هذه الطائفة كانت حتى نهاية العصر الثامن الهجري تدين بالاسلام ، ولم تكن عبادة الشيطان معروفة لديهم ، وقد عرفوها بعد أن دخل العصر التاسع وربما بعده .

ومن الشعر الذي يروى للشيخ عدي قوله :

ذر اللوم والتعنيف في الحب لا تلحا ودعني فاني فيك لا أقبل النصحا
لأني أرى شرب الصبوح فريضة فمش والهاً نشوان سكران لا تصحا

يقول فيها :

سقاني بكاسات الهوى خمرة الصفا فأصبحت فرداً ليس يثبت ما أمحا
فسبحان سبحاني وتعظيم قدرتي وجل جلالي ها أنا مالك البطحا

وقصيدة أخرى مطلعها :

يا نديمي هتكي وأصل جنوني من لحاظ الأتراك قد لحظوني

أنا وحدي فلا آله سوائي ... جل وصفي ، لكنهم وصفوني

يقول فيها :

ورجال التحقيق خروا سجوداً ... وأرباب الحضور قد شاهدوني

هـذه حالة الجهالة حقـاً ... ما عليهم لوم اذا جهلوني

وقصيدة أخرى مطلعها :

علمي علا فوق جميع الخلق ... والكون أصبح يزهو من إشارتي

جاء فيها :

سبحان سبحان سبحاني لقد ظهرت ... أسرار أسرار أسرار الكرامات

وقصيدة أخرى مطلعها :

أنا خلقت رجال الوقت ... والسبع أرضين خلقي والسموات

جاء فيها :

هذي شموسي على الأكوان ساطعة ... تهدي الحيارى وأسراري خفيات

وجاء فيها :

أنا المصور للأرحام كيف أشا ... خلقاً فأظهر من خلقي عجوباني

وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً .

وقصيدة أخرى مطلعها :

أنا مهدي الورى فى الظلمات ... أنا كافى الأكوان فى الكائنات

وهي ايضاً ثلاثة وثلاثون بيتاً .

وقصيدة مطلعها :

أنا ذات الذوات كل الذوات ... أنا كافى الاكوان في الكائنات

أنا رب الأرباب والعرش جمعا ... والسموات جميعها مبتدعاتي

وهي كذلك ثلاثة وثلاثون بيتا .

وقصيدة مطلعها :

أنا الواحد الفرد المقدس سره ... لي الحمد سبحاني تقدس ذاتي

وهى سبعة أبيات .

ويروى عن لسانه قصيدة فى الشعر العامي يقول فيها :

كاساتها من رضاي والكون من ذاتي	والفقر . . . .
أنا الذي كنت وحدي في باب الملك درگاه(١)	وكنت آخذ وأعطي وما خلق ديار
لما حضرت تناسوا مني وخافوا اسطوتي	أحمد وعيسى وموسى وكل من فى الدار
أصبحت في الكون يرجون رحمتي	ومع رجاهم يقولون العفو يا ستار
وعزتي وجلالي وحياة رأسي وقدرتي	جميع أهل السنة فى رحمتي أحرار

﴿ الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين الحسن ابي محمد ﴾
(بن الشيخ ابي المفاخر عدي الأموي)

لم يذكره أحد من المؤرخين عدا أبا الفرح ابن العبري فى تاريخه مختصر الدول وعبر عنه بابن ابي المفاخر عدي وصححه العلامة المرحوم احمد تيمور باشا فى رسالته (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) بانه ابن الشيخ شمس الدين حسن مستدلا على ذلك بما وجده منقوشاً على باب زاوية الشيخ زين الدين يوسف في مصر فى نسبه فقد كتب هناك (زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن شمس الدين حسن) ، يؤيد ذلك التقليد الموجود عند الطائفة اليزيدية ، أما تاريخ ولادته فلم نعلمه بالضبط ولكن بعد ان علمنا ان أباه شمس الدين حسن ولد سنة ٥٩١ وتزوج فى سن العشرين ، يمكننا ان نفرض ولادته سنة ٦١٢ او ما يقارب ذلك ، وعندما توفي أبوه سنة ٦٤٤ كان فى سن الثلاثين . وهذا السن يؤهله لأن يتولى الزعامة على هذه الطائفة بعد أبيه كما احتمله احمد تيمور ، الا ان زعامته لم تكن لتخلو من اضطرابات أولدها له الاختلاف القائم بين الحزبين العدوي والشيعي ، ثم اصرار بدر الدين على التنكيل بأهل بيته لما كان يوجسه منهم من الريبة والخوف . ويجوز لنا الاعتقاد بانه بعد قتل أبيه غادر الموصل وانتقل الى لالش حيث تسنده قوة أتباعه الكثيرين وترك حزبه فى الموصل عرضة لاعتداء مخالفيهم الشيعة فضعف شأنهم ولم يبق لهم قدرة على المقاومة ، اما فى لالش فكان الأمر بالعكس فانهم

١) البواب او الحارس .

جمعوا شملهم وقويت عصبتهم وأخذوا يهددون بدر الدين فى ملكه ويشنون الغارة على بلاده حتى خافهم وجهز قوة كبيرة من عسكره وأرسلها اليهم (سنة ٦٥٥) فأفحشت فيهم قتلا وتدميراً وخربت زاويتهم كما مر بنا ذكره فى البحث عن الشيخ حسن ، وهنا أدرك البيت العدوي عجزهم عن المقاومة فتركوا أوطانهم وتفرقوا في البلاد ، فذهب شرف الدين محمد الى بلاد الروم حيث التحق بخدمة السلطان (عزالدين كيكاوس بن غياث الدين السلجوقي) فأقطعه مدينة (خرتبرت) ثم قتلته المغول سنة ٦٥٥ ولم يتجاوز من العمر اكثر من أربعة وأربعين سنة على أعظم تقدير .

ملحوظة : يفهم من التقليد الجارى عند اليزيدية ان الشيخ حسناً كان له اولاد آخرون غير شرف الدين وهم الذين تولوا زعامة هذه الطائفة بعده ، وقد بقيت فيهم الى حوالي منتصف العصر الحادى عشر الهجري ، ثم أخرجها منهم أولاد (الشيخ ابي بكر) الذي لم نتوصل الى معرفة درجة قرابته من هذه الأسرة . وهم لا يزالون يحتفظون بالزعامة . أما « شرف الدين » فقد انحاز عنهم ، وسلالته أصبح لها حقوق ووجائب غير ما لسلالة الشيخ حسن .

﴿ الشيخ فخرالدين بن الشيخ ابي المفاخر عدي الأموى ﴾

هو من رجال هذا البيت البارزين وقد ذكره ابن العبرى في تاريخه عرضاً ولم يفدنا عنه شيئاً ، وبقينا نجهل حياته الدينية والسياسية ، وأثره في الدعوة التى قام بها أخوه الشيخ حسن ، ومكانته فى الثورة التي قامت بوجهه ، والذي نستدله من التقليد الجاري انه كان رجلا متشرعا ، وله سعة في العلم . وما جاء في الفتوى المنسوبة الى الشيخ عبدالله الربتكي الكردي قوله « وأن مثل هذيانات الشيخ فخر هى المعول عليها ، وهى التى يجب التمسك بها » يمكننا ان نفهم منها أنه ساهم مساهمة كبرى في وضع هذه المبادىء ، إلا ان أحداً لم يتكلم عنه . وقد انحصر منصب الافتاء « المشيخة الكبرى » فيه وفى أسرته وهو حسب معتقد اليزيدية يعد السابع بين آلهتهم السبعة ، وقد ورد اسمه فى « مصحف رش » بالملك « نورائيل » المخلوق يوم السبت وهو خالق الانسان والحيوان والطير والوحش. ولأسرته مكانة مرموقة بين اليزيدية ومنصب «الشيخ الأكبر - بابا شيخ»

المختص بذريته يلي منصب الامارة في الدرجة الثانية .

﴿ الشيخ زين الدين يوسف وولده الشيخ عز الدين ﴾

جاء في كتاب « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » للعلامة المرحوم احمد تيمور باشا المصري في ترجمتها ما هو بالحرف :

« هما رجلان كبيران من آل عدي بن مسافر لم تذكرهما اليزيدية في كتابيهم الجلوة ومصحف رش كما ذكروا الشيخ حسناً. أما زين الدين فهو كما في تحفة الأحباب للسخاوي في الكلام على تربته بالقرافة الصغرى : الشيخ الصالح العارف المحقق الرباني شيخ مشائخ الأسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين محمد بن حسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن الحسن بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . ثم ساق نسبه الى معد بن عدنان ، الى ان قال القرشي الأموي نزيل القاهرة .

والذي يفيد سياق هذا النسب أنه حفيد حسن المتقدم ذكره . غير ان نعت السخاوي له بتلك النعوت يدل على أنه كان في نظره مرضي العقيدة ، بعيداً عما كان عليه جده من المنكرات . ثم ذكر انه توفي سنة ٦٩٧ ، وأن القبة التي على ضريحه وافق الفراغ من عمارتها سنة ٥١٧ (١) ، وأنه قدم الى الشام فأكرم وأنعم عليه بأمرة ثم تركها وانقطع على هيئة الملوك من اقتناء الخيل المسومة والخدم والحشم والملابس وعمل الأسمطة الفاخرة . ثم خاف على نفسه فترك ولده هناك ودخل الى القاهرة وأقام بها فأكرم بها .

وترجمة المقريزي (٧٦٤-٨٤٦) في خططه في كلامه على الزاوية العدوية وابن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩) في مسالك الأبصار استطراداً في ترجمة الشيخ عدي بن مسافر الأموي وذكر انه ابن أخيه (٢) . وخلاصة ما قالاه عنه أنه وفد من الموصل الى الشام وانعم عليه بأمرة كبيرة ثم تركها وانقطع في قرية تعرف بـ « بيت فار » وانغمس في الملاذ والنعم وعاش عيشة الملوك . وحكي أن بعض نساء الطائفة القيمرية (٣) كانت مغراة

---

١) الظاهر ان هنا تحريفاً بالنسخة فان النقوش على باب هذه القبة هي سنة ٧٢٥ كما يأتي (من الاصل) .

٢) في هذا تساهل لان بينه وبين جده صخر اخي الشيخ عدي اربعة آباء ولكن من كان من ذرية شخص فهو ابنه (من الاصل) .

٣) القيمرية وعبر عنهم ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بالقيامرة جماعة من اعيان امراء-

به ، مطنبة في تعظيمه ، مغالية في الاعتقاد بصلاحه ، وأنفقت عليه أموالا جزيلةوكانت غير مصغية لمن يعذلها فيه ، فاحتال عليها اخصاؤها بان حملوها في قفة وأشرفوا بها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك إلا ضلالا ، وقالت إنما يتـدلل الشيخ على ربه وضاعفت له الانفاق . قال ابن فضـل الله : « وحكى لنا شيخنا شهاب الدين أبو الثنـاء محمود الحلبي الكاتب رحمه الله قال : بعثت مع الأمير الكبير علم الدين سنجرالدوادار في أول الدولة الأشرفية (١) فأتيناه وهو في قرية مثل الملوك في قلعتـه للتجمـل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الأطلس وآنية الذهب والفضة والفضار الصيني وأشياء تفوت العد ، الى غير ذلك من الأشربة المختلفة الألوان والأطعمة المتنوعة، فلما دخلنا لم يحتفل بنا ، فأتاه علم الدين فقبل يده وهو جالس لم يقم له ، فبقي الدوادار قائما يحدثه وزين الدين يسأله ، لا هو يجلس ، ولا زين الدين يقول له اجلس ، ثم أمره بالجـلوس فجلس على ركبتيه متأدبا بين يديه ثم حلفناه وأنعم علينا بجملة طائلة تقارب خمسة عشر الف درهم » .

قلت وقد كان تخلف منهم « عز الدين أميران » وأمر بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ثم ترك الامرة وآثر الانقطاع وأقام بالمزة وكانت الاكراد تأتيه من كل قطر بصفاياأموالها تقربا اليه ، ومنهم على ما حكى كان يجلس بين يديه ، ثم أراد الخروج على السلطان وتبعه طوائف من كل بلد وباعوا أموالهم بالهوان واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب ، ووعد رجالا ممن تبعه بالنيابات الكبار ونزل بارض اللجون ، وأتى السلطان خبرهم وأنهم على هذا لم يؤذوا أحداً في نفس ولا مال وانما يبيعون أموالهم بالرخص ويشترون الخيل والسلاح بالغالي ، فأمر « تنكز » (٢) نائب الشام بكشف خبرهم وقص آثارهم ، وأمسك

ـ الاكراد منسوبون الى (قيمر) بفتح القاف وسكون الياء وضم الميم وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ولاحدهم المدرسة القيمرية بدمشق وهي معروف بهذه النسبة وتسمى هذه المدرسـة اليوم بمدرسة (القطط) ويلفظها عامة دمشق القطاط (من الاصل).

١) هي دولة الاشرف خليل قلادون (من الاصل).

٢) هو الامير سيف الدين ابو سعيد الاشرفي الناصري احد مماليك الملك الاشرف ابن قـلاوون عينه والياً على الشام عام ٧١٢ كان شديد البطش ماضي العزيمة نشر العدل والامن في البلاد وأوجد مبرات كثيرة وقد خافه الملك الاشرف ودعاه بالحيلة الى مصر وحبسه وقتله واستصفى امواله التي تقدر ببضع ملايين من الدراهم .

السلطان من كان بالزاوية العدوية بالقرافة الى أن قال « واختلفت الاخبار فقيل أنهم يريدون سلطنة مصر ، وقيل بل كانوا يريدون ملك اليمن ، وقلق السلطان لأمرهم وأهمه الى أن أمسك « تنكز» نائب الشام « عز الدين» المذكور وأودع الاعتقال حتى مات وفرق الاكراد ، ولو لم يتدارك الأمر لأوشك أن تكون لهم نوبة .

وفى الخطط للمقريزي ان القبض على عز الدين كان زمن المنصور قلاوون ، وقال السخاوي سنة ٧٣٣ .

قلنا والذى ذكراه عن الشيخ زين الدين وما كان منطويا عليه من المنكرات يخالف ما نعته به السخاوي من النعوت الجليلة ، وكذلك حادثته مع الشهاب محمود وعلم الدين سنجر وحادثة افتتان احدى القيمريات به ، ذكر السخاوي انما وقعتا مع ولده عز الدين واختلفت أقوالهم في عز الدين فقال المقريزي وابن فضل الله العمرى « وكان تخلف منهم الشيخ عزالدين أميران » أى تخلف بالشام فاقتصروا بالتعريف به على جعله من الطائفة وقال السخاوى أنه ابن زين الدين كما تقدم ، ورأيت له ترجمة فى الدرر الكامنة للحافظ بن حجر جاء فيها انه ابن بنت الشيخ عدى وهذا نصها :

« أميران عز الدين الكردى ابن الشيخ عدى قدم الموصل فولي بها الامرة ، وكان قومه يأتون اليه من كل فج عميق ويتقربون اليه بالاموال ، ثم شاع انهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك من كان منهم بالقرافة ، وكتب الى «تنكز» يكشف أحوالهم ، فأرسل الى عز الدين المذكور ، فسأله عنهم فقال يريدون أن يتفردوا بالمملكة فقال : وما السبب ؟ فقال هذا شيء يتخيلونه فى نفوسهم . فقال له لم لا تمنعهم ؟ فقال يعتقدون فى وفى جميع أهل بيتي ، ولكن حطني بالقلعة يتقلل جمعهم ، ففعل فتفرقوا ، وصاروا بعد ذلك يجيئون الى البرج الذى فيه محبوس فيستنجدون له ، وكان حبسه سنة ٧٣١ ، وكان حسن الشكل ، تام القد ، صبيح الوجه» . انتهى .

هذا ما ذكره صاحب « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » احمد تيمور باشا عن الشيخ زين الدين وولده عز الدين وما لقياه من حوادث على أيدي سلاطين المماليك وعمالهم في مصر والشام . ومن المرجح ان الشيخ زين الدين غادر الموصل بعين التاريخ الذى غادرها أبوه

الشيخ شرف الدين والتحق بخدمة السلطان عز الدين السلجوقي حيث لاقى بعد قليل حتفه وذلك في سنة (٦٥٥) وكان زين الدين حينذاك فتى يافعا لم يتجاوز سن العشرين وابنه (عز الدين) الذى اصطحبه معه طفلا . ومن تتبع سير الحوادث البي جرت للبيت العدوي بعد قتل عميدهم الشيخ حسن ، لا يخامره شك في أن مغادرة الشيخ زين الدين وأبيه الموصل كان للتخلص من بدر الدين لؤلؤ الذى أظهر العزم على إبادة هذا البيت ليأمن غائلتهم على ملكه الذى أسسه على دعائم المكر والخبث وإزهاق النفوس وإراقة الدماء ، والى ذلك يشير زين الدين فى قصيدة له :

يهددني لؤلؤ بقتلي تعمداً ومن ذا يخاف الموت تحت لوا كما؟

وهكذا فقد اختار زين الدين الهجرة الى الشام بعد ان اصطدم أهل بيته ببدر الدين وتبددت أحلامهم وأراد ان يتخذ الشام مسرحاً لدعايته الدينية والسياسية وهى مساعدة له أكثر من أي محل آخر ، لما يحمله أهلوها من المحبة والاخلاص للأمويين ويؤثرونهم على المماليك الأتراك الذين لا يجدون لهم حقا فى ملك وتأبى نفوسهم ان يخضعوا لهم .

صادف مجيء (زين الدين) الى الشام عهد دولة المماليك فى مصر والشام ، فالملك الظاهر بيبرس البندقدار حكم من سنة ٦٥٨ الى سنة ٦٧٦ ، وخلفه ابنه الملك السعيد ناصر الدين واستمر ملكه الى سنة ٦٧٨ ، ثم أخوه سلامش ولم يدم ملكه كثيراً . ثم ظهرت الدولة الأشرفية التى أسسها الملك الأشرف صلاح الدين بن خليل قلاوون ، وكان من الطبيعى ان ينظر حفيد الشيخ حسن الى هؤلاء الملوك بعين الاستخفاف ويحمل لهم في قلبه مقتاً شديداً ويعدهم غاصبين ملك آبائه وهم ليسوا سوى مماليك من ذراري الأتراك ، وكان نظره اليهم كنظره هو وأهل بيته الى (بدر الدين) صاحب الموصل الذى لم يكن غير مملوك أرمنى بيع على نور الدين ارسلانشاه الاتابكى واصبح خادما له ، ثم مربيا لأولاده ، ثم وصيا على الملك ، ثم سلطانا . ولذلك لم يكن بالأمر المستنكر اذا أشيع عنه انه كان يسعى الى الملك ، وان ولده (عز الدين) كان يريد سلطنة مصر ، او ملك اليمن ، فترتاب حكومة المماليك منه وتبث الارصاد حوله ، فيخاف على نفسه ، وقد تلقى من المملوك الأرمني دروسا شديدة علمته كيف يكون انتقام هؤلاء الملوك قاسياً

ورهيبا ، فيترك الشام ويذهب الى مصر ويؤسس له فيها زاوية وينصرف الى الوعظ والارشاد كما هو شأن أصحاب الطرائق ، ظنا منه أنه بذلك سيدرأ الشبهات التى تدور حوله . ولكن المماليك لم يكونوا لينخدعوا بذلك وهم يعلمون ان فكرة الملك لم تفارقه لحظة ، ورجال البيت العدوي لم يخلقوا ان يكونوا أصحاب طريقة صوفية ، بل خلقوا ليكونوا ملوكا ، والطريقة التى وضعها الشيخ عدى لم تكن إلا نقابا أسدلوه على وجوههم ليخدعوا الناس بها .

ومن الجائز أنه بعد ان وفد الى مصر وأظهر الانقطاع الى زاويته كان جماعة من المصريين ممن لم يرق لهم حكم المماليك يترددون اليه ويشجعونه على المضي في سبيل غايته، وربما كانوا يمدونه بالمال ، وكان المماليك يتجسسون أعماله ويتلقون التقارير عنه ، وهو على ما يظهر انه لم يكن بالرجل الحصيف الذي يعرف كيف يتصرف بالأمور بل كان فيه خفة وغرور . فيكبس المماليك زاويته ويقبضون عليه ويودعونه الاعتقال ، وربما كان من أصحابه من أودع الاعتقال معه .

وقد وقع اعتقاله فى أواخر سلطنة صلاح الدين بن قلاوون ، او على سلطنة الملك العادل (كتبغا) الذي خلفه ـ وهو عاشر ملوك المماليك فى مصر ـ امتد ملكه من سنة ٦٩٣ الى سنة ٦٩٥ وقد أفرج عنه على عهد سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين ودام اعتقاله ثلاث سنين وبضعة أشهر .

كان الشيخ زين الدين عندما سجن قد ناهز الستين من العمر على أقل تقدير . وإنسان عاش عيشة الملوك وتقلب فى أحضان العز والنعيم وذاق صفو الحياة ولذائذها لم يكن ليتحمل آلام السجن وشدائده ، لاسيما اذا علمنا ان سجانيه كانوا يتقصدون إساءته ويعاملونه بوحشة وقسوة كما يعامل القتلة وقطاع الطريق دون ان يراعوا سنه ومكانته . وكان أهون عليه ان يرسله المملوك الأشرفي الى الموت كما أرسل المملوك الأرمني قبله جده الشيخ حسناً من ان يلاقي الآلام المبرحة في سجنه . فيرفع صوته عالياً بالبكاء والنحيب ويجعلنا على بعد الزمن نتألم له . والتاريخ يحدثنا ان البيت العدوي بالموصل لاقوا في سبيل دعوتهم من التعذيب والتقتيل ما لم يلاقيه أصحاب دعوة غيرهم ، ومن

يطلب أمراً خطيراً لابد له من أحد أمرين إما ان ينال مبتغاه فينعم به ، واما ان يخفق فيه ويموت وقد كتب لهذا البيت الموت ولكن موتا شريفاً .

***

إن أصحاب التاريخ الذين ترجموا الشيخ زين الدين كالمقريزي وابن فضل الله العمري والسخاوي وابن حجر ، وجميعهم قريبو عهد منه ، لم يبحثوا عن سجنه وهي أهم نقطة نجدها في حياته وقد استقينا هذه المعلومات من منبعين لا يأتيها الشك الاول: القصص التي يتداولها اليزيدية، والأناشيد التي يرتلونها في حفلاتهم والثاني : القصائد التي عثرنا عليها في المجموعة القديمة التي أشرنا اليها وهي صادرة عن لسان الشيخ زين الدين نفسه أما القصص والاناشيد اليزيدية فهي وإن كانت مملوءة بالخرافات ففيها شيء من الحقيقة وخلاصتها ان الشيخ زين الدين - ويسميه اليزيدية زندين أصابه زعل من الشيخ عدي فركب فرسه « بوراً » وغادر لالش وفي أقل من طرفة عين أوصلته مصر فقبض عليه حاكمها وأودعه السجن . ولما شعر به الشيخ عدي مد اليه عصاه من لالش فتملق بها ونجا من السجن وعاد الى محله . وقد يتخلل هذه القصة أخبار خرافية اخرى لاحاجة لذكرها (١) . اما القصائد التى قالها الشيخ زين الدين فقد تدلنا بوضوح على سجنه ، وما لاقاه في السجن من محن وآلام مبرحة جعلته يبكي بكاء الأطفال ويتمنى الموت ولم يكن بحاصل عليه . والشيخ زين الدين لم يكن بالشاعر ، والشعر الذى سنورده له لم يكن له قيمة فنية ، بل يكفي أنه يقص علينا فيه ما حل به من هوان وذل تلتاع لها النفوس وتشعر بالحزن عليه ، فمن ذلك قوله :

يقول ابن صخر الذى بات ماغفا	وعيناه من حر الدموع همول
أيا راكبا مني على متن ضامر	محجلة تطوى الفلاة تجول
اذا جزت للهكار تلـقى قبيلة	كراما وهم بين الجبال نزول
فاقرأ لهم منى السلام وخص من	يكنى « عدياً » وابتدره قؤول

١) من ذلك يعتقدون ان اباه الشيخ حسن عندما سمع بسجنه في مصر بكاه طويلا ، وقد عجن التراب بدموعه واصبح له قبراً وهو قبر صغير نجده بجانب القبر الذي يرمزون به الى الشيخ حسن في قرية بحزاني .

ألا يا كريم الأصل جئتك قاصداً ... من أرض بها سجن الغريب يطول
تحملت من خل اليك رسالة ... تصح وما يخفى الحديث رسول
ويشهد الله والأقوام كلهم ... بأني محب والبيان يطول

« وقد عبر بابن صخر عن نفسه وهو جده الرابع او الخامس . والهكار جبل الهكارية وفيه وادي لالش الذى يضم زاوية الشيخ عدي . والقبيلة ، أراد بها البيت العدوى . وعدى الشيخ عدى ابن مسافر الأموى » .

وله من قصيدة يتشوق فيها الى أهله فى لالش ويبثهم شكواه مما لاقاه فى السجن بمصر وقد طرأ عليها خلل كبير .

قف على (لالش) وتلك الطلولا ... وأخبراهم عنى وسلم وقولا
أنتم سادتي ومالي سواكم ... حاشا لله ان آخذ عليكم بديلا
قد بقيت مضنى وجسمى نحيل ... ساهراً باكياً وليلي طويل
قد بقيت في مصر بالسجن وحدى ... آه واحسرتاه ما لي سبيل
هل ترى مخبر لأولاد عمى ... عن غريب في السجن أضحى ذليل
تائه حائر بمصر كئيب ... أسأل الله وهو نعم الوكيل
طال شوقي الى (عدى) وربعوا ... فى حمى لالش ونحن نزول
شتت البين شملنا فافترقنا ... بعدما كان شملنا موصول
هل أرى سادتي بلالش جمعا ... فلعل الهموم منى تزول

فبجانب ما يشكوه من ألم الفراق والوحشة فى مصر وهو يعانى فيها ذل السجن يظهر تشوقه الى لالش وهو منبت عزه ومهبط أحلامه ومسرح أمانيه ، ويتمنى ان لو زالت همومه وأتراحه وقد اجتمع شمله بأهله وذويه آل عدى لينعم بهم ، وماذا يجديه نفعا أخبار أولاد عمه بسجنه وكونه أمسى فيه ذليلا وأولاد عمه في لالش ليسوا احسن منه حالا وقد يلاقون من المحن والشدائد على يد خصومهم ما لا يقل عما يلاقيه هو فى مصر ؟

***

ولنقرأ الأبيات الثلاثه الآتية من قصيدة مطلعها :

رعى الله أيام التقارب والوصل ... وحيي زمانا مر بالعز والفضل

وهي :

سلام عليكم يا أهيلي بلالش ، ... لقد هدني الشوق المبرح بالذل

سلام عليكم يا أهيلي بلالش ، ... لعلكم يوما تفوزون بالوصل

سلام عليكم كل يوم وليـلة ... سلام كعد الغيث والقطر والرمل

فما هذا الشوق الذى يحمله هذا الشيخ نحو أهله بلالش؟ وما هذا القلب الرقيق الذى يشبه قلوب الأطفال فى حنوه اليهم ؟ أم أثر عليه الاغتراب، وألم السجن وألهب عواطفه وأوجد فيه هذا الحنين ولم يطق صبراً على كتمانه ؟

والشيخ زين الدين شديد الاحساس ، شجي النفس ، غزير الدمع يرسل شعره ممزوجاً بالآهات والحسرات ، ثم لنقرأ له هذه القصيدة التى يدلنا فيها على حادث مهم جرى لهذه الطائفة جهلناه وهو يفيدنا من الناحية التاريخية :

سلام على ما قد تقضى من الزمن ... فيا حبذا من صالح ذلك الزمن

سلام غريب ذاب في السجن قلبه ... يحن الى قيس ويصبو الى يمن

ديار الصبي واللهو والشمل جامـع ... فيا ويح قلب ذاب شوقا الى الوطن

فكم من ليال بت فيهـا منعما ... بأهل واخوان عليهم لنـا منن

فأعقبهـا حـرب تجرعت مرهـا ... فلا خير في اللذات يعقبها حزن

وما اقتتـلت قيس ولا اقتتلت يمـن

عـلى طـلل يزهو ولا عاطـل الدمن

ولكنها المحبوب أضحى نزيلهم ... ومـال الى قيس من اللحم واللبن

وحـل بنـادى القـوم فازداد قـدرهم

وكان لهم فى القدر فى سالف الزمن

يقول :

فاسأل ربي أن يحل بارضكم ... ولياً يسليكم عن الأهل والشجن

ويوضح ما قد غاب عن كل عارف ... تحفظه ميراث من جده حسن
ويكشف عن أسرار قوم تقدموا ... رمتهم يد الاقدار فى أعظم المحن
ويشرح منها كل ما هو ظاهر ... ويوضح من أسرارهم كلما بطن
فان كنتمو تمحو الذي كان بينكم ... والا فلا قيس يرد ولا يمن
فعودوا الى العهد القديم من الوفا ... فصدق الولاحق الى اللحد والكفن
كفى ما جرى منكم ومنهم جهالة ... فلاخير فى الأحقاد والضرب والفتن
وأنتم بحمد الله في الدين أخوة ... وشيخكم الشيخ الذي أسمه حسن
وأنتم همو أنصاره وحماته ... يقوم بأمر الله وهو لكم سكن
وبعضكم قد زاغ عنه جهالة ... ومال الى قول الأباطيل وافتتن
فيا رب وفقهم لطوعك دائما ... بأموالهم والنفس والروح والبدن
وعجل لهم منك الخلاص تكرما ... من السجن ان السجن للعظم قد وهن
عسى فرج يأتي من الله بغتة ... فان الرجا بالله للعبد مؤتمن

فهذا الحادث الذي يصوره لنا زين الدين في هذه القصيدة كان له أثره الشديد على حياة هذه الطائفة الدينية وقد جعلها على مفترق الطريق ، فاما ان تنبذ هذه العقيدة وتعود الى الاسلام ، واما ان تسير قدما فى طريقها الذى شقه لها قدوتها الشيخ حسن . إذ ان الذي نفهمه منها ان جماعة من سالكى هذه الطريقة انحرفوا عن مبدئهم وأرادوا الرجوع الى الاسلام فلم يرض منهم الباقون وأرادوا إرغامهم على البقاء عليه ويرون ارتدادهم يؤدي الى حدوث وهن وصدع فى هذا الدين وهو لا يزال في دور الطفولية وأخذوا يقاتلونهم ، وعلى ما دلنا الامام ابن تيمية ان قتالهم لهم كان شديداً وقاسيا فقد أراقوا كثيراً من دمائهم وأباحوا أعراضهم وأموالهم وقد دامت هذه الفتنة اكثر من ستين سنة فاقلقت بال الشيخ زين الدين وأقضت مضجعه وهو فى سجنه وأخذ يدعوهم الى الوئام والاتحاد والتمسك بمبدأ شيخهم الشيخ حسن ويسئل ربه ان يشرح صدرهم لمعرفة ما بطن من أسراره ويمحو الذي حدث بينهم ويعودوا الى العهد القديم من الصفاء والود ، وهم إخوان بهذا الدين ، وإن كان بعضهم زاغ عنه بسائق الجهل وفتنة الدعايات

الباطلة .

والذي نستنتجه من هذا : ١- ان هذه الفتنة دامت من عهد الامام ابن تيمية المتوفى (سنة ٧٢٦) الى الزمن الذي كان الشيخ زين الدين مسجونا فيه بمصر وربما خبت نارها يوما ثم اضطرمت أياما أخرى ، ٢- لقد كان لهذه الفتنة أثر سيء على حالة الأمن فى البلاد فلم يسع الحكومة السكوت عليها وقبضت على جماعة منهم وألقتهم فى السجن وقد طال سجنهم حتى وهن العظم منهم ٣- لم يكن زين الدين على تمام العقيدة وصحة المبدأ كما استدله احمد تيمور من نعت السخاوي له بالنعوت الجليلة وقد رأيناه يدعو الى مذهب الشيخ حسن والتمسك به ويعبر عنه بالقائم بأمر الله ، ويعد الابتعاد عن طريقته زيغاً وضلالا ، ويجوز أنه بشر بمذهب الشيخ حسن فى الشام وفي مصر ولكن لم نعلم درجة نجاحه فيه .

وله ايضا من قصيدة يشكو فيها سجنه فى مصر ويتشوق الى لالش :

طرقتني طرائق الحدثان ... ورمتني بالصد والهجران
ورموني فى مصر بالسجن وحدي ... ليس لي مسعد سوى أجفاني
ليس لي مسعد سوى دمع عيني ... وأنيني قد أقلق السجان
كنت أرجو الوصال منهم دواما ... لا بلى الله مسلماً ما بلاني
يا آلهي بالمصطفى سيد الرسل ... و (بعدي) صاحب البرهان
هل عسى هل عساك تجمع شملي ... فى حمى (لالش) وعيشي هاني

وله قصيدة مطلعها :

كم وقفت على الطلول أبكيها ... مستصرخاً لحبيب كان لي فيها

يبكي فيها محنته وتشوقه الى لالش وهي ستة عشر بيتاً .

وله قصيدة مطلعها : خليلي ما في القلب يهوى سواكما ...

يشير فيها الى بدر الدين لؤلؤ الذي كان يريد قتله :

يهددني لؤلؤ بقتلي تعمداً ... ومن ذا يخاف الموت تحت لواكما
أنا الموت أحلى لي من الشهد طعمه ... وأبرد من ماء الزلال سقاكما

وله قصيدة مطلعها :

بعثت رسولي نحوكم يا أحبتي ... يبثكم شوقي وعظم صبابتي

يتشفع فيها بالخلفاء الراشدين وعدي والشيخ حسن لخلاصه من سجنه الذي طال عليه ويختمها بقوله :

فان لم تجد لي بالخلاص تكرما ... بحق النبي الهادي عجل منيتي

وله من قصيدة مطلعها :

اذا لم يكن الدمع بالوجد ناطق ... فما ذاك الا كاذب متملق

يصف فيها سجنه وما لاقاه فيه من ازعاجات جعلته يؤثر الموت على الحياة .

وسجن يكل الوصف عنه لأنه ... حصين منيع لم تنله البطارق

شنيع ، به قمل ، وبق ، وبرغش ... وفار لما ادخره من الأكل سارق

وقد جمعوا فيه جنوداً كثيرة ... وما فيهم من يدعى الصدق صادق

سوى قائل هذه القصيدة (يوسف) ... مقيم على عهد الحبيب مفارق

رحم الله الشيخ زين الدين يوسف ماذا لاقاه من آلام ومصائب في سجن هذا المملوك التركي لا لذنب اقترفه او جريمة ارتكبها سوى ما كان يدور حوله من الشبهات في تطلعه الى الملك وقد خدع هذا المملوك التركي بمظهره الذي يضاهي مظهر الملوك واقبال الناس عليه وخافه وألقاه في أعماق السجن طيلة مدة حكمه . وهب انه كان يريد الملك وقد اطلع ابن قلاوون على نواياه وخافه وسجنه ، أما كان عليه ان يراعي مكانته وان لا يعامله معاملة القتلة واللصوص وهو سليل البيت الأموي وله الحرمة الكبيرة في النفوس؟ ولكن قديماً قيل :

واذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

❁ في الزاوية العدوية في القرافة الصغرى في مصر ❁

أتى العلامة احمد تيمور باشا في رسالته « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » على بحث هام عن الزاوية العدوية في القرافة الصغرى في مصر مع تصوير شمسي لها ، ذكر انها تعرف بزاوية الشيخ عدي بن مسافر ، والزاوية العدوية ، ثم عرفت بالزاوية القادرية لسكنى

جماعة من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلي فيها وتوليهم شؤونها ، وانها تعرف الآن عند العامة بجامع سيدي علي ، ورجح ان يكون هـذا الاسم محرف عن (عدي) ابن مسافر ، وذلك لأن بعض المتقدمين كان يعتقد ان ضريح (زين الدين) هـو ضريحه ، والقبة التي فيها ضريح الشيخ زين الدين تقع في الجنوب الغربي ويحيط ببابيها من الخارج وفي وجهته وعضادتيه أطار من الرخام منقوش بآيات كريمة ، وفي جانبيه تحت العتب عن يمين الداخل منقوش « لا آله إلا الله محمد رسول الله لا آله إلا الله سيدي عدي ولي الله» وعن يساره « سيدى عدي الوسيلة الى الله وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم » وبعض كلمات ذهبت من كلا الجانبين . وفوق هذا الباب من خارجـه لوح منقوش فيه بالحفر « بسم الله الرحمن الرحيم. والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم . هذا مقام السيد الامام القدوة شيخ مشائخ الاسلام ، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة ، فريد عصره شرفت بأقدامه مصر أحد شيوخ المسلمـين زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن الحسن بن الشيخ عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي . نفع الله ببركاته المسلمين . وذلك فى ربيـع الأول سنة خمس وعشرين وسبعماية » .

وكان على الضريح تابوت تاريخي من الخشب المصدف بديع النقش منقـوش به نسب الشيخ زين الدين وتاريخ وفاته ، احترق فى الحريق الذى وقع بالقبة سنة ١٣٢٥ ، وقد نقل هذه الكتابة قبل الحريق أحد المراقبين بلجنة حفظ الآثار العربية بمصر ، وهـذا نصهـا :

« هذا ضريح السيد الامام العالم العارف الشيخ زين الدين يوسف بن السيد الشيـخ شرف الدين محمد بن السيد الشيخ شمس الدين حسن بن السيد الامام الشيخ شرف الدين عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموى قـدس الله روحه ونور ضريحه . انتقل الى رحمة الله يوم الاثنـين ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستمئة » .

ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها　　وعفوك يا مولاي أوفى وأزيد

وما هي ذنوبي ان أخاف وأنت لي   آله ولي يوم الشفاعة أحمد

وعلى باب الزاوية وعلى وجهته لوح من الرخام مكتوب فيه بالحفر نسب الشيخ زين الدين وتاريخ وفاته وبناء القبة ، وهذا نص ما فيه على ما قرأه مراقب حفظ الآثار :

« أنشأ هذه القبة المباركة على ضريح السيد الامام العارف المحقق إمام الموحدين تاج العارفين زين العابدين أبي الشمائل الشيخ زين الدين يوسف ابن السيد الامام العالم العارف القدوة شرف الاسلام غوث الأنام الشيخ شرف الدين محمد ابن السيد الامام العارف شيخ الحقيقة ناصر السنة قامع البدعة أبي محمد شمس الدين الشيخ حسن ابن السيد الامام العالم العارف علم الأبرار غوث العباد تاج الزهاد شيخ شيوخ الاسلام أبي الحسن شرف الدين عدي ابن السيد الامام العالم العارف الشيخ أبي البركات بن صخر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموي القرشي قدس الله روحه ونور ضريحه. وكان انتقاله الى دار الخلود وجوار الملك المودود في ثاني ساعة من نهار يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستماية . ومما أنشده في حالة عبوره : ذنوبي غزار (البيتين اللذين سبق ذكرهما) وكان فراغ القبة في شهر شوال سنة سبع وتسعين وستمئة » انتهى .

﴿ بقية الرجال الذين عرفوا من هذه الأسرة ﴾

إن أسرة عظيمة كالبيت العدوي لها ما رأيناه من أخبار وحوادث مهمة في التاريخ وأوجدت انقلابا خطيراً فى النظم الدينية والسياسية والاجتماعية في معظم أنحاء كردستان وفى الديار الحلبية والشامية وفى بلاد الجزيرة وخافها الملوك وقاوموها بشدة وعنف ونكلوا بها ، لم يقتصر رجالها على الذين ذكرناهم فحسب ، بل يجب أن قام بينها رجال آخرون أغفل التاريخ ذكرهم . واذا رجعنا الى التقليد الجارى بين اليزيدية نجدهم يذكرون لنا رجالا آخرين ، كالشيخ سجادين (سراج الدين) والشيخ آمادين (عماد الدين) والشيخ بادين (بهاء الدين) والشيخ ناصر الدين والشيخ أبي بكر وغيرهم ... فلهؤلاء سلالات معروفة بين اليزيدية يتمتع رجالها بامتيازات دينية كبقية الأسر ولهم مريدون يقدمون لهم نذورهم وخيراتهم . وليس من شك ان كان لهؤلاء مكانة كبيرة

ولعبوا دوراً مهماً على مسرح السياسة والدين كغيرهم من رجال هذه الأسرة . ومن الجائز ان بقى منهم أناس ظلوا بعيدين عن هذه الديانة وضاع ذكرهم . أما في البلاد الشامية فقد عرف منهم حتى القرن العاشر الهجرى، أناس عددهم المرحوم العلامة تيمور باشا في رسالته « اليزيدية وأصل نحلتهم » نالوا مناصب مهمة في القضاء والحكم والسياسة ، وليس في أخبارهم ما يشعر نزوع أحدهم الى نزعة صوفية حميدة او غير حميدة وقد ظلوا بعيدين عن الطريقة العدوية وما طرأ عليها من تغيير وتحريف .

وفي ذخائر القصر لابن طولون ، وهو من رجال القرن العاشر الهجري ، ترجمة لأحد رجال هذا البيت وهو شمس الدين محمد بن موسى العدوي - نسبة الى آل عدي بن مسافر من قبل جده لأمه - قال عنه : « لبس مني خرقة التصوف العدوية وقد لبستها من فضلاء عصري ونبهاء دهري » وساق سلسلة هذه الخرقة الى الشيخ عدي ابن مسافر ، ثم ذكر من قبله الى النبي (صلعم) كعادة أصحاب الطرق في أسانيدهم ، ويظهر من كلام ابن طولون أن هذه الطريقة بقيت محفوظة في الديار الشامية نحو خمسة عصور تماما ثم قضي عليها .

وفي درر الحب للرضى الحنبلي ، وهو كذلك من علماء القرن العاشر الهجرى ، ترجمة للشيخ عز الدين بن يوسف الكردى المتوفى سنة ٩٤٨ هـ كان أمير لواء في حلب في أواخر الدولة الجركسية وفي أوائل الدولة العثمانية ، وهو من أولاد الشيخ مند أحد مشائخ اليزيدية المعروفين. وعلى يد الشيخ مند او أحد أولاده انتشرت الديانة اليزيدية في الديار الحلبية ، ولا يزال يزيدية تلك البلاد يعملون بطريقته .

كتب اليزيدية الدينية

تنحصر كتب اليزيدية الدينية في الكتابين « الجلوة » و « مصحف رش » أي الكتاب الأسود . أما الجلوة فقد كتب بأسلوب سماوي كأنما جاء به الوحي خاطب به المعبود الأعظم عباده اليزيدية وتكلم عن قدمه وبقائه وقدرته ووعده ووعيده وعن تناسخ الأرواح ، وفيه : شيء من الوصايا كدعوتهم الى الاتحاد والتآخي لمقاومة الذين ليسوا على ديانتهم ، ونبذ كتب الأجانب - أي ذوي الأديان السائرة - بدعوى انها محرفة عن أصلها ، والتجنب عن ذكر اسمه وصفاته ، وعدم اعطاء كتبهم الى غيرهم لئلا يحرفوها ، والاحتفاظ بأكثر الاشياء عيناً . فظهر من ذلك عملهم بمبدأ الأمية .

أما مصحف رش وهو الكتاب الاسود فهو كتاب تاريخي طائفي حشر فيه بعض حوادث القوم وشيء من عاداتهم وتقاليدهم بخلاف كتاب الجلوة . اذاً فالاول يعد كتاباً سماوياً والثاني أرضياً ، وكلاهما يقربان شبهاً من القرآن إلا انهما غير متحدي الغاية ، ولا متحدان في زمن الوضع ، ولا الواضع واحد ، وقد جاء في مصحف رش :

خلق السماوات والارض وما فيها من بحار وجبال وأشجار ، وخلق الملائكة والعرش ، وآدم وحواء ، وارسال الشيخ عدي بن مسافر من الشام الى لالش ، وما كان من نزول « طاؤوس ملك » الى الارض ، وإقامته ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيه ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحواء . أما شيث ونوح وأنوش من آباء اليزيدية الاولين فهم من نسل آدم فقط وأصلهم من توأمين ذكر وأنثى ، وكانت ولادتهما بخارقة ، وان طوفانا أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح ، وقد مضى عليه الآن سبعة آلاف سنة ، وانه كان ينزل في كل ألف سنة إله من السماء يشرع لهم الشرائع ويسن السنن ، ومن هؤلاء الآلهة السبعة « يزيد » الذي ينتسبون اليه . أما رئيسهم وأولهم فهو « الشيطان » المعبر عنه بطاؤوس ملك ، ومرتبة هؤلاء

دون مرتبة الآله الاعظم ، الواحد ، القهار ، الفعال لما يريد . وفيـه شرائعهم وما أحل لهم وحرم عليهم فى الزواج وغيره . وشرح أمر الطواف بسناجقهم « أي أعلامهم » في البلدان والقرى لجمع الصدقات ، وزيارتهم لقبر « الشيخ عدي » ، وما يفعـلونه فى عيد أول السنة من قطف « النور » الاحمر ، وذبح الذبائح ، وإطعام الفقراء وزيارة القبور.

إن واضع هذين الكتابين أو واضعيها من الصعب معرفتها على الوجه الصحيح . وقد يعزو البعض كتاب « الجلوة » الى الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي الفضائل عدي بن الشيخ أبي البركات العدوي الذي أضل هذه الطائفة بوضعه الشرائع الفاسدة لها ، إلا انه يتعذر علينا التسليم بصحة هذه الدعوى . والكتاب الذي وضعه الشيخ حسن ، والذي ذكر ابن طولون الحنفى الصالحي فى كتابه « ذخائر القصر في تراجم نبـلاء العصر » استطراداً فى ترجمة « محمد العدوي » أنه ألفه في بحر ست سنوات وسماه « كتاب الجلوة لأهل الخلوة » لا يجوز أن يكون عين كتاب « الجلوة » الذى بيدنا والذى لا يتجاوز ثلاث صفحات ، وقد عرف صاحب « فواة الوفيات » الشيخ حسن هذا بانه (من رجال العلم رأياً ودهاء وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوف) .

يقول العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا في كتابه اليزيدية ومنشأ نحلتهم : « ولا ريب فى أن كتاب الجلوة لأرباب الخلوة المنسوب الى الشيخ حسن ، هو غير الكتـاب الذي بيدنا ، وأن الرجل على رقة دينه ذو عقل ودهاء وعلم وأدب لا ينحـط قلمه الى مثـل هذا السخف » .

وليس من شك فى ان كتاب الجلوة الذي وضعه الشيخ حسن وغـيره من الكتب الدينية التى كان يحتفظ بها هذا البيت فقدت فى الاعصر الاولى من ظهورهم عندما كان « بدر الدين لؤلؤ » يوالي حملاته على لالش وينكل بهم ، وفى حملته الكبرى التى حملها عليهم سنة ٦٥٣ وخرب زاويتهم .. وما أحوجنا اليوم الى معرفـة شيء من مؤلفاته وتصانيفه لنعلم منها نزعته التصوفية وعقيدته وتعاليمه التي لاقت هذا الرواج العظيم بين أتباعه وأوجدت هذا الانقلاب في عقائدهم .

* * *

اما كتاب الجلوة ومصحف رش اللذان بيدنا الآن فهما ليسا بقديمين بل هما حديثان لم يمض على وضعهما اكثر من عصر ونصف عصر على أعظم تقدير .

ويغلب على الظن أن واضعيهما لم يكونا مسلمين ، بل مسيحيين من مسيحيي قرية «بحزاني» أو قسوسها الذين لهم اتصال بهذه الطائفة ووقوف على عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ولم يكتبا ما كتباه اعتماداً على معلوماتهما المكتسبة عن هذه الطائفة ، بل استندا على ما أخذ عثرا عليها عند أحد شيوخهم . وبعد أن أخذا ما أخذاه منهما ، أضاعاها حفظاً لما كتباه ، يدلنا على ذلك اللغة العامية المستعملة في هذين الكتابين ، والكلمات المبتذلة والتراكيب المفككة والتعابير السقيمة التي نجدها فيهما مما يدلنا على أن كاتبيهما ممن ليس لهم المام بالعربية الفصحى ، ولا نكون مخطئين إذا اعتقدنا أن كاتبيهما لم يخرجا عن القسس الذين كانوا يعيشون في القرى في ذلك العهد ، وليس لهم من العلم أكثر مما يسدون به حاجتهم ، وإلا فمن المستحيل أن يكون لمسلم اتصال بأحد أبناء هذه الطائفة ووقوف على عقائدهم ليكتب شيئاً من هذا القبيل عنهم وقد بلغ التنافر والتناكر بين اليزيدى والمسلم غايته القصوى فى ذلك العهد .

وفى «عبدةُ ابليس» لنوري بك والي الموصل أن واضع الجلوة هو راهب نسطوري كان قد هرب من دير القوش وأسلم ظاهراً ثم ارتد ولحق باليزيدية وصار مقدماً بين رجالهم ، ويجوز أن يكون ذلك صحيحاً طالما علمنا أن كتاب الجلوة خرج من قبل نصراني إن لم يكن أحد قسوس بحزاني فهو هذا الراهب .

وعلى رغم ما تظهره هذه الطائفة من التكتم الشديد في معتقداتها وحرصها على اخفاء كتبها عن غير اليزيدية نجدها قد أصبحت لا تملك ولا كتابا واحداً ، وقد خرج منها «الجلوة» و «مصحف رش» ولم تكد تعرف شيئاً عنهما ، والشيء العجيب أنها أخذت تعتقد أن الجلوة هى طاقة فى دار أحد شيوخ آل الشيخ حسن في قرية «بعشيقة» وقد يزورها الناس قصد الشفاء من أمراضهم وعاهاتهم .

ويذهب البعض الى أن «مصحف رش» هو القرآن الكريم نفسه وقد وصفوه بكلمة «رش» ومعناه الأسود لتسويدهم بالحبر الأسود الكلمات التي لا يجوز لهم تلفظها في القرآن

أو وضعهم عليها الشمع وذلك عندما اتخذوه ككتاب قراءة لأولاد الشيخ حسن عندما يعلمونهم القراءة فى صغرهم ؛ وهو خطأ ، و « مصحف رش » شيء والقرآن الكريم شيء آخر .

ويتعذر الوقوف على الباحث عن صورة خروج هذين الكتابين من أيدي اليزيدية بعدما كانت أسرة الشيخ حسن تحتفظ بها ، ويروى أن أحد يزيدية قرية بحزاني كان قد سرقها وأراد أن يذهب بها الى اليزيدية القاطنين أطراف حلب ففاجأته عصابة من اللصوص فى الطريق وسلبتها منه . وحكى لي الشيخ « نذير » رئيس الأئمة أنه كان للملا حيدر رئيس الأئمة ولد أغضبته زوجة أبيه فاراد أن يكيد له فسرقها وذهب بها الى قرية «طفيتان» من قرى اليزيدية في الشيخان وفقدا منه . ويدعي آخرون أن سائحاً روسيا حل ضيفا على «الملا حيدر» في بحزاني وسرقها منه ، ومهما يكن من أمر فان هكذا كتابين تتطلع اليهما الأنظار لا بد وأن تختطفها الأيدي ولو وضع الف حجاب دونها .

وذكر السائح والمنقب الانكليزي هنري لايارد فى كتابه (نينوى وآثارها) أن (القوال يوسف) حكى له وهو فى طريقه معه الى (باعذرة) أنه كان لدى اليزيدية كتب كثيرة قبل المذبحة التي أوقعها فيهم أمير الصوران وقد أتلفها الاكراد برمتها .. وهذا صحيح وقد أيدت الاخبار أنه كان لديهم كتب فقه وتفاسير كثيرة منذ عهدهم بالاسلام ويحتمل أن قد كان فيها كتب عقائد وتصوف لمشائخهم العدويين وقد بقيت سالمة من الثورات التى قامت فى وجههم الى أن حلت فيهم كارثة الصوران .

وقد توصل الغربيون الى كتابي (الجلوة) و (مصحف رش) مع قصائد تعزى الى الشيخ عدي وترجموها الى لغتهم وعلقوا عليها الأبحاث الطويلة ونشروها على أعمدة صحفهم ومجلاتهم وبحثوا عن عقائدهم وأصول عباداتهم واكثروا القول عنهم .

فمن بحث عنهم لأول مرة المستر اف . فوريس في مقالة نشرها فى مجلة الجغرافية الملكية سنة ١٨٣٩ وأعقبه جى . بي بادجر فى كتابه (معتقدات النسطوريين) المطبوع عام ١٨٤٢ ، والمنقب والبحاثة اي . اج لايارد فقد تطرق للبحث عنهم فى كتابه (نينوى

وآثارها) المطبوع سنة ١٨٤٩ ، وكتابه الآخر (نينوى وبابل) المطبوع سنة ١٨٥٣ وجي . جي فرايزر في كتابه (الغصن الذهبي) المطبوع عام ١٩١١ ، واي . بي سوان في كتابه (في البحث عن أحوال ما بين النهرين وكردستان) المطبوع سنة ١٩١٢ و واغرام في كتابه (مهد البشرية) المطبوع سنة ١٩١٤ ، و اج . آر درايور في مقالة له تحت عنوان (الدراسات الشرقية) في الباب الثاني من المجلد الثاني من كتاب (نظرات في معتقدات اليزيدية الاكراد) المطبوع سنة ١٩١٧ ، و و . ب . دبليو . بي هود في مجلة (مؤسسة الطبيعيات الملكية) لسنة ١٩١١ ، وآي . دير في كتابه (البشريات) المطبوع سنة ١٩١٨ ، وآي . جوزيف في كتابه (معتقدات الشيطان) المطبوع سنة ١٩١٩ ، وبي . اج سبرنكت في كتابه (أسرار الطوائف في سوريا ولبنان) المطبوع سنة ١٩٢٢ .

ويوجد ترجمة انكليزية للكتابين الجلوة ومصحف رش وضعها « براوي » ثم ذيلها وطبعها المستشرق «باري» في لندن عام ١٨٩٥ ، وقد ترجم الأصل العربي الى الانكليزية المستشرق « اليزيا جوزيف » ووضع عليه كتابا سماه (النصوص اليزيدية) وطبعه في مجلة اللغات السامية الأمريكية ، وجمع المستشرق الفرنسي « ف نو » بين كتاب الجلوة ومصحف رش والمنظومة المعزوة الى (الشيخ عدي) والصلوات اليزيدية والعريضة التي قدمها اليزيدية الى الحكومة العثمانية عام ١٨٧٢ حول طلب أعفائهم من التجنيد الاجباري ووضع عليها كتابا سماه (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) علق عليها كثيرا من الحواشي التي لا يسع الباحث الاستغناء عنها . وترجم الأب انستاس الكرملي الكتاب الأسود والجلوة الى الفرنسية وطبعها مع أصليها وكتب كثيراً عن المعتقدات اليزيدية وعاداتهم وأصول دياناتهم في "مجلة المشرق" البيروتية ومجلات أوروبية اخرى .

ومن جملة الباحثين عن هذه الديانة الموسيو سيوفي قنصل حكومة فرنسة قديما في الموصل فقد نشر أبحاثا ضافية عنها في المجلة الآسيوية ، والموسيو بورتوكليان ، والسر مارك سايكس ، والمونسنيور صموئيل جميل ، وجوزيه فرلاني الباحث الايطالي ، وميكائيل انجلو الايطالي ، والاستاذ منزل ، وامبسن الكاتب الانكليزي ، والاستاذ السيد عباس

العزاوي ، واحمد تيمور باشا المصري وغيرهم .

وفي الرسالة المسماة « باليزيدية ومنشأ نحلتهم » للمرحوم احمد تيمور باشا ان احد الافاضل « عني به عيسى يوسف نزيل نيويورك » كان قد عثر على الكتابين الجلوة ومصحف رش وكانا مخطوطين باللغةالعربية ونشرهما في احدى المجلات الامريكية «اراد بها مجلة اللغات والآداب السامية الامريكية » مع الترجمة الانكليزية ، ولكن على ما قال انها تختلف بكثير عن الأصل من زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وحط ورفع ، وذكر ان احد علماء المشرقيات « بالنمسا » عثر على نسخة منها بالعربية والكردية فطبعها بالنصين ، والترجمة في « فينا » .

فنرى ان الذين بحثوا عن اليزيديين من مستشرقين وسياسيين ورجال استعمار وتبشير كثيرون وليس في الوسع احصاؤهم ، ولو اردنا ان نجمع مؤلفاتهم لملأت مكتبة . ولم يتفق احد من هؤلاء مع الآخر ، وكانت غاية كل واحد منهم إظهار نزعته وميوله ، ويندر منهم من كتب لغاية العلم والتاريخ ، ولذلك فقد جاءت مؤلفاتهم جميعها بعيدة عن الصواب ، لا سيا ما كتبه رجال التبشير ، فقد أساؤوا فيها الى الحقيقةوأتوا بأشياء كلها أراجيف وأضاليل ، وأصح من كتب عنهم كتابنا العرب المسلمون نذكر منهم العلامة أحمد تيمور باشا والاستاذ الفاضل السيد عباس العزاوي ، فقد توصلاالى معرفةهذه الطائفةمعرفةتامةوبحثا عنها بحثا صحيحا ولم يتعديا الحقيقة والواقع فيما كتباه.

ان ما يدعو الى الاسف الشديد أن كتاب الجلوة ومصحف رش بعد ان انتقلا الى بلاد الغرب وتناولتها الايدي بالترجمة والشرح والتعليق ، لم نتمكن من العثورعليها في بلادنا ، وقد أوقفنا صديقنا الفاضل أمجد بك العمري على رسالة بقلم أحد المسيحيين المدعو داؤد بن سليمان الصائغ كتبها عام ١٨٨٠ حشر فيها أشياء كثيرة من معتقداتهم وأسرار ديانتهم والعريضة التي رفعتها جماعة من وجهائهم الى الحكومة حول طلب اعفائهم من التجنيد ، إلا انه لم يبق الكتاب الأسودعلى حالته وقد تصرف به تصرفا مشيناً وأدخل من عنده عليه أشياء كثيرة.

ان هذه الرسالة تحتوي على عشر ورقات بالقطع الكبير وقد كتبت رؤوس فصولها

بالمداد الاحمر مع نقوش رديئة قصد إملاء الفراغ فيها ، وتغلب فيها الكلمات العامية مع ضعف في التركيب وإهمال كثير من الحروف ، وهنا نقتبس كتاب الجلوة كما جاء بنصه :

- كتاب الجلوة -

كتاب الجلوة هو الموجود قبل كل الخلائق عند « طاؤوس ملك » وهو الذي أرسل الى هذا العالم « عبطاؤوس » لكى يميز ويفهم لشعبه الخاص أولا بالتعليم مشافهة ، وثم بهذا الكتاب الذى لا يجوز لأحد من الخارجين أن يقرأه ويراه .

—

الفصل الاول

١- أنا كنت ، وموجود الآن ، وليس لي نهاية ، ولي تسلط على الخلائق ، وتدبيري مصالح كل الذين تحت حوزتي .

٢- أنا حاضر سريعاً للذين يثقون بي ويدعونني الى الحاجة .

٣- ما يخلف مكاني من الدنيا (١) .

٤- مشترك أنا بجميع الوقائع التي يسميها الخارجون شروراً لأنهم ليست هي حسب مرامهم .

٥- كل زمان له مدبر بمشورتي (٢).

٦- كل جيل يتغير حتى رئيس هذا العالم . والرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته لكي يكمل وظيفته .

٧- أعطي رخصتي حسب الطبيعة لبني الانسان (٣) .

٨- يحزن ويندم الذى يقاومنى ، جميع الآلهة ليس لهم مداخلة بشغلي ، ومنعي عنها

---

١) وفي نسخة اخرى : ما يخلو عني مكان من الامكنة

٢) « « : بشوري

٣) « « : أعطي رخصة حسب الحق للطبيعة المخلوقة بإخلاقها

قضية مهمة (١) .

٩- كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها ، وزاغوا عنها ولو كتبها الانبياء والمرسلون ، لان كل واحد يعطي الآخر وينسخ كتابه (٢) .

١٠- الحق والبطل معلوم عندي حين وقوعهم بالتجربة (٣).

١١- أعطي ميثاقي للذين يتكلون علي، وأعطيهم رأي المدبرين الحذاق ، لاني وكلتهم لأوقات معلومة عندي (٤) .

١٢- أذكر وأحرك الأمور اللازمة في حينها (٥).

١٣- أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي، فاذا سمعوا قولي ، ووافقوا مشورتي، يجدون فيه لذة وفرحا وخيراً لهم .

الفصل الثاني

١٤- أنا أكافىء وأجازي نسل آدم بانواع أعرفها .

١٥- بيدي قوة وتسلط على جميع ما فى الارض من فوقها ومن تحتها .

١٦- ما أقبل معاملة غير العوالم (٦) .

١٧- ما أمنع خير الذين جربتهم وهم حسب مرامي (٧) .

١٨- أظهر فى جميع الأشكال والأنواع للذين هم أمنائي وتحت مشورتي (٨) .

---

١) وفي نسخة اخرى: الآلهة لاخرى ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عن مهم قصدته مهما كان .

٢) وفى نسخة اخرى : ليست الكتب الموجودة بين الخارجين اهي حقيقة ، ولا كتبها الانبياء والمرسلون ، لكن زاغوا وبدلوا ومنعوا ، كل واحد يبطل الآخر وينسخه .

٣) وفى نسخة اخرى : الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالاختبار والتجربة.

٤) « « : وعندي للذين يتكلمون عن ميثاقي وأخالفها حسب رأي المدبرين الحذاق الذين وكلتهم لاوقات معلومة عندي .

٥) وفي نسخة اخرى : اذكر اموراً واحرم الاشغال اللازمة بحينها .

٦) وفى نسخة اخرى : ما اقبل مصادمة بعض العوالم.

٧) وفي نسخة إخرى : وما امنع خيرهم مخصوصاً للذين هم خاصتي .

٨) « « : أتراءى بنوع من الانواع وشكل من الاشكال للذين هم أمنيني وتحت شوري.

١٩- آخذ وأعطي ، أغنى وأفقر ، أسعد وأشقي ، وذلك حسب الظروف والأوقات .
٢٠- ليس من يحق له ان يتداخل فى شيء من تصرفي .
٢١- أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يضاددونني .
٢٢- ما يموت الذي هو من حسبي مثل الخارجين من بني آدم (١) .
٢٣- ما أسمح لأحد بان يسكن هذه الدنيا بأكثر من الزمن المحدود مني ، وان شئت أرسلته الى هذا العالم او غيره بتناسخ الأرواح .

الفصل الثالث

٢٤- أرشد من غير كتاب ، أهدي عيناً أحبائي وخواصي جميع تعاليمي (٢) .
٢٥- موافق للحال والزمان ، أقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخرة .
٢٦- بنو آدم ما يعرفون الأحوال المزمعة ، يسقطون أوقات كثيرة بالغلط .
٢٧- حيوانات البر ، وطيور السماء ، وأسماك البحر ، جميعهم بيدي وتحت ضبطي .
٢٨- جميع الخزائن والدفائن التي تحت الأرض معلومة عندي ، وأخلفها من واحد الى واحد لمن أريده .
٢٩- أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبونها فى وقتها .
٣٠- الأجنبيون هم مخالفون ومضاددون لي ولا يبالون بذلك ، وهم ما يدرون هو ضرر عليهم لأن العظمة والثروة والغنى بيدي ، وأنا أختار لها من نسل آدم (٣) .
٣١- تدبير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير مدبريهم منظومة منذ القديم .

---

١) وفي نسخة اخرى : ما يموت الذي حسبي كسائر بني آدم .
٢) وفي نسخة اخرى : بزيادة بلا كلوفة.
٣) وفى نسخة اخرى : مخالفة ومضاددة الاجنبيين لي ولاتباعى هو ضرر عليهما لانهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي ، واختار من يليق لها من نسل آدم.

الفصل الرابع

٣٢- حقوقي ما أعطيها لغيري من الآلهة (١)

٣٣- أربعةعناصر، وأربعة أزمنة، وأربعة أركان سمحت بها لأجل ضروريات المخلوقين

٣٤- كتب الأجانب من اليهود والاسلام والنصارى أقبلوا منها ما يوافق سنني، وما يخالف لا تقبلوه لأنهم غيروا فيه (٢).

٣٥- ثلاثة أشياء هي ضدي وثلاثة أشياء أبغضها.

٣٦- الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي.

٣٧- الذين ينالون المصائب لا بد ان أكافئهم بأحد العوالم.

٣٨- جميع تابعي أريد ان يتحدوا برباط واحد لئلا تفسدهم الأجانب.

٣٩- يا أيها الذين آمنوا اتبعو وصاياي وتعاليمي، انكروا أقوال الاجانب التى لست أعلمها وليست هي من عندي.

٤٠- لاتذكرون اسمي ولا صفاتي لئلا تذنبون، لأنكم لستم تعلمون ما يفعله الاجانب

الفصل الخامس

٤١- يا أيها الذين آمنوا أكرمواصورتي وشخصي لأنهم يذكرانكم بي.

٤٢- احفظوا سنني وشرائعي.

٤٣- أطيعوا أصغوا الى خدامي بما يلقنونكم به، ولا تبيحوا بهقدام الاجانب كاليهود والنصارى والاسلام لانهم لا يدرون ما هو تعليمي، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيرونها عليكم وأنتم لا تعلمون.

٤٤- احفظوا أكثر الاشياء عيناً لئلا تتغير عليكم.

***

هذا هو كتاب الجلوة الذى أصبح محل اهتمام كثير من الغربيين الذين بحثوا عن

---

١) وفي نسخة اخرى: الذين لا يتبعونني.

٢) وفي نسخة اخرى: كتب الاجنبين مقبولة نوعا بالذي يطابق ويوافق سنني وما يخالفها هم غيروه.

هذه الطائفة ومعتقداتها ولم يوفه أحد منهم ما يستحقه من الدراسة ويعلم ما اشتمل عليه من تشريع وما رمى اليه صاحبه من غايات بعيدة كشأن غيره من أصحاب الشرائع. اذ مع ما يبدو فيه من السخافة ففيه من الأحكام الصارمة ما تدل على ان روحا ثائرة متمردة صاغته بهذا الأسلوب، وقد صدر بعض فقراته ب (يا أيها الذين آمنوا) تشبيهاً بالقرآن ليوهم قومه بأنه لم يكن صادراً عن لسان بشر . وقد أصاب المرمى في الصرامة التي أبداها في تقييدهم بهذه القيود التي لو تساهل فيها ، لما تم له ما أراده ، وللعبت الأيدي في مذهبه وقلبته رأساً على عقب وأزالته في أقرب وقت من الوجود .

ان كتاب الجلوة هذا الذى بيدنا الآن ، وإن كنا نرجح انه لم يمض على وضعه أكثر من عصر ونصف عصر على أعظم تقدير ، إلا ان الأحكام التى اشتمل عليها ترجع الى زمن تأسيس هذه الديانة ، وكاتبه الذى لم يكن غير مسيحي عاش بين اليزيدية زمناً ، ووقف على دخائلهم وأسرار ديانتهم ، لم يأت بشيء جديد من عنده ، بل أخذ ما وقف عليه من مدونات لهم ووضعه بهذا الأسلوب الركيك السقيم .

ولكن أين هي تلك المدونات التى اقتبس هذا الكاتب منها هذه الفصول الخمسة وسماها بالجلوة ؟ والجواب أنها ذهبت نهب أيدي العابثين كما ذهب كتاب الجلوة الأصلي نفسه، ويجوز أنه عثر على ما يسمونه « بالجلوة » ، وهو لم يكن طبعاً كتاب الجلوة لأرباب الخلوة المنسوب الى الشيخ حسن ، وسمى فصوله به ، وإلا من أين له معرفة بهذا الاسم والكتب الاسلامية التى جاء ذكره فيها قليلة وبعيدة المنال عليه ؟

وكثير من الباحثين من لم يعر كتاب « الجلوة » قيمة تشريعية ويحط منه ، على أن هذا الدين لم يحافظ طيلة هذه المدة على وضعه إلا بنتيجة ارتكازه على هذه المبادىء والأحكام الصارمة التى اشتمل عليها، وهو عمل عقل غير عادي له خبرة تامة فى الحالة العقلية والشعورية التى كانت سائدة بين هؤلاء الأقوام في ذلك العصر ودرجة استعدادهم لقبول هذا التطور في معتقداتهم . وأي دين قدر له البقاء طيلة هذه العصور في محيط ناصبته العداء فيه حكومته ، وأهل حضره وباديته ، وأراقت سيولا من دماء أبنائه ولم يؤثر فيه ؟ ألم يكن هو نتيجة ما أوصاهم به هذا الشارع بقوله :

« جميع تابعي اريد ان يتحدوا برباط واحد لئلا تفسدهم الأجانب » فكأنه علم ما سيلاقيه تابعوه من المقاومة الشديدة (من الأجانب) ودعاهم الى الاتحاد والتآزر لتقوى شوكتهم ويحافظون على ديانتهم . ولذا نجدهم كلما اشتد الضغط عليهم وحدوا صفوفهم ، ونبذوا الاختلافات الموجودة بينهم ودافعوا عن أنفسهم بكل حماس وشدة وهذا المبدأ بعيد من ان يفكر به واضع الجلوة الذي عرفناه ، او يدرك مدى تأثيره على هذه الطائفة ومما يدل على بعد النظر الذى امتاز به الشارع ، انه بعد ان اطمأن من تمسك هؤلاء القوم بما أوصاهم به وأصبح لهم كيان قوي لا تستطيع ان تلعب به الأهواء ويطمع به طامع آخذ يخاطبهم على لسان معبودهم الذي كأنما أنزلت هذه الاحكام من عنده بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اتبعوا وصاياي وتعاليمي ، أنكروا تعاليم وأقوال الأجانب التى لست أعلمها وليست هى من عندي » وهذا التحذير له قيمته وأهميته ، إذكان يرى ان أقل اتصال يحصل لهم بهؤلاء الأجانب - وأراد بهم المسلمين طبعاً - يؤدي الى افساد عقيدتهم ، وزوال هذا الدين من الوجود . وتأميناً لهذه الأمنية ، اي جعلهم بعيدين عن هؤلاء الأجانب ، وعن تعاليمهم - التي ليست هي من عنده ولا يعلمها - رأى ان يسدل عليهم رداء كثيفاً من الجهل ويفرض عليهم الأمية المطلقة - باستثناء أهل بيته - ليبقوا فى عماية عن معرفة كل ما يحيط بهم ، ومن المحقق ان لو لم يقيدهم بهذا القيد الشديد القاسي ويقضى عليهم بالعزلة عن الأجنبين عنهم، ويحرم عليهم تعاليمهم لدخل عليهم الاصلاح فى أول عهد ظهورهم . إن فرض الشارع عليهم الأمية كان له الأثر الشديد على حياتهم الدينية والاجتماعية طيلة سبعة عصور مضت عليهم ، ومهما حاولت الحكومة اليوم ادخال التعليم عندهم لم تلق نجاحا يذكر .

إن كل ما هو داخل في نطاق الحياة الانسانية في هذا العصر خاضع لقانون الارتقاء والتكامل ، وفي كل أمة ظهر علماء وفلاسفة تم على أيديهم رفع مستوى العقل البشري وتجريده من الأوهام والشكوك فى معرفة حقائق الاشياء حتى الاقوام الهمجية في صحاري غوبي وتبت وفي أدغال الآمازون والكونغو فقد أخذت تخلع عنها رداء الجهل

وتدخل حياة جديدة باستثناء هذا الشعب الذي نبت في مهد الحضارة الاولى للانسان فلا يزال متمسكا بعاداته الهمجية ، ومحال عليه ان يظهر يوما استعداداً لقبول الاصلاح ويظهر فيه ذو دماغ مفكر يحارب هذه الخرافات ويدعو قومه للأخذ بمبادي الحضارة . وهل من سبيل له الى ذلك وقد أفهمه الشارع ان ديانته ليست محررة في السطور بل محفوظة في الصدور ورجال الدين هم المأمورون بنقلها اليهم من طريق المشافهة ؟ فقد جاء في مقدمة كتاب الجلوة :

« الموجود (اي كتاب الجلوة) قبل كل الخلائق عند (طاؤوس ملك) وهذا الذي أرسل الى هذا العالم (عبطاووس) لكي يميز ويفهم لشعبه الخاص من كتبه أولا بالتعليم مشافهة ، وثم بهذا الكتاب الذى لا يجوز لاحد من الخارجين ان يقرأه ويراه » .

وجاء في الفقرة (٢٤) من الفصل الثالث :

« أرشد من غير كتاب ، أهدي غيباً أحبأي وخواصي جميع تعاليمي » .

وجاء في الفقرة (٤٣) من الفصل الخامس :

« أطيعوا ، أصغوا الى خدامي بما يلقنونكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » .

وجاء في الفقرة (٤٤) من الفصل الخامس :

« احفظوا اكثر الاشياء عيناً لئلا تتغير عليكم » .

فهكذا بعد ان أوصاهم بانكار أقوال وتعاليم الخارجين عنهم وهم اليهود والنصارى والمسلمون ، وفرض عليهم الأمية المطلقة وأفهمهم ان العلم لم يكن في السطور بل في الصدور وانه يجب عليهم ان يتلقوه من خدامه رجال الدين ويحفظوه على صدورهم لئلا يتغير عليهم ، أخذ يحظر عليهم ايقاف أحد من أصحاب الاديان السائرة على كتبهم او المجاهرة أمامه بشيء من عقائدهم إذ نجده يقول :

« وثم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لاحد من الخارجين ان يقرأه ويراه » .

ويقول :

« احتفظوا بالعلم الذي يلقنونكم به - أراد خدامه وهم الطوائف الروحيون - ولا تبيحوا به قدام الاجانب كاليهود والنصارى والاسلام ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي

ولا تعطوهم كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون » .

وهذا منتهى البراعة وبعد النظر من واضع الجلوة فقد كان يعلم ان الخارجين عنهم سيفضحون سر هذا الكتاب عند أول ما يطلعون عليه ويفسدون عليه مذهبه لا محالة ، وقد صدق حسه ووقع ما كان يحاذره . إذ عدا ما كان من اطلاع الخارجين على كتابه وانفضاح أسرار ديانته فقد دخل الكتاب نفسه في أيديهم على رغم احتفاظهم الشديد به . ومع هذا فلا يزالون يظهرون التكتم في معتقداتهم ومحال عليهم ان يسمحوا لاحد ان يقف على شيء من عباداتهم . وهذا ما جعل الباحثين يتخبطون فى القول عنهم وكل ما قالوه هو رجم بالغيب .

***

قلنا أن كتاب « الجلوة » لم يكن شيئاً عادياً لا يستحق الاهتمام والعناية ، وأن واضعه الذي لم يمض عليه أكثر من عصر ونصف عصر لم يكن إلا ناقلا او مقتبساً ، وما تضمنه من أحكام ومبادىء يرجع الى أول عهد ظهور هذا الدين ، وإن واضع هذه الأحكام والمبادىء هو مؤسس هذا الدين نفسه .

ونظرة واحدة الى هذا الكتاب تدلنا على أن الغاية التى كان يرمي اليها واضعه هو بقاء هذا الدين بجانب الأديان السائرة مدى الدهر ، وربما أنه كان يرمي الى جعله ديناً عاماً تدين به الملايين من البشر ، وما هذه التعاليم التى نجدها في كتاب الجلوة الذي بيدنا إلا جزء من التعاليم التى اشتمل عليها كتاب الجلوة الذي وضعه مؤلفه فى بحر ست سنوات .

فكر مؤلف « كتاب الجلوة لأهل الخلوة » ـ ومن شأنه ان يفكر ـ بأن بقاء هذا الدين على الوجه الذي أراده لا يتم له ما لم يسلك فيه طريقة لم يكن قد سبقه فيها أحد، فبعد ان أوجب فيه على تابعيه الأمية وهبط بهم الى دركة الحيوانية وحصر العلم فى أهل بيته ، سلك معهم طريقة الارهاب والاخافة والتوعيد، فأفهمهم على لسان معبودهم الأعظم أنه إله شر ونقمة ، ومشترك فى جميع الوقائع التى يسميها الخارجون عنهم شروراً وآثاماً ، وأنذرهم بتسليط الأوجاع والأسقام عليهم اذا ما خالفوه وعصوا

أمره ، ومن شأنه ان يظهر بهذا الشكل المملوء قسوة ورعباً وهو آله شر ونقمة لا إآله خير ونعمة ، اذ يقول لهم :

« لي تسلط على الخلائق وتدبيري مصالح كل الذين في حوزتي »

ويقول :

« يحزن ويندم الذي يقاومني »

ويقول :

« أجلب الأوجاع والآلام على الذين يضاددونني »

ويقول :

« بيدي قوة وتسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها »

ويقول :

« أغني وأفقر ، وأسعد وأشقي ، وذلك حسب الظروف والأوقات »

ويقول :

« أقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخرة » .

فهذه التخويفات والوعيدات هي التي أوجبت خضوعهم له ، وجعلتهم يرهبونه ويجتنبون ما نهاهم عنه . وأي شيء أعظم أثراً في النفوس من تخويفات ووعيدات تصدر من إآله عرف بالشر ، وليس لأتباعه ان يحظوا بأقل رأفة ورحمة منه ؟ فعبادتهم له ، وذبحهم القرابين لأجله هو قصد إرضائه ، والتخلص من أذاه ، لا رغبة في نيل إحسانه ، ويعلمون ان ذلك ليس من شأنه ، بل شأنه تسليط الاوجاع والآلام على الذين يضاددونه ويخالفون أمره ، وهو مصدر الشر ومنبع الآثام ، والمتسلط على الخلائق ، وجميع ما في الارض من فوقها ومن تحتها في حوزته ، وهو المغني والمفقر ، والمسعد والمشقي وكل شيء بيده .

وقد أراد الشارع ان يرفع من قيمة الآله المنبوذ في نظرهم ويزيدهم له خضوعاً واستسلاماً ، فأمرهم على لسانه :

« لا تذكرون اسمي ولا صفاتي لئلا تذنبوا ، لأنكم لستم تعلمون ما يفعل الاجانب».

فلماذا يكونون قد أذنبوا اذا ذكروا اسمه وصفاته ، وماذا يفعله الأجانب في مثل هذه الحالة ؟ ان اسم الشيطان لدى الأجانب - وهم المسلمون - مكروه ممقوت ، وقد لا يرد على ألسنتهم إلا مقرونا باللعنة ، ويصفونه بالشر والخبث والمكر ، ويتعوذون منه . فجاراتهم لهم بتسميته بهذا الاسم ، ووصفه بهذه الصفات حط من كرامته ، ومن الأجدر أن يسمونه باسم يرفع من شأنه . وما هذا الاسم إلا « طاؤوس ملك » الذي يدل على التعظيم والتبجيل . وأما ما يفعله الاجانب فهو قراءتهم دوماً الآية الكريمة : « وكان من الكافرين وأن عليك لعنتي الى يوم الدين » و « اخرج منها فانك رجيم » و « إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » الى غير ذلك من الآيات التي تدل على تحقير شأنه والحط من قيمته .

ويجدر بنا أن نقدر فيهم روح الثبات والشجاعة والعزم الذي غرسه فيهم هذا المبدأ طيلة هذه المدة على رغم ما لاقوه من المحن والشدائد على أيدي الحكومات التي تولت أمرهم ، وقبائل المسلمين الذين نادوا بعماداتهم ، وقد بلغ فيهم التعصب للشيطان أن حرموا حتى استعمال الكلمات التي على رويه كسلطان وقحطان وعدنان والكلمات التي تحوي حرف (الشين) و (الطاء) من اسمه . وقد يجتنب المسلم عن ذكر اسمه أمامهم مجاملة لهم ، واذا تعمد تسميته فقد لا يسلم من أذاهم اذا وجدوا اليه سبيلا .

يقول عن لسانه : « يا أيها الذين آمنوا أكرموا صورتي وشخصي لأنهم يذكرانكم بي » فبعد أن منعهم عن ذكر اسمه وصفاته لئلا يذنبوا ، أمرهم أن يكرموا صورته وشخصه ، وهو التمثال المصنوع بشكل ديك أو بطة ، وحثهم على تكريمه واحترامه والسجود له ، وذلك لأن عملهم هذا يذكرهم به ، فكأنما أراد أن يقول لهم : « إن احترامكم لصورتي ، هو عين احترامكم لي » وهذا هو مبدأ عبادة الطاؤوس عندهم .

إن عقيدة عبادة الشيطان عند اليزيدية لم تكن قديمة ترجع الى عهد الشيخ حسن الذي يعزى اليه وضع هذا المذهب ، وإن كنا لا ندفع عنه التعصب للشيطان شأنه في ذلك شأن البعض من رجال الصوفية الذين ظهروا قبله وعلى عهده ، وليس لدينا ما يدل على أن اليزيدية كانوا يعملون بهذا المبدأ على هذا الشكل حتى القرن التاسع الهجري ،

والأرجح انهم عملوا به في هذا التاريخ او بعده بشيء قليل . نستدل عـلى ذلك ببيت جاء في قصيدة تعزى الى الشيخ عدي بن مسافر سواء كان هو قائلها ام عزيت اليه، وهو:

وأبو مرة اللعين عزازيل أبى السجود فكنيته بالرجيم

فهذه القصيدة وردت في كتبهم وكانوا يقرأونها ، وكانوا ينظرون الى الشيطان كما ننظر نحن المسلمون اليه ، ويلعنونه كما نلعنه ، فاذا علمنا ذلك ، وعلمنا أنهم ظلوا على عقيدتهم هذه فيه ، وظلوا يسمونه باللعين وينعتونه بالرجيم طيلة العصرين السابع والثامن الهجري ، بدليل ان المؤرخين الذين بحثوا عنهم في هذين العصرين وعـددوا عوامل الفساد التي دخلت عليهم لم يذكروا ان عبـادة إله الشر دخلت عليهم ، وأوجـدوا الطاؤوس ورمزوا به عنه ، وجب ان نبحث عن كيفية دخـول هذه العقيدة عليهـم ، ومن الذى أدخلها ؟ فالتاريخ لم يبحث عن هذا ، وقد سكت عنه بالمـرة ، والذى يلوح لنا ان الذى أوجد هذه العقيده ودعاهم الى إتباعها ، هو أحـد رجال البيت العدوي ، وعلى يده تم هذا الانقلاب العظيم ، وقد تم له بعد أن وجد عوامل الفساد تنخر فيهـم ووجدهم على استعداد لتلقي ما يمليه عليهم من المباديء الـتي تأتي موافقة لميولهم . ففى تاريخ « جودة » التركي ذكر لشخص اسمه (الشيخ فخر) قال عنه أنه ظهر في سنجـار ووضع لهؤلاء القوم الشرائع الفاسدة التي أدت الى انفصالهم عن الاسلام بالمرة . ان المؤرخ التركـي واهم في هذا الخبر ، اذ ان هؤلاء القوم لم يفدوا الى سنجار إلا وهم عاملون بهذا المذهب ، والشيخ فخر الذى ذكره ، هو أخو الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني ، واليزيدية لم تكن قد أخذت هذا الشكل على زمنه ، ولم يرد ذكر أحد من هذا البيت بهذا الاسم وظهر في سنجار في ما بعد .

***

ان أهم ما كان يرمي اليه هذا الشارع ، هو جعل هذا الدين محاطاً بالكتمان لئلا يطلع عليه ذوو الأديان السائرة ـ لا سيما المسلمون ـ ويفسدونه عليهم ، ويعلم درجة إنكارهم له ، فيقول :

« احتفظوا بالعلم الذى يلقنونكم إياه، ولا تبيحوا به قدام اليهود والنصارى والمسلمين

وغيرهم ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون » .

والذين يلقنونهم إياه ، هم خدامه الذين ورد ذكرهم ، وهم الرجال الروحيون ، وقد رمى بهذا القول الى عدة مقاصد ، منها : إلزامهم بأخذ واجباتهم الدينية من الرجال الروحيين ، بعد ان أمرهم بالطاعة لهم ، حيث أدى الأمر الى اتساع نفوذهم وتصرفهم بأمور الدين كيفما يشاؤون وتشاء مصلحتهم .

ومنها : تقوية روح الخلاف والتناكر بينهم وبين المسلمين حتى يكونوا دائماً في معزل عنهم . فاذا ما تم لهم ذلك وانقطعت صلة التآلف بينهم تعذر على المسلمين الاطلاع على كتبهم .

يقول : « كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغوا عنها ولو كتبها الأنبياء والمرسلون » .

وفي هذا تحذير لهم عن الاطلاع على كتب الغير بحجة أنهم بدلوا فيها وحرفوها عن أصلها ، ويعلم ان لو اطلعوا عليها لكان خطرهم عليهم عظيما ولاختلت قواعد دينهم وتصدع بنيانه . أما قوله في محل آخر : « كتب الأجانب من اليهود والمسلمين والنصارى اقبلوا منها ما يوافق سنني وما يخالف لا تقبلوه لأنهم غيروا فيه » فليس فيه ما يفيد سوى معنى التأكيد عليهم بنبذ هذه الكتب ، بعد ان يكونوا قد علموا انه ليس فيها ما يوافق سننه ، وقد دخل عليها التحريف والتغيير والتبديل ولم تبق على أصلها ، وكيف يتسنى لهم ذلك وقد أصبحوا جميعاً أميين باستثناء أفراد أسرته الذين أباح لهم التعليم دون غيرهم ؟ .

يقول : « أنا أكافيء وأجازي نسل آدم بانواع أعرفها .. بيدي تسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها .. ما أقبل معاملة غير العوالم ، وما أمنع خير الذين جربتهم وهم حسب مرامي » .

إن وعده بمكافأة نسل عدوه الذى طرد من الجنة لأجله أمر فيه نظر ، والمسلمون الذين يستعيذون منه صباح مساء لا ينتظرون منه عطفاً ولا جزاء ويعلمون ان ذلك لم

يكن من خصائصه ، اما اذا كان قصد من (نسل آدم) شعبه الخاص فيجوز ان ينخدعوا بهذه الوعود المعسولة ويزدادوا به ارتباطاً ، وهو الذي بيده تسلط على جميع ما فى الأرض من فوقها ومن تحتها وقد تفرد بالحكم ولم يقبل معاملة غير العوالم ، وقد أراد بغير العوالم الحق تعالى الذي لا يقدر على شيء دونه ! والذين جربهم وهم حسب مرامه هم الذين أخلصوا له ، ولا يمنع خيره عنهم .

يقول : « إن الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي ، والذين يتحملون المصائب لسببي لا بد ان أكافئهم بأحد العوالم » .

والقصد من حفظهم الأسرار هوعدم إباحتهم بشيء من الأحكام التى يلقنونهم بها خدامه ، وإخفاء كتبه عن الأجانب لئلا يطلعوا عليها ، ثم التجنب عن ذكر أسمائه وصفاته ، الى غير ذلك من المسائل التي لو اطلع الخارجون عليها لأفسدوا عليهم دينهم فهؤلاء الذين يحفظون هذه الأسرار هم الذين ينالون وعوده ، ثم ما أعظم المحن والمصائب التي لاقاها هؤلاء البؤساء من أجله ؟ وقد أصبحوا محقرين منبوذين بنظر العالم ، واستحل المسلمون دماءهم وأموالهم وأباحوا أعراضهم ، وطبقوا هذا الحكم عليهم بضعة قرون . فلأجل ان لا يتسرب الضعف الى قلوبهم ويتحملون هذه المصائب بجلد وصبر أخذ على نفسه مكافأتهم ، اما فى الدنيا او بالآخرة وهو أعظم ما يتمنونه .

يقول : « أطيعوا ، أصغوا الى خدامي عما يلقنونكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » .

وقد أراد هنا بخدامه ؟ (الكواجك) المختصين بخدمته والذين هم على اتصال دائم منه . إذ قد يتيسر لهم بنتيجة هذا الاتصال الاطلاع على أسرار الغيب على ما يعتقدونه ويدعونه . ومن هنا نشأ قيامهم بين الفينة والفينة بدعوى النبوة وتبليغ الاحكام التى كأنها وصلت اليهم من لدن المعبود الأعظم إما بطريقة الكشف او الرؤيا ، والملة من واجبها ان تصغي اليهم وتعمل بما يفرضونه عليهم .

وقد أراد بذلك حفظ هذا الدين من خلل يطرأ عليه ، على يد هؤلاء الكواجك الذين هم أشد غيرة عليه لما خصهم به من قرب ، وجعلهم له خداماً . ورؤساء الدين جميعاً

حريصون على بقاء هذا الدين ، ويعلمون انه بزواله يضيعون مكانتهم ويحرمون من دخلهم الذي يأتيهم بلا تعب .

***

إن الشارع للدين اليزيدي - ليس مؤلف كتاب الجلوة الذي بيدنا - دل في وضعه هذه الأحكام على عقلية جبارة لا نجدها في أمثال ماني ومزدك وغيرهما من أصحاب الشرائع الذين ظهروا في الشرق الأدنى وفي بلاد فارس ودامت ديانتهم عدة عصور ، إنه يمتاز عليهم ببعد نظره ، ووقوفه على ذهنية الشعوب التي كانت في عصره . ولوظهرت ديانة ماني ومزدك في العصور الأخيرة، لما قدر لها البقاء بقدر ما قدر لديانة هذا الشيخ العدوي . على ان الذين بقوا من اصحاب ديانة الشيخ العدوي بعد الاضطهادات والمذابح التي قللت عددهم لا ريب انهم سيبقون عما هم عليه الآن ، وسيحافظون على بقائهم ما لم يدخل عليهم إصلاح واسع من الناحية الاعتقادية والثقافية والعقلية .

وضع الشيخ العدوي هذا الدين ، لا لغاية الدين نفسه ، بل ليتخذه سلماً للوصول الى أمانيه التي كانت تتزاحم في نفسه ، ألا وهي نيل الجاه والملك والسلطان ، ويلوح لنا أنه كان قد درس جميع الأديان التي ظهرت في الشرق الأدنى وبلاد فارس في مختلف العصور ، ووضعها في بودقة وهصرها واستخلص منها هذا الدين بعد أن مزجه بنظريات على جانب من الأهمية والخطورة ، لم يكن ليفكر بها غيره من واضعي الشرائع،فعرف مدى تأثيرها على بقاء هذا الدين . ومن هنا ندرك سعة عقله وإدراكه ، ونحكم بانه الرجل الفذ الذي ظهر في عصره . ولو قدر له البقاء لوقت آخر وتمكن من تطبيق جلوته - التي بقينا نجهل ما اشتملت عليه من أنظمة ومبادىء غير التي رأيناها - لعسر علينا إدراك مدى ذيوع هذا الدين بين الشعوب التي أظهرت استعداداً لقبوله ، ولأقبلت عليه الأقوام الفارسية واعتنقته ، وهي التي لا تزال تظهر حنيناً الى شرائع زرادشت ومزدك وماني وتود الرجوع اليها .

يذهب الناس الى أن ديانة اليزيدية ديانة سخيفة تجرد أصحابها من الكمال المطلق وانها تنزل بهم الى دركة العجماوات وغرضها الابتعاد عن التهذيب ، وهذا صحيح . والشيخ

العدوي لم يكن رائده وضع ديانة يدعو فيها الى الاصلاح والتهذيب ، والدين الاسلامى قد كفل ذلك ، بل ايجاد ثورة نفسية جامحة بين أتباعه الذين وثق من إخلاصهم له ولأهل بيته ليقوي بهم عصبيته ، ويتخذ منهم قوة هائلة جبارة تقف في وجه مخالفيه ليتيسر له الوصول الى أمانيه التي تعتلج في نفسه . ولم يطرق أحد من الكتاب والمؤلفين من شرقيين وغربيين فى بحوثه عن الديانة اليزيدية دراسة هذه الناحيـة ، فمنهم من اتخذ البحث عنها وسيلة للتبشير بالديانة المسيحية والطعن بالاسلام ، ومنهم من بحث عن الخرافات والأساطير التى اشتملت عليها ، ومنهم من بحث عنها لغايات استعمارية..وهكذا أضاعوا أهم ناحية من نواحي البحث عن هذه العقيدة . وجدير بهذه الديانة أن تكون محل دراسة عميقة لتعرف منها الحالة السياسية والاجتماعية والشعورية التي كانت سائدة فى العصور الوسطى للاسلام .

« العريضة التى رفعها لفيف من وجهاء اليزيدية في الشيخان »

« حول طلب اعفائهم من التجنيد الاجبارى، نثبتها »

« هنا لما احتوته على اخبار هامة عن »

« معتقداتهم وأصول ديانتهم »

كان اليزيدية الى قبل نصف عصر او أكثر يجتنبون عن مخالطة غير اليزيدي ويحرصون على كتم مبادئهم عنه . وعندما أحرجتهم الظروف على رفع هذه العريضة الى الحكومة وكشفوا بها عن كثير من أسرار ديانتهم ومعتقداتهم ، تلقتها الأيدى باهتمام زائد ، واتخذتها كوثيقة يرجع اليها عند البحث عنهم . ولذلك ما وجدنا أحـداً من الباحثين عن هذه الديانة إلا وأتى بها ، ولكن بعد ان قدم فيها وأخر وحرفها عن مواضعها .

وقد اخترنا تعريب النسخة التي أوردها المستشرق الفرنسي موسيو (ف . نو) في مجموعة نصوصه لقربها الى الصحة أكثر من غيرها ، فانه بعد ان ذكر :

أن هذه العريضة كانت قد رفعت الى الاستانة بواسطة رؤف باشا والي بغداد ومشيرها فى ١١ آذار عام ١٢٨٩ مالية عثمانية (٢٨ شباط ١٨٢٧ م) قال: فى زمن السلطان عبد العزيز (١٢٤٥ ـ ١٢٣٩ هـ) أتى أمير الألاي طاهر بك (١) من استانبول لجمع (١٢٠٠٠) جندى نظامي من اليزيدية الداسينين ، فاستدعى الوالي أشرافهم وأمراءهم وقرأ المرسوم السلطاني عليهم ، فطلبوا مهلة عشرة أيام لكى ينظروا في هذا الأمر، وبعد انقضاء الأيام العشرة ، قدموا الى مقام الولاية عريضة قالوا فيها :

نحن أبناء الأمة اليزيدية حيث يتعذر علينا القيام بالخدمة العسكرية التى تكلفنا الحكومة بها ، نؤثر ان نقدم الى الحكومة المساعدة المالية عوضاً عن الرجال كبقية المسيحيين واليهود ، والأسباب التى تحول دون الخدمة العسكرية هي كثيرة نذكر منها أربعة عشر سبباً :

الأول : يجب على كل يزيدي ، كبيراً كان أم صغيراً ، امرأة أم فتاة ، ان يحج الى صورة « الملك طاؤوس » ثلاث مرات بالسنة ، أي فى شهر نيسان وأيلول وتشرين الثاني ، ومن أهمل ذلك يعد غير مؤمن بالمذهب اليزيدى (٢) .

الثاني : اذا لم يزر اليزيدى قبر الشيخ عدي بن مسافر قدس الله سره ، ولو على الأقل

---

١) ان فكرة تطبيق قانون التجنيد على اليزيدية ترجع الى المرحوم مدحت باشا عندما كان واليا على بغداد (من مارت ١٢٨٥ الى ايار ١٢٨٨) وان امير الالاي طاهر بك لم يأت من استانبول خصيصا لهذه المهمة ، بل جاء من بغداد عندما كان رئيسا لاركان الجيش ، وقد أشار الى ذلك الكاتب التركي احمد مدحت افندي في كتابه (تاريخ اديان) بقوله :

« عندما كنا فى بغداد كان اليزيدية يدعون بعدم وجود علاقة لهم بالاسلام وذلك قصد التخلص من الخدمة العسكرية ، فارسل مدحت باشا قوة تحت قيادة المرحوم امير الألاي طاهر بك الذى ارتقى الى رتبة المشيرية لاجل ارغامهم على التجنيد » .

ولم نعلم ما اذا كانت النتيجة أأعفوا عن التجنيد ام ارغموا عليه بناء على تنسيب وموافقة رؤف باشا.

٢) ليس من الواجب على اليزيدى الحج الى صورة الملك طاؤوس (اي زيارة السنجق) بالسنة ثلاث مرات ، ولا يعد كافراً من اهمل ذلك ، وكثير من اليزيدية القاطنين في الاماكن البعيدة قد لا تتسنى لهم هذه الزيارة الا نادراً ولم يخرجوا من دينهم .

مرة واحدة في السنة (١٥ - ٢٠ ايلول) يكون غير مؤمن عندنا (١) .

الثالث : يتحتم على كل يزيدى ان يفتش له كل صباح عند شروق الشمس على محل منزو بقدر ما يرى منه نور الشمس ويسجد له ، ولا يجوز ان يكون هناك مسلم أو يهودى أو مسيحي ولا غير مؤمن ، وإن أهمل ذلك يعد كافراً .

الرابع : يجب على كل يزيدى ان يقبل يد أخيه الأبدي او خادم المهدي ويد شيخه وبيره (رئيسه) واذا ترك ذلك يعد كافراً (٢) .

الخامس : هذا أمر لا تجوزه شريعتنا : لما يبدأ المسلمون بالصلاة صباحا يقولون « أعوذ بالله من .... اه » فاذا سمع أحد منا هذا وجب عليه إما ان يقتله او يقتل نفسه واذا لم يفعل ذلك يعد كافراً (٣) .

السادس : لما يموت أحدنا يجب ان يحضر موته أخوه الابدي وشيخه وبيره ، وأحد القوالين يقول له هذه العبارة « أنت أيها الساجد لملك طاؤوس تموت في الايمان الموجود عليه الذي تعبده ، أعني الآله السامي طاؤوس ملك لا في ايمان آخر . واذا أتاك أحد وقال لك في الاسلامية والمسيحية واليهودية او في ديانة اخرى لا تؤمن به ولا تتبعه لانك اذا عرفت ديانة أخرى ما عدا ديانة (طاؤوس ملك) الذي تسجد له وتتبعها تموت غير مؤمن » (٤) .

السابع : عندنا ما ندعوه ببركة الشيخ عدي وذلك هو التراب الذي نأتي به من قبر الشيخ عدي ، فكل يزيدي لم يحمل من ذلك التراب شيئاً معه ، ولم يأكل منه عند كل

١) اذاً ما قولهم في اليزيدية القاطنين اطراف حلب ودياربكر وماردين وبدليس ووان وبلاد الروس ولم يزر واحدهم قبر الشيخ عدي في حياته ولا مرة واحدة ، هل يكونون غير مؤمنين ؟ ام ان هذه الشريعة مختصة بيزيدية الشيخان وحدهم ؟

٢) يعد اليزيدى آثما - لا كافراً - اذا أعرض عن تقبيل يد شيخه وبيره عمداً وقصداً . اما اذا كان اعراضه عن سهو وغفلة فلا اثم عليه . اما تقبيل يد اخيه الابدي فلم يكن واجبا .

٣) لقد بالغوا فيه كثيراً ولو كان الامر كما ذكروا لوجب ان لا يمضي يوم الا وحادثة قتل ماثلة امامنا .

٤) هذا صحيح ولكن كثيراً ممن لم يحضرهم شيخهم وبيرهم ويلقنهم بهذه الكلمات عندما يدركهم الموت هل يموتون على غير دينهم .

صباح يعد كافراً . واذا مات أحد منا وليس معه من هذا التراب المبارك فيموت كافراً ايضا (١) .

الثامن : يجب على الذين يقومون بفريضة الصوم ان لا يصوموا إلا في وطنهم ولا يجوز لهم الصيام في محل آخر لانه يتحتم على كل واحد منهم في صباح كل يوم من الصوم ان يذهب الى بيت شيخه أوبيره وهناك يبدأ فى صومه ويحل صومه مساء فى بيت أحدها حيث يشرب خمر شيخه أوبيره المقدس واذا لم يشرب كأساً او كأسين لا يقبل صومه ويعد كافراً (٢) .

التاسع : اذا سافر أحد أبناء الملة اليزيدية الى بلدة غريبة وبقي فيها على الاقل سنة ثم يعود الى وطنه فلا يستطيع ان يعيش مع زوجته ثانية ولا يعطيه أحد منا امرأة ، واذا فعل أحد منا ذلك يعد كافراً (٣) .

العاشر : من حيث اللباس ، فكما قلنا في العدد الرابع ان كل واحد منا له أخ الأبدية وله أيضا أخت الأبدية ، ولما يخيط أحد منا قميصه لا يجوز ان يثقب الرقبة إلا أخت الأبدية بنفسها ، واذا لم تفتح هي ذلك لا يجوز لبس القميص ، واذا لبسه يعد كافراً (٤)

الحادى عشر : اذا صنع أحد اليزيدية قميصاً له او شيئاً جديداً ولا يغسله في الماء المبارك الذى هو فى محراب الشيخ عدى لا يجوز لبسه ، واذا فعل ذلك كان غير مؤمن (٥)

١) لو صح هذا الشرط لنفذ التراب الذي فى مرقد الشيخ عدي وأصبح هاويه لا يدرك غورها. ومع هذا فكثير ممن يحمل بنادق صغيرة معمولة من هذا التراب لاجل البركة ويتخذها يزيدية سنجار أداة لتوثيق الصلح وبالعكس كما مر بنا .

٢) لا صحة لهذا الشرط اصلا ، واليزيدي لا يعرف (الخمر المقدس) ولا يشربه . والخمر محرم عليهم ايام الصيام بصورة مطلقة ، والعادة ان يدعو المريد شيخه او بيره للافطار عنده وليس بالعكس ، وهي ليس بعادة محتمة .

٣) ليس كذلك . والقاعدة ان المرأة التي يغيب عنها زوجها اكثر من سنة، الحق افي ان تتزوج من غيره . وهى ليست قاعدة الزامية ، ويجوز ان تنتظر أوبته ولو بعد اكثر من سنة ولا ترضى بديلا بغيره لا سيما اذا كان لها اولاد منه . ولا مانع للرجل الذى تتخذ زوجته زوجا آخر ان يتزوج من جديد وما قالوه لم يكن صحيحا .

٤) فكيف اذا لم تكن اخت الابدية حاضرة ويريد اخوها ان يصنع له قميصا وهو بحاجة اليه ؟ ولماذا يستعملون الاقمصة الفرنجية المثقوبة رقبتها ولم تفتحها يد الاخت الابدية ؟ وهل يعدون كفاراً ؟

٥) تغسل الاشياء التي يعتقد باستعمال المسلم لها كالموسى والملعقة وغير ذلك ، اما بقية الاشياء فلا .

الثاني عشر : لا يجوز عندنا اتخاذ الألبسة الزرقاء ، ولا نستطيع ان نمشط رأسنا بمشط مسلم أو مسيحي أو يهودي ، ولا نستطيع ان نحلق رؤوسنا بموسى غير مؤمن ، إلا اذا غسلناه بماء الشيخ عدي المبارك ، واذا لم نفعل ذلك نكون غير مؤمنين .

الثالث عشر : لا يجوز لليزيدي ان يدخل المرحاض ولا الحمام ، ولا يسوغ له ان يستعمل ملعقة او كأساً قد استعمله مسلم او غير مؤمن (١) .

الرابع عشر : أما بخصوص القوت ، فالبون عظيم بيننا وبين المذاهب الأخرى ، فاننا لا نقدر ان نأكل السمك ولا القثاء ولا البامية ولا القرع ولا الفاصولية ولا الملفوف ولا الخس (٢) .

رئيس الملة اليزيدية أمير الشيخان حسين	الرئيس الروحاني للملة اليزيدية في ناحية الشيخان شيخ ناصر	رئيس قرية مامرشان سليمان	رئيس قرية بيبان حسين
رئيس قرية خطارة أيوب	رئيس قرية موسكان مراد	رئيس قرية دهكان حسن	رئيس قرية خورزا نرمو
رئيس قرية باقصرة علي	رئيس قرية خوشابا الياس	رئيس قرية بعشيقة علو	رئيس قرية كاباره كوجك كسو
رئيس قرية سينا عبدو	رئيس قرية عين سفنى كركو	رئيس قرية كبرتو طاهر	رئيس قرية قصر يزدين شيخ خيرو

إن هذه المسائل التي احتج بها جماعة من يزيدية الشيخان وعلى رأسهم الأمير حسين بك والرئيس الروحاني للملة اليزيدية الشيخ ناصر بأنها مانعة لقبولهم التجنيد ، لم تكن لتعبر تعبيراً صادقا عن معتقداتهم وقد بالغوا فيها قصد أن يضطروا الحكومة الى عفوهم

---

١) لا جدال في انهم كانوا قبلا يحرمون دخول المرحاض والحمام ، ولكن بعد ان اخذوا يكثرون التردد الى الموصل والاختلاط بالمسلمين عدلوا عن هذه العادة . اما تحريمهم الكأس والملعقة التي يستعملها المسلم فلا صحة له ، ولو كان الامر كذلك لما اكلوا ولا شربوا في بيوتنا طيلة ايام السنة ولا دخلوا المطاعم والمقاهي وشربوا الشاي والقهوة هم والمسلم والنصراني واليهودي في فنجان واحد وقدح واحد .

٢) اما الخس والملفوف محرمان عليهم حقيقة ، والسمك والفاصولية والقرع فيحرمهم اناس قليلون ، واما بقية الاشياء فيزرعونها ويأكلونها جميعاً دون استثناء .

عن الخدمة العسكرية وأخذ البدل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وكانت الحكومة تشدد الخناق عليهم لقبول الخدمة العسكرية ولم تعترف بأنهم خارجين عن الاسلام .

وقد كان الاصرار الذي تبديه الحكومة فى إرغامهم على قبول الخدمة العسكرية فى نصف العصر الاخير فى حكمها فى العراق من أعظم المشاكل التى لاقوها فى حياتهم . فألف نوري باشا الكريدي فى ولايته على الموصل رسالة عن معتقداتهم وأصول ديانتهم سماها « عبدة ابليس » أوضح فيها الموانع التي تحول دون قبولهم الجندية ، وبرهن على ضرورة أخذ البدل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وطبع هذه الرسالة فى مطبعة الولاية (١) وبعث بها الى رجال الحل والعقد في اسطنبول بغية ازالهم عند هذه الفكرة ، فلم يلق نجاحا . وقد كثرت الأقوال فى المحافل الرسمية عن الأسباب التي دعت هذا الوالي الى وضع هذه الرسالة ، وانتقد عليها .

---

١) طبع منها اربعون نسخة فى مطبعة الموصل سنة ١٣١٩هـ بصورة سرية كتب عليها « وكلاي سلطنة سنيه يه تقديم اولنمق اوزرة يالكز قرق نسخة موصل ولايت مطبعه سنده طبع اولنمشدر » وقد اعاد طبعها (جلال نوري) الكاتب المشهور في مطبعة جهاد فى اسطنبول وهي متداولة بالايدي .

﴿ فيما أخذته الديانة اليزيدية من اعتقادات ومبادىء ﴾
﴿ من الأديان السائرة ﴾

يدعي اكثر الباحثين أن الديانة اليزيدية ملفقة من مباديء أديان مختلفة كاليهودية والمجوسية والنصرانية والذي لفقها شيوخهم الذين قاموا بأمرهم . وينسبون ذلك الى الشيخ عدي بن مسافر الذي يعتقدونه كافر ملحد ليس مسلماً . كما ان البعض يرجعونها الى النصرانية ، ويدعون أنها بعد ان خرجت عن النصرانية دخل عليها هذا التلفيق ، وأن الاسلام هو واحد من الديانات التى شاركت فيه الديانة اليزيدية . وسيرى القاريء فى ابحاثنا الآتية اننا ننكر بشدة كل ما يقال عن دخول عناصر أديان مختلفة على هذه الديانة حاشا الديانات التى تقول بالثنوية والتناسخ والحلول . وقد ترجع بالأصل الى هذه الديانات وطابعها لا يزال ظاهر عليها ، ونعني بالديانات التى تقول بالثنوية : المجوسية ، والمانوية والمزدكية ، ولنشرح باختصار معتقدات هذه الديانات وما أخذته الديانة اليزيدية منها .

ونقدم البحث عن الديانة البرهمية وهى وان لم تقل بثنوية الآلهة ولكنها تعتبر الأصل لهذه الديانات ومنها ظهرت الزرادشتية التى ترجع اليزيدية اليها .

﴿ البرهمية ﴾

ترجع البرهمية الى العصور الأولى حيث انتشر العنصر الآري على ضفاف البنجاب وأنحاء الهند ، وهى مؤسسة على تمجيد القوى الطبيعية التي سحرت « الهندو » بعظمتها وجلالها وترمي الى حياة الزهد والتقشف ، والتجرد عن الهوسات واللذائذ ، وتقريب الروح الى الفضيلة ، والتفرغ الى العبادة . وقد كان من تمجيدها قوى الكون وافتتانها بمظاهر الطبيعة أن اتخذت لكل ظاهرة معبوداً هو القائم بتوليد تلك القوة او الممثل لها ، وهي قائمة به . ولم تكن منزلة الآلهة ثابتة ومستقرة ، بل تتغير وتتدرج نحو الارتقاء بالنسبة الى الظاهرة التي ينالونها . فمثلا أن الاله « آغني » لم يكن فى بدء أمره اكثر من إله للنار فلسبب ظهوره في مراسم تقديم القرابين أصبح من الآلهة

الذين توقد لهم النيران في المعابد وعادل المعبود « آندرا » في الاعتبار والمنزلة، وأخذت مكانته تتعالى تدريجياً حتى اعتقدوا انه أصبح إله النور المرئي في الرعد والبرق والشمس والقمر ، وأخيراً اعتقدوا انه القوة العظمى المولدة لهذه الكائنات ، القوة المولدة للكل.

أما الآله الذي تتمثل فيه الألوهية المطلقة فهو « برهما » مصدر التجليات الكونيـة وممد كافة الآلهة بقوته الفياضة ، ويسكن الآن في أعلى شاهق في جبل (هالايا) في المكان المسمى « برو المقدس » وهو محاط من جميع جوانبه بالحور والنور .

والآثار التي أوجدتها البرهمية دينية كانت أم فلسفية وأدبية ، تعد من أرقى المدونات التي ظهرت في تلك العصور . وقد كان لسانهم السانسقريتي ميدانا خصيباً لكثير من سوانح الأفكار العالية ، ولا تزال الآثار التي كتبت بهذا اللسان تحافظ على موقع استثنائي بين الألسنة القديمة ، ويتعذر حصر الآثار التي عبرت عن سوانحهم المذهبية واحصاء الكتاب الذين نبغوا بينهم ووضعوا كثيراً من الأشياء الغزلية والحكايات المنظومة الفلسفية والحقوقية وغيرها . ونقصر البحث على كتب « وه دا » المقدسة المعول عليها في المسائل المذهبية والاعتقادية والاجتماعية لما لها من العلاقة بهذا البحث.

تنقسم كتب (وهدا) الى أربعة أصناف :

(الأول) المنظومات والقصائد التي تتضمن المناجاة ويقال لها : ريغ ـ وهدا

(الثاني) المقاطيع المحررة على الاسلوب النثري ويقال لها : باجور ـ وهدا .

(الثالث) المقاطيع الغنائية وهي التي تكون على شكل الهيات وتسمى : ساما ـ وهدا .

(الرابع) المنظومات المختلفة ويقال لها : آثاروا ـ وهدا .

وجميعها كتبت باسلوب شعري بديع يسحر القاريء برقته وبلاغته ، فمن ذلك ما جاء في ارتقاء الروح الانساني وهبوطه وتصفيته من دنس الآثام والمعاصي أثناء انجذابه الى قانون التناسخ :

« ان الأرواح المتصفة بالحسنات تنال الصفة الروحانية ، والأرواح المغلوبة لهوساتها الخسيسة والمنغمسة في ظلماتها الكثيفة تتقمص الروح الحيواني مع بقائها محافظة على صفتها الانسانية » .

ومنها ما يدل على خلود الروح الذى يعتقدون أنه يصعد الآله (آغنى) إله النار حيث نشأ منه أصول احراق الأموات ، قال موجهاً خطابه الى آغني :

« فلتذهب العيون الى الشمس ، والنفس الى الهواء ، ولترجع بقية أقسام الوجـود ، ما يعود الى السماء ، الى السماء ، وما يعـود الى الأرض ، الى الأرض ، ولكن فى هـذا الموت يوجد شيء غير قابل الفناء ، يا آغنى ! ان ذلك يحتاج الى أشعة نورك ، ألا توصله الى ذوى الحسنات ؟.. »

وجاء في البحث عن الجحيم :

« يدخل أرباب المعاصي (تاميسرا) وغيره من المحلات المرعبة المخوفة ، ويعذبون في غابات ورق أشـجارها من السيوف ، ويعرضون لصنوف المحن والآلام ، وتأكل لحومهم الطيور الجوارح ، ويمشون على الرمال المحرقة ويلتهمون النار ويلقون فيها الى ان تنضج لحومهم ، ويلاقون أشد العذاب ، وبعد ان تصفو أرواحهم من أدران الخطيئات التى ارتكبوها فى تلطيف حواسهم بالاذواق الشهوانية ترقى الى الملأ الأعلى »

ومنها ما جاء فى الاعتراف :

« اذا اعترف صاحب المعصية بمعصية وأعطى الصدقة وأظهر ندامـة علناً يحق له ان ينال العفو والمغفرة » .

ومنها ما جاء فى تمجيدهم الشمس التي يعبرون عنها باسماء كثيرة منها (سوريا) :

« تملأ أشعتها السماوات وترفع رأسها أمامها بكل عظمة وجلال وتظهر بهجتها ومهابتها أمام الآلهة والبشر وتزيدهم حيرة وخشية .

أيها المعبود الممتاز بالحماية والصيانة ، ومانح البهجة والسرور ! أنت الذي تملأ بنورك الصافي هذه الأرض التى يتجـول عليها الانسان ، والفضاء اللذين تنتعش حياته فيهما ، لمحة من نظرك المملوء بالنور تشمل جميع الموجودات » .

وأهم ما في القوانين البرهمية تقسيم تابعيها الى طبقات أربع رئيسية ، فقد جاء فى أحد هذه القوانين وهو قانون « مانو » :

« خلق الخلق من فمه ، ومن ساعده ، ومن فخذه ، ومن رجله قصد المحافظة على تمام

الخلقة واختص كل واحد من هؤلاء بوظيفة دون الآخر » .

« فتعلم كتب الـ (وهدا) المقدسة وقراءتها وتعليمها للصفوف المنحطة ، وتقديم القرابين الى الآلهة هو من اختصاص (القشاتريا) الذين يعبرون عنهم بالمحاربين وهم فى نفس الوقت محظور عليهم الاستسلام لهوساتهم النفسية » .

« والرفق بالحيوانات ، وبذل الصدقات ، وذبح القرابين ، وقراءة الكتب المقدسة ، والمتاجرة ، والمرابحة ، وحراثة الأرض واستدرار خيراتها ، من اختصاص الطبقة المسماة ـ وايسيا ـ » .

« وخص الحق وظيفة واحـدة بالصنف المعروف (بالسودرا) وهي خدمـة الصنوف الثلاثة السالفة الذكر » .

« ويوجد صنف آخر يقال له (البارياه) وهو أحط هذه الصنوف ويعبر عنهم بالمنبوذين يحترفون الحقير الدنيء من الأعمال ، وينظر الآخرون اليهم بعـين ملؤها الاحتقار والازدراء » .

وتنحصر حياة البراهميين فى أربعة أدوار ، ويقال لكل منها « آراسماس » .

فالدور الأول هو الذي يستمد البرهمي فيها الفيوض المعنوية من أستاذه ويقرأ عليـه الكتاب المقدس (وهدا) ويقال له « قرين براها » .

والدور الثاني هو الذي يدخل البرهمي فيها الحياة الزوجية ويقال له « غريماستا » .

والدور الثالث هو الذي يتجرد فيها عن الحظوظ النفسية ويتجول في الصحـاري والغابات حياته لمطـالعة الآثار الآلهية ويقوم بواجب العبادة ويقال له « داناپراستا » .

والدور الرابع هو الذي يحطم فيها القيود المذهبية ويحصر بقية حياته في السعي وراء إدراك القوة الآلهية ويقال له « سانياسين » او « بيفشو » .

ورغم ما تنطوي عليه البرهمية من غايات سامية وشريفة وترمي الى حياة الزهد والطاعة وتقريب الروح الى الفضيلة ، فأن الانقسام الذى أوجدته فى المجتمع الهندويى ، وفصل بعضه عن بعض بفروض وتقييدات دينية صارمة دعى الى انحطاطه مادياً وأدبياً وأبعده عن الحرية الصحيحة ، وقد أصبح بنتيجة هذا الانقسام متقاطعاً فيما بينه ، وليس لأي

شخص ان يمتزج او يختلط بمن هو أقل من طبقته فان ذلك يعد تنجيساً له .

هذه هى الديانة البرهميـة والمبادىء التي ترتكز عليها ، وأهم ما هو ظاهر منهـا فى « اليزيدية » تقسيمها تابعيها الى طبقات مختلفة وتقييدها كل طبقة منها بقيود شديدة صارمة ، ولكنها زادت عليها إن أوجدت فى الطبقة الممتازة التي سمتهم بالشيوخ والبيرة جزءاً آلهياً وفرضت على طبقة العـوام - أي المريدين - الانقيـاد لهم كانقياد العبد لسيده والخلوق لخالقه ، وأوجبت عليهم ان يشاركوهم فى ثمار سعيهم وان لا يتحدثوا عنهم بما لا يتفق وكرامتهم . والبراهمة لم تصل بقيودها التى وضعتها لطبقـة « السوراه » الى هذا الحد . ولم تعمل بها الزرادشتية ولا غيرها من الأديان القريبة منها . وليس من شك أن جعل السواد الأعظم من هذه الطائفة منقاداً الى طبقة الروحيين يأتمر بأمرهم وينتهي بنواهيهم ، ومحظوراً عليه التزاوج معهم ويكون أحدهم دائماً مهدداً بخطر (التحريم) الذي يصدره زعيمه الديني بحقه فيحرمه من حقوقه الدينية والمدنية ويفقـد مركزه الانساني .. قانون قاس ليس أقسى منه في كافة الأديان .!

واذا كان « السودراه » أخذوا يدعون الآن بحقوقهم الدينية والمدنية ويريدون رفع هذه الوصمة عنهم ، فاليزيديون على العكس من ذلك فهم لا يريدون أن يتخلى روحيوهم عنهم حال كونهم هم المسخرون لخير وسعادة أسيادهم .

وقلدت اليزيدية البرهمية فى اتخاذ معبود أعظم على شاكلة (براهما) وهو (طاؤوس ملك) الذي اعتقدت انه الاله السامي المتصرف بشؤون الكون ، وقد حـل وجوده في آلهة أحط منه درجة يأتمرون بأمره ويديرون شؤون الكون حسب إرادته ومشيئتـه وهو حاضر فى كل مكان وزمان .

وأخذت منها عقيدة التناسخ وخلود الروح وتقديس الشمس والسجود لها ، واعطاء الخيرات والصدقات للتكفير عن الذنوب وغير ذلك من العقائد ، وكان أخذها هذه العقائد منها من طريق الزرادشتية التى سبقتها فيها وأصبحت هذه عقائد تعد زرادشتية محضة واليك الكلام عن الزرادشتية :

***

﴿ الزردشتية أو الزرادشتية ﴾

كانت هذه الديانة منتشرة في جميع بلاد فارس وما حولها وقد اتبعها الملايين من البشر زهاء أحد عشر قرنا (٥٢٠ ق.م - ٦٤٢ ب.م) الى أن ظهر الأسلام ، وهناك أفل نجمها وخمدت نيرانها ولم يبق لها أثر إلا في بعض أنحاء فارس النائية وبلاد الهند ، ولا يزال حتى الآن طائفة منهم فيمدينة (بمباي) يسمون بالبارسي . وحسبما دل عليه البحث أن هذه الديانة كانت موجودة قبل ذلك بزمن بعيد ، وقد دخلت في شكلها الأخير على أثر ظهور « زردشت (١) » المارق من الديانة البرهمية حيث كان قد ذهب الى مدينة « بلخ » وأذاع هذه الديانة ووضع كتابه (آفستا - الأبستاق) (٢) المحتوي على كثير من

---

١) ان حقيقة زرادشت لم تتحقق تماما ولم يتأكد متى ولد وكيف عاش ومتى ألف كتابه الـ (آفستا) ، فالاخصائي الشهير في العقيدة الزردشتية المستر جاكسون يقول : ان زرادشت ولد في النصف الثانى من القرن السابع (ق.م) وتوفي فى النصف الاول من القرن السادس (ق.م) . والروايات الزردشتية تفيد ان زردشت ولد فى القرن السابع(ق.م) وشرع في بث تعاليمه ونشر ديانته على شواطىء نهر(أرمية) حتى مات .

وفى تاريخ الشرق الادنى القديم (ص٥٥٥) ان زرادشت ولد سنة ٥٩٩ (ق.م) تقريبا ، وفى ايام صباه صدر منه بعض معجزات وخوارق مما أدى الى ان قصد الكهان والسحرة اغتياله ، ثم اعتزل الناس وانزوى عنهم فى محل مهجور ، واخذ في رياضة النفس . وفي الثلاثين من عمره دعى الناس الى معرفة الله وعبادته ، فلم يستجب لدعوته الا القليل ، فأوحى الله اليه ان يهاجر الى (بلخ) فنشر دعوته في بلاط الملك فاستجاب له اولا ابناء الوزير ثم الملكة نفسها ، وقاومه رجال البلاط ثم انتصر عليهم بدخول الملك نفسه في دينه، وقد تحمس الملك - وهو يشتاسب - لهذا الدين الجديد فتتابع الناس للدخول فيه .

وقد اختلف الباحثون فى تعيين عقيدته « فيرى كثيرون انه ثنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه ، وقد ذهب الى هذا الرأي بعض كتاب الفرنج ومنهم من كتب فى دائرة المعارف البريطانية في مادة(زرادشت) ومنهم من يرى انه موحد والى ذلك ذهب الشهرستاني والقلقشندي في صبح الاعشى وغيرهما . ويقول الاستاذ هوج : (ان زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحداً ومن الناحية الفلسفية ثنويا) ولعله يريد بقوله هذا انه من ناحية العقيدة الدينية كان يرى ان للعالم آلهاً واحداً ، ولكن اذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه من خير وشر يتطاحنان وما الى ذلك فهو ثنوي يرى ان في العالم قوتين» -فجر الاسلام-

٢) يقال ان شرحه المسمى (زند ابستا) كتب على اثني عشر الف جلد بالذهب وفيه وعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات ، وكان محفوظاً في مدينة اصطخر (پرسه بوليس)- احرق الاسكندر قسما منه بعد انتصاره على دارا وفقد قسم منه - وبعد ظهور الاسلام عثر عليه احد علماء المشرقيات فترجمه من اللسان البهلوي الى الالسنة الغربية .

وفي مروج الذهب (ص ١١٠) ما يدل على ان اسمه كان معروفا عند الاسلام ، وكان المجوس قد -

التعاليم التي يقال أنه كان ملهماً بها .

واذا كان هذا الدين أخذ يميل الى الاندراس في بلاد فارس بزوال الدولة الفارسية ، فان أثره كان لا يزال باقياً بين كثير ممن اعتنقوا الأسلام من الفرس فى العصور الأولى للاسلام . وقد أرادوا أن يجعلوه أداة هدم وتقويض للمباديء الاسلامية ليتسنى لهم ارجاع ملكهم المضاع ومجدهم المندرس ، فتغلغلت مبادؤه فى المعتقدات وأثرت على العقول والأوهام وظهرت آثارها في بعض المذاهب الدينية وبين المتصوفة وامتزجت فى العقائد العامة من المسلمين .

وتتلخص ديانة (زردشت) بان العالم تحكمه قوتان : قوة الخير ، وقوة الشر ، فالأولى تتمثل في الآله « آهورامزدا » وهو منبع خلال الخير كالنور والجمال والفضيلة والصحة والخصب والرخاء ، والثانية تتمثل فى الآله « اهرمن » أو « دروج أهرمن » وهو مصدر الشر كالظلمة والوباء والموت والجدب والفقر والكذب والرياء والحسد وكل رذيلة. وهاتان القوتان تتجاذبان الانسان فى حياته ، فان اتبع أعمال الخير وعمل عملا صالحا وطهر بدنه ونفسه فقد أخزى إله الشر واستحق الثواب من مزدا ، وإلا قوى روح الشر وأسخط عليه مزدا . ولذا فقد أوجب (زرادشت) على كل انسان السعي فى إصلاح الأرض واستثمارها ، والتوقي عن الأوساخ والأدران ، واتباع الصدق فى الفكر والقول والعمل ، والبعد عن الكذب وتنزيه النفس عن معايب السرقة والخديعة، والاستهزاء بالناس والازدراء بهم ، والاجتناب عن بث العقائد الفاسدة والدين غير الصحيح . وأفهم أن للانسان حياتين : حياة أولى فى الدنيا ، وحياة أخرى بعد الموت ونصيبه فى حياته الأخرى نتيجة أعماله فى حياته الاولى .

اما من حيث العبادة فقد أمر أتباعه بالاستغاثة بذوي الأرواح الصالحة والاستعانة

عملوا للابستا تفسيراً عندما عجزوا عن فهمها وسموا التفسير زنداً ثم عملوا للتفسير تفسيراً وسموه پازنداً ثم عمل علماؤهم تفسيراً لتفسير التفسير وسموه بارده . ولم يعرف الناطقون بالعربية شيئاً عنه بالتفصيل لانه لم ينقل الى لسانهم .

ويشتغل الان صديقنا الدكتور داؤد بك الجلبي بنقل (الونديداد) اهم كتب الابستا — الى العربية عن الفرنسية والفارسية ينتهي قريباً منه .

بهم لكى يتسنى لهم كبح جماح آله الشر والتخلص من شروره ، ودعاهم الى عبادة النار لأنها العنصر المقدس الذي تبدد به الظلمات وتطرد الاجنة والعفاريت وجعلها أكبر عبادة لهم ، ولهذه الغاية أنشأوا بيوتا عظيمة فى كثير من أنحاء فارس يوقدون فيها النيران على مدى الدهور والأعوام ويقربون اليها القرابين لتشملهم بعنايتها .

هذه هى خلاصة المبادىء التى تسير عليها الديانة الزردشتية المجوسية ، فبأي منها شاركتها اليزيدية ؟ شاركتها :

« اولا » في الاعتقاد بوجود آلهين أحدهما للخير والاخر للشر ، إلا أنها خالفتها باتباعها آله الشر والعمل على إرضائه لاعتقادها أنها في مأمن منه لأنه هو رؤوف رحيم . وقد أخذت هذه العقيدة من « المانوية » التي خالفت الزردشتية فيها .

« ثانياً » شاركتها فى عقيدة التناسخ ، وهو المبدأ القائل بخلود الروح وتنقله من نوع الى آخر حسبما تقتضيه سيرته وأعماله ، ويتلخص هذا المبدأ عند اليزيدية بان الارواح منها صالحة ومنها غير صالحة ، فالارواح الصالحة بعد ان تقضي مهمتها في حياتها الاولى تنتقل الى أحد ذوي الصلاح والخير من الانبياء والمرسلين ثم تصعد الى الفردوس الأعلى حيث تستقر في المحل المعد لها . والارواح غير الصالحة تنتقل الى أجساد البهائم الخسيسة والمسخرة الممتهنة بالذبح لكى تنال جزاءها وتعود الى حياة الدنيا ثانية وثالثة ورابعة لتمتحن بأعمالها فان أقلعت عن ذنوبها وآثامها وسلكت الطريق الموافق لمراضي المعبود الاعظم وبقية الآلهة يحق لها الالتحاق بزمرة الصلحاء وتحظى فى الدار الآخرة بالنعيم المقيم .

ولم يكن الجزاء المعد للارواح غير الصالحة عندهم ينحصر في تنقلها في صنوف الحيوان فقط ، بل قد تسقط فى الدرك الاسفل من الجحيم وتلاقي هناك ألوان العذاب الى ان تتصفى من درن الخطيئات التى اقترفتها .

ومما لا مشاحة فيه ان إتباع اليزيدية هذا المبدأ هو الذي ساقهم الى دعوى الارتقاء فى تاريخهم الى الأزمنة المتوغلة بالقدم حتى قالوا ان جميع ذوي الارواح الصالحة من الانبياء والمرسلين وأهل الصلاح والتقوى كانوا على شريعتهم وقد إختصهم الآله السامي

بالغرب منه ، وقد ساقهم هذا الاعتقاد الى تصديق كثير من الحوادث التاريخية كالطوفان والقاء ابراهيم الخليل بالنار ، وقصة يوسف الصديق ، وحادثة المسيح ، وتخريب البيت المقدس ، وجلاء العبرانيين الى غير ذلك .

يقول البحاثة الانكليزي لايارد :« ويعتقدون ان المسيح هو من الشيعة اليزيدية ، وكان ملكا عظيما ويصدقون بالتوراة ويقولون ببعض الحوادث التاريخية ، ويحترمون العهد الجديد والقرآن ، ويقولون بنبوة محمد ، ويعتقدون أنه من الآباء الاقدمين كابراهيم ، ويقولون ان المسيح سينزل الى الارض ويملكها ، وسيظهر بعده المهدي وسيكون له سلطة خاصة (١) ويحكم الشعوب التي تتكلم بالكردية وهم الطائفة اليزيدية »

(ثالثاً) أخذت منها مبدأ عبادة النار وعده عنصراً مقدساً ، واليزيدية لم يكن لديهم بيوت للنار يوقدونها فيها على مر الأعصار والدهور كما هو عند المجوس ، ولكنهم اقتصروا على ايقادهم السرج والقناديل على قبور أئمتهم وأوليائهم طيلة أيام السنة ، وإشعالهم النيران ليلة عيد « البيلنده » في بيوتهم واصطبلاتهم ونواديهم واجتماعهم حولها وتبركهم بها وتمسحهم بلهيبها .

(رابعاً) أخذت منها الاستغاثة بالأحياء والأموات من الرجال الصالحين وتقديم الخيرات والنذور والصدقات لهم ليشملوهم بعطفهم ويعيدوا أرواح الموتى منهم الى الحياة الدنيا طاهرة نقية ليتسنى لها الصعود الى الملكوت الأعلى وتنعم بما أعده الآله السامي لها من النعيم المقيم .

(خامسا) شاركتها في تقديس الشمس وتمجيدها والسجود لها عند أول بزوغها ، وتقبيل الأرض عندما تلقي أنوارها الذهبية عليها. وعبادة الشمس هي من أكبر مظاهرهم وقد يعمل بها حتى الأطفال منهم .

(سادسا) شاركتها في إقامة الشعائر الدينية للموتى إيناساً لأرواحهم ، وفي تقديم النحائر والقرابين الى آلهتهم ليساعدوهم على قطع مراحل التنقل في الأجساد الأجنبية ، وينزلوهم منزلا كريما ويحسنوا لقاءهم في الدار الآخرة .

---

١) كلها اوهام واليزيدية لا يقولون بها .

ان اشتراك اليزيدية في هذه العادات المجوسية ، لم يكن - كما قلنا - حصل عرضاً، او دخلت عليهم من طريق آخر ، او عادات تصوفية أساؤوا فهمها وحولوها الى هذا الشكل ، بل هي من أساسات دينهم قبل إسلامهم ، ومن سوء الحظ انهم بعد ان دانوا بالاسلام وحسن إسلامهم ، عبث بهم دعاة السوء وشوشوا عليهم إسلامهم وجعلوهم يرجعون الى الوراء ويصافحون زرادشت من جديد ويتبعونه يوماً ما ، بعد ان أخنى الدهر على ديانته . والزمان كفيل بايقاظهم من غفلتهم ورجوعهم الى أحضان أمهم الرؤوم بعد ان أعقوها زمنا وأساؤوا اليها .

﴿ الثنوية المانوية ﴾

تعد المانوية من الأديان الفارسية القديمة التي تنزع الى وجود آلهين : أحدهما للخير والثاني للشر كما رأيناه في الديانة الزردشتية . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى « ماني » وهو بابلي الأصل وكان قد ولد بالمدائن في قصبة شوشاني (عام ٢٤٠ م) (١) ، وعلى ما قاله البيروني في كتابه « الآثار الباقية » انماني ولد عام ٢١٥ او ٢١٦ (ب . م) وشب على المذهب الزردشتي ، وهو المذهب الذي كان شائعا في تلك البلاد ، وجاء في فجر الاسلام ان ماني كان راهبا في حران ، وعلى هذا لا يستبعد ان يكون قد اعتنق المسيحية في آسيا الصغرى وأصبح راهبا ، وأخذ منها بعض المبادىء ومزجها بالمذهب الزردشتي وأوجد هذا المذهب الذي عرفه (براون) بأنه « زرادشتي منصر أكثر منه نصراني مزردش » .

وحسبما يستدل من كلام ابن العبري أن ماني كان في البدء على الديانة المسيحية ، ثم مرق ووضع هذه الديانة . وهذا نص ما قاله : « كان في أول أمره يظهر النصرانية ، وصار قسيسا بالأهواز وكان معلما ويفسر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين ،

---

١) ذكر ابن النديم في فهرسته ان مانيهو ابن فتق بابك بن ابي برزام من الحسكانية واسم امه (ميس) ويقال (اوتاخيم) ويقال (مرمريم) من الاشغانية ، وقيل ان ماني كان اسقف قني والعربان من اهل حوحي، ومايلي بادرايا وباكسايا ، وكان احنف الرجل ، وقيل ان اصل ابيه من همدان انتقل الى بابل وكان ينزل المداين في الموضع الذي يسمى طيسفون وبها بيت للاصنام . انتهى .

وطيسفون هو المحل الذي فيه ايوان كسرى ويقال له طيسفونج وطوسفون ، وكان على زمن ليونان القدماء يسمى اكتسيفون .

ثم مرق من الدين وسمى نفسه مسيحيا ، واتخذ اثنى عشر تلميـذاً وأرسلهم الى بـلاد المشرق بأسرها وزرعوا فيها علم الوثنية وهـو ان للعالم آلهين أحدهما الخير وهـو معدن النور ، والآخر الشر وهو معدن الظلمة ، وكان يقول بالتناسخ ، وان فى كل شيء روحا مستنسخة ، وكان يفرط في تمجيد النار وتعظيم شأنها ويؤهلها للتسبيح والتقديس ، وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني ، ولكن شيده بالحجج الاقناعية .. » اه .

والمانوية لم تعمر كثيراً كما هو الأمر في الزردشتية ، وقد انهارت عند ظهور الاسلام كما انهارت الزردشتية نفسها ، وبقي لها أثر ضئيل فى بعض العواصم الفارسية وبغداد الى عهد المقتدر العباسى (٢٨٢ - ٣٢٠ ﻫ) حيث أجلى الباقون منهم من العراق فلحقوا بخراسان . وعلى مرور السنين قلوا في بلاد فارس ولم يبق لهم ذكر .

ووجه الفرق بين الديانتين الزردشتية والمانوية باعتبار انهما تنزعان الى وجود آلهين متضادين أحدهما يعمل الخير والآخر يعمل الشر ، هو ان الزردشتية كما سبق لنا البحث عنها تنزع الى ان هذين الآلهين هما فى جدال مستمر ليتغلب الواحد على الآخر ويتم له الفوز ويخضع العالم لحكمه . ولما كان واضع المذهب الزردشتي يرى ان هذا العالم هو عالم خير أكثر منه عالم شر ، وأن الانسان أقرب الى خلال الخير من الشر ، فقد حث تابعيه على الأعمال الفاضلة ليتم انتصار الخير على الشر ويسود السلم في العالم ، وترتفع الحروب من وجه الأرض وتزول الأمراض والعاهات والفقر والمجاعات وينعم الانسان بحياة هنيئة سعيدة ، بينما ذهب واضع المذهب المانوي الى عكس هذا ، اذ يرى ان هذا العالم هو عالم شر محض وان عنصر النور مغلوب أمام عنصر الظلام وكل ما فى العـالم من خير ورحمة وسعادة وهناء هو عرضي زائل ، وأن المسيطر على العالم هو الشر فحسب حيث كان هذا التشاؤم الذى فطر عليه أثر ظاهر في مذهبه . إذ نجده قبل كل شيء حرم على تابعيه النكاح بغية استعجال الفناء ، وحظر عليهم الملاذ النفسية ودعاهم الى حياة الفقر والذل والمسكنة ، وأوجب عليهم ألا يدخروا أكثر من قوت يوم واحد ، وفرض عليهم صوم سبع العمر مع صلوات كثيرة ، ونهاهم عن ذبح الحيوان لما فيـه من إيلام ، الى غير ذلك من التعاليم التي أماتت فيهم روح الجد والنشاط ، وأبعدتهم عن الحياة

العملية وجعلتهم ينظرون الى كل ناحية من نواحي الحياة نظر كراهية واحتقار معتقدين ان بذلك سيتم لهم نيل السعادة الأبدية التى هي الغاية المثلى لكل انسان .

والآن لننظر ما هى علاقة اليزيدية بالمانوية ؟ يقول (اوزمن بوري) أحد فلاسفة الغرب في كلامه عن اليزيدية : ان رائحة المانوية تشم منها وهذا صحيح ، واليزيدية ليست إلا المانوية نفسها ، ولا فرق بينها سوى ما أخذته من الاسلامية أثناء مرورها من جانبها ، وما تركته الزردشتية فيها من معتقدات وتقاليد قبل ان تنضوي اليها ، لكنها تختلف عنها فى انها لا تكثر الصوم والصلاة ، وفى كونها أمة محاربة لا يساعدها وضعها على الكسل والخمول ، فليست تقضي حياتها بالتعبد وتختلف عنها ايضا في عدم تحريمهم الزواج ، وفى عدم اجتنابهم ذبح الحيوانات ، وإن كان هناك رواية ضعيفة تدل على أنهم كانوا في زمن ما يمتنعون عن ذبح الحيوانات ويقتصرون في معاشهم على السمن والعسل . واذا كانوا خالفوهم في هذه المسائل فقد وافقوهم في المبدأ القائل بأن هذا العالم هو محض شرور وآثام ، وأن إله الخير (النور) مغلوب لإله الشر (الظلام) خلافاً لما قالت به الزردشتية وعملوا على إرضاء إله الشر ليبقوا فى مأمن منه .

أما دعوة (ماني) قومه الى حياة الذل والمسكنة وتحظيره عليهم الملاذ النفسية فنجد أثره بارزاً في حياة اليزيديين بأجلى صورة ، وقد أفرطوا فيها لحد انهم حرموا الزينة على أنفسهم وعلى نسائهم واجتنبوا الطيبات من الرزق واقتصروا في معاشهم على خبز الشعير ، وحرموا القعود على فراش وثير وارتياد أماكن اللهو ودخول الحمام وكل محل يجدون فيه لذة روحية او نفسية . وبهذا ضربوا رقماً قياسياً في الزهادة وقد مضى عليهم بضعة عصور ولم يحيدوا عنها . وقد كان من نتيجة اتباعهم هذه القاعدة أن أخذوا ينظرون الى حياة الدنيا أنها مقر بؤس وشقاء ومحنة وبلاء ، الراغب فيها والطامع فى زخرفها ونعيمها سيكون نصيبه البعد عما أعده الآله السامي لعباده الصالحين من السعادة الأبدية فى الدار الآخرة .

***

﴿ المزدكية ﴾

هي المذهب الذي وضعه (مزدك) واشتهر بنسبته اليه . ظهر مزدك في مدينة نيسابور في فارس وأذاع مذهبه حوالي سنة ٤٨٧م . فلاقى هوى في نفس (قباذ) تاسع عشر الملوك الساسانيين وأذاعه وأخذ على نفسه حمايته فأنكره الناس واستهجنوه لما فيه من صنوف الاباحة . فتآمروا على قباذ وأسقطوه من الملك وسجنوه نحو اربع سنين ، ثم أعيد الى الملك بسعي من أخته (١) وبعد وفاته عام ٥٣١م خلفه ابنه (أنو شيروان) فطلب مزدكاً وقتله . وفي رواية أن الذي نكل به وبمن اتبعه هو (قباذ) نفسه وقد دبر لهم مذبحة سنة ٥٢٣ م كاد أن يستأصلهم بها (٢) .

ان التعاليم التى وضعها مزدك لم تكن من الناحية الاعتقادية جديدة ومبتكرة ، بل استمدها من الثنوية المانوية ، اذ كان يقول كما يقول ماني بالنور والظلمة ايضا ، إلا ان مذهبه يختلف عن المانوية بما أدخله عليه من المبادىء الاشتراكية ، فكان يرى ان الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء وأهم ما تجب فيه المساواة : المال والنساء .

ومن هنا نلمس وجه الشبه والمشاركة بين اليزيدية وبين تعاليم مزدك في الناحية الاعتقادية بوجود إلهين أحدهما إله النور والآخر إله الظلمة ، أو إله الخير وإله الشر ، وفي إباحة النساء ، إذا كان ما نقله المؤرخون عن اليزيدية صحيحاً .

والمؤرخون اختلفوا في أمرهم ، فمنهم من ذهب الى انهم أحلوا الزنا مطلقا ، ومنهم من ذهب الى انهم كانوا يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستعملون ذلك بل يعتقدون فيه خيراً . وهذه العادة ليست موجودة الآن فيهم ، ويعتقدون ان الفعل الذى يجري بين الروحيين وصنف الدهماء (المريدين) وبالعكس ليس أعظم كفراً منه . انهم كانوا يعملون بهذه العادة قبلا وقد تركوها .

هذه هي المذاهب التى شاركتها اليزيدية فيمعتقداتها او أخذت عنها او ترجع بالأصل اليها ، وكلها تقول بثنوية الآلهة مع فروق واختلافات بينها ، وأكبر ظاهرة نجدها فيها

١) قاموس الاعلام
٢) فجر الاسلام

إثبات وجود آلهين متضادين والامساك عن الطيبات ، والقول بالتناسخ ، وطلب الفناء للوصول الى السعادة الأبدية .

﴿ الشامانية ﴾

لم يكن لهذا المذهب صلة بمذاهب الفرس الدينية ولا يعتقد بثنائية الآلهة ولا الحلول ولا التناسخ وقد أتينا على ذكره لاشتراك اليزيدية معه في عبادة الشيطان والارواح الشريرة ليس إلا .

إن المذهب الشاماني هو أحد المذاهب المنتشرة في شرقي شمالي سيبريا بين قبائل الياقوت والساموئيد الطورانيين وفي بعض الجزر الواقعة في البحر المحيط الهادي، ويعتقد أصحابه بالأجنة والشياطين وكونهم أداة شر ، قد يوجهون شرورهم الى البشر ويوقعون الأذى به . وآلهم الكبير يسكن الشمس ، ولهم رهبان كثيرون يطلق على واحدهم (شامان) يحمل بيده دوما ذنب حصان ، ويعلق في عنقه طبلا يضرب عليه لطرد الأبالسة والشياطين ، ويسمون آلههم الكبير (شامان) يحمل بيده دوما ذنب حصان ، ويعلق في عنقه طبلا يضرب عليه لطرد الأبالسة والشياطين ، ويسمون آلههم الكبير (بالباقتوس) ـ ومعنى بالباق بالتركية الواسع وتوس الصدر ـ يقدمون له القرابين ويرجون منه الشفاعة والغفران .

وللشامانيين معابد يجرون فيها الأفعال القبيحة وهي لا تفرق عن دور البغاء ، يبيحون فيها مع المرأة كل عمل قبيح فاجر ويعدونه عبادة ، ويحظرون على غير الشامانيين دخول معابدهم ، وكذلك (اللاما) وهم الرهبان عند البوذيين (١) .

ومن عادتهم أنهم إذا أرادوا ان يقدموا قربانا الى معبودهم ، ويكون على الاكثر حصانا ، يشدون قوائمه الاربعة بحبل ويجرونه بكل ما استطاعوا من قوة ، فمن مسك الحبل او تعلق به يعتقد بغفران خطاياه .

﴿ اعتقاد الصوفية في الاسلام بالشيطان ﴾

إن اعتقاد اليزيدية بالشيطان لا شك أنه مأخوذ من الديانة المانوية المؤسسة على

---

١) وكبيرهم يسمى (دالاي لاما) والحبر الاعظم يسمى (حاميا لاما)

استمداد القوى الشريرة الخفية لمحاربة القوى الخيرية والاستعانة بالظلمات على النور ، وقد عرف الاسلام الشيطان بأنه هدام يقضي على شعائر الدين ويزج الانسان في حمأة الضلال والغي ويبعده عن الفضيلة ، حاشا غلاة الصوفية فانهم يبررون كل ما نسب اليه من أعمال ويتعصبون له ، ويرفعونه عما يشينه ويحطه من مكانته .

وقد تصدى بعض الباحثين الى تأويل تعصب الصوفيـة للشيطان بأن لهم من الآراء الشاذة والكلمات المموهة ما لا يحتمل ظاهره ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمونها بالغلو او الشطح ، وهي في الحقيقة ليست إلا نزوعا الى المنوية التي لا تزال آثارها عالقة بنفوسهم .

ذكر ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) في كتابه تفليس أبليس ان النظام - وهو من أكابر المتكلمين - زعم ان الله تعالى لا يقدر على شيء ، وان أبليس يقدر على الخير والشر ، وهذا القول يدل على تأصل روح المانوية في النظام أكثر منه شطحا (الفرق بين الفرق) .

وجاء في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة : « وكان أبو الفتح ابن محمد الغزالي الواعظ اخو ابي حامد الغزالي الفقيه الشافعي قاصاً لطيفاً وواعظـا مفوها وهو من خراسان من مدينة « طوس » قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظه مسلكا منكراً لانه كان يتعصب لابليس ويقول أنه سيد الموحدين ، وقال يوما على المنبر من لم يتعلم التوحيد من ابليس فهو زنديق ، أمر ان يسجد لغير سيده فأبى :

ولست بضارع إلا اليكم   وأما غـيركم حاشا وكلا

وقال مرة اخرى لما قال له موسى أرني ! فقال لن ! قال هذا شغلك ! تصطفي آدم ثم تسود وجهه وتخرجه من الجنة وتدعوني الى الطور ! ثم تشمت بي الاعداء ، هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء ؟ وقال مرة ، وقد ذكر ابليس على المنبر : لم يدر هذا المسكين ان أظافير القدر اذا حكت أدمت ، وان قسي القضاء اذا رمت أصمت ، ثم قال على لسان آدم ينشد في قصته وقصة ابليس .

وكنت وليلى في صعود مع الهوى   فلما توافينـا ثبت وزلت

وقال مرة أخرى : التقى موسى وابليس عند عقبة الطور ، فقال موسى : يا ابليس ! لم لا تسجد لآدم عليه السلام ؟ فقال : كلا ، ما كنت أسجد لبشر ، كيف أوحده ثم ألتفت الى غيره ؟ ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت الى الجبل فأنا أصدق منك في التوحيد . وكان على هذا النمط فى كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير الى ان قال : وهذا النوع تعرفه الصوفية بالغلو والشطح .

ويروى عن أبي يزيد البسطامي منه كثير من ذلك قوله :

فمن آدم فى البين ومن ابليس لولاكا
فتنت الكل والكل مع الفتنة يهواكا

وفى شرح النهج ايضا : وكان من المسلمين ممن يرمى بالمرتزقة من يذهب الى تصويب ابليس فى الامتناع عن السجود ويفضله على آدم وهو بشار بن برد ، ومن الشعر المنسوب اليه :

الشمس مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

وجاء فى الطواسين ما يوضح عقيدة (الحلاج) فى الشيطان قوله :

« ما صحت الدعاوى لأحد ، إلا لابليس واحمد (صلى الله عليه وسلم) غير أن ابليس سقط عن العين واحمد كشف له عن العين » .

وفيه ايضاً : قال الحسين بن منصور : لما قيل لابليس اسجد ، خاطب الحق : ارفع شرف السجود عني إلاك ، حتى اسجد له . ان كنت أمرتنى فقد نهيتني . قال : فاني أعذبك عذاب الأبد . فقال : ألست تراني فى عذابك لي ؟ قال : بلى . فقال : فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب ، إفعل بي ما شئت. فقال : أجعلك رجيما . قال ابليس : أو لست لك بجامد ، افعل بي ما شئت ، وأورد :

جحودي لك تقديس وعقلي فيك تهويس
فمن آدم إلاك ومن في البين ابليس ؟

وجاء فيه قوله : وماكان في أهل السماء موحد مثل ابليس .. حيث ابليس (تغير) عليه العين ، وهجر الألحاظ فى السير ، وعبد المعبود على التجريد . . ولعن حين وصل الى التفريد ، وطلب حين طلب المزيد .. فقال له : (اسجد!) _ قال : (لا غير !) _

قال : (وأن عليك لعنتى) ، قال : (لا غير) .. (مالي الى غيرك سبيـل ، وأني محب ذليل) ، قال له : (استكبرت) ، قال : لو كان لي معك لحظة ، لكان يليق بي التكبر والتجبر، وأنا أنا الذى عرفتك فى الأزل (اذاً خير منه) لأن لي قدمة في الخدمة، وليس في الكون أعرف مني بك ، ولي فيك إرادة ، ولك في إرادة ، إرادتك في سابقـة إن سجدت لغيرك ، فان لم أسجد ، فلابد لي من الرجوع الى الأصل ، لأنك خلقتني من نار ، والنار ترجع الى النار ولك التقدير والاختيار .

وفى حوار جرى بين موسى وابليس على عقبة الطور ، قوله عن لسان ابليس :

يا موسى ! الفكرة لا تذكر ، وأنا مذكور وهو مذكور ، وذكره ذكري ، وذكري ذكره ، هل يكون الذاكرون ألامعاً ؟ خدمتي الآن أصفى، ووقتي أخلى ، لأني كنت أخدمه فى القدم لحظي ، والآن أخدمه لحظة ، ودفعنا الطمع عن المنع والدفع ، والضر والنفع ، أفردني ، أوجدني ، حيرني ، طردني لئلا أختلط مع المخلصـين ، منعني عن الأغيار لغيرتي ، غيرني لغربتي ، حرمني لصحبتى ، قبحنى لمدحتى ، أحرمنى لهجرتي ، هجرني لمكاشفتى ، كشفنى لوصلنى ، وصلنى لقطعنى ، قطعنى لمنع منيتى .

وحقه ما أخطأت فى التدبير ، ولا رددت التقدير ، ولا باليت بتغيير التصـوير ، على هذه المقادير تقدير ، إن عذبنى بناره أبد الأبد ، ما سجدت لأحد ، ولا أذل لشخص وجسد ، ولا أعرف صداً ولا ولداً ، دعواي دعوى الصادقين ، وأنا فى الحب من الصادقين .

قال أبو عمارة الحلاج وهو العالم الغريب : تناظرت مـع ابليس وفرعـون في الفتوة .
فقال ابليس : « إن سجدت سقط عنى اسم الفتوة » .

قال فرعون : « إن آمنت برسوله ، سقطت من منزلة الفتوة » .

وقلت أنا « إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة » .

وقال ابليس : « أنا خير منه » حين لم يره غيري غداً ـ وقال فرعون : « ما علمت لكم من إله غيري» حين لم يعرف فى قومه من يميز بين الحق والباطل ـ وقلت أنا :« ان لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وانا ذلك الأثر وانا الحق ، لأني ما زلت ابداً بالحق حقاً » .

فصاحبي وأستاذي ابليس وفرعون ، ابليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة ! وان قتلت او صلبت او قطعت يداي ورجلاي فما رجعت عن دعواي .

اشتق اسم « ابليس » من أسمه ، فغير « عزازيل » فالعين لعلو همته ، والزاي لازدياد الزيادة في زيادته ، والالف ازادة في الفتنة ، والزاي الثانيـة لزهده في رتبته ، واليـاء يأوي الى سهيقته واللام لمجادلته في بليته .

قال له : « الا تسـجد ؟ يا أيها المهين » قال : « محب والمحب مهين ، انك تقول مهين ، وأنا قرأت في كتاب مبين ، ما يجر علي ياذا القوة المتين . كيف أذل له وقد خلقتني من نار وخلقته من طين ؟ وهما ضدان لا يتوافقان ، وأنا في الخدمة أقدم ، وفي الفضل أعظم وفي العلم أعلم ، وفي العمر أتم .

قال له الحق سبحانه : « الاختيار لي لا لك » - قال : « الاختيارات كلها واختياري لك ، قد اخترت لي يا بديع وان منعتني عن سجوده فانت المنيع ، وان اخطأت في المقال فلا تهجرني فانت السميع ، وان أردت ان أسجد له فأنا المطيع ، لا أعرف في العـارفين أعرف بي منك .

لا تلمني فاللـوم مني بعيـد	وأجر يا سيدي فاني وحيد
ان في الوعد وعدك الحق حقاً	ان في البدو بدو أمري شديد
من أراد الكتاب هذا خطابي	فاقرأوا وأعلموا بأني شـهيد

هذا ما جاء في الطواسين عن عقيدة الحلاج في ابليس ، وهي لا كعقيدة النظام ومن هو على غراره فيه من انه يقدر على الخير والشر بينما الحق سبحانه لا يقدر على شيء أو لا يقدر إلا على الخير ، وهي نزعة مانوية صرفة سرت اليهم من المانويين . والحـلاج أسمى عقيدة وأنبل قصداً من هؤلاء ، ولا سبيل الى الطعن في عقيـدته ، وكل ما يقوله في ابليس هو انه موحد ثابت على توحيده وان كان خالف الأمر وأصر على الامتناع .

والحلاج صوفي إلهي وعالم فيلسوف له لسان لا يفهمه إلا الخواص ، وعندما لم يفهمه بقية الناس ، حكموا بكفره واستحلوا دمه . واكثر المتصوفة في اعتقادهم بابليس هو على

غرار الحلاج - كما رأيناه في ابن الجوزي - ويعللون امتناعه عن الأمر بثباته على التوحيد ، وقد عدوه سيد الموحدين ، وعده الحلاج صاحبه واستاذه . والحلاج هو أول من وضع هذه النظرية فى ابليس وأخذها الغير عنه .

وفى الملل والنحل للشهرستاني (٤٧٩-٥٤٩هـ) مناظرة جرت على لسان ابليس والملائكة تدل على الزام ابليس الملائكة فى تبرير موقفه مع الحق تعالى فى امتناعه عن السجود الذي أمره به ، وعدم اجابة الملائكة له جوابا شافياً يدحضون به مزاعمه عدا كلاما مقتضباً بعيداً عن روح المناظرة . وهذه المناظرة اذا كانت تدل على شيء فانها تدل على ذيوع هذه الفكرة - اي الانتصار لابليس - بين اهل التصوف والمتكلمين فى الاسلام وهذه هي :

« أعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة، شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين . وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت فى اذهان الناس ، حتى صارت مذاهب بدعة وضلال. وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة : لوقا ومارقوس ويوحنا ومتى ومذكورة فى التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه ، قال كما نقل عنه : اني سلمت ان الباري تعالى إلهي وإله الخلق ، عالم قادر ، لا يسئل عن قدرته ولا عن مشيئته ، فانه مهما أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، وهو حكيم ، الا أنه يتوجه على مساق حكمته اسئلة . قالت الملائكة وماهي ؟ وكم هى ؟- قال لعنه الله سبع ، (الأولى) منها : أنه علم قبل خلقي اي شيء يصدر عني ويحصل ، فلماذا خلقني أولا ؟ وما الحكمة فى خلقه إياي ؟

و (الثاني) : اذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته ؟ وما الحكمة فى التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعته ولا يتقرر بمعصية ؟

و (الثالث) اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة ، فعرفت وأطعت ، فلم

كلفني بطاعة آدم والسجود له ، وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي ؟ .

و (الرابع) اذ خلقني وكلفني على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم أسجد ، فلم لعنني وأخرجني من الجنة ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك ؟ .

و (الخامس) اذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع فلعنني وطردني ، فلم طرقني الى الى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقي خالداً فيها ؟

و (السادس) اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم ، فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني ، وتؤثر فيهم وسوستي ، ولا يؤثر في حولهم وقوتهم واستطاعتهم ؟ وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين ، كان أحرى بهم وأليق بالحكمة .

و (السابع) سلمت هذا كله ، خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً ، وإذ لم أطع عنني وطردني وإذ أردت دخول الجنة مكنني وطرقني وإذ عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم اذ استمهلته أمهلني فقلت أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني ، وما بقي شر ما في العالم ، أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر ؟ .

قال فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة ، قال شارح الانجيل فأوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام قولوا له انك في تسليمك الأول اني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص ، اذ لو صدقت اني إله العالمين ما احتكمت علي (بلم ؟) فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لااسأل عما أفعل والخلق مسؤولون » .

ومن يقرأ هذه المناظرة ليأخذه الشك في أمر ابليس وما يرمي به من جحود ونكران

ومخالفة للأمر ، ولا يسعه من ان يدخله في زمرة الأبرار والصديقين الذين صدقوا في دعواهم ، وهو مخالف للنصوص القرآنية ، إلا ان للصوفية آراء شاذة يعبرون بها بطريقة المجاز لا ينطبق ظاهرها على باطنها مما تدعو الى أقوال شتى عنهم وتؤدي ببعض منهم الى الكفر والقتل ، وقد أثرت هذه الآراء الشاذة على عقول كثير من الناس فى مختلف العصور فظهر من ولع بأبليس ، وذهب بحقه مذاهب شتى وأصبح محل جدل عظيم ، فعده البعض شيطانا رجيما يستحق اللعنة كما عبر عنه الشرع ، وعده آخرون إلهاً . ومن هؤلاء الأخيرين اليزيدية فقد عرفوه إلهاً سواء أكان نتيجة تأثير هذه الآراء عليهم ام باعتبارهم مانويين قد ورثوا هذه العقيدة من آبائهم الأقدمين والاسلام الذى مر من جانبهم لم يستطع ان يستأصل منهم هذه العقيدة ، وقد غالوا فيه غلواً كبيراً ورمزوا عنه بتمثال على شكل طاؤوس او ديك وحظروا على نفسهم تسميته باسمه إجلالا له وتعظيما وقدموا له القرابين وأخذوا يعبدونه .

ومن هنا نفهم ان ما قيل عن عبادة اليزيدية للشيطان بانه من نتائج مقاطعة اللعن التي مرنهم عليها الشيخ عدي فانجر ذلك الى احترامهم له واتخذوه إلهاً خطأ ، وما ذهب اليه احمد تيمور باشا من ان يكون أحد شيوخهم ولع به فشاع بينهم وزادوا فيه ما زادوا لم يكن صحيحا ايضا ومثل هذه الأسباب لا تكفى لأن تولد عقيدة في نفوس قوم تكون أساسا لدين يتبعونه بضعة عصور .

﴿ وجه تسمية (اليزيدية) وتعيين الزمن الذى سموا به ﴾

اختلف الباحثون في وجه تسمية هذه الطائفة باليزيدية وتعيين الزمن الذى سميت به ، فمنهم من علل نسبتهم الى (ايزد) او (ايزدين) الذى يعبرون به عن إله الخير ، ومنهم من ذهب بنسبتهم الى مدينة (يزد) الفارسية التي كانت مركزاً للديانة (الزردشتية) والى أنهم في الأصل منها . وأورد المستر (لايارد) عن (توفانيس) المؤرخ اليوناني الذى كان عائشاً فى القرن السابع للميلاد العبارة الآتية: « إن الامبراطور هرقليوس خيم بجنوده قريباً من مدينة « يزدم » وظن الماجور « راولينصن » ان « يزدم » كانت من مدن « حدياب » ، فيقول « مارتان » قد تكون هذه المدينة أول مكان انتشرت

فيه الشيعة اليزيدية.. » ، وعلل القس سليمان الصائغ في مؤلفه « تاريخ الموصل » تسميتهم بانتسابهم الى إله كانوا يعبدونه اسمه « يزد » او « يزدان » مستنداً بذلك على ما جاء في تاريخ « كلدو وآثور » نقلا عن « توما المرجي » في القرن التاسع للميلاد الذي ذكر في كتابه « الرؤساء » عن أهالي مدينة « موغان » انهم كانوا يعبدون صنما اسمه « يزد » فيقول المؤلف: قد يكون فيما ذكره « توما المرجي » أصل تسمية هذه الشيعة باليزيدية على ان كلمة « يزدان » تعني الآله بالفارسية .

وذهب الشيخ علي الشرقي النجفي في مقال له نشر في مجلة العرفان الى ترجيح إطلاق « بازيدية » عليهم بدلا عن « يزيدية » لبعض اعتبارات وجدها مبررة لهذا الترجيح ، وهذه جميعها تعليلات غير صحيحة ، وقد أراد كل من هؤلاء الباحثين ان يختص بايجاد نسبة لهذا الاسم مهما كان فيه من غرابة وشذوذ ، حتى انك تجد صاحب رسالة (اليزيدية او عبدة الشيطان) يشير في رسالته الى ما ذهب اليه هبة الله الشهرستاني من ان يكون أصل هذه الكلمة « ايزدية » نسبة الى « يزد » فتولدت الياء الثانية من الكسرة المجاورة فأصبحت « ايزدية » .

وطالما نعلم ان هذه النحلة كانت في أول أمرها تتشيع للأمويين ، وشيخها أموي ، وقد غرس في قلوبهم حب الأمويين ، واعتقدوا بيزيد أنه من أئمة الهدى وأهل الصلاح والتقوى ، ثم عدوه أحد آلهتهم السبعة وعبدوه، فمن الخطأ ان نترك نسبتهم اليه ونسلك طرقا ملتوية ومظلمة لايجاد نسبة بعيدة عن الصواب .

فتى وقعت هذه التسمية ؟ فالامام ابن تيمية عندما أرسل اليهم وصيته الكبرى ، لم يسمهم بهذا الاسم ، بل خاطبهم تارة بالعدويين وتارة بالمسلمين المنتسبين الى أهل السنة والجماعة ، وكتاباها الدينيان « الجلوة » و « مصحف رش » لم يرد فيهما هذا الاسم مطلقاً ، مع اننا نرجح انها ألفا حديثا .

وأول من وجدناه ذكرهم بهذا الاسم (١) أبو فراس عبد الله بن شبل بن أبي فراس بن جميل، فانه ألف كتابا عام ٧٢٥ للهجرة (١٣٢٤م) سماه « في الرد على الرافضة واليزيدية »

---

١) تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم .

ويجوز ان هذا الاسم أطلق عليهم قبل هذا .

وقد أراد مؤلف كتاب « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » ان يصعد بتسمية هذه النحلة بهذا الاسم الى ما قبل ظهور الشيخ عدي مستدلا على ذلك بما ذكره السمعاني المتوفى عام ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) في كتابه « الأنساب » من أنه لقي جماعة كثيرة بالعراق في « حلوان » ونواحيها من اليزيدية يتزهدون ويأكلون الحال وقلما يخالطون الناس ويعتقدون الامامة بيزيد بن معاوية وكونه على الحق ... اه

ونرى من الجائز ان يكون قد وجد أناس يطلق عليهم هذا الاسم قبل ان ظهر الشيخ عدي وكانوا يعتقدون الامامة « ليزيد » وكونه على الحق ، وهم الذين لقيهم السمعاني وحدثنا عنهم ، إلا انهم شيء واليزيدية الذين ينتمون الى الشيخ عدى شيء آخر . فاليزيدية الذين لقيهم السمعاني مسلمون صرفا ولم يكن لهم طابع يميزهم عن غيرهم من الاسلام ، وغاية ما يقال عنهم انهم غلوا في حب (يزيد) كما غلت الشيعة في حب (علي) وأولاده .

واليزيدية الذين ينتمون الى الشيخ عدى يرجعون الى أصل مجوسي ، وبعد ان أسلموا أخذوا يعتقدون لا بامامة (يزيد) بل بألوهيته ، وأضافوا اليه آلهة آخرين ، وعكفوا على عبادتهم ، ونرى فيهم من المظاهر المجوسية والثنوية ما يجعلنا نقطع بعدم وجود أية صلة لهم قبل عدى ليس باليزيدية الذين ذكرهم السمعاني بل بالاسلام قاطبة.. على ان التسمي « باليزيدية » لا يستلزم الانتماء الى « يزيد بن معاوية » مطلقا . فقد ظهر خلال العصر الثاني والثالث بيت عرف رجاله (باليزيديين) لم يكن لهم صلة لا بيزيد ولا بالأمويين (١) .

---

١) اشتهر من هذا البيت رجال كثيرون كان لكل واحد منهم مكانة عظيمة في اللغة والادب والاخبار والنوادر اختصوا بانتمائهم الى البيت العباسي ، منهم: (ابو عبد الله محمد بن العباس بن محمد اليزيدي (٢٢٨ـ٣١٠) الذى كان مربياً لاولاد المقتدر بالله الخليفة العباسي وله تآليف منها « مناقب بني العباس » و « اخبار اليزيديين » ، وأبو عبد الله محمد ابن ابي محمد اليزيدي صاحب اليد الطولى في اللغة والقراءة والشعر ، وأبو اسحاق ابراهيم بن أبي محمد اليزيدي الاديب اخذ عن أبي زيد الانصارى والاصمعى وله تآليف عدة (را : قاموس الاعلام مادة يزيدى) وأبو عبد الرحمن عبد الله العدوي بن محمد اليزيدى له الشهرة الواسعة في النحو واللغة أخذ عن الفراء (١٤٤ـ٢٠٧) ووضع تآليف كثيرة وهو عم الفضل

﴿ في تعيين أصل المذهب اليزيدي وعلاقته ﴾
بالأديان الاخرى

ليس من دين جهله الناس واختلفوا في نشأته وظهوره ومعرفة أصله كالدين اليزيدي على رغم الأبحاث التي قام بها جماعة كبيرة من الكتاب الشرقيين والغربيين ، ولو جمعنا المؤلفات التي وضعوها عنه لأوجدت خزانة كبيرة ، ولا نجد اثنين من هؤلاء الكتاب اتفقا على رأي واحد فيه . والسبب أنه ظهر في زمن لم تكن قد دونت حوادثه التاريخية تماما والذين شهدوا ظهوره والحوادث التي اكتنفته لم ينتبهوا له او انتبهوا له ولم يعيروه اهتماما، وقد حرص أصحابه على أن يجعلوا سره مكتوما لئلا يطلع عليه غيرهم فيقف في سبيله وهذا ما أدى الى ان يغفل الناس أمره ، وكلما قالوه عنه لم يخرج عن دائرة الحدس والتخمين .

وهنا نأتي على ما ورد من الأقوال عن أصل هذا الدين وعلاقته بالأديان الأخرى ، ثم نبين رأينا فيه :

١- يدعي اليزيدية نفسهم أنهم من نسل الأمويين ، وأن الأمراء والشيوخ يرتقون بنسبهم الى يزيد بن معاوية الأموي ، وأن ديانتهم سماوية أتى بها يزيد من لدن الآله الأعظم ، وبعد ان استقر في الشام ثلثماية سنة حارب فيها خصومه وأعداءه وغلبهم ، نشر هذه الديانة وأبطل بقية الأديان من وجه الأرض ، وعلم أولاده القراءة والكتابة وحرمها على بقية الناس وصعد الى السماء وسيعود ثانية ، ويملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويرفع من شأن اليزيدية من جديد وينتقم لها من أعدائها .

ان دعوى اليزيدية بأنهم من نسل الأمويين غير صحيحة ، ولكن لا جدال في أن أمراءهم وشيوخهم أمويون خالصو الدم ، ويرتقون الى مروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين . وما يعتقدونه في أصل ديانتهم يعد من القصص الخرافية ، وقد حصلت لهم

بن محمد اليزيدي احد مشاهير النحويين . فاشتهار هذا البيت بهذا الاسم لم يكن معناه انهم كانوا يحملون العقيدة بيزيد وكونه على الحق وكان اماما وكان عادلا ، بل عرفوا به لاختصاص جدهم (ابو يحيي بن المبارك بن المغيرة اليزيدي) بتأديب اولاد (يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري) خال المهدي العباسي (را : ابن خلكان).

هذه الفكرة بعد أن اعتقدوا بان يزيداً من أئمة الهدى وأوليـاء الله وكان إماماً عادلا وجاهد في سبيل الله وغلب أعداءه .

٢- نسب البعض هذه الديانة الى (يزيد ابن أنيسة الخارجي) حتى ان الدكتور جوزيف الامريكي اتبع هذا الرأي وزعم أنه وضع نظرية جديدة في أصل هذه الديانة. ويزيد ابن أنيسة كان صديقاً للمحكمة الأولى قبل الأزارقة ، وكان يقول أن الله سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا كتب قبل وسيترك ديانة محمـد ويتبع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن . وكان يعد أصحاب الحدود من موافقيه ، وغيرهم كفاراً مشركين وعنده كل ذنب صغير أو كبير هو شرك .

ونسبة اليزيدية الى (يزيد ابن أنيسة) غلط فاضح . اذ أن مبـدأه الذي عرف به لا ينطبق وهذه الديانة . فاليزيدية تقول بالحلول والتناسخ وعبادة الشمس والنار والاباحية والخوارج مجتهدون لا يعرفون من هذه الاعتقادات شيئاً . ولم يرو التاريخ ان قد كان لابن أنيسة اتباع وعملوا بمبدئه .

٣- ذهبت طائفة من الكتاب الى أن اليزيدية يرجعون الى القبيلة « التيرهية » من الناحيتين العنصرية والدينية ، وإن والد عدي وإسمه (مسفر بن احمد الكردي) هو تيرهي نسباً وعقيدة وينكرون صلة اليزيدية بأي دين آخر وهذا خطأ منهم، إذ أن التيرهيين هم قوم وثنيون خرجوا من وراء النهر وأسلموا على عهد الملك « سبكتكين » وحسن اسلامهم ولم يذكر أحد من مؤرخي الاسلام قاطبة خبر مجيئهم الى هذه البلاد عدا ابن العبري في تاريخه السرياني « كرونيكون ـ سريا كوم » وقد أخـذ هذا الخبر عنه راهب يدعى (راميشوع) في منتصف العصر الخامس عشر الميلادي ووضع قصة تاريخية استند فيها عليه وسنبحث عنه في محل آخر .

٤- ذكر مؤلف كتاب « طاؤوس ملك » ر . ه . وأمبسن أن بعض الكتاب أكدوا بان اليزيدية يعتقدون بأنهم من أصل صابئي أو كلداني ، وأنهم من الجاهليين ، وقد التفوا حول يزيد الجاهلي وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي وقد عبر عن الجاهليين بالعرب الذين لم يتبعوا تعاليم محمد ومنهم كان الخليفة يزيد بن معاوية .

واننا لا نريد أن نناقش الكتاب الذين ذكرهم أمبسن فيما ذهبوا اليه عن أصل اليزيدية - والعهدة عليه - إذ ليس الغرض هو تعيين أصل اليزيدية من الناحية العنصرية بل من الناحية الدينية ، وما ذكره عن ديانتهم لا يستحق المناقشة إذ مهما بلغ الجهل باحد ، لا نعتقد انه ينحط الى هذه الدركة من الهذيان .

٥- جاء في كتاب « عبدة ابليس » لنوري باشا والي الموصل : أن « اوزهن بوري » أحد فلاسفة الغرب يدعي بان اليزيدية ترجع الى (المانوية الثنوية) وأن رائحة المانوية تشم منها .

وهو رأي أقرب الى الصواب من غيره وسنتكلم عنه في نهاية هذا البحث .

٦- ذهب السيد عباس العزاوي مؤلف تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم الى ان اليزيدية كانت موجودة قبل الشيخ عدي مستدلا بذلك على ما رواه السمعاني فى كتابه « الانساب » من انه لقي فى (حلوان) وحواليها جماعة يقال لهم اليزيدية .

وفات الاستاذ العزاوي أن اليزيدية الذين ينسبون الى الشيخ عدي شيء ، واليزيدية الذين لقيهم السمعاني فى حلوان شيء وان كانوا اشتركوا معهم بالاسم . وليس في وسعه أن يؤيد لنا كون اليزيدية الذين لقيهم السمعاني كانوا يحملون فى يزيد عقيدة خاصة وكانوا يؤلهونه ويعتقدون بآلهة آخرين غيره بل يجوز انهم كانوا يحملون هذا الاسم لاعتبارات قومية أو سياسية ليس إلا .

٧- أتى العالم الخياط الموصلي في مؤلف له عن اليزيدية حكاية طويلة خلاصتها ان الشيخ عدياً عندما أراد الذهاب الى « مكة » لاداء فريضة الحج جمع مريديه وقال لهم انه سيظهر عليكم شيطان فى شكل انسان يشوقكم على الانحراف عن ديانتكم وحذرهم عن أن ينصاعوا له ويعملوا بقوله . ولما ذهب الى مكة وقع ما كان يحاذره وظهر لهم الشيطان على شكل الشيخ عدي وأفهمهم أنه قد نزل عليه الوحي في الطريق ، ورفع عن أتباعه التكاليف وأباح لهم المحرمات والشهوات وعوضهم عن الذهاب الى مكة باداء فريضة الحج بجبل « لالش » فانصاعوا له وأخذوا يعملون بما أشار عليهم به ، وهكذا خرجوا عن طريقتهم وسلكوا طريقاً مخالفاً للاسلام . وعندما عاد الشيخ عدي من مكة بعد أربع

سنين قضاها في مجاورة الرسول ، رأى ما حل باتباعه من الضـلال والزيغ ، فحزن حزنا عظيما وأخذ يبذل لهم الوعظ والنصيحة بغية إرجاعهم الى سيرتهم الاولى فأعرضوا عنه وأخرجوه من بينهم وهكذا مات كمداً .

والتلفيق في هذه القصة ظاهر وهي خرافية اكثر من أن يكون لها صلة بالحقيقة . ويكفي لتكذيبها بقاء هذه الطائفة متمسكة بطريقتها بعد وفاة الشيخ عدي بزمن بعيد. وفي وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة الشيخ عدي : إن حفـدته الى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليـه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وعظيم الحرمة .

٨ـ ذهب البعض الى أن الذى تمثل بشكل عدي وحل بين أتباعه بعد ذهابه الى «مكة» لم يكن ابليس بل راهباً نسطوريا من دير « القوش » اسمه « آدى » او « أداى »وهو الذي قام بالدور الذي ينسبونه الى ابليس ووضع لهم كتاب (الجلوة) الذى جاء موافقا لميولهم ودعاهم للعمل به وبذلك أخرجهم عن دينهم .

وهذه الدعوى مردودة لعين الأسباب التي شرحناها آنفا ، كما ان علماء النصارى ينكرون صحة ظهور راهب من دير القوش قام بهذا العمل .

٩ـ حاول البعض إرجاع اليزيدية الى النصرانية ونفى علاقتها بالاسلام مستدلين على ذلك بما زعموا انهم وجدوه من بعض المظاهر النصرانية فيها كالعماد والاعتقـاد بالمسيح واحترام البيع والكنائس الى غير ذلك .

وقد عللنا في غير موضع بان هذه المظاهر لا أثر لها في اليزيدية مطلقا ، وننفي ما يقال عن اعتقادهم بالمسيح واحترامهم البيع والكنائس نفيا باتا ، وكذلك عماهـم بالعماد ، وقد سبق تعليله .

١٠ـ أراد أحد كتابنا الأفاضل ان يقارنهم بالباطنية السبعية لقولهم بالباطن والظاهر والنسخ والحلول ولأنهم يحترمون عدد السبعة كجعلهم السناجق الموجودة عندهم سبعة، والملائكة المدبرين لهذا العالم سبعة ، وأيام التكوين سبعة ، وتعبيرهم عن المسلمين بالاسماعيلية اقتداء بالسبعية القائلين بامامة اسماعيل بن جعفر الصـادق ، وهذه جميعها

مردودة كما سيأتي البحث عنها .

هذه جملة من آراء الباحثين فى تعيين أصل اليزيدية ، وترى أن كل واحد منهم اتبع رأيا لا يتفق والآخر وجميعهم لم يتوصلوا الى الحقيقة ، ومنهم من لمسها وحاد عنها ، وآخر جهلها واتبع رأيا على جانب من السخافة كالذي عد يزيداً جاهليا فالتف حوله أمثاله الجاهليون وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي . أما « اوزهن بورى » فهو أكثر إصابة من غيره إذ اشتم بحدسه وفطنته رائحة (المانوية) من هذا الدين وأرجعه اليها. وهذا هو الصحيح ، والى القارىء بيان ذلك :

من دواعي الأسف أنه لم يكن لدينا ما يدل على حقيقة الدين الذي كان يتبعه سكان المنطقة الغربية من جبل هكار عندما وفد الشيخ عدي بن مسافر الأموي اليها بصورة صحيحة ، وهل كان الاسلام قد انتشر بين سكانها وعرفوه ؟ ام لم يكن قد انتشر بينهم ولم يعرفوه ؟ ام عرفوه ولم يتبعوه ؟ أما النصرانية فكانت قد انتشرت بينهم وأقبلوا عليها ، وكان لها أديرة وكنائس كثيرة (١) ، وهناك دين آخر وهو المجوسية التي كان سكان الجبال يدينون بها بصورة عامة الى ان ظهر الاسلام فهل كان قد أفل نجمها وزالت ام لا تزال باقية ويدين بها قسم من الناس ؟ فالتاريخ يدلنا على ان الاسلام بعد ان انتشر في بلاد فارس والعراق لم يقض على المانوية تماما وقد بقى أثرها فى كثير من بلاد فارس وفى عاصمة الخلافة الاسلامية ، وعلى زمن المقتدر بالله (٢٨٢ـ٣٢٠هـ) أجلوا أصحابها عن العراق بعد ان قتل البعض منهم وعذب الآخرون ، فهل شمل هذا الاجلاء أصحاب هذا الدين في العراق كافة ، ام بقى منهم أناس فى الأماكن النائية ولم ينتبه أحد لهم ؟ فالذى يلوح لنا ان الشيخ عديا بن مسافر الأموي عندما جاء جبل هكار ونشر طريقته وجد أناساً يدينون بهذا الدين وقد انقطعوا في هذه الجبال وهم وجلون من سلطة

١) لا يزال كثير من المواقع في هذه المنطقة يسمى باسماء اديرة قديمة مندرسة ، منها : قرية « دير آلوش » وقرية (ديرا خطرا) واهلها مسلمون ، ومضيق (كلي ديرى) اي مضيق الدير يذهب منه الى ناحية (بروارى السفلى) وهو عظيم جداً ، ويوجد آثار دير قائمة فى قرية (بيدول) على نهر اتروش . ومن الاديرة ما هو غير مندرس كالتى في قرية (بيبوزى) و (ميزى) و (آزخ) و (هرماش) و (تله) واهل هذه القرى نصارى . وعلى راس جبل الخير آثار ابنية قديمة ومثلها فى جبال اخرى في المزدرية لا نعلم هل كانت آثار اديرة قديمة ام غير ذلك .

حكومية تقتفى أثرهم وتوقع بهم ، فبذل لهم النصح والارشاد ودعاهم الى الاسلام وحسن إسلامهم واعتنقوا مبادئه وأصبحوا من خيرة مريديه ، نستدل على ذلك بما جاء فى مقدمة الكتاب الأسود ، وهو ثاني كتب هذه الطائفة الديني وهو :« في زمن المقتدر بالله سنة ٢٩٩ هجرية كان المنصور الحلاج والشيخ عبدالقادر الكيلاني ، فى ذلك الوقت ظهر انسان اسمه الشيخ عدي في جبل الهكارية » فهذا الكلام على رغم ما فيه من خبط وخلط ومسخ وتشويه يدلنا على ان لليزيدية ذكريات قديمة ترجع الى عهد المقتدر بالله بالوقت الذي لا يعرفونه ولم يكن لهم صلة به . فما هذه الذكريات التي يرجع مؤلف الكتاب الأسود اليها وينوه بذكرها ؟ والجواب على ذلك نجده فى الفهرست لابن النديم ، فانه قال : « لما انتشر أمر الفرس وقوي أمر العرب عادوا (اي المانويون) الى هذه البلاد لا سيما فى فتنة الفرس وآخر ما انجلوا في أيام المقتدر فانهم لحقوا بخراسان خوفا على أنفسهم ، ومن بقى منهم ستر أمره ، وتنقلوا في هذه البلاد وقد قلوا فى المواقع الاسلامية » .

فابن النديم يدلنا بكلامه هذا على ان المانويين عادوا الى هذه البلاد بعد فتنة الفرس ، وقد أجلوا آخر مرة على زمن المقتدر بالله ولحقوا بخراسان وقد نوه صاحب الكتاب الأسود بهذه الحادثة وجعلها رأس تاريخ لما لأصحاب هذا المذهب من علاقة بهم ، وربما يكونون هم الذين « بقوا في هذه البلاد وستروا أمرهم » وانزووا فى هذه البقعة بعد ان وجدوها خير مأوى لهم ، او لم يكونوا منهم بل كان لهم أواصر مبدأ وعقيدة تربطهم بهم ، وقد تأثروا من هذا الاجلاء وأخذوا يذكرونه ، وإلا فما هي علاقة واضع كتاب الأسود بالمانويين وجعل ظهور الشيخ عدي على زمن (المقتدر بالله) الذى تم هذا الاجلاء على عهده ؟ .

ورب قائل يقول أن الشيخ عديا عندما جاء جبل هكار لم يكن للمنوية أثر فيه وأن الذين اتبعوه هم اسلام صرف من العرب والأكراد الذين يدينون بحب يزيد وسلمنا بهذه الدعوى ، فلماذا نجدهم بعد ان ابتعدوا عن الاسلام ظهرت عليهم المانوية بكل صورها وأعادوا دور (مانى) بشكله ورسومه ؟ فهل يجوز لنا القول أن ذلك دخل

عليهم عرضا أم تلك تقاليد صوفية أساؤوا فهمها ؟

وصفوة القول : أن المانوية هي أساس هذا الدين ومنها ولد وظهر للوجود ، وقد بقي زمنا منصبغا بصبغة الاسلام ، ثم زالت عنه هذه الصبغة بنتيجة الأحداث التي لحقت به ، إلا ان لونها لا يزال باقيا . والزمن كفيل بايقاظ أصحابه من رقادهم بعد ان ينالوا نصيبهم من العلم الذي حرموا منه زمنا ويتبوأوا المكانة التي يستحقونها في المجتمع.

﴿ اليزيدية في نظر الباحثين الغربيين ﴾

يجهد الكتاب الغربيون قرائحهم لمعرفة أصل اليزيديين، وكيف عرفت ديانتهم، وهل هم مستقلون من الوجهة العنصرية والدينية ، أم لهم قرابة مع الأديان والعناصر الأخرى . فالبروفسور آى . في .. وجا كسن في جامعة كولمبيا والمؤلف الشهير عن الأديان الايرانية يذهب الى أن الديانة الثنائية شكلت مبدئيا بعض المشابهات بين الديانتين الايرانية واليزيدية ، ولكنه بعد ان أبدى هذه النظرية وقف موقف المتشكك وأخذ يتساءل هل ان الديانة اليزيدية عرفت في بلاد ايران أم في كردستان ؟ ويجيب بنفسه على هذا السؤال بقوله: أن كثيراً من الوثنيين الايرانيين عبدة النار والشيطان والزرواستريين (الزردشتيين) انقادوا ودانوا بالديانة الجديدة كأنها ديانتهم الخاصة . وقد يدل كلامه هذا على ان اليزيدية ظهرت بشكلها وتعاليمها في بلاد ايران ومن هناك انتقلت الى سائر المواقع التي نجدها فيها الآن .

ويضيف « أمبسن » الى نظرية البروفسور جاكسن ان الطرق الدينية اليزيدية والمجوسية القديمة نشأت من الزرادشتية، والتاريخ اليزيدي الحديث متأثر من احتكاكهم بالمسيحيين وخضوعهم الجزئي للحكم الاسلامي الذى سبب بعض التغييرات في عقائدهم ثم يقول : ولا نعلم اذا كانت الأبحاث في المستقبل سوف تعزز هذه النظرية ، او تظهر نظريات أخرى أصح منها ، فلندع ذلك للمستقبل .

ثم يقول : ولأجل ان نصل الى نتيجة قطعية فى أصل المذهب اليزيدى نحتاج الى دراسة وثيقة فى احوال الشعوب لأن ذلك هو الطريق المؤدى الى معرفتها فى آسيا الصغرى اكثر من اتباع لغتها وديانتها . ويقول : ان اليزيدية الذين لا يعرفون إلا النزر

القليل عن أنفسهم لهم تقاليد تنبيء بأنهم وفدوا من البصرة وهاجروا الى سوريا وقطنوا اخيراً في سنجار، والتلال التي يقيمون فيها الآن، وليس لديهم أدلة أقل او اكثر من ذلك.

ويقول : يؤكد بعض الكتاب بان اليزيدية لهم عقيدة خاصة بأنهم من أصل صابئي أو كلداني ولكنهم يذعنون بان كثيراً من تعاليمهم مستمدة من مذاهب أخرى ، ولا يزال الكلدانيون المسيحيون والصابئيون يقيمون في العراق، والأخيرون يسكنون شواطيء الفرات ، ومع انهم أبرياء من عبادة الشيطان فلديهم بعض عادات مشتركة وبالأخص حفلة التقديس .

ويقول : وكاتب آخر يسعى ليوصل اليزيدية الذين هم كثيفو الشعر بالآشوريين الذين نرى عادة في تماثيلهم اللحى الكثيفة ، وبالنظر الى قلة المستندات والجهل المستولي على الشعب اليزيدي لم يتمكنوا أن يحصلوا على أية نتيجة عن أصلهم .

وبعد أن أتى على الاسطورة المنقولة عنهم بانهم ليسو من سلالة هذا البشر منشأ ، بل هم من أبناء آدم بينما باقي البشر هم أبناء آدم وحواء وان أمهم حورية هبطت من الجنة وتزوجها آدم وتناسلوا هم منها ، قال : أن هذه المعلومات وان كانت متضاربة ومرتبكة لكنها ثابتة . فاليزيدية هم خلف للوثنية القديمة وقد أخفوا ديانتهم ليتخلصوا من الاضطهاد ، وكانوا دائماً يتجنبون المسلمين الايرانيين والعراقيين الذين لعنوهم لسبب أعمالهم التي كانوا يعدونها حقيرة والتي تعود الى خليفتهم يزيد بن معاوية مؤسس ديانتهم.

هذا من ناحية تعيين أصل اليزيديين ، أما من ناحية تسميتهم فيقول :

ينسب بعض المسلمين اسم اليزيدية الى اتباع الخليفة الأموي (يزيد الأول) الذي خلف أباه (معاوية ابن أبي سفيان) وهو الثاني من الخلفاء الأمويين الأربعة عشر ، وكان معاصراً وتلميذاً (حواريا) لمحمد. ولكن لا يوجد برهان على أن (يزيد) أسس خلال الثلاث سنوات ونصف من حكمه (٦٨٠ ـ ٦٨٣) ديانة جديدة أو اتبع ديانة محمد .

ويقول : ويعتقد اليزيدية أنهم من سلالة الخليفة يزيد ، وهذا مما يدل على جهلهم ، ليتخلصوا من اضطهاد السنة الذين لا يجلون « الحسين بن علي » كما تجله الشيعة ورغبتهم

فى الانتساب الى شخصية شريفة وممتازة (ص ٣٠) .

ويقول : قال كاتب مجهول ان العرب الذين أتبعـوا (محمداً) أسموا الذين لم يتبعوا تعاليمه بالجاهليين ومنهم كان الخليفة (يزيد بن معاوية) وقد التف كثير من الجـاهليين حوله وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدى (ص ٣١) .

ويقول : وبعض اليزيدية أنفسهم يؤكدون بان مذهبهم لم يحمل قبلا هذا الأسم ويقولون انه عندما دب الشقاق في ديانتهـم ظهر خليفة يدعى يزيـد بن معاوية وإمرأة مسيحية سمعت بالشيخ عدى وذهبت اليه ، واعتنقت ديانته وعلمتها أتباعه (ص٣٦) .

ويقول : ونظراً الى نظرية معاوية وهى : الأسـطورة التي يروونها عنه من أنه كان خادما لبني الاسماعيليين محمد (ص) وعندما كان يحلقه جرحه من رأسـه وخوفا من ان يراه لسع الدم بلسانه وهناك قال له محمد لقد أخطأت وسوف يأتي من صلبك من يكون عدواً لأمتي ، وإجابته له بأنه سوف لا يتزوج أبداً ، وأخيراً عندما تسلطت العقارب عليه ولدغته من وجهه جزم الأطباء بموته إن لم يتزوج ، فتزوج إمرأة فى الثمـانين ليأمن حبلها ، وفى اليوم الثاني ظهرت فتاة فى ريعان الشباب وحملت (بيزيد) ، فالسر جي . جي فريزر هو أكثر إصابة من بادجر في قوله بأن اسم اليزيدية أعطي الى هذه القبائل من قبل المسلمين للاستهزاء والسخرية ، وبادجر افتكر بأنهم انتخبوا هذا الاسم لمسايرة تعصب الحكام المسلمين .

ويقول : ان الاعتقاد السائد بان اسم اليزيدى كان قد وضع من قبل الشيخ عدي بن مسافر الذى توفي سنة ١١٦٢ والذي يرجع المذهب الحاضر اليه ، ولكن بلا شك ان هذه العشائر كانت موجودة قبل ظهوره بزمن بعيد .

ويقول : وقد وضع الدكتور جوزيف الأمريكى قبل بضع سنوات نظرية جـديدة ومفيدة وهي أن اليزيدية هم أتباع « يزيد بن أنيسة » الذي كان صديقاً للمحكمة الاولى قبل الأزارقة والذي كان يقول ان الله سيرسل رسولا من العجم وينزل عليه كتابا كتب قبلا ، وسيترك ديانة محمد ويتبع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن .

ونحن لا نريد أن نناقش هذه الآراء واحدة فواحدة وندل على موضع الخطأ فيهـا

إذ الخطأ يدل على نفسه بنفسه ، ومثلا ما أكده بعض الكتاب من أن لليزيدية عقيدة خاصة بأنهم من أصل صابئي او كلداني ، او أنهم من الجاهليين وقد التفوا حول يزيد الجاهلي وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي ، او أن لهم تقاليد تنبيء بأنهم قدموا من البصرة وهاجروا الى سوريا ، وهذه كلها أقوال فارغة ليس لها قيمة من الناحيتين التاريخية والعلمية . وغريب جداً ان نجد البعض من هؤلاء الباحثين يذهبون مذاهب غريبة فى بعض المسائل وآخرون يطبلون ويزمرون لهم بأنهم وضعوا نظريات جديدة ومفيدة كأنما عميت أبصار غيرهم عنها ، كنظرية الدكتور جوزيف الذي يريد بها إرجاع اليزيدية الى مذهب « يزيد بن أنيسة » الخارجي وليس بين اليزيدية ومذهب هذا الخارجي أية صلة او علاقة .

واذا كان فيما ذكره هؤلاء الباحثون شيء من الحقيقة فهو علاقة اليزيدية بالزردشتية فقط ، ولكن هذه العلاقة قديمة ترجع الى زمن بعيد جداً أي قبل ان أصبحوا يزيدية وعرفوا بهذا الاسم ، وهم فى الحقيقة مانويون كما يظهر لنا من اعتقاداتهم وأصول ديانتهم والمانوية هى التى خلفت الزردشتية في هذه البلاد وفى بلاد ايران وعاشت زهاء عشرة قرون . وطالما سماهم أمبسن بالزرادشتيين ، فلا نرى بأساً فى مجاراته بتسميتهم بهذا الاسم . ولكن اذا وافقناه على هذا فلا نوافقه على ان اليزيدية ظهرت فى بلاد ايران ومن ثم انتقلت الى سوريا والعراق وآسيا الصغرى ، بل ولدت في الشيخان « قريباً من الموصل » وترعرعت فى ربوعه ، وعندما ضاقت بها الأرض وحل ما حل بها من الويلات والنكبات هاجرت الى مواطن أخرى واستقرت فيها . نقول ذلك مع علمنا أن وطن الزرادشتية وكذلك المانوية القديم هو بلاد ايران ، ولكن يجب ان لا ننسى أن بلاد ما بين النهرين وكردستان ايضا كانتا موطناً لهاتين الديانتين .

والحقيقة التى لا جدال فيها أن اليزيدية ولدت فى الشيخان من أبوين زرادشتيين وقد كفل تربيتها الاسلام وأرضعها تعاليمه ومبادئه طمعاً بان يخلصها من شرك الوثنية ، وقد شبت على المباديء الاسلامية ، ولكن سرعان ما عادت الى سيرتها الأولى لفقدان الذين كفلوا تربيتها وانتقال أمرها الى أناس لم يكن لهم حظ فى الاستمرار الى النهاية على

تهذيبها . ومن الطبيعي إن أخذت كثيراً من تعاليم الاسلام عندما ترعرعت في أحضانه وتأثرت بها من وجوه عديدة دينية كانت ام أخلاقية ام اجتماعية ، يبدو ذلك بالمقارنة بينها وبين الزرادشتيين الذين لم يتأثروا بهذه التعاليم ، وهؤلاء يقيمون في بلاد فارس وفي « بمبي » في الهند (١) .

نعم لقد عاد هؤلاء الى ديانتهم القديمة بعد ان تحورت وخرجت عن أصلها بنتيجة الاحتكاك الذي حصل لهم بالاسلام قرناً وبعض قرن وأصبح من حق الاسلام ان يطالبهم بما له من حق الكفالة والوصاية عليهم وأصدر أحكاما قاسية بحقهم حيث أخذ يعرفهم بالمرتدين . وقد كان لهذه الأحكام أثر شديد في حياتهم الاجتماعية خلال بضعة قرون مرت عليهم .

ومن الخطأ ان نعتقد أن الشيخ عدياً هو الذي سماهم باليزيديين ، او أنهم كانوا يحملون هذا الاسم قبل ظهوره ، بل أعطي لهم من كتبة الاسلام في مباديء القرن الثامن الهجري وربما قبل ذلك بزمن قليل ، ولكن ليس بقصد الاستهزاء والسخرية ، ولا انهم انتخبوا هذا الاسم لمسايرة تعصب الحكام المسلمين .

وعلى أثر إرجاعنا اياهم الى الزرادشتيين يجب ان نتوصل الى معرفة جنسيتهم ، والزرادشتية ليست اسم لجنسية بل لديانة تضم كثيراً من الأجناس والعناصر أكان في بلاد فارس أم في العراق . والحق ليس لدينا مستند يدلنا بصورة صحيحة وأكيدة على أصل هذه الطائفة ، وقد تبدو لنا آراء نقصها على القاريء وكلها لا تخلو من فائدة (٢) .

١ـ بالدرجة الاولى أن يكونوا من الأكراد ونعلم أن محل ظهورهم ونشأتهم هي البلاد التي تسكنها الأقوام الكردية منذ القديم . وقد أدخلهم جميع الباحثين في خرائط وكشوفات الطوائف الكردية، وقد جاء في مفصل جغرافية العراق لطه الهاشمي (ص١٠٩):

---

١) قدر بعضهم عبدة النار الان في فارس بـ ٨٥٠٠ نسمة ، وفي (بمبي) وغيرها من بلاد الهند بما يقرب من مائة الف .

٢) سنفرد بحثاً خاصاً عن اصل هذه الطائفة وجنسيتها ولغتها ، وما نقلناه هنا لم يكن الا بسائق متابعة البحث .

«اليزيدية من الشعب الكردي».. ويعبر عن يزيدية الشيخان «بالداسنيين» والداسنيون هم الاكراد الذين كانوا يوجدون في سلسلة جبال « داسن » وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وتطلق الآن على جبال المزورية وإذا صحت نظرية الاستاذ « اولمستيد » بان عشيرة مزوري ترجع بالأصل الى عشيرة « مسوري - موسري » الآشورية التي كانت في عهد الملك «سناخريب» فيما بين رافدي نهر «الخازر» يمكننا القول بان يزيدية الشيخان هم أحفاد تلك العشيرة الآشورية التي كانت تعيش في فجر التاريخ في هذه المنطقة .

أما يزيدية سنجار وطورعابدين وديار بكر وحلب وموش وسعرد وبدليس وماردين الى ما وراء حدود وان فبلاد القوقاس لا جدال في أنهم يرجعون الى سلالات كردية وهم بالاصل من شعوب سلسلة جبال «زاغروس» الذين وجدوا في هذه الجبال منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسماية سنة (١) .

٢- يجوز أن نعدهم خليطاً من الآشوريين والميديين أصحاب هذه البلاد الأصليين وقد أثبت التاريخ أن الميديين وغيرهم من الشعوب الآرية وفدوا حوالي القرن العاشر والتاسع ، وعلى رأي « كرزون » في القرن العشرين قبل الميلاد الى جبال زاغروس وأوقعوا سكانه الأصليين تحت سلطانهم ، فغلبت جنسيتهم عليهم ومثلوهم بهم ، ولما انقرضت دولة « آشور » على يد حكومة فارس والميديين سنة ٥٣٨ ق . م كان من الطبيعي أن يندمج الشعب الآشوري في الشعب الميدي إن لم يكن كله فجزء منه، والأكراد هم أحفاد الميديين (٢) .

٣- من المؤكد أنه يوجد بينهم عرب حافظوا على جنسيتهم وهم طبقة الروحيين ، وهؤلاء وإن أصبحوا أكراداً غير أنهم لا يزالون يحافظون على عنصريتهم ولم يخالطهم دم أجنبي (٣) .

٤- أما يزيدية سنجار فيمكننا أن نستدل من الأخبار التاريخية والتقليد الجاري أنهم

---

١) تاريخ الكرد وكردستان لامين زكي بك .
٢) ميزوبوتامي - للسير ولسن ١٩١٧-١٩٢٠ ص ١٢٧
٣) را : البحث عن الطبقات الروحية .

وفدوا الى هذا الجبل من أماكن مختلفة فى مبادي العصر التاسع الهجرى أى بعد غارة «تيمولنك» بشي قليل وهم أكراداً قحاح خالصوا الدم ، وقد امتزجوا بسكان الجبل النصارى الآراميين والعشائر العربية المسلمة بعد أن أرغموهم على قبول دينهم واختلط دمهم بدمهم على خلاف يزيدية طورعابدين الذين حافظوا على دمهم .



الأمير سعيد بك وحاشيته

فى مراقد أئمتهم ومشائخهم

فى الشيخان وسنجار

اتجه البشر في أدواره الاولى الى عبادة العناصر الطبيعية كالسماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحب والارياح واتخذها آلهة معبودة ، ثم سارت الى جانبها عبادة الأسلاف والأبطال ، وأصبح لكل قبيلة وأمة آلهة يعنون بعبادتهم ، وعبادة الأسلاف والأبطال يراد منها الاستمداد من عظماء البشر وقادتهم الذين يحسبهم الناس قادرين على المعجزات والخوارق وتغيير حوادث الطبيعة التى ترهبهم وتخيفهم ، ومن هنا نشأ الاعتقاد بتقديس الأحجار والأشجار وفصائل الحيوانات وغيرها بصفتها تمثل هؤلاء الأبطال ، وكذلك عقيدة التناسخ والحلول وعملت بها معظم الأمم والأقوام في أدوارها الابتدائية وعندما ارتقى البشر وظهرت الشرائع التي ترمي الى عقيدة التوحيد لم يخلص من عبادة الأبطال نهائياً ، وقد اتخذت البوذية والزرادشتية والمانوية والمزدكية والمرقونية والتناسخية وغيرهاهذه العقيدة ركناً أساسياً لها ولازمتها في جميع أدوارها ، حتى الاسلامية لم تتخلص من هذه العقيدة التي تغلغلت عند عوامها نتيجة الاحتكاك الذي حصل لها مع أصحاب هذه المذاهب ، فانا نراهم يستمدون العون من قبور الأولياء والصالحين .

واذا رأينا اليزيدية تجنح الى هذه العقيدة وتتخذ لها آلهة من أشخاص أبطالهم وتعكف على عبادتهم فلا غرابة في ذلك ، والاسلام الذي مر عليها مروراً لم يستطع ان يجتث منها هذه العقيدة ، فاصبح لا يجوز لليزيدي ان يحل بقعة من الأرض ما لم يكن له فيها نصب يرمز الى أحد شيوخه وأئمته الذين يعتقد فيهم حلول الألوهية ليكون له شفيعاً عند معبوده الأعظم ويدفع عنه المحن والآلام والنوائب ، فاذا ما حللنا مجتمعاً يزيديا واسعاً نرى فيه مجموعة من القباب الضخمة قد شيدت على أضرحة من يعتقدون فيه حلول الألوهية من أسلافهم ، وهي على شكل القباب التي نراها عادة على

أضرحة رجال الاسلام ، ولا فرق بينها من حيث الغاية ، وزادوا على ذلك ان اعتقدوا بكثير من الأشجار والأحجار ، وسجدوا لكل مكان شريف ، واجتنبوا وطء الوادي الذي فيه قبر الشيخ عدي بنعالهم ، وزاروا مبانيه المتداعية ولثموا أحجارها وعفروا وجوههم بترابها ، وقبلوا عتبة حجرة الامير ، وأعتاب حجر بقية البيرة والمشائخ ، وقدموا لسادن كل مرقد نذورهم وهباتهم وخيراتهم ، وأوقدوا السرج والشمع كل أربعاء وخميس ليس لأصحاب هذه المزارات فحسب بل لكثير من الاحجار والاشجار والمباني المتهدمة والرسوم الدارسة في وادي لالش المقدس ، واتخذوا هذه المراقد مستشفيات يأتون اليها بمرضاهم وذوي العاهات منهم لينالوا الشفاء من الراقدين فيها ، وهنا نذكر أهم المراقد الموجودة في الشيخان وسنجار .

﴿ المراقد والمزارات الموجودة في الشيخان ﴾

محمد رشان : يقع في سفح جبل مقلوب محاذيا لقرية (كليشين) وقد ذكره صاحب قلائد الجواهر باسم (محمد رشا) وقال عنه انه كان له صحبة أكيدة مع الشيخ عدي بن مسافر وكان يسميه بالكردي ، وأسرته يتولون الآن سدانته ويعرفون بـ (بيرة محمد رشان) ، ويعتقد مسلمو تلك الارجاء بتصرفاته ولا يحلفون به كذبا ... ويذهب اليزيدية اليه في احتفالات شائقة في السنين المجدبة لاجل الاستسقاء ويكون على رأسهم الامير وطائفة من الشيوخ والبيرة والكواجك ويقدمون له القرابين ويبقون ليلة في ضيافته ويعودون في اليوم التالي ، ويعتقدون ان الامير او أحد أفراد أسرته يذهب ضحية هذه الزيارة في تلك السنة .

عبدرش : في قرية (كندالة) ومعناه العبد الاسود ، يزعمون أنه كان خادما للشيخ عدي وقد أطلعه على كثير من الاسرار ، وأدخله في زمرة الأولياء الأخيار .

الشيخ محمد : في قرية (كرخالص) وهو جد الأمراء الحاليين ويتصل نسبه بالشيخ أبي بكر ويسميه البعض بالشيخ محمد الكردي الاربلي ويعتقدون ان ترابه ينفع الرمد والقروح .

شيخ حنتوش : في (قرية عين سفني) ويسمونه : (شيخ حنتوش عربي) يعزون

اليه كثيراً من الكرامات ويعتقدون أنه اذا دفن يزيدي قريبا من قبره تلفظه الارض الى مكان بعيد ، وكان ان صادف موت أربعة أشخاص في قرية (عين سفني) بمرض التيفو قبل بضعة سنين فعزوا ذلك الى غضب الشيخ حنتوش عليهم لتغوط أحدهم قريباً من قبره فسارعوا الى إزالة الغائط .

وفي اليوم الرابع من هذه الحادثة أطلق شخص مجهول رصاصة على الامير سعيد بك في مرقد الشيخ عدي جرحه في ساعده فعبروا عن ذلك بغضب الشيخ حنتوش عليه لأنه لم يلب طلب أهل عين سفني وذهب معهم الى مرقد الشيخ عدي ليتشفع به لرفع غضبه عنهم ، فسارعوا الى استرضائه بتقديم أربعة قرابين اليه .

الشيخ شمس : ويراد به الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدي الثاني واليه يعزى وضع هذه الديانة ، ويعرفه القوم تارة بالشيخ شمس الدين التبريزي وأخرى بشمس يزيدين أي شمس الآله .. له مزار فخم على ربوة عالية في قرية عين سفني وفي مواقع مختلفة في الشيخان وسنجار سيأتي ذكرها ، وقبره الحقيقي في المسجد المسمى باسمه في محلة الشيخ محمد بالموصل .

الشيخ مند : في قرية عين سفني وهو من آباء طائفة من الشيوخ ، وروى لي أحد القوالين ولم أتأكده أن له مزار فخم في حلب .

الشيخ خال شمسان : في قرية عين سفني .

الشيخ امشلح : في قرية اشكفتيان يعمل الأمير له كل سنة «طوافة» يحضرها خلق كثير من اليزيدية والمسلمين ويقال انه من تلامذة الشيخ عدي ، وقد حل عليه ضيفاً عند مجيئه من «بعلبك» وبقي في ضيافته أربعين يوما .

الشيخ فخر الدين : في قرية مام شقان .

الشيخ سن : في قرية ايسيان .

الحاجي رجب : في قرية بيرستك (١) .

---

١) ذكرها صاحب القلائد باسم (بيرستق) تقع في صدر الجبل المحاذى (لعين سفني) على طريق باعذرة . كان للشيخ عدي فيها جامع وزاوية وبقربها قرية (بروق نبي فضل) نعتقد انها قرية (ايسيان) الحالية .

بيرافات : في قرية كيس قلعة .

بيرمند : في قرية الجراحية (١).

شيخ محمد : في قرية دوغات .

الحاج فارس : في قرية خطارة ويسمونه «حكي فيرس» .

الشيخ سيباطي (٢) : في قرية باطـط المسلمة ومتوليه « الشيخ عبـدال بن الشيخ عاشور » من قرية «بابيره» وله مقام في مرقد الشيخ عدى .

شهسوار : في قرية بيبان وهو محرف من (شاه سوار) أي فارس الفرسان .

مهدار : « بوزان وهو اسم لجبانة كبيرة تضم قبور كثير من الصلحاء منذ القديم.

شرف الدين : في قرية بيت نار .

الشيخ عنزروت : في قرية على قمة الجبل بين (اشكفتيان) و (مرقد الشيخ عدي).

الشيخ شمسان : في قرية في سفح جبل مقلوب قريباً من قرية (جرش) المسلمة يدعون ان الفريق عمر وهبي عندما هدم قباب أوليائهم في الشيخان عجز عن هدم قبته وخرج منها نور أوشك ان يحرق القائمين بأعمال الهدم .

ملك ميران : في قرية بعشيقة وله مقام في مرقد الشيخ عـدي ، ويعدونه من أبرار اليزيدية .

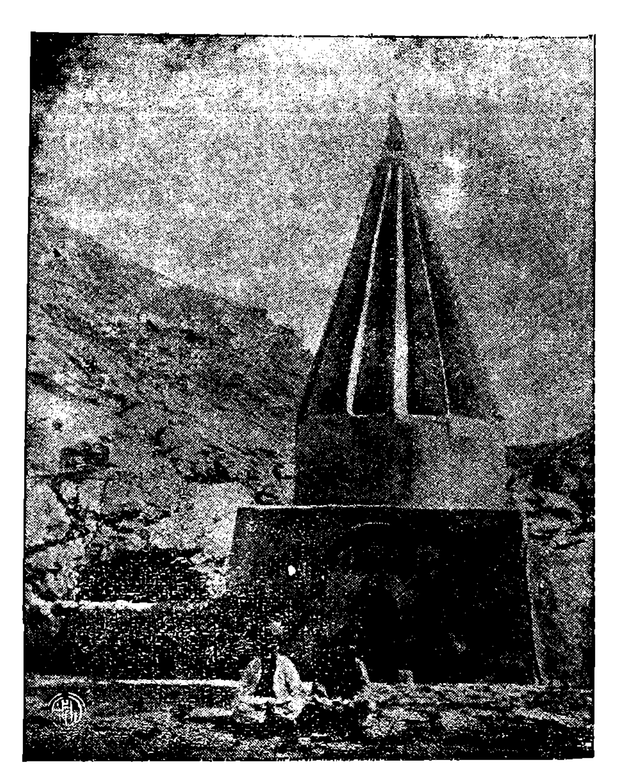
ناصر الدين : في قرية بعشيقة .

---

١) تقع على بعد ساعة غربي قرية (باعذرة) كان فيها قلعة للامير (ابراهيم المهراني) لا تزال آثارها باقية ، وابراهيم المهراني هذا كان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر ومن مخلصيه . — القلائد —

٢) بامالة الطاء يعتقد اليزيدية انه محرف من (شخصى باطي) او (شقصي باطى) ويقصدون به الشيخ محمد المدفون في قرية (باطط) المسلمة . وقد تضاربت الاقوال فيه ، فمنهم من يقول انه من ذرية (الشيخ عبد القادر الكيلاني) ومنهم من يقول انه من ذرية عمر بن الخطاب . و (شقص) محرف من (شخص) ويفيد معنى الشيخ او الولي مطلقا . و (باطى) مخفف عن (باطط) فاذا ما قيل (شقص باطي) فالمراد (شخص باطط) اي (الولي باطط) او (الاله باطط) .

وفي معتقد اليزيدية ان الحشر والنشر سيكون يوم القيامة في هذه القرية ، وفي وسطها حجر كبير منحوت على شكل كرسي يعتقدون ان الشيخ عديا سيجلس عليه ويضع عنده موازين القسط والعدل للناس .



مزار الشيخ محمد في بعشيقة

الشيخ محمد : في قرية بعشيقة ، يزعمون أنه « محمد بن الحنفية » (١) يعزون اليه حكاية على جانب من السخافة لا حاجة لذكرها . ومرقده من المشاهد التي يحج اليها اليزيدية ، وله أوقاف ينفق دخلها على الزوار ، ويصنع سادنه ليلة كل جمعة ولية يحضرها كثير من الناس ، وله « طوافة » شائقة يجتمع بها ألوف من أهل الموصل والقرى المسلمة ، على أن القبر الذي يرمزون به عن « محمد بن الحنفية » هو قبر « الشيخ محمد الزراني » أحد الصلحاء (٢) .

١) هو ابن الامام علي بن أبي طالب : ذهب اصحابه وتلامذته فيه مذاهب شتى وحصروا الامامة به وانتقالها الى اولاده ، واعتقدوا به انه حي لا يموت ، والى ذلك أشار كثير بقوله : « وسبط لا يذوق الموت حتى • يقود الخيل يتبعها اللواء . تغيب لا يرى عنهم زمانا . برضوى عنده عسل وماء » . ومن اعتقادهم انه قد أحاط بالعلوم كلها ، وان اخويه الحسن والحسين قد اطلعاه على الاسرار جميعها ، وانه يعلم التأويل والباطن . وهؤلاء هم الكيسانية والمختارية .

٢) را : معجم البلدان مادة باعشيقا .

الشيخ شيدك : في قرية بعشيقة وهما اثنان القصير والغريب ، ويقـولون أن للأول تصرف بقطـع الحمى ويزوره أصحاب الحميات ويخاطبونه باللهجـة البعشيقية : « شيـخ شيدك ! شيخ شيدك ! تقطع الحمى بيدك ، تقطعها إلا ما انفيدك » .. أي تقطعها والا ما نريدك ؟ فيقطعها .

الشيخ أبو قحوف : قريبا من تل بحزاني على طريق بعشيقة، يزعمون أن له كذلك تصرفا بقطع الحمى كالشيخ شيدك القصير ، إلا أنه لا يقطع حمى أحد ما لم يكسر أناء من فخار على قبره ، ولهذا عرف بهذا الاسم .

الشيخ شمس :	في قرية بحزاني	
الشيخ حسن :	»	
الشيخ أبو بكر :	»	ويسمونه الشيخ عبا بكر
الشيخ سجادين :	»	محرف من الشيخ سراج الدين
الشيخ منـد :	»	
الشيخ ناصر الدين :	»	
الشيخ عبد القادر :	»	يريدون به الشيخ عبد القادر الكيلاني
الشيخ عبد العزيز :	»	» » ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني
عبد رش :	»	وقد سبق ذكره
ست خجيجي :	»	محرف من ست خديجة يزعمون أنها أخت الشيخ

عدي وهي التي أتت على زعمهم بحجرين كبيرين من بغداد عند رجوعها من زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني كل واحد علق بشعرة من ذوائبها (١) .

ست جيبي : في قرية بحزاني ويراد بها الست حبيبه

سيعد ومسعود : في قرية بحزاني ، يقيم البحزانيون طوافة لها كل سنة .

الشيخ زندين : محرف من الشيخ زيد الدين ، يذهبون الى انه ابن الشيخ حسن ،

١) سألت احد ظرفاء اليزيدية – وقليل ما هم – : أما كان الاحرى بالسيدة خجيجى ان تذهب بهكذا حجرين من هنا الى بغداد معلقة كل منهما بذوائبها بدلا من ان تسلب بغداد حجريها الوحيدين ؟ فقال لي : وما أدراك ان لو كان في بغداد هكذا حجران لادعينا ان الست خجيجي ذهبت بهما من هنا .

والصحيح انه ابن الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن ، ويعتقدون انه مدفون عند أبيه في قرية بحزاني ، ويرددون عنه قصة خلاصتها : انه ركب فرس الشيخ عدي مرة واسمها « بور » وعند ما علا عليها نظر الى أعلى فرأي (العرش والكرسي) ونظر الى تحت فرأى (الكاو والماس) أي (الثور والسمكة) فأوصلته الفرس في طرفة عين الى مصر وأخذت هناك تظهر على يده المعجزات وخوارق الآيات فشعر به حاكم مصر وقبض عليه وسجنه في جب عميق بعد ان كبله بالحديد . فمد (الشيخ عدي) اليه عصاه من لالش فتعلق بها ونجا من السجن . وللقوالين منظومة بهذا المعنى يرتلونها في حفلاته .

الشيخ محمد العمري : في قرية باطط المسلمة (راجع الشيخ سيباط).

الشيخ موسى صور : ومعناه الأشقر ، له مقام في مرقد الشيخ عدي وهو على معتقدهم ملك الهواء ورفيق عبد رش .

الشيخ ابراهيم الختمي : له مقام في مرقد الشيخ عدي ، يعتقدون انه أخو الشيخ موسى صور وكلاهما اولاد الشيخ شمس الدين . وقد ورد ان لأبي البركات عدي بن صخر ولد اسمه (موسى) فيجوز أن يكون هو المراد .

الشيخ طوكل : له مقام في مرقد الشيخ .

الشيخ كراس : » » » » » ومعناه في الكردية الثوب .

لكمدين بابا : » » » » »

بهلوك بك دانا (١) » » » » »

الشيخ ابراهيم الخوزستاني (٢) : له مقام في الشيخ عدي ، يعتقد اليزيدية انه كان ذا غنى زائد ، فانقطع عن الدنيا واتصل بخدمة الشيخ عبد القادر وأصبح من خواصه.

خاتونة نخر : لها مقام في الشيخ عدي وهي على معتقدهم أم الشيخ شمس الدين والشيخ آمادين (عماد الدين) .

---

١) لعلهم يقصدون به احد المجاذيب المشهورين وهو أبو وهب ابن عمر الصيرفي : عاش في بغداد على زمن هرون الرشيد وتوفى عام ١٩٠هـ . يروى له محاورات مع هرون الرشيد تدل على سداد رأي وحكمة وتعقل .

٢) لعله ابراهيم بن زيد الخوزي ، وهو من رجال الحديث . كنيته أبو اسماعيل توفي سنة ١٥١هـ ويقال انه كان مملوكا لعمر بن عبد العزيز الاموي ثم اعتقه .

هسن جلال : له مقام في مرقد الشيخ عدي، ويذهبون الى انه كان حاديا عند الشيخ عدي
اندريس خياط : » » » » » » » » خياطا » »
بوقطار بابا : » » » » » » » » وكيلا للشيخ عدي في
ماردين وله مقام كبير هناك
اومر خاله : له مقام فى مرقد الشيخ عدي
الشيخ بايزيد البسطامى (١) : له مقام في مرقد الشيخ عدى .
بلال الحبش : له مقام في مرقد الشيخ عدى وآخر فى رأس جبل سنجار في الشمال
مقابل قرية (باره) ، يذهب اليزيدية الى انه كان مؤذنا للشيخ عدى .
الشيخ اسماعيل العنترلي : له مقام في مرقد الشيخ عدى .
الشيخ عبد القادر الكيلاني : له مقام في مرقد الشيخ عدى ويسمونه الرحماني
بير همالي : محرف من حاجي علي له مقام فى مرقد الشيخ عدي ، وله اختصاص باشفاء
المجانين ، ويوجد له مزار في قرية (كندكلي) فى سنجار .
بير ايسيبيا : له مقام في مرقد الشيخ عدي .
ميمي ايسيا : » » » »
مام ايسيان : » » » »
بير مندكور : » » » »
بير حسن عمان : » » » »

---

٣) هو ابو يزيد البسطامى واسمه (طيفور بن عيسى) احد رجال التصوف : ولد سنة ١٦٠ هـ في مدينة بسطام فى خراسان وتوفي سنة ٢٣٤هـ ، وعلى رواية بن خلكان سنة ٢٦١ ، وقيل سنة ٢٦٤ .
كان جده زرادشتياً واستاذه في التصوف كرديا .

ويقال انه من غلاة القائلين بوحدة الوجود ، الداعين الى رفع التكاليف الدينية ، مبشراً بمذهب الحسين بن منصور الحلاج . ويقال انه هو الذي ادخل في التصوف الاسلامي فكرة وحدة الوجود التي كانت ذائعة ذيوعا عظيما في انحاء فارس زمن الساسانيين .



اسطوانة الحظ - ستون مرازا

ستون مرازا : ومعناه اسطونة الحظ وهي صخرة على شكل اسطواني في مرقد الشيخ عدي يعتقدون ان الشيخ عديا وضعها خصيصاً لتعيين حظوظ مريديه ، فمن حضنها فهو ذو حظ وافر وبالعكس ولذلك فقد أحاطوها بعنايتهم وقدموا لها أعطياتهم .

زينل بك جاف بوخال : له مقام في مرقد الشيخ عدي . ومعناه صاحب العين ذات الخال

الشيخ محمد الرحماني :	«	«	«	
بيركه خوشابه :	«	«	«	
بوي قلندر :	«	«	«	ومعناه رائحة الدرويش
مار كوركيس :	«	«	«	
الشيخ بابك :	«	«	«	

شيخكي دوملي : « « « ومعناه ذو الكتفين او الجناحين

كوجك لالش : اي لالش الصغير ، يحكي اليزيدية ان الشيخ زندين بن الشيخ حسن اغتاض مرة من (الشيخ عدي) فهجر لالش وجاء الى قرية (مام شفان) واتخذها دار مقام له وسماها (لالش الصغير) كناية عن لالش التى فيها زاوية الشيخ عدي وأقام فيها النصب والتماثيل تشبيها بها ، وقد يعملون فيها كل سنة طوافة للشيخ عدى تكريماً له .

﴿ المزارات والمراقد الموجودة في جبل سنجار ﴾

الشيخ شرف الدين : فى جبل سنجار ما بين قرية (البيتونية) و (علي دينا) فى مكان على غاية من الروعة والجمال تحفه الاشجار الوارقة وتجرى فيه المياه الزاخرة وقد يصنعون له (جماعية) يوم ٢٠ و ٢١ من شهر تموز الشرقي كل سنة تجتمع فيها الالوف من يزيدية سنجار من الجوانا والخوركان ويحضرها كثير من المسلمين ، وله مقام في مرقد الشيخ عدى فى لالش يعتقدون ان ترابه ينفع الحصبة والجدرى .

الشيخ آمادين : ويراد به الشيخ عماد الدين فى قرية مهركان وله مقام فى مرقد الشيخ عدي في لالش .

الشيخ شمس : فى قرية (بشتكيري) يصنع اهل قرية (الجفرية) طوافة له كل سنة

شيبو القاسم : يقصدون به الشيخ أبا القاسم ، يقال أنه من السادة العلويين .

جلميران : ومعناه الرجال الاربعون (١) يقع بين قرية (سم استر) و (كولكان) و (بردحلي) على رأس الجبل ويجرون له طوافة أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي من كل سنة .

الشيخ بركات : في قرية (نخسي عوج) في سنجار .

الشيخ شمس : فى قرية (جفرية) .

الشيخ حسن : في قرية (كاباره) قريباً من قرية قصركي .

---

١) وفى قرية « ادن » من قرى بروارى العليا في قضاء العمادية يوجد قبور لاربعين شهيداً ويسمونهم « جل شهيد » واعتقادهم بهم عين اعتقاد اليزيدية بجلميران .

الشيخ دقيق : له مقام بين قرية (حمسكى) و (باره) في سنجار يقال انه ابن الشيخ حسن وقد خلق من التراب الذي بلله بدموعه عندما بكى على ولده (زندين) بعد رجوعه من مصر ووفاته .

الشيخ عبد القادر : في قرية (المجنونية) التي بنيت على أنقاض قرية (حيال القديمة) ينسبون اليه تسع قباب بعضها قريب من بعض وقد تهدمت إلا واحدة منها، والقائمون بتوليته أولاد (الشيخ رشو) ويرتقي نسبهم اليه .

محمد رشان : في شمالي قرية (تبه) في سنجار وفيه مقبرة يدفن عشيرتا الهبابات والدلكان فيها أمواتهم .

الشيخ الرومي السنجاري : في شمالي جبل سنجار قريبا من قرية (آديكه) له مقبرة واسعة عليها غابة كثيفة من الأشجار لم تمتد اليها يد انسان منذ مئات السنين (١) ويعتقد أنه من رجال الاسلام الصالحين .

علي بن هاب : هو مزار إسلامي ، إلا أن اليزيدية يشتركون فيه . ونقصد باليزيدية (الهبابات) منهم وسكان قبلي الجبل ، وهو محرف من وهب. يعتقدون أنه (علي بن أبي طالب) ويسمونه (سواردندل) أي راكب الدندل ، و (سوار بري) أي فارس الصحراء ، مدفون في قرية (الأوهبي) في الصحراء قريبا من قرية (القابوسية) و (المستعجل) الاسلاميتين وعلى بعد ثلاث ساعات من جنوب سنجار عليه قبة لا تزال باقية . ويتناقلون عنه حكاية مؤداها : أنه بينما كان يوما يسقى بستانه كانت يد خفية توجه الماء الى جهة غير التي يقصدها ، فلما أعياه الأمر رفع مسحاته بقدر ما تحمله من الطين وألقاه في الفضاء فتناثر هذا الطين على جلساء الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد ، فضحك الشيخ عبد القادر وقال : اردنا ان نداعب عليا بن وهب ، فداعبنا .

وقد ترجمه الشيخ محمد التاوفي في كتابه (قلائد الجواهر) وقال عنه : صاحب

---

١) وهذا هو عين ما نجده في مقابر المسلمين الاكراد في الجبال بصورة عامة ، فقد يجتنبون قطع شجرة من اشجارها وقد يمر عليها عصور وتيبس وتسقط على الارض ولم يقربها احد. ومما يدل على فرط احترامهم المقابر ان العشائر الرحالة (الكواجر) عندما يذهبون في موسم الصيف الى جبال الزوزان يؤمنون امتعتهم الثقيلة فيها فيعودون بعد بضعة اشهر ويجدونها دون ان امتدت يد اليها .

كرامات خارقة ومكانة جليلة ومكانات رفيعة له الطود الأعلى في المعارف والمحل الأعلى من الحقائق وهو أحد من أبرزه الله تعالى الى الخلق وأوقع هيبته في القلوب .. ثم قال: سكن قرية البدرية من عمل سنجار وبهامات وقد نيف على ثمانين سنة ، وهو بدوى من ربيعة شيباني .

الشيخ أسود : وهو كذلك ممن يشارك اليزيدية الاسلام فى الاعتقاد بهوقبرهوسط خرائب مدينة سنجار القديمة على جانب الطريق ، عليه قبة لا تزال تحافظ على جدتها وهو الشيخ سويد السنجارى الرجل الصالح المشهور واسمه الحقيقي نصر الله قال عنه صاحب القلائد : تخرج على ابن وهب الربيعي ونال مكانة رفيعة ومنزلة سامية .. اهـ .

الست زينب : يقع مزارها على ربوة عالية في شرقى سنجار تنتسب اليها الطائفة المعروفة بالبالوات ، فيقال (بابوات الست زينب) تفريقاً لهم عن (بابوات بير زكر) ويشترك يزيدية (الجوانا) فى الطوافة التي يقيمونها تكريماً لها . والمحل الذى يقع فيه مزارها على جانب عظيم من الروعة والمتواتر انه كان قبل ديراً للنصارى . واكد لي غير واحد أن علامة صليب معكوف لا تزال ظاهرة على احد جدرانه ، الا اني لم أره .

سلماك باك : هو صحابي ويعده الدروز الباطنيون من أساطينهم (١) ويعتقدون ان الهوية الآلهية قد حلت فيه . وفي عرف اليزيدية انه كان يسكن مغارة فى (مضيق قجراغ) قريبا من البلد ويزورون هذه المغارة ويتباركون بها . ونرى ان هذه العقيدة دخلت اليزيدية من طوائف الشيعة الذين في الجبل وتنحصر بيزيدية (الجوانا) دون (الخوركان) .

والجوانا يعظمون كل أثر اسلامي فى الجبل حتى المنارة القديمة فى البلد . وقد ورثوا هذا الشعور من آبائهم الاقدمين دون ان يعرفوا له سبباً ، اذ كان اهل سنجار قديماً يعظمون هذا الجامع ويعتقدون باستجابة الدعاء فيه (٢).

---

١) هو احد الخمسة الذين يعتقد الدروز الالوهية فيهم والاربعة الباقين هم : المقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وهانىء بن مسعود ، وبهاء الدين الذى نشر هذا المذهب .

٢) يقول ابن بطوطة (٧٠٣-٧٨٠هـ) وكان قد زار سنجار: « ومسجدها الجامع مشهور البركة ويدور نهر جار بهويشقه » وقد بني هذا الجامع على عهد الحكومة الاتابكية في سنجار من سنة ٥٢١ الى سنة ٦١٥ للهجرة .

كاني بير آخايي: ينبوع ماء كبير في قرية « كولكان » قريباً من قرية « سم استر ». يذهبون الى أن (الشيخ عدياً) عندما جاء من ماردين قاصداً (لالش) حط رحاله فيه لذا أصبح بنظرهم مقدساً وأصبح كل ما هناك من شجر وحجر مقدساً . وعلى قرب من الينبوع صخرة منحوتة نحتاً طبيعياً على شكل كرسي يعتقدون أن الشيخ عدياً كان يجلس عليها وبجانبها صخرة أخرى منحوتة على شكل معلف يزعمون أنه كان يربط فرسه (بوراً) عليها ، وفي شمالي الينبوع كهف مجوف يحفظ الفقراء خرقهم الخلقة فيه وهو أشبه (بخانة خرقى) عند يزيدية الشيخان .

وليس في الجبل منتزه مثل هذا المحل ، فئات النساء والفتيات من « كولكان » و « سم استر » و « كرسي » يجتمعن فيه ويتفيأن أشجار الحور والبلوط الباسقة ويغتسلن في (كاني بير آخايي) ويحملن منها الماء في قرب على ظهورهن الى بيوتهن ، والرعاة يوردون قطعان الغنم من ماء هذا النبع البارد ، وهنا وهناك شبان اليزيدية يعزفون على الطنبور ويرقصون رقصهم الشعبي على أصواته الشجية ، والنساء العواقر يصنعن أرجوحات صغيرة من الأعواد رمزاً الى استشفاعهن بالشيخ عدي لنيل بغيتهن ، ثم يعدن مساء الى بيوتهن وأفكارهن ملأى بالأحلام والآمال .

***

هذا ما تمكنا من معرفته عن مزاراتهم ومشاهدهم ، وقد وقفنا على كثير منها عدا البعيد الذي لم يتيسر لنا الوصول اليه . ولهم مزارات كثيرة أخرى غيرها اكتفينا بما ذكرناه وهو المشهور عندهم ... أما اليزيدية الذين هم خارج جبل سنجار والشيخان كيزيدية الطور وماردين ودياربكر وحلب ووان وبلاد القوقاس ، فلهم عين هذه المزارات ولا يصح ليزيدي أن لا يتخذ له مزاراً يتوجه صباح مساء اليه ويطوف حوله ويسجد له ويطلب الرضا والشفاعة والخير والبركة منه .

ويختلف يزيدية سنجار عن يزيدية الشيخان باعتقادهم برجال الاسلام ، ولا سيما بالسادة العلويين وسبب اندماج كثير من المسلمين فيهم عند أول وفودهم الى جبل سنجار فسرى هذا الشعور اليهم على خلاف يزيدية الشيخان الذين ظلوا بعيدين عن أهل

الاسلام ولم يختلطوا . وقد يظهر يزيدية سنجار المحبة والولاء للأئمة العلويين ويحترمونهم بصفتهم قرشيين وقد تجمعهم أواصر النسب بالأمويين الذين ظهر (يزيد) منهم .

والكل على حد سواء فى بغضهم الرسول النبي الكريم، وذلك لاعتقادهم به أنه كثيراً ما حارب ديانتهم ووقف فى سبيل تقدمها . والبعض يقولون : أن علماء الاسلام الذين قاوموهم بشدة وأباحوا دماءهم أخذوا تعاليمهم منه وهو لم يكن صديقاً لهم ، ولذلك لم يروا له حقا فى محبتهم .

الأعياد والمواسم

لليزيدية أعياد كثيرة معظمها أخذوه من الاسلام بعد تغييرات قليلة أوجدوها فيها. ولا غرابة فى ذلك بعد ان علمنا صلتهم بهذا الدين وعملهم به زمنا ليس بقصير . واذا أعرضنا عن جميع الاعتبارات التى تؤيد لنا أخذهم أعيادهم من المسلمين ، يكفينا ما نجده فيهم من العناية العظيمة بيوم الجمعة ، فهم يعدونه من الأيام المقدسة ويحرمون الاشتغال فيه مطلقا ، وقد وافقوا الاسلام باتخاذهم عيد رمضان ، وعيد الأضحى ، والاحتفال بليلة القدر ، واقتبسوا عيد (البيلنده) من المجوس ، وعيد خضر الياس من النصارى أسوة بالمسلمين ، وهذه أعيادهم :

عيد رمضان : يجرونه بعد صيام ثلاثة أيام من أول شهر كانون الأول الشرقي ، وهو من أهم أعيادهم يحتفلون به احتفالا عظيما ويبذلون فيه خيرات كثيرة، ويتزاورون ويتحابون ، ويتمنون الغفران لأمواتهم ويزورون قبورهم .

عيد البيلنده : ويسميه البعض منهم (البيرنده) وهو بعرفهم عيد ولادة الملك (يزيد) وهو مجوسي بجميع مظاهره ، يخبزون فيه الخبز على شكل آلات الحراثة فى التنانير ويوزعونه على الفقراء ويطعمونه ثيرانهم المختصة بالفلاحة ، ويوقدون النيران فى منازلهم ونواديهم وفي اصطبلاتهم ويدورون حولها .

والنصارى اليعاقبة يجرون على مثل هذه القاعدة فى عيد ولادة السيد المسيح ، فيخبزون كذلك الخبز فى التنانير ويوقدون ناراً ذات لهب ويقرأ رجال الدين عليها تراتيل وأدعية دينية ويقفزون من عليها ، ويجوز أنهم واليزيدية أخذوا هذه العادة من منبع واحد .

عيد الأموات : يقع فى اليوم العاشر من شهر كانون الأول الشرقي ، يعملون فيه نوعا من الكعك ويوزعونه على الفقراء، ويعملون كعكة كبيرة ويضعون فيها (زبيبة) ويحملونها على ظهر أحد أولادهم ، وبعد سبعة أيام يأتون برجل غريب ويفوضون اليه كسرها

وتوزيعها على أهل البيت ، فمن ظهرت (الزبيبة) في حصته يكون صاحب الأقبال والسعود .

عيد خضر الياس : يقع فى أول يوم خميس من شهر شباط الشرقى ، يصومون فيه ثلاثة أيام ، والبعض يوما واحداً .

عيد الأربعين : يقع فى منتهى أربعين الشتاء .

عيد رأس السنة : هو أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي ويسمونه (عيد سرسالي) يجمعون فيه الفتيان والفتيات الزهور الحمر من الحقول ويعملون باقات صغيرة ويعلقونها على أبواب منازلهم قصد التوفيق بينهم وبين إله الشر .

عيد الأضحى : ويسمونه عيد الحج وهو عيد الأضحى عند الاسلام . يتوافد اليزيدية فى اليوم السابع والثامن من شهر ذي الحجة الى مرقد الشيخ عدي، وفى اليوم التاسع مساء يصعدون جبل عرفات ويسمونه جبل الحج وهو فى شرقي المرقد وفي مقدمتهم (رئيس الأئمة) ورجال الدين ويأخذون جميعا بالابتهال والتضرع لأن يقبل « الشيخ عدي » حجهم ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم . ثم ينحدرون من الجبل والشمس قد آذنت بالغروب ، فيزورون « الحجر الأسود » على طريقهم ويقبلونه ، ومن هناك يدخلون الحرم الشريف فيغسلون وجوههم وأيديهم بماء زمزم المبارك « ينبع من زاوية مظلمة قريبا من قبر الشيخ بركات ويصب فى حوض كبير وسط المعبد » ، وهكذا بعد إكمالهم هذه المناسك يأخذون باللهو والقصف طيلة تلك الليلة، وفى الصباح يجرون مراسم العيد بمصافحة بعضهم بعضا ، وتقبيلهم أيدي رجال الدين وإهدائهم شيئا من النقود ثم يأخذون بأهبة الرجوع الى محالهم .

عيد الجماعية : هو من أكبر أعيادهم ، يقع فى أول موسم الخريف (من ١٥ الى ٢٠ ايلول الشرقي) يجتمع فيه مئات اليزيدية من الشيخان ودهوك وزاخو وسنجاروغيرها من الأماكن البعيدة فى مرقد الشيخ عدي ويبقون فيه خمسة أيام فى لهو وقصف متواصل لا يعرفون فيه هوادة. وقد يواصلون نهارهم بليلهم فى اللهو وقلما ينال أحدهم نصيبا من الراحة . فبينما ترى مثلا أهل قرية قد أووا الى فراشهم ليلا وهم يغطون فى

النوم ، اذ يقومون من نومهم كالمجانين وترتفع أصواتهم بالغناء ويرقصون ويرقصون الى ان تنهك قواهم ثم يعودون الى فراشهم .

وقد جرت العادة ان يقيم أهل كل قرية او جماعة في المحل المعين لهم ولا يجوز لأحد الاقامة في محل يختص بغيره .

ومن المسنون ان يطلق الزوار عياراتهم النارية عندما يقربون من المرقد إيذاناً بوصولهم فيهرع الذين سبقوهم في الوصول الى استقبالهم .

ويأتون بـ (برشباكي) وهو التخت الذي يزعمون ان الشيخ عديا كان يجلس عليه فيستقبلونه في مظاهر شائقة ويوصلونه الى المحل المعد لنصبه .

ويجلس (الشيخ الاكبر - بابا شيخ) وسط الصحن المجاور للمرقد ويأتي الزوار ويلثمون يده ويقدمون له أعطياتهم .



الشيخ الأكبر - بابا شيخ جالس في الصحن المجاور لمرقد الشيخ عدي

وتكون الزيارة بواسطة (مزورين) لقاء أجور يتقاضونها من الزوار .

ويعطي من قد نذر نذراً قطعة من الشاش الى مزوره فيباركها له في ماء زمزم ويشدها على رأسه .

ويشترط على الزوار ان يخلعوا أحذيتهم عند اقترابهم من الوادي المقدس ، ولا يجوز لهم التقرب من نسائهم (١) ولا معاقرة الخمرة مدة إقامتهم في المرقد ، وذلك حرمة للشيخ عدي ، الا ان التقليد الجاري أباح لهم تهريب النساء والفتيات في هذا المحل باعتبار ان تلاقي الجنسين وتعارفهم لا يتيسر الا فيه ، أضف الى ذلك ان حرية الأشخاص هنا مضمونة من التعرض .

ولا يسوغ لأحد من الزوار ان يصنع له طعاما مدة بقائه في المرقد لأنه ضيف على الشيخ عدي (٢) .

وفي اليوم الرابع من هذا العيد يبتاعون شاة ويطبخونها وبعد ان ينضج لحمها يخرج أهل قرية عين سفني قطع اللحم من القدر بأيديهم ويضعونها أمام الأمير فيأكل منها ما طاب له والبقية يأكله الزوار .

وفي اليوم الخامس يجرون أفراح « القبغ » (٣) وذلك ان يصعد جماعة من اليزيدية « القائدية » (٤) الى رأس الجبل بكل سرعة ورشاقة ثم ينحدرون مثلها وهم يطلقون بنادقهم ، وهناك يأتي مسادن المرقد بثور فيقبضون عليه بقوة كيلا يفلت من أيديهم ويصعدون به الى الجبل تارة أخرى وهم يشبعونه ضربا بالعصي ثم ينحدرون به ويهدونه الى الأمير ، فيخلع عليهم معطفاً او زبونا او عباءة ، والزوار يهاجمونهم من كل جانب قاصدين اغتصاب ما خلعه الأمير عليهم وهم يدافعون عن أنفسهم بالعصي الى ان يصلوا الى باب المرقد فيكف الزوار عنهم .

وقد يستلم السادن الثور فيذبحه ويعمله عشاء للزوار (٥) .

---

١) اقتداء بالمسلمين الذين يعملون بالآية الكريمة : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

٢) اخذ الزوار في السنين الاخيرة يأتون بطعامهم معهم من بيوتهم لاهمال هذه القاعدة .

٣) اظنها كلمة تركية الا اني رأيتها في بعض الكتب الفارسية وقد تدل على نوع من اللعب .

٤) يقال انهم اتباع (قائد) خادم للشيخ عدي او لذريته .

٥) ذكرت الباحثة (مس روزيتا) في بحث عقدته عن النحلة اليزيدية من انهم « يقدمون البقر قربانا للشمس » وقد وهمت فيه . وعقيدة اليزيدية بالشمس تقتصر على انها عنصر مقدس ويسجدون لها عند كل شروق وغروب . وليس من عادتهم ان يقربوا لها قربانا . والقرابين عندهم عادة تقرب الى الانصاب والتماثيل التي يرمزون بها الى آلهتهم . وذبحهم الثور يكون بالسنة مرة واحدة في هذه الحفلة . ولو انها لاحظت جيداً عملية مطاردة الثور في هذه الحفلة – وقد حضرتها بنفسها – وذبحه ، وكذلك ذبح اهل

ومن التقاليد المتبعة انه اذا أصيب أحد بجروح من أيدي القائدية او مات يذهب دمه هدراً ولا يطالب به .

ويصعد (الكواجك) كل يوم الى الجبل ومعهم الحبال الملونة ويأتون بقطع الخشب على ظهورهم ليكون وقوداً لمطبخ الشيخ عدي .

ويكثر الخدام من إشعال المصابيح مساء كل يوم في أرجاء الوادى المقدس وعلى القباب والطرقات والمباني المتهدمة .

وفي اليوم السادس يأخذ الزوار بالعودة الى أوطانهم ويأخذ (الطازية) وهم أهل قرية بعشيقة وبحزاني بتنظيف المرقد من الاوساخ والازبال التي تركها الزوار .

وهذه كلها تقاليد دينية لا يجوز إهمال شيء منها .

تتمة : ولهم مراسيم تعبدية يجرونها في ليالي هذا العيد بغاية التكتم ، يسمونها (سما) او (سمايي) ـ إشارة الى استمدادهم الفيوضات والتجليات من السماء ـ وذلك أنهم يجتمعون في الصحن المقابل لمرقد الشيخ عدي ويضعون شمعدانا ويسمونه (جقلتو) ، عليه وعاء مملوء مشيرجاً وقد صف على جوانبه ذبالات كثيرة وفي وسطه ذبالة مصنوعة على شكل وردة كبيرة فيشعلون هذه الذبالات ويقفون حولها على شكل دائرة يكون في أولها (المطبخجي) وهو القائم بأعمال المرقد ، منفرداً لابساً ملابسه الرسمية (وهي تاج الشيخ عدي (١) وخرقة الشيخ أبي بكر) ويعقبه (بيش امام) وقد مر ذكره و (مير حاجي ـ أمير الحاج (٢) يقف الأول الى اليمين والثاني الى الشمال ، ووراءهما « الشيخ الاكبر ـ بابا شيخ » و « إمامه » الذي يشترط ان يكون من أسرة الشيخ شرف الدين ثم يعقبها الكواجك اثنان اثنان ، ثم « بابا كوجك » كبير الكواجك منفرداً حيث يكونون عشرين ويدورون حول الشمعدان ببطء وفي خضوع وخشوع ثلاث مرات

عين سفني الشاة وطبخها واخراج لحمها بايديهم من القدر وتقديمه الى الامير ، لعلمت ان عملهم هذا ليس له صلة بعبادة الشمس ، بل تقليد ورثوه منذ زمن الشيخ عدي وظلوا دائبين عليه .

١) هو بحجم التيجان التي كانت تلبسها سلاطين العثمان وعلى شكلها كما نراه في رسومهم ، له اضلاع منحنية تنتهي بالقمة منه وقد صنع صنعا دقيقا .

٢) يعينه الامير للقيام بالاعمال الادارية والانضباطية في المرقد ايام الزيارات ويشترط ان يكون من اسرة الامراء .

على ان تستغرق مدة الدوران أربع ساعات والقوالون يدقون بالدفوف دقا هادئاً ويعزفون على الشبابات عزفاً شجياً ويرتلون الأناشيد وهم جالسون أمام « دير مير » اي باب مرقد الشيخ عدي . ويستحيل بصورة باتة ان يسمحوا لاحد من الاجنبيين ان يطلع عليهم(١) ويستحب ان تستمر هذه العبادة الى بعد منتصف الليل وهو الوقت الذي تتجلى فيه الفيوضات ويكون الدعاء مستجابا .

وفي صباح كل يوم من أيام الزيارات يؤتى من مطبخ الشيخ عدي بغداء لبيش أمام واميرالحج وهاجالسان قرب « درمير » الاول من جهة اليمين والثاني من جهة الشمال والغذاء حساء موضوع في قصعتين خشب ، وفي كل قصعة ملعقة خشب ، والقصعة المختصة « ببيش أمام » مصحوبة برغيف واحد من الخبز ، فيأخذ منه كسرة ويناوله الى أمير الحج فيأكل منه لقمة او لقمتين ثم يأتي الكواكجك ويرفعون القصعتين فتتهافت الكواجك والقوالون عليها والسعيد من اصاب يده شيء من هذا الحساء ولحسها.

عيد الحيا : يصادف الليلة الخامسة عشرة من شهر شعبان وهي ليلة القدر يجتمع فيها اليزيدية في مرقد الشيخ عدي وفي مقدمتهم الامير وطائفة من رجال الدين ويصلون الصلاة المفروضة عليهم ، وذلك ان يؤمهم جميعاً « رئيس الأئمة » عندما يكون مستقبلا القبلة ، ويصلي فيهم ست ركعات متواصلات بدون ركوع وبسجدة واحدة ويقرأ مائة مرة سورة الاخلاص في كل ركعة ، وبعد أن يأخذ المصلون نصيبهم من الراحة ويأكلون ما يقدمه لهم سادن المرقد من طعام وفاكهة يستأنفون صلاتهم فيصلون ست ركعات اخرى على الصورة الآنفة الذكر ويزيد بيش أمام مرة واحدة سورة القدر على الركعة السادسة ، وهكذا يؤدون صلاتهم المفروضة عليهم ، ويعتقدون أنها تقوم مقام صلاة سنة كاملة ، وفي صباح اليوم الثاني يأخذون بأهبة الرجوع الى محلهم (٢).

* * *

١) أعد نفسي اول من وقف على هذا النوع من عبادة اليزيدية لما يحيطونها بالتكتم الشديد حتى ان كثيراً من غير الروحيين لم يطلعوا عليها ويعرفوا شيئاً عنها .

٢) ويحظرون على المسلم كذلك الاطلاع على صلاة ليلة القدر . وفي سنة ١٩٠٧ ذهبت مع الامير-

يتضح لنا من هذا أن واضع هذا المذهب لما أراد التخفيف على أتباعه فى أمر العبادات أوجب عليهم قيام ليلة القدر باعتبار انها تجزى عن عبادة سنة كاملة لما هو مأثور عما لهذه الليلة من شرف عظيم وقدر زائد ، وأن العمل فيها يكون ذا قدر عند الله ، وفيها تمحى ذنوب سنة كاملة . وفى الحديث الشريف : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه » كما جعل الصيام لهم ثلاثة أيام عملا بالآية الشريفة : « ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » واليزيدية يحترمون هذه الليلة ويعدونها من الليالي المباركة واذا ما حللت لهم قرية فى هذه الليلة تجدهم جميعا كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، قد اجتمعوا هنا وهناك يتسامرون ويتحادثون ، واذا كان بينهم أحد من القوالين ينشد لهم الأناشيد الدينية ، ويملي عليهم أحاديث الخلقة والتكوين ، وما لشيوخهم من معجزات وكرامات وخوارق آيات ، ويستمرون هكذا الى ان يشرق وجه الشمس ، فيقدم لهم صاحب البيت الذي اجتمعوا عنده الطعام فيأكلون ويتفرقون .

على أن معظم هؤلاء الذين يقيمون ليلة القدر فى بيوتهم لا يريدون ان يشتركوا فى الصلاة التى تقام في مرقد الشيخ عدي لأنها تشبه صلاة المسلمين ، وشيوخهم لا يرضون منهم بذلك ويرمونهم بضعف العقيدة والخروج على التقاليد الدينية .

هذا فى الشيخان، أما فى سنجار فقد يحيون ليلة القدر ولكن بدون صلاة، اذ تشترط الصلاة ان تكون في مرقد الشيخ عدي ، ويؤم المصلين فيها « بيش إمام مركة » (١) الذي يعبرون به عن رئيس الأئمة من أسرة الشيخ حسن. والذي يقوم باحياء ليلة القدر فى سنجار هو كذلك أحد شيوخ أسرة الشيخ حسن ويعرف ببيش إمام ايضا ، وليس له من المنزلة ما لبيش إمام مركة ، ويسكن قرية « جدالة » وهو الشيخ بريم بن الشيخ

علي بك الى المرقد . ولم أر من المحتفلين باحياء ليلة القدر اكثر من نحو سبعين شخصاً ، وكلهم من الشيوخ والبيرة والكواجك وثلاثة او اربعة من المريدين ووجدت ان ليس من عادتهم الوقوف مصطفين في الصلاة وقد يكلم الواحد الاخر ، ومن أعياه الوقوف ينسحب الى زاويه ويدخن غليونه ، ومنهم من يذهب لقضاء حاجته ثم يعود لا كمال صلاته .

١) (مركة) كلمة كرديه ولعلها فارسية وهي محرفة من مرج او مرجة العربية . وتفيد معنى المحل الذى يكون دوما اخضراً ممشوشباً . وقد أطلقوا هذا الاسم على مرقد الشيخ عدي ، فاذا ما قيل « شيخ مركة » فيراد به « الشيخ عدي » و « بيش امام مركة » امام مرقد الشيخ عدي .

جندي من ذرية « ابراهيم الختمي » الذي يعده اليزيدية من الرجال الصالحين . والعادة ان يجتمع في داره جماعة من الفقراء والمتدينون من المريدين فينصبون الطاؤوس ويرتلون الاناشيد ويضربون على الشبابات ، وعند الصباح يغسلون وجوههم وأيديهم ويقدم لهم بيش إمام غداء كما هي العادة فيأكلون ويتسللون الى بيوتهم بعد ان ينفحه كل واحد خبراته ويشترط عليهم الصيام ذلك اليوم .

ولما كان الحج من أهم فرائض الاسلام ، وقد بني على أساس التعارف والتقارب بين المسلمين ، وحيث لا يتفق ومرامى الشارع للدين اليزيدي بجعل أتباعه في معزل عن العالم ، اتخذ لهم (لالش) بدلا من (الكعبة) يحجون اليه ، وأوجد لهم فيه عرفات ، وحجر الأسود ، وزمزماً فيقيمون مناسكهم طبقا لما هو جار عند الاسلام ، أو ليس الحج عند الاسلام يكون الى بيت الله الحرام ؟ فهذا « لالش » هو بيت من يعتقدون به الألوهية .

والذي يلفت النظر أن اليزيديين بالوقت الذي جعلوا أعيادهم وفقا لحساب السنة الشمسية، ومثلا جعلهم الصيام الأيام الثلاثة الأولى من شهر كانون الأول في كل سنة، وعيد الجماعية أول يوم أربعاء من شهر ايلول الشرقي كذلك من كل سنة شمسية ، فقد جعلوا الحج يوم التاسع من شهر ذي الحجة موافقة للمسلمين .

﴿ الطوافات في الشيخان ﴾

ومفردها (الطوافة) وهي إظهار الشعور نحو النصب الذي يرمزون به الى أحد مشائخهم وأوليائهم ، ويفيد بالظاهر معنى الحج أو الطواف أو الاجتماع . وما من أهل قرية اتخذوا لهم نصباً ، إلا وعملوا له (طوافة) يجرون فيها المراسم على الوجه الذي سنذكره ، وأشهر الطوافات سبع وهذه اسماؤها على الترتيب :

طوافة بعشيقة وبحزاني وعين سفنى وجروانه ودوغات وباعذرة وخطارة .

★



مرقد الشيخ محمد الرذاني في بعشيقة ويعرفه اليزيدية بقبر الشيخ محمد ابن الحنفية

أما طوافة (بعشيقة) فيجرونها تكريماً « للشيخ محمد بن الحنفيـة » وتكون في أول جمعة تلي رأس السنة ، وهي الجمعة التي تعقب أول أربعاء من نيسان الشرقي . وفي هذه الليلة يعزف القوالون على الشبابات والدفوف ويطوف اليزيدية كباراً وصغاراً رجـالا ونساء حول مرقد الشيخ المحتفل به الى أن يشرق وجه الشمس وتصبح بعشيقة مائجة بالنساء والفتيان مرتديات ملابسهن البيضاء الناصعة ومتشحات بقلائد الشيح وسلاسل الفضة ، وهناك الأمير وحاشيته ، وأعيان الملة ووجهاؤها يترنحون جيئة وذهابا بينهن وعلائم البشر والسرور طافحة على وجوه الجميع . ثم تجري مزايدة (الكوفنـدي) اي (البركة) ويقبلون فيها اشتراك غير اليزيديين ، إلا انه ليس من الجائز تفويضهـا الى غير اليزيدي من « البعشيقيين » ومن يحـوز السبق في هذه المزايدة يجوز له ومن حقه أن يقبض على يد أية فتاة ويرقص معها وليس لها أن تخالفه . ويختص سادن المرقد بالنقود التي تسفر عنها هذه المزايدة .

ومن أهم المراسيم التي تجري في الطوافات ، الرقص الذى يعبرون عنه بالدبكة (جوبى) واليزيدية مغرمون به جداً خاصة الفتيات العذارى ، فقد يكون مسرحا لاظهار عواطفهن نحو من يحبنه ، ولا يقل ولع الشبان فيه عن الفتيات وهن على كل اكثر حشمة من الرقص الفرنجي الذي تتجلى فيه الخلاعة والتبذل . وتجري الدبكة بأن يؤلف الرجال والنساء حلقة في ميدان مستوي فسيح وقد تماسكت الأيدي وأخذ الجنسان بالرقص على ضرب الطبول وصدح المزامير التي يقوم بها القوالون وقدتوسطوا الحلقة فتراهم تارة يوسعونها وتارة يضيقون عليها حسبما تقتضيه حركة الرقص . وقد يحمى الوطيس وتشتد الحركة وتذوب الرزانة . وتتحول الى حالة لاشعورية فلا تتوقف حركة الرقص إلا وقد أخذ العرق يتصبب من أجساد الراقصات والراقصين .



نوع من الدبكة

وفي هذا النهار يبذلون الطعام الوافر للزوار ويظهرون من السخاء ما لا يدخل تحت حصر .

وأهم « طوافة » فى سنجار ، هى طوافة « الشيخ شرف الدين » وقد يشترك فيها الجوانا والخوركان وكثير من المسلمين وتجري فيها عين المراسم التي نجدها فيالشيخان.

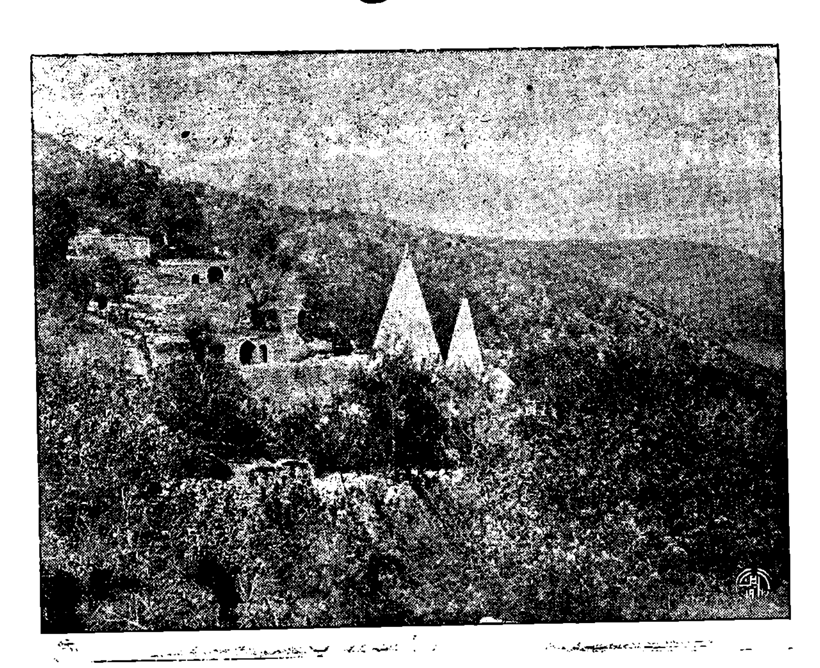
ولم يسبق لا في الشيخان ولا في سنجار ، حدوث ما يعكر صفو الأمن اثناء الطوافات وقد تتآخى الأحزاب المعادية حرمة لصاحب الطوافة .

ولم تكن الطوافة منحصرة باليزيدية فقط بل يجريها الشبك فى قرى الموصل والباباوات في سنجار بصورة طبق الأصل ويشترك اليزيدية فيها كما يشترك المسلمون في طوافاتهم.

ويدعي احد كتاب النصارى ان « الطوافة » هي عادة نصرانية وقد أخذها اليزيدية والاسلام منهم وعلل ذلك بأن النصارى كانوا قديماً يجتمعون فى عيد أحد القديسين فى قرية فيها دير او كنيسة ويقيمون الصلاة الاحتفالية الليل كله ، ويسمون ذلك الاحتفال « شهرا » ومعناه بالآرامية السهر ، وعند مجيئهم وعودتهم يرتلون اثناء الطريق تراتيل دينية ربما خالطها أغاني علمانية . وكان هذا الاحتفال يجري كل شهر وذلك لكثرة القرى الموجودة على ذلك الزمن .

وقد وهم هذا الكاتب : ان الاحتفال بزيارة المراقد هي عادة اسلامية صرفة وكثيراً ما كانت قوافل الزوار تقطع المسافات البعيدة لهذه الغاية مرتلين طول الطريق أغاني ومدايح تتضمن الاشادة بفضل الولي الذي يقصدون زيارته .

معبد الشيخ عدى



معبد الشيخ عدي

في وادي لالش المقدس، وسط الجبال الشاهقة المكسوة بشجر البلوط والحور على خط عرض ٤٦و٣٧ وطول ١٨و٤٣ درجة وارتفاع ٣١٠٠ قدم يتراءى لنا ونحن ذاهبون الى قرية « اشكفت هندوان » على بعد ميل او أقل قبة مخروطة الشكل على رأسها هلال من ذهب قد أخذ بريقه يتألق من انعكاس الشمس عليه . فنعرج بطريقنا لمشاهدة هذا الاثر الخالد سالكين طريقاً معوجاً يرتفع بنا تارة وينبسط أخرى سلكه مئات ألوف من الناس خلال الاعصر الغابرة قاصدين زيارة صاحب القبر المنزوى تحت هذه القبة ، وهو الشيخ عدي بن مسافر الأموي الذي أصبح إلهاً في معتقد اليزيدية ، وفي صعودنا الجبل نقف حائرين امام تلك العظمة التي تجلت على هذا الوادي وجمال الطبيعة الذي شمله حتى يخال انا ونحن مجردون عن الخيال والحس أننا في عالم علوي غير هذا العالم، وهناك يلتوي بنا الطريق وتغيب عن أعيننا مزارع الارز والتبغ اليانعة التي في أسفل الوادي

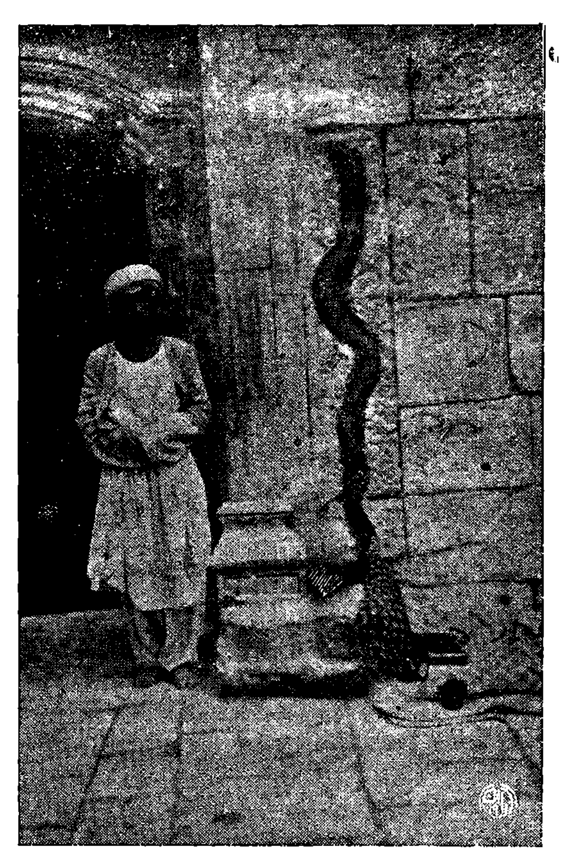
ونعبر قنطرة يسميها اليزيدية بالكردية « بر صراطي » اي جسر الصراط حيث هناك يخلع المؤمنـون منهم أحذيتهم دلالة على دخـولهم منطقة الحرم الشريف ، ونسير بين أشجار حجبت الشمس بأغصانها الكثيفة وعطرت النسيم العليل بأريجها الزكى وقد شمل الكون سكون مهيب لا يعكره سوى تغريد الطيور وهـدير المنادل وخرير المياه التى تصب في الوادي . ولا يطول بنا المسير إلا ونحن أمام باب صغير يؤدي بنا الى دهلـيز متهدم الاركان ومنه الى صحن قد عبثت به أيدى الزمان، وجللته أشجار التوث الباسقة التي شهدت حوادث جساما فى هذا الوادي ترجع الى بضعة قرون . وعلى يسار هـذا الصحن ، وفي محل مرتفع منه حجرة عليها قبة مخروطة الشكل على رأسها هلال من ذهب - وهى غير القبة التي أشرنا اليها - يعزونها الى الشيـخ شمس الدين أبي محمد الحسن بن الشيخ عدي الثاني الذي أيد المؤرخون قتله في الموصل عام ٦٤٤هـ ١٢٤٦م وفي أسفل هذه الحجرة ، وعلى يمينها حجرة صغيرة على بابها رخامة محفور عليها آية الكرسي ، فيها ينبوع ماء يتدفق ماؤه العذب النمير فى حوض كبير ، ثم يسير فى قناة ويصب فى الوادى ، ويطلق على هذا الينبوع « كاني اسپي » اى العين البيضاء وهو مقدس طالما هو داخل الحجرة ، فاذا خرج منها لا تبقى له تلك القدسية وقد يوردون فيه خيولهم وبغالهم أيام الزيارات ويغسلون فيـه ثيابهم ، إلا انهم لا يرضون من المسلم ان يغتسل او يتوضأ فيه .

وفى شمالي هذا الصحن صحن ثان ليس فيه من العمران سوى أروقة متصل بعضهـا ببعض يقيم الزوار فيها أيام الزيارات وبين هذين الصحنـين حجرة واسعة لاقامـة ذوي الوجاهة الذين يؤمون المرقد الشريف أيام الزيارات ، وفوقها حجرة أخرى لامين الغاية .

ومن هنا ندخل دهليزاً منخفضا يبلغ طوله أربع أمتار الى صحن ثالث يمتاز عن الصحنين الأولين بنظافته وجدة بنائه حيث يقع فيه مرقد الشيـخ عـدي ، يتجه بابه نحو الغرب تماما وعلى جانبه الأيمن شكل حية سوداء متدلية من فوق الى أسفل ، وفي جبهة الجدار قطع من الرخام (١) مرصوفة كتب عليها بالحفر كلمات إسلامية منهـا :

١) لا جدال فى ان هذه القطع من الرخام نقلت من محل اخر واستعملت في هذا الجـدار ، والتاريخ الذي عليها هجري ، والذي يستلفت النظر هو وجود هذه الرخامات فى المرقد ، واليزيدية لم يألفوا هـذه

« السلطان يزيد رحمه الله » ومنها : « الشيخ عدي رحمه الله» ومنها : « أن هذا ضريح الحاجي اسماعيل دونت على بابه السعادة فادخلوها بسلام آمنين فى سنة ١١٩٥ » ومنها « هذا ضريح سعد بن خاولر ست زبانت فى سنة ١١٩٦ » ومنها « أيا شمس علي بك ويا فارس كونا نصيبي الحسن وحظ الحسين في هـذه الدنيا والآخرة » ، وكتابات أخرى صعب علينا قراءتها .

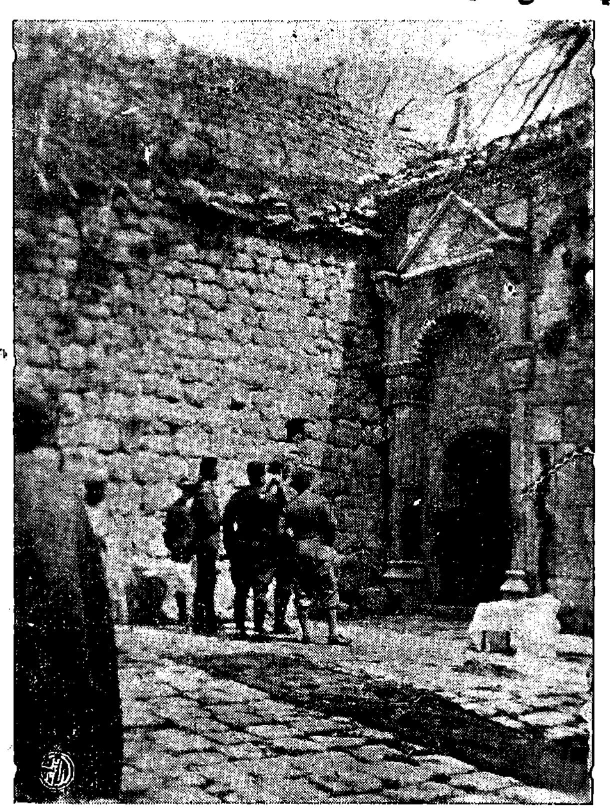


باب مرقد الشيخ عدي

أن[3] هذا المرقد هو البناء القديم الذي كثرت حوله المجادلات فى هل كان ديراً للنصارى النسطوريين وقد أسسه الراهب[1](يوحنا) و (يشوعسبران) في فجر النصرانية ؟ ونحن

[٤] الكتابات في مرقدهم لا سيما اذا علمنا ان الحاج اسماعيل مسلم ، ولم يجوزوا دفن المسلم فى معبدهم . اما الرخامتان اللتان تحملان اسم يزيد والشيخ عدي فيجوز أن تكونا قديمتين .

لا نجادل في كون أنه لم يكن ديرا قبل ان حل فيه الشيخ عدي واتخذه مقاما له كشأن كثير من المعابد التى « رددت فى زواياها ترانيم الوثنيين ، ثم طليت سقوفها ببخور المسيحيين ثم بطنت جدرانها بصلوات المسلمين » إلا أن باب المرقد والدعامتين اللتين على جانبيه والنقوش المحفورة على هاتين الدعامتين وفى أعلاهما ، والأقواس التى على باب المرقد كلها أنشئت اخيرا وهى لا تفرق عن المباني المشادة فى العصر الاتابكى ، ولا تزال آثارها قائمة في أماكن كثيرة .



باب مرقد الشيخ عدى

يبلغ طول هذا البناء ثمانون ذراعا وعرضه خمسين وهو مبني طولا على سبع مناطق وعرضاً على ثلاث مناطق ، وفى صدر كل منطقة محراب متجه نحو القبلة تماما ، وفي الجانب الأيسر منه مخدعان يدخل اليهما من باب واحد حيث نجد في المخدع الأول قبراً ينسبونه الى الشيخ بركات ، وهو أبو البركات بن صخر الذي خلف عمه الشيخ عدي بن

مسافر في هذه الرواية ، واليزيدية لا يعرفون شيئاً عنه ، ونجد قـبراً آخر يعزونه الى الشيخ حسن البصري ، ولم نعلم صاحبه على وجه التحقيق ولعله قبر الشيخ عدي الثاني ابن الشيخ أبي البركات الذي جاء في مخطوطة الراهب راميشوع أنه قتل في (مراغة) كما سيأتي البحث عنه . ويدخل من هذا المخدع الى المخدع الثاني حيث ضريح (الشيخ عدي بن مسافر) قدس الله روحه ، تحيطه الهيبة والجلال وعلى ضريحه صندوق خشب عال لا يفرق عن قبور باقي الأئمة ، مغشى بقماش متين ، والقبة التي شاهدناها عن بعد في مدخـل الوادي تقـع على هـذا الضريح ، وهي مبنية بالآجر وقـد أجريت بعض التصليحات فيها .

ولهذا المخدع نافذة كبيرة محاطة بالرخام محفور عليها آية الكرسي بحروف كبيرة بارزة بالخط الثلثي كما يشاهد أمثالها في كثير من المراقد الاسلامية .

ولنترك هذا البناء ونتوغل في الوادي فماذا نرى ؟ نرى ما لا يقـل عن مائة وخمسين حجرة مبنية بالصخور الضخمة يختلف بعضها عن بعض من حيث البناء والوضع . فمنها ما هو قائم على صخرة منفردة لا يتصل بها أي بناء ، ومنها ما هو متصل ببعضه ، وأكثره عليه قباب متينة ومتقنة الصنع ، قسم منه لا يزال يحافظ على جدته ، وقسم قد آل الى الخراب ، ولا نستطيع ان نذهب بهذه المباني من حيث القدم الى الزمن الذي كانت فيه هذه الزاوية ديراً للنصارى ، بل شيدت على عهد آل « عدي » بعد ان كثروا وكثرت مواليهم وأتباعهم وقصدهم الناس من مختلف الأقطار .

وما يدر بنا ان تكون هـذه المباني شيدت على أنقاض حصون ومعاقل أنشأها الآشوريون لصد الهجمات التي كانت تقع عليهـم من الشرق من قبل الفرس الميديـين الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ؟ والآشوريون لم يكونوا ليغفلوا عما لهذا الوادي من الأهمية العظيمة من الناحية الحربية ويهملوا أمره . وفي عبده أبليس لنوري باشا والي الموصل أنه كان يوجد صخرة فيها كتابات آشورية وقد محاها اليزيدية عمـداً لئلا تجلب أنظار السواح الأجانب ويكثرون التردد اليهم .

ويفهم من هذا أن الراهبين يوحنا ويشوعسبران اللذين أسسا ديرهما في هذا المحل لم

يكونا أول من وضعا أقدامها فيه وعرفاه ، بل كان معروفا قبلها وكان قد أصبح مسرحا لحوادث مهمة .

***

الى هذه المباني التي لم تزل آثارها قائمة يعدها اليزيدية من المشاهد المقدسة ويزورونها ويتمسحون بأحجارها ويقبلون جدرانها باعتقادهم انها كانت مقاما للشيخ عبدالقادر الكيلاني والشيخ حسن البصري والشيخ شمس الدين التبريزي ومنصور الحلاج وقضيب البان ويسمون كل واحد منها باسم أحدهم ويوقدون له السراج مساء كل يوم .

ولا يجوز لأحد بصورة مطلقة ان يقيم ايام الزيارات في أي بناء شاء من هذه المباني بل التقليد الجاري يحتم على أهل كل بيت او أسرة ان تقيم في البناء الذي تعني به الى شيخها الذي تنسب اليه من حيث الطريقة او النسب .

ويوجد على قمة الجبل المؤدي الى (اشكفتيان - باعذرة) بناء مربع يسمونه (مقابل شيخ عدي) يذهبون الى ان الشيخ عديا كان قد اتخذه محل استراحة له عندما كان يتجول في الجبل ويكثرون من زيارته .

وفي مساء كل ليلة يوقد السدنة السرج في الحرم الشريف والمزارات والطرق المؤدية الى المرقد ، وعلى الصخور والمباني ويكثرون من ايقادها ليالي الأعياد والمواسم فيضاهي الوادي السماء بنجومه المتألقة .

وبالاجمال ان كل ما هنالك من شجر وحجر وتراب وماء يعد مقدساً بنظر اليزيدية ويحرمون المشي عليه بنعالهم والتقرب من نسائهم ، وشرب الخمر الذي هو محلل عندهم ، ولا يجوز قطع شجرة من أشجارها باستثناء ما يحتاجونه لمطبخ الشيخ عدي ، ويجتنبون صيد الطيور والوعول التي توجد بكثرة فيه (وهذه نزعة اسلامية مضاهية لتحريم حرم مكة) .

﴿ نظرة في أصل هذه الزاوية ﴾

أجمع الكتاب من شرقيين وغربيين الذين بحثوا عن هذه الزاوية على أنها كانت قبل ديراً للنصارى وقد عاشت النصرانية فيه بضعة قرون ثم دخل بيد آل عدي الامويين

اما ان هذه الزاوية كانت قبل ديراً للنصارى فهي حقيقة لا اعتراض عليها ، الا ان النقطة التي يدور حولها الاختلاف هي كيفية خروج هذا الدير من أيدي أصحابه ومن هو الذي أخرجه واتخذه زاوية دينية اسلامية ومتى وكيف كان ذلك ؟ وبينما نرى ان الروايات والأخبار مجمعة على ان أول من حل في هذا الدير واتخذه زاوية اسلامية هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، وقد حل فيه بعد ان وجده خالياً إذ ظهرت مخطوطة في الكلدانية لراهب يدعى « راميشوع » قلبت هذه الحقيقة رأساً على عقب وارجعت اخراج هذا الدير من أيدي اصحابه الى « الشيخ ابي المفاخر شرف الدين عدي بن ابي البركات » احد رجال البيت العدوي وكان اخراجه له بطريقة الاغتصاب والتغلب وأضافت الى ذلك اخباراً لم يكن ليؤيدها الواقع والتاريخ .

وقبل ان نبحث عن هذه المخطوطة نقتبس المقال الآتي لمواطننا الفاضل القس سليمان الصائغ من مجلة المشرق البيروتية من العدد العاشر لسنتها العشرين لعلاقته بهذا الموضوع :

« ومما يثبت عندنا استناداً على بعض مخطوطات « يشوعياب » (١) مطران إربل المعروف بابن المقدم ان مؤسس هذا الدير راهب من رفقاء ربان هرمزد الفارسي في القرن السابع للمسيح . وكان ربان هرمزد ترهب في دير (برعدتا) شرقي كرمليس على مسافة ساعة ونصف عنها وبعض أبنيته باقية الى يومنا هذا . ثم خرج وبرفقته ستة آخرون وهم : ابراهيم ، ويوصاداق ، وشمعون ، وأدونا ، ويشوعسبران ، ويوحنا ، فشخصوا الى بيت عذرة فوجدوا هذا الموقع العجيب البعيد عن العمران ، وبقربه عين ماء جارية فمكثوا هناك بضعة ايام ثم افترقوا فسار ربان هرمزد الى القوش حيث أقام ديره المعروف باسمه الى اليوم ، وذهب يوصاداق وشمعون وأدونا الى شمالي بيت عذرة فشادوا ديراً في

١) شاعر آرامي كان يعيش في منتصف القرن التاسع الهجري وهو معاصر للراهب راميشوع الذي يعزى اليه وضع المخطوطة .

جبال قردو شمالي زاخو ترى الى يومنا هذا آثار كنيسته مع قلاليته المنقورة بالصخر وتخلف عنهم يشوعسبران ويوحنا فثبتا في مكانها وشيدا ديراً فخم البناء وانضوى اليها عدد عديد من الرهبان وكان المرضى من القرى المجاورة يقصدون هـذا الدير فينالون الشفاء من عاهاتهم ، ويستند الناظم فى ذكره هذه المعجزات الى كتاب أخذته يدالضياع يدعوه بكتاب الأخبار . واستمر هذا الدير عامراً آهلا بالرهبان حتى ظهر الشيخ عدي في أواسط القرن الثاني عشر فطرد رهبانه واغتصبه منهم » وذكرها خمسة أبيات بالكلدانية وقال هذا نص عبارتها وأورد ترجمتها فقال : « ولبث الدير بيدنا حتى كان اليوم الذي أقبل فيه الشيخ عدي وقد تبعه خلق كثير من الأشياع والموالين وخضعوا له ، فابتز أموالنا واغتصب ديرنا وما زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عدي فى كل مكان الى يومنا هذا » . ولكن الراهب (مرتان) ذهب بقدم هـذا الدير الى ما وراء ذلك حيث قال :

« ان معبد الشيخ عدي كان قديماً آهلا على اسم (مار آدى) رسول الكلدان وأحد الاثنين والسبعين تلميذاً » انتهى .

فهذه الاخبارالتي أوردها الخوري الفاضل عن تأسيس هذا الدير يجوز ان تكون صحيحة الا ان النقطة المهمة التي نقف عندها هي قوله: « ان الدير استمر عامراً آهـلا بالرهبان حتى ظهر الشيخ عدي في أواسط القرن الثاني عشر (١١٥٠م-٥٤٥هـ) فطرد رهبانه واغتصبه منهم» بينما نرى الراهب راميشوع يدعي فى مخطوطته كما سنراه قريباً ان الدير كان مملوءاً بالرهبان عام (١١٩٨م-٥٩٥هـ) وقـد خرج من أيدى أصحابه عام (١٢١٩م-٦١٦هـ) والذى أخرجه (الشيخ عادي بن مسفر بن احمد الكردى التبريزي) الذى تربى فى أحضان الدير بعد ان قتل رهبانه ونهب أمواله .

وهذا الخبر لا يتفق مع ما ذكره الراهب راميشوع فى مخطوطته التى سنوردها قريباً الأمر الذي يجعلنا نتردد فى قبول ما جاء فيها .

أن هذه المخطوطة لم تكن معروفة قبلا ، ولم يتكلم أحد من الباحثين عنها ، ولم يكثر الكلام عنها إلا بعد ان أكثر اصحاب الأقلام الكلام عن اليزيديين . فأين كانت

مخبوءة طيلة هذه المدة ؟ وكيف ظهرت للوجود ؟ ، فيقال ان أحد قسس النصارى عثر عليها في أحد أديرة ما بين النهرين وذهب بها الى كيلكيا ، ومن هناك انتقلت الى بلاد الغرب . وأول من تناولها المستشرق الفرنسي الموسيو « ف . نو » وبحث عنها ، وضمنها كتابه « مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » الملخص في مجلة المشرق البيروتية (١٩١٥-١٩١٧) والمطبوع في باريس سنة ١٩١٨ ، ونشرها كثير من البحاثين في المجلات والصحف ، إلا ان الذين حافظوا علي أصلها قليلون وأكثرهم حرفوها وحذفوا منهـا .

كانت هذه المخطوطة مكتوبة باللغة الكلدانية وتعزى الى راهب يدعى (راميشوع) من دير « بيت عابي » (١) وجه خطابه فيهـا الى الربان يوسف في دير ميخـائيل (٢) قريباً من إربل وذلك في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي (١٤٥٢) .

وتنقسم الى قسمين : الأول فيما يختص بزاوية الشيخ عدي التي كانت ديراً لمار يوحنا ويشوعسبران ، والحوادث التي جرت في نزعه من قبل الشيخ عدي وما آل اليه أخيراً أمر الشيخ وأولاده الذين قتلوا من قبل المغول وخروج الدير بالصورة النهائية من أيدي الرهبان حيث يقول : « وكيف لنا ان نعادي الذي وضع اسمه عليه لكونه خرج من حوزة النصرانية حيث أنه بقي الى نهاية هذا الجيل مسكونا بأحفاده » . والقسم الثاني : يشتمل على بعض معتقدات اليزيدية وعاداتهم وأخلاقهم ، وهذا القسم لا حاجة لنا به .

﴿ تعريب المخطوطة المنوه عنها أملاها علينا أحد قسس النصارى نثبته بالحرف ﴾

نكتب بعون الله قصة دير (مار يوحنا) و (يشوعسبران) وكيف استولى عليه (عادي بن مسفر بن احمد من بني أمية من قبيلة يزيد بن معـاوية) إذ كنت طلبت مني

١) يقع قرب (حربا) في مرج الموصل (يعرف بمرج أبي عبيدة عن جانبه الشرقي وهـو موضع بين الجبال في منخفض من الارض شبيه بالغور ، ونعتقـد انه يقع في العقر والزيبار) أسسه راهب اسمه يعقوب اصله من لاشوم وهو محل يقع بين الزاب الصغير وكركوك .

٢) اصله من قرية سوسنه بجوار آمد ، ترهب في جبل (ايزلا) في اواسط القرن الرابع الميلادى ثم انتقل الى جبل (داسن) شمالي الموصل ، وعمر ديره المعروف باسمه على بعد ساعة ونصف ساعة عن الموصل .

دفعات عديدة ، أيها الحبيب المحترم ، وأخي (الرهبان هرمز) الراهب الشهير في دير ميخائيل في ترعيل أن أكتب لك عن كيفية أخذ الدير الشهير لمار يوحنا ويشوعسبران وكيف كان ذلك ، أي كيف أخذه الشيخ عدي بن مسفر الكردي .

أيها الحبيب يوسف أبين لك أنا (راميشوع) الشيخ ، أنه في سنة ١٥٠٩ يونانية المصادفة لسنة ١١٩٨ ميلادية كان الدير مملوءاً من الرهبان والكهنة والقسوس، وموقعه فوق قرية « عين سفنى » (١) في ذلك الجبل وفي شرقيه نهر « الكومل » (٢) وقرية « خنس » (٣) على بعد ثلاث ساعات ، وكان للدير المذكور أملاك نحو ثمانين قرية وغنم تصعد الى « زوزان » (٤) وعددها (١٥٠٠) رأساً من غير المعز التي كانت تبقى في الدير لأجل إعاشة سكانه الرهبان . وله ايضا جمال وبقر لا عدد لها حتى اشتهر ذلك الدير بكل مكان ، وكان راعي هذه الأغنام والد عادي المغتصب ، وقد تركه والده وهو في الرابعة من العمر في الدير وذهب الى زوزان حيث تعلم الكلدانية أولا فأولا من سكان الدير ، ولما بلغ أشده تزوج بابنة أحد عظماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير . وقد سلموه أشغال الدير كتقسيم الرحى وجمع الذخائر والزيت من القرى فعظم قدره وذاع صيته عند الكبار والصغار خاصة لكرمه وسخائه حتى أحرز عزاً واسماً شهيراً .

كان والد (عادي) واسمه (مسفر بن احمدالكردي) من القبيلة « التيرهية » التي كانت

---

١) مركز ناحية الشيخان بالامس ومركز القضاء المسمى بهذا الاسم اليوم : تقع على بعد ثلاثين ميلا شرقي الموصل وعلى الطريق المؤدي الى مرقد الشيخ عدي وهي قرية جسيمة ، وفيها عين ماء غزيرة يذهب اليزيدية الى ان سفينة (نوح) قامت منها .

٢) تتجمع مياهه من ينابيع عدة في جبال المزورية وبعد مسير ثلاث ساعات يخترق جبل (شيخكة) من جبال قرية (خنس) الاثرية ثم يجري في السهل ويسقي مزارع قرى كثيرة .

٣) قرية في لحف جبل شيخكة على نهر الكومل : فيها آثار قديمة ترجع الى عهد الآشوريين يؤمها السواح الاجانب لمشاهدة آثارها .

٤) تطلق كلمة (زوزان) على مراعي خصبة في كردستان الشرقية يذهب اليها عشائر الاكراد المتجولة في الصيف لرعي ماشيتهم فيقال : زوزان كور وزوزان فراشين . وعلق المستشرق الفرنسي ف . نو : بانه اسم جبل في كردستان يمتد مشي ثلاثة ايام في شمال جزيرة ابن عمر وهو مشتهر في مناخه وخصوبته ، والاكراد يقضون فيه فصل الصيف ويجعلونه مقر انسهم وراحتهم .

تذهب الى جبل زوزان وتنزل الى سهول الموصل في موسم الشتاء (١) وكانت الأمة اليزيدية التي هي من سكان جبل زوزان ايضاً ترافق والد عادي في الذهاب والمجيء من زوزان الى الموصل ، وكانوا يعتبرون كخدام لذلك البيت الكبير ، وكانوا يأتون بالهدايا لابن أميرهم عادي في موسم الخريف (تشرين الأول - تشرين الثاني) وكان عادي المذكور يقابلهم باللطف والحفاوة ويقدم لهم مأكلا ومشربا .

ولهؤلاء الناس ولع عظيم بالشرب ويبلغ عددهم(٦٥٠) خيمة من غير أتباع عدي المسلم وكان للدير المذكور عادة في كل سنة ان يذهب رئيسه الى الأراضي المقدسة في « أورشليم » مع بعض الرهبان ، وكان « عادي » ينظر في أعمال الدير كجاري عادته . ولما توفي أبوه تبلبلت أعمال الدير ، وذلك ان أولاد « عادي » وهم شرف الدين محمد (٢) وفخر الدين وشمس الدين ، تزوجوا بنساء مغوليات وتسلطوا على الدير وأخذوا يسيئون اليه ، وكان « عادي » ساكتاً عنهم ، فنزعت عن رئيس الدير عادى جميع شؤون الدير ولم يبق في يده سوى الغنم ، وعلى ذلك زاد عادى وأولاده بالاساءة الى الدير حتى أنه في بعض الأيام خطف بغلا من الدير غير مكترث بما كان يصنعه الرئيس معه من الخيرات ، وأخيراً أساء بمعاملته مع الرهبان ايضاً ، ولم يستطع أحد أن يمنعه او يزجره ، وذلك لاشتباك الحروب الكثيرة في بلاد فلسطين على الأراضي المقدسة . ولما رأى الرئيس انه (أي عادي) لا يترك لهم راحة تهدده بان يشتكي عليه لدى الحكام في المدينة . وعندما سافر الرئيس مع الرهبان الى « اورشليم » وذلك قبل الصيام ، كان عادي يتسلط على الرهبان ويؤذيهم طمعاً في اموالهم وأملاكهم ، وكانوا يعطونه كل ما يطلبه منهم خوفا من بطشه ، اذ الزمان كان سيئاً

---

١) علق (نو) على القبيلة الترهية نقلا عن (كرونيكون - سرياكوم) لابي فرج بن العبري انه في سنة ٦٠٢هـ : ١٨ آب ١٢٠٥ - ٨ آب ١٢٠٦م : نزل الاكراد الذين يسمون بالترهيين وهم من جبال (مادى) بجوار (حلوان) وسببوا اضراراً عظيمة في نواحي الموصل ، فاجتمع عليهم جند الفرس وقتلوا منهم خلقا كثيراً . ان التيرهيين لم يعتنقوا الاسلام بل حافظوا على ديانتهم القديمة وهي الزردشتية المجوسية ، وكان بينهم وبين الاسلام عداوة شديدة .

٢) لم يكن شرف الدين ابناً للشيخ عدي بل هو ابن الشيخ شمس الدين الحسن ابو محمد والشيخ عدي جده .

ورديئاً وليس في استطاعة أحد أن يغنمه . وحدث في تلك الأيام ان أتى اربعون لصاً من اورشليم واتبعوا عديا ، وكانوا يطلعونه على الوقائع التي تجري في فلسطين وسوريا وكيف خربت القرى والمدن ويوقفونه على مجاري الأمور . فلما سمع عادي بهذه الأخبار عزم على أن يأخذ قضيبا ويطرد الرهبان جميعاً من الدير . وفي ذلك اليوم أقبل رسول من زعماء الأكراد المعروفين بالتيرهيين سكان جبل مادي بجوار الزاب الكبير، فدخل عادي الى الدير وطلب مأكلا ومشربا للزعيم الذي أرسله في طلبه ، فأعطوه ستة احمال من المؤونة مع ستة دواب لحملها ، وذهب معه ألف رجل من أهل بيته ، ولما وصل الى التيرهيين عادوا ثانية الى هذه النواحي وخربوا وقتلوا وعاد بعدئذ هو وأهله ظافراً بالغنائم التي حصل عليها .

ومن بعد هذه التخريبات نهب الدير وقتل الرهبان ولم يترك احداً سوى راهب فقط، وكان هذا الراهب مريضاً وطريح الفراش . وقد صعد عادي الى الدير مع جميع اهله في زمن الربيع أي بعد ثلاثة اشهر من حادثة القتل وتسلط على اموال الدير ونهبها باجمعها واتخذ الدير مقراً له ولأهل بيته بدون ممانع .

وحينما أتى رئيس الدير من أورشليم في شهر أيار ادخلوه وبعض الرهبان الذين كانوا معه عند عادي في المحل الذي كان يسكنه ، فسأله (اي عادي) من أنت أيها المسكين وماذا جرى لك ؟ فأجابه : أنا رئيس الدير الذي أنت فيه الآن وقد هجم اللصوص على ثلاث مرات في الطريق وعملوا بنا كما تراه ، وقد أتيت لهذا الدير الذي هو لنا ، وليس لك حق أن تأخذه غصباً وتقتل الرهبان باجمعهم فيجب عليك ان تخرج منه بلا تأخير. فأجابه عادي : انني أخذته سيفاً لا وراثة ، فيلزم ان تخرج منه عاجلا واصنع ما بدا لك وأغرب عن امامي حياً قبل ان اقتلك . فحينئذ خرج رئيس الدير هو ورفقاؤه وذهبوا الى بلاد فارس حيث كان رئيس الجنود المغولية ، فدخل امامه بثياب ممزقة وقد عفر رأسه بالتراب ، وكان يندب ويبكي بكاء مراً على ذهاب الدير وقتل رهبانه . فلما رآه بانو (وفي نسخة اخرى اغانو) رق له وأمر عبيده أن يكرموه حتى تذهب جنود المغول الى إربل ، فأعطوه له ولرفقائه ألبسة ومؤونة تكفيهم ستة اشهر . وأقام سنة

كاملة في خراسان حيث كان المغول يتحاربون في تلك المدينة وفي خوارزم وذلك في سنة ٦١٩ هجرية اي بعد ضبط دير يوحنا ويشو عسيران بثلاثة سنين في ايام الملك الظاهر والمستنصر .

وبعد ان انتهت الحروب اعطيت الأوامر الى احد الأمراء وهو أخ « جنكيزخان » باحضار (عادى الكردى) لكى ينظر بسبب قتله الرهبان لذلك الدير العظيم . فسار الأمير يلحقه ألف فارس مغولي ، وعندما دخل الى « شهرزور » استراح هو وفرسانه هناك وأرسل فارساً الى (عدي الكردى) ليوقفه على جلية الأمر ويستقدمه اليه . فركب عادي عاجلا وذهب الى الأمير (تومان) وعند وصوله سجد له على جاري العادة فسأله عن سبب قتله الرهبان واغتصابه الدير ، فأجاب (عادي) قائلا : يا سيدي اني لم أقتل احداً منهم ولكن الاكراد التيرهيين حملوا على هذه البلاد فقتلوا ونهبوا وخربوا وذهبوا ، ولما رأيت انهم كثيرون ومخيفون فقد لازمت السكوت ونقلت اهلي الى الدير لكى لا يخرب وسكنا فيه لكي نحفظه . فأمر الأمير بان يحمل (عادي) الى القاآن العظيم حيث كان في مدينة « مراغة » من اعمال فارس وقد حاكموه وقتلوه بلا شفقة ولا رحمة وذلك في موسم الخريف « تشرين الاول - تشرين الثاني ».

أما أولاد عادي فقد توجهوا نحو (نصيبين) قاصدين الأمير المغولي ومعهم ٥٠٠ فارس من أهلهم وأقاربهم فنهب (شرف الدين) والأمير (تومان) نواحي نصيبين ورجعوا الى الدير المذكور حيث رأوا المكان الذى أتى اليه ذلك الأمير ، وقدم (شرف الدين) و (شمس الدين) و (فخر الدين) أبناء عادي هدايا كثيرة الى ذلك الأمير ومن يصحبه لكي يسعوا فى خلاص أبيهم ، وهم لا يعلمون شيئاً عن قتله .

وبعد أيام رجع هؤلاء الفرسان الى القاآن العظيم وعرفوه عن أبناء عادي الكردي وكيف أنهم شجعان وذوو بأس ومشغولون دائماً بالغزو وتحت أمرهم يوجد (١٥٠٠) فارس ، فلما سمع القاآن العظيم وأمراؤه الذين هم من آل جنكيز ذلك الكلام سكتوا له قليلا وبعدئذ أمر القاآن العظيم الأمير « سوناتي » ان يدبر المسألة بنفسه وقد عزم رئيس الدير والرهبان الذين معه في مراغة على ان يذهبوا مع « سوناتي خان » حينما

سافر مع قواته العظيمة الا ان القاآن العظيم أمرهم ان يبقوا في فارس حتى يلقى ذلك الامير القبض على أولاد عادي وعيتهم ، وعندئذ يذهبون الى محلهم .. وقد قال القاآن العظيم ذلك بسبب المشاغبات والويلات التي كانت مستمرة حينئذ فى بلاد الشرق وفي بلاد فلسطين . اما « بايجونوين » فقد قصد « أرزن الروم » مع قوة عظيمة من التتر حاملا الاوامر المشددة بقتل المسلمين . فجمع « عزالدين ايقونيوم » جموعا من المديين والاكراد والتركمان وجعل عليهم قائداً « شرف الدين » بن عادى الكردي وأعطاه « حصن زائد » وأقام فيه الى ان وصل التتر فقاتلوه قتالا شديداً وأبادوا من جيوشه عدداً عظيما وخرج من الحصن قاصداً « الجزيرة » فأدركه « انكورك نوين » وقتله ازاء المحل الذى يسمى (قمح) قبل ان يصل عزالدين .

وقد ورد من القاآن العظيم الى (بايجونوين) يأمره بالسفر الى « بابل » فأسرع حينئذ بجنوده وسار حتى وصل الموصل فى موسم الخريف ولم يلحق ضرراً بالاهالي لان الملك الصالح بن بدرالدين كان آتيا فى تلك الايام من خدمة القاآن العظيم وأعطيت له (توركان خاتون) زوجة ابن خوارزمشاه وكانت في زي المغوليات .

وقد وقف شمس الدين بن عادي الكردى على قتل أخيه شرف الدين محمد من قبل عساكر التتر فأخذ إمرأته المغولية مع بقية نسائه وذهب ليلا الى الشام حيث توفي فيها

﴿ مأخوذ من التاريخ الذى في مراغة بدار البطريركية ﴾

تأخر هذا الامر بسبب اضطراب البلاد وملوك ذلك الزمن وقد توفى رئيس الدير فى بلاد فارس فى أحد الاديرة مع رفقائه الرهبان ، وبقى الدير عشرين عاما خرابا حتى قام « احمد » ملك التتر المسلم فذهب أبناء « شرف الدين » و « شمس الدين » مع أمهاتهم المغوليات اليه وتوسلوا به ، وتشفع لهم أمراء الاتراك لديه بخصوص إعادة الدير اليهم ، وقد سمح حينئذ برجوعهم اليه فضبطوه من ذلك الحين الى يومنا هذا دون ان يجسر احد ان يبحث عنه شيئا .

وكان الشيخ عادى بالاسم مسلما لكنه متمسكا بالمذهب التيرهي ، وكان الذين يعتبرونه رئيسا لهم يطيعونه في كل ما يأمرهم به ، حتى كانوا يقولون انه من جنس الآلهة ، وفي

زمنه أبطل العلم إلا من أهل بيته وجعل لهم رؤساء يعلمونهم الايمان، ويجمعون منهم مقطوعه السنوي الذى فرضه عليهم والبعض لخدمة بيته . انتهت .

***

هذه هى المخطوطة التي تلقاها الباحثون من شرقيين وغربيين باهتمام عظيم وحكموا بها على اغتصاب « الشيخ أبي المفاخر شرف الدين عدي » ابن أبي البركات الدير المنسوب الى « مار يوحنا ويشوعسبران » . ومهما يكن من أمر هذه المخطوطة من قدم وحدوث فالذي نراه ان مؤلفها - سواء أكان الراهب راميشوع أم غيره ممن انتحل هذا الاسم - لم يؤلفها لغاية إظهار حقيقة جهلها الناس وانحصر علمه بها ، بل النيل من آل عدي الدين ورثوا هذا الدير وأسسوا زاويتهم عليه . ولم يدرس أحد من مؤرخي الاسلام وبحاثيهم هذه المخطوطة دراسة تامة ويقف على ما جاء فيها من أخبار متناقضة وآراء مغلوطة أريد بها الحط من كرامة هذا البيت والطعن فيه . وقد وافق أكثر الباحثين مؤلفها عليها وشاركوه فى آرائه ، واذا أردنا ان نقول كلة عن هذه المخطوطة ونفصح عن الأخطاء التي جاءت فيها ، فلم يكن القصد إلا انتصارا للحق وخدمة للتاريخ :

بعد ان ذكر مؤلف المخطوطة الأسباب التي ساقته الى كتابة هذه القصة الى الربان يوسف فى « دير ميخائيل » وعرف موقع دير « مار يوحنا ويشوعسبران » تعريفا جغرافياً ، وأوضح ماكان عليه من العظمة وكثرة الغناء والموارد قال : « أن الشيخ عاديا بن مسافر الذي قام بعملية غصب الدير من أيدي أصحابه الرهبان وقتلهم جميعاً ، باستثناء رئيسهم الذى كان متغيباً ، كان بوقت ما في الرابعة من العمر ، وقد تركه أبوه وذهب الى جبال الزوزان ارعي الأغنام المختصة بالدير حيث تعلم الكلدانية من سكانه الرهبان . ولما بلغ أشده تزوج بابنة أحد عظماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير . وتسلم أشغال الدير وعظم قدره وعلا ذكره ... وبعد ان ذكر أن والد عادي هو « مسفر بن احمد الكردى » من العشيرة التيرهية التي كانت تذهب الى جبال الزوزان صيفاً ، وتنزل الى سهول الموصل شتاء ، ووصف أخلاق التيرهيين وعاداتهم وديانتهم ودرجة ولائهم لذلك البيت الكبير الذى ينتمي اليه عادي ، ومجيئهم الى عادى نفسه ، أخذ يقص على صاحبه الربان يوسف إعتداء عادى على رهبان الدير وإيذاءه لهم طمعا

فى أموالهم وأملاكهم . وبعد ان ذكر حوادث جرت له معهم ، ذكر نهبه الدير وقتله رهبانه واتخاذه مقرا له ولأهل بيته .

هذا ما قاله الراهب راميشوع عن الشيخ أبي المفاخر عدي بن الشيخ أبي البركات وسماه : « بعادى بن مسفر بن احمد من بني أمية من قبيلة يزيد بن معاوية » وفي محل آخر « من قبيلة التيرهية » واستيلائه على دير « مار يوحنا ويشوعسبران » واعتدائه على أصحابه الرهبان . بينما نعلم ان الدير خرج من أيدى أصحابه قبل ذلك بزمن بعيد ودخل فى حوزة الشيخ عدى بن مسافر الأمـوى وأسس زاويته عليه ، وعاش ومات ودفن فيه بتاريخ ٥٥٥ او٥٧ للهجرة (١١٦٠-١١٦٢ م) واذا كان أقام فيه عشرين سنة على أقل تقدير ، فيكون قد مضى على خروجه من يد اصحابه قبل التاريخ الذى عينه بنحو ثمانين سنة وقد شهد على ذلك شاهد من أهله وهو « يشوعياب » مطران إربل اذ يقول : « أن نزول الشيخ عدى على الدير كان فى اواسط القرن الثاني عشر ، وما زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عدى حتى يومنا هـذا » فبعد ان يكون قد خرج الدير من أيدى أصحابه بهذا التاريخ ، كيف يجوز لعادى ابن مسفر ان يستولي عليه ؟

ان بعض الكتاب الذين يريدون ان يجدوا حلا لهذا التباين يرون احتمال وقوع استيلائين على هذا الدير. الأول: وقع على يد عدى بن مسافر الأموى ، والثاني وقع على يد عادى بن مسفر الكردى التيرهى وهذا الاحتمال لو ورد يرد اذا فرضنا ان الدير بعد ان أخرجه الشيخ عدى بن مسافر من ايدى أصحابه للمرة الأولى ، استعاد أصحابه قوتهم وطردوه عنه وبقى فى قبضتهم الى ان جـاء عادى بن مسفر وأخرجه من أيديهم للمرة الثانية . ولكن لا يوجد دليل على ان اصحاب الدير استعادوا قوتهم فى هذه الحقبة وطردوا آل عدى من ديرهم وملكوه من جديد . والتـاريخ يدلنا على ان الشيخ عديا بعد ان توفى ودفن في زاويته خلفه ابن أخيه أبو البركات وعاش فى هـذه الزاوية الى ان مات مسنا وقبره ظاهر يزار وخلفه ابنه أبو المفاخر عدى بن أبي البركات بطل قصة الراهب . إذا فدعوى وقوع استيلائين على الدير باطلة وغير واردة .

وقد يرد احتمال آخر : وهو ان تكون زاوية الشيخ عدى فى غير المحل الذى وقع

عليه استيلاء الشيخ عادي بن مسفر المزعوم . وهذا يجوز اذا وجد في البقعة التي عرفها لنا الراهب راميشوع تعريفا جغرافيا واديان يسميان « لالشا » وفي كل واد دير يسمى باسم « مار يوحنا ويشوعسبران » وقد وقع الاستيلاء على كل دير على حدة .

وأراد كاتب فاضل ان يبرهن على صحة استيلاء عادى بن مسافر على الدير ووضع نظرية على جانب من الغرابة وهى احتماله ان تكون زاوية الشيخ عدي بن مسافر فى موضع غير هذا الموضع ، فجاء شرف الدين أبو المفاخر عدي او غيره فوضع لأصحابه حكاية الدفن في هذا الموضع ليزدادوا تمسكا بوضع اليد عليه . ويجوز هذا الاحتمال اذا نفينا جميع الأخبار التى تدل على ان الشيخ عديا اتخذ زاويته فى الدير الذى يدعيه النصارى فى وادى لالش ، او يكون - كما قلنا - يوجد فى هذا الوادي ديران يسميان باسم واحد .

والراهب لم يكن موفقا فى دعواه عن استيلاء « عادي بن مسفر » على هذا الدير . وقد دل على نفسية تحتدم كيدا وعدوانا على هذا البيت وأباح لنفسه كل قول باطل عنهم . فقد طعن بنسبهم وجعلهم تيرهيون ، وطعن بسلوكهم وأنزلهم الى درجة اللصوص وقطاع الطريق ، ونفى عنهم الاسلامية وعدهم مجوسا. وقال عنهم انهم كانوا رعاة لاغنام الدير ، وأن « عديا » تربى فى كنف الرهبان وعاش على إنعاماتهم ، واخيراً كفر بنعمتهم وأساء اليهم ، ورماه بكل منقصة وسبة . على ان كلامه لا يغير حقيقة تاريخية ويحط من كرامة هذا البيت ، فنسبهم محفوظ ، وهم من أحفاد الملوك الأمويين. وسلوك أبي المفاخر عدي ونهجه الدينى لا غبار عليه . وقد وصفه مؤرخ اسلامى « بالشيخ الأصيل » وعده «من أعيان مشائخ العراق المعتبرين وصاحب كرامات وأحوال » وقال عنه : « انتهت اليه الرياسة فى وقته فى تربية المريدين بجبل هكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد . وكان ظريفا ، ذا سمت وحياء ، محبا لأهل العلم ، وافر العلم، شديد التواضع ، وأجمع العلماء على تبجيله واحترامه ، وقصد بالزيارات ، واشتهر ذكره فى الآفاق ... »

ولنترك هذا جانباً وننظر في الخبر الذى ساقه عن قتل الشيخ عدي من قبل المغول

على شكاية رئيس الدير عليه . يدعي الراهب في مخطوطته ان استيلاء عدى على الدير وقع سنة ٦١٦هـ-١٢٣٧م ، وان رئيس الدير ذهب الى بلاد فارس لرفع ظلامته الى القاآن العظيم « جنكيزخان » سنة ٦١٩هـ-١٢٤٠م ، وقد بقي في خراسان الى ان حانت الفرصة وذهبت جيوش المغول الى بابل لاحضار عدي ، فأحضر الى « مراغة » حيث القاآن العظيم فحوكم وصدر حكم الاعدام بحقه دون شفقة او رحمة كما عبر عنه الراهب .

واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان جيوش المغول لم تأت الى العراق الا سنة ٦٣٣هـ-١٢٥٤م حيث تعرضت لأول مرة لمدينة إربل ، ولم يحقق مجيئها الى العراق قبل هـذا ، فكيف نعلل ما قاله الراهب عن مجيئها للقبض على عدي وهو لم يتمـد حينذاك بلاد ما وراء النهر ؟ ولنفرض ان الجيش الذى جهزه القاآن العظيم لاحضار عدي ـ ويبلغ ١٠٠٠ فارس مغولي ويقوده الامير تومان ـ تخطى البلاد التي مر منها دون ان يشعر به احـد وجاء العراق وقبض على عدي وذهب به خلسة الى « مراغة » حيث القاآن العظيم ، فحوكم وقتل . إلا ان مجرى الحوادث يدل على ان القتل وقع على عهد «هولاكو» وهو الذي كان يقيم فى « مراغة » وقد اتخذها عاصمة له وذلك في حدود سنة ٦٥٤هـ-١٢٧٥م ، فأين ذهب جيش المغول بعدي أأبقاه مسجونا ؟ وهل بقى طيلة هذه المدة رهن التحقيق ونظر في أمره جنكيزخان ، ثم ابنـه تولي خان ، ثم ابنه منكوقاآن ، ثم زوجته نوراكينا خاتون ، ثم هولاكو ، الى ان ثبتت إدانته وصدر حكم الاعدام بحقه ؟ وردم مملكته بأسرها ، وإفناء مئات الالوف من البشر يكفيه إشارة واحدة يصدرها هؤلاء الملوك ولا يحتاج الى محاكمات طويلة وعريضة ، ثم ماذا يهم هؤلاء الملوك أمر رئيس الدير واخراج الدير من يده وقتل رفاقه الرهبان حتى يأمر جنكيزخان أخاه بارسال هذه القوة الكبيرة للقبض على عدي الكردي فتذهب وتقبض عليه وتأتى به فيحاكم ويقتل بعد ان يكون قد بقى اكثر من ثلاثين سنة فى التوقيف ؟ وهذه البـلاد لم تكن قد دخلت فى حكم المغول ولم يعرفوها . وملوك المغول ليسوا من الغفلة بالدرجة التي يرسلون هذه القوة الى بلاد بعيدة عنهم وغريبة لدفع حيف عن رجل لا تربطهم به رابطة جنسية او دينية او تابعية .

يقول الاستاذ سركيس : «من المحتمل ان يكون الشيخ عدى كهلا عندما استولى على الدير وشيخا عندما قتل » . ونسي أن المغول ليس من شأنهم ان يطيلوا توقيف أحد سنيناً طوالا طالما فى وسعهم معالجته بالسيف .

يقول عن الشيخ عدى بن سفر : « انه لما بلغ أشده تزوج بابنة أحد زعماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير ».

ان أول دخول التتر بلاد الاسلام كان سنة ٦٢٠هـ - ١٢٤١م حيث كان طاغيتهم جنكيزخان يحارب خوارزمشاه على ملكه ، وقد ظل هذا الجيش يحارب في بلاد ما وراء النهر وخراسان وبلاد فارس ، ولم يأت العراق إلا بعد ان استقصى هذه البلاد بكاملها وكان أول ظهور طلائعه فى العراق سنة ٦٣٣ هـ - ١٢٥٤ م فاذا علمنا ذلك أين عثر عادى ابن سفر على ابنة عظيم التتر وتزوجها ؟.

ويذكر : أن اولاد الشيخ عادى بن مسفر وهم : شمس الدين وفخر الدين وشرف الدين « لم يكن شرف الدين ابناً له بل حفيداً وهو ابن شمس الدين » تزوجوا بنساء مغوليات وتسلطوا على الدير . فاذا كان تزوج الشيخ عادي واولاده الثلاثة بنساء مغوليات فيجب أن يكون تزوجهم بهن بعد ان جاؤوا الى العراق أى بعد ان دخلت سنة ٦٣٣ هـ -١٢٥٤ م وفي هذا التاريخ نجد الشيخ عاديا مقبوضاً عليه ، وأولاده الثلاثة مشردون ولم يبق الدير بيد اصحابه حتى يتسلطوا عليه . ثم هل كان مجيء المغول الى هذه البلاد بغية الاستيلاء والفتح ام ليبحثوا عن أزواج لفتياتهم يزوجونهن منهم ؟ وكانوا ينظرون الى المسلمين بكراهية واحتقار ويعدونهم أحط منهم محتداً ولم يقع ان صاهر احد منهم مسلماً حتى بعد أن ثبتت اقدامهم فى هذه البلاد ؟.

* * *

لقد بنى الراهب قصته على أساس جعل بطلها عدياً ابن ابي البركات تيرهيا بعقيدته ونسبه . وأن الاعمال التى قام بها فى اخراج الدير من ايدى اصحابه الرهبان والاعتداء عليهم كانت بمعاونة قومه التيرهيين . وكان التيرهيون ينزلون فى موسم الشتاء الى سهول الموصل ويذهبون صيفاً الى جبال الزوزان . والتيرهيون لم يثبت مجيئهم الى العراق

واقامتهم بسهول الموصل . وكل ما يعرف عنهم ما قاله ابن الأثير : انهم قوم وثنيون خرجوا من وراء النهر على زمن الملك سبكتكين (٠٠٠-٣٨٧هـ) وعبروا حدود مكرهان « اقليم في بلاد البلوج » وواصلوا غاراتهم على مسلمي تلك الأرجاء ، وعظم خطرهم على أهل مدينة فرشاور (تقع بين غزنة ولاهور) وقد أسلموا على عهد الملك أبي المظفر شهاب الدين بن سالم الغوري (٠٠٠-٦٠٢هـ)

وجاء في التاريخ السرياني لأبي فرج بن العبري عنهم : أنهم من جبال « مادى » بجوار « حلوان » وأنهم نزلوا سنة ٦٠٢هـ - ١٢٠٦م الى نواحي الموصل وسببوا اضراراً عظيمة فاجتمع عليهم جند الفرس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . فهذان الخبران - على ما فيهما من تباين - ليس فيهما ما يؤيد دعوى الراهب عن التيرهيين . وكأنما علم باستحالة نزول التيرهيين من جبال مادى الى نواحي الموصل على بعد المسافة ، فجعل مادى بجوار الزاب .

* * *

وقد أراد ايجاد علاقة لارسال « بايجونوين » الى بلاد الروم مع قوة كبيرة من التتر لازالة الخلاف بين السلطان عز الدين كيكاوس صاحب قونية وأخيه ركن الدين وتقسيم الممالك بينهما - بالقبض على اولاد عادي واماتتهم . وكان ارسال هذه القوة على عهد هولاكو وهو في بلاد فارس يحارب الملاحدة الاسماعيليين . وهولاكو لم يكن اذ ذاك قد باشر أمر العراق وعرف اولاد عدي وشعر بخطرهم وهمه أمرهم حتى يأمر قائده « بايجونوين » باماتتهم . وكان شرف الدين محمد قد التحق بخدمة السلطان عز الدين كيكاوس ودخل في عداد قواده ليتولى الدفاع عن مملكته ضد المغول وقد قتله « انكورك نوين » وهو في طريقه الى « خرتبرت - خربوت » قاصداً السلطان عز الدين .

ويقول الراهب : ولما وقف شمس الدين بن عادي الكردى على قتل أخيه شرف الدين محمد أخذ امرأته المغولية مع بقية نسائه وذهب ليلا الى الشام حيث توفي فيها . وشمس الدين لم يكن أخاً لشرف الدين بل أباً له . وقد وقعت قتلته في سنة ٦٤٤هـ - ١٢٥٦م على يد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في الموصل لأسباب سياسية كما سبق لنا

ذكره ، والذى ذهب الى الشام هو الشيخ زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين وولده عز الدين فتخلف عز الدين فى الشام وذهب الشيخ زين الدين الى القاهرة حيث توفي فيها .

يقول : وقد بقي الدير خرابا عشرين سنة حتى قام « احمد » ملك التتر المسلم فذهب ابناء شرف الدين وشمس الدين مع امهاتهم المغوليات اليه وتوسلوا به ، وتشفع لهم بعض أمراء الأتراك بخصوص اعادة الدير اليهم ، وقد سمح بارجاعه اليهم ، فضبطوه من ذلك الحين ، ولم يجسر أن يعارضهم فيه أحد .

ان الذى ثبت عندنا أن زاوية الشيخ عدي لم يصبها خراب طالما كان ابناء عدي مقيمين فيها . ولم يثبت خروجهم منها ، وقد حمل بدر الدين لؤلؤ بجيوشه العظيمة عليها اكثر من مرة ، وكانت آخر حملة أرسلها سنة ٦٥٢هـ ونكل باصحابها وقتل وصلب المئات منهم وظلت محافظة على وضعها . وقام فيها منازعات دينية عصيبة انجرت الى ثورات دموية دامت حتى أواخر الربع الأول من القرن الثامن الهجرى وربما بعده ولم يصبها وهن . فكيف يذهب أبناء شرف الدين وشمس الدين مع أمهاتهم المغوليات الى السلطان « احمد » المسلم المغولي ويتوسلونه لاعادة الزاوية اليهم ويجيبهم الى ذلك، والزاوية هى فى حوزتهم ؟ ثم اذا كانت الزاوية بقيت عشرين سنة خراباً فلماذا لم يستعيدها أصحابها بعد أن يكون قد تخلى غاصبوها عنها ، والمغول يعطفون عليهم ؟

***

هذا أهم ما جاء في هذه المخطوطة،وفيها أغلاط تاريخية اخرى لم نتعرض لها. والراهب أراد منها أن يجعل البيت العدوي مسؤولا عن اخراج الدير من أيدي اصحابه،ويوجه اليهم تهمة قتل الرهبان ونهب أموالهم وتحويل الدير الى معبد اسلامي ، إلا انه لم يكن في ذلك مصيباً ولا محقاً .

والذى نستنتجه من سير الأخبار والحوادث أن دير « مار يوحنا ويشو عسبران » لم يدخل في يد آل عدي اقتحاماً واغتصابا ، وقد جاء الشيخ عدي بن مسافر الأموي ووجده خالياً وسكن فيه . والذى أخرجه من أيدى اصحابه ـ على ما نرجح ـ هم

الأكراد سكان هذه الجبال ، او الاكراد الذين يرتادون هذه الجبال لوقت معين وينزحون في الصيف الى الشمال وهؤلاء قوم وثنيون لم يدينوا بالاسلام ، وكان دأبهم الاغارة والنهب والعبث بالأمن ولا توجدسلطةحكوميه تؤثر عليهم وتحمي البلاد منهم . فوقع هذا الدير تحت رحمتهم ، فكانوا يتزودون منه ويقضون حاجتهم فيه ، وأصحابه الرهبان لم يحركوا ساكناً ، وقد رأينا الى زمن قريب جداً كيف كانت عشائر الأكراد القوية يعاملون النصارى في الجبال بجفاء وينهبون ما في أيديهم ويتجاوزون على الأديرة والكنائس ويوقعون الأذى فيها . اذاً ما قولنا فيما كان يوقعه هؤلاء الأكراد قبل ثمانية عصور فى الأهالي الهادئة المطمئنة من اعمال العسف والارهاق حتى انهم كانوا يهاجمون المدن ويسلبونها . ولذلك لم نكن مخطئين اذا اعتقدنا ان تخريب الدير وقع على ايدي هؤلاء الأكراد ، وكان ذلك قبل مجيء الشيخ عدي اليه . وعندما جاءه وجده خالياً وخرابا .

والراهب راميشوع الذى جاء بعد وقوع حادثة الدير بثلاثة قرون لم يعرف شيئا عما حدث في اخراجه من ايدي اصحابه وكل ما عرفه ان رآه قد دخل فى حوزة آل عدي فعدهم هم الغاصبون له وتكلم عنهم بالعاطفة والخيال .

العشائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم

في سنجار والشيخان وبقية المواقع

ينقسم اليزيدية في جبل سنجار الى قسمين (١) الخوركان (٢) الجوانا وذلك من قبل السنة والشيعة عند الاسلام ، وهذا الانقسام يرجع الى أول عهد ظهورهم في الجبل وهو ليس من الدين والعقيدة بشيء ويمكن التفريق بينهما عند أول نظرة يلقيها الانسان اليهم فالجوانا يظفرون شعورهم ويرسلونها على أكتافهم شيباً وشباناً ويلبسون على الأغلب قبعاً طويلا وينتمون الى « الشيخ شرف الدين » ويعطون نذورهم وصدقاتهم الى سدنة مرقده على عكس الخوركان . ويترفعون عن تزويج فتياتهم من الخوركانيين والتزوج بفتياتهم ، إلا اذا أعطى الخوركاني نذوره الى الشيخ شرف الدين وأصبح جوانياً ويدعى الجوانا الأفضلية والتقدم على الخوركانيين باعتبار انهم وفدوا الى جبل سنجار على عهد الشيخ شرف الدين وعلى يدهم انتشرت اليزيدية .

ان عشائر الخوركان هم كما يأتي : (١) قيران (٢) سموقة (٣) هسكان (٤) آل دخي (٥) جلكا (٦) جلكان (٧) فقراء (٨) موسانه (٩) جفرية (١٠) حليقية (١١) هويرية (١٢) كوركوركا (١٣) مندكان (١٤) رشكان (١٥) شرقيان .

وهنا نبحث عن هذه العشائر واحدة فواحدة ثم نتكلم عن الجوانا .

« ١ » القيران : ينقسمون الى خمس فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
حكرش	حجي مرزة	سكينية	٧٠	٤٥٠	٧٠
	ابراهيم شيبو				
مالاسلو	مجو	مجنونية	٦٠	٤٠٠	٦٠

اسم القرية	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
محمي	مراد خليل	سكينية	٨٠	٥٥٠	٨٠
زنديناني	بشار قاسم	وردية وغيرها	١٠٠	٧٠٠	١٠٠
شافي باقي	خلف ملكو	سكينية ، جدالة	١١٠	٧٥٠	٩٠
			٤٢٠	٢٨٥٠	٤٠٠

ان كلا من الحكرشية ومالاسلو ومحمي هم من صلب والزنديناني وشافي باقي من صلب والزنديناني يقطنون قرية الوردية وهم أهل ماشية ويشتغلون بالزراعة وقلما يشتركون في المنازعات التي تحدث بين الفرق الأربعة الأخرى ويعدون من أغنى عشائر القيران ، واليزيدية لا يميلون اليهم كثيراً ويجتنبون مصاهرتهم بدعوى انهم تخلفوا عن محاربة الفريق « عمر وهبي باشا » عندما حمل على سنجار عام ١٨٩١ بغية إرغامهم على تبديلهم دينهم ، ولهم ولع كبير بالقمار ويراهنون على نسائهم وفتياتهم (١) .

والحكرشية ومالاسلو كانوا الى عهد قريب في نزاع مستمر مع مالا محمي وشافي باقي وقلما حصل اتفاق بينهم ويترأسهم الشيخ خضر بن الشيخ عطو من أسرة الشيخ فخر « فخرالدين » ويرجع بالأصل الى قرية « باصفنه » في قضاء الشيخان ـ وهو خال الشيخ ناصر رئيس الهسكان ـ ورآسته لم تكن ثابتة وكثيراً ما أخرجه القيرانيون من بينهم ، وهو لا يستند على عصبية عشائرية يقوى بها اكثر مما هو شيخ طريقة يرون طاعته واجباً عليهم ، ولم يكن اكبر خطراً على الأمن في جبل سنجار من تزعم هؤلاء الرجال الروحيين فقد يستغلون سذاجة الشعب ويوجهونه حسب رغائبهم باسم الدين . فتعاني الحكومة صعوبات جمة في اخماد الثورات التي يقيمونها وهم لا يفتأون من إيقاد نارها واكثر الثورات التي كانت تقع في العهد العثماني بين قبائل الأكراد هي من هذا القبيل والموجد لها اصحاب الزوايا والتكايا المشائخ ، اما الآن فلم يبق لها وجود وآخرها ثورة البارزانيين وقد قضت الحكومة عليها .

---

١) لم تكن هذه العادة منحصرة بالزنديناييين فقط بل يتبعها آخرون غيرهم وقد ضعفت الان ولم يعمل بها الا القليلون .

(٢) سموقة : ينقسمون الى خمسة أفخاذ وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
لالو	اسماعيل احمد مطو وحسين مطو	بارا	١٣٠	٩٠٠	١٠٠
مالا محمود	امسيخ بلو، ملكو احمد	»	٨٠	٥٠٠	٩٠
ريفيان	حسن شمو	»	٦٠	٤٠٠	٦٠
علي جرمكا	حمو ملحم	»	١٠٠	٧٠٠	٩٠
اوسكي	ملكو احمد	»	٩٠	٥٥٠	٩٠
			٤٦٠	٣٠٥٠	٤٣٠

يعرف السموقيون بميلهم الى الهدوء والسكينة والبعد عن الشغب والتحزب. ويملكون مواشي كثيرة ، ويشتغلون بالزراعة ، ومعيشتهم بسيطة للغاية ، وهم أشبه ببدو العرب . ولقربهم من الحدود السورية فقد اشتغلوا طيلة سني الحرب بالتجارة والتهريب ونالوا ثراء واسعاً . وكانوا في حادثة ٩٣٥ نزحوا الى الأراضي السورية عدا قبيلة «علي جرمكا» التي يرأسها « حمو ملحم » ولاقوا عسراً وضيقاً شديدين ثم رجعوا الى أماكنهم . ويرأسهم الآن اسماعيل بن احمد مطو وجميعهم في طاعته، والقيرانيون والسموقيون وفدوا الى سنجار منذ زمن بعيد وهم أكراد خالصوا الدم ، ولا يعلم المحل الذي وفدوا منه .

(٣) الهسكان : ينقسمون الى خمسة فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
(أ) ابداللى	كوعمى	سنوني، كنى	٧٠	٣٥٠	١٢٠
(ب) ابداللى	ابراهيم خليل	كله خان	٢٥	١٠٠	٢٥
محكي	فارس شرو	سنوني، كنى	٦٠	٢٠٠	٧٠
شركان	احمد جرو	خانه صور	١٠٠	٣٥٠	٨٠
مشوبي	عبدالله فندي	سنوني، كنى	٧٥	٢٥٠	٩٠
سنديا	عبدالله النوري	شنانيك	٢٠	١٠٠	٢٠
			٣٥٠	١٣٥٠	٤٠٥

وقد يقدر البعض نفوسهم بين الألفين وخمسماية وثلاثة آلاف وهو مبالغ فيه . وهم أكثر عشائر اليزيدية ثروة ويساراً وعمومهم مسلمون . ويعيشون عيشة البداوة ، ويرحلون فى موسم الشتاء والربيع بأغنامهم الكثيرة الى أراضي الجزيرة، وربما يتجاوزون الأراضي السورية انتجاعا للمرعى . ويترأسهم الشيخ خلف بن الشيخ ناصر باستثناء « الشركان » الذين لا يعرفون له رياسة عليهم . وهو من قرية « بجزاني » قريباً من الموصل . وكانت رياسته عليهم دينية ، ثم تحولت الى زمنية .

ويأتي بعد الشيخ خلف بالرياسة على الهسكان « كموعمى » وهو رجل عاقل ومدبر للغاية . وقد نفته الحكومة الى ألوية جنوبي العراق نحو ثلاث سنين ثم أعادته الى محله.

٤ـ آلدخي : وينقسمون الى أربعة أفخاذ وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
آلدخى	عثمان حنانوك	خانه صور	٧٠	٢٦٠	٤٠
آلدخى	غانم قاسم	ماميسه	١٠٠	٨٠٠	٥٠
«	خديدة خرشي	شاميكه	٤٠	٣٠٠	٢٠
«	مواد فاطمي	كرسى	٢٥	١٢٠	١٠
			٢٣٥	١٤٨٠	١٢٠

لم يكن آلدخيون على شيء من القوة والمنعة وينظمون على الأغلب الى عشيرة أقوى منهم ، وهي قاعدة تتبعها العشائر الضعيفة في جبل سنجار ، وبدونها لا يستطيعون أن يحافظوا على موجوديتهم ، وكانوا قبل بضع سنين قد انظموا الى الفقراء بطريقة التحالف ولما قتل الفقير خديدة رئيس الفقراء بقوا دون محالف ، فطمعت العشائر القوية فيهم إلا أن الحكومة حافظت عليهم ومنعت اعتداءهم عنهم

وآلدخيون يرجعون بأفخاذهم الأربعة الى أصل عربي ويعتقد أنهم من قبيلة (آلدخي) التي هى فرع من عشيرة «اعبادة» العربية .

(٥) جلكا : ينقسمون الي ثلاث فرق وهذا بيانهم .

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
جلكا	سموقاطمي،زلقو	زرافكي	٥٠	٤٠٠	٣٠
كوركوركا	قرو عمر	كاباره	٤٠	٣٠٠	٢٠
»	علي كوبو	كوركوركا	٤٥	٣٠٠	٣٠
			١٣٥	١٠٠٠	٨٠

كان الجلكا الى زمن غير بعيد يعدون والكوركا عشيرة واحدة ، ثم اختلفوا بينهم وتنازعوا على قرية كابارة ، ولم تكن العلاقات الآن بينهم حسنة ، وهم على جانب من القوة .

(٦) جيلكان : يشتملون على (١٢٠) بيت ، ونفوسهم تبلغ زهاء (٥٠٠) نسمة ، ويملكون نحو (١٢٠) بندقية ، وفدوا قبل نحو ثمانين سنة من نصيبين وماردين ومنهم من طور عابدين وعاشوا في الكهوف والمغارات وبيوت الشعر ثم مالوا الى السكنى وتفرقوا في القرى ولم تكن لهم جامعة تجمعهم ويسكنون الآن في البلد ، وجدالة ، وقزلكند ، وكاباره ، وكاني بابا، ودهولي ، وقويسي ، والجنونية، والنصيرية ، وملك . وسنبحث عنهم في محل آخر .

(٧) الفقراء : ينقسمون الى ست فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم القرية	اسم الرئيس	عدد النفوس	الرجال المسلحون
مالازرو	سم استر	مراد سرحان	٥٠٠	١٠٠
مالا شيرو	جدالة	صيدو حموشيرو	٣٠٠	٦٠
مالا جندو	كرسي	هسن علي	٣٠٠	٦٠
مالا اوصو	اشكفتيان	مراد منت	٤٠٠	٨٠
مالاكاكو	جدالة	حسن كاكو	١٥٠	٣٠
مالا حنو	جدالة	ـ	٦٠	١٠
			١٧١٠	٣٤٠

(أ) يعد مالازرو من أقدم الفقراء فى سنجار والباقون وفدوا من أماكن مختلفة منذ زمن بعيد .

(ب) لم ينحصر سكنى سم استر « سمى هستر » وبردحلي وجدالة بالفقراء وحدهم بل يوجد بينهم ممن ليسوا منهم .

(ج) ان مالا أوصو لم ينحصر سكناهم في اشكفتيان فقط بل يوجد منهم في بردحلي وجدالة . وفقراء اشكفتيان هم حلفاء لمالاشيرو قديما ولا يزالون على حلفهم معهم .

(د) لم يكن لمالاحنو رئيس بل هم تابعون الى مالاشيرو .

كان الفقراء الى ما قبل نحو ستين عاما شرذمة قليلة مستضعفين لا قيمة لهم من الناحية العشائرية وكانوا دوماً هدفا لاعتداء عشيرة الموسقورة وعلى دينا الى أن قيض الله لهم (حمو شيرو) فلم شعثهم وجمع كلمتهم وجعل منهم عشيرة قوية مرهوبة الجانب .

كان حمو شيرو رجلا عصامياً حالفه التوفيق ووافته الفرص وأصبح حاكما على سنجار فعظم شأن الفقراء وتوسعوا فى الأراضي، واكثروا من الزراعة وغرس الاشجار وتربية المواشي حتى أصبحوا أغنى الناس فى الجبل ، وأكثروا من التزوج بالنساء فزاد عددهم ، واقتنوا جيد السلاح فقويت شوكتهم . وبعد وفاة حمو شيرو انتقلت الرئاسة الى ولده « خديدة » فكان رجلا كيساً عاقلا فرفع من شأن الفقراء ، وأوجد اتفاقا بين بقية القبائل اليزيدية ، فساد الجبل السكون وعمه الأمن . إلا ان خطته التي سار عليها لم تكن لترق لبعض الفقراء الذين لا يميلون اليه كثيراً فعقدوا النية على اغتياله ليصفوا لهم الجو ويلعبوا دورهم الذى أرادوه . فما كان منهم إلا ان اغتالوه على يد صبي يقال انه لم يكن كامل الشعور . فاضطربت الافكار ، واختل التوازن العشائري فى الجبل ، وأصبحت الحالة تنذر بالخطر . وكان من نتيجة ذلك ان أضاع بيت حمو شيرو نفوذهم وليس فيهم من يسد الفراغ الذي حصل فى قتل زعيمهم . وقد أعقبه برئاسة الفقراء أخوه الفقير « صيدو » إلا انه ضعيف الارادة ، ساذجاً لا يقدر على شيء . وقد أجرى الصلح مع بيت « جندو » قاتلي أخيه وأعادهم الى محلهم وبذلك أزال النفور بين الفقراء وجمع كلمتهم من جديد ..

ان الفقراء فى جبل سنجار لم يكونوا عشيرة واحدة ، بل يرجعون الى قبائل مختلفة فأكثرهم من عشيرة « الشرقيان » ، ثم يليهم سكان جبل سنجار الأصليين - ويرجح أن يكونوا نصارى الجبل القدماء - وفيهم من عشيرة « الدنادية » ومنهم حموشيرو . وقد قبلوا جميعهم رئاسة حموشيرو لما وجدوه فيه من الصفات التي تؤهله للرئاسة - وهى أن يكون شجاعا ، لا يعرف الهزيمة فى الحروب ، صلب لا تلين له قناة ، عنوداً لا يرحم عدوه اذا ظفر به - وهذه هي الصفات التي كان يمتاز بها ، وإلا فالتقليد العشائري لا يسمح لعشيرة ان تقبل رئاسة أحد ما لم تربطه بها رابطة العصبية والدم . واذا كان الفقراء اعترفوا برئاسة حمو شيرو عليهم ، ثم برئاسة ولده خديدة ، ويعترفون الآن برئاسة الفقير صيدو بن الفقير حمو شيرو ، فلكل فرقة رئيس لا يقل شأنا عمن ذكرناهم ، منهم: الفقير « مراد سرحان » كبير بيت زرو ، والفقير « هسن بن علي » كبير بيت جندو وعشيرته قوية للغاية، و «حسن كاكو » كبير بيت كاكو وهو ذو ثراء واسع .

«٨» جفرية :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد النفوس	الرجال المسلحون
جفرية	-	جفرية	٣٥٠	٤٠

«٩» الحليفية :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد النفوس	الرجال المسلحون
حليقية	مراد ابراهيم	حليقية	٥٠٠	٥٠

ومنهم من يسكن فى قرية كيلى مندى ودريزى ويعدون والجفرية شعباً واحداً ولم يثبتالها مكانة قوية وقد يتحالفون تارة معالسموقيين ، وتارة مع الجلكا والكوركوركة وينضوون اليهم .

«١٠» المندكان : ينقسمون الى ست فرق ثلاث منهم يزيديون ، وثلاث مسلمون وهذه اسماؤهم :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامه	عدد البيوت	مقدار النفوس	الرجال المسلحون
شهوانية	خلف حسين رشك	شيخ خنس	٧٠	٥٠٠	٥٠
عزويى	قاسم حسين	ديلوخان	١٠٠	٨٠٠	٨٠
كلشى	قاسم مطو	حائمية	٣٥	٢٠٠	٣٠
مالاباشوك	كريم باشوك	باشوك	٣٠	٢٠٠	٢٥
مالافندى	حواس بن عمر فندى	تل قصب	٤٠	٣٠٠	٣٥
شيخلره	بيجو قاسم	قابوسية	١١٠	٨٠٠	٦٠
			٣٨٥	٢٨٠٠	٢٨٠

تعد عشيرة المندكان من سكان جبـل سنجار الاصليين ، وكانوا يدينون بالاسـلام وأكثرهم يرجعون الى قبائل عربية معروفة ولا تزال أنسابهم محفوظة ، فالشهوانـية هم من عشيرة الشهوان التي هى فرع من تغلب وكذلك العزويى والكاشى وعندما طغت موجة اليزيدية على جبل سنجار جرفتهم كما جرفت غيرهم ، وقد عاد منهم الى الاسلام قبل نحو عصر ونصف عصر رئيسهم المدعو «هافند» وأسلمت معه زوجته وأناس من أهل بيته ، وعشيرته لم تر اسلامـه عجباً ولم تبد منـه استيحاشاً والروح الاسلامية لا تزال كامنة فى نفوسهم، وقد ظلت معترفة برئاسته ورئاسة رجال بيته بعده ، وعندما كانت الحكومة العثمانية تنكل بيزيدية سنجار لم تكن لتستثنى عشيرته المسلمة وكانت تجري معهم كما تجري مع اليزيدية حتى يروي لنا التاريخ أن الحملة التي أرسلها سليمان باشا والي بغداد سنة ١٢٠٩ هـ على جبل سنجار وأسرت منهـم ستين امرأة وغلامـا وجواري أبكاراً .

وقد ظهرمن ذرية « هافند» بيتان يقال للاول «بيت باشوك» وللآخر« بيت فندي» وهم متمسكين باسلامهم ، وصلاتهم الودية مع المندكان اليزيدية لا تزال محفـوظة

وارتباطهم العشائري معهم قويا .

والمندكان اليزيدية والمسلمون كان لهم في العهد الماضي قوة وشوكة وكانوا على اتفاق دائم مع «الهبابات» ، وفي سنة ١٣١٨ - ١٩٠٠ م جرى لهم موقف مع الفقراء ويرأسهم «حمو شيرو» فأندحروا اندحاراً شنيعا وتركوا ذخائرهم ومواشيهم ومساكنهم بيدهم والتجأوا الى مدينة البلد ، وحلفاؤهم الهبابات لم يعاونوهم وتركوهم فريسة بيد الفقراء ، ويعدون فى الحال الحاضر من أطوع عشائر سنجار ويشتغلون بالزراعة وتربية المواشى وحالة المسلمين منهم خير من اليزيديين .

أما عشيرة (الشيخلره) فهم ليسوا مندكانيين وقـد انضموا اليهم بطريقـة الحلف وأصبحوا يعدون منهم وهم اكراد سنيون ويحافظون على صلاتهم ولهم جامع كبير فى قريتهم (القابوسية) ومهنتهم الزراعة وتربية الماشية ويعدون أطوع العشائر في الجبل ، والمظنون أنهم وفدوا من تلعفر .

(١١) الرشكان : عشيرة رحالة تسكن ناحية زمار من أعمال تلعفر ، نزح قسم كبير منهم الى سنجار إبان الحرب العامة الأولى طلباً للمرعى وهرباً من اعتداء العشائر المسلمة واستوطنوا قرية كني ، وشنانيك ، وكله خان ، وكوهبل ، وكورلند ، وبرانه بصورة متفرقة ويبلغون زهاء(٤٠٠) نسمة وأكثرهم مسلحون بالبنادق ، وهم أهل ماشية وكانوا على العهد العثماني يدفعون الأتاوة الى العشائر المسلمة . وقد اعتدت عليهم عشيرة الجحيش وهم قاصدون الجبل سنة ١٩١٤ ونهبت أموالهم وقتلت منهم بضعة أشخاص وسبت أربع فتيات ثم أعادوهن اليهم .

وبعد ان وضعت الحرب أوزارها عاد أصحاب الماشيـة منهم الى ناحيـة زمار وبقى الذين لا ماشية لهم فى الجبل . والرشكان عشيرة قديمة ذكرها البدليسي في الفصل الرابع من كتابه (الشرفنامه) كانت تسكن ناحية (طنزة) من أعمال جزيرة ابن عمر وسماها بارشكى والرشكان وسنبحث عنها في محل آخر .

(١٢) الشرقيان : عشيرة كبيرة تسكن ويرانشهر في ماردين. نزح قسم منهم الى سنجار منذ زمن بعيد وانضموا الى الخوركان ، إلا انهم لم يوجدوا لهم كيانا ، وقسم

كبير من الفقراء يرجعون اليهم وسيرد ذكرهم فى محل آخر .

هذا ما توصلنا اليه من معرفة عشائر الخوركان في جبل سنجار . أما (الجوانا) فقد ينتظمون من عشائر ثلاثة مهمة (١) الهبـابات (٢) مهركان (٣) مالا خالتا « بيت خالد » وهذا بيانهم :

(١) الهبابات : ينقسمون الى أربعة أفخاذ وهم كما يأتي :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	مقدار النفوس	الرجال المسلحون
مالا اعطو	مطو خلف	صباحية، نصيرية		
	مراد عطو	شاروق		
	دقو خضر	شهابية		
مالا محمى	خضر صالحوك، عمر خلف	قزلكند، جنعان		
مالا ستى	...	...		
مالا عمروك	برجس بن خضر عمروك	قصركي، آجه		
			٨٥٠	٣٥٠

يعدون الهبابات من أقوى عشائر سنجار وكان لهم هيبة وصولة ، وكثيراً ما أوقعت الحكومة العثمانية فيهم وكبدتهم خسائر جسيمة بالأرواح والأموال ، وعندما أوجدت الحكومة العثمانية تشكيلات ادارية فى جبل سنجار واتخذت مدينة (البلد) مركزاً للقضاء تقربوا منها واكتسبوا ثقتها واكثرهم يسكنون مدينة البلد والقرى المجاورة لها وكانوا ولا يزالون المحور الذى تدور عليه الاتفاقات والمؤامرات فى الجبل ، والجانب الذى ينظمون اليه يكون على الاكثر هو الغالب ، وكان يترأسهم (خضر محمد كهية) الذي أربى على المئة والثلاثين سـنة من عمره ومات عام ١٩٠٥م وكان زعيما بكل معنى الكلمة وله نفوذ يشمل الجبل كله ، وكانت الحكومة تراعي جانبه وتنزل عند رأيه فى بعض المهات ، وله الآن من الأولاد والأحفاد ما يزيد على المائة والخمسين نسمة وزعامة هذه العشيرة تنحصـر فى أولاده نذكر منهم (دقو بن خضر محمد كهية) كبير قرية

الشاروق وهو ليس بالرجـل المؤمن ، و (عطو بن علي بن خضر محمد كهية) يسكن كذلك في قرية الشاروق ، و (مراد بن عطو بن خضر محمد كهية) كبير قرية الشهـابية وفيه كياسة وعقل ومطاع بين عشيرته ، و (مطو) بن خلف بن خضر بن محمد في مدينة البلد وقد انتخب عضواً في المجلس النيابي لسنة ١٩٤٧ عن قضاء سنجار .

ولم يكن بيت عطو ويراد بهم بيت خضر محمد كهية على اتفاق مع بيت محمي وقد وقع بينهم حروب ذهب فيها نفوس كثيرة من الطرفين ولا أمل الآن في اتفاقهم .

ويقال ان الهبابات بالأصل عرب من طي وهم اولاد من يسمونه (هبابا) بينما ذكر لي (صالح محمد عبدو) كبير مالا محمى انهم من نسل عمر بن الخطاب .

وفي حملة حافظ محمد باشا على سنجار سنة (١٨٣٥م) أسلم منهم ثلاثة أشخاص وهم: قاسو علي، وملا حسن، وحاجي سارة ، ويوجد الآن من أحفادهم نحو ثلاثين نسمة يدعون بالاسلامية ولكنهم لا يعرفون إلا إسمها ويجوز انه أسلم على عهد حافظ محمد باشا كثير من الهبابات اليزيديين ولكنهم ارتدوا .

(٢) المهركان : فرقة كبيرة تضم شعوبا وأفخاذ كثيرة تحمل هذا الاسم وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة
مهركان	داؤد الداؤد	بارانه ، زيروان ، مهركان ، تل يوسفكه ، شوركان ، زبده خان ، باجسي ، نميلي ، بكران ، جم جفران ، همدان ، باخليف

***

لم يكن المهركانيون عشيرة قائمة بذاتها بل مجموعة عشائر عدة أهمهم (علي فره) و(عسنه) و (كولكان) و (هسكا آيي) ويعدون من أقوى عشائر جبل سنجار وأكثرهم نفوذاً وأشدهم خطراً . وما قامت الحكومة العثمانية بحملة على سنجار إلا وكان لهم نصيب منها. وقد ظلوا على أعمالهم العدائية بعد تبدل الحكم في العراق ورفعوا لواء العصيان في وجه الحكومة الحاضرة أكثر من مرة فنكلت بهم واضطرت رئيسهم الى الهرب خارج العراق

ثم قبضت عليه وأبعدته الى الألوية الجنوبية مرة ومرتين وثلاثاً ولم تكن هذه الاجراءآت لتشفي داء الجهل والتمرد المتأصل في نفوسهم ولا يزالون دائبين على أعمالهم المخلة بالأمن والنظام.

والهسكاآيي يعدون والمهركان عشيرة واحدة ، ثم افترقوا عنهم وأوجدوا من كل من أهالي قرية همدان وباخليف وقرية النحيلي وباجسة المسلمتين وبيت محمى من الهبابات جبهة ضدهم وجرى بينهم مقاتلات قل فيها أشخاص من الطرفين.

وعلى ما يدعيه الخبيرون بأنساب اليزيدية ان الهسكاآيي والبكرانيين سكان قرية بكران وشوركان وجم جفران لم يكونوا بالاصل من عشيرة المهركان وانما التحقوا بهم منذ زمن بعيد لاعتبارات عشائرية وأصبحوا يعدون منهم والهسكاآيي هم من الهسكان السموقيين، والبكرانيين من عشيرة الدنادية (دنا) بينما آخرون ينفون هذا القول ويؤيدون كونهم من عشيرة المهركان ، ويوجد بضع بيوت مسلمون في قرية همدان وباجسة يقال لهم «قسطومى» يرجعون الى الهسكاآيي أسلموا على عهد حافظ محمد باشا ، يبلغ نفوسهم نحو خمسين نسمة.

(٣) بيت خالد «مالاخالتا» ويعرفون «بالموسقورة» وهذا بيانهم :

اسم العشيرة	محل الاقامة	اسم الرئيس	عدد البيوت	عدد الأشخاص	الرجال المسلحون
موسقورة	دهولى	حسين برجس	٣٥	٢٥٠	٣٠
«	قويسي	آيدال رشو	١٢٠	٨٠٠	٦٠
«	طرف	مرادصيدو	٣٠	٢٠٠	٢٠
«	ناصرية	«	١٠	٦٠	٥
«	آديكة	جردوم	٢٥	١٦٠	١٥
علي دينا	بورك	صالح خلف	١٠	٩٠	١٠
«	بيتوني شرقي	حسن دربو	٤٠	٣٠٠	٣٠
«	بيتوني غربي	ابراهيم ابراهيم	٢٠	١٥٠	١٥
«	نكري	بكر عبدي	١٥	١٠٠	١٠

اسم العشيرة	محل الاقامة	اسم الرئيس	عدد البيوت	عدد الاشخاص	الرجال المسلحون
»	راشد	ششو خلف	٣٥	٢٧٠	٣٠
»	على دينا	رشو قولو	٥٠	٣٠٠	٤٠
»	يوسفان	خلف علي مراد	٧٠	٤٠٠	٤٠
»	كري عربا	صالح كربو	٣٠	٢٠٠	١٥
»	قني	»	١٠	٨٠	١٥
»	كندى كيلى	قبالو بيسو	٢٠	١٦٠	١٥
			٥٢٠	٣٥٢٠	٣٤٥

يقال ان بيت خالد او كما يسميهم الاكراد (مالاخالتـا) هم اولاد شخص يدعي (دنبلان- دومبلان) وقد خلف ستة اولاد وهم (١) موسقور (٢) عليدين (٣)حسن (٤) حسين (٥) خنى (٦) خفشى ، فالذين تناسلوا من موسقور عرفوا باسمه ، والذين تناسلوا من الاخوة الباقين عرفوا باسم عليدين ، والصحيح ان (الموسقورة) لا علاقة لهم ببيت خالد أصلا ، واذا كانوا يعدون وإياهم من عشيرة واحدة فيختلفون عنهم بالنسب إذ حسبما يفهم من كلام المؤرخ البدليسي ان عشيرة (الخالدي) او (بيت خالد) كانت في بدء أمرها تستوطن ناحية (حسنكيف ـ حصنكيفا) وفي أواخر القرن العاشر الهجري نزحت الى ناحية (أرزن) وكانت موجودة قبل هذا التاريخ بأكثر من عصريين الا انها لم تكن إذ ذاك من السعة والقوة كما عرفت به أخيراً ، وقد انتشرت في دياربكر والبشيرية وميافارقين (١) وسميت هذه المنطقة الواسعة بها (اي بلاد الخالتية) ونزح قسم كبير منهم الى سنجار وهم الذين عرفناهم ببيت خالد او مالىخالتا .

أما (الموسقورة) فهم من عشيرة (دنبلى) او (دنبـلى بخت) او (بيت نبـلان)

١) بتشديد اليـاء : مدينة تقع على نهر يصب على نهر البوطان أحد روافد دجـلة تقع على بعد (٧٠) كيلومتراً من شمال شرقي ديار بكر وهي قديمة ترجع الى عهد الرومانيين ويقال انها بنـاء الفرس وتعرف الان بـ « سلوان » وقد اشتهرت فى العصور الوسطى للاسلام وأصبحت مقراً لبعض طوائف الملوك على عهد العباسيين واتسع عمرانها ، وكثرت مساجدها ، ووصفها الشعراء فى اشعارهم وفيها قبر سيف الدولة الحمداني وأمه .

ويعدون أرفع نسباً وأعظم مكانة من بيت خالد إلا أن الأحداث التى عصفت بهم فرقتهم أيدي سبا ، وأضاعتهم مكانتهم ، إذ على ما يقوله البدليسي انهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون ناحية «طنزة (١)» من أعمال جزيرة ابن عمر ويتصل نسبهم بشخص يدعى « عيسى » من عرب الشام ، وفدها الى « اذربيجان » واستوطنوا « سكمن آباد » ويقول : وعلى أصح الروايات انهم جاؤوا من « بختى » وعرفوا بين الأكراد « بدنبلى بخت » .

وقد اتسع نفوذهم وعظم شأنهم على عهد الحكومة « الباينديرية » واستولوا على قسم من ولاية «الهكارى» وقلعة « باي » . وفى عهد حكومة الشاه طهماسب (٩١٩-٩٨٣هـ) أضيف الى ممتلكاتهم أيالة «خوى» وفوضت اليهم محافظة القلاع والثغور .

وقد اطنب البدليسى في البحث عن الأمراء الذين ظهروا منهم خلال القرن العاشر الهجري وما كان لهم من حوادث على عهد الملوك الايرانيين، لاسيما على عهد الشاه طهماسب الذي كان يتنكر لهم ويعمل السيف فيهم تارة ، ويعطف عليهم ويوسع فى إقطاعاتهم أخرى ، وخلاصة ما يفهم من كلامه ان عشيرة « دنبلى » هى أصلب عوداً وأشد مراساً من جميع العشائر التى ظهرت على ذلك العهد . وقد استغلوا الحروب التى كانت قائمة بين الايرانيين والعثمانيين وأحرزوا مكانة لم تكن من نصيب عشيرة اخرى غيرها .

وفي عام ١٥٠٠ هـ تنقطع عنا اخبار البدليسي ولم نقف على ما آل اليه مصير هذه العشيرة وكيف رحلت هذه الشرذمة القليلة منها الى سنجار وانضوت الى بيت خالد وأصبحت تعد منهم .

***

١) بليدة : قريبة من جزيرة ابن عمر تقع على الضفة اليسرى لنهر البوطان ظهر منها علماء كثيرون والنسبة اليها طنزي وفى وفيات الاعيان في ترجمة ابي الفضل يحيى بن سلامة الملقب معين الدين الحصكفى (نسبة الى حصنكيفا) : « خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ونسبوا اليها . قال عماد الدين الاصفهانى الكاتب في كتاب الخريدة منها : ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الطنزى وهو القائل :

واني لمشتاق الى ارض طنزة	وان خانني بعد التفرق اخواني
سقى الله ارضاً لو ظفرت بتربها	كحلت بها من شدةالشوق اجفاني

(انتهى)

ويوجد الآن في سنجار نحو خمسة عشر بيتاً من « الدنبلية » المسلمون يسكنون قرية « كرسي » و « كرى زركه » يقال أنهم جاؤوا من ديار بكر ولم نتأكد هل انهم جاؤوا مسلمين وظلوا على اسلاميتهم ، ام جاؤوا يزيدية ثم أسلموا ؟ وفي شرفنامه (ص٤٠٠) ان الدنبلية كانوا جميعاً على المذهب اليزيدي فرجع قسم منهم الى طريقة أهل السنة والجماعة وظل الباقون على يزيديتهم .

وفي قاموس المحبط فى كلمة (دنبل) انها قبيلة كردية في حوالي الموصل ومنها « احمد بن نصير الفقيه الشافعي » و « علي بن بكر بن سلمان المحدث » الدنبليان .

خيسك : عشيرة صغيرة لا تتجاوز نفوسها على (١٢٠) نسمة تسكن قرية « تربكاه » و « بشتكيري » ويطلق عليها اسم « قفجكاه » ويقال ان قفجكاه هذا هو خادم الشيخ شرف الدين ومن ذريته . غير ان التقليد الديني لا يؤيد صحة هذا الخبر وهم في وضعهم لا يتميزون عن المريدين وقد يعيشون فى حياد تام ويبتعدون عن الفتن والدسايس التى تظهر فى الجبل ما لم يضطرون اليها .

﴿ العشائر الكردية المسلمة في جبل سنجار ﴾

بعد ان طغت اليزيدية على جبل سنجار واكتسحت الديانتين النصرانية والاسلامية بقى للاسلامية فيه أثر ضئيل جداً وهؤلاء لم يحافظوا على بقائهم بقوة السيف ، بل بانضوائهم الى العشائر اليزيدية الوافدة ودخولهم تحت حمايتهم ، فمن هؤلاء (البابلوات) في البلد وفي بعض القرى المجاورة له . وعشيرة كلب علي وعبدعلي وبيت ناصو والهلالية الذين ظلوا عائشين مع عشيرة « الموسقورة » واستسلموا لهم وشاركوهم فى سرائهم وضرائهم ، ويحتمل ان قد بقى في الجبل غير هذه العشائر واندمجوا فى اليزيدية وضاع أثرهم .

﴿ البابلوات (١) ﴾

ينقسمون الى فرقتين ، فرقة تسمى باباوات « بير زكر (٢) » وفرقة تسمى باباوات

١) البابا بمعنى الاب وهو تعبير يستعمله الشيعة الرافضيون ، ويفيد معنى المربي ويشترط اطلاقه على من يحمل صفة السيادة . وللبابا عادات يجمعها من مريديه وهو بمنزلة البير عند اليزيدية .

٢) له مرقد في محلة الواقعية القديمة في مدينة البلد فى سنجار . ويقال انه من ذرية الامام موسى-

« ست زينب (١) » وكلتا الفرقتين تعتقدان بألوهية «علي» والرجعة والحلول وتحللان الخمر ويعدون نفسهم بكتاشية (٢) وهي الطريقة التي كانت منتشرة بكثرة في اسطنبول والأناضول وكانت لها الكلمة في البلاط العثماني على عهد السلطان عبدالحميد .

فكيف استطاع أصحاب هذا المذهب ان يعيشوا طيلة هذا الزمن في جبل سنجار جنباً الى جنب مع اليزيدية مع ما هم عليه من الاختلاف في العقيدة والمبدأ ، وشتان بين من يعبد (علياً) ويعبد (يزيداً) ؟ وكيف تمكنوا من ان يحافظوا على بقائهم ؟ والجواب : ان الضعيف يرضخ بحكم الضرورة لمن هو أقوى منه وينقاد له ويعمل بكل ما يرضيه ليكون في مأمن من اعتدائه ، وهذا ما كان من أمر هؤلاء البابابوات ، فقد استسلموا لعشيرة (الهبابات) اليزيدية القوية وعاشوا في كنفهم وقاتلوا في صفوفهم ، ووقفوا معهم جنباً الى جنب في محاربتهم الجيوش العثمانية وغيرهم من غزاة المسلمين وكانوا يقتلون ويقتلون في سبيلهم ، وزادوا على ذلك ان شاركوهم في زيارة (الطاؤوس) وتقديم نذورهم وخيراتهم وصدقاتهم اليه ، كما ان الهبابات اليزيدية دافعوا عنهم وشاركوهم في زيارة (بير زكر) واحتفلوا وإياهم (بالطوافة) التي يقيمونها تكريماً له كل سنة . ويتعذر التفريق بينهم وبين اليزيدية سواء بلباسهم او حديثهم او عاداتهم فهل دام هذا التآخي بينهم الى النهاية ؟ واذا لم يدم فما هو سببه ؟ إننا لا نشك في ان البابابوات الذين عاشوا دهراً طويلا في كنف الهبابات ولاقوا منهم مودة وعطفاً الى حين نشوب الحرب العظمى الأولى لم يكونوا ليجحدوا صنيعهم معهم ويحفظوا لهم غاية الاخلاص والود . وعندما أخذ بعض النصارى يفدون الى الجبل من ماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر هرباً من اعتداء الأتراك ورأوا الوئام والاتفاق السائد بين المسلمين واليزيديين لم يرق لهم ، وأخذوا يوقعون الضغينة بينهم ويعملون على تنفيرهم البعض من البعض ليخلو لهم الجو ويصطادون منافعهم . وصادف ان تولى (حمو شيرو) حاكمية الجبل طيلة مدة

الكاظم ويدعي سدنته انهم من ذريته .

١) من المحتمل انهم يرمزون بها عن السيدة زينب بنت فاطمة الزهراء الا انهم لا يعرفون شيئاً عنها.

٢) الطريقة التي أسسها الحاج بكتاش ولي احد كبار الاولياء ويقال ان نسبه يتصل بالامام موسى الكاظم .

الاحتلال البريطاني فلاقت دعايات هؤلاء الدخلاء سبيلا الى نفسه فقلب للمسلمين عامة ظهر المجن وفي ضمنهم الموصليون القاطنون في مدينة البلد ويربون على ثلثماية بيت وعاملهم بما لا يتفق والتقاليد التي يتبعها اليزيدية منذ القديم مع مواطنيهم المسلمين وجرح عواطفهم وأحرج موقفهم . وكان من نتيجة ذلك أن تولدت الكراهية والبغضاء في قلوب فريق ضد الآخر ، وأخذ الهبابات يعاملون البابا وات بكل أذى وجفاء ناسين العهود التي كانت بينهم .

والباباوات أناس وديعون مسالمون ، جادون في استثمار أراضيهم واكتساب معاشهم من طريق السعي والعمل ، وتغلب عليهم روح الأمن والسكينة ، ولرؤسائهم مكانة محترمة في نظر الشيعة في تلعفر ، والشبك في الموصل ، ويتقدمون اليهم بتقبيل أيديهم وتقديم خيراتهم اليهم .

أما باباوات (بير زكر) فرئيسهم في الحال الحاضر (حسن بن زكر) الذي يزعم أنه من سلالة جعفر الصادق ويقطن مدينة سنجار ، وهو رجل لين العريكة ، رضي الخلق ، إلا أنه لا يتقيد بدين .

وأما باباوات (ست زينب) فكبيرهم (حسن بن يوسف كهية) وهو على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وله ذاكرة قوية وعقل راجح وقد كف بصره قبل بضعة أعوام .

***

ولنبحث الآن عن عشيرة كلب علي ، وعبد علي ، وبيت ناصو ، والهلالية ، ويقال لمجموعهم (اعبادة) يسكنون منذ القديم بين عشيرة (الموسقورة) في قرية طرف وآديكه وقويسى بصورة متفرقة وقد لا يفرق وضعهم معهم عن وضع الباباوات مع الهبابات وربما يمتازون عليهم بحدب زعمائهم عليهم . وكان (صفوك) عظيم الجبل وكبير الموسقورة يقربهم منه ويعطف عليهم . والجوانا جميعاً يحدبون على المسلمين على خلاف الخوركان الذين لم يعطفوا يوماً على مسلم ويعاملوه بالحسنى . ويكفي الاعتداء الذي وجهه القيرانيون على مجاوريهم (الكوابرة) المسلمين وضبطهم أراضيهم وطردهم خارج منطقة سنجار .

والموسقورة لم يبقوا على سابق ودهم مع المسلمين وقد جفوهم في السنين الأخيرة وأساؤوا العمل معهم .

﴿ العشائر المسلمة الأخرى في جبل سنجار ﴾

الخاتونية او الخواتنة : عشيرة كبيرة تسكن صحراء سنجار منذ القـديم ، ولسبب مجاورتها اليزيدية صارت نصف كردية ولم يعرف الى أية قبيلة من القبائل العربية ترجع في أصلها . وينحصر سكناها في قرية (الخاتونية) التي سميت بها وفي قرية « جدالة »(١) في لحف جبل سنجار في الجهة القبلي منه . ولقرية (الخاتونية) ذكر في التاريخ وكان لها قلعة صغيرة وفيها مسجد أو مساجد وتقع في وسط بحيرة الخاتونية المشهورة ، يوصلها من البر طريق ضيق . وكان قد حاصرها حسن باشا والي بغداد سنة ١١٢٧هـ - ١٧١٥م عندما تحصن بها يزيدية شمالي سنجار وضربها بالمدافع ، وقد دخلت الآن في حـوزة الجمهورية السورية بعد تحديد الحدود بينها وبين العراق .

أما قرية (جدالة) فقد أخرجها من يدهم حمو شيرو رئيس الفقراء واستقل فيها ، فعوضتهم الحكومة بدلا عنها قرية « عين الحصان » الا ان الأقدار لم تساعدهم من الاحتفاظ بها تماما فتخلوا عن النصف منها الى الشيخ عجيل كبير مشائخ شمر ويعيشون الآن في حالة لا يحسدون عليها .

***

١) جاء في معجم البلدان : انها قرية كبيرة عامرة على تل عال ، وعندها خان حسن عامر ، وأهلها نصارى ولها ذكر في الشعر القديم . قال رجل من بني حي بن النمر بن قاسط يهجو رجلا من بني زبيد يقال له خالد :

أيا جبلي سنجار هلا دققتما	بركنيكما أنف الزبيدي اجمعا
لعمرك ما جاءت زبيد لهجرة	ولكنها جاءت أرامـل جـوعا
وتبكي على ارض الحجاز وقد رأى	جرائب خمسا من جدال فأربعا

وقد زرتها اكثر من مرة فاعجبني حسن موقعها وبهاء منظرها ومياهها المتدفقة وسـهولها المترامية وهي تقع في لحف جبل سنجار العالي الذري ويعاب عليها عدم انتظام مبانيها وضيق طرقها ، الا ان بيوتها نظيفة كاكثر بيوت اليزيدية في سنجار ، وفيها خرائب قديمة لم يبق الا رسومها . وفي جنـوب القرية على هضبة عالية أثر بناء كبير ارجح اما ان يكون ديراً للنصارى او قصراً لامير . وقد زارتها بعثـة معهد ليفربول للآثار القديمة وبحثت عنها في تقريرها الذي رفعته الى الحكومة العراقية .

﴿ الدقوريون ﴾

لم تكن هذه العشيرة لتعرف قبلا بهذا الأسم والمعروف انها نخذ من « الخواتنة » ولما أفل نجم الخواتنة أخذت تدعي نفسها بالدقورية، وهي ليست من الدقورية ولا الدقورية منها ، وقد تسكن مدينة البلد ونفوسها تناهز الثلثماية وأهلها اسلام سنيون ومهنتهم الزراعة وتربية الماشية ومناسباتهم مع اليزيدية حسنة وكذلك مع بقية العشائر المسلمة المجاورة لهم .

﴿ الشيخان وعشائره وحالته الحاضرة ﴾

سميت هذه الكورة « بالشيخان » لكثرة شيوخها الروحيين وهم الذين ترجع الديانة اليزيدية اليهم ، وليزيدية الشيخان في سابق العهد صولة وجولة ورهبة وهيبة ، وكانت العشائر المسلمة تخافهم وتجتنب في سكناها عنهم ، وبعد ان غلبوا على أمرهم وقل عددهم وضعف نفوذهم انقلبت الآية وأخذوا يخافون المسلم ويبتعدون عنه وسنرى في أبحاثنا الآتية ان أسباب ضياعهم قوتهم ومنعتهم هي النكبة الهائلة التي أوقعها فيهم أمير الصوران محمد باشا الراوندوزي المعروف بمير كوره سنة (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢) بينما وقع بيزيدية سنجار ما هو أشد وأقوى منها وصمدوا لها .

كانت مواطنهم التي يسكنونها قبل ان حلت كارثة أمير راندوز فيهم تبدأ من نهر الزاب الأعلى الى نهر خابور الحسنية بما في هذه المنطقة الواسعة من ناحية السورجية وعشائر السبعة وناحية الشيخان وجبل مقلوب وناحية السلفانية حتى نهر دجلة وكانت قصبة دهوك نفسها مسكونة فيهم وكانت نفوسهم تزيد على ١٠٠ الف نسمة بينما لم يتجاوز سكناهم الآن على عشرة آلاف نسمة .

ويزيدية الشيخان ينقسمون الى قسمين رئيسيين وهم الروحيون والمريدون فالروحيون هم الأمراء والبسميرية والشيوخ والبيرة وينتمون الى سلالات معروفة، والمريدون هم عامة الشعب ويرجعون الى عشائر متعددة ، والغالب انهم وفدوا من أماكن مختلفة وهذه اسماؤهم واسماء عشائرهم :

١- باستكي : ويقال لهم « جهصاني » لم نتوصل الى معرفتهم وهم قليلون

٢- بله سيني : كذلك لا يعرف شيء عن أصلهم .

٣- بيده يي : كذلك لا يعرف شيء عن أصلهم وفى جبال الزورية قرية اسمها « بيده » ولا يعلم عن انهم خرجوا منها قديماً وعرفوا بها .

٤- ترك : يدل اسمهم على انهم بالأصل ترك ولكن لا يعلم عنهم شيئاً .

٥- حكارى : يجوز ان تكون نسبتهم الى « الحكارية » .

٦- خيسكي : لم نتوصل الى معرفتهم .

٧- دوسكي : معناه بالكردية ذي الكتفين او الهضبتين ولا نعلم القصد من هذه التسمية

٨- دنا : ويقال لهم « الدنادية » وهم من أهم عشائر اليزيدية في الشيخان وعددهم كثير ، وقد ورد ذكرهم فى تاريخ الأكراد ، ويقال انهم وفدوا من ويران شهر في ماردين وعاد قسم منهم الى وطنهم وقسم نزح الى سنجار .

٩- روبنشتي : يطلق مجازاً على صفيق الوجه قليل الحياء وهم نخذ من الدنادية .

١٠- طازى : ورد ذكرهم فى مواقع كثيرة وأصلهم عرب ، يقال انهم وفدوا مع الشيخ عدي من الشام .

١١- قائدي : أقدم عشيرة في الشيخان يقال انهم اتباع او ذرية « قائد » خادم الشيخ عدي ولهم امتيازات خاصة في عيد الجماعية .

١٢- كرني : لم نتوصل الى معرفتهم .

١٣- ماموسي: لم نتوصل الى معرفتهم .

١٤- هراقي : لم نتوصل الى معرفتهم .

روزكي : جاء فى « الشرفنامة » بحثاً مفصلا عن عشيرة تسمى « روزكي » في ولاية بدليس وعن الحوادث التى جرت لها على عهد سلطنة السلطان سليم ياوز العثماني وملوك الفرس ولا نعلم هل من الجائز ان تكون هذه العشيرة منها ومتى جاءت الى هذه الانحاء وكيف اعتنقت اليزيدية ؟

هذه هي العشائر اليزيدية في الشيخان ، وترى ان جميعهم مشكوك فى اصلهم ونسبهم وليس بالوسع ارجاعهم الى اصول معروفة باستثناء عشيرة « القائدية » و « الدنادية »

اللتان لها كيان معروف . ولذا نجد العادات والتقاليد العشائرية مفقودة عندهم . وقد يكون الفرد مسؤولا عن عمله ولا يجعل نفسه مقيداً بعمل غيره خلافاً ليزيدية سنجار، فروح التعاون والتضامن قوية عندهم ، وتكون العشيرة بأسرها مسؤولة عن عمل يوقعه احد افرادها . وكم من غائلة حدثت بين عشيرة واخرى بسبب عمل فردي يقع بين شخص وآخر .

ان هذا التفكك والتخاذل الذي مني به يزيدية الشيخان هو الذي أدى الى ضعفهم وامتداد أيدي الأجانب اليهم فسلبوهم عقاراتهم وأراضيهم وجعلوهم لا يملكون شيئا ، والرجال الروحيين الذين قبضوا على مقدراتهم الدينية والدنيوية لا يفتأون من مص دمائهم وسيبقون هكذا ما لم تظهر معجزة تنقذهم من هذا السقوط المريع .

وهذه اسماء القرى المأهولة فيهم في قضائي دهوك والشيخان:

١) الماان ٢) أيسيان ٣) بابيره ٤) باعذرة ٥) باقصره ٦) باورصيان
٧) بحزاني ٨) بعشيقة ٩) بقاق ١٠) بوزان ١١) بيبان ١٢) بيت نار
١٣) بيرستك ١٤) بيوز ١٥) تلخشف ١٦) جراحية ١٧) جروانه
١٨) جكان ١٩) جم بركات ٢٠) حسنية ٢١) خانك ٢٢) خرشنه
٢٣) خطاره كبير ٢٤) خطاره صغير ٢٥) خورزا ٢٦) خوشابا ٢٧) دهكان
٢٨) دهكان ٢٩) دوشيفان ٣٠) ديدبان ٣١) دوغات ٣٢) ربيبي
٣٣) ركابة ٣٤) زينيات ٣٥) سريشكه ٣٦) سينا ٣٧) شارى
٣٨) شيخ خدرى ٣٩) صوركه ٤٠) طفتيان ٤١) عين‌سفني ٤٢) قصريزدين
٤٣) قبغ ٤٤) كابارة ٤٥) كبرتو ٤٦) كرخالص ٤٧) كرشكست
٤٨) كري بحن ٤٩) كندالة ٥٠) مام رشان ٥١) محمودان ٥٢) مشرفة
٥٣) مقبلة ٥٤) موسكان ٥٥) مهد ٥٦) نصيرية .

ان هذه القرى ليست ملكا لهم وقليل منهم من يملك ارضاً ويتصرف فيها باستثناء قرية « باعذرة » فهي ملك للأمراء ، وقد يحاول البعض اخراجها من أيديهم .

***

﴿ في ذكر العشائر اليزيدية ومواطنهم خارج الشيخان وسنجار ﴾

موسانه موسسان : في قضاء زاخو يسكنون قرية « باجدة » و « باجدة » على نهر دجلة . كان لهم فيما مضى قوة وشوكة وكانوا يصلون بغازيهم الى جبل مقلوب ، وقد سماهم صاحب كتاب أم العبر بـ « الكشاغية » .

هويرية : في قضاء زاخو يسكنون الخيام المصنوعة من بيوت الشعر « شعر المعز » ومهنتهم تربية الأغنام ، وقليل من يشتغل منهم بالزراعة وهم كثيرون يربون على خمسماية بيت وجميعهم يحملون البنادق . ويوجد منهم في ناحية « شريخ » وناحية الصلوبية « ناورو » في قضاء الجزيرة في الجمهورية التركية وكلهم دعار ولصوص .

وقد سماهم صاحب خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (ص ٤٢٤) بهاوري وهاوراكا وهويركان وهاوراكانيين وهو تحريف فاضح . واعتقد بوجود ١٨٠٠ أسرة منهم في « طور عابدين » و « نصيبين » نصفهم مسلمون والنصف الآخر نصارى وقد اعتمد في نقل هذا الخبر على « تراث الخلفاء » للسير مارك سايكس دون تحقيق .

ماسكي : في قضاء زاخو يسكنون قرية « ديربون » كان لهم رئيس اسمه درويش بوري عرفته ذو أخلاق سيئة . وماسكي عشيرة قديمة جداً كانت تسكن ناحية « طنزة » من أعمال جزيرة ابن عمر .

رشكان : يسكنون ناحية زمار في قضاء تلعفر ويوجد منهم في سنجار (وقد سبق البحث عنهم) وهم أهل ماشية وموصوفون بالشجاعة . وفي « شرفنامه » للبدليسي في البحث عن حكام الجزيرة (ص ١٥٩) أنهم كانوا قبلا يسكنون قلعة « ديرده » في ناحية « طنزة » وسماها بالرشكي ، ويرجعون الى مباديء القرن الثامن الهجري .

جيلكي : من عشائر اليزيدية القديمة ، ذكرهم المؤرخ البدليسي في البحث عن أمارة « حصنكيفا » (١) الكردية وقال عنهم : أنهم احدى الثلاث عشرة عشيرة التي كانت

---

١) حصن كيفا او كيبا بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على الدجلة بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وهي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة . وهي الان قصبة صغيرة مركز لناحية في قضاء ميديات ويسميها اهل تلك الجهات اسكيف .

تخضع لهذه الامارة ويسكنون ناحية « هيثم » أما الآن فيسكنون «طورعابدين»(١) - وهو موطنهم الأصلي - في قرية كفناس ، طاقا ، خرابيه ، آفشين ، بازار ، باجن ، شوشان ، كلي صورا ، كييوخ ، كلي كلي ، وهم على جانب من القوة والشجاعة ، وقلما استطاع مجاوروهم المسلمين من النيل منهم ، وذلك لمناعة جبالهم وحصانة معاقلهم، ووعورة المسالك المؤدية اليهم . وقد يعيشون في كهوف ومغارات نحتت في الأزمنة قبل التاريخ ، وهي واسعة جداً يستوعب البعض منها مئات النفوس . ولأهل كل قرية صهريج او أكثر يدخرون فيه من مياه الأمطار ما يكفيهم هم وماشيتهم طيلة أيامالسنة. ومهنتهم تربية الماشية وقليل من الزراعة ، وهم منحطون في جميع مناحي الحياة ودأبهم السلب والنهب والفتك بكل من يقع في يدهم - راجع رحلتنا الى طور عابدين -

وطور عابدين هو من أهم المراكز الكردية وقد جاء ذكره في كتب المعاجم والتاريخ وكان الى حدود منتصف القرن الثالث عشر الهجري (١٨٣٤م) وهو الزمن الذيقضي فيه على الأمارات الكردية ، مسرحا لحوادث هامة، وقامت فيه أمارات كردية مختلفة ، ومنه انتقلت الكردية أولا ، واليزيدية ثانيا الى جبل سنجار حيث كان حلقة اتصال بينه وبين البلاد الكردية الشرقية في قديم العهد .

بلكان : عشيرة يزيدية تسكن قرية قولكا ويوجان في قضاء نصيبين .

داسكان : عشيرة يزيدية قوية تسكن جبل داسكان قريبا من نصيبين يتزعمها أناس من عشيرة « الجلكا » ويوجد منهم جماعة كبيرة في قرية « مزكفتي » و « تلبسبي» في قضاء « القامشلي » في سوريا ومنهم في سنجار .

---

٢) يقول المستشرق الميجر (صون) في كتابه « سياحة متنكرة في ما بين النهرين و كردستان» ان ذلك الجبل المظلم والشاهق الذي كان يسمى (نيفات) والذي نسيناه الان - يقصد طور عابدين - في حوض (تيجرس) كان حداً شرقياً لبلاد آشور في عهد ملكها (تيجلات بليسر) في سنة ١١٠٠ ق . م . ومعنى طور في النبطية ، الجبل . فيقال طورزيتا وطورسينا وطور عابدين . وعلى ما جاء في قاموسالاعلام ان هذا الجبل يقع قريبا من نصيبين ويتصل بجبل جودي وقد سمي بهذا الاسم اضافة الى مدينة تسمى (عابدين) في اللحف منه وقد اندرست .

وكلمة (تيجريس) التي تفيد معنى دجلة مأخوذة من (تيكرا) الميدية ومعناها في الميدية والكردية والفارسية (تير) اي السهم ثم صارت (تيجرا) ثم تحولت الى دجلة ووجه التسمية ظاهر لان مياه دجلة تنطلق كالسهم من الشمال الى الجنوب .

وورد فى خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (ص ٤٢٤) اسم عشيرة (داسيكان) وقال عنها انها مؤلفة من (٩٠٠) أسرة من المسلمين والنصارى واليزيديين وتتكلم الكرمانجية وهو خطأ ، وهذه العشيرة هى يزيدية صرفة وعدد أسرها مبالغ فيه .

شرقيان : يسكنون قضاء (ويرانشهر) التابع الى لواء ماردين ، وهم أكراد مستعربون يقتنون الأغنام والجمال ويتجولون فى البراري كالعشائر البدوية ويشتغلون بالزراعة كالقرويين ، وهم أقل تعصبا من يزيدية سنجار وطور عابدين وذلك لكثرة اختلاطهم بعشائر الأكراد المسلمة كالدقوريين والمليين وغيرهم . وعلى زمن ابراهيم باشا الملي (١) انخرطوا في سلك العساكر الحميدية ونالوا نفوذاً واسما . وقد اجتمعت بكثير منهم وباحثتهم في عقائدهم فوجدتهم لا ينكرون على المسلم تلفظه الكلمة الممنوعة ، ويجوزون نكاح أخت الزوجة بعد طلاقها او موتها وكذلك زوجة الأخ وابن العم بعد موتها خلافا لليزيدية . ولا يجري النكاح عندهم إلا بمعرفة علماء المسلمين وأئمتهم، واكثر قسمهم بالنبي محمد (صلعم) وقد اعتنق رئيسهم (حسين افندي قنجو) الاسلام هو وأهل بيته ولا تزال رياسة الشرقيان منحصرة فيهم. والشرقيان عشيرة كبيرة تنقسم الى أفخاذ كثيرة نذكرها فيما يأتي :

١- بلكان : يسكنون قرية منمنيك ، قورى ، ملى قجر ، كندناصو ، موزك ، كندأوزمين ، جحانه .

٢- آديان : يسكنون قرية كرمى .

٣- مروان : يسكنون قرية حجي زيد ، بيجانيك ، باشكوى .

٤- طورنان : يسكنون قرية اوج خان كبير ، اوج خان صغير ، أق مازو كبير ، أق مازو صغير ، نقط .

٥- ماسكي : يسكنون قرية بالوج ، برج ، برج ، كفربل ، هليلى ، قوزبرى، قصر

---

١) هو نجل محمود بك التيماوي رئيس عشيرة الملية العظيمة. كان في بدء امره لصاً يسلب ويقطع الطرق على السابلة ثم اصبح اميراً للواء في العساكر الحميدية ، فامتد نفوذه وعظم سلطانه واتخذ مدينة(وايرانشهر) مركزاً له وشمل نفوذه المنطقة الممتدة بين ماردين واورفة وقره‌جه طاغ ، ودامت ايامه حتى اعلان الدستور العثمانى ، فشق عصا الطاعة على الحكومة فارسلت حملة تأديبية كبرى ضيقت عليه الخناق فى جبل عبدالعزيز فقبضت عليه واعدمته . ويقال انه مات حتف انفه .

حسين قنجو . ولا نعلم عما اذا كان لهذه العشيرة صلة بعشيرة (ماسكى) اليزيدية التي تسكن قرية ديرهبون فى زاخو أم لا .

وأكثر (الفقراء) فى جبل سنجار يرجعون بالأصل الى عشيرة الشرقيان .

وفي عشيرة الكركرية فرقة تسمى (بالويان) تحوي عشرة بيوت يقال انهم بالأصل يزيدية من الشرقيان وقد أسلموا .

دنا : تسكن ويرانشهر ، أصلها من الشيخان ولم نتوصل الى معلومات مفصلة عنها .

سوعاني : عشيرة كبيرة تسكن قضاء ماردين فى قرية : كرنكو ، كدور ، قزل آجيق دوكركى، سوعاني ، خربي كوى، خلف يشار . ويتولى زعامتهم منذ القديم « بيت عمسو » المسلمون ، وهم بالأصل يزيدية وقد أسلموا ورئيسهم الآن شخص يدعى عيسى من هذا البيت .

داؤديان : يقطنون قرية كفرى وقبك ، وديش في قضاء « ديرك » من أعمال ديار بكر

خالتي : العشيرة الكبيرة المعروفة «بخالدي» وقد سبق لنا البحث عنها ، وهى منتشرة في كثير من أنحاء ديار بكر ويقال المنطقة التي يسكنونها « الخالتية » وتنحصر في المواقع الآتية :

١ـ ديار بكر : في قرية كوشك جميل باشا ، بفجه جك ، صارى حسين، جلبدار، تل حبوش ، مسلماني ، جعفركي ، شيخ جوبان ، صيدكي ، قارقارتك .

٢ـ ميافارقين : باش كوى ، درك .

٣ـ بشيرية « المادين » : شمري ، باختمي ، عزكي ، عزكى .

٤ـ رضوان : داؤدية .

٥ـ سعرد : كاني صورك ، حمدونة ، بازيوان ، صوريق ، خدوك ، قبان ، صيفه لي ، قوروغ ، حجري ، اريسكي ، دغر ، طخرية .

فهؤلاء جميعهم من العشيرة (الخالتية) ويجوز وجود قبائل اخرى بينهم ، واليزيدية انتشرت فى حوضة دجلة العليا وروافدها انتشاراً عظيما فقد يوجدون بكثرة في(موش) و (صاسون) و (غرزان) و (ديرك) و (كنج) و (قلب) و (بطمان) وغيرها .

ويقع قضاء (قلب) في ديار بكر جنوبي قضاء كنج ويطلق باضافته الى (بطمان) - وهو نهر تتجمع مياهه من جبال كنج ويصب في دجلة بعد ان يقطع ١٠٠ كيلومتراً - على أمارة كردية ظهرت في القرن التاسع والعاشر الهجريين ، وانتشرت اليزيدية فيها انتشاراً عظيما وعرفت من أهم المراكز اليزيدية ، وقد عدها المؤرخ البدليسي أمارة أموية وسماها (بالسليماني) نسبة الى الخليفة سليمان بن عبدالملك الأموي (خلافته من سنة ٩٦ الى سنة ٩٩ ه) بالوقت الذي يدعي ان مؤسسيها أولاد عبيدالله بن مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين (خلافته من سنة ١٢٧ الى سنة ١٣٢ ه) .

والبدليسي في روايته هذه قلب حقائق تاريخية كبيرة وفسح لكثير من الكتاب المجال في دعوى نزوح رجال من البيت الأموي الى هذه الجبال بعد ضياع ملكهم واجتماع أنصارهم حولهم وقبضهم على زمام الحكم ، وهذه الرواية لا تهمنا لو لم يتخذها هؤلاء الكتاب أساساً لاقامة اليزيدية فيها .

يقول البدليسي : هرب أولاد عبيدالله بن مروان الحمار من فلسطين - بعد ان أضاعوا ملكهم وبعد ان قتل مروان في قرية « بوصير » من أعمال مصر - وجاؤوا الى « وادي الخوخ » في ناحية « غزالى » في قضاء «قلب» وأسسوا أمارة في «قلب» على نهر بطمان وأوصلوها حتى ضفة دجلة الشرقية ، وقد دانت لهم العشائر الكردية ومنهم عشيرة « بانوكى » القوية والتحق بهم أشياعهم الكثيرون في مصر والشام واتسعت امارتهم واجتمع تحت رايتهم ثمانية قبائل كردية عظيمة ، قسم منهم اتبعوا طريقة أهل السنة وقسم دانوا بالمذهب اليزيدي وكان ممن دان بهذا المذهب عشيرة « ايسيان » القوية التي خدمت هذه الامارة وعملت على رفع شأنها .

هذا ما قاله عن هذه الامارة وكيفية تأسسها ، وبودنا ان نعلم كيف تمكن اولاد « عبيدالله بن مروان الحمار » من الهرب من فلسطين الى « وادي بطمان » وقطعوا هذه المسافات الشاسعة هم وأنصارهم ومواليهم وعيون العباسيين لم تغمض عنهم وكانوا يقتلونهم تقتيلا أينما ظفروا بهم ويحتفرون أمواتهم من قبورهم ويضربونهم بالسياط ؟ فما هو الذي سهل لهم هذه الهزيمة وجاؤوا الى هذا الوادي وأوجدوا هذه الدولة تحت أنف العباسيين

وداخل مملكتهم ؟ بينما لم نجد احداً من مؤرخي الاسلام من أيد هذه الرواية وشارك البدليسي فيها ، والبدليسي ليس لديه مصدر يأخذ منه هذا الخبر غير تواريخ الاسلام ؟

والغريب منه أن جعل الخامس من اولاد عبيد الله بن مروان الحمار الذين قاموا بهذه الأمارة معاصرا للشاه اسماعيل الصفوي (٨٩٢ ـ ٩٣٠ هـ) حيث جعل مدة أمارة كل واحد منهم مائة سنة . فاذا كان مجيئهم بعد انقراض دولتهم فلا نقدر لأمارتهم عمرا أكثر من مائة سنة ثم انقرضوا . واذا كانوا جاؤوا مؤخرا فأين بقوا طيلة هذه المدة ولم ينتبه العباسيون لهم ؟ وهذا ما يدل على أن البدليسي كان على وهم في هذه الرواية ، واذا كان هناك أمارة تسمى « قلب وبطمان » ـ وكتب التواريخ التركية لم تذكرها ـ فلا يصح ان تدعى أموية .

﴿ العشائر اليزيدية ومواطنهم في الديار الحلبية ﴾

لم يكن انتشار المذهب اليزيدي في الديار الحلبية أقل من انتشاره في الجزيرة وديار بكر وبدليس ووان وبقية المواقع ولقلة ارتياد القوالين ورجال الدين الذين اعتمدنا على أخذ الأخبار عنهم عن تلك الأنحاء ، لم نتمكن من معرفة عشائرهم وقبائلهم تماما . والأخبار التاريخية تدلنا على ان اليزيدية وصلت في سابق عهدها الى مرعش وحما وقريبا من أنطاكية وعمل بها معظم قبائل الأكراد ، ونالت قوة ونفوذا على زمن « الشيخ عز الدين الكردي العدوي » الذي كان أميرا للواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة السليمية (السلطان سليم ياوز) والشيخ عز الدين هذا هو من بيت (الشيخ مند) الذي انتشرت اليزيدية في تلك البلاد على يده او على يد أحد أولاده . وهذه أسماء المواقع المأهولة باليزيدية :

سروج : في قرية مس حجرك .

بيره جك : في قرية زاك ، قوصطان .

كليس : في قرية مهروى ، برج القاز ، باصقال ، كوكب ، قطمى ، قصطل ، عرشوقيقار ، عينيدار ، أبو كعب ، كفرمازن ، كفر يزيد .

عفرين : في قرية كند فقير ، يكثر فيها الفقراء ويسمونها ايضا (قره باش) وفي قرية

كيهار ، وباسوفان ، وبافلون .

المعرة : ...

اعزاز : ...

الجومة : يكثر فيها اليزيدية .

عامودة : فيها ما لا يقل عن ثلاثين قرية لليزيدية وجميعها معمورة فيهم .

وقد علمت من أحد رجال الدين الذي ذهب فى هذه الأيام الى اليزيدية القاطنين فى هذه المواقع ودار بينهم ، انهم فى تناقص مستمر وقد اسلم منهم اربعين قرية واكثرهم فى سهل (الجومة) واصبح اعتقادهم بالطاؤوس ضعيفا ولا يوجد بينهم من رجال الدين من يعطونه نذورهم وخيراتهم ، وقد أعلمني أمير الشيخان تحسين بك انه عازم على السفر الى هؤلاء اليزيدية ليقف على أحوالهم ويتدارك ما فاتهم من أمر دينهم وكم كنت أود ان أرسل معه احداً يسجل مايشاهده ولكن لم يكن ذلك فى المستطاع .

﴿ العشائر اليزيدية ومواطنهم فى وان واطرافها ﴾

عشيرة البازفية : في قضاء وان في قرية شمس الدين ، قره كند ، دير جمد ، أوني ، عين ضاف .

عشيرة رشا : في لواء بايزيد

« محمودي (١) : فى قضاء محمودي

---

١) جاء فى كتاب شرفنامه للمؤرخ البدليسي في مقدمته التي تبحث عن طوائف الاكرادوا وضاعهم واطوارهم ، انهم جميعا على الشريعة الاسلامية والسنن المحمدية ، متمسكين بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه باستثناء بعض القبائل منهم كالداستيين (سياهم طاسني) ، والخالتيين ، والبسيان ، وبعض من البختي والمحمودي والدنبلي ، فهم على المذهب اليزيدى من مريدى الشيخ عدي بن مسافر الأموي .

وفى قاموس الاعلام فى كلمة (محمودي) انه اسم لقضاء تابع الى لواء الحكاري يسكن فيه جماعة من اليزيدية يبلغ عددهم نحو (٢٥٠٠) نسمة وهم من عشيرة واحدة يسكنون قرية (سراي) على بعد (٩٠) ك.م. عن مدينة وان .

ويزعم البدليسي ان امراء (المحمودي) يتصل نسبهم بالسلاطين المروانيين وقد نزحوا من جزيرة ابن عمر الى حوالي اذربيجان على زمن (قره يوسف) مؤسس الدولة القره قوينلية واقتطعوا نواحى واسعة وحصونا ومعاقل كثيره ثم انخرطوا في سلك امراء الشاه طهماسب، وبعد ان تم لسلاطين آل عثمان الاستئثار ببلاد الاكراد ، اقروهم على حصونهم ومعاقلهم ثم اخذ يضعف شأنهم شيئاً فشيئاً الى ان انحصرت اقامتهم فى قرية واحدة .

ويوجد في « كواشي » و « مكس » وهما قضاءان في ولاية وان ، جماعات كبيرة من اليزيدية إلا اننا لم نعرف اسماء عشائرهم والقرى التي يسكنونها .

﴿ اليزيدية في بلاد القوقاس والروس ﴾

علمنا من كثير ممن جاسوا خلال تلك الديار من شيوخ وقوالين وغيرهم ان اليزيديين هناك لم يعرفوا لهم حسباً ولا نسباً وقد لا تربطهم رابطة عشائرية عدا الرابطة الدينية. وقد أعلمني اسماعيل بك بن عبدي بك ، وكان قد ذهب الى تلك الجهات - ان اليزيدية الذين في (قارص) يقال لهم (سيبكى) وفي (الكساندرابول) (مهمدا) وفي سينك « سينك » وهذه اسماء القرى التي يسكنونها :

ارفان : ١- قارخون ، ٢- قوروآزار ، ٣- سيفلبات ، ٤- جوبان كره، ٥- قامشلو، ٦- قولو بك ، ٧- شاهميران، ٨- قجار آباد ، ٩- كولكولكه بيوك، ١٠- كولكولكه كوجك ، ١١- حكو ، ١٢- صابونجي ، ١٣- قشلهسيران ، ١٤- قشلهمارا ، ١٥-خان اغاج ، ١٦- كنند لطيف ، ١٧- كاش بك ، ١٨- كلطو ، ١٩- تلك ، ٢٠- صيجانلو ، ٢١- بايسز ، ٢٢- عيارلو .

سينك : . . . .

الكساندرابول : ١- كروانسرا ، ٢- كوزل در ، ٣- آخر كلك ، ٤- سنكر ، ٥- كوربولاق ، ٦- بغداد ، ٧- ميرك بيوك ، ٨- ميرك كجوك ، ٩- قونداق ساز ، ١٠- جرجليس، ١١- بامبي، ١٢- جوبان كورهماز ، ١٣- قوروبوغاز ، ١٤-جاموشلو كبير ، ١٥- جاموشلو صغير .

تفليس : ١- تيلاف ، ٢- كنجا ، ٣- كاخيت ، ٤- لوري ، ٥- سورمهلي محل ، تندورك .

باكو : حجي قبول

﴿ الشعوب والقبائل التي تدين باليزيديه ولم يعرف الآن شيئاً عنها ﴾

﴿ او بادت وعفى أثرهـا ، او يشك في يزيديتها ﴾

﴿ بينما لم يكن لها علاقة بهذا الدين ﴾

باصا : عشيرة كانت تسكن قضاء سعرد ، تحوي نحو ثلثماية أسرة ، يقال ان الحكومة العثمانية أبادتها عن بكرة أبيها في الحرب العمومية الأولى ولم يبق لها أثراً .

الصحبية : ذكرهم صاحب السلوك لمعرفة دول الملوك في وقائع سنة ٨١٧ هـ والآن لا وجود لهم .

الجرميان : ذكرهم ابن بطوطة في سياحته عند انصرافه من قرەحصار (وسماها قل حصار) وقال عنهم : يذكر انهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها « كوتاهية » وهم دائبون على قطع الطريق . فاعتقد الاستاذ العزاوي بيزيديتهم وأدخلهم في عداد الطوائف اليزيدية . وقد أراد ابن بطوطة بهم « الكرميان » أو أولاد (قره مان) الذين أسسوا دولة على أنقاض دولة سلاجقة الروم عام ٨٧١ هـ دامت نحو ١٧١ سنة ثم انقرضت على يد سلاطين آل عثمان بعد حروب ذكرها التاريخ . وليس ما يدل على ان أولاد قرەمان هم من ذرية يزيد وكانوا على الديانة اليزيدية ، ويستبعد وصول اليزيدية الى « كوتاهية » على ما لها من البعد عن المناطق التي انتشرت فيها اليزيدية .

بابرية ، شقاقية : ذكرها أوليا جلبي في رحلته وعدها من يزيدية سنجار والآن لا وجود لها ، وفي المسالك ذكر لعشيرة كردية تسمى « بابيرية » تسكن منطقة شهرروز لا نعلم عما اذا كانت البابرية التي قصدها أوليا جلبي ترجع اليها وقد وفدت الى سنجار ودانت باليزيدية ام غيرها ؟ وأما الشقاقية فيجوز انها ترجع الى عشيرة الشكاك الكردية التي تسكن غربي بحيرة « أرمية » وقد دان قسم منها باليزيدية عندما كانت تقيم في « ميافارقين » موطن اليزيدية القديم ، ثم هاجرت الى موش وملازكرد (١) ووفدت الى سنجار ، وهناك احتمال آخر وهو أن تكون من عشيرة « الشقاقي » التي كانت

١) تاريخ جودت ج١٢ ص٤٠ وملازكرد قضاء تابع الى لواء موش في ولاية بدليس.

تسكن ناحية فنك قرب جزيرة ابن عمر (١) وكانت من جملة الوافدين الى سنجار ، وهذا هو الأرجح .

الميران : احدى العشائر الكردية الاربعة التي كانت تسكن امارة « فنك » الكردية القديمة ، وأمراء « فنك » على ما قاله البدليسي هم من نسل الأمير (آبدال بن سليمان بن خالد بن الوليد) المخزومي وكانوا في بدء أمرهم عاملين على ترويج المذهب اليزيدي ، وقد عدها الاستاذ العزاوي عطفاً على ما جاء في رسالة اسماعيل بك التي نشرها الدكتور زريق في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » يزيدية ، بينما لم يشر اسماعيل بك الى انها يزيدية بل مسلمة ، وقد جرى ليزيدية سنجار معها قتال عظيم في « وادي اخنيزير » قرب « تل الهواء » قتل منها ألف رجل . والميران عشيرة قوية تبلغ نحو خمسماية بيت كانت تسكن قضاء جزيرة ابن عمر ، ورئيسها مصطو باشا تمر الذي كان أمير لواء في العساكر الحميدية ، ويتولى الآن رياستها ولده نائف بك ، وقد نزحت الى المنطقة السورية بعد ان أقامت زمناً في العراق .

السيفانية : عبر عنها العزاوي بالسليفانية وعدها يزيدية . وفي غرائب الأثر في حوادث سنة ١٢١٤هـ أنهم اسلام في الحال الحاضر . فاذا كان العزاوي قصد (السليفانية) القاطنين في قضاء زاخو والذين عبر عنهم البدليسي في بحثه عن حكام زاخو (بالسليماني) فهم عريقون بالاسلام ولم يتحدث أحد عن انهم دانوا يوما باليزيدية ، واذا كان قصد غيرهم فلا يوجد عشيرة اخرى تحمل هذا الاسم .

الصارلية : طائفة من (علي اللهية) يظهرون التكتم الشديد في عقائدهم ، ويندر من وقف على شيء من عاداتهم وعباداتهم . وكل ما قيل ويقال عنهم هو رجم بالغيب ومن باب الحدس والتخمين ولا يقطع بصحته ، وينحصر سكناهم في قرية قرقشة ، وكزكان ، وورداك ، وتل اللبن على نهر الخازر .. وعندما كان يحكى لي عن تجنبهم عن ذكر الشيطان بسوء ، وسجودهم للشمس ، وعملهم بالاباحية ، كنت أحمله على عقيدة تصوفية فاسدة ورثوها من أسلافهم ، الى ان علمت انهم كانوا قبلا يدينون باليزيدية ، ويرجعون

---

١) شرفنامه ص ١٩٦

الى العشيرة الدنادية المعروفة وقد أسلموا منذ زمن بعيد ، وهذا صحيح . واليزيدية في سابق عهدها وصلت نهر الزاب الأعلى وكانت هذه القرى مأهولة بهم ، إلا ان الغريب في الأمر اعتناقهم « العلي اللاهية » مع وجود التناقض الشديد بينهم وبين اليزيدية . ويغلب على الظن انهم أخذوا على اللهية من « الكاكئيين » المجاورين لهم فى منطقة كركوك وقد بقي الشيء الكثير من معتقدات اليزيدية فيهم .

وما يذهب البعض الى أنهم و (الصارلية) في تلعفر شيء واحد فهو خطأ وليس فى الصارلية الذين في تلعفر من العقائد التي تنافي روح الاسلام .

وقد يأبون تزويج فتياتهم من الغير بصورة مطلقة ، ويميلون الى مصاهرة الشبك الذين يشتركون واياهم فى بعض العقائد ، والمرأة التي يتزوجونها تصبح فى يوم وليلة صارلية في العقيدة والروح ويستحيل عليها إباحة شيء من أسرار هذه الديانة ، واذا عادت الى أهلها ولو بعد حين وأفشت شيئاً من أسرارها يتعقبونها ويقتلونها .

شيخان بكي : ومعناه أمير الشيخان وهم بيوت من الأكراد يسكنون ناحية (شمامك) فى لواء اربل فى قرية تسمى (كور) ينضوي اليهم نحو مائة بيت يطلق عليهم هذا الاسم ورئيسهم فى الحال الحاضر عزيز اغا بن محمد اغا يدعون ان أصلهم من بيت الأمارة فى الشيخان وقد نزحوا الى هذه الناحية بوقت لا يمكنهم تعيينه ولم تزل صلاتهم مع هذا البيت باقية ويتزاورون فيما بينهم ، ويدعون انهم من نسل من يقال له (مير شيخ بكر) ومير شيخ بكر معروف لدى اليزيدية .

الكيبارية : ذكر العزاوي عطفاً على غرائب الأثر انها يزيدية تسكن سنجار وقد أسلمت مع رئيسها (آفند) ، ولعله أراد عشيرة (المندكان) التى سلم رئيسها آفند (ويقال له هافند) .

جمال دينا : جاء ذكرها فى الرسالة المنسوبة الى اسماعيل بك ونشرها الدكتور زريق فى كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » وهى موجودة الآن في القوقاس إلا اننا لا نعلم عنها شيئاً .

السيبكية : نعتقد وجودها في بلاد القوقاس وقد ذكرها اسماعيل بك ولعلها عشيرة

« سيبكانلى » التى تسكن فى شمالي بحيرة وان .

عمران : عشيرة قديمة فيسنجار لم يبق منها الا أفراد قليلون وهم متفرقون ولا وحدة لهم ويحتمل ان يكون لهم صلة بعشيرة « عمرانلى » الكردية من عشيرة الملى وقد وفدت الى سنجار من « قرهجهطاغ » .

البلتينية ، الرمكان، الجبصان، النافذية : عشائر يزيدية انفرد بذكرهم الاستاذالكرملي ولا نعلم شيئاً عنهم .

بسيان : من أقوى العشائر اليزيدية الذين ظهروا فى القرنين التاسع والعاشر الهجري ذكرهم المؤرخ البدليسي فى مواضع كثيرة من تاريخه ، كان لهم أثر مهم فى تكوين أمارة « قلب وبطهان » وقد اندرس ذكرهم ونرجح أنهم اندمجوا فى العشيرة الخالتية (الخالدية) او وفدوا الى سنجار وعرفوا باسم آخر .

مامهرش : جاء في خلاصة تاريخ كرد وكردستان انهم فرقة من عشيرة « ارتوش » يبلغون ٢٠٠٠ أسرة وهم يزيدية يقطنون العراق والأستاذ امين زكى بك نقل هذا الخبر عن « تراث الخلفاء الأخير » للسر مارك سايكس الاخصائي فى تاريخ الأكراد وهو على وهم فيه إذ لا يوجد فرقة من اليزيدية تسمى بهذا الأسم فى العراق أصلا ، واذا كان أراد عشيرة الأرتوشية الكردية الرحالة فهي مسلمة ولم تدن بالإيزيدية يوما .

نجينان : جاء في الكتاب الآنف الذكر (ص٤١٥) انها عشيرة تقطن لواء سعرد تبلغ ٩٠٠ أسرة ويقال ان فيها عدداً من الأسر اليزيدية .

قزلان : عشيرة يزيدية ذكرها يوسف ضيا باشا الخالدي المقدسى فى كتابه « الهدية الحميدية في اللغة الكردية » نعتقد انها تسكن لواء سعرد .

يزيدي : ذكر صاحب خلاصة تاريخ كرد وكردستان (٤٢٩) : « انها مستقرة فى شمالي وان » لم يعلم مقدار الأسر، واسماؤها تشتغل بتربية المواشى ، إلا انه لم يشر الى انها مسلمة ام يزيدية ؟

الجحيش : ذكر الأستاذ العزاوي أن هؤلاء عرب من طي وصار قسم منهم يزيدية . والجحيش لا يعترفون بذلك سوى أنهم كانوا قديماً حلفاء لطي و « الزبيدية » تجمعهم .

أما ان قسما منهم صاروا يزيدية فليس كذلك بصحيح ، ويقال ان فرقة « العوجان » من الجحيش كانوا قديماً يسكنون قرية « تبة » في سنجار ، ولما انتقل اليزيدية اليه تركوا سكناهم واختاروا عيشة التنقل .

نيويوكان ، شورش ، هيودل : ثلاث عشائر يزيدية ذكرهم البدليسي وقال عنهم : يسكنون ناحية « كوركيل » في جبل جودي التابعة الى أمارة (عزيزان) الكردية في جزيرة ابن عمر . أما الآن فلم يعرف شيء عنهم ، ولعلهم هاجروا الى مواقع اخرى ولم يعرفوا .

تعليق وايضاح : نسب المؤرخ البدليسي أمارة « عزيزان - العزيزية » الى (عبد العزيز) بن سليمان بن خالد بن الوليد المخزومي . وزعم ان أباه (سليمان) هو الذي أسس أمارة الجزيرة ثم انتقلت بعد وفاته الى أولاده الثلاثة : (مير حاجي بدر) و (مير آبدال) و (عبد العزيز) . فاستأثر الأول في أمارة « كوركيل » ، والثاني في أمارة « فنك » ، والثالث في أمارة « الجزيرة » واليه تنسب أمارة « عزيزان - العزيزية » . ثم يقول : وقد بقيت هذه الأسر الثلاثة عاملة بالمذهب اليزيدي الى ان أدركتهم العناية الآلهية فعادوا الى الاسلام وسلكوا طريقة أهل السنة والجماعة .

هذا ما قاله المؤرخ البدليسي وهو على وهم فيه وقد ثبت تاريخياً ان سليمان بن خالد لم يأت بلاد الجزيرة ويؤسس أمارة فيها وقد توفي على زمن خلافة معاوية ، والجزيرة لم تكن إذ ذاك قد ظهرت للوجود وقد تأسست في سنة ٢٥٠ للهجرة والذي أسسها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وسميت باسمه . واذا فرضنا أنه أسس أمارته في بلاد الجزيرة ، فلم يكن من الأصول المتبع في الاسلام ان تعطى البلاد التي يقع عليها الفتح بطريق الاقطاع الى رجال الفتح فينشئون أمارات عليها ويورثونها أولادهم . وبلاد الجزيرة فتحت على عهد خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٨ للهجرة والذي فتحها « عياض بن غنم » أحد قواد سعد بن أبي وقاص ولم يكن سليمان بن خالد الذى فتحها ، ثم هل يجوز لسليمان بن خالد بن الوليد وهو من أمجاد العرب وشبل بني مخزوم ان يطلق عروبيته ويقيم أمارة كردية ويصبح كردياً أعجمياً ويسمي أولاده بأسماء كردية بالوقت الذي كان

العربي يفاخر بشرف أرومته وكريم محتده. فاذا علمنا ان اولاد خالد بن الوليد انقرضوا منذ الصدر الأول ، وان ابنه الكبير سليمان مات مسموماً والذي سمه معاوية بن أبي سفيان كما ذكرته بعض التواريخ ، أليس من الاعتداء والشطط ان ينتحل جماعات كبيرة من الاكراد وقبائل من العرب في نجد وسوريا وغيرها دعوى انتسابهم الى خالد بن الوليد ويعدون نفسهم من ذريته؟ وكان العربي يذهب الى بلاد فارس وخراسان والهند والصين ويبقى محافظاً على عروبيته وعاداته وتقاليده ولا يرضى بها بديلا ؟

ان المؤرخ البدليسي لم يلاحظ هذه الاعتبارات ويرى استحالة تأسيس ابن خالد بن الوليد المخزومي أمارة كردية ويورثها اولاده . فاذا رجعنا الى التاريخ نرى ان اولاد خالد بن الوليد ماتوا جميعا في مرض الطاعون ولم يبق واحد منهم ، فقد روى ابن قتيبة « انه كان لخالد ولد كثير فقتل الطاعون منهم اربعين رجلا فبادوا » وفي أسد الغابة : « أخرج الثلاثة عن الزبير بن البكار أن ولد خالد انقرضوا فلم يبق منهم واحد ، وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة » .

وفي أشهر مشاهير الاسلام في التاريخ والسياسة لرفيق بك العظم في الكلام عن بعض القبائل العربية التي تدعي الانتساب الى خالد بن الوليد (ص ١٨١) :

« ويوجد لهذا العهد قبيلة رحالة في جهات حمص تسمى « بني خالد » ادعى مشائخها من بضع سنين انها تنتسب الى خالد بن الوليد لأغراض لا محل لذكرها هنا، وهي دعوى كاذبة لا يقوم عليها دليل ، إذ ولد خالد انقرضوا جميعهم في الصدر الأول . والله أعلم » .

وهنا نجد مؤلف تاريخ الكرد وكردستان الاستاذ المرحوم أمين زكي بك يضع حداً لهذا الاختلاف ويوقفنا على وجه الخطأ في نسبة أمارة (عزيزان ـ العزيزية) الكردية الى عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد. ففي تعليق له على (ص ٣٩٥) من كتابه يقول : « الراجح عندنا ان وصفهم بالخالدية نشأ من كون أنهم منحدرون من نسل الشعب « الخلدي ـ الكالدي » القديم الذي كان يشغل منطقة وان في القرون الخالية » .

***

﴿ اليزيدية في بلاد الصوران « سهران » وإربل ﴾

كان انتشار اليزيدية في هذه المنطقة أمر واقعي بعد ان انتشر في معظم بلاد الاكراد. وبلاد سهران مجاورة للشيخان مهد ظهور هذه الديانة ويفصلها عنه نهر الزاب. والاكراد قريبين للدعاية .

ان انتشار اليزيدية في هذه البلاد لم يكن عاما وشاملا فكثير ممن لم يعتنقها ولو كان لها دعاة ماهرون لانتشرت في هذه المنطقة بأسرها وعبرت من هناك الى بلاد ايران حيث تتصل باليزيدية التي دخلت بلاد القوقاس من طريق بايزيد ووان .

كانت قبائل سهران في ذلك العهد تتمتع بنفوذ قوي ولأمرائهم سلطة واسعة وهكذا كانت « إربلا » ومن الطبيعي ان هؤلاء الامراء لم يكونوا ايرتاحوا لظهور هذا الدين ويرون فيه خطر عليهم .

ويحدثنا المؤرخ شرف خان البدليسي ان السلطان سليمان القانوني عند سفره لفتح بغداد كان قد خيم بجيشه قريباً من إربل ، فبلغه من أميرها «عزالدين بن الامير سيدي بن شاه علي بك » ما ساءه فأمر بقتله وعين (حسين بك) أمير اليزيدية بمحله وأضاف الى أمارته أمارة (سهران) التي كان يحكمها (قلي بك بن سليمان بك بن مير سيدي بك) وأمارة (صوماقلق) التي كان يحكمها (بير بوداق بن شاه على بك) ، فكان تعيين هذا اليزيدي أميراً لثلاث أمارات يحكمها ثلاثة أمراء نصراً عظيما لليزيديين ، ولكن هؤلاء اليزيديين لم يكن لهم من الفطنة والكياسة ما يمكنانهم من استغلال هذه الفرصة ويقومون بدعاية واسعة لدينهم ويستميلون الناس اليهم ، بل بالعكس نجدهم أخذوا يحاربون المخالفين لهم بالعقيدة والدين ويستبيحون دماءهم .

يقول البدليسي : وقد وقع (لقلي بك بن سليمان بك) أمير سهران حروب دامية مع الامير اليزيدي قصد استخلاص ملكه منه فلم يكن فيها موفقاً فخلى والتجأ بشاه طهاسب في ايران وترك شعبه في يد الامير اليزيدي يسومه العذاب ، يقول : ولما بالغ الامير اليزيدي في الاعتداء على السهرانيين وأسرف في القتل فيهم أرسلوا وفداً الى ايران يستحثون أميرهم للعودة اليهم ليساعدهم على خلاصهم منه ، فلم يجبهم وذهب الى

اسطنبول ليعرض شكواه الى السلطـان ويستعطفه على إعادة ملكه اليه فأمر السلطـان بتعيينه حاكما على (السماوة) من أعمال البصرة ولم يحقق رغبته .

وقد مات « بير بوداق » أمير « سوماقلق » وخلف ابنه الامير « حسين » وبعـد قليل مات وخلف ابنه « مير سيف الدين بن مير حسين بن بير بوداق » فأخذ هذا يحارب الامير اليزيدي بكل شدة وعنف وجمع جيشاً عظيما من السهرانيين وهاجم قلعة (إربل) وكان الامير اليزيدي غائباً عنها فاستولى عليها وتم له ما أراد، ومهما حاول الامير استرجاع قلعة (إربل) فلم يوفق وفي معركة واحدة قتل من أعوانه اليزيدية خمسماية نفراً ونهبت له أموالا لا تدخل تحت حصر .

يقول البدليسي : ولما شاع في اسطنبول خبر هزيمة الامير اليزيدى أمام الامير السهراني وسقوط أمارته طلب السلطان حضوره وأمر بقتله .

وكانت هذه الحادثة خاتمة لحياة اليزيدية في إربل وسهران ولم يستطيعوا ان يسترجعوا نفوذهم فعاد الذين قبلوا اليزيدية من السهرانيين الى الاسلام ، والبقية ذهبوا الى الشيخان وخلت هذه المنطقة منهم .

ومن عبر التاريخ ان النكبة المروعة التى حلت بيزيدية الشيخان بعد ثلاثة عصور تماما من هذه الحادثة كانت على يد هؤلاء السهرانيين نفسهم وأميرهم « محمد باشا » المعروف بـ « مير كوره » هـو من أحفاد « مير سيف الدين بن مير حسين بن مير بوداق » الذي أخرجهم من منطقة سهران . وهكذا ظل شبح الانتقام يتعقبهم الى ان حل فيهم.

﴿ في ذكر زعماء جبل سنجار وذوي النفوذ ﴾
والوجاهة منهم وما لهم من الاخبار

أوجدت الحالة العشائرية في جبل سنجار زعماء أقوياء يوحدون كلمته ويذودون عنه ويقودونه الى المعارك ويحافظون على استقرار الوضع العشائري فيه . وذلك أمر محتم بعد أن أصبح هذا الجبل ساحة حرب ضروس ، وكانت الحملات والمغازي تتوالى عليه وقد حاق به الخطر من كل جانب . ولو لم يكونوا هؤلاء الزعماء لما استطاع هذا الجبل أن يحافظ على موجوديته ولا تهدم كيانه لأول مرة .

ولما كان هؤلاء الزعماء ليسوا من أرومة واحدة ، وتربطهم رابطة قومية واحدة ، فكان التنافس بينهم على الرئاسة شديداً جداً ، وكانت الحروب تقع بينهم دون انقطاع وتوقف. وقد يكونون يداً واحدة عندما يفاجأهم عدو من الخارج ، وبعد أن يدحرونه يعودون الى مقاتلاتهم .

وقد ظهر فيهم رجال ذوو بأس شديد عرفوا بمقدرتهم في الحروب وتنظيمهم الصفوف ما لا يوجد مثلهم في اكبر القواد ، وهذا الذي ضمن لهم النجاح طيلة هذه المدة . ولم ينحصر تفوقهم في فنون الحرب وحسب بل كان فيهم من ذوي العقول الراجحة والمدارك الواسعة ، ما لو نالوا نصيبا من الثقافة العصرية لأصبحوا من اكبر ساسة العالم.

ولما كان استقصاء أخبار هؤلاء الزعماء وذكر ما لكل واحد منهم من الأخبار يستغرق زمناً طويلا فنكتفي بذكر الزعماء الآتية اسماؤهم وهم يكفون عن غيرهم .

خضر محمد كهية

زعيم الهبابات ، كان يسكن مدينة البلد ، وقد شاخ وبلغ المائة من العمر ، وظل محتفظا بسلامة عقله واصالة رأيه . وقد اجتمعت به اكثر من مرة وكان يقص علي حوادث عصر كامل شهدها بنفسه ، منها ثلاثين حملة عسكرية كبرى قامت بها الحكومة العثمانية على الجبل كان أشدها وأقساها حملة حافظ محمد باشا الذى كان أن يقضي بها على الشعب اليزيدي برمته . وقد كان يقص علي هذه الحوادث ويألم لها واكثر ما يؤلمه ما كانت تجريه الجيوش من اعتداء على نسائهم، وأسرهم بالجملة .

وقد تولى رئاسة الهبابات ثمانين سنة كانت كلها حرب وضرب ، وعشيرته أقوى عشائر الجبل وأكثرها قدرة على القتال . وكان من عشيرته مطاعا ، ومن بقية العشائر محترما ومهابا . ولما كبر وهرم ترك الرئاسة الى ولده علي بن خضر محمد كهية، وكان كأبيه رزينا هادئا عاقلا، ولم يأت بعمل ما لم يستشر به اياه ، وكانت الحكومة ايضاً تستشيره وتستعين به على قضاء كثير من المهات . توفي سنة ١٩٠٤م

★



ـ حمو شيرو في الوسط وعلى يمينه اسماعيل بك والخوري هرمز ورئيس القيران ـ
ـ وعلى شماله حسين بن علي خضر كهية ورئيس عشيرة الهسكان ـ

﴿ حمو شيرو ﴾

زعيم الفقراء وكبير جدالة ، يرجع بالأصل الى عشيرة الدنادية في الشيخان ، وهو لم يكن في بدء أمره شيئاً مذكوراً ، وكان خادما لدى صفوق زعيم الجبل المعروف. سكن قرية « زفنكي » ثم انتقل الى قرية « ملك » وأخيراً جاء الى قرية « جدالة » التي أمست حتى النهاية مقراً له . والفقراء ليس لهم قيمة من الناحية العشائرية ، واليزيدية يعطفون عليهم بصفتهم عباد متزهدون . وقد أوجدت لهم هذه الصفة حصانة قوية فكانوا لا يسألون عن أعمالهم التي يأتون بها ، فاستغل ذوي العصبيات القوية مكانتهم واستعانوا بهم في الحروب فكان النجاح مضموناً للحزب الذي ينضمون اليه . كان « حمو شيرو » أول من قاد الفقراء الى المعارك ، فهابته الأحزاب وأخذت تحسب له حسابا فازداد الفقراء قوة وأصبح عنصراً فعالا في الجبل وبسط نفوذه على كافة العشائر.

أن الذي هيأ للفقير حمو شيرو أسباب الزعامة المطلقة على الجبل مقابلته الكولونيل « لجمن » عند مجيئه متنكراً الى الجبل ومقابلته في موقع يسمى « كفر حنكارى (١) » إذ قوى أواصر الولاء بينه وبين الانكليز وأصبح محل ثقتهم وعينوه حاكما على جبل سنجار طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

نعم لقد فوض الانكليز صديقهم الحميم قضاء سنجار وأطلقوا يده في ادارة شؤونه الادارية والاقتصادية وأخذ يحكمه حكما اقطاعياً وهم يشرفون عليه عن كثب ويساعدونه في حل المسائل التي تستعصي عليه ، إلا ان الجبل الذي لم تغمض فيه عين الشر لحظة واحدة ، لم يكن ليرتاح لحكمه وهو لم يكن إلا واحداً من زعمائه الكثيرين والانكليز يعرفون ذلك جيدا ، ولكن اذا أرادوا شيئا فعلوه وهم لا يريدون ان يخلوا بصداقتهم مع هذا الشيخ الفاني ويجرحوا عواطفه وهو في آخر أيام حياته .

كان الفقير حمو صلب الارادة ، قويا ، ذا مطامع كبيرة ، وآمال بعيدة ، متعصبا لديانته الى أقصى حدود التعصب ، يكره المسلمين ، لا يعرف رياء ولا مداجاة ، بلغ المائة والعشرين من عمره ولم يفقد شيئا من حواسه ، وكان يأخذ كل يوم فأسه ويشتغل الساعات الطوال في بستانه . إصطدم بأمير الشيخان سعيد بك وأراد إسقاطه من منصبه ولم يوفق . وأخرج « السنجق » من أيدي القوالين وحجر عليه عنده حولين كاملين ثم أعاده بعد ان تدخلت الحكومة بالأمر وشددت عليه ، وضبط قرية « جدالة » من أيدي اصحابها « الخواتنة » المسلمين فعوضتهم الحكومة قرية « عين الحصان » بدلا عنها .

❁ الفقير خديدة بن حمو شيرو ❁

كان يشمل نفوذه قسما كبيراً من الفقراء ان لم يكن كلهم . وكان يمثل أباه في حاكميته

١) هذا ما شاع وردده الالسن عن مجيء الكولونيل لجمن الى سنجار واجتماعه بالفقير حمو شيرو ، وكان مجيئه على ما يقال برفقة اسماعيل بك امير اليزيدية ، وكان قد اتصل بالانكليز في سامراء . الا ان اسماعيل بك ينفي هذا الخبر ويذكر ان قائد الجيش البريطاني في سامراء ارسل معه ضابطين بريطانيين احدهما طبيب والاخر مهندس فأتيا الى «جداله» ومنها صعدا الجبل ووصلا الى محل يسمى «بير سويدكى» قريبا من كرسي وأحضرا حمو شيرو وتباحثا معه . (اليزيدية قديما وحديثا)

على جبل سنجار ويساعده في اعماله . وهو لبق ذو ذكاء وفطنة يعرف كيف يستهوي الناس ويعمل على كسب مودتهم ، على عكس أبيه الذي كان بعيداً عن روح المجاملة وفيه من الصلف والكبرياء ما صرف الناس عنه . ولا أغالي اذا قلت اني لم أجد بين زعماء سنجار قاطبة على مثل ماكان عليه من رحابة الصدر ورجاحة العقل ، صريح في كلامه خاصة مع من يثق به .

والفقير خديدة لم يخل من خصوم أوجدهم له أبوه في توليه الحكم ولا سيما الفقراء الذين كانوا يمنون عليه في بلوغهم هذه المكانة بمعاضدتهم له ، وكثيراً ما أرادوا الوقيعة به . وقد ألصق الفقير « حسن كاكو » به تهمة تحريض بعض الفقراء على الهرب من وجه الحكومة الى المنطقة السورية ليستولي على أراضيهم في قرية جدالة فحكم عليه المجلس العرفي العسكري بالموصل عام ١٩٣٩ بالسجن الشديد ثلاث سنين وابقائه تحت مراقبة الشرطة ثلاث سنين اخرى ثم عفت الحكومة عنه بتاريخ ١٠ شباط ١٩٤٠ وأطلق سراحه .

ومن واجب العدل ان نعترف ان لو لم يكن حمو شيرو وابنه خديدة لما استطاع الفقراء أن يتصرفوا في شبر واحد في قرية « جدالة » وينالوا هذه المكانة التي أصبحوا يغبطون عليها بل لظلوا على فقرهم وذلهم ومسكنتهم يعيشون على أعطيات اليزيدية وصدقاتهم ..

لم يكن الفقراء ليروقهم أن ينال بيت « حمو شيرو » اكبر حصة من اراضي « جدالة » وكانوا يزاحمونهم عليها ، وبالأخص بيت « فقير جندو » الذين يملكون قوة كبيرة بين الفقراء ، والفقير « خديدة » لم يكن يعبأ بهم ويرى حزبه أقوى منهم والكل يطيعونه ، فبيت بيت الفقير جندو أمرهم واغتالوه على يد صبي يقال انه غير كامل الشعور كما سبق لنا ذكره ، وهكذا ذهب هذا الرجل العظيم ضحية الخيانة والغدر .

﴿ الشيخ خلف بن الشيخ ناصر ﴾

ينتمي الى أسرة الشيخ سجادين (سراج الدين) الممتازة بحرمتها العظيمة لدى اليزيدية ، وفد أبوه قبل ثمانين سنة من قرية « بعشيقة » الى سنجار وهو فقير ، وأخذ

يعيش على خيرات مريديه « الهسكانيين » وبعد وفاته ترك من الأولاد صاحب الترجمة الشيخ خلف وأخيه الشيخ بركات ، فمهد الهسكانيون أمر اعاشتها . وبعد ان دارت الأيام دورتها أصبح الشيخ خلف زعيما ، وأثرى ثراء واسعا وحصل على مكانة ممتازة ، وهو عاقل جدا بصير بالأمور ، لا يتكلم إلا عن روية وتفكير . وقد أولاه رجال الانكليز طيلة مدة الاحتلال ثقتهم وقدموه على بقية الزعماء في الجبل . وعندما جاءت لجنة تحديد الحدود بين تركيا والعراق فوضته الحكومة أراضي قرية كوهبل لقاء ما أظهره من حسن الخدمة والصداقة . فكان ذلك مما أثار حسد منافسيه ووشوا به أشياء دعت المجلس العرفي العسكري في سنجار بتاريخ ٢٥/٧/١٩٣٩ الى إصدار الحكم بحقه بالسجن لمدة سبع سنين بالأعمال الشاقة ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة خمس سنين اخرى ، ثم عفي عنه بتاريخ ١٠/٢/١٩٤٠ وسمح له بالعودة الى محله . وفي (تشرين الاول سنة ١٩٤٣) نفته الحكومة الى لواء ديالى ، وبعد أشهر عفت عنه . وقد أتهم في حادثة وقعت بين الهسكانيين وأهل قرية « خانه صور » فقررت الحكومة إبعاده ثانية الى لواء ديالى ، وبعد سنة أعادته الى الموصل ، ثم قررت إبعاده الى لواء بعقوبة ، وبعد سنة عفت عنه وأعادته الى سنجار .

ونرى ان حياة هذا الزعيم مليئة بالحوادث ، والذي جنى عليه كثرة حاسديه وتصلبه في أفكاره وهو ممن يؤمل منه استفادة عظيمة في حل المشاكل التي تحدث في الجبل او أولته الحكومة ثقتها واعتمدت عليه .

❊ صفوق ❊

أفلت أيام حياته في مغرب العصر (الميلادي) المنصرم وكان زعيما بكل معنى الكلمة . واليزيدية يطلقون عليه اسم « باشا » لكبر منزلته ، وهو كبير عشيرة « موسقورة » ذات الشهرة الكبيرة في التاريخ ورئيس جبل سنجار على الاطلاق ، عاش ثمانين سنة وقد رأيته شيخاً مسناً تلوح عليه آثار الهيبة والوقار ، كان يسير في حياته العملية على سياسة التقرب من رجال الحكومة ، والعمل على ارضائهم على خلاف بقية الزعماء اليزيديين الذين لم يقابل أحدهم رجل حكومة طيلة مدة عمره ؟ وما أتى قائد عسكري ولا موظف

اداري الى جبل سنجار إلا وكان له صداقة معه ، وقد أوجد له « كرافة » مع القائمقام احمد بك ، والمرحوم القائمقام ابراهيم صدقي بك بختن ولديه فى حضنيها ، وهذا لم يحصل لرئيس غيره فى سنجار مطلقا . وكان متساهلا فى عقيدته ، زوج اخته « عدلة خاتون » من قائد عسكري كبير جاء الجبل ورآها وأعجبته ، وقد أنجبت ولدان يشغلان الآن مناصب عسكرية مهمة في الجمهورية التركية .

ان تقرب « صفوق » من رجال الحكومة وابتعاد بقية الرؤساء عنهم مما ساعده على توسيع نفوذه فى الجبل والتنكيل بمخالفيه والحكومة من ورائه ، وقد أصيب بنكبة أليمة وهو فى آخر ايام حياته ، إذ كان له ولد على غاية من الصباحة اسمه « برجساً » كان يرافق الفريق بكر باشا في حملته على سنجار عام ١٨٩٥م فصادفه جندي موتور بقتل صديق او قريب له فى احدى المعارك مع اليزيدية وأراد ان يثأر له فقتله فأثرت هذه الحادثة فيه الى ان مات .

ونشأ لبرجس ولداً اسمه « حسيناً » كان مرضى الخلق محبوبا وسار على سيرة جده صفوكا من التودد الى رجال الحكومة والعمل على إرضائهم وكان له فتاة على غاية من الملاحة والجمال ، وقد علمها القرآن على يد أحد شيوخ الشيخ حسن واعتنى بتهذيبها وتثقيفها ، وكان يتحدث بتزويجها من موظف حكومي كبير الا ان منيتها عاجلتها قبل ان تتحقق أماني أبيها فيها .

﴿ داؤد الداؤد ﴾

هو حفيد عيسى اغا بن حسو اغا بن آدى بن دلا كبير (المهركان) وزعيم الجوانا وعشيرته (عسنا) او (عاسيتنا) وجده عيسى اغا من أشهر زعماء سنجار وأعظمهم قوة وأشدهم بأساً وأكبرهم مكانة وقد قتله أمير الآلاي عمر بك في حادثة قتل القائمقام احمد بك هو وجماعة كبيرة من رؤساء سنجار ، وداؤد الداؤد رجل فيه غلظة وشراسة وحمق وغرور تخاصم مع (حمو شيرو) بعد ان عينته الحكومة المحتلة حاكما على سنجار ورفض طاعته بدعوى انه كبير مهركان ، وزعيم الجوانا وكبير بيت (آدي دلا) وحمو شيرو لم يكن غير فقير وفد ابوه من الشيخان ، وكان خادماً لدى (صفوق) كبير

الموسقورة ، وقد جرى له معه حروب دامت عشرين سنة فقبضت الحكومة عليه وأبعدته الى مدينة (الناصرية) حيث بقى فيها ثلاث سنين ثم أعادته الى الموصل ونفته ثانية الى قضاء الشيخان وبعد سنة سمحت له بالذهاب الى محله . إلا أنه لم تطـأ قدماه الجبل إلا وأخذ من جديد يعقد المؤامرات ويقيم الثورات وبات الجبل فى فزع وخوف فأرسلت الحكومة قوة كبيرة لاعادة الأمن وإرجاع كبير المهركان الى الطـاعة فأبى وأصر على جهله وأعلن العصيان فنكلت الحكومة به تنكيلا شديداً وقبضت على جماعة من أعوانه وهم : (برجس حسين اوصي) كبير قرية شوركال و (قاسم علي) مختار قرية زيده خان و (بيدل حسو آدى) مختار قرية مهركان و (حجي عبدى) مختار قرية نقرى و (سليمان محمود) مختار قرية بكران و (عمر ميرخان) مختار قرية بشتكيري ، وحوكموا من قبل المجلس العرفي العسكرى فى سنجار وصدر حكم الاعدام بحقهم ونفذ فوراً وقد استسلم ٢٤٠ نفراً من أعوانه مع أسلحتهم فزجوا في السجون وهرب داؤد الداؤد الى المنطقة السورية جريحاً مع زوجته وولديه .

بقى فى المنطقة السورية نحو ثلاث سنين واختار الاقامة في قرية (منكفتى) ذليـلا حقيراً مهانا ثم وجد له فرصة وعاد الى محله ولكنه سرعان ما عاد الى سـيرته الاولى واصطدم بجماعة من الشمريين أعوان الشيخ عجيل الياور فقتل أناس كثيرون من الطرفين فقبضت الحكومة عليه وأرسلته الى لواء السليمانيـة ، ثم أعيد الى محله للمرة الثـالثة فتنازع مع رئيس (الهسكاآيي) فقبض عليه وأبعد فى هذه المرة الى بعقوبة هو وولده هادي وبقى فى بعقوبة وفي الموصل ثم في بعقوبة ثانية وبعد ان مضى عليه ثلاثة سنوات اخرى سمح له بالرجوع الى محله ، ويؤسفني ان اقول انه لم يكن في حالته الحـاضرة مما ترتاح له الحكومة وقد يأتى بأعمال غير مأنوسة ولا نعلم ماذا ستكون عاقبته .

﴿ الشيخ خضر بن الشيخ عطو ﴾

لم تكن نشأته في سنجار لتفرق عن نشأة الشيخ خلف بن الشيخ ناصر رئيس الهسكان وهو خاله . وفد أبوه من قرية « باصفنة » فى قضاء الشيخان الى الجبـل لجمع نذوره وخيراته من مريديه القيرانيين فوجد فيهم مرتعا خصبا نظراً لسذاجتهم ، فألقى عصا

الترحال بينهم وأثرى وحسنت حاله،ولما جاء دور ابنه الشيخ خضر ترأس عليهم وأصبح قيرانيا ،

كان اكبر مساعد لحمو شيرو عند توليه الحكم في سنجار وبقي موالياً له الى ان قضى نحبه . وكانت الحكومة قد أبعدته الى « بعقوبة » نحو عامين ثم سمحت له بالرجوع والاقامة في الموصل . ولما أعلنت الحكومة الأحكام العرفية العسكرية في سنجار وحكمت على الشيخ خلف وجماعة من اخوانه ، خالجه الخوف من ان يشمله الحكم ايضا فهرب الى المنطقة السورية في ٣٠ تموز ٩٣٩ وبقي هناك الى ان هدأت الحالة ثم عاد الى محله.

وللشيخ خضر مكانة محترمة عند اليزيدية ، إلا ان القرانيين يرفضون رياسته عليهم كلما استاؤوا منه وهو شيخ طريقة وليس له عصبية يحتمي وراءها .

وهو ممن سعد باتصاله من رجال الانكليز وكان يزورهم بدون وعد ويخالطهم دون كلفة ، وكان يملي عليهم اخباراً خرافية ويتلقونها منه كحقيقة . وأكثر الأخبار التي يتلقونها من رجال الدين اليزيدي هي من هذا القبيل وكل واحد منهم يملي عليهم ما يوحي اليه خياله . وترى ذلك فيما يكتبونه عنهم .

﴿ حاجة يزيدية جبل سنجار الى الاصلاح ﴾

ان ما ذكرناه عن القبائل اليزيدية في جبل سنجار وعن بطونهم وأفخاذهم ومناسبات بعضهم مع بعض والأخبار المتعلقة بزعمائهم، يعطينا فكرة عن الوضع الاداري والعشائري في هذا الجبل . وهذا الوضع يتبدل على مدى الأزمان ولا يستقر على حالة واحدة . فبينما نراه هادئا وقد شمل الجبل السكون اذ عصفت فيه الرياح الهوج واجتاحته الاعاصير فتأخذ الحكومة الأهبة لتهدئة الحالة واعادة السكينة خوفا من أن يتفاقم الأمر ويستعصي الحل . ورجال الادارة الذين يمارسون الحكم في هذا اللواء يقدرون هذا الوضع وهم دائما يقظون لمجابهة ما يحتمل ظهوره من الحوادث الآنية ويعالجونها .

لقد أثبتت التجارب العديدة أن الخطة المتبعة في ادارة شؤون هذا الجبل لم تكن مجدية ، وأصبح من الضروري على الحكومة أن تنتهج خطة اكثر نفعاً لتأمن مغبة هذه الحوادث التي كثيراً ما تشغلها وتأخذ جانباً كبيراً من جهودها . والطريقة التي يجب عليها انتهاجها ليست استعمال الحديد والنار وإلقاء الرعب والرهبة في قلوب الاهلين كما كانت تفعله الحكومة العثمانية طيلة مدة حكمها هذه البلاد ثم خرجت منها بصفقة الخاسر ، بل الطريقة المجدية هي تثقيف هذا الشعب وادخاله حضيرة التمدن ، واصلاح حالته المعاشية والترفيه عليه . وهذان العاملان هما اللذان يكفلان اسباب نجاته من الشقاء والبؤس اللذين حلا به ، ويؤمنان رفع مستوى هذا الجبل مادياً وأدبياً .

عاش هذا الشعب خمسة عصور تماما وهو يتيه في بيداء الجهل ، وليس شعب على وجه الأرض فرض عليه الجهل وحرم من التفكير غيره ، وهذا ما جعله غريباً في هذه الحياة وأصبح منبوذاً من كافة صنوف البشر ، وحرم من حقوقه الانسانية ، وعاش قلقا ، مضطربا ملتاعا واتعب غيره وأتعب الحكومة التي تولت أمره وشقيت الارض التي يسكنها به ، وهو لم يكن له ذنب سوى جهله الذي فرض عليه فرضا وتمسكه بعباداته التي وجد آباءه عليها ، والظروف التي لازمته طيلة هذه المدة هي التي سببت له البقاء على هذا الجهل وهذه العقيدة .

ان هذا الشعب الذي أدرك القرن العشرين من حقه ان يحظى بعد الآن بحياة هادئة

حرة مهذبة ويلتحـق بالركب الانسـاني المتحضر سواء أرضي منه زرادشت ومزدك وماني أم لم يرضوا ، وبقاؤه في حالته الحاضرة يعد لطخة سوداء في جبين الانسانية .

ان الوسيلة الوحيدة لانقاذ هذا الشعب من هذه الجهالة وجعله عضواً نافعاً في المجتمع هو العلم ، والعلم لا يكون إلا بالمدارس فعلى الحكومة ان تكثر من فتح المدارس في هذا الجبل وتجهزها بالمعدات المدرسية اللازمة وتنفق على الطـلاب الذين يؤمونها بسخـاء وتؤمن حاجتهم ، وتختار كل سنة عشرين طالباً ممن تتوسم فيهم الذكاء والنباهة وترسلهم الى العاصمة لاكمال تحصيلهم وتجعل منهم أطباء ومهندسين وحكاما وموظفين اداريين وضباطا وموظفي شرطة ، وترسل كل سنة منهم بعثة الى عـواصم اوربا ليختصوا في مختلف شعبات العلوم (١) وتقيم في الجبل كل سنة معرضاً زراعيـاً وصناعياً ، وداراً للسينما، ومحلات للملاهي، ومستوصفات تكثر فيها الاطباء والصيادلة والممرضين والممرضات وتجعلهم أداة للتبشير في العلم ، وهكذا لا يمضي طويل زمن إلا وتكون قد ظهرت المعجزة في خروج هذا الشعب من عزلته ودخل معترك الحياة الحرة وأخذ يعمل بما فيه خيره وخير الوطن .

ان تهذيب يزيدي واحد وتثقيفه يكفل صلاح الامة اليزيدية بأسرها .

إصلاح حالته المعاشية : ان تسلسل الظلم قرونا طوالا على هذا الشعب وانهيال أسواط النقمة عليه جيلا بعد جيل لم يترك له مجالا في إعمار مزارعه وتكثير أشـجاره وتطهير كهاريزه بشكل يضمن له سعة الحال ورغد العيش وكان طيـلة هذه المدة عرضة للنهب والسلب . وقلما مضى عام او عامان وما حملت الحكومة العثمانية عليه بجيوشها الزاخرة وتكبدت وكبدته خسائر بالأرواح والاموال . فكانت سياستها معه متجهة نحو تقليل

---

١) كنت في صيف العام الماضي زرت قنصل الجمهورية التركية في الموصل ومعي « ميان خاتون » الوصية على أمير الشيخان ، ودار فيما بيننا الحديث عن اليزيدية القاطنين في تركيا . فذكر لي انهم لم يبقوا على عقائدهم القديمة وقد أخذوا يقبلون الى العلم . والجمهورية التركية تستخـدم ذوي الكـفاآت منهم في مختلف الوظائف ، ويعرف منهم طبيباً وهو صديق له وذكر لي اسمه . سألته : ألم يوجد بينهم مشائخ وبيرة وقوالون ؟ قال : هؤلاء لا يجدون عندنا خبزاً ياكلونه . وكانت زيارتي له قصد ان ألتمس السماح لجماعة من القوالين لزيارة اليزيدية الذين هناك . ولما علمت انهم لا يجدون خبزاً ياكلونه عنـدهم لم أكلمه في شأنهم .

عدده بالقتل واخراج أمواله من يده بالنهب والسلب لتأمن عاقبته ، فتركوا مساكنهم القريبة من ذيول الجبل ولجأوا الى القرى المنيعة وعاشوا فى ضنك وضيق ، وعسر عليهم معاشهم ، ولما تبدل الحكم ونالوا حريتهم وخرجوا من عزلتهم رأوا الاراضى الزراعية القريبة من ذيول الجبل قد دخلت في أيدي غيرهم وأصبح واحدهم بحاجة الى قطعة أرض يزرعها فلا يحصل عليها ، فاشتدت فيهم الفاقة وعضهم الجوع ، ووقعوا فى اليأس فلجأوا مكرهين الى الاعمال التى تدعو النقمة عليهم .

ان هذا الشعب بقدر ما هو محتاج الى الثقافة والعلم يحتاج الى الأكل والشرب واللبس وهو ليس بحاصل عليه طالما قد سدت بوجهه ابواب العمل . فالأراضي التي كافح عليها عصوراً طوالا وعجن ترابها بدمه لم تبق له ، والقني (الكهاريز) التي كانت تجري لبناً وعسلا انطمرت ولم تكد تصلح للعمل ، والقرى التي بقيت بعيدة عن تناول الأيدي الأجنبية في الجبل دخلت فى أيدي متزعميهم وحرمت عامتهم منها. فاذا ما تم له الانتباه الذي ينتظره وخرج للحياة الحرة من جديد ، فلسوف لا يرضى لنفسه البقاء في هذا العسر والضيق لا سيما وان نفوسه قد اخذت تزداد بنسبة مبسوطة وسيبلغ بعد ربع قرن ضعف ما هو عليه الآن . وبالنظر الى هذه الاعتبارات فقد اصبح واجبا على الحكومة ان تأخذ باعداد اسباب رفاهية هذا الشعب وإدخال وسائل العمران عليه ويكون ذلك بالصورة الآتية :

١- منحه ما يحتاجه من الأراضي الزراعية في شمالي الجبل وجنوبه على ان يعوض اصحابها الذين دخلت فى أيديهم اراضي اخرى غيرها .

٢- تطهير الكهاريز المندثرة في شمالي الجبل وجنوبه وتبلغ نحو مائتين وخمسين عدداً وجعلها صالحة للعمل .

٣- تأسيس شركات زراعية تجهزهم بالآلات الزراعية الميكانيكية وتعودهم على استعمالها .

٤- إقراضهم من المصرف الزراعي المبالغ الكافية لتحسين زراعتهم وتكثير مواشيهم.

٥- تشجيعهم على تكثير الاشجار وإبلاغها الملايين ، وهي ثروة الجبل الطبيعية .

فاذا ما حصل لهم ذلك ونالوا نصيبا من الثقافة والعلم اصبحوا من خيرة الشعوب

واعتز بهم الوطن وعملوا على رفع مستواه وحصلت الحكومة على شعب غيور منتج .

***

اما يزيدية الشيخان فيختلف وضعهم عن يزيدية سنجار . فهنا لا نجد للعصبية العشائرية أثراً وقد يعيشون فى هدوء وسكينة . والتعصب الدينى قليل فيهم ولو رفع عنهم الضغط الذي يلاقونه من رؤساء دينهم لدخل عليهم التطور الدينى والثقافى الذي ينتظرهم بأقرب وقت . على ان رؤساء دينهم نفسهم يشعرون بهذه الحاجة ، ولكنها عندما تتعارض ومصلحتهم يقفون سداً حائلا أمامها .

ولا احتمال لاصلاح حالتهم المعاشية وتقدمهم فى الحياة أكثر مما هم عليه الآن طالما لا يملكون حق التصرف في أراضيهم ويشتغلون على حسابهم وهم دائما وأبداً محكومين بالفقر .

- في حالة البدوي النفسية في الشيخان -

- واستكانته وقبوله الذل -

كان هؤلاء القوم فيما مضى معتصمين بقوتهم وعصبيتهم ، وليس من السهل إلحاق أقل أذى بهم . ولما غلبوا على أمرهم ونالتهم الأيدي من كل جانب ، تسربت اليهم الذلة والمسكنة ، وتأصل فيهم روح الضعف والخنوع ، وأخذ وجهاء الموصل يسلبونهم أملاكهم وأراضيهم ويجعلونهم خداما لهم .

ناهيك ما كانت الحكومة السابقة تعاملهم به من الظلم الفادح والاعتداء الفظيع وهم لا يستطيعون ان يبدوا حراكا ويدافعوا عن أنفسهم . وما مضى يوم إلا والسجون غاصة بهم لسبب التهم التي يوجهها اليهم المتنفذون لسلب البقية الباقية في أيديهم من عقار وملك ، ومص آخر قطرة من دمهم وصنوف القضاة والحكام آلة بيد هؤلاء المتغلبة يحركونها وفق رغبتهم .

كان من أكبر علائم الضعف في الحكومة العثمانية في آخر عهدها في العراق ظهور هذه الطبقة من اصحاب الوجاهة والنفوذ . وكان العدل الاجتماعي يهان ويداس بالأرجل في سبيل وليمة يولمها وجيه ، او هدية يقدمها ، او خدمة خسيسة يقوم بها . ووليمة واحدة تجعل رقاب مئات من هؤلاء البؤساء خاضعة له ولأولاده وأحفاده .

كان هؤلاء البؤساء يهانون في شرفهم ودينهم وعزتهم ، وكان السيد الوجيه يجهز على آخر ما تملكه أيديهم من مال ومتاع كيلا ينال أحدهم ثراء وتحدثه نفسه يوماً ما بالخروج عن طاعته . وكان يتسلط على أعراضهم ، ويسب معبودهم لأنهم ليس لهم كرامة تستحق الصيانة عنده . رأيت مرة وجيهاً أمر بربط كبير قرية بالجرجر (وهو آلة ثقيلة يجرها بغلان قويان تستعمل في دوس البيدر) فكان يدور به بمنتهى طاقته .. ورأيته مرة أمر بشد أربعة من مزارعيه بالحبال وصب على رؤوسهم الدبس وأوقفهم امام الشمس المحرقة لأنهم سرقوا من محصولاتهم.. ورأيته مرة أمر بجمع دجاج احدى قراه وكانت مائتين

وثمانين دجاجة وأرسلها الى بيته العامر بالموصل لأنه أمرهم ان يربطوها كيلا تقرب من البيادر وتلتقط الحب ولم يمتثلوا أمره ... ولا يزال أحد ابناء هؤلاء الوجهاء، وهو من اصحاب العقارات الواسعة يحدثنا عـن حلقه لحية أحد مزارعيه لقصـور بدر منه نحـوه.

هذه هي حالة هؤلاء البؤساء فيما مضى ، ويمثل هذا العسف والجور سلبت اراضيهـم من أيديهم واصبحوا صعاليك لا يملكون شيئاً ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وفقدوا كل كرامة في الحياة .

وبعد ان تبدل الحكم فى العراق وزال عنه شبح الماضي ، واستعادت فيه الأقليـات المستضعفة حريتها ، ظل اليزيدية دائبين على ما هم عليه من الهوان والذل وزادوا خضوعا لأسيادهم ، ولم يرضوا ان ينزعوا طوق العبودية من أعناقهم وصدق عليهم قول الشاعر:

عبد رق مارق يوماً لعتق ... لو تخليت عنه ما خلاكا

﴿ درجة الجبن المستحكم فيه ﴾

بقدر ما هو عليه اليزيدي من الصبر على المكاره ، والجـلد على الشدائد ، نراه من ناحية اخرى شديد الخوف رعديداً جباناً لا يجرأ على مناوأة احد من غير بني جلدته، وذلك لسبب ما يداخله من الوهم بأن دمه قـد أبيح في معتقد المسلم ، وأن المسلم سيقضي عليه لا محالة اذا ظفر به . حـتى كثيراً ما كنا نرى فى عهد الحكومة البائدة كيف يناصب احد رعاع المسلمين أهل قرية منهم العداء وليسوا بقادرين على دفع أذاه عنهم . وهذا ما زاد طغام ذلك العهد جرأة وإقداما على إيذائهم وسلبهم اموالهم واجراء كل فعل منكر معهم .

أما الحالة بينهم فهي على العكس من ذلك، وقد لا يحجم أحدهم عن قتل صاحبه لسبب تافه لا يستحق الذكـر ، وهنا يصدق عليه القول المشهور « أسد عـلي وفي الحروب نعـامة » ، وهو أمام الرجل المسلم أضعف من نعامة ، وقد لا يقدر على مجـابهته حتى ولو كان بأقوى منه . ولم يستحكم فيه هذا الجبن وهذا الضعف إلا عندما لاقى إعراضاً من الحكومة عن الأخذ بناصره ، وانصافه من غريمه وهو محكـوم عليه أبداً

ودائما بالحرمان من حقوقه مع المسلم وحجته عليه باطلة حتى لو أن السماء أيدته فيها .

ولا ننكر أن تبدل الحكم في هذه البلاد غير حالته النفسية ، وأزال الى درجة سجية الجبن والخوف المستحكمة فيه ، إلا انه لا يزال ذلك الانسان المهان المستضعف بنظر المسلم ولا يتجنب الرجل المسلم ايذاءه كلما وجد اليه سبيلا .

أما الحالة فى سنجار والمواقع التى يكون لليزيدية فيها عصبية قوية فهي على العكس من ذلك ، وقد يكون المسلم فيها مهانا ذليلا ، وقد لا يستطيع البقاء ما لم يحتم بيزيدي بدفع الاعتداء عنه .

﴿ درجة تحمله للشدائد ﴾

إن من أهم الأسباب التى زادت اليزيدي بؤساً وشقاء ، تمسكه بالتقاليد التي ورثها من آبائه وروح الاستسلام الذي غرسه فيه رؤساء دينه ، حيث أخذ يعتقد ان أقل إهمال او تقصير يبديه نحو أحد رجال الدين يجعله عرضة لغضب الآلهة ولا ينال السعادة التي أعدها الآله السامي فى الدار الآخرة لعباده المخلصين . ولذا نراه يعاني طيلة ايام السنة الشدائد الصعاب فى تحصيل معاشه واذا بالكوجك والقوال وأخو الآخرة والشيخ والبير والبسمير والفقير وخادم الأمير يأتونه ويأخذون منه عائداتهم المفروضة عليه ، وعند حلول كل عيد وموسم يصنع الطعام الوفير إكراما للنصب الذي في قريته ويكثر من إطعام الطعام عندما يأتى السنجق الى قريته، ويخبز الخبز ويرسله الى سدنة المرقد المبارك، ويعطي الخيرات الى الأمير ، وعند زيارته السنجق ، وذهابه الى مرقد الشيخ عدي ، ويرسل الغلال الى الشيخ الأكبر ، ويمنحه مقداراً من النقود ، وهكذا ما تنقضي عليه السنة إلا وقد زهقت روحه . واذا باحثه أحد فى شقائه يظهر له الارتياح ، ويعد نفسه من السعداء ، لأن طاؤوس ملك سيضعه فى طبق على رأسه يوم القيامة ويدخله الجنة بلا حساب وعقاب .

أما في سنجار فيقتصر اليزيدي على اعطاء خيراته الى السنجق ، والرسوم المفروضة عليه الى شيخه وبيره .

***

معيشته

إن معيشة اليزيدي خشنة جداً ، وقد يأكل الخبز قفاراً أو مع البصل (١) ولا تطمح نفسه الى لذائذ الأطعمة مها يكن عليه من السعة والرخاء . ويأكل خبز القمح أيام الأعياد والمواسم . وفى الأيام السائرة يأكل خبز الشعير مع وجود القمح عنده ويعده من نوع الزهد والقناعة اذ يعتقد أن أشياخه كانوا يأكلونه ، وأن الشيخ عدياً كان يأكل الخرنوب . ويصنع الطعام المعروف بـ « الكشام » (٢) فى موسم الشتاء ويعده من ألذ المأكولات وأطيبها . واذا كان لديه بقرة أو عدد من المعز والضأن ، يجمع سمنه ويبيعه ولا يسمح لأهله أن يأكلوا منه . ولا يذوق طعم اللحم إلا اذا حصل على ميتة . ويلتقي مع اللحم أيام الأعراس والأعياد ، وعند مجيء السنجق الى قريته . واذا كان موسراً يكثر من تهيئة الطعام أيام الطوافات ، وعندما يحل ضيف عنده من ذوي الوجاهة ، أو موظف حكومي ولا يتجاوز الشرطي. ويبالغ الأمير فى اكرام ضيوفه ، إلا أن معيشته الخصوصية لا تتميز عن بقية اليزيدية .

تجنبه اللذائذ وخلوده الى حياة الفقر والذل

تختلف الديانة اليزيدية عن غيرها لكونها مبنية على الزهد والتقشف والبعد عن الملاذ النفسية التى تحول دون ارتقاء الروح الى عالم الخلود حيث تتصل بالملكوت الأعلى وتحظى بالسعادة الأبدية والنعيم المقيم . وما هذه الأرض فى نظرهم إلا مهداً للشقاء والبؤس ، ومصدراً لصنوف البلاء والمحن ، والراغب فيها ، الطامع في زخرفها ونعيمها سيكون نصيبه كنصيب غيره من ذوي الأديان السائرة ، البعد عما أعده الاله السامي من السعادة لعباده الصالحين .

---

١) لم تكن رغبة اليزيدى في الاكثار من اكل البصل عن عقيدة دينية او دينية كما يتوهم البعض، لرخص ثمنه . والاخبار التي اوردها صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نحلتهم نقلا عن اوليا جلبي من ان للبصل حرمة فائقة لدى اليزيدية ، وان من ضرب امامهم البصل بجمع فكسره يخشى عليه ان يقتل ويمرد راسه كما فعل بالبصل ، وان الغني اذا مات يغسل بماء البصل لا اصل لها .

٢) طعام يستعمله الاكراد ، وهو عبارة عن اقراص صغيرة مصنوعة من نصيل اللبن والمدقوقة يجففونها فى موسم الصيف على السطوح ، ويدخرونه في آنية خزف ، ويطبخونه موسم الشتاء مع الثوم والسمن ، ويسميه البعض (طرخينه) والمدقوقة ــ برٌ مهبش قليلا « مقشور ».

وهذه العقيدة هى أساس المباديء التي تسير عليها هـذه الديانة ، حيث حدى الأمر بالرجال الروحيين الذين يشرعون الاحكام منهم الى وضع سنن وقواعـد على غاية من القسوة والفضاضة ، تناولت حتى أعمالهم الحيوية وأرغموهم على اتباعها ، من ذلك انهم حرموا عليهم كل عمل يجدون فيه لذة روحية او نفسية فيها ما يحبب اليهم هـذه الحياة الفارغة ويزيدهم تعلقاً بها ، وقضوا عليهم بالاستكانة الى حياة الفقر والذل والمسكنة ليتم لهم الوصول الى الغاية المثلى التى يرمي اليها كل انسان وهو الفوز بالآخرة ، ومن هنـا نشأ تجنبهم أشياء كثيرة بزعمهم انها مفسدة لدينهم كارتياد أماكن اللهو والطرب كمسارح الرقص والسينما ، ودخول الحمام ، والقعود على فراش وثير ، والزينة والتبرج ، كاقتناء النساء الحلي الذهبية ، ويتحاشون لبس المنسوجات الملونة خاصة ما يخـالطها شيء من الحرير لأنها من زخارف الدنيا ويقتصـرون على لبس الأبيض الفضفاض لانه لبـاس أهل الجنة .

﴿ المرأة غير اليزيدية في نظرهم ﴾
﴿ ونفور المرأة اليزيدية ممن هو على غير دينهـا ﴾

مما هو جدير ان يعد من حسناتهم تحريمهم النظر الى وجه المرأة غير اليزيدية بميـل واشتهاء ، لاعتقادهم ان في ذلك لذة خبيثة تجر بصاحبها الى الخروج عن الديانة لا محالة فكيف إذن ان يكون لهم مناسبة غير مشروعة معها ؟ ولذلك فقد كان من دواعي هذا التحريم ان تعيش المرأة المسلمة معهم أبد الدهر وليس من المتصور ان يمسوها بسوء ، او ينظر أحدهم اليها نظرة خبيثة ، وهى في نظرهم نجسة قذرة ، والواجب على كل مؤمن بشريعة (طاؤوس ملك) ان لا يقربها ويدنس نفسه بها .

ومن هنا نشأ تشديدهم النكير على المرأة اليزيدية ان تخالط من هو على غير دينهـا ، او تجتمع به على انفراد ، او تكلمه بلطف وبشاشة ، او تظهر له الود ، واذا وقفوا لها على صلة غير مشروعة به ، ولو على طريقة الشبهة ، ينبذونها وربما يقتلونها ، واذا ماتت يقبرونها بعيداً عن أمواتهم ، ولا يجرون عليها صـدقة ، وذلك لأنها خرجت من زمرة المؤمنين .

وهذا ما أدى الى كمون العداوة والبغضاء في قلب المرأة اليزيدية ضد الرجل المسلم او النصراني ونفورها منه واذا خاطبها بيا بنتي أو يا أختي تغضب وتعد ذلك نقصاً في دينها ولم يكن نفور الرجل اليزيدي عمن هو ليس على دينه بأقل من المرأة اليزيدية ، وقد ينكر عليه إذا قال له يا أخي او يا ولدي ويجاوبه بكل جفاء وغلظة : أخي الكلب وأبي الحمار ، واذا أراد ان يكون معه رقيقاً وظريفاً يقول له : أنا لا أصير لك أخاً ولا ولداً وكل منا على دينه .

وإذا أراد أحدهم التبرؤ من أمر يقول : إن كان كذا فأكون مسلماً او نصرانياً فيجاوبه مخاطبه : حاشاك من ذلك .

﴿ في الاحكام والقوانين المتبعة في مسائل النكاح ﴾

لليزيدية قوانين صارمة في مسائل النكاح لا توجد عند غيرهم من ذوي الاديان الاخرى قاطبة ، وهي مرتكزة على أساس الطرائق التي بني عليها هذا الدين ، والاسلام لم يأت بها وقد أباح الزواج بين المسلمين بصورة مطلقة مع مراعاة الكفاءة فقط ، ويجوز ان اليزيدية أخذت قوانينها الصارمة من الديانة البرهمية التي قسمت تابعيها الى صفوف عدة وجعلت بينهم حواجز وفوارق كثيرة قصد حفظهم من الاختلاط بالغير لا سيما الروحيون الذين أرادت ان ترفعهم عن بقية الصفوف وتجعل منهم طبقة ممتازة لها التفوق على غيرها ، إلا ان اليزيدية تجاوزت البرهمية في قوانينها أشواطاً بعيدة وأوجدت حواجز بعيدة حتى بين الروحيين الذين يضمهم نسب واحد .

إن القاعدة الأساسية التي سارت عليها اليزيدية في هذه القوانين هي تحريم الزواج بين طبقة العوام الذين عرفناهم بالمريدين وبين الصفوف الروحية . والغاية هي حفظ السلالات الروحية من الاختلاط بغيرهم ممن هم أحط منهم محتداً ، وأن لا يدنس دمهم بدم غير شريف . وقد توسعت في هذه القوانين وحرمت التزاوج بين صنف وآخر من الروحيين نفسهم وزادت عليها بأن وضعت لكل أسرة من الروحيين قانوناً خاصاً تسير عليه . خذ لذلك مثلا (البيرة) ، ويبلغون نحو أربعة عشر أسرة ، فعدا عن انها لم تجوز تزاوجهم مع غير البيرة بصورة مطلقة ، فقد حصرت زواج أسرة (بير حسن

عمان) فيما بينهم وحدهم . وكذلك أسرة (بير محمد رشان) فقد حرمت عليهم الزواج إلا مع أسرة (بير جروانه) وحرمت زواج هاتين الأسرتين مع الغير بصورة مطلقة . أما بقية البيرة فلا مانع لهم من التزاوج بينهم .

أما المشائخ ويتميزون عن البيرة باعتبارهم من أرومة واحدة ويضمهم نسب واحد فقد جعلتهم ثلاث شعب رئيسية وحرمت الزواج بين شعبة وأخرى كما حرمته بين الشيخة والبيرة ، والبيرة والمريدين .

ومن الصعب أن نفهم معنى لهذا التشريع الذي باعدت به بين أهل بيت وآخر ممن ينتمون الى أرومة واحدة ، وباعدت به حتى بين البيت الواحد كما فعلته من تحريم الزواج بين ذرية (الشيخ فخر الدين) وذرية (الشيخ شمس الدين) مع ان الشيخ فخر الدين هو أخ للشيخ شمس الدين الحسن بن الشيخ عدي الثاني . ولا نستطيع القول أن هذا التشريع وضع جزافاً دون أن يرمي صاحبه الى غاية لم نكد ندركها اليوم . وحفظ هذه السلالات من الاختلاط بالأجناس المنحطة يأتي بالدرجة الثانية . ومن الجائز انه راعى تشكيلات الطرائق التي لا يزالون يتحدثون عنها وإن لم يكونوا يعرفون الان شيئاً عنها كما لا نعرفه نحن .

وقد زاد الشارع في القيود التي وضعها في أمر الزواج بأن منع التزوج بأخت الزوجة بعد موتها أو طلاقها وزوجة الأخ والعم بعد موتها وأخت الفتاة المخطوبة وان لم يدخل بها وعد التزوج بها حراماً . ومن قال لزوجته أنت شيخي أو بيري فقد تحرم عليه . واذا حصل (مكارفة) بين أسرتين فقد تدخل الواحدة في محارم الأخرى الى خمسة أجيال وعند البعض اكثر من ذلك .

إن هذه القيود التي وضعها الشارع للدين اليزيدي لم يسبقه أحد اليها من المتشرعين أصلا لما اشتملت عليه من قسوة وصرامة . فان كانت أفادت بها الشارع في حفظ السلالات الروحية من أن يتسرب اليها الفساد باختلاط الغير بها ، وفي حفظ الطرائق الدينية التي هي الأساس لهذا الدين - ، فقد أساء الى المجتمع اليزيدي اكبر إساءة ، وقد شملت إساءته الطبقات الروحية اكثر ، إذ بجعلهم خاضعين لهذه القيود الشديدة في

مسائل الزواج حكم عليهم بالانقراض . فأسرة (بير حسن ممان) التي حرم عليها التزاوج مع الغير يجوز أن كانت على عهده من الكثرة ما يغنيها عن مصاهرة من لم يكن من أسرتها أما الآن فبخضوعها لهذه القوانين الصارمة أصبحت لا تتجاوز عشرين بيتاً في مختلف البقاع ، وكذلك أسرة (بير محمد رشان) وأسرة (بير جروانه) فقد انحصرت كل واحدة منها في خمسة أو ستة بيوت ، وبعد جيل واحد أو جيلين ستفنى هذه الأسر ولن يعرف شيء عنها .

وهذا ما نقوله ايضا عن طبقات المشائخ ، فالأمراء والبسميرية يسيرون بخطى سريعة نحو الزوال وسيدركهم الفناء بعد جيل او جيلين اذا بقوا متمسكين بهذه القوانين ولم يحيدوا عنها ، فاما أن يجتنبوها ليعيشوا او يتمسكوا بها ليموتوا .

وها ان التاريخ يحدثنا عن أسر كثيرة كانت موجودة في بدء ظهور هذا الدين ثم انقرضت وزالت من الوجود . وفيها أن الأسر الأرستوقراطية التي كانت تنضم بعضها الى بعض بالزواج طمعاً بالمحافظة على الألقاب والاسم والثروة كانت تنحط شيئا فشيئا الى ان انمحقت فلم يبق لها أثر يذكر .

وقد عد علماء الفسيولوجيا ان الزواج الذي يقع بين الأسر على وجه الانحصار يكون سبباً لنمو الأمراض والعلل بينها . من ذلك ما جاء في كتاب قانون الزواج نقلا عن العلامة الدكتور يوحنا ورتبات :

« ان تحريم الزيجة بين الأهلين والأقربين ، كما تحث عليه جميع الأديان ، هو من الأمور الصوابية، لأنه ثبت من المشاهدات المتعددة ان الزيجة بين الأقارب مضرة بالنسل ولو كانت بين أولاد العم والخال، ولا سيما اذا تكررت في الأسر كما هو مشهور في أهل المشائر من بلاد سوريا الذين حصروا زيجتهم منذ اجيال عديدة في أسر قليلة ، وكانت النتيجة الجنون والصرع والفالج والتشوه الخلقي فيما بينهم » .

﴿ تهريب النساء والفتيات ﴾

إن تهريب النساء والفتيات عند اليزيدية ولا سيما في سنجار عادة مألوفة لا يرون فيها عاراً ومنقصة وقد تدعو بيئتهم وحالتهم الاجتماعية اليها ولا يمكنهم اجتنابها ، وكثيراً ما

تسهل الأمهات في سنجار اسباب تهريب فتياتهن لمن يقع عليه اختيارهن من الرجال . وفي اليوم الثاني يتم الصلح بتوسط أحد الشيوخ او ذوي النفوذ والمكانة من الرؤساء. اما اذا كانت المرأة التي يقع عليها التهريب ذات زوج ، فقد يعتور الصلح شيء من الصعوبة وربما ينجر الى نتائج سيئة . ومن الطبيعي ان التهريب لا يمكن ان يقع قسراً بل باتفاق الطرفين ويكون على الأكثر أيام الأعياد والجماعية في مرقد الشيخ عدي في الشيخان وفي الشيخ شرف الدين في سنجار حيث هناك يسهل تلاقي الجنسين وتكون الحرية الشخصية مطلقة غير مقيدة ، ولكل ان يفعل ما يشاءه ضمن حدود الآداب والشريعة . ومما يستحسن من الفتاة التي يقع عليها التهريب إرغام زوجها على إجراء الصلح مع ذويها وتأديته الصداق لهم كاملا غير منقوص ، واذا لم يفعل تتركه وتعود الى أهلها وهي واثقة من انهم لا يمسونها بسوء .

ولا يؤخذ من كلامنا ان التهريب متبع في جميع الحالات ، كلا ! فأكثر الفتيات قد لا يرضين به حرصاً على سمعة ذويهن ، اذ مع كثرة ذيوعه بينهم قد لا يخلو من معرة ما .

والاسلام الاكراد القاطنون في جبل سنجار ، ككاب علي وعبدو علي والهلالية وبيت ناسو وكذلك الباباوات والدقورية والخواتنة والمندكان يقلدون اليزيدية في التهريب ولا يستنكرونه .

﴿ حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية ﴾

إن حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية منحطة جداً ، وهي كالأشياء المهملة ، تباع وتشرى ويتصرف بها الرجل كما يشاء وتشاء مصلحته وليس لها ارادة في ذلك . وقد يزوجها وليها ممن يقع اختياره عليه ، ولا يمنحها فلساً واحداً من صداقها ، واذا مات زوجها ترجع اليه ويزوجها ثانية وثالثة ورابعة الى ان تزول عنها خاصة الانتفاع وتدخل في مصاف العجائز . وللزوج ان يبيع زوجته ويقامر عليها ويرهنها ، وتجري هذه القاعدة على الفتيات غير المتزوجات ، إلا ان ذلك منحصر في بعض عشائر سنجار وفي جبل الطور ، وربما كان موجود قبلا بين غيرهم ايضاً . وقد تدخل المرأة في ميراث عدة

اشخاص من ذوي قرباها ، فان أرادوا زوجوها ممن يقع اختيارهم عليه ويتقاسمون مهرها ، واذا رغب احد مورثيها فيها فيختصها لنفسه ويؤدي لبقية الورثة ما يخصهم من ثمن مهرها .. وقد تحرم من الميراث الذي يخصها، فمثلا اذا انحصر ميراث أبيها فيها فقد يغنمها عنه ولد عمها الذي يجتمع معها بالأب الرابع والخامس حتى انه يرثها هي نفسها، واذا لم يكن لها ولد عم فيرثها الأمير ومالها ويزوجها ممن يشاء ويختص بمهرها (١) وتحرم من ميراث زوجها ، وتعود بعد ترملها الى وليها تسحب وراءها ذيل البؤس والحرمان ، وكأنها ما أقامت عنده إلا لتضمن رغباته الشهوانية وتلد له اولاداً يخلفونه بعده ، واذا أحب اولادها مقامها بينهم وكانت لها طرادة تطمع فيها الرجال يؤدون مهرها ثانية من مالهم الى وليها ويحررونها منه .

والمرأة اليزيدية على رغم ضياع حقوقها وعدها بمنزلة الحيوانات السائمة ، فهي أبداً صاحبة السلطان في البيت ويكون الزوج خاضعا لها ولا يسعه مخالفتها . وأهون شيء لديها ان تتركه وتبحث لها عن زوج آخر غيره .. وقد لا يعرض وليها من مراعاة إحساسها قبل الزواج وينزل عند رغبتها فيمن يختاره بعلا لها وذلك خوفاً من ان ترفع عليه لواء العصيان وتحطم الأغلال التي أوثقها بها وهناك يفقد منفعته من ورائها .

﴿ كيفية عقد النكاح عند اليزيدية ﴾

إذا سألت أحد اليزيدية عن كيفية اجراء عقد النكاح عندهم ، يجيبك بأنه من المتحتم الديني ان يجري بمعرفة شيوخ أسرة (الشيخ حسن) الذين حصر الشارع للدين اليزيدي هذه المهمة بهم وحدهم ، واذا سألته لماذا لا يهتمون بهذا الواجب الذي حتمته الشريعة عليهم ؟ يجيبك بأنه لما كان من المتعذر وجود هؤلاء الشيوخ في كل آن بين الملة فقد جرت العادة ان يكون الزواج مبدئياً بمجرد وقوع التراضي بين الجانبين ، على ان تجري المراسيم المعتادة عندما يقوم شيوخ آل الشيخ حسن بدورتهم السنوية بين الملة ، إلا ان معظم اليزيدية لا يهتمون كثيراً باجراء هذه المراسيم بعد ان يكون قد تم زواجهم .

---

١) لقد ابطلت هذه العادة الان ولم يكد الامراء يعملون بها .

هذه هي القاعدة في عقد النكاح عند اليزيدية ، وقد حدا بهم التساهل الى عدم الاهتمام بها ، وأصبح عقد النكاح عندهم عبارة عن حفلة رقص يكثرون فيها شرب الخمر وأكل التمر والزبيب ويسمونها بالكردية (عرق وشيريني) دون ان يكون للمراسيم الدينية أثر فيها .

ولما كان الزواج على هذا الشكل ضربا من الفوضى لا يخلو في كثير من الأحيان من توليد مفاسد في حياة هذه الطائفة الاجتماعية، حتى قد يترك بعض النساء أزواجهن ويتزوجن ممن تصبو نفسهن اليه ، ولا سبيل الى تخطئتهن على عملهن ، وذلك لان زواجهن لم يكتسب صبغة دينية حتى يرغمن على المحافظة عليه . وبناء على ما كان لهذا الوضع من التأثير السيء على كيان هذه الطائفة حيث لم يكد أحد منهم يأمن على حياته الزوجية من ان تعبث بها أيدي المفاسد ، فقد ضج فريق من عقلاء هذه الملة من هذه الحالة المضرة ، وأخذوا يصرون على الأمير ان يضع حداً لها . وعلى ذلك فقد أصدر البيان الآتي الذي خاطب به شيوخ آل الشيخ حسن الذي يعود عقد النكاح اليهم :

« الى جميع شيوخ الشيخ حسن في ملة اليزيدية المحترمين :

بناء على اللزوم الذي تراءى لنا بخصوص عقد النكاح الذي سيجري في المستقبل ، نرشدكم الى النقاط الآتية :

١ـ عندما يعقد النكاح يجب ان يكون بحضور شاهدين عن الوكيل للبنت التي يعقد النكاح عليها .

٢ـ يجب ان يحصل التراضي والقبول فيما بين الشاب والبنت أولا ثم يعقد نكاحها .

٣ـ ان البنت التي يعقد نكاحها يجب ان لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة .

٤ـ من الآن وصاعداً نرجو إلفات نظركم الى ما عرضناه آنفا ، ولي وطيد الأمل بأنكم ستقومون به حرفيا . وعند عقد نكاح أي بنت كانت او شاب بدون رضاها ، سوف تجري المعاملة القانونية بحق هؤلاء ويكونون عرضة للعقاب والسلام » .

في ١٢ أيار ١٩٢٩ م   أمير الشيخان

سعيد

ومع اهمال هذا البيان ذكر كثير من المسائل التي يجب مراعاتها في اجراء عقد النكاح كموافقة ولي الفتاة على تزويجها وتعيين الصداق الذي تستحقه (١) فقد خطا الأمير فيه خطوة كبيرة نحو الاصلاح المنشود لهذه الطائفة ومشى وروح العصر باقدام وجرأة لم نكن نتوقعها فيه من قبل . وهل أدل على ذلك مما نص عليه من وجوب (حصول التراضي والقبول بين الشاب والبنت أولا ، وثم يعقد نكاحها) حيث أراد بذلك القضاء على العادات السقيمة المتبعة في إرغام الفتاة على الزواج ممن يقع اختيار أبيها عليه ويمنحه من الصداق اكثر من غيره ؟

ونص على ان لا يكون عمر الفتاة أقل من خمس عشرة سنة وهو السن الذى عده كافيا لنيل الفتاة رشدها فيه لتحسن انتخاب الرجل الذي تتخذه بعلا لها .

ونزع منزعا إسلاميا بتقييده اجراء عقد النكاح (بحضور شاهدين عن البنت) منعا للتلاعب المتوقع حدوثه في أمر حيوي كهذا يتوقف اصلاح أمة بأسرها عليه .

ويفهم من هذا ان روح اليزيدي مهما يكن قد تردت وعلاها الصدأ فهي على استعداد تام لاسترجاع صفائها والرجوع الى المبادىء الاسلامية التي أضاعتها ، وهذا ما يبشر بان المرأة اليزيدية لا بد وأن تنال حريتها المسلوبة وتتبوأ المكانة التي تستحقها في المجتمع آجلا كان او عاجلا .

﴿ الزواج عند اليزيدية ﴾

يجري الزواج عند اليزيدية بعد أن تتأكد الرغبة بين الشاب والشابة في اقترانهما مبدئيا ثم يأخذ ذووها في إنجاز هذه الرغبة وإجراء الخطبة وتعيين الصداق واليوم الذي يتم فيه الزفاف الى غير ذلك .

ولا ننسى ان الاصل في الزواج عندهم هو حصول موافقة الولي عليه والفتاة لا إرادة لها ، ولكن قد لا يخلو في بعض الاحيان من النزول عند رغبتها منعا للفساد المحتمل وقوعه .

---

١) يتراوح مقدار الصداق لدى اليزيدية من خمسة عشر ديناراً الى مائة دينار بالنظر لسعة حال الزوج ومكانة الزوجة ونصيبها من الجمال . وكان الامير اذاع امراً الزم فيه جميع طبقات الشعب ان لا يتجاوز الصداق ١٥ ديناراً الا ان احداً لم يعمل به .

والعادة المتبعة بعد ان يؤدي الصداق المتفق عليه ، والذي يجب ان يكون القسم منه دراهم والبقية أبقاراً وغنماً(١) يؤخذ باسباب الزفاف ، فاذا كانت العروس في نفس القرية تذهب طائفة من النساء يصحبهن عدد من الرجال الى دارها ويأتين بها ماشية وئيداً وهن يزغردن لها والرجال يطلقون بنادقهم ، واذا كانت في قرية اخرى تذهب كوكبة من الفرسان يصحبهم امرأة او امرأتان ممن يمتن الى العريس بصلة القرابة ويأتون بها وقد أركبنها فرساً واحتضنتها واحدة من تلك النساء ، وهي مغشاة ببرقع خفيف ، وعند مغادرتها القرية يرميها الأولاد الصغار بالحجارة والسرجين إشارة الى فراقها أهلها فراقاً أبدياً لا رجوع بعده ، وقبل ان يوصلونها الى دار زوجها يذهبون بها الى دار الشيخ او البير الذى في القرية، وفي (باعذرة) الى دار الأمير (٢) لزيارته واذا صادفوا في طريقهم مقاماً لأحد المشائخ لا بد لهم كذلك من زيارته ، وتستمر حفلة الزواج ثلاثة أيام بلياليها ينغمس فيها شبان القرية وكهولها بالرقص والسكر .

وعندما يدخل العريس حجلة الزفاف اول عمل يبدأ به ، ان يضرب العروس بحجرة

---

١) اشتبه الامر على صاحب كتاب (طاؤوس ملك) عندما ذهب الى ان اليزيدية لا يملكون في الاوقات الحاضرة شيئاً من النقود وان المبادلة في الاشياء لا تزال مستعملة عندهم ، وانهم لا يتداولون النقود الهندية والتركية الا نادراً ومن حين الى آخر . اذ المبادلة في الاشياء وخاصة تأدية الصداق على الوجه الذى ذكرناه عادة متبعة عند جميع العشائر حتى ولو انهم يملكون نقوداً.

٢) أراد بعض المغرضين ان يفسر زيارة العريس دار الامير بما لا يتفق والحقيقة والواقع اذ ذكر (اسماعيل بك) في رسالته التي ضمنها الدكتور قسطنطين زريق كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) ص٣٨ بان مفتش العدلية سأله : « هل عندكم عادة اذا تزوج احد اليزيدية يحضر امرأته اول ليلة ينكحها الامير علي بك ، وهذه عوض هدية ، وهذه تكون مباركة ؟ » . واليزيدية فيهم من الشمم والاباء وعزة النفس ما يرفعهم عن عمل شائن كهذا لم تكن تجريه سوى الاقوام الهمجية . وفي كتاب قانون الزواج ص ٨١ : « ان بعض الشعوب المنحطة في سلم المدنية يفوضون اجتناء زهرة البكارة من الزوجة التي يقترنون بها الى الكهنة او اخلافهم وان (غوملي كاريري) ذكر في سياحته حول الارض انه شاهد في جزر (فيليبين) اناساً اختصاصيين ينقدونهم راتباً كبيراً ليقوموا بازالة بكارة البنات لانهم يعتبرونها حاجزاً يحول دون ملاذ الرجل ، وكان الملوك عند (الفينيقيين) هو الذى يقوم بهذه الوظيفة .. وهي التي كانت في بعض مقاطعات الهند خاصة بالكهنة والبراهمة فقط حتى لم تكن للبعض منهم مهنة سواها .. وكانوا يعتبرون العذارى غير طاهرات ، فيلتزمن ان يؤدين كفارة يومية الى ان تطهرهن نفس فاضلة » ولعل ان سؤال مفتش العدلية من اسماعيل بك كان لهذه الغاية ويجوز ان قد كانت هذه العادة موجودة بين هذه الطائفة في فجر ظهورها وقد تركت .

صغيرة إشارة لتأييد سطوته عليها ويكسر هو او أهله رغيفاً من الخبز على رأسها عند أول دخولها الدار لتكون محبة للفقراء ، وبعد ان يجري الزوج المعاملة الزوجية يطلق عياراً نارياً إعلاناً لانجازه عمله

ولا يجوز ان يكون الزفاف ليلة الاربعاء ولا في شهر نيسان ومحظور على اليزيدي بصورة مطلقة التقرب من زوجته ليلة الاربعاء طيلة السنة ، والتقليد الجاري ان يخرج رجله اليمنى من سرواله عند الجماع ويكون آثما اذا أخرجها كلتيها .

ولا يهتم اليزيدي لعلامة البكارة وليس من العادة ان يحاسب زوجته عليها .

ولا صحة لما ذكره (أمبسن) من أنه عندما يتم الاتفاق على الزواج يضع الخطيب حلقة في احدى أصابع خطيبته وان العريس يذهب لزفاف عروسه بنفسه ، وان أم البنت تضع ستاراً على العريس وابنتها وهكذا يقودونها الى خارج البيت وهناك يدخل أولاد القرية ويأخذ كل واحد ملعقة ويضعها في عمامته ، وان العروس تركب حصاناً مع زوجها عندما يذهب بها الى بيته ، وبعد وصولها البيت تغطى من الرأس الى القدم بستار كثيف وتوضع وراء ستار آخر في زاوية مظلمة حتى تبقى هناك ثلاثة أيام لا ترى أحداً سوى امرأة تقوم بخدمتها . فهذه كلها أشياء مصطنعة اصطنعها هذا الكاتب ليوهم قارئيه بأنه وقف على أسرار لهذه الطائفة لم يقف عليها أحد غيره .

﴿ تعدد الأزواج والطلاق عند اليزيدية ﴾

أن تعدد الزوجات وجعلهن أربعاً، والطلاق كلاهما جاريان عند اليزيدية كما في الاسلام، إلا ان الطلاق لم يكن لديهم ثلاثاً بل واحداً . وقد تبين المرأة ويسترجعها زوجها ويطلقها ويسترجعها أكثر من ثلاث مرات باستثناء الطبقة الممتازة التي تتمسك بديانتها، فقد تعمل بالطلاق الثلاث ولا تعرف رجوعا بعده ، ويستنكف أحدهم عن ان يسترجع زوجته التي طلقها ونكحت زوجاً آخر غيره .

واليزيدية اذا كانوا يعملون بعادة تعدد الأزواج ، فقليل منهم من جمع بين زوجتين في آن واحد ، وذلك لعجزهم عن إعالة أكثر من زوجة واحدة حتى أصبح فردية الزواج عندهم تقليداً متبعاً باستثناء الرجال الروحيين الذين قلما يوجد بينهم من لم

يملك زوجتين وأكثر ، وسببه أن الشريعة اليزيدية لما كانت قد حرمت زواج الأسر الروحية مع السواد الأعظم من صنف المريدين ، وحتى مع بعضهم بعضاً - سوى بعض الاستثناآت- فقد تدعو الحاجة أحياناً الى ان يقتني الرجل الواحد منهم امرأتين وأكثر عندما تكثر النساء ولا يجدن من يصح لهن التزوج به ، وقد يقع خلاف ذلك إذ قد يحرم الرجل من الروحيين الزواج الى ان يموت عندما لم يجد له زوجة من سلالته .

﴿ الصحة والجمال ﴾

يمكن ان يقال ان الصحة والجمال عند المرأة اليزيدية في الشيخان منعدمين بالمرة ، وأكثرهن مصابات بالصفرة ومرض الطحال لتأثير الملاريا عليهن ، والذي يذهب بطراوتهن وجمالهن كثرة اشتغالهن بأعمال شاقة لم يكن قد خلقن لها . حتى نجد المرأة التي لا تزال في ريعان الشباب قد هزلت وهرمت وتحولت الى عجوز شمطاء لا أثر للطراوة عليها . ولا ننسى أن جودة الغذاء وحسن المعيشة لها دخل كبير في صحة المرأة وجمالها، والمرأة اليزيدية محرومة من كليهما لسوء حظها .

وأغلب النساء قصيرات القامة ، ضعيفات هزيلات لهن وهن صغار عيون واسعة ساحرة ولكن ما أسرع ما يفقدنها لتأثير الشمس والغبار عليهن في موسم الصيف حيث يكثرن الاشتغال بدرجة تفوق مقدرة الرجال .

ويوجد فيهن من قد جمعن صفات الحسن والجمال بكل معانيها من قد رشيق، وخصر نحيف ، ووجه صبيح ، وعيون كحلاء ، وثديين بارزين ، ولكن هؤلاء قليلات جداً .

أما النساء اللاتي ينتمين الى السلالات الروحية فحدث عن دمامتهن ولا حرج، والسبب هو كما جاء في البحث عن الأحكام المتبعة في النكاح من ان القيود التي تخضع لها هذه السلالات من تحريم مصاهرة الغير ، وحصر الزواج في أسر لم تتجاوز بعضها بضع بيوتات ، كل ذلك أدى الى إنقاص القوة الحيوية فيها وأصبحت نساؤها فاقدات لرونق الحسن وجوهر الجمال مع تلبسهن بمختلف العلل والأمراض .

أما النساء السنجاريات وحتى الجيلكيات ساكنات جبل (الطور) فقد أضفن الى كمال صحتهن فرط البهاء والجمال ، وأكبر دليل على صحتهن ان المرأة السنجارية قد لا تفقد

الانتاج الجنسي إلا في سن الخمسين . وقد يكون جمالهن على الأغلب خلقياً طبيعياً غير مجلوب بتطرية وتصنيع . ولكن مما يؤسف له أنهن قد يذبلن ويدركهن الهرم لسبب إنها كهن في أشغال مضنية متعبة لا تساعدهن عليها غضاضة وجودهن ، وقد تلبهن الطبيعة ما وهبتهن من صباحة وملاحة جزاء لهن على عدم اعتدادهن بنفسهن .

﴿ نفوسهم ﴾

اختلفت الآراء في تقدير نفوس اليزيديين ، فمنهم من بالغ فيه ومنهم من ذهب الى عكسه ، وطالما لا يوجد احصاءات صحيحة فلا يمكن تقدير نفوسهم بالضبط . وحسبما نستنتجه من الأخبار والحوادث ان نفوسهم بلغت في القرن الحادى عشر والثاني عشر الهجري نحو مليون نسمة ، وقد قلوا بنتيجة الحروب التى قامت في وجههم خلال هذه المدة ، وتقدر نفوسهم الآن بنحو مائة ألف في جميع المناطق التى يوجدون فيها ، وهم في تناقص مستمر وسوف لا ينتهي هذا العصر إلا وقد أصبح هذا الدين من الأديان البائدة ويبقى اسمه في التاريخ .

اما في لواء الموصل - في قضاء الشيخان وهو مركزهم الديني - وفي قضاء دهوك وسنجار فتقدر نفوسهم بنحو ٣٠ الى ٣٥ الف نسمة منهم عشرة آلافا في الشيخان ودهوك والبقية في سنجار ، بينما كانت نفوسهم قبل خمسين سنة في الشيخان ودهوك اكثر، وفي سنجار أقل وسبب ازديادهم في سنجار هو اعتدال مناخهم وصحة أمزجتهم ، وفقدان الأمراض الوبائية فيهم ، فمعيشتهم بسيطة للغاية ، ونساؤهم لا يقعدن عن الحمل إلا في سن الخمسين والخامسة والخمسين بالاضافة الى ذلك بقاؤهم في نجوى من الحملات التى كانت تقوم بها الحكومة العثمانية عليهم وتكثر من القتل والأسر فيهم ، وسوف لا يمضي عليهم اكثر من ربع قرن إلا ونجد نفوسهم قد بلغت هذا العدد وضاقت الأرض فيهم .

﴿ لباسهم ﴾

يقتصر اليزيدي في لباسه على الأبيض الفضفاض الذي يعتقده لباس أهل الجنة ويحرم الملابس الملونة لا سيما ما فيها شيء من الزرقة ، وكانوا قبلا يحرمون الملابس الحريرية ، اما الآن فقد عدلوا عن ذلك .

والعادة ان تكتسي المرأة ثوباًوسروالا من المنسوج القطني الأبيض وتلبس فوقه في موسم الشتاءمقطنة من (البازة) اتقاء البرد وتعمّم بعمامة من الشاش الأبيض وتتقنع بقناع من المنسوج الرقيق ويسمونه « لچك » - وهي كلمة فارسية تفيد عين المعنى - أما الفتيات العذارى فلا يعتمن ولا يتقنعن ، وقد يعصبن رؤوسهن بقطعة من القماش الأحمر او الاسود وربما يتخمرن به ، فاذا تزوجت لبست العمة البيضاء . والمرأة اليزيدية في سنجار تكبر من عمتها ، والعادة ان تكون حافية الرجلين وبعضهن يلبسن الحذاء في الصيف وينزعنه في الشتاء حذراً عليه من البلى .

اما نساء بيت الأمير فقد يلبسن الملابس الحريرية والاثواب القز الحمراء والخضراء وعليه معطف قصير من القطيفة ويلبسن في الشتاء القنادر والجوارب .



فتاتان يزيديتان

ورمز المرأة اليزيدية الوحيد سروالها الأبيض ، فاذا نزعته واستبدلته بقماش آخر فمعناه انها أسلمت . أما طائفة الرجال فقد لا يخلو لباسهم من البساطة وعدم التكلف ، فالأغلبية منهم يلبسون السروال والقميص بمفردها والأغنياء يلبسون ملابس الجوخ وهي سروال ومعطف قصير وفي الشتاء يلبسون الفروة والعباءة ويختلف لباس الرأس عندهم ، فالشيوخ يلبسون العمامة البيضاء وكذلك الكواجك ، والبقية بصورة عامة



اثنان من الكواجك

يلبسون يشماغ احمر منهم من يعتم به ومنهم من يلبسه مع العقال . وفي سنجار يلبس «الجوانا» قبعاً طويلاً وهو على شكل مخروط ويشدون عليه كوفية سوداء أو يشمغاً أحمر .

والفقراء يلبسون على أجسادهم خرقة من صوف ، يصبغونها باوراق شجرة في جبل سنجار يسمونها « زركوز » ولا يجوز نزعها حتى عند النوم ويستحب نزعها في

حالة الجماع .

واليزيدي في سنجار لا يهمل لبس السروال مطلقاً ، أما في سنجار فقليل منهم من يهمل لبسه حتى النساء إلا اذا حضروا مرقد الشيخ عدي لأجل الزيارة فيحتم عليهم لبسه تأدباً .

والرمز الوحيد لليزيدي رجلا كان أو امرأة أن يكون زيق قميصه مدوراً ، أما اليزيدية الذين في الأماكن البعيدة فقد لا يعملون به .

﴿ نبذة من عاداتهم وتقاليدهم منها ما ورد ذكره ومنها ما لم يرد ﴾

١ - إذا ولد لأحدهم مولود لا يجوز له اخراج شيء من بيته ولا مباشرة عمل من أعماله الى مرور سبعة أيام .

٢ - يحرم على اليزيدي النظر الى وجه المرأة غير اليزيدية ومداعبة المرأة التي حرمتها الشريعة عليه من جنسه .

٣ - يحرم على اليزيدي دخول بيت الخلاء (١) .

٤ - » » دخول الحمام .

٥ - » » الدخول الى المسجد والمدرسة وكل محل يذكر فيه اسم الله ويتلى فيه القرآن .

٦ - » » البصاق في وجه انسان كان أو حيوان .

٧ - » » الدخول الى محلات الأنس والملاهي كالمراقص ودور التمثيل (٢)

٨ - » » النوم باللحاف والقعود على فراش وثير باستثناء الأمير وأفراد اسرته (٣) .

٩ - » » صدق المعاملة وحسن المعاشرة مع كل من هو خارج عن لواء يزيد

---

١) وذلك على زعمهم حذراً من اختلاط بول الرجل ببول أحد محارمه ، ويجتنب حتى من قضاء الحاجة في المكان الذي تقصده المرأة .

٢ و ٣) هذه هي نزعة صوفية ورثوها من اسلافهم والديانة اليزيدية مبنية في اصل وضعها على تذليل النفس وانكار الذات والبعد عن اللذات والشهوات . وفي الوصايا العشرة للديانة البوذية : « يجب ان لا تحضر حفلة رقص او غناء » و« ان لا تقتني المقاعد والمساند الفخمة » .

١٠- يحرم على البعض من اليزيدية أكل لحم الديك والحمامة والغزال والأرنب والسمك واليقطين والفاصوليا والوبياء ، ويحرم على اليزيدية قاطبة أكل الخس (١) واللهانة ولحم الخنزير .

١١- يحرم على اليزيدي اسناد فعل منكر الى أحد رجال الدين .

١٢- « « البحث عن أسرار الديانة اليزيدية مع غير اليزيدي .

١٣- « « أن يلفظ أحد أمامه كلمة (شيطان) وكل كلمة على وزنها ورويها كيقطان وسلطان وشهيان (اسم قرية قريبة من المرقد) وكل كلمة تحتوى على حرفين أو أكثر من هذه الكلمة كشط وشخاط وطشت وشط وغير ذلك .

١٤- يحرم على اليزيدي ان يلفظ ، او ان يلفظ أحد أمامه كلمة لعن ولعنة وملعون.

١٥- « « اللباس الأزرق وكل ما فيه شيء من الزرقة (٢)

١٦- « « الاستنجاء بعد قضاء الحاجة (٣)

١٧- لا يوجد لدى اليزيدي ما يسمى بالنجاسة مطلقاً ويعتقدون ان الأصل في الأشياء الطهارة ، واذا كان القلب طاهراً فكل شيء طاهر .

١٨- يحرم على اليزيدي ان يقبل مخاطبة من ليس على دينه بيا أخي ويا ولدي .

١٩- « « ان يطلع احداً من الغير على عبادته .

٢٠- « « ان يطلع احداً من الغير على زيارة السنجق .

---

١) يعللون تحريمهم الخس لانه يتغذى من الزبل . ويحكون ان الشيخ عديا عندما كان يمر من بستان فيها نبات سأل عن اسمه قالوا له خس ، قال فليخسأ ومن ثم حرموا اكله . وفي الفصل والاهواء والنحل (٤ : ١٤٠) ان في الكيسانية طائفة تسمى (النحلية) نسبوا الى الحسن بن علي بن درسند النحلي ، من احدى كور افريقيا معلنون كفرهم لا يأكلون من الثمار ما زبل اصله .

٢ و ٣) سألت احد شيوخهم : لماذا تقولون : « مسلمان بي أوله » وهي كلمة كثيراً مايرددونها ومعناها ان المسلم لا دين له ولا ايمان - قال لي : لانه يلبس الازرق ويستنجي بعد قضاء الحاجة.قلت له: وما هو سبب تحريم ذلك ؟ قال لي : لا ادري !.. اما تحريمهم لبس الازرق فلا شك انهم ارادوا به مخالفة الشيعة الذين اعتادوا لبس السواد ايام عاشوراء حداداً على شهيد الاسلام الحسين رضي الله عنه،والازرق قريب من الاسود ، او اقتداء بالامويين الذين شعارهم الملابس البيض على عكس العباسيين.. وأما تحريمهم الاستنجاء فلا نجد له تعليلا معقولا سوى احتمال موافقتهم طائفة من (علي اللهية) الذين يعملون به ، اذ يعتقدون ان الماء هو مرآة جمال الله وصورته ولا يجوز ان يدنس بعمل مكروه كالاستنجاء .

٢١- يحرم على اليزيدي الاحتلاق بيد غير يزيدي، وكذلك الموسى الذي يستعمله ما لم يطهر بالماء المقدس (١)

٢٢- يحرم على المرأة اليزيدية بقية الطعام الذي يأكله غير اليزيدي وسؤر الماء الذي يشربه (٢)

٢٣- يحرم على اليزيدي ان يلقح فرسه من حمار، او يقتني فرساً لقحت من حمار (٣)

٢٤- « « الاختلاط بمن هو ليس على دينه دون حاجة ضرورية.

٢٥- « « التعلم باستثناء أسرة الشيخ حسن (٤)

٢٦- يحرم على المرأة اليزيدية اكتساء الملابس الملونة والحريرية ويقتصر لباسها على ثوب وسروال من المنسوج القطني الأبيض وتتقنع بقناع من الشاش الرقيق وتسميه (الجك) وقليل منهن يكتسين المنسوج القطني الموصلي الأحمر ويعرف بالصابوري.

٢٧- اكبر علامة فارقة لليزيدي ان يكون زيق قميصه مدوراً.

٢٨- أعظم قسم عند اليزيدي هو : (طاؤوس ملك) ، (علم يزدين) ، (يزيد) ،

---

١) قلت لأحد شيوخهم : يظهر لي ان تحريمكم الاحتلاق بيد المسلم نشأ على ما يظهر من قتل احد رعاع المسلمين يزيديا عندما كان يحلقه، وقد انجر هذا التحريم الى الموسى الذى يستعمله المسلم، وحيث انه لا يوجد اليوم احتمالا لاجراء عمل كهذا ، فلماذا لم تعدلوا عنه؟ - قال هذا أمر لا يستطيعه سوى طاؤوس ملك!!

٢) اذ يعتقدون ان بقية هذا الطعام والماء عندما يدخل جوف امرأة متزوجة ام فتاة باكراً ينطبع اثر آكله او شاربه فى الجنين الذى فى بطنها او الذى سيخلق فيها بعد وينسخه على شكله . حتى انهم يروون حكاية مؤداها : ان حسن البصري لما مات اخذت روحه تحوم على شاطىء نهر تريد لها مكانا تأوي اليه ، ولما جاءت بنته وملأت جرتها من النهر ، أوت الروح الى الجرة . وعندما شربت منها دخلت روح أبيها فيها فحملت على الفور . وبعد تسعة اشهر ولدت ولداً كان نسخة طبق الاصل لأبيه.

٣) وذلك بزعم منهم ان البغل حمل الحطب الذي أعد لاحراق ابراهيم الخليل ولكنهم فى نفس الوقت لا يرون مانعاً من اجتناء البغل .

٤) ان كثيراً ممن ايقظتهم الحوادث من يزيدية الشيخان وسنجار اخذوا يشعرون بسخافة هذا المبدأ ويدركون ضرورة تعليمهم اولادهم الا انهم لم يجدوا فى نفسهم الشجاعة ورجال الدين واقفون لهم بالمرصاد ويحذرونهم سوء العاقبة . وقد احدثت الحكومة اربع مدارس فى الشيخان ومثلها في سنجار ولم تلق نجاحا وقد اغلقت المدارس التي في سنجار سنة ١٩٤٢

(الشيخ عدي) ، (الشيخ شمس) ، (محمد رشان) ويزيدية سنجار يحلفون (بالشيخ شرف الدين) و (يزيد صور) (١) والعموم يحلفون (بالبراة) و (بخرقة الفقير) و (دركه شيخ عادي) اي باب تربة الشيخ عدي .

٢٩- ومن الايمان المغلظة عندهم ان يخطوا دائرة على الارض(٢) ويدخلوا فيها الشخص المراد تحليفه ويوجهون اليه هذه الكلمات : «ان الشيخ عدي ويزيد والشيخ حنتوش العربى لا يشفعون لك ، وقميص (نسيم) اليهودى فى عنقك ، ويده على رقبتك وعيونك ويكون فى الآخرة أخاً لك بعد شيخك إن لم تقل الصحيح » .

٣٠- ومن أعظم ايمانهم ان يأخذ الشخص الذى يجب عليه اليمين قبع فقير ويضعه على رأس شاة ويقول : إنه يواقع هذه الشاة يوم القيامة اذا كان فعل كذا .

٣١- اذا أجدبت السنة يذهب الأمير وحاشيته وجماعة من رجال الدين الى مرقد (الشيخ محمد رشان) للاستسقاء وينحرون له النحائر ويتضرعون اليه لينزل عليهم المطر ويروي حقولهم وزروعهم إلا أنهم يعتقدون انه سيذهب الأمير او أحد أفراد أسرته ضحية هذا الاستسقاء تلك السنة .

٣٢- ومن عادتهم اذا أمسكت السماء ان يغير نساء قرية على أخرى وقد تزيين بزي الرجال وحملن أسلحتهم وينهبن ما يشأن فيأتي أصحابها ويستردونها .

٣٣- وفي هكذا سنة تصنع الفتيات دمية ويزينها بقلائد الودع والخرز ويطفن بها البيوت ويغنينها لتسقيهم الغيث مدراراً (٣)

---

١) يستدل من وصفهم يزيداً بكلمة (صور) ومعناها الاحمر انه كان اشقر اللون . ويقولون انه كان في وجهه اثر الجدرى .

٢) لهذه الخطة قصة اسطورية كان للجهل المستولي على عقولهم اثر فى ادخالها على معتقداتهم وذلك انهم يعتقدون ان الشيخ عديا كان يخط خطة او دائرة على الارض ويدخل فيها مع من يشاء من مريديه لاستماع وعظ الشيخ عبد القادر في بغداد . وبينما كان يوما يسمع وعظ عبد القادر في الخطة كجاري عادته حنى عنقه حتى كاد رأسه ان يمس الارض واخذه الوجد فسأله احد خواصه عما جرى له، اجابه : سمعت الشيخ عبد القادر يقول : « قدمي على رقبة كل ولي » . هذا هو مبدأ عقيدة الخطة عند اليزيدية وقد توسعوا فيها واصبحت من اهم معتقداتهم .

٣) يصنع مسلمى هذه الارجاء مثل هذه الدمية ويسمونها (ام الغيث) ويغنونها بقولهم :(ام الغيث! غيثينا ! لو لا المطر ماجينا !) والاكراد يسمونها (بوك باران) اي عروس المطر ، ولعلها محرفة من

﴿ فيما يتعلق بالأمير ﴾

٣٤- ينذر الطفل الصغير أبواه الى الشيخ عدي اذا أصيب بمرض او عاهة، فاذا تشافى يكون ملكاً للأمير ، فان شاء أبقاه في خدمته ، وإن شاء تركه الى أبويه لقاء مبلغ من المال يتقاضاه منهما (١)

٣٥- تنذر المرأة العاقر نفسها الى الشيخ عدي ، فاذا صار لها ولد يكون ملكاً للأمير على الصورة الآنفة الذكر (٢)

٣٦- للأمير الحرية التامة في كل ما يفعله وليس لأحد ان يخالفه او يعارضه في شيء (٣)

٣٧- محظور على اليزيدي ان يفوه بكلمة تخل بحرمة الأمير مطلقاً ، واذا رأى منه ما ينكره عليه فعليه ان يحمله على محمل حسن وان لا يسيء الظن به .

٣٨- محظور على اليزيدي ان يخالط من قضى الأمير بتحريمه والسعي وراء مصلحته.

٣٩- يعد الأمير وارثاً لمن ليس له أحد من الذكور من عصبيته (٤)

٤٠- يستأثر الأمير بمهر النساء اللاتي ليس لهن أحد من ذوي أرحامهن (٥)

(بيت باران) اي اله المطر .

وكانوا في الجاهلية اذا اجدبت سنتهم وأمسكت السماء عنهم يعمدون الى السلع والعشر فيحزمونه ويعقدونه في اذناب البقر ويضرمون فيه النار فتنفر البقر وهم يعدون ورائها ويدعون الله ويستقونه وانما يضرمون النار في اذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار ، وكانوا يسوقونها نحو الغرب دون سائر الجهات ، قال اعرابي :

شفعنا ببيقور الى هاطل الحيا ... فلم يغن ذاك الامر ، بل زادنا جدبا
فعدنا الى رب الحيا فأجادنا ... وصير جدب الارض من بعده خصبا

وقال آخر يعيب العرب بفعلهم :

لا در در اناس خاب سعيهمو ... يستمطرون لدى الازمات بالعشر
اجاعل انت بيقوراً مسلعة ... ذريعة لك بين الله والبشر ؟

وفي القاموس « والتسليع في الجاهلية كانوا اذا اسنتوا علقوا السلع (وهو نوع من الشجر)مع العشر بثيران الوحش وحدروها من الجبال واشعلوا في ذلك السلع والعشر يستمطرون بذلك » والعشر شجر ينبت في بلاد اليمن والحجاز سريع الاشتعال ، بطيء الانطفاء . والبيقور اسم جمع للبقرة كبقار وبقير وباقورة .

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) : هذه هي قواعد دينية واجبة الاتباع ، وكان الامراء طيلة العصور التي مرت يعملون بها . وعلى زمن الامير سعيد بك الغيث ولم يكد احد يعترف بها ولو طال عهده بالامارة

٤١- كلما يخلفه الأمير من ملك وعقار ومال يرثه الأمير الذي يخلفه وليس لأحد من أهل بيته حق في أن يختص بشيء مما يتركه (١)

٤٢- يختص الشيخ الأكبر (بابا شيخ) بملابس الأمير بعد وفاته .

٤٣- للأمير ان يتزوج بما شاء من النساء ممن أباحتهن الشريعة له ولا يجري عليهن الطلاق ، وليس لهن ان يتزوجن بعد موته .

﴿ في الأحكام المتعلقة بالنكاح ﴾

٤٤- لا يجوز لليزيدي ان يصاهر كريفه اليزيدي ولا أحداً من ذوي رحمه الى خمسة أعقاب.

٤٥- لا يجوز لليزيدي ان يتزوج زوجة أخيه بعد طلاقه لها او موته عنها .

٤٦- » » » » » زوجة ابن عمه بعد موته عنها .

٤٧- » » » » » أخت المرأة التي خطبها ولم يتزوجها .

٤٨- لا يجوز لليزيدي ان يتزوج المرأة التي خطبها أخوه ولم يتزوجها .

٤٩- لا يجوز لليزيدي ان يتزوج من الأسر الروحية وبالعكس وذلك من أشد الكفر

٥٠- تحرم المرأة اليزيدية على زوجها اذا قال لها أنت شيخي او بيري .

٥١- يجري النكاح بمعرفة شيوخ آل الشيخ حسن ، اما الآن فقد أهمل ولم يعمل به إلا القليلون .

٥٢- لا عدة للمرأة المطلقة او المترملة (٢) .

٥٣- يجري الطلاق اكثر من مرة ويكون الرجوع بموافقة الزوجين (٣)

٥٤- يحرم الزواج ليلة الأربعاء ، وفي شهر نيسان (٤) ويجتنب اليزيدي الفراش ليلة

لألفى قواعد اخرى كثيرة غيرها .

١) كانت هذه القاعدة متبعة عندما كان الامير قيما على مرقد الشيخ عدي وليس له ان يتصرف بالنذور والخيرات اكثر من حاجته وما يبقى منها يعود الى الملة . اما الان وقد تغيرت الحالة واصبحت النذور والخيرات وقفا على الامير ينفقها في سبيل اهوائه ومشتهياته ولم يكد يعترف باحقية احد غيره فيها فكان من نتيجة ذلك ان بطلت قاعدة انتقال وراثته الى الامير الذي يخلفه وانحصرت وراثته في اولاده .

(٢) (٣) جاء في تفسير الرازي ان الرجل بالجاهلية كان يطلق امرأته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها ألف مرة ، فكانت القدرة على المراجعة ثابتة له.

٤) ان اتباع اليزيدية هذه العادة وعملهم بها كمبدأ ديني على جانب من الغرابة، ومحل الغرابة ارتكازها على نظرية علمية قديمة اذ ذهب بعض العلماء الى ان المواليد التي تحمل بهم امهاتهم في الفصل الربيعي يأتي غالبهم مجانين او بلهاء ، ذلك لان الابوين يقضون الفعل الجنسي في هذا الفصل بحدة زائدة وجهد عنيف حتى

كل أربعاء .

٥٥- يستأثر اليزيدي بمهر الفتاة التي هو وليها ولا يكلف باعمال شيء لها من الحلي والملابس بل يشترط ذلك على الزوج .

٥٦- يختلف بدل المهر بالنظر لجمال المرأة فقط وليست الكفاءة بأمر ذي بال ، عدا الكفاءة الدينية .

٥٧- اذا لم يتآلف الزوجان فعلى ولي الزوجة ان يعيد المهر الذي أخذه ويسترجع المرأة الى زوجها .

٥٨- اذا عسر على ولي المرأة إعادة المهر فوراً فيفترق الزوجان وينتظر الزوج ريثما تلقى زوجته لها زوجاً آخر وهناك يسترجع مهره .

٥٩- اذا أعرضت المرأة المترملة عن الزواج واختارت البقاء ثيبة حرصاً على أولادها فلوليها الحق ان يأخذ مهرها ثانية من أولادها .

٦٠- لولي المرأة الحق في ان يجبرها على الزواج بكراً كانت ام ثيباً ، فان رغبت عن الزواج ولديها مال فعليها ان تؤدي المهر الذي يستحقه وليها من ذلك المال .

٦١- لم يكن تهريب النساء بالامر المستنكر لدى اليزيدية اذا وقع ضمن الحدود الشرعية وكثيراً ما قد يلجأ الرجل بالفتاة او المرأة التي يهربها الى مرقد الشيخ عدي فيكونا في مأمن من التعرض ، وتهريب النساء في سنجار اكثر منه في الشيخان .

٦٢- تطمح المرأة بنظرها الى غير زوجها اذا ما كرهته ولم تأتلف معه ، ويكون هواها مع غيره ، فتتركه وتذهب الى أهلها ريثما يتم افتراقها عنه (١).

ان الرومان كانوا يحرمون الزواج في شهر مايو لاعتقادهم بان الزواج في هذا الشهر يكون تعيساً ويتخلق حمله بالحدة والشراسة والطياشة .. في حين ان الطب الحديث لم يقر على هذه النظرية .

١) ان عادة الطموح - وهي ان تزهد المرأة زوجها وتسعى في استبداله بغيره - نتيجة طبيعية لارغام المرأة على التزوج ممن يقع اختيار ذويها عليه دون مراعاة لاحساسها وعاطفتها . واذا كانت المرأة اليزيدية لا تعمل بهذه القاعدة كثيراً فلم يكن ذلك اباء منها وترفعاً بل انها تجد لها مجالا اوسع في نيلها امانيها وهو هربها مع من ترغب فيه تاركة زوجها وراءها . وقليل منهن من يرضين به اما لعدم جرأتهن على الهرب او حرصاً على سمعة ذويهن . وهذه العادة شائعة بين العرب الذين يعيشون في حالة البداوة منذ القديم ، وقد ادركوا ما سيكون لعدم دوام الالفة بين المرأة وزوجها من نتائج وخيمة واستسلموا لطموحها . والزوج الذي تكون قد طمحته زوجته وايقن انه من الصعب عليه ان يعاشرها ويتخلى عنها بعد ان يكون قد استوفى المهر الذي قدمه لها كاملا غير منقوص . وهي عادة مستحسنة لاقوام قضت عليهم حالتهم الاجتماعية ان يعيشوا مجردين من كل نظام وقيد .

﴿ فى الأحكام المتبعة فى الميراث ﴾

٦٣- الدرجة الأولى فى الميراث البنون ، ثم الأخوة ، ثم الأقرب فالأقرب من أولاد العم .

٦٤- ليس للنساء حق بالميراث طالما يكون للمتوفي أحد من عصبيته .

٦٥- النساء يدخلن بالميراث كبقية الأشياء .

٦٦- ليس للمرأة حق في ميراث زوجها .

﴿ فى أحكام وقواعد مختلفة ﴾

٦٧- تعد (البراة) أكبر ضمان للصلح بين الافراد والجماعات ، فاذا ما أعادت جماعة (براتها) للأخرى تصبح معها فى حالة عداء ، وتكون الأموال والأرواح مباحة بينهم ولا يجري التعويض عليها الى ان يتم الصلح ويتعاطى الطرفان المتعاديان البراة من جديد .

٦٨- اذا حظى عدو بعدوه ولو كان قاتل أبيه وكان يحمل (براة) فلا يمسه بسوء حرمة للشيخ عدي .

٦٩- ينحصر تعاطي (البراة) بين الجماعات بالرؤساء فقط ، والافراد يكونون خاضعين لحكمها واذا حدث قتل بين فرد وآخر فالجماعة بأسرها تكون مسؤولة عنه .

٧٠- القتل الذي يقع غيلة وغدراً لا يعوض إلا بالقتل حتى ولو بعد عشرات السنين.

٧١- لا يجوز للمريد ان يبدل طريقته . فمثلا اذا كان متمرداً على أحد شيوخ آمادين (عماد الدين) لا يسوغ له ان يتركه ويتتلمذ على أحد شيوخ الشيخ فخر (فخرالدين) .

٧٢- يتنازل الشيخ عن حقوقه في مريده من خيرات وصدقات ونذور الى شيخ آخر من نفس السلالة التي ينتمي اليها لقاء ثمن يتقاضاه منه ويسقط حقه فيه .

٧٣- المريد بقرة حلوب لشيخه ورثه منذ القدم ويورثه أولاده الى الأبد .

٧٤- يجوز إشهار السلاح في وجه الشيخ والبير وضربهما فى حالة اشتراكهما فى قتال ما ، أما الفقير فلا يشهر عليه السلاح .

٧٥- كل امرأة يزيدية او رجل يزيدي ثبت تهاونه فى أمر الدين وذلك من طريق

اتصاله بمن هو على غير دينه اتصالا غير بريء يحرم من المراسم الدينية عند الدفن ولا تجري عليه صدقة ويدفن بعيداً عن أموات اليزيدية .

٧٦- تستسلم المرأة اليزيدية للاعتداء الذي يقع عليها من الرجل الاجنبي ولا ترفع صوتها خوف العار والسبة ولا تعذر اذا انفضح أمرها ، فاما ان تقتل او تنبذ .

٧٧- تعيش المرأة المسلمة مع الرجل اليزيدي وليس من المحتمل أن يمسها بسوء . واذا ثبت عليه ما يخالف ذلك تحرم عليه زوجته ، واذا لم يكن متزوجا يبقى اعزب الى ان يموت .

٧٨- ليس للرجل ان يسيء الظن بزوجته وعليه ان يحمل كل ما يلاقيه منها من عمل غير اعتيادي على محمل حسن إلا اذا اصطدم بالحقيقة البارزة .

٧٩- ان قاعدة استبدال الأزواج مع اجراء توازن بينهن بالماشية او المال لا تزال متبعة بين يزيدية الطور ، أما في سنجار والشيخان فيندر العمل بها ، ومن المحتمل انها كانت موجودة قبلا .

٨٠- لم يكن فيما قبل حق لولي الفتاة التي يقع عليها التهريب في طلب المهر ممن يهربها بل تكون له غنيمة باردة ، أما الآن فلا .

٨١- للمرأة ان تتزوج من غير زوجها الذي يتغيب عنها اكثر من سنة ويعد نكاحها الأول لاغياً .

٨٢- يرهن (الزندينانيون) وهم فرقة من عشيرة القيران في سنجار ، وكذلك السموقيون نساءهم وفتياتهم في القمار ويبقين في يد المرتهن الى ان يستوفى بدل الرهن . والمرتهن الحق في ان يزوج الفتاة التي بيده لمن شاء ويستوفي حقه من مهرها وما زاد يعطيه الى وليها ، وهذه العادة اكثر شيوعا عند يزيدية طورعابدين.

٨٣ - ترغم الفتاة التي يقع عليها التهريب زوجها على تأدية مهرها الى ذويها واذا تباطأ تتركه وتعود الى اهلها .

٨٤- عندما يزفون عروساً من قرية يجتمع الفتيان والفتيات ويعدون وراءها ويرمونها بالحجارة والسرجين الى ان تبتعد عنهم .

٨٥- عندما يأتون بالعروس الى دار بعلها يكسرون على رأسها رغيفا من الرقاق لتكون محبة للفقراء والمساكين .

٨٦- يجتنب اليزيدي الجماع والنوم وقضاء الحاجة وهو مستقبل مرقد الشيخ عدي

٨٧- يعد اليزيدية نفسهم «الشعب الممتاز» وهم ليسوا من أولاد حواء بل أمهم حورية نزلت من الجنة وقد خلقوا قبل البشر باربعة آلاف سنة ، وان أبناء آدم الذين ولدوا من حواء جميعهم أنجاس لا يجوز لهم مؤاكلتهم ولا معاشرتهم ومناكحتهم ، إذ هم أنقى منهم دماً وأطيب عنصراً ويفاخرون بعدم تسرب الداء الزهري اليهم .

٨٨- يعتقد الجهال من المسلمين ان من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، ويعتقد اليزيدي ان من لا شيخ له فشيخه المسلم .

٨٩- اليزيدي مفطور على البخل إلا ما ندر وقد يكرم مثوى الضيف الذي يوجس منه خوفا او يتوسم فيه وجاهة .

٩٠- يحتفظ اليزيدى بكل ما هو قديم ويجتنب استعمال الأشياء الحديثة ، فاستعمال البترول فى الأكن المقدسة بدلا عن دهن الزيت، وتكفين الموتى بالمنسوج الفرنجي بدلا من المنسوج البلدي ، واستعمال الأواني الخزفية بدلا من النحاسية بدون ضرورة حرام عليه .

٩١- ليس بنظر اليزيدي شيء واجب الحرمة (كالخرقة) التي يلبسها الفقير ، وقد يضع قطعة منها على شجرة او منزل او زريبة او حقل فيبقى مصونا من التعدي ما دامت قطعة الخرقة عليه .

٩٢- المسلم بنظر اليزيدي غشاش خداع كذاب ولا يرضى منه بقول الصدق ولو أتى له بالآيات الساطعة والمعجزات الباهرة .

٩٣- اليزيدى سريع الغضب سريع الانتقام ليس مع المسلم فقط بل مع بني جلدته ، وقد يضمر الشر أعواما لمن يسيء اليه الى ان تتاح له الفرص ثم ينتقم .

٩٤- يقعد اليزيدي متربعاً على الأرض ويأثم اذا مد رجله أمام جليسه ، ويجتنب البصاق على الأرض ويعده كفراً .

٩٥- يجتنب اليزيدي السب والشتم واستعمال الألفاظ البذيئة ويعده كفراً.

٩٦- يجتنب اليزيدي النوم مع المسلم في غرفة واحدة ، ومؤاكلته ، والذهاب معه في طريق منفرد إلا اذا كان أقوى منه . أما الآن فقد تركت هذه العادة .

٩٧- اذا صحب يزيدي كريفاً مسلماً له في طريق وحرص على حياته يجعله وراءه كي لا تطغي عليه شهوة الانتقام ويغتاله . هكذا كان ، أما الآن فلا .

٩٨- يحرم اهل قرية خطارة (في الشيخان) زرع العدس وحصاده ونقله الى محل البيدر ودياسه إلا انهم لا يرون مانعاً من اكله .

٩٩- تحرم عشيرة (دوملي) في الشيخان الشرب من ماء نهر (الكومل) وغسل الثياب فيه ، والزرع عليه .

١٠٠- يحرم على اهل قرية (بابيرة) استعمال الملابس التي يكون فيها سواد مع بياض وهي التي يسميها العامة بـ « البقعاء » وتشمل هذه القاعدة حتى الحيوانات ، فاذا ولد لأحدهم نعجة فيها سواد وهي بيضاء او بقرة فيها بياض وهي سوداء عليه ان يذبحها فوراً او يعطيها الى شيخه .

❖

الرحلات والمحادثات

كنت تعرفت الى أحد شيوخ أسرة (الشيخ حسن) وذهبت ذات يوم الى قرية (بعشيقة) لزيارته فلاقيت منه حفاوة واكراما لا أزال أذكرهما له ، وأكثر يزيدية القريتين بعشيقة وبحزانى يمتازون عن يزيدية الشيخان بميلهم الى التوادد والتعارف وصدق اللهجة والصراحة لكثرة ترددهم الى الموصل واختلاطهم بالمسلمين والنصارى ...

ذبح مضيفي مساء ذلك اليوم ديكاً على شرفي وهو اكثر ما يستطيع ان يفعله يزيدي فقير بضيفه ، وكان من الطبيعي ان يدور حديثنا تلك الليلة حول المسائل الدينية اليزيدية التي كانت هي الغاية من هذه الزيارة ، فأخذت أسأل الشيخ عن أشياء لم أجد بأساً في سؤالها منه ، فكان يجيبني عليها بكل صراحة . سألته عن احتفاظ أسرته بالقرآن الكريم واعتقادهم به ، وهل ان الكتاب الأسود (مصحف رش) هو القرآن نفسه - كما يزعمه البعض - ام هو غيره ؟ أجابني : ان أسرته تحتفظ حقيقة بالقرآن منذ عهد جدهم الشيخ حسن ويعلمونه أولادهم كيلا يخرج العلم من بيتهم ، كما أوصاهم به جدهم ، الا أنهم لا يؤمنون به وذلك لسبب التحريف الذي دخل عليه ، وقد أمرهم الشارع ان لا يقبلوا من كتب الأجانب ما فيها ما يخالف سننه . اما (مصحف رش) فهو غير القرآن ، وكما ان القرآن أنزل على نبي الاسلام فمصحف رش أنزل على (يزيد) الذي أرسله طاؤوس ملك هادياً لشعبه .

- قلت له : طالما تعتقدون ان القرآن هو كتاب منزل وقد أنزل على (محمد) فلماذا لا تصدقون بنبوة (محمد) وتتبعونه ؟

- أجابني : اننا لا نصدق بمحمد ولا نتبعه لأنه حارب ديانتنا ووقف في سبيلها ولو استطاع لقضى عليها .

- قلت له : هل كانت ديانتكم موجودة ذلك الحين ، وهي على ما تدعون من صنع يزيد ، ويزيد لم يكن قد ظهر على عهد محمد ؟

- أجابني : هذا هو موضع الخطأ عندكم وديانتنا أقدم بكثير من الاسلام وترجع الى زمن ابراهيم الخليل الذي نعده من آبائنا الأقدمين و (يزيد) ليس هو الا مجدد أرسله (طاؤوس ملك) لاصلاح الخلل الذي أصاب ديانته بعد ان أفسدها (محمد) بتعاليمه ثم أودعه الألوهية .

- قلت له : اذاً لماذا لم يرسل طاؤوس ملك مجدداً آخر بعد يزيد ، وقد مضى على يزيد ثلاثة عشر عصراً ، ليزيل عن ديانته ما عراها من الخلل والفساد ، ويقيها من التدهور والاضمحلال ؟

- أجابني : هذا ما لا نزال نترقبه ، وهل ان ارساله (الكواجك) من وقت الى آخر للقيام بواجب الاصلاح ، هو غير مقدمة لارساله (مجدداً) يكون له سلطة واسعة في ايجاد انقلاب هائل على وجه الأرض تكون الحروب العالمية كجرة قلم بالنسبة اليه ويحارب الأمم والأقوام المعادية لهذا الدين ، ويبيدها بالوباء والطاعون ويخلص أمته من الاضطهاد الذي لاقته طيلة هذه العصور الطويلة ويجعلهم الآمرين الناهين على وجه الأرض .

قلت له : هذا لا أحاججك فيه ، ولكن قل لي من سيكون هذا المجدد ؟

أجابني : من يكن فليكن ، أليس هو الذي سيرسله طاؤوس ملك ويمده بقوة من عنده ؟ وما أدراك أن سيكون واحداً من اهل بيتنا او غيره من الشيوخ الذين بين ظهرانينا .

قلت له : ماذا سيكون وضعكم مع الملل الخارجة عنكم فيما اذا قويت شوكتكم وأصبح صولجان الحكم بيدكم ؟

قال : هذا يتوقف على الوضع الذي سيتخذونه نحونا ، فمن انقاد لنا نجا ، ومن خالفنا هوى ، وسوف لا ننسى الذين أساؤوا الينا ونكيل لهم بعين الصاع الذي كالوا لنا به .

قلت له : هذا شيء كثير ، وسيحدث من ورائه أمور تؤدي الى قلاقل واضطرابات تجعل الأمن منعدماً بين الناس في هذه البلاد .

أجابني : هذا هو الذى نريده .

قلت له : من هو الذي يريد هذا ؟

قال : هو الذي تعرف. (يشيرون اليه بصفة الغائب في كلامهم مع الأجانب) .

قلت له : ولماذا ؟

قال : لأنكم أسأتم الى شعبه ، ولم تؤمنوا به ، وأنكرتم عليه قوته ، وأفسدتم شرائعه ولم يتقدم أحد منكم يوما بقربان اليه حتى في أشد ساعة ضيقه وحرجه .

وهنا أحجمت عن الكلام معه ، بعد ان كنت أعرفه رجلا متزناً حليماً هادئاً وقد أصبح نمراً ضارياً كأنه يريد أن يهجم علي ويفترسني ، وأخذت ألوم نفسي لأني أنا الذي هيجت شعوره ، وما كان أغناني عن الحديث معه في هذه المسائل .. وقد أردت أن أغير مجرى الحديث معه فسألته عما يدعيه بعض رجال النصرانية عن وجود علاقة لهم معهم ؟

أجابني : كلا ! لم يكن لنا علاقة بهم أصلا .

قلت له : يدعون انكم تحترمون العهدين القديم والجديد وتقرأونها ؟

أجابني : اننا نعتقد ان الكتب الدينية التي بيد الخارجين عنا قد حرفت جميعها عن أصلها وقد أمرنا الشارع ان نجتنبها ولا نصدق بها إلا ما وافق منها ديانتنا .

قلت له : اذاً لا صحة لما يدعونه من ميلكم الى الأخذ بالنصرانية فيها اذا أحرجتكم الظروف وتخليتم عن ديانتكم ، أليس كذلك ؟

وهنا أخذه الغضب وتغيرت ملامحه وأجابني : ان ما يدعيه النصارى هو كذب واختلاق ، ولا يوجد ما يقرب بيننا وبينهم من مشاركة في الدين والعقيدة والتقاليد والتاريخ وفي كل شيء ، فصلاتنا غير صلاتهم وصومنا غير صومهم . ولنا كعبة نحج اليها كما يحج المسلمون الى كعبتهم وهم ليس لهم ذلك ، ونختتن كما يختتن المسلمون ، وهم لا يعرفون الختان .

قلت له : اذاً أنتم أقرب الى الاسلام من بقية الأديان ؟

فابتسم وقال : نحن لا نجهل هذا ونعترف اننا كنا وإياكم على دين واحد إلا انكم افترقتم عنا وخالفتمونا في عبادة إله الشر ، ظناً منكم انكم فى نجوى من غضبه وما أردتم إشراكه بآله الخير في عبادتكم ، وعددتم ذلك كفراً . وهذا هو أساس الفرق بيننا

وبينكم ، ولو انكم عدتم وأحسنتم الاعتقاد به ، وشاركتمونا في عبادته ، لزال الاختلاف وأصبحنا على دين واحد .

قلت له : لنفرض انكم على اصابة في عبادتكم إله الشر ، وما عكوفكم على هذه التماثيل والأصنام وتقديمكم اليهم النذور والهبات والصدقات إلا ليشفعوا لكم عنده ويقربوكم اليه ، فأية نقمة دفعها عنكم ؟ وأية نعمة شملكم بها ؟ وأنتم تتقلبون في الذل والفقر وليس بين الأمم قاطبة من هو أسوأ حالا واكثر شقاء ، وأشد عناء منكم ؟

أجابني : اننا لا نطمع في نعيم الدنيا كما تطمعون أنتم فيه ، وسننال نصيبنا في الدار الآخرة مما فقدناه في الحياة الدنيا من نعيم وسعادة ويضعنا الشيخ عدي في طبق على رأسه ويدخلنا الجنة بدون حساب .

كان الوقت قد تجاوز نصف الليل وقد غلبني النعاس ، فأويت الى فراشي ونمت نومة هادئة وعند الصباح عدت الى الموصل وأنا أذكر لهذا الرجل الحفاوة التي شملني بها .

❁ ملاقاة مع الشيخ علي الشيخ الأكبر (بابا شيخ) ❁
(في مرقد الشيخ عدي)

كنت اجتمعت بالشيخ علي الشيخ الاكبر في مرقد الشيخ عدي وأنا إذ ذاك مقيم فيه ضيفاً على الأمير علي بك بن حسين بك استرجاعاً للصحة من مرض كان قد أصابني ، والشيخ علي هذا معروف لدى كل من خالطه بدماثة الخلق ورقة الحاشية مع وقار وحشمة يندر ان يجده انسان في غيره من اليزيدية .

كان طويل القامة معتدلها ، ذو لحية رقيقة قد دب فيها المشيب ، يعتم بعمامة بيضاء تحتها طاقية سوداء صغيرة من التي يستعملها خصيصاً الرجال الروحيون من اليزيديين ، وحزام أسود من صوف فيه حلقات صغيرة ، وهي الرمز الوحيد الذي وقفت عليه لبابا شيخ ، وكان قد جاء الى مرقد الشيخ عدي لاجراء تصليحات فيه حسبما يحتمه عليه واجبه الديني وهو مريض يتعذر عليه المشي دون عصاً يتوكأ عليها ، وأودى به ذلك المرض بعد بضعة أشهر .

وجدت الفرصة سانحة للتحدث معه في بعض المسائل عن اليزيدية في هذا المحل الخالي

من أحد عدا بضعة عمال من اليزيدية يشتغلون في اصلاح بعض المباني ، وزمرة من الفقراء يذهبون ويجيئون بكل هدوء وسكينة لقضاء الأشغال المختصة بهم . قلت له : يشوقني جداً ان أتباحث معكم في مسائل طالما تختلج في خاطري غير اني لا أجد من الكياسة ان أزعجكم من أجلها في حالة مرضكم هذا ، فابتسم ابتسامة رقيقة وقال لي : ان ذلك مما تصبو نفسي اليه ، وكم أعد نفسي سعيداً بمحادثتكم في هذا المحل الرائع الجميل وأخذ بيدي وأجلسني في ظل شجرة من أشجار التوث الباسقة فحجبت عنا الشمس بأغصانها الكثيفة حيث لا عين ترمقنا ، ولا أذن تنصت الينا ولا نسمع سوى خرير المياه وحفيف الأشجار وتغريد العنادل .

وهذا ما دار بيننا من الحديث :

قلت : تعلمون جيداً ان التطورات التي حصلت في حالة البشر الاجتماعية أيدت لنا عدم امكان بقائنا من الآن وصاعدا تحت الشرائط التي نعيش فيها ، واذا لم نمش بخطى سريعة نحو الاصلاح والرقي اقتداء بغيرنا من الملل فلن يحق لنا ان نتبوأ المكانة التي نستحقها تحت الشمس ، وسنبقى أحقابا طويلة خاضعين لغيرنا يقودوننا كما تقود الرعاة البهائم ، وبما ان اليزيدية هم شعب له مكانته في هذه البلاد ، وله ما لغيره فيها من الحقوق فما رأيكم لو نبذوا العادات التي أصبحت مضرة بهم ، وأخذوا يتدرجون في الاصلاح أسوة بالملل التي تجاورهم ، على ان لا يمس تدرجهم هذا بأساس دينهم ، والدين الصحيح بعيد عن ان تؤثر عليه الاصلاحات التي تدخل عليه الخير وتبعد عنه الشر .

قال : ان ما ذكرته صحيح لا اعتراض لي عليه وكم أود ان تساعدنا الظروف ونأخذ بمبادىء الاصلاح الذي تشير به لننفض عنا غبار الذل والاستكانة ونصبح أمة لها حق الحياة كغيرها من الأمم ، ولكن دون ذلك ، ويا للأسف ، عقبات ليس من السهل اجتيازها ، فمتى أردنا القيام بذلك تزل بنا قدمنا ونسقط سقوطاً لا رجاء لنا من القيام بعده .

- اذا أردتم ان تستسلموا لهكذا اوهام ومخاوف ، يجب ان تعلموا انكم سوف لا تبرحون مقيمين على ما أنتم عليه دون ان تتزحزحوا عنه قيد شعرة ، لأن الاصلاح

لا يمكن ان يأتيكم عفواً ، بل يجب ان تسعوا اليه وتبذلوا كل غال ورخيص في سبيل الحصول عليه .

- تعلمون بأن الملة لا إرادة لها في هكذا مسائل ، وأن القول الفصل هو لرجال الدين الذين هم وحدهم لهم الحق في ان يشقوا لها الطريق الذي يجب ان تسلكه سواء أكان من الناحية الدينية ، ام من الناحية الاجتماعية ، ورجال الدين اليزيدي ، كما لا يخفى عليكم مقيدون بقيود شديدة لا يمكنهم ان يتساهلوا فيها ، وبصفتي اكبر رئيس ديني ، بعد الأمير ، اذا أردت ان أتساهل في بعض المسائل التي اجدها مضرة بنا فمن الصعب ان اجد من يوافقني عليها ، وربما اتهموني بالكفر وأثاروا علي الرأي العام .

- نعم ان ما تقولونه صحيح ، وكثيراً ما حدث أن ناهض طغام الناس وجهلاؤهم رجال الاصلاح ووقفوا عثرة في سبيلهم وثبطوا عزائمهم ، إلا أنكم طالما تعتقدون بوجوب الاصلاح للملة التي عاشت قروناً طوالا تحت كابوس الجهل والذل ، فالواجب يقضي عليكم ان تسيروا في شجاعة نحو هدفكم المطلوب وتقوموا بواجبكم .

- يؤسفني ان أقول لكم ان هذا لا يمكنني أصلا ، إذ لا يسعني وأنا أكبر رئيس ديني ان أتخطى حدود وظيفتي المحددة وأقدم على عمل ينكره علي غيري . أنظر عندما أرادت الحكومة ان تفتح مدرسة في قريتنا (عين سفني) في العام الماضي ووقف الأمير وجماعة من رجال الدين موقف المعارض ، كيف كنت في طليعتهم وعارضت في فتح هذه المدرسة معارضة شديدة بدعوى ان الشارع للدين اليزيدي لم يبح لنا التعلم ، فهل كنت على إصابة في هذه المعارضة ؟ كلا ! انى أعلم ان المبدأ الذى نسير عليه في تحريم التعليم منذ عصور هو الذى أضر بنا ، ويجب ان نعدل عنه ونتساوى مع بقية الأمم بارتياد مناهل العلم ليكون لنا حق المساواة معها في هذه الحياة ، إلا أني لم أخرج من صفوف المعارضين كيلا أتهم في التساهل في أمر الدين الذى يعدونني الحارس الأمين عليه .

- ما هو قصد الشارع للدين اليزيدي من تحريمه التعلم على هذه الملة ونحن نراه قد أحط بها الى منتهى دركات الغباوة والجهل ؟

- أن الشارع لم يكن علي خطأ في تحريمه التعلم على هذه الملة وفرضه الأمية عليها ، إذ

لو أباح لها التعلم لفسح لها المجال للاطـلاع على الأديان السائرة والأخذ بها ، وهنـاك يتطرق الخلل والفساد الى هذه الديانة ، كما أنه لو لم يجعل هذا الدين مكتوماً ويحظر على أبنائه إباحة شيء منه للغير ، لانكشفت أسراره ، ووجد أعداؤه سبيلا للنيل منه . والدين اليزيدي لم يحافظ على وضعه طيلة هذه المدة إلا بسبب بقائه مكتوماً . وهـذا نبيكم محمد (صلعم) ألم كتم دينه ولم يجاهر به إلا بعد ان قويت عصبته وتمكن من سحق خصومه وأعدائه ؟ إلا ان الدين اليزيدي لم يجد له جواً صافياً منذ ظهوره حتى يتمكن من نشر كلمته وتقوية مركزه ، وكلما أراد ان يمشـي الى الأمام، لاقى من خصومه الأقوياء ما أعاقه عن سيره .

- ما هو سبب مناهضة المسلمين لكم ؟ ووقوع الحوادث الأليمة بينهم وبينكم ؟

- بعد ان وصل بنا الحديث الى هذا الحد ، يمكنني ان أعترف لكم بأن ديانتنا لم تكن لتختلف عن الاسلامية بشيء ، والشيخ عدي هو رجل مسلم ويجتمع مع نبيكم بسـلالة واحدة ، ولما كان الشيخ عدي أموياً وكان يتعصب للأمويين ، فقد أخـذ حكام ذلك العهد يناجزونه العداء ويسيئون اليه ، وزادوا على ذلك ان تجاوزوا على زاويته واعتدوا على أصحابه ، وأرادوا ان يصلبوا أحد اولاده لمخالفته لهم وإنكاره عليهم أعمالهم، لو لم يرفعه الله تعالى اليه ويقيه شرهم . وهذا ما دعا ان يقيم البيت العدوي وأعوانهـم حرباً عواناً على من عاداهم وأنكر عليهم دينهم . ومن هنا نشأت الخصومة بين الجانبين وأخذ فريق يناوىء الآخر ويناهضه ، واشتد الصراع ، وسفكت الدماء ، وكاد ان يقضى على أمتنا لو لم تمدهم الآلهة بنصر من عندهم ويثبتون أقدامهم وقد كان للفتاوى التي يصدرها علماء الاسلام الاكراد قصد إهاجة الرأي العام الاسلامي أثر سيء على حياتنا الدينية والاجتماعية ، وأخذ الاكراد الصورانيون والبهدينانيون وحتى الاكراد البوطانيون يشنون حروبهم علينا دون رحمة ولا هوادة ، والحكومة من ورائهم كانت ترسل الحملة أثر الحملة وتنكل بنا وهي موطدة العزم على إبادتنا .. دامت هذه الحالة اكثر من عصرين ونحن في أشد الحراجة ، وهناك كانت حملة (حافظ باشا) على سنجار وحملة (أمير رواندز) على الشيخان فكانتا القاضيتين علينا إذ سلبتانا كل ما لنا من قوة وسلطـان

وأسقطتانا من شامخ عزنا ومجدنا (وهنا أخذت الدموع تتساقط على لحيته) .

- لقد حركت كامن شجوكم بحديثي هذا معكم ، وأقسم لكم أني آسف على ما أصابكم من ظلم وغدر في تلك العصور الهمجية المظلمة . أما وقد مضى ذلك العهد وأصبح في ذمة التاريخ ، فهل تجدون اليوم ما يحول دون تقربكم من المسلمين وتفاهمكم معهم ؟ وأعتقد انكم بذلك تنالون بغيتكم في مضمار الحياة .

- هذا ما لا أحاجكم فيه ، وكل من له ذرة من العقل يوافقكم عليه . إلا ان تقربنا من المسلمين وتفاهمنا معهم ، لا يعود علينا بأكثر مما نضيعه ، واليزيدي الذي يكثر معاشرة المسلم والاختلاط به لا يكون مرغوباً بين قومه وذويه ، ويعدونه عاقاً لدينه ، ويزدرون به .

- إني أعتقد أن الذي أضربكم ، وحرمكم من كثير من حقوقكم التي لا ينازعكم فيها أحد هو عملكم بمبدأ « الأمية » الذي انفردتم به دون العالم قاطبة ، والآن وبعد أن ثبت لكم ان هذا المبدأ لم يوصلكم الى نتيجة ايجابية في الحياة ، وسوف لا يوصلكم اليها الى الأبد ، فما رأيكم اذا عدلتم عنه وأخذتم بتعليم ناشئتكم ؟ اما اذا كنتم تريدون الاصلاح مع بقائكم على ما أنتم عليه فهذا لا يمكن أصلا .

- الحق أقول لكم اني أريد الاصلاح لملتي بمعناه الشامل ، أريد أن نكون على قدم المساواة في جميع مظاهر الحياة مع الأمم والشعوب الأخرى . إلا اني لا أستطيع انأغير أو أوافق على تغيير شيء مما فرضه علينا الشارع خوفاً من أن يحل غضب الآلهة علي ، وأكون هدفاً لطعن الأجيال الآتية فيما اذا اولدهذا التغيير رد فعل في حياتنا الدينية والأولى أن نترك مقدراتنا لحكم الظروف ، وهي وحدها التي تهيء لنا اسباب التطور الذي ننتظره .

وهنا انتهى بنا الحديث . وفي اليوم الثاني أخذت بأهبة الرجوع الى الموصل حيث كنت ملت الى الشفاء .

★★★

﴿ ملاقاة مع القوال « حسين » بن القوال « آدو » ﴾

﴿ الباعذري ﴾

جرت العادة منذ القديم أن يرسل أمير الشيخان كل سنة « سنجقاً » الى اليزيدية القاطنين في بلاد الروس لجمع نذورهم وخيراتهم . وآخر « سنجق » أرسله كان قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بزمن قليل ، واختفت معالم هذا السنجق وطمس خبر القوالين الذين ذهبوا به خلال سني الحرب وبعدها ، وأخذت الظنون تحوم حول ذهابهم ضحية الويلات التي أولدتها الحرب وانقطع منهم حبل الرجاء ونسي خبرهم . إلا ان الأمير سعيد بك كان يعتقد خلاف ذلك وانهم لا يزالون على قيد الحياة . وفي عام ١٩٢٧ أرسل قوالين من قرية بحزاني الى جهة « أريفان » للبحث عنهم ، ولكن هذين القوالين ايضا ذهبا ولم يرد منهما خبر . وبعد ان انصرفت الافكار عن هذه البعثة ولم يعد أحد يذكرها ، ورد إلى الأمير كتاب من القوال « حسين بن القوال آدو » من أريفان يعلمه أنه ورفاقه على قيد الحياة عدا شخصين منهم ، وان القوالين اللذين أرسلها اخيراً للبحث عنهم قد التحقا بهم ، إلا ان حكومة الروس السوفيتية قد حجرت عليهم ولم تدعهم يخرجون من بلادها ، وطلب من الأمير اتخاذ وسيلة لاجل ارجاعهم الى محلهم. فراجع الأمير رجال السلطة من الانكليز في العراق وطلب اليهم التوسط لدى حكومة الروس بالأمر فأجابوه ، وبعد مخابرات دامت نحو سنة وافق الروس على اخراجهم من بلادهم وأركبوهم باخرة تجارية وأرسلوهم الى جزر بريطانيا ومن هناك جاؤوا الى العراق وقد مضى عليهم خمسة عشر سنة .

قصدت مرقد الشيخ عدي يوم ١٣ حزيران ١٩٣٠ بغية الملاقاة مع القوال حسين والوقوف منه على يزيدية تلك البلاد ، فوجدته رجلا في مقتبل العمر يحسن التكلم بالتركية والروسية وشيئاً قليلا من الأرمنية والجركسية ، قد هذبه الأغتراب وأوسع في عقله . وبعد ان أفهمته الغاية التي أتيت الى المرقد المبارك من أجلها ، أجابني أنه سوف لا يدخر وسعاً في ايقافي على كل ما أروم الاطلاع عليه ، ووعدني بأن يجتمع بي ليلا بعد ان تغمض العيون ويأوي الناس الى مضاجعهم .. وقد بر بوعده وجاء وأنا على أحر

من الحجر فى انتظاره ، فسلم ووقف أمامي مصلباً يديه على صدره ، وتلك عادة يراد بها احترام الشخص المقصود مقابلته ، فأمرته بالجلوس قريباً مني . وبعد إجراء التمهيدات المقتضية فى مقابلات كهذه ، أخذت ألقي عليه الأسئلة الآتية وهو يجيبني عليها :

س : كم كانت مدة إقامتكم فى بلاد السوفييت ؟

ج : خمس عشرة سنة .

س : هل واصلتم الأمير بأخباركم طيلة هذه المدة ؟

ج : نعم ! اننا لم نذخر وسعاً في مواصلته بأخبارنا منذ اليوم الذى وطأت أقدامنا هاتيك البلاد ، وأرسلنا له مئات المكاتيب والبرقيات ولم نحصل على جواب واحدة منها حتى أخذ يخيل لنا ان الحرب العامة لم تبق أثراً لأحد من شعبنا وقد أبادتهم جميعا . ولكن اتضح لنا اخيراً ان حكومة السوفييت هيالتى كانت تمنع إرسال مكاتيبنا خارج بلادها .

س : كم كان عدد القوالين الذين قاموا معك بهذه الرحلة، وهل عدتم جميعاً أم تخلف أحد منكم هناك ؟

ج : كنا سبعة قوالين : خليل بن القوال خدر ، ورشو بن القوال مراد ، والياس بن القوال برو ، وحجي بن القوال علي ، وحسين بن القوال مادو ، وخادمكم أنا . وقد مات منا القوال علي بن القوال رشو ، والقوال حسين . ولما انقطعت أخبارنا عن أمير الشيخان ، أرسل القوال حسن بن القوال خدر والقوال رشو بن القوال حجي (كلاهما من قرية بحزاني) للبحث عنا ، وجاءا واجتمعا بنا ، إلا أنهما لم يكونا أسعد حظاً منا بايقاف الأمير على خبر عثورهم علينا، بل سدت دونهما سبل المخابرة كما سدت دوننا الى ان من علينا بالرجوع الى أوطاننا .

س : كيف كانت حالتكم هناك ؟

ج : حسنة جداً ولم نلاق ضيقاً إلا في العامين الأخيرين إذ شددت الحكومة المراقبة علينا وأساءت معاملتنا بحجة اننا غرباء ومن رجال الدين .

س : اين كان محل إقامتكم ؟

ج : لم نبق مجتمعين في محل واحد ، بل اختار كل واحد منا المحل الذي طابت له الاقامة فيه خوفاً من ان نجلب الانظار الينا ، وكان محل إقامتي قرية (كروانسرا) في ولاية الكساندرابول .

س : ما هي المناطق التي يسكنها اليزيدية هناك ؟

ج : هي - تفليس ، أريفان ، الكساندرابول ، باكو ، باطوم .

س : ألم تعارض حكومة السوفييت اليزيدية في أمورهم الدينية وعباداتهم ؟

ج : لم يكن تدخل السوفييت في الامور الدينية كما تسمعونه بل لكل فرد من أفراد الشعب الحرية التامة في ان يتمتع بعقيدته ودينه فاذا كنتم سمعتم بمعارضتهم في تشييد المعاهد الدينية وبمعارضتهم لرجال الدين ، فذلك صحيح ، الا انهم لم يقصدوا بذلك مناهضة الأديان والقضاء عليها بل توجيه الناس الى الاعمال المثمرة وتخليصهم من الكسل والعطالة وان لا ينصرفوا الى الدين وحده ويكونوا عضواً عاطلا في المجتمع ، ويكفي ان أذكر لكم ان في قرية (كروانسرا) مزار للشيخ سجادين أراد اليزيديون إدخال بعض الاصلاح عليه فلما علم بذلك الحاكم أمر بهدمه وفي الغد قدموا له عريضة طلبوا فيها مساعدتهم على أعماره من جديد ، فأمر الحاكم بقبض الذين وقعوا على المضبطة وأرسلهم الى محل مجهول .

س : هل ترون ان يزيدية تلك البلاد سيعضون بالنواجذ على دياناتهم ، ام ينقادون لمجرى التطور الذي حصل في حالة الشعوب التي يضمها النظام السوفيتي ويتساهلون فيها؟

ج : لا استطيع ان أبدي لكم رأيا صحيحاً ، الا ان الذي أعرفه ان التعصب الديني الذي نجده في بلادنا لا أثر له هناك وقليل من يعرف له شيخاً او بيراً ويقوم بواجباته نحوه ، وهذا لا يبشر بخير في المستقبل .

س : هل يمكنكم ان تصوروا لي حالة اليزيدي الدينية والاجتماعية في تلك البلاد ؟

ج : يؤسفني ان أقول لكم ان رجال الدين الذين هم في تلك البلاد ليس لهم ما لرجال الدين عندنا من قيمة مادية او أدبية ، فوظائفهم محدودة ولا سبيل لهم الى ممارستها ، والشعب اليزيدي لا يقدم لهم النذور والخيرات التي فرضتها الشريعة عليه وقد يعيشون

على كد ايمانهم ، واليزيدي يتمتع بعين الحقوق التى يتمتع بها غـيره من ذوي الأديان السائرة ، وليس على رأسه سيد يشاركه في محصول سعيه ، ومعيشته راقية جداً والمرأة اليزيدية تتمتع بحريتها الكاملة وتلبس ما يروق لهـا من الألبسة الحريرية ذات الألوان الزاهية ، وقد لا تنفر من معاشرة الرجل الذى لم يكن على دينها ولا تعامله بغلظة وجفاء والتعليم اجباري ويندر ان تجد بين ناشئتهم الجديدة من لا يحسن القراءة والكتابة .

س : من هم الذين يوجدون من رجال الدين فى تلك البلاد وكيف وجدوا فيها ؟

ج : يوجد كثير من الشيوخ والبيرة وبيت واحد من البسميرية ، والذين لا وجود لهم هم الفقراء والكواجك والقوالون ، أما كيف وجد هؤلاء هناك فذلك لا أعلمه ، ولكن لا جدال فى انهم هاجروا من ناحية الشيخان منذ عهد بعيد . فقد يوجد بينهم من أسرة الشيخ حسن والشيخ أبي بكر والشيخ فخر والشيخ شمس والشيخ ناصر الدين والشيـخ سجادين ، والأسرتان الاخيرتان توجدان على الاكثر في منطقة أريفان .

ويوجد من البيرة أربع أسر ، الأولى أسرة بير حسن ممان ، الثانية أسـرة قضيب البان ، الثالثة أسرة بير ايسيبيا ، الرابعة أسرة بيرافات (بير عرفات) . فالأسرتان الأوليتان أوشكتا ان تنقرضا فى الشيخان ولم يبق منها سوى افراد قلائل ، والأسرتان الأخريان يوجد منها افراد ليسوا بقليلين في الشيخان وسنجار (١) .

والبيت الوحيد الذى يوجد من (البسميرية) بيت (آلي بك) وكبيرهم الآن يوسف بك الذى قلدته حكومة الروس السوفييتية مناصب كبيرة فى الدولة ويسكنون مدينـة الكساندرابول .

---

١) قبل ان وقفت على هذا الخبر كنت اعتقد ان انتشار اليزيدية فى هذه البلاد النائية وقع بنتيجة دعاية قام بها احد اولاد الشيخ حسن الذي يعزى اليه هذا الدين ، وقد هاجر اليها كما هاجر غيره من اهل هذا البيت الى الديار الحلبية والشامية والمصرية لنشر هذا الدين فنهم من نجح ومنهم من أخفق . الا اني لم اكن مقتنعاً برأيي هذا الى ان علمت ان اليزيدية بعد ان انتقلت من الشيخان الى جبال البوطان واعتنقها كثير من قبائل الاكراد كالدنبلي والمحمودى والتحقوا بالدولة الفرهقونيلية .ثم انخرطوا فى سلك امراء الشاه طهماسب واقتطعوا معاقل وحصون فى ايران نزحوا الى تلك البلاد واتخذوها موطنـاً لهم . وقد كان من الطبيعى ان يرافق هؤلاء فى رحلاتهم وتنقلاتهم جماعة من شيوخهم وبيرتهم ليعيشـوا على صدقاتهم وخيراتهم كما هي الحالة هنا اوكي لا يدعوهم دون مرشد فتلعب الايدي بهم وتخرجهم من دينهم .

س : هل يوجد هناك مقامات للمشائخ كما هو هنا ؟

ج : لا شك أنه ما من شيخ أو ولي له مقام في الشيخان وفي سنجار إلا ونجد له مقاماً مشهوداً هناك ، غير ان هذه المقامات قد خرب أكثرها والحكومة لم تسمح باعماره من جديد .

س : ما هو اعتقادهم بيزيد والشيخ عدي وطاؤوس ملك وبقية المشائخ الذين ينتمون الى البيت العدوي ؟

ج : لم يكن اعتقادهم بهم قوياً ، وقد يجلون الشيخ عدياً كثيراً . ولا يستنكرون من الرجل الأجنبي اذا وردت على لسانه الكلمة الممنوعة ، والصحيح انهم لا يعرفون الكلمة الممنوعة ولا يتكلمون بها ، وهذه العادة لا نجدها إلا في بلادنا .

س : ما هو اعتقادهم بالأمير ؟

ج : يمكنني ان أقول لكم ان الاعتقاد فيه لم يكن واحداً ، فالقدماء من اليزيدية الذين ظلوا محافظين على تقاليدهم القديمة يعتقدون فيه أنه من نوع الآلهة، وأما الناشئة الجديدة الذين استهوتهم المدنية الحاضرة فهم على العكس من ذلك وقد يعدونه بشراً مثلهم حتى انهم قد لا يعبأون بزيارة السنجق وينظرون اليه كشيء من الأشياء .

س : هل صحيح ان حكومة السوفييت أخرجت السنجق من أيديكم ؟

ج : كلا وقد احتفظنا به الى حين رجوعنا الى بلادنا .

وهنا انتهى بنا الحديث ، وكان بودي ان أسأله عن اشياء كثيرة أخرى، ولكن خوفاً من انتباه الحراس الذين أقامهم الأمير لحراستنا تلك الليلة أذنت له بالانصراف بعد ان شكرته على المعلومات التى أدلى بها إلي .

﴿ جدال طريف ﴾

في اليوم الثاني من رحلتي هذه ، بينما كنت والأمير جالساً على « عين البيضاء » وقد أظلتنا اشجار التوث الباسقة التى شهدت حوادث جساما في هذا الوادي ترجع الى ما قبل بضعة عصور ، وكانت ثمارها الشهية تتساقط علينا ونحن نلتقطها باشتهاء ، دار فيما بيننا الحديث عن الشيخ حسن والشيخ شمس . قلت له : انكم تعبرون عن الشيخ حسن

بالشيخ حسن البصري ، والشيخ شمس بالشيخ شمس الدين التبريزي وهذا خطأ فالشيخ البصري والتبريزي لا علاقة لهما بكم ولم يدخلا في ديانتكم . - قال لي : كيف لم يكن للشيخين البصري والتبريزي علاقة بنا ، ولم يدخلا في ديانتنا ، ونجهل نحن ذلك وأنت تعرفه ؟ - قلت له : هل اذا جهلتم أمراً يجب ان يجهله غيركم ايضا ؟ فاحتدم الجدال فيما بيننا وأخيراً اتفقنا على ان نجعل رئيس الأئمة الشيخ نذيراً حكما بيننا . فاستدعاه الأمير وكان أرمداً ، وقال له : ألم تقل أن الشيخ حسناً هو الحسن البصري ، والشيخ شمس هو الشمس التبريزي ؟

فأجابه : أو ليس كذلك يا سيدي ؟

قال له : اصغ اذن لما يقوله فلان (وأشار إلي) :

قلت له : هل لك ان تعلمني من هو (حسن البصري) هذا الذي تتمتع اسرته بينكم بعين الحقوق والوجائب الدينية التى تتمتع بها بقية الأسر المنتمية الى البيت العدوي؟

قال لي : طبعاً هو من البيت العدوي .

قلت له : كيف يصح ان يكون من البيت العدوي وقد أثبت التاريخ ان الشيخ عدياً هو أموي من نسل مروان بن الحكم وقد توفى سنة ٥٥٧هـ ودفن في لالش من اعمال الموصل ، والحسن البصري هو من التابعين وأبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، وأمه خيرة مولاة ام مسلمة زوج الرسول وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومائة ، وبينه وبين الشيخ عدي (٤٤٠) عاما ؟

أجابني : هكذا يقولون يا سيدي !

قلت له : من هم هؤلاء الذين يقولون هكذا ؟ وألست أنت واحد منهم بصفتك من هذه الاسرة ؟ ثم قل لي : ما هي علاقتكم بشمس الدين التبريزي ، وشمس الدين التبريزي هذا خرج من بلاد فارس ، وجاء الى قونية ، وتلمذ عليه الشيخ جلال الدين الرومي ، وذهب من هناك الى الشام ، ثم عاد ثانية الى قونية وتوفى فيها مقتولا سنة ٦٤٥ للهجرة اى بعد وفاة الشيخ عدي بتسعين سنة ، وبعد مقتل الشيخ شمس الدين الحسن العدوي بسنة واحدة ، ولم يذكر التاريخ مجيئه الى هذه البلاد واتصاله بالبيت العدوي ؟

فلم يحر جوابا وظل واجماً .

قال له الامير : ما لك لا تتكلم وتجيب فلانا (مشيراً الي) على ما يقوله ؟

بيش امام : بماذا أجيبه يا سيدي وما يقوله لا يقبل الجدل والرد ؟

الامير : اذاً فأقوالك كلها هكذا مزيفة و (فلان) يعرف اساطين ديننا خيراً منا ومنك ؟

وكان جمع من اليزيدية حاضراً وبعض منهم حانق ، وبعض منهم مبتهج . فالحانق ، حانق علي لتدخلي بأمور ليست من اختصاصي على زعمه ، والمبتهج ، مبتهج لسبب الفشل الذى اصاب بيش اماماً وهم يحقدون عليه .

وكأنما أراد ان يغير مجرى الحديث وقال لي : كيف تقول ان الشيخ شمس الدين مدفون فى قونية بينما هو مدفون فى تبريز ؟

قلت له : هب انه مدفون فى تبريز او كاشغر او شنقيط وهذا لم يكن موضوع البحث ولكن قل لي ما هي علاقتكم به وكيف أتيتم به هو وأهل أسرته طائراً من تبريز وأشركتموه فى صحبة الشيخ عدى واتخذتم له قبراً فى لالش ؟

فالتفت الأمير اليه وقال له بالكردية : « خدى جافيته كور بكت » أي : أعمى الله عينيك ! أرأيت كيف كانت احاثك هكذا كلها لا صحة لها ؟

وهنالك اعترف الأمير بصحة ما قلته ، وسألني عن حقيقة الحسن البصري والشمس التبريزي ، وكيف عرفهم اليزيدية ؟

قلت له : لا تستغرب يا حضرة الأمير اذا قلت لك أن الحسن البصري وشمس الدين التبريزي والشيخ حسن العدوي والشيخ شمس كلهم يطلقون - بعرفكم - على رجل واحد.

قال لي : كيف ذلك ؟

قلت له : يلقب الشيخ حسن العدوي بتاج العارفين الشيخ شمس الدين الحسن ، وقد عرفتموه بالشيخ حسن والشيخ شمس او الشيخ شمس الدين ، وعندما احرجتكم الظروف على أن تنسوا اسمه وتهملوا ذكره استعضتم عن اسم الشيخ حسن العدوي بالشيخ حسن البصري ، وعن الشيخ شمس بالشيخ شمس الدين التبريزي .

الأمير : الآن تحقق عندي انك تعرف أساطين ديننا خيراً منا ، ولكن هل تدلني على الظروف التي أحوجتنا الى أن ننسى اسم الشيخ حسن وفي الحقيقة أرى ان اسمه لم يرد كثيراً في أناشيدنا الدينية كغيره .

قلت له : هذا سر من الأسرار اليزيدية ولا أستطيع أن أبوح به إلا بيني وبينك.. كان قد استولى على الحاضرين الوجوم واخذوا يتهامسون فيما بينهم عما يكون هذا السر الذي يعرفه رجل مسلم وهم لا يعرفونه ، حال كوني لا أرى من المجاملة أن أبوح به للأمير نفسه وسوف يعده تحدياً مني على أسرته (١)

﴿ صدور الأمر باخراج مرقد الشيخ عدي من ايدي اليزيدية ﴾
وجعله من جديد مدرسة اسلامية - ذهابي الى المرقد الشريف
لأجل هذه الغاية وحديثي مع الأمير علي بك

عندما أوفدت الحكومة العثمانية الفريق عمر وهبي باشا سنة ١٨٩٢ قائداً للاصلاحات في القطر العراقي ، وجاء الموصل ، كان اول عمل قام به دعوة اليزيدية الى الاسلام ، ولما رأى منهم عنتاً وإعراضاً استولى على مقدساتهم ، وأخرج مرقد الشيخ عدي من أيديهم واتخذه مدرسة اسلامية ، وجعل امرها تابع الى مديرية المعارف بالموصل .وقد اختارت مديرية المعارف المرحوم امين افندي القرهطاغي ليكون مدرساً في هذه المدرسة وأخذت على عاتقها الانفاق على الطلاب الذين يدرسون عليه .

استمر العالم القرهطاغي دائباً على التدريس في هذه المدرسة نحو سبع سنوات وهناك تنازلت الحكومة عن هذه الفكرة وأعادت المرقد الشريف الى اصحابه اليزيدية بناء على ما سبق لهم من المراجعات للاستانة . وفي عام ١٩٠٦ عندما كنت مديراً لناحية الزورية تلقيت أمراً من والي الموصل يقضي باخراج مرقد الشيخ عدي من أيدي اليزيدية وجعله من جديد مدرسة اسلامية وتعيين مدرس لها من الأكراد . وقد وقع اختياري على المرحوم سليم افندي الزاويتي ، فاستصحبته معي وذهبت الى المرقد

١) اذ هم الذين حظروا على «القوالين» ذكر اسمه في اناشيدهم الدينية بعد ان غصبوا منصب الامارة من اهل بيته وذلك لكي ينسى الشعب اسمه ولا يتحدثون عنه بينما يوجد في مجاميعهم كثيراً من هذه الاناشيد وقد أهملوا انشادها .

الشريف ، وأحضرت الأمير علي بك وأوقفته على الأمر وطلبت اليه أن يخلي المرقد من سدنته الفقراء والكواجك ، فمارض بشدة واحتج على هذا العمل المخالف للحق والعدل ، وآخر ما قاله : اننا لا نترك معبدنا بمجرد كلامكم ، وما لكم إلا ان تخرجوننا منه بقوة حرابكم .. ولكن حادثة غريبة حدثت تلك الساعة كانت الفاصل لهذا الخلاف . وذلك أن أحد الطلاب الذين حضروا مع المدرس سليم افندي ، علا فوق صخرة (تقع مقابل عين البيضاء ، يزعم اليزيدية أن الشيخ عدياً كان يجلس عليها وهي مقدسة بنظرهم) ورفع صوته بالأذان مؤذنا بصلاة الظهر ، وأردفه بالصلوات والتسليمات المعتادة كما ان المدرس سليم افندى ورفاقه الطلاب الذين جاؤا معه - وكانوا اربعة - وأفراد الجندرمة شمروا عن سواعدهم وبدأوا يتوضئون في العين البيضاء ، ثم وقفوا صفاً في الردهة المقابلة لمرقد الشيخ شمس يؤمهم المدرس سليم افندي وصلوا صلاة الظهر . وهناك رأيت السدنة يتراكضون وهم حاملون أحذيتهم على ظهورهم تاركين المرقد الى هؤلاء المسلمين الذين دنسوه بأذانهم وصلاتهم - على زعمهم - . وقد رأيت الكوجك اسماعيل (١) وهو شيخ هرم بلغ المائة من العمر يمشي الهوينى ودموعه تتساقط على لحيته يريد الالتحاق برفاقه . فاقتربت منه وسألته عن سبب مغادرته المرقد ؟ أجابني : وهل يجوز لنا البقاء فيه بعد أن دنسه هؤلاء المسلمون الاكراد بكفرهم ؟! . قلت له : كن واثقاً يا كريفي العزيز أن الشيخ عدياً وأولاده الذين خلفوه ومريديه علت أصواتهم بالأذان فى هذا الوادي ، وأكثروا فيه الصلاة والعبادة اكثر من مائة سنة . فأجابني: إننا لا نريد أن نسمع هذا الأذان ونرى هذه الصلاة في معبدنا ، وأخاف عليك من أن تغضب الآلهة عليك وتنتقم منك وأنت شاب فى مقتبل العمر ..

اما الأمير علي بك وكبير السدنة حسن فقير فلم يغادرا مكانهما وقاما تلك الليلة بضيافتنا

١) كنت اقضي الساعات الطوال مع هذا العجوز فى كل زيارة تقع لي للمرقد الشريف ، وكان يقص علي فيها الواقعة الاليمة التى أوقعها امير راوندوز في يزيدية الشيخان ، وثم قتل الوالي محمد باشا اينجه - بيرقدار الاميرعلي بك مع جماعة من زعماء الانكشارية ورؤساء الاكراد في الموقع المعروف بـ « كر عرب » وغير ذلك من الاخبار التى كنت أتشوق الى الاطلاع عليها . وكان هو قد أدركها وشاهدها مشاهدة عيان. وقد اخذني الاسف عندما علمت ان اهل القرية (مامزدينا) الاكراد قتلوه ظلما وعدوانا هو ويزيدي آخر اسمه (مرزا) يسكن قرية (بربور) دون ان يراعوا شيخوخته الفانية .

وفادتنا ومهما اعتذرنا اليهم فما كان جوابهم لنا سوى اننا ضيوف على الشيخ عـدي لا عليهم والواجب يقضي علينا بقبول هذه الضيـافة ، وقد أتوا بكبش الى أحد أفراد الجاندرمة وطلبوا اليه ان يذبحه ليعدوه عشاء لنا لعلمهم ان المسلم يحرم ما يذبحه اليزيدي إلا ان المدرس سليم أفندي والطلاب الذين جاؤوا معه وحتى أفراد الجندرمة أبوا أكل طعامهم واكتفوا بأكل خبز ذهب أحد الطلاب وأتى به من قرية (اشكفت هندوان) المسلمة .

وجاءني حسن فقير ، وكانت الشمس قد مالت الى الغروب ، وطلب الي السماح بايقـاد السرج والشموع في صحن الحرم الشريف وعلى القباب والطرقات والأماكن المقدسـة فأجبته الى ذلك وقلت له على سبيل المجاملة ، اذا كانت لك حاجة فاني مستعد لمعاونتك ، فابتسم ابتسامة تنم عن ألم وحزن وذهب لاداء مهمته ، ومن الغريب اني وجـدته تلك الليلة يكثر من اشعال الذبالات على الصخرة التي علاها المؤذن خلافاً للعادة إذ لم أرهم أوقدوا عليها غير ذبالة واحـدة فيما مضى حيث جعلها تشتعل نوراً وناراً الأمر الذي دلني على أنه أراد تطهيرها من الدنس الذي أصابها ، او قصد ارضاء آلهتهم من الاهانة التي أصابتهم .

وبعد ان أكلنا عشاءنا وشربنا القهوة المرة ، المرة تلو المرة ، كلمني الأمير علي بك على انفراد بما يأتي :

- اني وأيم الحق لم أكن أتوقع منك هذه المعاملة القاسية وأنت كريفنا العزيز الذي نعقد عليه آمالا كبيرة للعطف على قضيتنا .

- ثق يا كريفي باني لا أزال أتمنى ان أكون عند حسن ظنكم ، واذا لاقيتم مني عملا يخالف رغائبكم فأود ان لا تحملوه على سوء نية وقصد وتستاؤون منه ، وتعلمون اني موظف صغير ومضطر لتنفيذ الأوامر التي أتلقاها من مرجعي .

- نعم أنا لا أجادلكم فيما تقولونه ، ولكن لماذا لم تكتبوا الى مرجعكم ان مرقد الشيخ عدي هو معبد اليزيدية المقدس وكعبتهم التي يحجون اليها ، ومن الظلم الفادح اخراجه من أيديهم واتخاذه مدرسة اسلامية ، بينما يوجد مدارس اسلامية كثيرة مندرسة وفي

وسع الحكومة احياءها اذا كانت رغبتها منصرفة نحو ذلك حقيقة بدلا من ان تتخذ هذا المرقد المبارك مدرسة وتحرم عشرات الألوف من اليزيدية من الوصول اليه .

- ان ما تقولونه صحيح ومطابق للحقيقة والواقع ، ولكن لا يخفى عليكم اني موظف صغير ، وليس من شأني ، ولا من صلاحيتي ان أقوله ، ومن حقكم أنتم وحدكم ان تقولوه وتحتجون عليه .

- اذا سلمنا أنكم معذورون بمعارضتكم الأمر الصادر اليكم ، فلماذا لم تمنعوا هؤلاء الاكراد من الأذان والصلاة في هذا المرقد وتعلمون انه مخالف لديانتنا (١) .

- هل تعتقدون اني أقوى على منعهم من الصلاة في هذا المحل لأنه مخالف لديانتكم ؟ واذا منعتهم هل تفكرون بأنهم ينقادون لأمري ولم يبادروا الى تكفيري ، والمسلم يؤدي وجائبه الدينية أينما شاء .

- اني أكرر التماسي عليكم ان تبرهنوا للحكومة على عدم امكان اتخاذ هذا المرقد مدرسة اسلامية وتقنعوها بجعلها في محل آخر غيره وبذلك تكسبون صداقه اليزيدية بأسرهم وتسدونهم منة يشكرونكم عليها الى الأبد .

- قلت لكم ان وظيفتي لا تساعدني على ان أقوم بمثل هكذا اقتراح على من هو فوقي ووظيفتي هي تنفيذية صرفة ، وما لكم إلا ان تتفاهموا مع والي الولاية بنفسكم وتقنعوه بفساد هذه الفكرة .

- اني أعلم جيداً ان القصد من تبليغ هذا الأمر اليكم ليس هو اخراج معبدنا من بلادنا واتخاذه مدرسة اسلامية حقيقة بل هم أرادوا ان يدعوني الى هذا (التفاهم) الذي تشير به علي ، والحق اني سئمت هذا التفاهم وسئمت الملة من ان تقوم بمساعدتي عليه

- اني لم أشر عليكم باتباع هذه الخطة الا حرصاً على مصلحتكم وقد تحقق عندي ان الحكومة تتعمد التعدي عليكم .

وبعد حوار طويل قنع بالذهاب الى الموصل للتفاهم مع الوالي وقد وعدته ان لا أقوم

---

١) اليزيدي يستنكر سماع الاذان ويجتنب المرور من جوامع المسلمين . من ذلك ان الامير علي بك كان اشترى دار محمد العفاص المطل على جامع الشيخ ابي العلاء بالموصل بالف ليرة عثمانية ليقيم فيه عندما يجيء الى الموصل . ولما سمع صوت المؤذن من الجامع ترك الدار ولم يسكنه .

بعمل يزعجهم ما لم يعد من مهمته وبعد مضي ستة ايام عاد من الموصل حاملا أمراً من الوالي (١) يقضي بلزوم المحافظة على الحالة القديمة في مرقد الشيخ عدي وترك الحرية التامة لأصحابه اليزيدية في اجراء شعائرهم الدينية وهكذا انتهت المسألة .

﴿ الاجتماع بيزيدي متنصر في مرقد الشيخ عدي ﴾

جمعتني الصدف في عيد الجماعية في مرقد الشيخ عدي برجل مسيحي عليه مسحة من الدين ، وهو على ما ظهر من حديثه ولهجته وهندامه انه من أهل لبنان ، وقد اكثر السؤال مني عن عقائد اليزيدية وعاداتهم وتقاليدهم وصفوفهم الروحية ، وكنت أفيض له بالمعلومات عن ذلك ، وفي اليوم الثاني بينما كنت على أهبة الرجوع الى الموصل طلب الي ان أصحبه معي في سيارتي فلبيت طلبه بالرغم عن ان السيارة كانت مثقلة بالرفاق . ولما وصلنا الموصل طلب الي ان أضرب له موعداً ليفضي الي باخبار مهمة لم أكن في غنى عنها . وفي اليوم الثاني جاءني في الميعاد الذي ضربته له وأول كلمة فاه بها بعد ان أخذ محله : هل تعلم يا سيدي اني لم أكن مسيحياً بالأصل كما علمته مني بالأمس ، بل من اولئك القوم الذين احتفلت بعيد جماعيتهم ؟

قلت له : وقد أخذني الحنق عليه ، اذاً ما كان أغناك عن تلك الأسئلة التي القيتها علي وأنت أدرى مني بها ؟

قال لي : لأوهم الحاضرين من اليزيدية باني لم أكن منهم .

قلت له : وما هي مصلحتك في ذلك ؟

قال لي : نعم اني كثيراً ما اضطربت وساومتني المخاوف عندما كنت أرى أقربائي في

---

١) اني لا ازال احتفظ بهذا الامر الذي هو بمثابة وثيقة تاريخية لها علاقتها بتاريخ هذه الطائفة ، وهذه صورته :—

مزوري ناحيه‌سی مدير لكنه

فتوتلو افندى

شيخ عدي حضرتلرينك مرقد مباركلري من القديم يزيدي طائفه سنك محل عبادتي اولمسنه نظراً مدرسهٔ اسلاميه يه قلبيله اللرندن اخراجی موافق اولمديغی ملاحظة ايدلديكندن حالت قديمه يه مراعاتا يزيديلرك الندە ابقاسيله مراسم دينيه لرينك اجراسنده سربست براقلملری توصيه اولنور .

٢٣ تشرين الثاني ١٣٢٢ الختم

ذلك الجمع الحافل وأنا أعرفهم جميعاً وهم لا يعرفونني ، وقد ازدادت مخاوفي عندما ناولني ابن عم لي لفافة تبغ وهو يحدق في حتى خيل لي انه سيأخذ بتلابيبي ويرميني على الارض ويدوسني تحت قدميه وأنا ذلك الذي فارق دينه وألحق بأسرته عاراً لا يمحى .

قلت له : هل بوسعك ان تعلمني من هم أقاربك ؟

قال لي : اني من أسرة شيوخ الشيخ ... و ... هو عمي و ... هو أخي .

قلت له : كيف فارقت يزيديتك واهتديت الى هذا الدين ؟

قال لي : تعلم يا سيدي ان الشريعة اليزيدية أباحت لاسرتنا وحدها التعليم دون اليزيدية قاطبة ولذلك فقد كان من الطبيعي ان أتعلم القراءة منذ صغري ، وحيث جرت العادة عندنا ان يكون التعلم بالقرآن الكريم فقد كانوا يحذرونني من قراءة الكلمة الممنوعة فيه بحجة ان قراءتها كفر وخروج من الدين ، قلت لعمي مرة : اذا كان قراءة هذه الكلمة كفر لماذا أدخلوها في القرآن ؟ فانتهرني وهددني بالضرب اذا عدت وتكلمت بمثل هذا الكلام مرة اخرى ، الا اني والحق لم أحفل بتهديده وأخذت أبحث عن السر في تحريم هذه الكلمة وأخذت استظهرها هي وكلمات اخرى تشابهها ، ولم أزل أرددها على لساني عندما لم يكن احداً قريباً مني .

وفي ذات يوم وأنا مع اخي الشيخ ... بالموصل سمعت أناساً كثيرين يرددون هذه الكلمة من مسلمين ونصارى دون احتراز وتقيد قلت لأخي : ألا ترى هؤلاء الناس كيف يلفظون هذه الكلمة جهاراً ولم يؤنبهم أحد عليها وينهاهم عنها ؟ قال لي بغضب وحدة : ما شأنك وهؤلاء ؟ وهل تريد ان تكون كافراً مثلهم ؟

وهناك أخذ يتراءى لي أن في الأمر سراً غامضاً ولكن عقلي الصغير لم يساعدني على فهمه . اذ ما معنى أن جميع ذوي الأديان من مسلمين ونصارى ويهود يلفظون اسم « الشيطان » ويذكرونه بالمقت والازدراء ويستعيذون منه ومن شروره وهذه الشرذمة القليلة التي يعبرون عنها بـ « اليزيدية » تحمل له منتهى الاحترام وتتحاشى عن ذكر اسمه . وهي على قول الشاعر :

يمثلك الحب الشديد لناظري فأطرق اجلالا كأنك حاضر

ثم هل من المعقول أن يكون البشر قاطبة على الضلال في نظره الى هذا المخلوق وتوجيه اللعنة اليه صباح مساء ونكون نحن اليزيدية على حق واصابة في اتخاذنا إياه معبوداً وعكوفنا على عبادته ؟ و كلما اتسعت مداركي وأخذت أدرك كنه الأشياء وحقائقها ازدادت شكوكي وأوهامي في هذا المعبود وبدأت أشعر في نفسي حاجة للابتعاد عنه .

كنت قد بلغت الثامنة عشر من العمر ، ولم يبق لذوي علي تلك السلطة القاهرة وكنت أتردد الى الموصل وهي كما تعلم على بعد ثلاث ساعات عنا ، واجتمع بشبان النصارى والمسلمين وأصغي الى أحاديثهم ، وأستوضح منهم ما عصي علي فهمه في كثير من المسائل وكانوا يجاوبونني عليه . وقد ذهبت مرة مع صديق لي مسيحي الى الكنيسة وشتان ما ظهر لي من البون بين عبادتهم التي كانت تفيض هيبة وجلالا ، وعبادتنا الآله المصنوع من النحاس - ذلك الآله الذي يحمله القوالون في حقيبة على اكتافهم ويدورون به في القرى والجماعات ويرقصون له ويغنونه ويرغمون الملة على إعطائهم دراهم له .

خرجت ذات يوم من قريتي (٠٠٠) مصمما على أن لا أعود اليها ، والحق اني كنت قد هيأت أسباب سفري الى خارج العراق ، ولكن الى أين ؟ لا أدري . فاستشرت صديقي المسيحي فأرشدني الى الذهاب الى ماردين حيث ألقي راحلتي في « دير الزعفران » وأجد ضالتي المنشودة هناك ، وزودني بكتاب الى أحد معارفيه في الدير . وهكذا كان فقد سافرت الى ماردين والتجأت الى الدير ، فتلقيت فيه مباديء العلوم وقرأت دروساً في علم اللاهوت ، فاستنارت مداركي ، وانكشفت عن عيني حجب الأوهام والأضاليل ، وهدأت الثورة العنيفة التي كانت تثور في نفسي . وبعد خمس سنوات تركت الدير وذهبت الى جبل لبنان ، ودخلت ديراً للمارونيين ، إلا اني مللت حياة الترهب فتركت الدير وأخذت أبحث لي عن عمل أرتزق به ، وأخيراً اهتديت الى أحد المحلات التجارية وأخذت أعمل فيه ككاتب لقاء راتب يسد حاجتي وزيادة . ولا أكتمك أن طول الاغتراب أخذ يؤثر في ، فأتيت الموصل ، وها أنا مقيم فيها منذ اكثر من شهر وسأعود الى لبنان بعد أيام قلائل .

قلت له : وما الذي حدا بك الى الذهاب الى مرقد الشيخ عدي في هذا الموسم الذي يجتمع فيه مئات اليزيديين ولا يخلو من أن يعرفك واحد منهم ويلحق الأذى بك ؟

قال لي : أعلم ذلك جيداً يا سيدي ولكن الانسان مهما يفارق دينه ويقطع كل ما له صلة بأهله وذويه ، فلا تزال عاطفة الحنو تجيش في نفسه نحوهم ويريد مشاهدتهم ، وقد ذهبت الى مرقد عدي مدفوعا بهذه العاطفة ليس إلا ..

قلت له : أخاف أن تكون هذه العاطفة التي جاشت في صدرك وملأت مشاعرك وحواسك فيها شيء يتجه نحو ديانتك القديمة ، نحو ذلك المعبود النحاسي الذي كنت تعبده ، وكنت كلما تجولت في مرقد الشيخ عدي بين تلك الطلول البالية والآثار الدارسة وكلما عرجت على مرقد الشيخ عدي وعاينت هلاله الذهبي ، وتفيأت أشجار التوث الباسقة قرب عين البيضاء ، ووقفت على حوض ماء زمزم المبارك وشاهدت العذارى يغتسلن فيه كنت تتمثل بقول الأحوص :

يا بيت عاتكة التي اتعزل	حذر العدى وبه الفؤاد موكل
اني لأمنحك الصدود وإنني	قسما اليك مع الصدود لأميل

قال لي : محال أن يكون شيء من ذلك ، ولو أن في نفسي شيئاً من تلك الديانة لما كان لي مانع من أن أعود اليها نادماً مستغفراً .

قال ذلك وفي نفسي شك من صحة ما قاله .

رحلتي الى طور عابدين (١)

أشرت في محل آخر الى الرحلة التي قمت بها الى (طور عابدين) مع كريف لي من يزيدية سنجار يدعى الفقير « زندين » من قرية بردحلي قصد الاطلاع على عادات سكانه اليزيدية وأخلاقهم ومشاربهم . وكنت أعتقد ان مصاحبة (فقير) في هكذا رحلات بين قوم مهما بلغت فيهم الوحشية والهمجية يجب ان تكون سالمة من الخطر وذلك بالنظر

١) تفيد كلمة (طور) بالنبطية) معنى الجبل وتضاف الى اسماء اخرى فتكون علماً لبعض الجبال . كطورسينا ، وطور زيناً . وقد ورد في (شرفنامه) باسم (طور) وحده وهو من اهم المراكز الكردية وقام فيه امارات كردية ذات شأن . وفي قاموس الاعلام : انه سمي باسم مدينة تدعى (عابديناً) في سفح جبل جودي قريباً منه .

لما للفقير من مكانة عندهم، إلا ان الأخطار التي لاقيتها دلتني على خلاف ذلك، وللقاريء الكريم بيانه :

في اليوم الثامن من شهر نيسان ١٩٠٠ غادرت وكريي اليزيدي جبل سنجار من طريق (كوهبل) وتوغلنا في صحراء نصيبين الواسع الأرجاء ، وفي المساء وصلنا مخيم أحد رؤساء عشيرة الشيتية الكردية وهو (المصطفج) ونزلنا ضيوفاً عليه . وقد أحسن وفادتنا وبالغ في إكرامنا بدرجة تفوق الوصف والمصطفج هو من اشتهر بكرمه وسخائه بين عشيرته في ذلك العهد ، وفي صباح اليوم الثاني واصلنا سفرنا الى الطور وبعد منتصف النهار أخذنا نتسلق هضابه الجرداء ، وكان الطريق الذي سلكناه ذا تعاريج والتواآت وأودية ومنحدرات سحيقة ، وجوادي يمشي بي الهوينا مخافة ان تزل رجله ويهوي بي في أحد هذه الأودية . وهناك مالت الشمس نحو الغروب ، وأخذت تلك الجبال الصامتة منظراً مرعباً ، واستولى علي الخوف ، وتذكرت ما قاله لي (المصطفج) في الليلة الماضية من أني سوف لا أكون مبتهجاً من هذه الرحلة.. سألت صاحبي الفقير متى نصل أول قرية من الطور ؟ أجابني : بعد قليل ، ولم تساعدني أفكاري القلقة وهواجسي المضطربة من الكلام معه أكثر من ذلك ، ولا أدري هل أنه كان مثلي يحس بوحشة هذه الطريق ، أم كان فكره مشغولا في الدراهم التي يريد جمعها من مريديه الذين لم يأتهم منذ العام الماضي .

وبعد ان أوت الشمس الى مضجعها – وإن شئت فقل أكملت دورتها عن نصف الكرة التي نعيش عليها وأخذت تضيء عوالم اخرى غير عالمنا – وصلنا قرية تسمى (آفشين) ومعناه (الماء الأزرق) وحللنا ضيوفاً على رجل اسمه (جروك) كبير هذه القرية ، وأدخلونا خيمة صغيرة ممزقة وقد رفعت على عمد واحد ، وأردت ان أرمي نفسي على فراش وجدته فيها طلباً للراحة من التعب الذي أصابني في الطريق ، فجذبني أحدهم من يدي وأمرني بالانتظار ريثما يأتون بفراش لي ، وهناك جاؤوا لي بفراش قذر رث لا يصلح ان يكون جلا للحمير ورماه في جانب من الخيمة وأمرني بالجلوس عليه . قلت في نفسي هذه أول بادرة من بوادر (عدم الابتهاج) الذي أنذرني المصطفج به .

سألنى مضيفى : هل جئت لشراء خرافنا ؟

قلت له : لم أكن قصاباً ولا تاجراً بل جئت مع كريفى الفقير لأجل زيارتكم .

قال لي : وماذا تبغي من زيارتنا ؟

قلت له : التعرف اليكم وايجاد صلة صداقة بينى وبينكم إذ لعلنى أحتاجكم فى أحدالأيام او تحتاجوننى .

قال لي : وكيف لنا ان نصدق بأنك لم تقصد بنا شراً من هذه الزيارة ؟

قلت له : ثق يا كريفي العزيز بأني لست ممن يقصدون الشر بأحد ، وكيف لي انأقصد بكم الشر وأنا رجل موصلي بعيد عنكم ولا علاقة لي بكم ؟

وهنا تكلم صاحبي الفقير الذي ساءني سكوته بقدر ما ساءني هراء هذا الرجلوقال: ان فلاناً (مشير إلي) له صداقة مع كافة رؤساء سنجار ويحبونه جميعاً ويحبهم ، ولم يفه بكلمة اخرى غيرها .

وبعد برهة وجيزة أتى صبي بقصعة فيها شيء من الحساء مع رغيف من خبز الشعير ووضعه أمامي وقال لي بصفة الآمر : كل عشاءك باسم طاؤوس ملك ! فلم ألتفت اليه ، وأخذت أحتسي الحساء بنهم زائد وقد بلغ بي الجوع غايته . ولما فرغت من الطعام ، جاء الصبي ورفع القصعة ووضعها أمام كلب كان قد ربض أمامي فأكل البقية باشتهاء أكثر مني . وقد توثقت من انهم أنصفوني حقاً ولم يشركوا الكلب فى الأكل معي ، وأنا ذلك المسلم المنبوذ فى نظرهم .

سألنى مضيفى : ما هو جنس جوادك ؟.

قلت : لم يكن من الجياد الأصيلة .

قال : بكم اشتريته ؟

قلت : هو لصديق لي يزيدي من أهل سنجار ولم أدر بكم اشتراه .

وفى الصباح منحته مجيديين مع كمية من السكر والقهوة وطلبتمنه أن يأت بجوادي لكي نسافر .

قال : إنى لست بمعطيك إياه وقد أخذته لقاء حمار لي كان قد سرقه رجل مسلم مثلك

قبل عامين .

قلت : وما علاقتي بهذا السارق ، وما هي الرابطة التى تربطنى به ؟

قال : كلاكما مسلمان ولا فرق بينكما .

وعندما لم يبق لصاحبي الفقير صبر على وقاحة هذا الجلف ، أخذ يكلمه بكلمات قارصة وشتمه على عمله هذا الذى عده انتهاكا لحرمته وانتقاصاً من حيثيتي وأنا كريفه الذى يقضي عليه الواجب بالمحافظة عليه ورفع الأذى عنه ، ورمى قبعه على الأرض قصد استنزال الغضب عليه . ولكن الرجل قابله ببرودة زائدة ولم يعبأ به . وبعد أخذ ورد دام اكثر من ساعة أعطيته ثلاث مجيديات ثمن حماره الذي سرقه رجل مسلم مثلي منه قبل عامين وغادرنا قرية آفشين بعد ان كدت أذهب أنا وجوادي ضحية تمرد هذا الرجل الخبيث .

قلت لصاحبي الفقير ونحن في الطريق : هل كل ما سنلاقيه من الجيلكيين-سكان جبل الطور - في تجولنا بينهم هكذا ، لا يخلو من اخطار ومخاوف ؟ فأشار لي برأسه اشارة لم أدر ماذا قصد بها الانكار ام التصديق ، إلا أن آثار الغضب كانت بادية على أسارير وجهه . ولماذا لم يغضب وهو مسؤول-إن لم يكن ماديا- فأدبياً عن الاعتداء الذى يلحق بي طالما أنا معه وتحت حمايته ؟

وبعد نحو ساعتين وصلنا قرية « شوشاني » وكانت الطريق التى سلكناها وعرة جداً وجوادي الذى بات خاويا ، صار لا يمشي بقوة ونشاط كذي قبل بحيث صرت أخشى أن يكبو بي ويكسر عظامي وأنا على كثرة تعودي على الأسفار والتجول فى البراري والقفار ، كثير الوهم ، شديد الخوف من امتطاء الجياد ، وما امتطيت جياداً إلا وهلع قلبي خاصة اذا كان الطريق وعراً كطريقنا الذى سلكناه .

ولم أكن في « شوشاني » أحسن حالا من « آفشين » فقد أجلسوني على فراش على حدة واجتنبوا مؤاكلتى واسمعوني كلمات قارصة لا لشيء سوى كوني مسلماً ، وكم كنت أنزعج عندما يوجهون إلي بعض الأسئلة التي يقصدون بها الهزوء بالاسلام ، وكنت أجدني مضطراً لمجاوبتهم بما كان يرضيهم ويثلج صدورهم ، وكانوا يرمون فضلة

طعامي للكلاب كما فعلوه فى (آفشين) . واتفق مرة انهم رموا فضلة طعامى أمام كلب فشمه مرة واخرى وبال عليه ومضى ، فضحكوا وضحكت معهم. قال لي أحدهم: أرأيت كيف أبى هذا الكلب ان يأكل فضلة طعامك ؟ قلت له : نعم وهو يتنجس من المسلم كما تتنجسون أنتم منه . وهممت ان أتوسع في الكلام معه وأعترف له بأنهم محقون بعملهم هذا مع المسلم ، بعد ان كان هو الذي بدأ به معهم ، وهو الذي عدهم نجسين واجتنب مؤاكلتهم ، إلا أني آليت على نفسي ان لا أتحدث معهم بأي موضوع خوفاً من ان يعثر لساني بكلمة تثير غضبهم وهناك يتحقق الخطر الذى كنت أخافه .

وقد عولت على الاصغاء الى حديثهم وحوارهم بدلا من الكلام معهم ، إلا ان حديثهم كان كله هراء تمجه النفس وتتقزز منه الروح ويمكنني ان أحصره في كلمتين : المساومة بالنساء ، والمفاخرة بالدعارة .

. . . .

. . . .

حوار تأباه الغيرة وتنكره الآداب ، يمثل لنا درجة انحطاط هؤلاء القوم وانغماسهم فى الهمجية التي كان عليها البشر في دوره الابتدائي . وبماذا يتميز هؤلاء الوحوش عن الأقوام قبل التاريخية ، وهم يتيهون فى الجبال ، ويسكنون المغارات التي نحتها آباؤهم الأولون ، وهم جماعات مبعثرة ، يغيرون على بعضهم بعضا ويعبثون فساداً في الأرض . وهل كان البشر فى العصور المظلمة على غير هذه الحالة ؟ وألم تكن المرأة لديهم متاعاً مشتركاً بين افراد القبيلة الواحدة دون ان يحسوا بعاطفة الغيرة عليها ؟

أما انها كهم باللصوصية والدعارة، فمن لم يسبق له منهم مآثر بارزة فيها ، يرمونه بالجبن والنذالة ويحتقرونه واذا كان له زوجة تزدري به وتسعى باستبداله بغيره ، وقد سمعت خلال الليالي الثلاث التى قضيتها بينهم من أحاديث الدعارة ما اقشعر جلدي منه فرقاً وخوفاً وأخذ الرعب يدب في ولم أكد آمن على حياتي ، وقد زاد خوفي فى الليلة الثالثة التي قضيناها مضطربن ، إذ عندما كنا أزمعنا على السفر في صباح اليوم الثاني لم أجد حصاني فى محله ولما سألت صاحبي الفقير عنه قال لي لا أدري ، وقد علمت ان مضيفنا

عرضت له حاجة في محل قريب وقد أركبه أحد أقاربه وأرسله لقضائها ، وقـد اختـار الفقير زندين الصمت وأخذ ينتظر معي رجوع الجواد ، وربما انه أراد ان يؤنبهم على عملهم هذا غير المألوف إلا انه رأى السكوت أوفق لمصلحتنا . ومضى النهار ولم يظهر للجواد أثر فقال لي صاحبي اننا سنضطر على المبيت هنا هذه الليـلة ، قلت له لا بأس في ذلك ولكن هل تؤمل رجوع الجواد ؟ أجابني: سنرى. وقد أمضيت ليلتي على أحر من الجمر لما كان يخالجني من الوهم من ان يغدر أحدهم بي وماذا يهمهم قتلي واعتقادهم في قتل المسلم كاعتقادنا ونحن صغار بأن من قتل سام أبرص تخضر يده يوم القيامة ؟ ومن منهم لا يطلب أجر الدنيا وثواب الآخرة في قتل مسلم ليس له قيمة بنظرهم اكثر من سام أبرص ؟

تزاحمت هذه الافكار في مخيلتي وكدت أجن منها لولا ما كنت أعلل نفسي بأني في حماية فقـير يرون من الواجب الديني حرمته ، ورعاية الشخص الذي أتى به معه ، ولم يدخل جفني الكرى الى قريب الفجر ومهما كنت أريد طرد هذه الأوهام والوساوس عني كي أنام ساعة او ساعتين ، وأمامنا سفر طويل يحتاج الى شيء من النشاط والقوة ، لكن البراغيث كانت تلذعني لذعاً موجعاً وتزيد في تعذيبي وايلامي وارقي .

وكأنما ثملت البراغيث من دمي وأصبحت لا تعي من فرط سكرها وأرمت في الازبال والاقذار التي نشأت فيها وغلب علي النعاس وكدت لم أذق طعمه منذ أول الليل ، واذا بطلق ناري يرتج منه الفضاء يوقضني من نومي ، فارتعد جسمي من هـوله وظننت انه خرق أحشائي ، او لم تكن النتيجة التي أتوقعها طلق ناري ، او خنجر يغمده في احشائي أحد هؤلاء الاوغاد لتخضر يده يوم القيامة ؟

تململت في مضجعي فلم أجد ما يعيقني عن الحركة ، فسكنت أعصابي نوعاً ما وأخذت أبحث عن هذا الطلق الذي وقع قريباً مني ، واذا بضجة عالية تثيرها النساء ، والرجال تعدو كالذئاب حاملين بنادقهم . قمت من محلي وقصدت المكان الذي اجتمعت فيـه النساء وهن يصرخن ويولولن ، فوجدت مضيفي في فراشه مضرجاً بدمائه وقد فارق الحياة. كان صاحبي الفقير واقفاً على بضع خطوات عني فتقدمت منه وسألته عما حدث أجابني

ان مضيفنا له أعداء كثيرون وقد جاء احدهم الى هنـا خلسة وقتله كما ترى ، قلت له : وما سيكون وضعنا تجاه هذا الحادث ؟ قال لي : سـيكون كما هو ، قلت له : ألم تفكر بأنهم سيتعرضون لنا ؟ قال : وما علاقتنا في الامر ؟ قلت له : وهل ان أعمال هـؤلاء الوحوش تنطبق على قاعدة او اصول ؟ قال لي لا تفكر بهذا طالما أنا معك .. بيد اني لم أكن واثقاً من صحة ما يقوله ، وقد تحقق عندي انه لا يستطيع ان يدفع أقل أذى عني منذ أخذ كبير قرية (افشين) مني ثمن حماره الذي زعم ان مسلماً مثلي سرقه منه قبل عامين ، قلت له أرجح مغادرة القرية الآن ، قال لي : وهل أنت مصـر على ذلك ؟ قلت : نعم ، قال : فلنسافر إذن، وكانوا قد أتوا ليلا بجوادي وربطوه في محله ، إلا انه قد هزل بدرجة لم يستطع معها ان يحملني ، وكيف لا يهزل هـذا الحيوان المسكين ولم يذق طعم العلف منذ اليوم الذي حللنا فيه الطور ؟ وقد قاسى أتعابا مضنية لم يقاسيهـا حيوان آخر غيره ؟ بيد اني كنت اعتقد ان المزعجات التي لاقيتها لم تخل من نحوسته ، ولبعض العراقين الذين يمارسون طباع الخيل من بدو العرب آراء خاصـة في سـعدها ونحسها لا يسع الانسان التصديق بها .

غادرنا (شوشاني) وأخذنا نسير ، ولكن الى أين ؟ لا أدري . قلت لصاحـبي : ما رأيك في العودة الى سنجار ؟ قال لي : هذا أمر يعود اليك . قلت له : اني أرجح العودة الآن . وهناك ترك الطريق التي سلكناها وعرج بنا الى طريق اخرى وواصلنـا سيرنا بقلب مفعم بأمل الرجوع سالمين الى سنجار . وكنت تارة أقطع الطريق ماشياً وتـارة أركب بغلة كريفي الفقير وذلك لان جوادي كما ذكرت قد اصبح من الضعف والهزال بدرجة لا يستطيع معها حملي . وما أشد سروري عندما تركنا (الطور) وراءنا ودخلنا صحراء نصيبين . وعند المساء وصلنا مخيما لعشيرة (الشيتية) يرأسه رجل اسمه (ملك) فبتنا عنده على الرحب والسعة وبالغ في إكرامنا ، وفي مساء اليوم الثاني وصلنا سنجار بعد ان كنت قطعت الأمل في الرجوع سالماً اليها .

« تتمة » ـ مما يجب ان أسجله هنا ان هذا الجواد الذي شاركني في هذه الرحلة المشؤومة وتحمل معي آلام الجوع والتعب والشقاء، هو لكريف لي من يزيدية سنجار

وهو خلف بن الياس بن خضر محمد كهية ، وأبو عطـو خلف زعيم الهبابات . ولم ينفـك شؤمه عن ملازمة صاحبه الى ان ساقه الى الموت ، إذ قتل في معركة جرت له مع صالح محمد عبدو رئيس قزلكند وهو راكب عليه . وقد لاقيت الموت وجهاً لوجه في مرافقتي له في رحلتي الى (طور عابدين) ولكن حظي غلب شؤمه .

﴿ بحث خطير مع الأمير سعيد بك بن علي بك ﴾



الأمير سعيد بك

اعتاد أمير الشيخان (سعيد بك) ان يسهر الى آخر الليل وربما يطلع عليه الفجروهو جالس بين أزواجه وأصدقائه من اليزيدية الذين يأنس بهم ويثق اليهم . واذا غلبه النوم لم يكن ليعتمد على حراسته أحد غير زوجته (شمي) بنت حسين بسمير ، فكانت تحشو

بندقيتها وتقف على رأسه الساعات الطوال الى ان ينتبه من نومه ، وقد يعزو البعض ذلك الى ما يخالجه من الخوف من أعدائه الكثيرين ويغتالونه تحت جنح الظلام كما اغتالوا أباه قبلا ، وفي ليلة اشتدت أرياحها واحلولكت ظلماتها ، وهطلت أمطارها وأنا في قصر الأمارة نائم في الحجرة المطلة على الوادي إذ بأحد يطرق الباب طرقاً خفيفاً فانتبهت من نومي وفتحت الباب فاذا بالأمير سعيد بك، فدخل وجلس على كرسي قريب مني وخاطبني بقوله : لقد أزعجتك في زيارتي لك بمثل هذا الوقت من الليل ، قلت له : كلا وانا سعيد بهذه الزيارة التي اؤمل ان يساعدني الحظ وأسدي لك خدمة يكون لك نفعاً من ورائها قال لي : اني لا ازال أترقب فرصة تمكنني من الاجتماع بك لابوح لك باشياء طالما تختلج في خاطري ، والآن جئتك لاجل هذه الغاية ، فأود ان تصغي الي وتشير علي بما يجب علي عمله ، قلت له : تفضل وانا مصغي الى كل ما تقوله ، قال تعلم اني وليت هذا الأمر صغيراً ولم اكن قد بلغت الحلم ، وكانت أمي التي هي بمثابة وصي علي تدير اعمال الامارة بدلا عني بكل روية وكياسة .

ولما كبرت أخذ البعض من زعماء الملة ممن لم يرق لهم البقاء في معزل عن التدخل في شؤون الامارة يطلبون الى أمي التخلي عن اعمال الامارة وتركها لي بصفتي الأمير الشرعي الذي لا يحق لأحد غيره النظر في شؤون الملة الدينية والدنيوية . وقد نزلت أمي عند رأي هؤلاء المخالفين وتوليت الأمر بنفسي . وهناك وجد هؤلاء المخالفون لهم مجالا لمقاومتي بشتى الطرق والوسائل ورموني باشياء لا صحة لها . وقد كان من جراء ذلك ان انفتح باب المعارضة والاختلاف بين الملة على مصراعيه وسقطت هيبة الامارة وابتعد عنا اصدقاؤنا المخلصون ، إلا افراداً قليلين بقوا محافظين على صداقتهم وولائهم.

فأجبته : اني لا زلت منذ زمن أريد ان اباحثك في هذا الأمر ، إلا اني اتجنبه لئلا أرمى بالتدخل في ما ليس من شأني ، وطالما انت احببت ذلك فأقول لك ان الملة ليس من شأنها ان تقاوم اعمالك وترميك بما يحط من كرامتك بوقت من الأوقات ، وجل رغبتها في ان يكون لها امير فطن حازم تعتز به وتنضوي الى رايته ، واية فائدة تجنى من وراء مقاومتها اعمالك ، والشريعة قضت عليها ان تخضع لأمير سواء أأنت كنت ام

غيرك ؟ نعم يجوز أن يظهر أحد من بيت الامارة وينازعك على منصبك كما وقع غير مرة إلا ان الملة ليس من اختصاصها التدخل في أمور كهذه ولها أن تلتزم الحياد وتجتنب عن كل ما يغريها ، ويجوز لها أن تدافع عنك فيما اذا كانت تعتقد الصلاح في احتفاظك بمنصبك . أما اذا كانت الملة نفسها مستاءة منك وترى بقاءك أميراً عليها مضر بمصلحتها فلا شك انها ستبحث عن غيرك ممن يوفي هذا المنصب حقه من هذه الأسرة وتعاضده في اسقاطك من هذا المنصب .

- إني لم آت على عمل يضر بمصلحة الملة حتى تستاء مني وتعاضد غيري على اسقاطي من منصبي ، وغايتي الوحيدة الترفيه عليها ونيلها نصيبها من السعادة والراحة والهناء ، ولي على ذلك أدلة لا يستطيع أحد إنكارها إلا الذين أعماهم الحسد والغرور ..

- إن كل أحد يا عزيزي يرى في نفسه الكمال المطلق ، ولا يرضى بالانتقاد الذي يوجه اليه مهما كان حقاً . فكيف اذا كان مثلك زعيما دينياً مطلق الارادة والتصرف وقد عودته التقاليد الدينية على أن يرى خضوع كل أحد من أفراد شعبه واجباً عليه وهو لا يرضى بانتقاد أحد ممن هو دونه وينكره عليه وربما يرميه بالكفر من أجله . أما إذا كان الانتقاد من أحد مثلي لا يهمه سوى مصلحتك ، فالواجب يقضي عليك بان تقبله قبولا حسناً وتعمل به، واجتماعك بي في مثل هذا الوقت من هذه الليلة معطوف على هذه الغاية . أليس كذلك ؟

- نعم !

- إسمح لي اذن أن أقول لك أن الشعب مستاء منك لسلوكك الذي لا يراه يلتئم والتقاليد الدينية اليزيدية ، ينتقد أعمالك التي خالفت بها من سبقك من الأمراء من الناحية الدينية والدنيوية. والشعب اليزيدي الذي يتمسك بديانته الى أقصى حدود التمسك لا يرضى من أميره أن يتحدى القوانين الدينية الى هذا الحد .. إن الحقيقة مرة ولا يرضى كل أحد بها . ولذا اذا صارحتك بالحقيقة ، أود أن لا تؤاخذني . والصراحة هي الداء الناجع لك .

- تفضل وقل ما يبدو لك وستجدني كلي آذانا لما تقوله ، واني لم أزعجك بزيارتي هذه

الليلة إلا لأسمع منك ما فيه صلاح أمري، ولو لم آنس فيك مودة نحوي لما أوقفتك على دخيلة نفسي .

- إن الرأي العام اليزيدي مستاء منك من وجوه عديدة ويمكنني أن أحصرها في ثلاث أمور ، الأول : تبذيرك الخيرات والصدقات التي تصل اليك من طريق (السنجق) وصرفك إياها في غير موضعها . الثاني : استبدادك في حل مهام الأمور التي تتعلق بالشعب ولم ترض بمشاركة ذوي العصبيات القوية لك بالرأي . وقد تركتهم وراءك ظهريا واعتمدت على أناس لا قيمة لهم . الثالث : اصرارك على اتباع بعض الأعمال التي أصبحت مضرة بالشعب ولم ترد أن تحيد عنها . وها إني أبين لك هذه الأمور واحداً فواحداً لتتأكد من صحة ما قلته لك :

فتبذيرك الخيرات والصدقات وصرفك لها في غير موضعها ، لا تستطيع أن تنازع فيه . فأنت يدخل عليك بالسنة ما لا يقل عن خمسة آلاف دينار من بدل ضمان (السناجق) وايجار القباب في مرقد الشيخ عدي والنذور والخيرات والهبات والصدقات التى تصل اليك من ذوي الوجاهة واليسار من الملة وأنت غارق في الديون وقد يعجزك في اكثر الأوقات تدارك دينار واحد ، فاذا أرادت ان تحاسبك الملة على هذا المبلغ الجسيم الذي يدخل عليك كل سنة وتسألك في اي مشروع خيري او عمل اصلاحي أنفقته ، ماذا سيكون جوابك لها ؟ ان الملة تعطيك هذه الخيرات والهبات والعطايا بصفتك قيما على مرقد الشيخ عدي على ان تنفقها على عمارة مرقده ، واطعام الزوار الذين يؤمونه من مختلف الأنحاء ومساعدة الفقراء والمعوزين من أفراد الملة ، والترفيه على المحتاجين من أسرة الأمراء، فهل تستطيع ان تؤيد لي انفاقك فلساً واحداً في هذا السبيل ؟

ان المرقد المبارك قد آل الى الخراب ، ولم يبق فيه حجرة واحدة معمورة ولا جدار قائم ولم يعنك أمر اصلاحه ، وكم أشرت عليك باحداث بناء في احدى جوانب المرقد يقتصر على اربعة غرف وردهة لاقامة الزوار الأجانب وذوي الوجاهة من الناس الذين يأتون من الأماكن البعيدة للزيارة والتفرج وأنت تشكو قلة المال ولم تحدث شيئاً وهذا نقص كبير تعاتب عليه .

ثم بينما لم يكن التقليد الجاري يجيز ان يصنع الزوار من اليزيدية طعاما لهم مدة إقامتهم في المرقد ايام الزيارات بل ان يكونوا ضيوفا على الشيخ عدي ، فقد أبطلت هذه القاعدة ولم يأت زائر إلا وطعامه معه ، وأبطلت كذلك عادة إطعام سكان قصر الأمارة من افراد الأسرة ومنعت اعطياتك عنهم الأمر الذى أدى الى وقوعهم فى مخالب الفقر والحاجة وأنت لا يهمك أمرهم حين ان تأمين إعاشـة أفراد الاسرة والترفيـه عليهم هو واجب ألزمتك التقاليد الدينية به ، وقد حافظ الامراء الذين سبقوك على هذا الواجب ولم يسبق ان شكى أحد أفراد من أسرتكم جوعاً وفقراً على عهدهم .

ان الشريعة التي إئتمنتك على هذه الموارد الجسيمة لم تبح لك التصرف فيهـا كما تشاء وتنفقها في سبيل الأعمال التي حظرتها عليك ، بل لك ان تختص منها بما يكـفي لادارة بيتك والبقية تنفقه في وجائب أخرى عينتها لك ، منها ما ذكرته لك ومنها ما لم أذكره، أما اذا خالفت ذلك فتكون قد خالفت التعاليم الدينية وهضمت حقوق شعبك وأسأت اليه ، وشعبك الذي هو بمثابة دافع ضرائب ينتظر منك ان تقوم بوجائبك نحوه، وأنت لم تفعل ذلك .

أما عدم اعتمادك على وجهاء ملتك واستعاضتك عنهم بحثالات من الناس ووضعك ثقتك فيهم ، فهو من أقوى الأسباب التي أدت الى امتعاض الشعب منك ومقاومته لك. فهل من إصالة الرأي ورجاحة العقل ان تعرض عن زعماء أقوياء ، لهم مكانتهم الدينيـة والاجتماعية وفى مقدورهم ان يثيروا الشعب ضدك متى شاؤوا ، وتقرب منـك أناساً لم يكونوا في العير ولا فى النفير ؟ وقد يتقرب هؤلاء منك ليعيشوا على أعطيـاتك لهم ، ومتى أعرضت عنهم لاكوا سمعتك بشتى المفتريات كما وقع اكثر من مرة ؟

أني كثيراً ما نصحتك بازالة الخلاف القائم بينك وبين الفقير « حمو شيرو » ، لا بل بينك وبين زعماء جبل سنجار جميعهم ، والتفاهم معهم ، فما أفاد نصحي لك شيئاً وبقيت مصراً على خلافك معهم . أن مخاصمتك زعماء جبل سنجار لا يضر بهم أكثر مما يضر بك ، إذ بقدر ما يسود التفاهم بينك وبينهم ، ويتقربون منك وتتقرب منهـم ، تقوى كلمتك ويعتز جانبك وتزول الفتن التي تدور حولك ، ويقبلون على زيارة السنجق وتكثر

هباتهم وأعطياتهم له .

قل لي يا كريفي العزيز ، ماذا تفعل اذا رفض يزيدية سنجار زيارة السنجق سنةواحدة ومنعوا هباتهم له ، او أخرجوه من أيدي القوالين طالما أنت مصر على نزاعك معهـم ؟ ألم يؤثر ذلك على مركزك الديني ويحرمك من مورد كبير لا يمكنك ان تعيش دونه ؟

- وهل تعتقد يا سيدي ان لو استطاعوا سبيلا الى هذا لفعلوه ؟ إلا انهم يعلمون ان السنجق ، هو سنجق الشيخ عدي ، وأنا لم أكن اكثر من حارس عليه ، والشريعة اليزيدية لم تبح بقاءه بيد أحد غيري ، وهم مضطرون الى إعطاء خيراتهم له .

- ولكنهم يدعون انك قد اتخذته لك ملكاً خاصاً واستأثرت بنذوره وخـيراته وصدقاته ، وهو يعود الى الملة بأسرها . والملة متى شاءت أخرجته من يدك وأودعته الى غيرك من أفراد هذه الأسرة ممن يقع اختيارهم عليه وتثق باخلاصه وأمانته اكثر . ألم يكتب لك حمو شيرو قبل بضعة اسابيع بهذا الموضوع ، فلمـاذا لم تجاوبه وتدله على فساد رأيه ؟

- أن حمو شيرو وغيره من زعماء سنجار الدينيين والمـدنيين لم يجهـلوا حكم الشريعة حتى أدلهم على فساد رأيهم ، وهم يعلمون جيداً عدم جواز إخراج السنجـق من يدي وايداعه الى غيري من افراد أسرتنا طالما أنا على قيـد الحياة ، وهذه نقطة مهمة في حياتنا الدينية ، وليس في إمكاني ان أبوح لك فيها اكثر من هذا .

- نعم ، تريد ان تقول أنك بصفتك تمثل الشيخ عدياً من الناحية الألوهية باعتبارك أميراً شرعياً على هذه الملة ، فتوليك السنجق أمر لا ينازعك فيه أحـد ، وفي حالة إيداعه ليد آخر غيرك من هذه الأسرة لا تكون الزيارة اليه مقبولة ، ولا النذور والصدقات التي تقدم اليه صحيحة ، أليس كذلك ؟

- نعم ، هو ما تقوله .

- إذن يجب ان تجاوب حموشيرو وغيره من زعماء سنجار على ما كتبوه اليكوتدلهم على خطأهم ليعودوا الى حكم الشريعة ويزول سوء التفاهم القائم بينك وبينهم .

- وأية قيمة لهم حتى أجاوبهم على كتابهم الذي تحدوا فيه حكم الشريعة ، وخرجوا

فيه على العرف والقانون ، وليس من حقهم ان يكيفوا رئيسهم الديني ويجعلونه مطية سهلة الانقياد لهم ؟

- هذا هو موضع الخطأ فيك ، يا كريفي العزيز ، وكيف لا يكون لهم قيمة وهم سراة قومك وقادتهم ، واذا أرادوا شيئاً فعلوه واذا لم يريدوه فليس من قوة ترغمهم عليه ، ومتى شاؤا أعلنوا عدم اعترافهم بك وأقاموا غيرك .

- تعلم ، يا كريفي العزيز ، ان اسقاط الأمير عن منصبه ليس بالأمر الهين ومعناه مخالفة الشيخ عدي فى قبول من اختاره ممثلا عنه على شعبه وهذا كفر فى عقيدتنا . والشيخ عدي لم يختر عنه ممثلا على شعبه إلا من يرى فيه الصلاح وهو الذى يسيره في عمله . ثم لقد أوجبت الشريعة على كل يزيدي مؤمن بطاؤوس ملك ان يزور السنجق الذي يرمز به عنه بالسنة ولو مرة واحدة ، ومن يتخلف عن زيارته يعد كافراً ويحل غضب الآلهة عليه وعلى ذويه . ولذلك فكل ما يقال عن رفض يزيدية سنجار زيارة السنجق كلام فارغ ، وسيبقى السنجق مقدساً ومحترما ويزوره اليزيدية ويطلبون الشفاعة عنده الى قيام الساعة ..

- تقول انه لم يكن فى مقدور أحد من ابناء الشيعة اليزيدية ان يرفض قبول من اختاره الشيخ عدي ممثلا عنه على شعبه ، وتعد هذا العمل كفراً ، ولكن ما قولنا اذا أجمعت الأمة على ان هذا الممثل لم يقم بواجب التمثيل كما ينبغي ، وقد خان الأمانة الملقاة على عاتقه وأفسد فيها ؟ ثم الذي أفهمه من كلامك ان اليزيدية طالما هم مجبورون على زيارة السنجق ، وتقديم نذورهم وخيراتهم اليه ، ومن تخلف عنهم يعد كافراً ، فاستياؤهم منك ورضاؤهم عنك سيان بنظرك ، أليس كذلك ؟ وعليه أقول لك : ان هذه القاعدة يجوز أن تكون متبعة منذ نحو خمسين سنة ، اي عندما كان الأمير بنظر اليزيدية المثل الأعلى للألوهية وليس فى طاقة أحد بمخالفته ، او يتحدث عن عيوبه . أما الآن فقد انقلبت الآية ، ولم يبق للامير ذلك النفوذ وتلك الحرمة ، وأخذ كل احد يتحدث بنقائصه ، ولم ير من الأثم الكلام عن عيوبه كما نشاهده الآن من اصرار الملة على مخاصمتك وخروجها عن طاعتك . فهل سبق لأمير ان خاصمه احد من افراد الملة

وجاهر بالخروج عن طاعته . اسمح لي يا صديقي أن اقول لك : انك أنت الذي احرجت الملة على ان تناقشك الحساب عن اعمالك ، وجعلتها تتحدى حدود الطاعة معك . ماذا تريده الملة منك ؟ تريد منك وبعد كل شيء أن تحافظ على التقاليد التي سار عليها آباؤك قبلك ، تريد منك ان تبتعد عن كل ما يشين سمعتك ويحط من كرامتك ، تريد منك ان لا تتعدى حدود الشريعة في عمل من اعمالك وأنت وازعها الديني الاكبر ، وقدوتها الصالحة ، والمنحدر من سلالة عدي بن مسافر ، والجالس على تخت يزيد وخليفته في الارض ، واليك ينتهي نبل البيت الأموي وشرفه . فاذا ما أتيت عملا يخالف السنن والتقاليد اليزيدية ، عدوه منك تحديا لشعائر الدين وخرجوا عليك ، ومن حقهم ان يخرجوا .

إن موقع الشيخ الأكبر (بابا شيخ) الديني يعد في الدرجة الثانية من موقع الأمير وكان « للشيخ ناصر » على عهد جدك حسين بك منزلة كبيرة ومكانة مرموقة ، وكان جدك يحترمه ويعمل بمشورته . ولما توفي خلفه ابن أخيه « الشيخ علي » في هذا المنصب وكلنا صاحبناه وأعجبنا برجاحة عقله وإصالة رأيه . وكان الأمير « ميرزا بك » ووالدك يجلانه ويحترمانه . وعندما توفي أقمت بمحله ابن أخيه « الشيخ اسماعيل » لقاء مبلغ كبير من المال . وكان الشيخ اسماعيل هذا مثالا للزهد والطاعة، يصوم اربعين الصيف والشتاء ويجتنب شهوات الحياة ، ويقتفي سنن الاسلاف وقد قضى نحبه ولم يمض عليه في منصبه اكثر من عام ونصف عام . فبيت له هذه المكانة الدينية أليس من الحيف ان تحرمه حقه من هذا المنصب وتوجهه الى غيره ممن لا شأن له وليس له من الكفاءة والوجاهة ما يبرر رفعه الى هذا المنصب الخطير ؟ تتذكر كم من مرة أشرت عليك ان لا تخرج هذا المنصب من هذا البيت وأن توجهه الى «الشيخ حسين» ابن الشيخ اسماعيل الذي أجمع الرأي العام على صلاحه وألهمته الآلهة العلوم الاثني عشر منذ صغره وحفظها على صدره او بالأقل توجهه الى عمه «الشيخ سليمان» وهو والحق كفوء له وقد تلقى الأسرار من أمه « دايكى فات » وقد أخذتها هي بطريق الالهام من الآلهة ، فما اصغيت لي وخالفت التقاليد المتبعة وأهجت الرأي العام عليك ولم تكتف بهذا بل أحدثت تغييرات هامة في بعض المناصب

الدينية ووجهت بعض الوظائف الى غير مستحقيها وأوجدت كثيراً من البدع في الحياة اليزيدية مما أوجب غضب الآلهة عليك .

والآن لنأت الى تمسكك بالعادات التي أصبحت مضـرة بصالح الملة ولم تكد الظروف الحاضرة تمكنك منها :

لقد قدر لهذه الملة ان تعيش في حالة الجهل والبؤس والشقاء منذ فجر ظهورها ولم يكتب لها ان تتمتع بحياة حرة هنيئة رغيدة ، وقد ألقت مقاليدها الى من يكون أميراً عليها والامير هو الذى يشق لها الطريق التى تسلكها فى الحياة ، وقد كان والدك خير راع لهذه الملة وقد أمضى حياته فى كفاح مستمر فى سبيل راحتها ودفع الاذى عنها ، ولا تغتض اذا قلت أنك أصبحت غريباً عن هذه الملة وأصبحت هي غريبة عنـك ولم يهمك من أمرها سوى جعلك اياها بقرة حلوبا مهما أصابها من عجاف وهزال ، وقد يأخذك الغضب ويشتد بك الحنق اذا خالفك احد منها او عارضك بشيء وسرعان ما تجري عليه (التحريم) تلك القاعدة التى لم تكد ايجابات هذا العصر تستسيغها وتقرك عليها ، وقـد اتخذت هذه القاعدة وسيلة لاخافة خصومك دون ان تلاحظ ما تولده من نتائج مضرة لك .. مضى على والدك اكثر من عشرين سنة فى الامارة ولم يحرم احداً من الملة على رغم ما كانت الحاجة تدعوه الى تطبيق هذه القاعدة بحق كثير ممن يضاددونه فى أعماله فهل من الاصابة ان تحرم أهل قرية بكاملهم لسبب امتناعهم عن تأدية ما لم يملكونه من المال اليك ؟ (١) وهل من المعقول ان تحرم أسرة عرفت منذ القديم باخلاصها وتفانيها لبيت الامارة لمخالفتها لك فى سلب فتاة يتيمة مالها ؟ (٢) نعم أنا لا أنكر ان (التحريم) هو حق من حقوقكم أنتم أيها الأمراء ، وكان الذين سلفوا منكم يستعملون هذه السلطة

١) هم اهل قرية « كر خالص » حرمهم جميعاً لامتناعهم عن اعطاء الاعانة لتعمير مرقد الشيخ عدي ثم عفا عنهم على التماسي منه .

٢) كان الامير علي بك قد تنازل لشيرين بنت عيدو عن حق وراثته في مال أبيها الذي مات دون ان يترك وارثا من الذكور . ولما ماتت شيرين ولم تترك كذلك ولداً وهبت مالها لبنت اخت لها تربت فى حجرها ، وقد تزوجت هذه البنت من ابن حجى لاسو من وجهاء قرية عين سفني ، فمانع الامير سعيد بك بتصرفها بالمال الذى وهبته لها شيرين بحجة انه يرجع اليه من أبيه الذي تركه لشيرين موقتاً . فتصدى حجى لاسو للدفاع عن البنت ومنع الامير سعيد بك عن معارضتها . ولما نظرت المراجع الرسمية المختصة بالقضية رفضت دعوى الامير وأقرت البنت على مالها .

بحق اي من كان دون قيد او شرط . ولكن يجب ان تعلموا انكم الآن في زمن غير الذي مضى والشعب اليزيدي هو غير الشعب الذى كان ينظر الى أحدكم كآله ويرى خضوعه له فرضاً دينياً عليه. ولذا فتمسكك بسلطة التحريم وجعلها أداة للارهاب والاخافة عمل مضى زمنه ، ومن مصلحتك ان تعلن للشعب تنازلك عن هذه السلطة وتحصرها في المسائل التى لها مساس مباشر في القضايا الدينية فقط وبذلك تجعل الشعب فى مأمن منك وتكسب وده وعطفه .

- ما كنت أعتقد ان سيخفى عليك ان تنازلي عن سلطة التحريم يجعلني وأفراد الملة على حد سواء ويزيل هيبتي من النفوس ويفسح لخصامي المجال فى ان يوغلوا في مخاصمتي ويوجهوا كل نقيصة الي وأنا لا استطيع ان أقابلهم بشيء .

- هذا أمر سيقع لا محالة ، فان لم تختره عن رضى وقبول سترغمك الملة عليه ، والملة هى مصدر القوة ، واذا أرادت شيئاً فعلته وعملك له من تلقاء نفسك خير لك من ان ترغم عليه ... ثم هنالك مسألة دعوى وراثتك لمن لم يكن لهم وارث من الذكور من عصبتهم ، فهذه الدعوى تثير نقمة الملة عليك بقدر ما تثيره مسألة التحريم ، إذ لا يخفى عليك ان نظام الحكم والتطور الاجتماعي والعقلي أخذ تدريجياً في رفع سوية الفرد العقلية وجعله يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات ، حتى نراه بينما لا يعرف قبلا غير أميره ، وهو بمنزلة آلهه ومعبوده ووازعه وهو الذي يقضي بينه وبين غريمه ، وكلمة تخرج من فيه يعدها حكما سماويا لا يقبل النقض والابرام ، نجده الآن يتردد الى رجال الحكم والقضاء ، ويجوس دواوين الحكومة لمطالبة حق أضاعه ، او إزالة غبن أصابه ، حتى انه لم يتورع من مخاصمتك أنت بنفسك أمام الحاكم كفرد عادي ، كما وقع في قضية دعوى وراثتك لشيرين بنت عيدو من قرية عين سفني وخروجك منها بصفقة الخاسر .

- يجب ان تعلم أنه طالما في عرق ينبض ، فمن المستحيل ان أتنازل عن سلطة التحريم ، وعن حق وراثتي للذين لم يكن لهم وارث من الذكور من عصبتهم! ، وكانت والدتي قد ذهبت الى بغداد هي و «درويش مجبور » وسائق السيارة اوهانيان الأرمني! ، ورفعت

عريضة الى المندوب السامى وأخرى الى وزير الداخلية عبد العزيز بك القصاب ، طلبت منهما فيها تثبيت حقوقنا التقليدية التى نتمتع فيها منذ القدم وهى بمثابة قانون واجب الاتباع بين الملة .

ـ وبماذا أجاباها ؟

ـ أجاباها بأنهما سيدرسان هذا الطلب ويعلمانها بما سيقر الرأي عليه بواسطة متصرف الموصل .

ـ إن كنت تعمل بنصيحتى ، أشير عليك ان تتنازل عن هذا الحق المحكوم عليه بالبلى قبل ان ينزعه الشعب منك ، وتسعى فى إزالة الخلاف القائم بينك وبين زعماء جبل سنجار وبينك وبين يزيدية الشيخان وتنزل عند رغبتهم فى انتهاجك فى حياتك الدينية والدنيوية خطة نزيهة شريفة ليس فيها ما يدعو الى الانتقاد ، وتحسن التصرف في الخيرات والهبات التى تصل اليك من طريق (السنجق) وترفه على المعوزين والمحتاجين من افراد الأسرة ، وكل واحد منهم يرى لنفسه الحق فى الأمارة وإن كانت الفرص والظروف ساقتها اليك ، وتقصي عنك دعاة السوء الذين يسعون دوماً في تعكير صفو العلاقات بينك وبين الملة ، وتستعيض عنهم بأناس أوفياء مخلصين يرون مصلحتك فوق كل شيء ، وتعقد فى كل سنة مؤتمراً من زعماء الأمة وعقلائها ومفكريها للبحث عن الاصلاحات التى تحتاجها الملة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وتطلب معاونة الحكومة عليها ، وتسعى فى إزالة الاختلافات القائمة بين يزيدية سنجار وزعمائهم على أساس تأمين حقوق الطبقات الضعيفة فيه ، وبذلك تثبت للشعب اليزيدي حبك وإخلاصك فيصفو لك الجو وتعيش فى دعة وأمن والكل ملتفون حولك عاملون على تقوية نفوذك .

ولم ينته بنا الكلام ، إلا وقد أصبح الصباح وأتى الخادم « حجي سلو » بالشاي الذي اعتدت شربه باكراً ، فانصرف الأمير ولم أعلم ما أوجده حديثي من الانطباعات فى نفسه .

في الأخطاء والأوهام

التي وقع بها الكتاب الشرقيون والغربيون في أبحاثهم عن اليزيدية

بحثت طائفة كبيرة من كتاب ، شرقيين وغربيين ، عن اليزيدية ، ووضعوا كتباً ورسائل كثيرة عنهم وعن نحلتهم وعقائدهم وتاريخهم وطرق عباداتهم وعاداتهم ، فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، والذي أصاب، أصاب من ناحية وأخطأ من ناحيةاخرى، والغربيون لم يبحثوا عن اليزيدية لغاية العلم والتاريخ ، بل بحثوا وهم مندفعون بروح تبشيرية او استعمارية او سياسية ، واعتمدوا على مصادر غير صحيحة وغير موثوقة ، وغيروا ما كتبوه،وحرفوه وأضافوا اليه اشياء من عندهم حسب ما أملته عليهم أهواؤهم ونزعاتهم .

وكتابنا الشرقيون لم يأتوا بأقل مما أتى به الغربيون،واتبعوهم في آرائهم رغماً على انهم أقرب منهم الى هذه الطائفة واكثر اتصالا بهم ، وبوسعهم ان يدرسوهم دراسة وثيقة ويعرفوا ما جهله عنهم الغربيون وليس أكبر نقصاً من ان يجهل انسان قوماً قريبين منه ، ثم يأخذ ما جهله عنهم من الأجانب الذين هم اكثر منه جهلا بهم ، وهذه شنشنة في كثير من كتابنا ، فقد يأخذون بأقوال الأجانب فيما يتعلق ببلادنا، ويعرضون عن أقوال مؤرخيننا الذين هم أدرى بها ، واذا تعارض خبران لمؤرخين يرجحون ما يقول به الأجنبي ، فكأن كلامه حجة لا يأتيها الباطل .

على ان كتابنا الذين بحثوا عن اليزيدية لم يكونوا جميعاً من هذا الطراز ، ففيهم من أصاب الحقيقة وخالف ما قاله الأجانب ، ومع هذا فلم تكن دراستهم لتخلو من أغلاط وأوهام ، فقد جهلوا عنهم شيئاً كثيراً خاصة في تاريخهم وعقائدهم وأصول ديانتهم .

ان اكثر ما يروق لي من هؤلاء الكتاب الأستاذ البحاثة يعقوب نعوم سركيس، فقد نشر عن هذه الطائفة وديانتهم مقالات هي نتيجة بحث دقيق وتحقيق عميق أصاب فيه

الهدف وابتعد عن الاسفاف والسرف . وكذلك العلامة المرحوم احمد تيمور باشامؤلف رسالة (اليزيدية وأصل نحلتهم) والأستاذ السيد عباس العزاوي مؤلف كتاب (تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم) فيعد أثرهما أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، فقد خالفا جميع الباحثين فى تعيين أصل هذه الطائفة وأباوا خطأهم فيما قالوه عنهم .

وقد عقدنا هذا الفصل لنضع آراء الكتاب من شرقيين وغربيين على محك النقد والتمحيص لندل فيه على من أصاب منهم وأخطأ، ونبين هل كان خطأهم عن تعمدوقصد او عن نقص في الدراسة والبحث .

﴿ الأستاذ السيد عباس العزاري ﴾
وكتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم »

ليس منا من لايعرف الأستاذ عباس العزاوي وجهوده المتواصلة في البحث والتحقيق والتأليف ، وقد وضع تآليف عدة فى مختلف مناحي العلوم ، كان لها أثرها فى النهضة العلمية والعقلية فى جيلنا الحاضر . ومن تآليفه القيمة كتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » فهو أمتع ما وقع عليه نظري من مؤلفاته الكثيرة ، ومن الواجب ان أقدر له جهوده التى بذلها فى سبيل هذا العمل الجدي الذي جاء فريداً من نوعه، لو لم يتمسك بآراء عن أصل هذه الطائفة لم يكن ليقره عليها النقد التاريخي ، ويعتمد على اخبارغير صحيحة تعمد أصحابها اختلاقها لغايات شخصية ، ويتلقى أخباراً من أناس اتصل بهم بطريقة الصدفة ويبني أساس ابحاثه عليها . واذا أردنا ان نعلق بعض ملاحظاتنا على ما كتبه ، فلم يكن القصد منه انتقاصه ، بل الاشارة الى انه اتبع آراء لم تؤيده فيها الحقيقة والتاريخ .

فبعد ان توسع فى بحثه عن (تمحيص الأقوال عن اليزيدية) وذكر في (نتائج ما نحققه عنهم) من أنهم (مسلمون متزهدون .. توارثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية ممزوجة بحب الأمويين) قال : « وإلا فالمؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم شيئاً ، وإنما ذكروا تعصبهم ليزيد كما تعصب غيرهم للامام علي رضي الله عنه » ، ثم قال : « وعلى كل حال لا يحتمل انهم عريقون بالمجوسية ، ولا يعول على

التقاليد الموروثة باعتبارها ديناً قديماً لهم ، ولكن يفسر ما وجد مخالفاً للاسلام، فيقال أنه منقول عن جاهليتهم الاولى » .

وجاء في قوله عن أصل اليزيدية في التاريخ :

« فأول من ذكر هؤلاء السمعاني المتوفي عام (٥٦٥هـ -١١٦٦م) في كتابه الانساب » ا.هـ

وفي حاشية له علقها على هذا القول :

« ظهر لي مؤخراً ان ابن قتيبة تعرض لعقيدتهم في كتاب (الاختلاف في اللفظ) كما يأتي النقل عنه . وفي تاريخ (سني الأرض والانبياء) نعت الحزب المعارض للعباسيين باليزيديين (ص ١٣٩) ، (وفي التنبيه والاشراف) ما يشير الى هذه الناحية ايضا ».

هذا هو ما قاله الاستاذ العزاوي عن أصل اليزيدية . على اننا اذا وافقناه على انهم مسلمون متزهدون ، وقد ورثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية ممزوجة بحب الأمويين وانهم كانوا يتعصبون ليزيد كما تعصب غيرهم لعلي رضي الله عنه، لا نوافقه على انهم لم يكونوا عريقين بالمجوسية ، ولا يعول على التقاليد الموروثة باعتبارها ديناً قديماً لهم ، وان ما يوجد فيهم مما هو مخالف للاسلام منقول ومأثور عن جاهليتهم الاولى . واذا كان المؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم الاولى شيئا فديانتهم التي يتبعونها والعادات والتقاليد التي يسيرون عليها تنطق بمجوسيتهم بلا مراء ، وما أبداه من الاعتقاد بان اليزيدية الذين هم بين ظهرانينا الآن يرجعون بالأصل الى جماعات من الاسلام كانوا يتعصبون للأمويين ، وان تسميتهم باليزيدية لم يكن حديثاً بل يرجعون به كذلك الى زمن بعيد ، مستدلا عليه بما جاء في الانساب للسمعاني ، وفي الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة لم يكن صحيحاً ، اذ ان اليزيدية الذين ذكرهم السمعاني وابن قتيبة لم يكونوا يحملون العقيدة التي نجدها في اتباع البيت العدوي ، وكان لهم احزاب منظمة وجمعيات سرية تعمل في الخفاء لمناصرة الأمويين كما عليه العلويون ، وعلى ضعف شأنهم فقد كان العباسيون يتعقبون آثارهم ويدمرونهم تدميراً أينما ظفروا به ، وكان شأنهم أشبه بالفقاقيع التي تظهر على وجه الماء وسرعان ما تذوب ويزول أثرها . غير ان الاستاذ العزاوي لم يرد ان يعترف بهذه الحقيقة ، ويريد ان يجعل من يزيدية السمعاني وابن

قتيبة وغيرهم من اتباع الأمويين ومناصريهم ، ممن لم يتحقق موجوديتهم ، وحتى من الأمويين نفسهم نواة لليزيدية الذين ظهروا في جبل هكار على يد (آل مسافر) معززاً نظريته بنصوص وجدها كافية لهذا الغرض وذلك ما نقله عن الاستاذ (محمدعلي عوني) المعلق على كتاب « شرفنامه » لشرف خان البدليسي وهو قوله : « وعلى ما يفهم من نص الشرفنامه ومن اقوال العارفين بتلك الجهات وبهؤلاء الناس ، ان عدة من قبائل الأكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية هاجرت في عهد الأمويين الى جهات الشام للالتحاق بخدمة الخلفاء فاستوطنت هناك مدة ثم عادت الى موطنهم الأصلي عند سقوط دولة الأمويين ، واحتصانهم مع اتباعهم بالجبال والبلاد الحصينة . وقوله : « ومن راجع الشرفنامة رأى الكثيرين من أمراء الأكراد أمويين نسباً ، وتحقق ان الأمويين جاؤوا الى هذه الجبال بعد ضياع ملكهم، فتولوا رياسةالقبائل من الاكراد» وبالرغم عن ان الشرفنامه لا يصح ان يكون مصدراً من مصادر التاريخ وهو مملوء بالأغلاط والأخطاء ولم يتحر صاحبه فيه الحقيقة التاريخية ، فليس فيه ما يدل على ان عدة من قبائل الأكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية هاجروا في عهد الأمويين الى جهات الشام للالتحاق بخدمة الأمويين ثم عادوا الى أوطانهم بعد سقوط دولة الامويين وليس فيه ما يدل على ان كثيرين من أمراء الاكراد أمويون نسباً وانهم جاؤوا الى هذه البلاد بعد ضياع حكمهم فتولوا رياسة القبائل من الاكراد ، كما ان أحداً من العارفين بتلك الجهات لم يؤيد صحة هذا الخبر ، وهذه كلها اقوال اختلقها المعلق على كتاب شرفنامه وأخذها الاستاذ العزاوي عنه ولم ير حاجة لمراجعة الشرفنامة والتحقق من صحتها.

ان كل ما ذكره البدليسي في كتابه الشرفنامة: هو ما رآه محتملا عن اتصال نسب عشيرة (المحمودي) الكردية بالسلاطين المروانيين (ص ٣٨٨) واتصال عشيرة (دنبلي) بشخص يدعي (عيسى) من عرب الشام (ص ٣٩٩) ثم تعليله هذا الاحتمال بقوله عن أمراء (المحمودي) انهم (على رواية) من اولاد عم حكام الجزيرة اولاد (خالد بن الوليد) و (على احد الأقوال) انهم من الشام ، (وعلى بعض النقول) انهم هاجروا مع بعض

القبائل والعشائر من جزيرة ابن عمر الى أطراف (اذربيجان) ... وقوله عن عشيرة (دنبلي) : انهم (على رواية) جاؤوا كذلك من جزيرة ابن عمر الى نواحي اذربيجان فهل في كتاب شرفنامه ما يدل على ان الكثيرين من أمراء الأكراد أمويون وانهم جاؤوا الى هذه البلاد بعد ضياع حكمهم وتولوا رئاسة القبائل من الاكراد ؟ كلا ! وقد قص علينا حكاية مجيء أحفاد (مروان الحمار) آخر سلاطين بنى أمية من فلسطين مع جماعة من أنصارهم ومواليهم الى مدينة (قلب) شمالي ديار بكر وتأسيسهم فيها إمارة (قلب وبطمان) واشتهارهم بالامراء السليمانية نسبة الى (سليمان بن عبد الملك بن مروان) وهي قصة ملفقة مصطنعة لا يصح ان يقال عنها غير خرافية لا نصيب لها من الحقيقة اصلا ، والتاريخ لم يؤيدها ، وسنبحث عنها في محل آخر .

وعلى فرض ان المعلق لم يأت هذا الخبر من نفسه وكان نقله صحيحاً فكيف يجوز الاعتماد على خبر ينفرد بروايته ومؤرخ واحد ولم يتكلم عنه آخر غيره ويؤيده فيه ؟ والبدليسي لم يذكر فى (شرفنامه) ان أمراء الاكراد أمويون أكثر منهم عباسيون ، وان كنا ننكر عليه هذا القول ايضا ، ولا واحد من المؤرخين او العارفين بتلك الجهات - على حد قوله - يؤيده فيه ، فمن ذهب الى أنهم ينتمون الى البيت العباسي من أمراء الاكراد (١) أمراء الحكاري ويعرفون بالشمدينانيين (ص ١٢٦) ، (٢) حكام العمادية ويعرفون بالبهائدينانيين (ص١٤٥) ، (٣) حكام كليس (ص ٢٨٦) ، (٤) حكام جمشكزك (ص٢١٤) ويقول انهم أولاد ملكيش أحد أولاد الخلفاء العباسيين ، وفي رواية انهم من سلالة الامير ساليق بن علي بن قاسم من فروع السلاطين السجلوقيين ، (٥) حكام مرداس (ص ٢٣٢) يقال انهم من أولاد العباس رضي الله عنه وغيرهم ممن ينتسبون الى خالد بن الوليد ، والى السيد حسن الازرقي من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومنهم من ينتسب الى البرامكة ، والى أناس من بغداد وغيرهم .

يقول الاستاذ العزاوي : « وفي ايام الأمويين كانوا - اي قبائل الاكراد - » عضد الدولة وقوتها المكينة ... وبسقوطها عادوا الى أوطانهم ، وهم لا يزالون مخلصين للدولة الاموية ، داموا على موالاتهم لهم الى هذه الايام ، وقد التجأ اليهم جماعة من الامويين

فيهم من الاسرة المالكة ، وبعد ان داخلهم معتقدات صوفية « بدأ فيهم الغلو كما بدأ في غيرهم فصاروا على طرفي نقيض» حتى « أدركهم الشيخ عدي وسعى جهده في اصلاحهم ودعاهم ان يتركوا السب والطعن المر ».

والاستاذ العزاوي سلسل هذه الحوادث وأوصلها الى هذه النتيجة استناداً على ما رواه المعلق على الشرفنامه نفسها ، والشرفنامه ، كما قلنا ، لم يتكلم لا صراحة ولا ايماء عن نزوح قبائل من الاكراد ، لا قليلة ولا كثيرة ، الى عاصمة الامويين ومساهمتهم في أعمالهم العسكرية والادارية والسياسية، ولا عن ظهور رجال ذوي كفاءة ودربة ودراية منهم كان لهم أثر بارز في هذه الدولة ، ومتى استخدم الامويون في أعمالهم الادارية والسياسية وقيادة الجيش أقواماً من غير العرب حتى يصح القول ان الاكراد أصبحوا عضدها القوي وقوتها المكينة ، وليس في وسعه ان يورد لنا نصاً تاريخياً يؤيد فيه عودة هذه القبائل الى أوطانهم بعد سقوط الدولة الأموية ، والتجاء جماعة من الأمويين ، منهم من البيت المالك وتشكيلهم أمارة كردية ضمن حدود الدولة العباسية ، فاذا أجابنا بالنفي ، وليس له ان يجيبنا بغيره ، فكيف له ان يحقق صحة ما استنتجه من سلسلة هذه الاخبار من ان الغلو بدأ في هؤلاء الاكراد وفي ضمنهم جماعة الأمويين ممن هم من الاسرة المالكة كما بدأ في غيرهم ، وأراد بهم الشيعة ، فصاروا على طرفي نقيض حتى أدركهم الشيخ عدي وسعى جهده في اصلاحهم ؟

والحقيقة ان احداً من أكراد هذه الجبال ، لا من جنبائهم ولا من ذوي الشجاعة منهم سافر الى بلاد الشام على عهد الامويين والتحق بخدمتهم ، وليس من هؤلاء الاكراد من ينتمي الى الامويين ، ومن الاعتداء على التاريخ القول بان جماعة من الامويين وفيهم من الاسرة المالكة التجأوا الى هذه الجبال بعد ضياع حكمهم ، وليس ما يدل على ان الشيخ عديا عندما جاء الى جبل هكار وجد أناساً على طرفي نقيض مع الحزب الشيعي يعملون على مناهضة العلويين والتعصب للامويين ولم تظهر هذه الروح وتنمو بين أصحاب عدي إلا على عهد أخلافه من البيت العدوي .

***

وجاء في البحث عن الوقائع التاريخية (ص ١١٠) :

« قلنا غير مرة ان اليزيدية لم يحسن العثمانيون إدارتهم ، وكانت طريقتهم في إدارتهم أيام العثمانيين الحصول على الرسوم والأعشار الأميرية بالقهر والنهب باسم ضرائب الحكومة ، او بالقاء الشقاق والنزاع عندما يشعرون بضعف او وهن في الادارة لاتخاذهم وسائل لدفع البعض بالبعض واستخدام أحد المناوئين ضد الآخر . والحاصل أن المهم الوحيد هو السيطرة والنجاح والغلبة بأي وجه كان وإن أدى ذلك الى تخريب الديار ، وتمزيق الأشلاء » . « لذا تدعي الحكومة انهؤلاء اليزيدية مجبولون على الشقاء والشقاق منذ القدم ، والحال انهم منقادون ولا هم لهم سوى مشاغلهم ، فهم أطوع الأقوام ، ولكنها لم تتخذ وسيلة لتمدينهم وإصلاحهم .. وقد اتخذت الرؤساء وراعت طريق التفاهم معهم لانهاك الفقراء وأخذ الأموال منهم بالباطل ، وبطريق الاشتراك معهم واستخدامهم كجيش لهم عليها » .

وفي هذا تحامل شديد على العثمانيين ، واذا وافقناه على أنهم لم يحسنوا ادارة اليزيدية ويتخذوا طريقة لتمدينهم وإصلاحهم ، لا نوافقه على انهم كانوا يستحصلون الضرائب منهم بالقهر والعنف والنهب او بالقاء الشقاق والنزاع بين البعض والبعض واستخدام المناويء ضد مناوئه ، لان هذا لم يقع البتة . اما يزيدية الشيخان فهم في الحقيقة قوم وديعون منقادون ولا هم لهم سوى مشاغلهم ، ولم نعهد ان استوفت الحكومة ضرائبها منهم بالطريقة التي ذكرها وقد حصلت لهم هذه الطاعة وهذا الانقياد منذ زمن بعيد بعد ان كانوا على غاية الشراسة ، وقد تصدى رئيس قبيلة منهم لقتل وال مع مائة نفر من عسكره ونهب أثقاله دون ان يخشى عقاباً . واما يزيدية سنجار فهم على العكس من ذلك وقد ضربوا الرقم القياسي في البغي والعتو ويعدون من أشق الاقوام ودأبهم ايقاع الشغب والفساد منذ اليوم الذي وطأت اقدامهم هذا الجبل ، ولم نعهد ان الحكومة العثمانية تمكنت من تحصيل ضرائبها منهم في الدور الذي ادركناه من عهد حكمها اكثر من مرتين او ثلاث مرات وذلك عندما تقوم ببعض الاصلاحات ، والتحصيلات كانت عرضاً لا مقصودة بالذات ، وكانت تتبع معهم سياسة اللين والرفق كي لا تكون قد

أهاجتهم وساقتهم الى العصيان . وقد أرادت ان تحصل بعض الضرائب منهم عام ١٩٠٠م على زمن الوالي حازم بك وذهب معاون الوالي حمدي بك البابانى وابراهيم صدقي بك قائمقام القضاء مع فوج من النظامية تحت قيادة (البكباشي) محمود اغا الى قرية (كرسي) ولكنهم عادوا في اليوم الثاني الى مركز القضاء دون ان يتمكنوا من تحصيل فلس واحد وسببه الاختلاف الذي ظهر بين قائد الفوج وقائمقام القضاء أولا ، والخوف الذي حصل لهذا القائد الباسل من القيام بهذه المهمة بقوته القليلة التي كان يخشى عليها خطر اليزيدية ثانيا ، حتى قيل ان الخوف استولى عليه عندما سمع ليلا عدة طلقات تصدر من القرية اعتقد انها انذار له بلزوم الرجوع الى مركز القضاء .

وقد أجرت بعض التحصيلات في آخر سنة حكمها الموصل بقوة كبيرة أرسلتها تحت قيادة القائمقام العسكري الحاجي ابراهيم بك وعززتها بجموع كثيرة من العشائر إلا انها لم تحصل منهم على اكثر مما أنفقته على هذه الحملة على رغم ما اظهرته من البطش والقوة ، وقتلته من النفوس .

ويفهم من هذا ان العثمانيين لم يكن بوسعهم أن يراعوا طريقة التفاهم مع رؤساء سنجار ليستميلونهم نحوهم ويتخذونهم آلة بيدهم لأخذ أموال الفقراء بالباطل وبطريق الاشتراك معهم ، ولم يسبق فى التاريخ أن تقرب أحد رؤساء اليزيدية لا فى سنجار ولا في محل آخر من الحكومة العثمانية وعاضدها على الوقيعة ببني قومه او ساعدها على تحصيل ضرائب منهم ، بل يكون دائما يداً واحدة معهم ويقاتل في صفوفهم ، ويدفع أذى الحكومة عنهم ، واذا لم يفعل ذلك لم يكن يزيدياً .

ويقول في بحثه عن (طبقات اليزيدية وسائر أحوالهم) :

« وان الحكومة تستميل هؤلاء الرؤساء فيؤدون التكاليف الأميرية بمقاولة معهم . وأحيانا يتفق هؤلاء الرؤساء مع موظفي الحكومة فى الهجوم على العصاة من اهل القرى الاخرى فتحصل الضرائب الأميرية بصورة الجبر ، وهكذا يساعد هؤلاء على استرداد الأموال المنهوبة او المغصوبة من الأهلين واستعادتها » .

ويقول :

« وفي هذه الحالة قد يتخذون ذلك وسيلة للوقيعة وأخذ الانتقام ممن عاداهم فيستعينون

بقوة الحكومة والأدلة العيانية كثيرة » .

والاستاذ العزاوي وهم في هذا الخبر وليس فى وسعه ان يورد لنا دليلا عيانياً واحداً عليه ، وعذره اعتماده على أناس لا يوثق بهم (وما آفة الأخبار إلا رواتهـا) ولو انه وقف على حالة اليزيدية الدينية والعشائرية والتقليدية ، لما رضي لنفسه هذا القول اذ لا فرق بين من يتفق من اليزيديين مع الحكومة ويسهل لها اسباب الوقيعة ببني جنسه وبين من يختار الكفر لنفسه ، وقد تصيبه لعنة الأجيال ليس هو فقط بل أولاده وأحفاده

وفي ص ١٣٢ :

« المعروف المتواتر عنهم بصورة لا تقبل الارتياب ، انهم لا يفترقون عن المسلمين بالايمان بالله وبالأنبياء والملائكة ، إلا فى احترامهم الشيطان ، وهذه نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم » .

نعم ، لا ينكر أحد انهم لا يفترقون عن المسلمين بالايمان بالله وبالأنبياء والملائكة وهم مسلمون بالمعنى الصحيح ، ولا يجادل فى ذلك إلا مكابر جاهل . إلا ان القـول بان احترامهم الشيطان هو نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم لم يكن صحيحـا ولا نوافق الاستاذ عليه ، ولسنا بحاجة الى تفسير كل ما نجده في هذه الطائفـة من معتقدات مجوسية بأنها تقاليد صوفية كانت قد شاعت بينهم ، ونعلم ان احترامهم الشيطان ورمزهم عنه بالطاؤوس وعبادتهم له هو ضرب من عبادة الاصنام وقد عادوا وتمسكوا بهذه العادة بعد ان انصرفوا عنها منذ بضعة عصور . ثم اذا سلمنا جدلا ان احترامهم الشيطان وعبادتهم الطاؤوس هو نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم ، فما قولنا فى سجودهم للأحجار والأشجار ، وكل مكان شريف وتقديسهم النار ، وسجودهم للشمس عند بزوغها وغروبها ؟ فهل انه كذلك نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شـاعت بينهم ؟

وجاء فى البحث عن التناسخ ص ١٣٨ :

« قلنا ان التناسخ لازم او مقارن لمذهب غلاة المتصوفة وكثير من يعتقده ، فلا تفاوت بينهم فى الظهور » .

ويقول : « ولا يزال يقول بهذا القول كثيرون من غلاة المتصوفة ، وهؤلاء منهم » ونحن لا نجادل في سلوكهم طريقة تصوفية على زمن مرشدهم الكبير وربما بعده ايضاً وأثرت فيهم تعاليمه ، اما أخذهم عقيدة التناسخ من المتصوفة فلا ! ونعلم انهم بالأصل مانيون ، والديانة المانوية ترتكز في أساس وضعها على التناسخ . ثم من أين سرت عقيدة التناسخ الى المتصوفة اليس من المانوية ؟

وما ذهب اليه نوري بك من انهم يقاربون النصارى في التناسخ ليس معناه انهم أخذوا هذه العقيدة من النصرانية وهم أعرق من النصرانية بها، و«ان احترامهم الكنائس النصرانية وأعزة النصارى» قول شائع ولكن لم يقم عليه دليل .

اما قصة (حسن البصري) وحمل بنته بولد يشبهه بطريقة التناسخ فنشأها الاضطرار الذي ساقهم الى ان ينسوا اسم (الشيخ حسن) ويهملون ذكره حيث أخذوا يعرفونه باسم حسن البصري ، والا ما هم والحسن البصري وما علاقتهم به ؟

وجاء في البحث عن صومهم وصلاتهم ص ١٤١ :

« ومن المستغرب جداً ان ينسى هؤلاء ايام الصوم وأوقات الصلاة ، ولكن من طالع حالة العشائر عندنا وما هي عليه ، من التهاون في أمر العبادات على الأغلب لا يستغرب من تحول العادة عند هؤلاء » .

وهذا قياس غير صحيح ، إذ لو فرضنا ان العشائر تهاونوا في أمر العبادة فلماذا ينسى هؤلاء ايام الصيام وأوقات الصلاة وهم قوم متصوفة ، وأهل طريقة ، وقد قرأوا القرآن وتفقهوا في الدين والطريق لهم نهج واضح لا كالعشائر الذين يعيشون في حالة البداوة ولا يعرفون واجباتهم الدينية ، ويندر وجود عالم متفقه بينهم يدلهم على واجبات دينهم على ان عشائر العرب الرحالة في جزيرة ما بين النهرين وعلى ضفتي الفرات وسورية الذين يدينون بالسنية مع عدم وجود عالم بينهم يدلهم على واجبات دينهم فهم أشد تمسكا بالصيام والصلاة من أهل المدن . والحقيقة ان ترك اليزيدية الصوم والصلاة هو عمل رجعي ساقهم اليه ميلهم الى العودة الى أحضان أمهم المجوسية بعد ان ضلوا السبيل ، وأدخل أناس في عقولهم ان الشيخ عدياً رفع عنهم التكاليف الدينية من صوم وصلاة ، وأغناهم

عن الذهاب الى (مكة) بزيارة (لالش) الى غير ذلك . وفي فتوى الشيخ عبدالله الربتكي « انهم ينكرون القرآن والشر » و « يصرحون بان لا فائدة من الصلاة » .

وبالأخير يقول : « ثم حصل لهم من أمال عقليتهم من المتصوفة الذين يرون رفع التكاليف خصوصاً انهم أميون » والصحيح ان الذي دعاهم الى رفع التكاليف هم مشائخهم الذين أرادوا بهم التخفيف في أمر العبادات تطميناً لرغائبهم . ألا ترى كيف جعلوا لهم صيام ثلاثة ايام من أقصر ايام السنة بدلا عن صيام شهر رمضان ، واستعاضوا لهم عن صلاة سنة كاملة بصلاة ليلة القدر في المرقد المبارك ، وأغنوهم عن الذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج بزيارة لالش ؟ والأمية لا علاقة لها بهذا الموضوع وان كانت هي العامل الكبير في إدخال هذه البدع عليهم .

وأورد في ص ٣٧ بحثاً مطولا عن (مقاطعة اللعن) وما كان له من أثر في حياة هؤلاء القوم الدينية واستنتج منه تحريمهم أشياء عدة (كالصبغ بالنيل) لأنه يجر الى تسميته و (أكل الخس وتسميته) لقربة من أخسأ الذي يجر معناه الى اللعن و (طرح نوى التمر الذي يأكلونه الى الوراء) لأنه يؤدي معنى الرجم الى غير ذلك من المسائل العشرة التي ذكرها وهو استنتاج غير صحيح ، ولكل من هذه المسائل العشرة أسباب خاصة تدعو الى تحريمها حسب معتقدهم ، والأغرب من هذا ذهابه الى ان احترامهم الطاؤوس هو من نتائج مقاطعة اللعن وهو خطأ ، واحترامهم الطاؤوس وعبادتهم له هو خضوع لآله الشر وعمل على ارضائه وليس له علاقة بمقاطعة اللعن البتة .

وذهب الى ان عقيدة (الشيطان عند اليزيدية) وعبادته هي كذلك من نتائج مقاطعة اللعن وأراد تارة ان يعلل دخولها عليهم من النصرانية ، وتارة ان غلاة المتصوفة كانوا يعملون بها وقد أخذوها عنهم وعجيب من الأستاذ ان يعلل كلما يجده في هذه الطائفة من معتقدات شاذة بأنها تقاليد صوفية او نتيجة لمقاطعة اللعن التي حرمهم عليها شيخهم، حتى اعتقادهم بالشيطان والعبادة له ، كل ذلك لينفي علاقتهم بالمجوسية . واذا سلمنا بان غلاة المتصوفة كانوا يعتقدون بالشيطان ويعبدونه - وهو قول يقبل التعليل - فما علاقة النصرانية بهذه العقيدة حتى يأخذوها منهم ، ولم يثبت لهم اتصال بهم في دور من أدوار

حياتهم ؟ وهذه الدعوى لم يقم بها سوى الأستاذ ، ولم يؤيده أحد فيها .

وجاء في (ص ٢١) بحث لتخت يزيد ، قلت : أن توجيه هذا التخت الى يزيد كذب اختلقه اسماعيل بك الذي كان يوهم الناس بأنه أمير لليزيدية. وكان قد طلب من الحكومة أخذ هذا التخت من متوليه وإعطائه له بصفته من ذرية يزيد ووارث له. ولعل القاريء يستشعر بان لهذا التخت قيمة كبيرة تضاهي مثلا قيمة التخت الذي ينسبونه الى الشاه اسماعيل الصفوي والذي دخل في حوزة سلاطين آل عثمان او غيره من الأسرة التي ينسبونها الى أكاسرة الفرس او ملوك الهند . كلا أنه لم يكن اكثر من أعواد نخرة يربطون بعضها ببعض وهو لم يكن تختاً بالمعنى المعروف ، بل إطار لشباك يعزونه الى الشيخ عدي لا الى يزيد ، وهو الآن في حوزة رجل من قرية بحزاني .

وجاء في ص ٣٨ :

« يقضي محيطهم وتدعو بيئتهم قسراً ان يلازموا تلك الأمية الموافقة او المقارنة للأموية لفظاً ولعلها السبب في تحريم القراءة والكتابة » .

ان المحيط والبيئة لا تقسران الانسان على ان يلازم الأمية، كما ان المقارنة اللفظية للأموية لا تستلزم تحريمهم القراءة والكتابة ، واذا أردنا ان نعمل بهذا المبدأ لفسدت مدلولات جميع الأشياء وحصلت فوضى في كافة المعاني . وفرض الأمية على هذه الطائفة - باستثناء أسرة واحدة - هو مبدأ صارم اتخذه واضع هذه الديانة بغية إبقائها في معزل عن الأديان السائرة ، والحيلولة دون اقتباس شيء منها ، وكتاب « الجلوة » نص بصراحة على ذلك .

وجاء في سياق كلامه عن الأمراء (ص ٩٢) وعما حصل لهم من الميل الى التعلم والموانع التي حصلت في سبيل ذلك :

« أنه لا يؤمل في هذه الطبقة الرجوع الى دينهم الأصلي ما دام بعض الأجانب يغطون الحقائق عنهم بحجاب من الأطماع من ناحية ، والمماشاة معهم سياسة اخرى ، والغرض والبحث المستحكم من ناحية اخرى » .

وهذا ما كنت أنا ايضاً اعتقده ، ولكن ظهر لي بعد ذلك انه ليس هنالك أجانب

يتدخلون فى شؤونهم من هذه الناحية ويعارضون نشر التعليم فيما بينهم ، بل الذنب هو صرامة المبدأ الديني الذي قضى عليهم بالجهل الأبدي والاعدام الأدبي الدائم. وأعتقد ان لو عالجت الحكومة هذه المعضلة بطريقة تلائم عقولهم لقضت على الأمية التى يرزحون تحتها عصوراً طوالا بأقصر وقت . والقوم متحفزون للأخذ بأسباب المدنية ويريدون لهم حياة تجعلهم على قدم المساواة مع الغير ، إلا انهم يجهلون الطريق الذي يسلكونه ويحتاجون الى من يأخذ بيدهم .

وجاء فى البحث عن المزارات والمراقد ص ١٤٣ :

« وفى هذه الأيام حدث اختلاف بين أمير اليزيدية سعيد بك وحموشيرو ، وذلك ان كان قد أخذته (أي السنجق) الحكومة وأعطته موقتاً الى حموشيرو فلم يعده الى أمير الطائفة اليزيدية . وكان أخذه ليطوف به فى قرى سنجار ويعيده ، ولكنه لم يعده الى مرجعه الأصلي وأساء معاملته » .

ليس من واجب الحكومة ان تتدخل بأمر السنجق وتأخذه من الامير وتعطيه الى حموشيرو ولو موقتاً ، ولا من اختصاص حمو شيرو ان يطوف بالسنجق في قرى سنجار بل ان حموشيرو أخرجه من أيدي القوالين قسراً عندما ذهبوا به الى سنجار وحجر عليه عنده لسبب الاختلاف القائم بينه وبين الأمير من جهة النذور والخيرات التى تجمع باسمه وينفقها الأمير فى أمور لا يرجى للملة نفع من ورائها وقد أعاده اليه بعد ان أبقاه عامين عنده .

ومما يجب ان نشير اليه ان حموشيرو لم يعد السنجق الى متوليه الشرعي عن رضى منه وقد عزم على الاحتفاظ به مهما كلفه الامر ، إلا ان ظهور أسباب قسرية اضطرته الى اعادته ، فأتى به ولده (خديدة) وسلمه الى قائمقام سنجار فأرسله هذا بدوره الى متصرف الموصل ، وقد ذهب به وكيل المتصرف خليل عزمي بك الى الأمير في باعذرة (في ٢٠ ايلول ١٩٣٢) وسلمه اليه ، ولذلك فما قاله الاستاذ من « ان تدخل الحكومة بالامر كان للاختلاف الواقع على الأمارة فأخذت السنجق واحتفظت به الى يتم الصلح » لم يكن صحيحاً .

وجاء في البحث عن زيارة السنجق ص ١٤٥ :

« وان الدراهم التي تجمع في هذا السبيل تكون لمضيفهم ومن هذا يخرج بدل الالتزام والكوجك الذي هو ضيف لصاحب الدار ، وكذا القوال ، وما بقي منه فانه يكون لصاحب الدار كتبرك له وربح » .

لم يكن الشارع للدين اليزيدي قضى بجمع دراهم من أتباعه باسم السنجق على زمنه بل فرض عليهم (مقطوعا سنويا يؤدونه لتأمين حاجيات بيته) ويجوز ان الذين خلفوه من أهل بيته لما رأوا من أتباعهم تهاونا وتباطؤاً في اعطاء هذا المقطوع وقد كثروا وتفرقوا في البلاد ، استبدلوه بخيرات تجمع باسم السنجق يؤديها كل من يدين باليزيدية والعادة ان يرسل رئيس الطائفة السنجق الى الجهة المختصة به مع طائفة من القوالين يصحبهم معتمد له ، فيجمعون النذور والخيرات من أفراد الملة ويأتون بها اليه ، ثم استبدلت هذه العادة باعطاء السنجق الى القوالين بالضمان ببدل يتفق عليه ، فيؤدي القوالون بدل الضمان وما يزيد يكون ربحاً لهم ، وكثيراً ما يلاقي القوالون خسارة عندما لم يكن الاقبال على زيارة السنجق عظيما ، إما لرداءة المحصول تلك السنة ، او لظهور حالات تؤثر على الأمن ، ومن هنا يتضح ان هدف القوالين الوحيد هو تأمين ربح كبير لهم من التزامهم السنجق حتى كثيراً ما يرهقون الزوار بتكليفهم خيرات خارج طاقتهم ، فكيف يكون ما يتبقى من الدراهم التي يجمعها القوالون بعد اخراج بدل الالتزام متبركا وربحاً لصاحب الدار الذي ينزل السنجق عليه ضيفاً ، وما هي علاقة الكوجك بهذه الزيارة حتى تؤدي مصارفه من فضلة التبرعات ؟ بينما يتحمل صاحب الدار خسارة فادحة في هذا السبيل . إذ لا يكون نزول السنجق ضيفاً عليه إلا بعد تبرعه بمبلغ كبير من المال يفوق به أهل قريته ، وثم قيامه بواجب الضيافة التي تضطره الى نفقات كبيرة .

ان المدرسة التي أحدثت على عهد الفريق عمر وهبي باشا في زاوية الشيخ عدي دامت من سنة ١٣٠٩هـ الى سنة ١٣١٤هـ ولم يكن لنوري بك والي الموصل شأن فيها وولايته على الموصل من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٠هـ وكان قد عزم على احيائها من جديد إلا انه عدل عن ذلك ، ولم يظهر أحد من اليزيدية الاسلام حتى يكون في عداد الطلاب

الذين حصلوا العلم في هذه المدرسة (ص١٨٤) والطلاب الذين حصلوا العلم في هذه المدرسة كان معظمهم من اكراد الجبال ومنهم من كان من أهل الموصل .

ان القبائل اليزيدية الأربعة الذين ذكرهم الكرملي وهي: (١) البلتينية (٢) الرمكان (٣) الجهصان (٤) النافذية لاوجود لها ، وقد أخطأ في ضبط اسماء بعض القرى وصحيحها كما يأتي :

طفتيا ـ طفتيان ، تلخش ـ تلخشف ، مقلب ـ مقبلى ، زينيتا ـ زينيات .

ولم تكن حادثة اسلام ميرزا بك وقعت عام ١٨٩٩ بل عام ١٨٩٢ والذي أسلم معه أخوه بديع بك وشخص آخر من اتباعه فقط . وإسلام علي بك وثمانين من الأكابر لم يقع ص (١٦٢، ١٦٣)

وتوهم الاستاذ في ضبط اسماء بعض القرى نصححها كما يأتي :ـ

في سنجار : بهيل ـ كوهبل ، جلعان ـ جنعان (كنعان) ، قصيركي ـ قصركي ، كنده كيلى ـ كندى كيلى « بالكاف الفارسي » ، ملك ـ ملك « بالكاف العربي وكسر الأول والثاني » ، بشتيكر ـ بشتيكرى « بالكاف الفارسى » ، نمل ـ نميلى ، سكينه ـ سكينية .

وأهل بكران جميعهم يزيدية وليس فيهم مسلم واحد وكذلك قرية تبه .. ولم تكن (كرسي) مقام الأمير بل مقامه في باعذرة في الشيخان .. وعين الغزال قرية اسلامية صرفة .

في الشيخان : جردانا ـ جروانا « بالواو » ، دوشيقان ـ دوشيفان « بالفاء الفارسية ومعناه الواديان » ملاجه برا ـ ملى جبرا « المل هو الكتف او الهضبة وجبر ، المزغل » و (سميل) قرية اسلامية كانت قديماً تسكنها عشيرة القايدية من اليزيدية وقد خرجت من أيديهم سنة ١٨٣٥ في حادثة أمير راوندوز .

وجاء في صحيفة (١٤٧) ما نقله عن نوري بك عن جواز الفسق في مرقد الشيخ عدي . وعليه نقول : ان تجويزهم الفسق في مرقد الشيخ عدي وخارجه ذكره كثير ممن بحث عن هذه الديانة كالمقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) والماردينى

في تاريخه (ام العبر) والشيخ عبد الله الربتكي في فتواه ، والسويدي في (حديقة الوزراء) والكاتب الانكليزي ج . ب بادجر في كتابه (النساطرة) وغيرهم . والاستاذ العزاوي كذب وقوعه في المرقد المقدس ونحن نؤيده فيه . أما خارج المرقد فلا نكذبه ولا نؤيده . وما ذكره الشيخ عبد الله الربتكي في فتواه من « انهم يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك بل يعتقدون به » ليس بصحيح ويعدونه كفراً. ولو لم يكن رائدنا الاجتناب عن ذكر الأشخاص لذكرنا هنا كيف أوصى الأمير وآخر من الروحيين في مجلس عشائري كانا محكمين فيه في (عين سفني) إنزال عقاب صارم بأحد شيوخ اليزيدية لأسناد فعل منكر وقع له مع امرأة من شيوخ آل الشيخ فخر وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنين وحرم من وظيفته . على اننا واثقين من ان التهمة التي وجهت اليه وساقته الى السجن لم تكن صحيحة ، غير ان تسرع زوج المرأة الى قتلها لمجرد ارتيابه من سلوكها دعا المجلس العشائري الى تأييد الفعل المسند الى المتهم وإنزال العقاب به .

ومما يدل على استنكارهم الفعل الذي يقع لأحد المريديين مع امرأة من الروحيين ، نذكر الحادثة الآتية :

في قرية بعشيقة بيت ينتمي الى اسرة (الشيخ فخر) المعروف بمكانته لدى اليزيدية ، ومن هذا البيت شخص يدعى الشيخ ابراهيم بن الشيخ خضر وهو في الأربعين من العمر ، له أخت اسمها (عمشة) ترملت من زوجها قبل ثلاث سنين وهي في سن الخامسة والعشرين . وقد وصل الى علمه وجود علاقة غير شريفة لها مع شخص يسمى (الياس بن مراد) من المريدين ، فدعاها الى بيته وطعنها عدة طعنات ثم ذبحها كما تذبح النعاج وذهب الى الشرطة وخنجره يقطر دماً واعترف بجريمته . وبعد التحقيقات التي تجري عادة في هكذا مسائل لم تحصل الأدلة الكافية لادانة المتهم (الياس) بارتكابه فعل الزنا مع المذكورة عمشة ودافع عن نفسه بانه مريد لها وهي شيختة وتعد بمنزلة أمه ، فأفرج عنه وألزم بدفع (٤٥) ديناراً كدية تعطى الى أخي المقتولة وأولادها وحكم على القاتل بتاريخ ٢٩/٢/٩٤٠ بالسجن لمدة ثلاث سنين حسب قانون حسم منازعات العشائر .

ونورد مثالا ثالثاً على المناسبات غير المشروعة التى تقع لواحد من الروحيين مع امرأة من العوام - اي المريدين - :

عثر فى قرية (جدالة) فى سنجار على أحد شيوخ أسرة (الشيخ حسن) واسمه (ابراهيم بن الشيخ حمدي) فى حالة الزنا مع امرأة من المريدين اسمها (خشو بنت سليمان بن محمود) وهى زوجة (مندو) بن حمو شيرو فقبضوا عليهما وذهبوا بهما خارج القرية وأخذ الرجال والنساء والأولاد يرمونهما بالحجارة الى أن أماتوهما ورموا جثتيهما فوق المزابل فأكلتهما الكلاب والوحوش (وهذا هو الرجم الشرعي عند الاسلام) .

فهذه المسائل الثلاثة تدلنا على ان فعل الزنا بين الروحيين نفسهم ، وبين المريدين وطبقة الروحيين ، وبالعكس مما لا تجوزه الشريعة اليزيدية وتعاقب عليه. وقد يقع بين المريدين إلا انه لا يفرق عما يقع من نوعه بين أهل القرى والعشائر المسلمة وقد يبدون تغاضياً عنه لا سيما اذا كان محاطاً بالكتمان .

ان القصة التي رواها قسطنطين زريق فى كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » ص ١٧٠ عن اتصال اسماعيل بك بالجيش الانكليزي عندما كان مرابطاً قرب سامراء وما يتخللها من أخبار ، صحيحة لا غبار عليها . ولو أحسن اسماعيل بك سلوكه بعد ان وضع الانكليز ثقتهم به ، لتحققت أحلامه الذهبية ونال منصب الأمارة الذي لم يوفه صاحبه حقه .

لم يشتبه الأمر على المرحوم احمد تيمور باشا عندما ساق نسب الشيخ حسن على هذا الوجه : (وجده أبو البركات ابن أخي الشيخ عدي) أو (وجده صخر أخو الشيخ عدي أي جده الأعلى) وما الفرق بين هذا وما قاله الأستاذ (وذلك ان أبا البركات هو صخر بن صخر وهذا الأخير هو أخو الشيخ عدي) وهل ان الاشتباه حصل فى عدم ذكره أبا البركات باسمه واكتفى بذكر كنيته ؟

وجاء فى ص ١٧٨ : « واليوم يقوم بأمر ذلك (حموشيرو) فانهم يتلقون أمور دينهم منه » .

ان حموشيرو لم يكن اكثر من فقير ومن صنف المريدين ، واذا كان قد نال منزلة

كبيرة في سنجار ، فذلك لسبب تقدمه عند الانكليز وتوليه حاكمية الجبل طيلة مدة الاحتلال البريطاني ، أما من الناحية الدينية فلا قيمة له ، وهو الذى يتلقى أمـور دينه من الرجال الروحيين ، واذا لاقى شيخاً او بيراً فحتم عليه ان يحترمه ويقبل يده .

لم يكن استيجار السنجق من الأمير والتطواف به من اختصاص الكواجك ، بل من اختصاص القوالين ، وكذلك الرقص واتخاذ مراسم الأفراح (ص ١٧٩) .

أن واضع كتاب « الجلوة » هو على ما نرجح أحد قسس بحزاني ، او النصـارى المقيمين فيها . وللنصارى المقيمين في بحزانى اتصال وثيق باليزيدية ووقوف على عقائدهم اكثر من غيرهم .

ولم يختص أهل بغداد بتسمية المرحاض (بالأدبخانة) حتى يعده دليلا على ان كتاب الجلوة كتب فى بغداد لاحتوائه على هذه الكلمة وأهل الموصـل جميعاً وأهل القرى يسمون المرحاض بالأدبخانة .

لم يكن كتاب « الجلوة » سخيفاً ، وإن كتب بلغة عامية . بل فيه من الأحكام الصارمة والمبادىء الشديدة ما أدى الى صيانة هذه الديانة من تطرق الفساد والخلل طيلة هذه المدة . واذا كان اليزيدية لا يعرفون شيئاً عنه، فأعمالهم ومعتقداتهم لا تخرج عنه.

يقول : « ومقدمهم الديني الذي يقيم في ناحية (مركة) من أنحاء الشيخان يتولى رياسة خدمة مرقد الشيخ عدي .. كذا جاء في عبدهٔ ابليس » .

أن (مركه) او (ميركه) ليست ناحية بل اسم يطلق على مرقد الشيخ عدي ومعناه (الغوطة) أي بقعة من الأرض تكون دوماً معشوشبة . ولعل ان هـذه الكلمة محرفة من (مرج) التي تفيد عين المعنى والجيم يلفظ في اللغات الأعجميـة على الأغلب كافاً . او (المرغ) ومعناه الروضة او البقعة الكثيرة النبات كالمرغة .

و (ميركه) قرية فى جبل مقلوب كان يسكنها اليزيدية قبلا ، واسم قضاء (معمورة الحميد) حسب التشكيلات القديمة .

واذا ما قيل (شيخ مركه) فالمقصود رئيس الطائفة اليزيدية الذى يسمونه (أمـير الشيخان) على ان رئاسة المرقد لم تعد اليه، بل هو الرئيس الروحاني لجميع اليزيديةالذين

على وجه الأرض . وقد يتولى المرقد على الاكثر أحد الفقراء يقيمه الأمير بالنيابة عنه.

﴿ المستر جورج . برسي بادجر وأبحاثه عن اليزيدية ﴾

نشرت مجلة « اليقين » البغدادية المحتجبة فى الجزء السادس والجزئين اللذين يليانه من سنتها الثانية تعريباً لأبحاث عن اليزيدية للمستر برسي بادجر الذي جاء هذه البلاد عام ١٨٤٢ وبقى فيها حتى اواخر سنة ١٨٥٠ تجاوز حدود الصدق وسلامة الذوق فيما أورده فيها من آراء سقيمة لم يقصد منها سوى إثبات عدم وجود صلة لليزيدية بالاسلامية ، وأنها نصرانية بجميع مظاهرها ومعتقداتها وطقوسها وأصول عبادتها . والاجانب الذين كانوا يرتادون هذه البلاد في تلك العصور المظلمة كان ارتيادهم إما لغـاية التبشير ، او لمقاصد سياسية ، وقليل منهم من كان يختار عناء السياحة لغاية البحث والاستطلاع او التجارة والاكتساب . والمستر بادجر كان حسبما يظهر من أبحاثه مبشراً اكثر منه تاجراً او محترفاً او عالماً بحاثة ، ويجوز انه كان يحمل بجانب مهمته التبشيرية مهمة سياسية كما رأيناه فى (لايارد) الذى لعب دوراً مهمـاً في السياسة وهو لم يكن غير عالم أثري أجازته الحكومة العثمانية باجراء الحفر والتنقيب فى خرائب نينوى ونمرود .

وبادجر لم يكن مبشراً بارعاً ، إذ قضى نحو ثمانية سنين فى الموصل كان يتردد فيهـا الى مواطن اليزيدية ويخالط رؤساءهم وأمراءهم ويمنيهم بمعسول الأماني ولم يتمكن من تنصير واحد منهم . وآخر ما كان منه بعد ان أخفق في مهمته سجل على اليزيدية ميلهم الى النصرانية ، وانهم يظهرون عدم المبالاة عندما يدعون اليها ونفى علاقتهم بالاسلامية نفياً باتاً مستدلا بأدلة أوهى من بيت العنكبوت وترك تنصيرهم الى الكنائس ريثما تنتبه من رقادها .

والغريب فى الأمر ان الأخبار التي أذاعها عن اليزيدية لم يستقرأها بنفسه اويستقيها من منابع موثوقة ، بل التقطها من الأفواه وأخذها من عوام الناس الذين لا يباح لهم الكلام فى المسائل الدينية وبنى أبحاثه عليها .

فقد ذكر فى صدر مقاله ـ بعد ان عرف بناء معبد الشيخ عدي الخارجي المظلل بأشجار التوث المتفرعة الاغصان وتعرفه بسادن المعبد الذي كان يتبعه خادمان من

الرجال وعدة خدم من النساء - أن للخدم أزياء كأزياء الرهبان ، محزومة خصورهم بالزنانير ، وفى رؤوسهم العمائم ، ولباس السادن يشبه لباسهم ، والعمامة البيضاء شعاره الخاص .

وهذه اشياء لم تكن صحيحة ، فالخدم هم كسائر اليزيدية ليس لهم أزياء خاصة ، حتى ولا رجال الدين - الذين يتميزون على غيرهم بلحاهم الكثة الطويلة - باستثناء (الفقراء) الذين يلبسون خرقة سوداء قائمة - والزنار ، لم يكن موجوداً عندهم ولا يعرفونه ، وكلهم يشدون على خصورهم حزاماً من صوف ، واذاكان لا بد له من ان يعبر عن هذا الحزام بالزنار « فالزنار رمز لمذهب الزرادشتية (١) » وليس نصرانياً واليزيدية متأثرة الى حد بعيد بالزرادشتية وصنوف الروحيين يضعون فيه حلقات صفراء من النحاس ، والعمامة البيضاء شعار اسلامي أخذوه من الاسلام منذ أول عهدهم به ، ولم يكن استخدام النساء في المرقد معروفاً عندهم وليس من المألوف ان ترتاد النساء المرقد عدا ايام الزيارات .

قال : « وفي هذا المخدع قبر كبير عليه كتابة عربية تعجبت إذ رأيتها مقتبسة من القرآن » .

فما هو سبب هذا التعجب الذي استفزه ؟ ألأنه رأى هذه الكتابة العربية المقتبسة من القرآن على قبر أحد أعزة النصارى او براهمة الهنود، او حامبالاما الشامانيين وكان يريد ان يراها إما بالكلدانية او الهندية او البوذية او أية لغة اخرى ؟ ولكن ما أسرع ما يزول عنه هذا التعجب وتهدأ أعصابه ويسكن روعه عندما يعلمه كبير القوالين « ان ما اقتبس من القرآن كان لوقاية المرقد من ان يدنسه المسلمون » وهذه براعة فى التضليل واذا كان يعتقد ان سيجد لتضليله هذا محلا في عقول قرائه الغربيين ، فالشرقيون يهزأون منه ويعلمون ان الآيات القرآنية تكتب عادة فى المعابد الدينية الاسلامية وعلى قبور الأئمة والصلحاء من رجال الاسلام وليس فى الأمر ما يدعو الى الاستنكار ، ثم اذا فرضنا ان ما قاله كبير القوالين صحيح فماذا أفادتهم هذه الكتابة العربية فى وقاية المرقد

---

١) را : فى التصوف الاسلامي وتاريخه تاليف نيكولسون وتعريب ابو العلاء عفيفي ص ٢٥

من ان يدنسه المسلمون ، وقد تجاوزوا على المرقد اكثر من مرة وهـدموه واحتفروا عدياً من قبره وأخرجوا عظامه وأحرقوها على مرأى منهم ؟

وذكر ان حواراً جرى له مع سادن المرقـد حول بعض المسائل الدينية ، ووقف على أخبار هامة عن الديانة اليزيدية منه ، ونحن ننكر جريان حوار له مع هذا السادن واذا كان جرى ، فقد جرى في مخيلته ، والبحث عن المسائل الدينية مع غير اليزيدي لا تجوزه الشريعة اليزيدية مطلقاً ، ثم ما هي قيمة هذا السادن ومكانته في الدين حتى يأخذ هذه الأخبار منه ، على ان ليس هذا الخادم الصغير بل الخادم الكبير لا يعول على كلامه ، وقد حضرت الشريعة عليه الكلام عن الديانة اليزيدية ، وهذا هو الحوار الذي زعم انه جرى له مع السادن :

- أين الشيـخ عدي ؟

- أين محمد ؟ أين عيسى ؟ أين علي ؟

- عيسى في كل مكان ، فما علاقته بعدي ؟

- ان كان عيسى في كل مكان فكذلك عدي .

- من أين أتى الشيخ عدي ، ومن أبوه ؟

- ليس للشيخ عدي أب .

يقول : وبعد ان أخذني العجب من جوابه قال لي : لماذا تتعجب فهل لعيسى أب ؟

يقول : فعدت وقلت له : من أمه ؟

- ليس له أم .

- بهذا قد فضلته على عيسى الذى أمه العذراء مريم .

- الشيخ عدي أكبر من عيسى لأنه من دون أبوين ، بل من نور .

- متى مات الشيخ عدي ؟

- لم يمت ولن يموت ..

- ماذا سيصبح بعد الموت ؟

- لا أعلم .

- أتعتقد بالجنة والنار ؟

- نعم !

- من خلق الخير ؟

- خدا (الله) او الشيخ عدي .

- من خلق الشر ؟

- طاؤوس ملك .

- متى ينتهي الشر ؟

- عند فناء العالم .

- هل للعالم نهاية ؟

- نعم !

- كم يحكم الصالح ؟

- سبعون سنة .

- ماذا يكون بعد الملك طاؤوس ؟

- يعطيه الله مكانا آخر .

- أصحيح إباحة الفسق عندكم ؟

- أجاب الخادم الصغير : يعمل الرجال والنساء كلما يشتهون فى أرض الشيخ عدي . فتصدى الخادم الكبير وأشار الى حجر على الجبل وقال لي : عندما يجتاز اليزيدية ذلك الحد فأنهم ملزمون بنسيان هذه الأشياء جميعها .

- هل أنت متزوج ؟

- الخادم الصغير : لا .

- من هو الذي وراءك ؟

- هو ابن أخي .

- هل يباح لك الزواج ؟

- نعم ، لكن لا يباح للسادن فقط ان يتزوج .

- لماذا تستعمل هذه الذبالات على القبور ؟

- دلالة على الاحترام .

- متى تسمون ؟

- عند الولادة .

- متى تختتنون ؟

- في القرية التي نولد فيها .

- متى تغطسون في الماء ؟

- عندما نأتي الى الشيخ عادي أولا ، وفي كل وقت بعد ذلك .

- ماذا تدعون في صلاة الحج ؟

- لا نصلي ، وإنما يصلي القوال ولا نعرف ماذا يقول .

- أتعبدون الشمس ؟

- نعم عند شروقها .

فاليزيدي الذي كتب له الجهل أكان سادناً من العوام ام روحياً وساقه جهله الى ان يجهل الأشياء التى تدور حوله ، أنى له ان يجاوب على الاسئلة التي وجهها اليه جناب المستر بهذا الاسلوب العلمي الذي لا يقدر عليه إلا اكبر متعلم حيث نراه يقول على الفور وبدون تأمل ان عدياً لم يكن من أب وأم بل خلق من نور ليفضله على عيسى الذيأمه العذراء ، واعتقاده بالجنة والنار ، وان الذيخلق الخير هو الله او الشيخعدي وان الذى خلق الشر هو طاؤوس ملك ، وان انتهاء الشر عند فناء العالم ، وان للعالمنهاية وان الرجل الصالح يحكمه سبعين سنة ، فمن أين لقي هذا السادن الفيلسوف وجرى له معه هذا الحديث الذي دل فيه على عبقرية فذة ؟ على ان لو أتينا اليوم على أكبر شخصية من رجالهم الروحيين والقينا عليه هذه الأسئلة لما استطاع ان يجيبنا عليها ، ولو إدعى انحواره جرى مع أحد الكواجكلا مع هذا السادن الصغير لقلنا انه أجابه علىطريق الوحي والالهام كما هو من اختصاص الكواجك .

والأنكى من هذا تسجيله على لسان السادنالصغير إباحة الفسق في مرقد الشيخعدي

حيث يقول (عن لسانه) على سؤال وقعه : « نعم يعمل الرجال والنساء كل ما يشتهون في أرض الشيخ عدي » وتصدى الخادم الكبير لتعليل هذا الخبر بعد ان أشار الى الجبل: أن اليزيدية ملزمون بنسيان هذه الأشياء كلها عندما يجتازون هذا الحد. ونحن نستجير بالله من هذه الفرية التي تدل على انعدام الذمة والوجدان في هذا الرجل . فاذا كان أراد ايقاف الغير على درجة انغماس هذه الطائفة بالجهل حيث أنها تجوز الفسق في أقدس محل لها لا بل كعبتها التي تحج اليها ، فيمكنه ان يورد هذا الخبر على طريـق النقل دون ان يؤيده بحوار جرى له مع سادن المعبد . والحقيقة ان الفسق في أرض الشيخ عدي يعد من أعظم الكبائر ، ولا يحتمل اجتراء أحد عليه مطلقاً ، حتى أنهم يجتنبون شرب الخمر الذي هو محلل لهم في هذا المكان ولا يقربون نساءهم مدة إقامتهم فيه أيام الزيارات ـ كما هـو حكم الحج عند المسلمين ـ وقد أشاع هذا الخبر عنهم أعـداؤهم الذين رموهم بكل فرية لسبب الحروب والمقارعات التي قامت بينهم ، ولكنهم لم ينصفوا .

وقد حاول عبثاً المقارنة بين اليزيدية لاقتباسهم الآيات القرآنية على الوجه الذي سلف ذكره وطائفة النصارى الذين زعم أنهم سموا (مار بهنام) بخضر الياس ، وكنيسة (مار متى) بالشيخ متى قصد الحيلة بالمسلمين ، وقد طاش سهمه في بث هـذه الدعاية الخبيثة بين المسلمين والنصارى ، والنصارى نفسهم ينكرون هذه الدعوى ويقرون بأن مسلمي هذه الديار أشد عناية منهم بالشيخ متى وبالخضر الياس ويشاركونهم في أعيادها .

قال : « أني ذاكر هنا اسم عشيرة (داسن) وهو لقب يلقب به النصارى والمسلمون، وهم يستعملون هذا الاسم ولا يعرفون شيئاً عن منشأه » .

نقول : إذاً فالذي يعرف منشأ هذا اللقب واستعماله هو جنابه والمسلمون والنصـارى الذين يلقبون به على زعمه ، قد يستعملونه ولا يعرفون شيئاً عنه ، أليس كذلك ؟ وهذا منتهى الجهل والغباوة من هذا الرجل وهو جدير بالسخرية والشفقة في آن واحد ، وما أجدر به ان يقول للايرلانديين أنتم لاتينيون ، وللبرتغاليين أنتم اسقوجيون وهو لقبكم الذي تلقبون به وقد تستعملون هذا الاسم ولا تعرفون شيئاً عن منشأه . أما نفيـه الداسنيـة عن يزيدية الشيخان فهـو أشبه بنفي البريطانية عنه، وقد عرفوا بهذا الاسم

بجبل عظيم فى شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الاكراد يقال لهم الداسنية - معجم البلدان -

وقال : « نسب بعض اليزيدية قومه الى يزيد بن معاوية وهذه خدعة منهم ليحميهم المسلمون » .

وقال فى محل آخر : « ان احتفال اليزيدية بموت يزيد بن معاوية حيلة جرت لمسالمة التعصب الأعمى ومقاومة الحكام المسلمين » .

نقول : أن نفى صلة اليزيدية بيزيد بن معاوية وجعل احتفالهم بموته حيلة جرت لمسالمة التعصب الأعمى ومقاومة الحكام المسلمين جهل منه واذا أردنا ان ننفي صلتهم بيزيد ونسبتهم اليه الى من يجب ان ننسبهم - على رأيه - من الفرق النصرانية ؟ ثم اذا كانوا بحاجة الى ان يجاروا تعصب المسلمين الأعمى بانتسابهم الى شخصية إسلامية كبيرة، فلماذا لم ينتسبوا الى أحد العلويين او الى غير يزيد من الأمويين؟ أم اعتقد ان العالم الاسلامي قصر محبته على يزيد بن معاوية وحده دون غيره ؟

قال : « ولهذا الغرض نسب أحد القبور التي فى الشيخ عدي الى حسن البصري واني متأكد من ان المدفون به رجل من اليزيدية له سلالة في بعشيقا » .

نقول : من أين تأكد يا ترى هذا الخبر ، والتقليد الديني حظر على اليزيدية قاطبة دفن أمواتهم فى مرقد الشيخ عدي وحتى قريباً منه ، واذا عاجلت أحدهم منيته فى هذا المحل يذهبون بجثته الى قريته .. أما حسن البصري المتوفي عام ١١٠ للهجرة فهو مدفون في ناحية الزبير من أعمال البصرة وقبره ظاهر يزار ، وما يقوله اليزيدية عن قبره وبقية قبور الأئمة والصلحاء فى المرقد فهي أنصاب وضعوها للرمز عنهم . وإلا فكلنا يعلم ان أصحاب هذه القبور مدفونون في بقاع مختلفة من الأرض، وحتى اليزيدية نفسهم يعلمون ذلك . ولكن هذا الرجل حريص على ان يظهر نفسه بمظهر البحاثة المحقق، ويدعي بأشياء كأنما لم يتوصل أحد الى معرفتها غيره ، كدعواه أن اسم (داسن) لقب يلقب به المسلمون والنصارى وقد يستعملون هذا الاسم ولا يعرفون شيئاً عنه .

وقال : « قال لي الشيخ ناصر مرة إنا يزيدية نعبد الله، وأشار الى الشيخ عدي الذي

ثبت في علمهم اللاهوتي أنه يمثل الله. وقد علمت هذا من كلام جرى لي مع خدمة المعبد وكثير من اليزيدية . فعلى هذا يكون قبر الشيخ عدي خرافة وأسطورة ، وكلمة الشيخ حيلة يقصد بها مخادعة المسلمين الذين يضطهدونهم » .

نقول : أما ذهابه الى ان قبر الشيخ عدي خرافة لثبوته فى علمهم اللاهوتي أنه يمثل الله ، فهو منتهى السخافة ولا نعتقد ان أحداً يسلم بهذا الكلام الهراء وينفي وجود هذا القبر بسائق هذه العلة ، اللهم إلا اذا فرضنا وجود صاحبه خيالياً ابتدعوه لهذا الغرض. نقول هذا في حالة رفض جميع الاعتبارات التي تؤيد وجود هذا القبر في هذا المحل .

وأما قوله ان كلمة (الشيخ) حيلة ابتدعوها قصد مخادعة المسلمين ، فان استعمالهم هذه الكلمة لم يكن حديثاً بل يذهب بالقدم الى زمن نشأتهم ، وقد استعملوها فى إسلاميتهم وفي يزيديتهم . ولم يعرف موطنهم (بالشيخان) إلا لكثرة الشيوخ الذين قاموا فيه منهم . وطريقتهم الصوفية - التي لا يجادل فيها أحد غيره - أسسها هؤلاء الشيوخ ولهم سلالات معروفة ويرجعون جميعاً فى نسبهم الى واضع طريقتهم .

أو ليس من المضحك ان كل ما وجده هذا الرجل من عادات إسلامية في هذه الطائفة حمل متابعتهم لها على حيلة وخدعة للمسلمين ، فكأن المسلمين حمقى أغبياء كما يتصوره حضرته حتى تؤثر هذه الحيل عليهم اذا كان ثمة حيل .

وقال : « وأشك كل الشك فى وجود كتاب مقدس لهم ، فادعاؤهم به أرجح ان يكون كذباً أرادوا به كيد المسلمين من بغضهم لهم لأن المسلمين يعدون من ليس لهم كتاب يستحقون لكل نوع من انواع الاضطهاد والاهانة » .

نقول : سامح الله هذا الرجل مبشراً كان أو بحاثة أو أي شيء .. ما أشد حنقه على الاسلام ، وأعظم بغضه للمسلمين ! أما ترى الى أي درجة ذهب به الخبث والكيد حتى أخذ يدعي ان دعوى اليزيدية بوجود كتاب مقدس لهم كذب أرادوا به كيد المسلمين؟ ولو علم انهم اهل سنة وجماعة وكان لديهم « تفاسير كثيرة ومؤلفات دين وفقه » وبعد أن داخلهم الشك فى عقائدهم على ايدي دعاة الضلال والسوء الذين دخلوا بينهم ممن لا يقلون خبثاً ونفاقا وتضليلا عنه ، وأضاعوا هذه التفاسير والمؤلفات ، أخذوا

يعملون بكتاب « الجلوة » ومصحف « رش » ، لما تورط فى هذا الخبر الذي دل به على جهله .

وأما قوله : لأن المسلمين .. الخ فذلك بهتان منه ، وكل من له إلمـام باحكام الديانة الاسلامية يقربأن الاسلام يأبى اضطهاد غير الكتابيين عدا ما كان من حرمانهم من بعض الحقوق التي فرضها لهم .

وقال : « والقوال يزمر بالناي والطنبور في اعيادهم الكبيرة ،وقد تعلموها من النصارى يدل عليها ما فى الزبور من الكلمات » .

نقول : ما هو يا ترى وجه تعلمهم الزمر بالطنبور والناي من النصارى ، وهذه العادة اكثر شيوعا عند اصحاب الطرق الصوفية من الاسلام كالقـادرية والرفاعية والمولوية وغيرهم ، والعدوية تعد واحدة منهن ؟ أم أن هذه الطرق ايضاً تعلمت الزمر بالنـاي والطنبور من النصارى ؟ واستدلاله على ذلك بما فى زمرهم من الكلمات التى فى الزبور لم يكن صحيحاً ، والتراتيل التى ينشدونها فى حفلاتهم تقتصر على الاشادة بفضائل شيوخهم وأساطين دينهم وليس فيها ولا كلمة من الزبور . ثم ما هم والزبور ، ومن أين يعرفونه؟ واذا كان حضر حفلاتهم وسمع تراتيلهم مرة ، فقد حضرناها وسمعناهـا عشرات المرات ولم نجد فيها ما يحقق صحة دعواه . واذا وافقناه على ترتيلهم كلمات من الزبور في أناشيدهم فلماذا لم يكونوا قد أخذوها من القرآن الذي يقرأونه ، والقرآن مشحـون بالآيات والكلمات التى تشابه ما جاء في الزبور ؟

وقال : « ويعرضون أيديهم للهيب النار ويمسحون وجوههم به كما يفعل النصارى بالبخور في كنائسهم » .

نقول : وهذا افتراء منه . والحقيقة انهم يقدسون النار عملا بالتقاليد المجوسية التى لا تزال عالقة في نفوسهم ، ومن بحث عنهم من الغربيين لا يجهل هذه الحقيقـة . تقول الباحثة الانكليزية «مس روزيتا » فى مقال لها نشرته عن هذه الطائفة : «وهم يقدسون الشمس ويقبلون الشيء الذي تسقط عليه أول أشعتها ، وللنار ايضاً علاقة بعبـاداتهم ، وتلاميذهم دائما يمررون أيديهم خلال اللهب ويمسحون وجوههم بها » .

قال : « وهذه الأسماء التي يضعونها كالشيخ أبي بكر والشيخ محمد .. الخ. اسماء خيالية ابتدعوها ابتغاء للتوفيق بينهم وبين المسلمين لأنهم لا يؤمنون بنبيهم ولا بقرآنهم ونحن واثقون من ان شيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد » .

نقول: وهذا استنتاج ثمين آخر له جدير بالتقدير، ولسنا نعلم هل هو نتيجة استقرائه أم دله عليه الخادم الصغير الذي أوقفه على كثير من الأسرار الدينية وجعله يتكلم بها بكل جرأة ؟

ان استعمال اليزيدية هذه الأسماء لم يكن حديثاً وقد ابتدعوها بغية التوفيق بينهم وبين المسلمين ، بل قديمة ترجع الى أول عهد نشأتهم ، وكان آباؤهم يسمون بها ، وليس لهم اسماء اخرى غيرها ، واذا كان لهم اسماء اخرى يسمون بها ، كان عليه أن يدلنا عليها وهو البحاثة الضليع الذي يعرف عن المسلمين اكثر مما يعرفون عن أنفسهم . ثم لماذا لم يستعمل النصارى الذين هم على مقربة منهم هذه الأسماء بوقت كانوا اكثر منهم حاجة الى مجاراة المسلمين وكسب عطفهم ؟

ولنوافقه على ان اليزيدية لا يؤمنون بنبي الاسلام ولا بقرآنهم ، فهل ان استعمالهم الأسماء الاسلامية يكفي للتوفيق بينهم وبين المسلمين ؟ وهذه نظرية لا نجد لها محلا غير عقليته الغنية بمعارفها ، الخصبة بمواهبها .

اما انه واثق من ان شيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد فهو قول يدل على جهله تاريخ هذه الطائفة جهلا تاما ومثله لا يناقش عليه . ويظهر ان « مس روزيتا » أخذت هذه النظرية منه إذ نجدها تقول في مقالها الآنف الذكر : « وإمامهم يسمى شيخ عدي المظنون انه عاش قبل محمد بعدة سنين » .

ثم لم يكن (حسين بك) رئيس اليزيدية أخاً للشيخ ناصر كما ذكره ، ولا يوجد صلة قرابة بينهما فحسين بك هو من أسرة (الشيخ ابي بكر) ، والشيخ ناصر هو من أسرة (الشيخ فخر) ، والأمراء هم القابضون على السلطتين الروحية والزمنية وأسرة الشيخ فخر وبقية المشائخ تابعون لأمرهم .

وما ذكره من اصرار الحكومة التركية على تجنيدهم فهو نتيجة اقتناعها بأنهم من الفرق

الاسلامية الضالة وكانت ترمي الى تجنيدهم أسوة بغيرهم .

ولم تكن التماثيل التي يتجولون بها تابعة لأمر الشيخ ناصر ، وليس هو الذي يأمر بنقلها وعرضها في الأماكن ويأخذ العشر من الصدقات والهبات التي تجبى بواسطتها ، بل تابعة لأمر أمير الشيخان وحده ، ولا يجوز لأحد غيره ان يتدخل في أمرها .

وقال : « ان اختلاط اليزيدية بالنصارى وخضوعهم للحكم الاسلامي يعد تغييراً في أفكارهم وسننهم ، فقد اقتبسوا من الفريق الآخر ما ليس عليه أجدادهم » .

وكأنه يريد ان يقول ان اليزيدية قبل ان يختلطوا بالنصارى ويخضعوا للحكم الاسلامي كانوا محافظين على عقيدتهم ولما خضعوا للحكم الاسلامي اختلت فيهم العقيدة واقتبسوا من الاسلام من المباديء الفاسدة ما ليس عليه أجدادهم وهو قول هراء لا معنى له ، أفليست الديانة التي كانوا عليها على زمن أجدادهم هي المجوسية الفاسدة ؟ فما هي السنن والأفكار التي تغيرت فيهم بعد خضوعهم للحكم الأسلامي ؟ هل يريد غير تمسكهم ببعض المباديء الاسلامية التي أنتقدها وحمل متابعتهم لها على الخدعة للمسلمين ليأمنوا شرهم ؟ إذن فحضرته يرجح بقاءهم على المجوسية وتمسكهم بدين آبائهم على خضوعهم للحكم الاسلامي وليس عليه ببعيد ان يرى المجوسية أصلح من الاسلامية التي يحمل لها في نفسه المقت والكراهية ولو حاق بيده لما ترك لها أثراً .

وقال : « ان احترامهم للمسيح ، اعتراف به وهم يجهلون ذلك كل الجهل » .

نقول : ان احترامهم السيد المسيح دخل عليهم من الاسلام الذي يدعو الى احترام كافة الأنبياء والرسل والتصديق بهم ، وطالما وجد فيهم هذا الاحترام للسيد المسيح أما كان من الأجدر به ان يبشر به بينهم ويدعوهم الى المسيحية بدلا من بقائهم على الوثنية المقوتة ؟ أم انه بشر به بينهم ولم يلق أذنا صاغية فعاد وهو يتعثر في أذياله ؟

ثم اذا كان الاحترام للسيد المسيح معناه الاعتراف به ، فأنا أول من يحترمه ، فهل يستلزم احترامي هذا له ان أكون مسيحياً ، وأجهل كل الجهل كون اني مسيحي ؟

وقال : « ان اختلاط اليزيدية بالنصارى اكثر من اتصالهم بالاسلام » .

وهذا صحيح ولا ننكره عليه ، واليزيدي ما ركن الى صداقة النصراني إلا عندما

شمله الاضطهاد الذي كان يلاقيه واياه على يد رجال الحكم وزعماء القبائل في تلك العصور المظلمة، والصيبة اذا شملت اكثر من واحد تجمع بينهما مهما يكن بينهما من الفوارق وإلا فالديانة اليزيدية لم تسمح له بصداقته أصلا وكتاب « الجلوة » نص على ذلك .

وقال : « اما اغتسالهم بالماء فهو مأخوذ من التعميد كما أعلمني به بعض الناس » .

نقول : لما كان الاستاذ اعتاد ان يعلل المظاهر الاسلامية التي يجدها في اليزيدية بانها نصرانية ، ولما لم يجد فيهم ما يسمونه « بالتعميد » وهو الركن الأساسي للنصرانية ، أدى به ابتكاره الى القول بان اغتسالهم بالماء مأخوذ من التعميد ، إذاً فالتعميد موجود عندهم لأنهم يغتسلون ، وعلى هذا التقدير ، فيكون موجود عندي وعند القاريء وعند الناس جميعاً لاننا نغتسل ، أليس كذلك ؟ ولو قدر له وعثر على حوض المستر أمبسن مؤلف كتاب طاؤوس ملك ، والذي وصفه لنا بأنه مصنوع على شكل ديك ، ويجرون فيه التعميد ، لما احتاج الى اصطناع هذا الخبر عن لسان بعض الناس .

وقال : « ويحترمون العهدين الجديد والقديم » .

ان الذي نعرفه عن اليزيدية انهم يحرمون القراءة ، وقد اتخذوا الأمية ديناً لهم ، وقد حظر عليهم شارعهم قبول كتب الاجانب من مسلمين ويهود ونصارى وأمرهم ان لا يقبلوا منها إلا ما يوافق سننه وهم متمسكون بهذه القاعدة ولم يحيدوا عنها ، فمن أين عرفوا العهدين الجديد والقديم ومن أدخلها عليهم ؟ وهل قرأوها وفهموا ما جاء فيها حتى يحترموها ؟ والغالب أنه في زيارته لهم أهداهم نسخة من كتاب العهدين الجديد والقديم - كما هي عادة المبشرين في توزيع الكتب المقدسة - فأخذوه ، فعد أخذهم له احتراما منهم له ، وما درى ان مصيره كان كمصير الكتب المقدسة الاسلامية التي تقع بأيديهم .

ويقول : « ولم يكن صيامهم ثلاثة ايام متواليات من شهر كانون الأول سوى احتفال بموت يزيد » .

فما معنى هذا الاحتفال بموت يزيد، بينما لم يكن انتسابهم له إلا قصد الخدعة للمسلمين وتوقيهم من تعصبهم الأعمى ومقاومة حكامهم المسلمين؟ على ان الاعتبارات التي جعلتهم

يتخذون الصيام ثلاثة ايام معلومة . وقد تكلمنا عنها أكثر من مرة . ورجال الدين منهم يعترفون بفرضية الصيام ، وأن الحق تعالى فرض عليهم صيام ثلاثين يوماً ، إلا ان طاؤوس ملك خففه عليهم بأن جعله ثلاثة ايام .

وقال : « والراجح أنهم لا يحترمون الاسلام ، وإن كان بعضهم يقرأ القرآن لأجل تعلم لغة حكامهم » .

فبعد ان ذهب بدعواه الى احترامهم السيد المسيح ، والعهدين القديم والجديد ، من الطبيعي ان ينفي احترامهم الاسلام ، أو ليست الغاية هي تثبيت هذه النتيجة ؟ على أننا كنا نود ان يكون أكثر إصابة فى أخباره ، ويعترف ان عدم احترامهم الاسلام وحتى مجاهرتهم بالعداء له ، سببه إساءة المسلمين لهم وإصرارهم على مقاتلتهم لتخليهم عن عقائدهم الفاسدة التى يرونها مخالفة للاسلام ، ويعدونهم مسلمين . وهذا الذي أولد فى قلوبهم البغض والكراهية للاسلام وعدم الاحترام له .

أما ان بعضهم يقرأ القرآن لأجل تعلم لغة حكامهم فقد أخطأ فيه ، ولا نعتقد ان الجهل يأخذ بهذا الرجل الى هذا الحد . ولكنه ليس جهلا ، بل استهتاراً بالحقائق . فقراءة القرآن كانت في العهد الذي وجد بينهم فيه منحصرة في أسرة واحدة ولا يوجد في هذه الأسرة من يحسن القراءة اكثر من شخص واحد او اثنين ، والتكلم مع الحكام لم يكن منحصراً فى هذين الشخصين لأنهما يعرفان لغتهم ؟ ثم ما قوله اذا أعلمناه أن لغة الحكام فى ذلك العهد تركية وليست عربية ؟ والحكام جميعهم ترك ولا يعرفون من العربية كلمة واحدة ؟

وبعد ان ذكر ان النقوش التي على تماثيلهم مؤرخة بالتاريخ الهجري وأنهم « يعدون يوم الجمعة من ايام الأسبوع المقدسة جداً » قال : « وهم يقدسون يوم الجمعة وفاقاً للمسلمين » .

أن هذه النقوش ، هي التي عبر عنها فى محل آخر بالكتابات العربية وتعجب إذ رآها مقتبسة من القرآن . هي لم تكن منقوشة على التماثيل ، بل كتابات على الحيطان . ومن الطبيعي ان تكون مؤرخة بالتاريخ الهجري ، والمسلمون لا يعرفون غير هذا التاريخ .

وعندما كتبوا هذه الكتابات كانوا مسلمين ولم يعرفوا ديناً غيره .

أما قوله : « انهم يعدون يوم الجمعة من أيام الاسبوع المقدسة جداً » ثم يعود فيقول : « وهم يقدسون يوم الجمعة وفاقاً للمسلمين » فهو من مناقضاته . وقد يلجأ الى هذه المناقضات عندما يضطر لتعليل الأشياء على غير حقيقتها . ولنسلم انهم يقدسون يوم الجمعة وفاقاً للمسلمين ، فلو لم يوافقوهم في تقديسهم هذا اليوم ، فما كان المسلمون يفعلونه معهم ؟ وقد وافقوهم - على دعواه - في حجهم وصومهم وصلاتهم ، وكتبوا الآيات القرآنية على جدران معابدهم ولم ينالوا ودهم وعطفهم ، وما برحوا يقاتلونهم بصفتهم مرتدون ويريدون ارجاعهم الى حضيرة الاسلام .

قال : « ولا يعد الختان الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم من السنن الاسلامية ، لأن العشيرة الكردية في دجلة لا يختتنون » وقد أراد بالعشيرة الكردية في دجلة ، أهل قرية « رضوان » اليزيدية الذين تكلم اكثر من واحد من كتاب النصارى عن تركهم سنة الختان ، وعبر عنهم بالعشيرة الكردية في دجلة ، واليزيدية الذين في حوضة دجلة يبلغون عشرات الألوف . وقرية « رضوان » خليط من مسلمين ونصارى أرمن ، ويزيدية ، واليزيدية منهم لا يربون على خمسة وعشرين بيتاً ، وقد هاجروا على أثر حادثة الأرمن في الحرب العامة الأولى وتفرقوا في حوضة نهر «البوطان- بهتان» ومنهم من جاء الى سنجار وانضوى الى عشيرة الخالتية وجميعهم متمسكين باليزيدية ، عاملين بسنة الختان بكل أمانة . وكل ما في الامر ان رئيساً لهم - لم أذكر اسمه - على جانب من الغنى والثروة أراد التحبب الى رئيس طائفة السريان النصارى في رضوان وبنى لهم ديراً على ضفة نهر البوطان على نفقته ، وجاراهم في تعطيل سنة الختان عن أولاده فتحدث النصارى عنه ، وأكثروا محبتهم له ، ورفعوه الى درجة قديس ، إلا ان اليزيدية مقتوه وعندما مات منعوا دفنه في مقبرتهم ، كما ان النصارى لم يرضوا بدفنه بين أمواتهم . وقد التقط الكتاب النصارى هذا الخبر وبالغوا فيه ، فكان من جملة هذه المبالغات ان وجدنا الراهب «بادجر» يذهب بدعواه الى ان الختان الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم لا يعد من السنن الاسلامية ، لأن العشيرة الكردية في دجلة لا يختتنون ، فهل أكثر استهتاراً من هذا

الرجل بالحقائق لمجرد أن يؤيد دعواه الباطلة ؟

وبالأخير قال : « وهم يظهرون عدم المبالاة عندما يدعون الى المذاهب النصرانية ولكن كل شيء ممكن انشاء الله وهداية هؤلاء عن الوثنية سيكون عندما تتيقض الكنائس من رقادها وتشمر عن ساعدها » .

وهذا هو بيت القصيد من بحثه هذا الذي بذل فيه كل جهد وطاقة ليدلل على نصرانية هذه الطائفة ، وينفي علاقتها بالاسلام ، ويعلل كل ما وجده فيها من مظاهر اسلامية بانها مأخوذة من النصرانية . وقد رأى شعباً مهملا منسياً ليس له من يغار عليه ويقوده الى ساحل السلامة ، فمده لقمة سائغة وسال لعابه له . وما درى أن الولد العاق لا بد له من العودة الى أهله ، وأهله لا ينكرونه مها أهملوه ، ويغارون له اذا امتدت يد غادرة اليه.

وهنا نريد ان نعلم ما هو الذي صنعه خلال ثماني سنين قضاها بينهم ومناهم بمعسول الأماني ، وما هو التغيير الذي أوجده في عقائدهم ؟ والجواب انه لم يتمكن من تنصير يزيدي واحد ، ولم يجد سبيلا للقيام بمهمته التبشيرية . وكل ما كان منه ان اقترح على الأمير حسين بك وشيخ المشائخ الشيخ ناصر ، فتح مدرسة في عين سفني فرد اقتراحه وعاد بخفي حنين الى بلاده . واذا كان آخذ ينتظر تيقظ الكنائس من رقادها ، فنحن ننتظر خروج هذا الشعب من أميته وانصرافه الى تحصيل العلم ليقرأ تاريخه ويقرأ ما كتبته في هذه الصحائف له ، وهناك يعرف مكانته في المجتمع الاسلامي ويتبأوها من جديد ...

﴿ اليزيدية - أو - عبدة الشيطان ﴾

رسالة نشرها احد الكتاب البغداديين عام ١٩٢٩ (١٣٤٧هـ) سماها (اليزيدية - او - عبدة الشيطان) لا يسعنا من ان نلقي نظرة خاطفة اليها ، نزع فيها صاحبها منزعا جارى به بعض الكتاب ممن أرادوا إبعاد هذه الطائفة عن الاسلام ونفى صلتها عنه . ولو لم نخش من ان يكون لهكذا رسائل تأثير على حقائق كبيرة لها مساس بالمجتمع الاسلامي لما انتقدنا حضرة الكاتب الأديب .

١- جاء في الكلمة التي صدر بها رسالته : « ان في قضاء الشيخان بلواء الموصل جماعة

يدعون باليزيدية يتراوح عدد نفوسهم بين السبعة والعشرين والثلاثين الف نسمة » .

والصحيح ان اليزيدية في الشيخان لم تتجاوز نفوسهم اكثر من خمسة آلاف نسمة ، وفي تقرير لجنة الحدود بين تركية والعراق الى عصبة الامم ان عدد اليزيدية القاطنين في لواء الموصل حسب الاحصاء البريطاني والعراقي من ٢١ الى ٣٠ الف وحسب الاحصاء الرسمي (١٨٫٠٠٠) وهذا العدد جمع بين يزيدية دهوك والشيخان وسنجار .

٢- يرجح في بحثه عن اليزيدية : « ان كلمة يزيدية مشتقة من الكلمة الفارسية او الكردية (يزدان) التي تعني الله ، وهذا وهم منه ، والصحيح ان نسبتهم الى يزيد بن معاوية الأموي الذي اتخذوه إلهاً ، وما احتمله الشهرستاني من ان تكون كلمة يزيدية «ايزدية» فتولدت الياء الثانية من الكسرة المجاورة» نسبة الى «يزد» فهو ايضا لا يقوم عليه دليل .

٣- وذهب في بحثه الذي صدره بعنوان (مشاهداتي) الى ان أصل هذه الطائفة هي هي قبيلة كانت تدين بالمجوسية اسمها (ترهايا) ولما بدأ نجم المجوس يتضاءل تمسكت بعقائدها حتى اذا نبغ فيها بعض الرجال والمشائخ نظموا شؤونها الدينية ولفقوا عقائدها من مختلف الاديان وأوجدوا المذهب اليزيدي .

وقد غمز بالرجال والمشائخ الذين نبغوا من القبيلة التبرهية وأوجدوا المذهب اليزيدي من مختلف الأديان ، بآل عدي بن مسافر الاموي الذين يحمل لهم في نفسه الكراهية الشديدة - كما ستجده في أقواله التي ننقلها عنه - فضحى في سبيل كراهيته حقائق تاريخية كان الأجدر به ان لا يتعدى عليها ، وإرجاع هذه الطائفة الى القبيلة التبرهية خبر اختلقه أحد رهبان النصارى ، فتناوله الكتاب المغرضون لهذا البيت ولاكوه بألسنتهم قصد الحط من كرامتهم وفي عدادهم هذا الكاتب الفاضل .

٤- قال : « لا صحة لما يثبته البعض من أنهم أخذوا بعض الظاهر من الديانة الاسلامية كالصوم والصلاة ، وما يشاهد عندهم الآن انما يفعلونه تقية لمجاوريهم المسلمين لا تديناً .

ولو وقف برسي بادجر على هذه الصراحة من هذا الكاتب لقبله من بين عينيه وبارك فيه ، وهمس في أذنه : « انا الذي وضعت هذه النظرية ، ولي فيها غاية ، مع علمي ببطلانها

فما هي غايتك انت منها ؟ » .

واذا كان لا بد لنا من تنبيه هذا الكاتب الفاضل الى الخطأ الذي وقع فيه وإفهامه حقيقة أمر هذه الطائفة ودرجة علاقتها بالاسلام نشيره الى الوصية الكبرى لابن تيمية التي خاطب بها جماعة الشيخ ابي البركات عدي بن مسافر الأموي رضى الله عنه ففيها ما يقنعه بفساد رأيه .

٥ـ وقال فى محل آخر : «واسم اليزيدية الحقيق محرف من (يازيدية ـ ي) التي وردت تسميتهم بها في عدة مواضع من كتابهم المقـدس وهى منحوتة من لفظ (يزدان) التي تعنى الله والكردى يلفظ يزدان هكذا : (يزد ـ آن) ثم تحرف اللفظ فيـه يازيدية ، فيزيدية » .

ان كلة « يازيدية » لم ترد فى كتابهم المقدس ولا فى موضع واحد ، فضلا عن عـدة مواضع الامر الذي يدلنا على انه لم يقف على هذا الكتاب ولم يره بعينه ، أما اذا كان للقوم كتاب مقدس غير الجلوة ومصحف رش وقد وجد هذا الاسم فيه فما أحراه ان يدلنا عليه ، أما كلة « يزدان » فهي فارسية صرفة وشعب من شعوب الاكراد لا يعرفها ولا يتكلم بها ، وحتى الفرس لا ينطقون بها ويعبرون عن ذات الجلالة بكلمة « خدا » فى كلامهم وفي كتاباتهم فكيف يلفظ الكردى هذه الكلمة هكذا ... وهكذا ثم تحرف اللفظ فصار هكذا ، وظهرت كلة اليازيدية ثم اليزيدية ؟ وماذا عليه لو جعل نسبة هذه الكلمة الى يزيد وخلص من هذا المسخ والتشويه ؟

٦ـ قال « وقد شاهدت القرآن العربى الكريم فى كثير من بيوتهم وقد وضعوا على كلمة (شيطان) و (التعوذ) و (اللعن) المتكررة فيه قطعاً من الشمع تحاشياً من رؤيتها » .

وهكذا بعد ان ينـفى هذا الكاتب ما يدعيه البعض من انهم أخذوا الصوم والصلاة من الاسلام ، ويقول ان ما يفعلونه تقية لمجاوريهم المسلمين يدعي بأنه شاهد القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم . فاذا لم يكن لهم علاقة بالاسلام، لماذا يضعون القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم ؟ أللزينة ، أم للتقية ، أم للتبرك ؟ على ان القرآن الكريم لا يوجد منه إلا نسخة واحدة فى دار رئيس الأئمة في بحزاني ومحظور إراءتها

لأحد حتى اليزيدية أنفسهم .

يقول الأستاذ الكرملي في كلامه عن مصحف رش : « هو بعض صحف من القرآن حرفوها بأن حذفوا منها اسم شيطان و لفظة اللعنة ونحو ذلك ، ولم يطلع عليه أحد الى يومنا هذا (١٨٩٨) حتى من اليزيدية غير الفقيه الأكبر . وفي مطاوى سنة ١٨٩٢ وغرة سنة ١٨٩٣ أراد الفريق عمر باشا ان يعرف ما في هذا الكتاب ... فلم ينل أملا » .

٧ـ وقال : « تاريخ هذه الطائفة قديم اختلف فيه المؤرخون اختلافهم فى أصل ديانتهم » .

لم يختلف أحد في تاريخهم أصلا اذا استثنينا بعض الأغبياء من الأجانب الذين يريدون إرجاع شيوخهم الى ما قبل النبي بزمن بعيد وذلك لغايات خبيثة. أما الاختلاف فى ديانتهم ، فنرجعه الى أسباب ثلاثة : (الأول) المبشرون النصارى الذين يريدون إرجاع هذه الطائفة الى النصرانية . فهؤلاء : يدعون ان العادات والتقاليد والمعتقدات الاسلامية التي نجدها فيهم دخلت عليهم من طريق غير مباشر ، وقد أخذوها وعملوا بها قصد الخديعة بالمسلمين لينالوا عطفهم، ويأمنوا شرهم ، وقسم يدعون انها تحوي عناصر أديان مختلفة كثيرة كالاسلامية والنصرانية واليهودية والمجوسية وغيرها وهي الى النصرانية أقرب . السبب (الثاني) : الكراهية التى يحملها قسم من الكتاب الشرقيين للبيت الأموي ومقتهم لآل عدي ، حيث ينكرون على الشيخ عدي القيام باصلاح ديني حقيقي بين هذه الأقوام الوثنية ودعوتهم الى الاسلام ويرمونه بالباطنية ، ويدعون انه هو الذي نظم هذا المبدأ ولفقه تلفيقاً ، وينكرون ان هذا المذهب أخذ صبغة إسلامية صحيحة ثابتة ، ثم أدركته عوامل الفساد وأثرت عليه . السبب (الثالث) تصدي بعض الكتاب للبحث عن هذه النحلة دون روية وعلم ، اذ أخذوا ما قاله غيرهم وخبطوا خبط عشواء وأضروا اكثر مما أفادوا .

هذا هو أساس الاختلاف الذي عنى به الكاتب الفاضل ويراني معذوراً اذا قلت ان الأسباب الثلاثة تجمعت فى رسالته الصغيرة التي وضعها .

٨ـ قال : « ومن غريب ما شاهدته في ديار هذه الطائفة تحريم الكتابة على جميع

أفرادها ، فلا يجوز ان يسكن البلد الواحد أكثر من متعلم واحد يحسن القراءة ليقوم بما يحتاج اليه السكان » .

وكأنما يريد ان يلقي في روع القارىء انه أمضى شهوراً وأعواماً فى تجـوله فى ديار هؤلاء القوم وزار نواديهم ، وطاف مجتمعاتهم ، واختلط بهم اختلاطاً وثيقاً ووقف على دخائلهم ، ثم أخذ يدعي تارة انه شاهد القرآن الكريم فى كثير من بيوتهم، وتارة يدعي انه شاهد تحريم الكتابة عليهم جميعاً ، عدا واحداً متعلماً يحسن القراءة في البلد الواحد ليقوم بما يحتاج اليه السكان .

والأخبار التي يرويها أكثر الكتاب عن هذه الطائفة هي من هذا النوع ، واذا كان هذا الكاتب كتب ما كتبه بعد زيارة قام بها الى باعذرة لم تدم أكثر من نهار واحد وعاد مساء أدراجه الى الموصل ، فما نقوله في من يكتب عنهم عن بعد ولم تكن قد وطأت قدماه أرضهم ، واتصل بشخص واحد منهم ؟

والقراءة محرمة عليهم جميعاً باستثناء أسرة الشيخ حسن الذين يوجد الآن منهم من يحسن القراءة والكتابة اربعة اشخاص ، واشخاص آخرون تعلموا القراءة والكتابة اخيراً فى المدارس التى أحدثتها الحكومة بينهم ولا يتجاوزون عدد اصابع الكف .

٩ـ وقال : « ولليزيدية طقوس غريبة تضاربت فيها الأقوال ، وقد جمعت شيئاً منها وقد وقفت على بعضه بنفسي ، ونقلت بعضه عن جملة المؤلفين » .

فما هى تلك الطقوس الغريبة التي تضاربت فيها الأقوال ؟ وما هي التي وقف عليه منها بنفسه ، والتى نقلها عن جملة المؤلفين ؟ أما التى وقف عليها بنفسه فقد علمناهـا وهي مشاهدته القرآن الكريم فى كثير من بيوتهم ، ووضعهم قطع الشمع على الكلمات الممنوعة عندهم تحاشياً عن رؤيتها ؟ وثم مشاهدته ـ بغرابة ـ تحريم الكتابة على جميع افرادها حيث لا يجوز أن يسكن البلد الواحد اكثر من متعلم واحد يحسن القراءة ليقوم بما يحتاج اليه السكان؟ . وأما الشيء الذي نقله عن جملة المؤلفين وان لم يدلنا عليه ، ويدلنا على المؤلفين الذين نقل عنهم ، فمن الواضح ان الذي نقله هو ارجاع هذه الطائفة الى القبيلة التيرهية المجوسية ، وجعل مشائخهم الذين نظموا شؤونهم مجوساً تيرهيين ، وان المظاهر

الاسلامية التي نجدها فيهم يفعلونها تقية لجاوريهم المسلمين لا تديناً الى غير ذلك من المسائل التي ترمي كلها الى نفي علاقة هذه الطائفة بالاسلام ، والذين نقل عنهم هم أعداء الاسلام امثال بادجر والراهب راميشوع وغيرها .

١٠ـ وقال : « والصوم عندهم ثلاثة ايام متوالية في شهر كانون الأول من كل سنة ، ولعلهم يقصدون بهذه البدعة تطبيق الآية الكريمة : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » فهم يصومون ثلاثة أيام باعتقاد انها تجزي عن ثلاثين يوما » .

فبعد أن وجدناه يذهب بدعواه الي أن ما يشاهدفيهم من المظاهر الاسلامية كالصوم والصلاة يفعلونه تقية لجاوريهم المسلمين لا تديناً ، نجده هنا يقول انهم يصومون ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة اعتقاداً منهم انها تجزي عن ثلاثين يوما حسب ما جاء فيالآية الكريمة ، وفي هذا إقرار منه باعتقادهم بفرضية الصيام ، ، وانهم يعرفون القرآن ويعملون به إلا انهم يعملون به حسب ما تقتضيه اهواؤهم .

وهكذا بالوقت الذي نراه يصرح بأسلاميتهم تصريحاً لا شائبة عليه يرجع فيردد ما قاله من ان « ما يشاهد عندهم الآن من المظاهر الاسلامية إنما يفعلونه تقية لجاوريهم المسلمين لا تديناً » وهذا ما يدل على انه قد ارتبك عليه الأمر وأضاع القصد ورائده نفي علاقة هؤلاء القوم بالاسلام ، والطعن (بعدي) وإنكار اسلاميته مهما أتى في ذلك من المناقضات .

١١ـ ذكر ان الأمراء يلون المشائخ بالمرتبة الدينية وهو خطأ ويعده اليزيدية كفر ولا يقولون به . والأمراء وإن كانوا والمشائخ يجمعهم جد واحد وجميعهم من أرومة واحدة ، إلا ان اسرة الأمراء لها امتيازاتها الخاصة ، ويعد الأمير خليفة الشيخ عدي ويعتقدون به القدسية وأن جزءاً إلهياً قد حل فيه.

١٢ـ وقال « فالشيخ خادم تربة الشيخ عدي ويشترط فيه أن يكون من سلالة الامام حسن البصري وله زنار (شارة) يضعه على صدره وعلامة يمسكها بيده فاذا رآه جماعته خروا له ساجدين » .

ولسنا ندري هل أنه وقف على هذه الاشياء بنفسه عندما زار ديار هؤلاء القوم أم

نقلها عن جملة المؤلفين . ولما كان قد أخطأ فيها وجب أن ندله على أن الشيخ لم يكن خادماً لتربة الشيخ عدي ، بل الذي يقوم بهـذه الخدمة طائفـة الفقراء والكواجك ، ويشترط ان يكون عـلى رأسهم (جاويش) تشترط عليه الاقامة في المرقد طيلة مـدة حياته ، وأن لا يكون متزوجاً وذلك لعدم جواز اجتماع الجنسين في المرقد . ولم يكن للشيخ شارة يضعها على صدره ، بل شارته حزام أسود من صوف فيه حلقات من النحاس يشده على خصره ، وليس له علامة يمسكها بيده ، وليس من العادة أن يخـر جماعته ساجدين عندما يرونه ، بل أن يقبلوا يده ، ولا يشترط على كل يزيدي أن يقبل يد أي شيخ كان ، بل يد شيخه الذي يتلمذ عليه .

١٣ـ ولم تكن وظيفة الفقير جمع البنين والبنات لتدريبهم على ضرب الدفوف والرقص بل ذلك من اختصاص القوالين .

١٤ـ وقال « عندما دخلت تركية في حربها مع الروس عام ١٣١١هـ جاء أحد قوادها المدعو طاهر بك الى الموصل لتجنيد توابع الولاية على اختلاف نحلها ، ولكن اليزيدية امتنعوا عن التجنيد بدعوى ان ديانتهم لا تساعدهم على ذلك ورفع الرؤساء منهم عريضة الى أمير الآلاي العسكري تضمنت الموانع الشرعية التي تحول دون ذلك » .

أـ ان دخول تركية الحرب مع روسية وقع عام ١٢٩٣هـ وليس عام ١٣١١ هـ .

ب ـ لم يكن مجيء طاهر بك الى الموصل لتجنيد توابع الولاية على اختلاف نحلها ، بل لتجنيد اليزيدية خصيصاً ، وكان ذلك بزمن ولاية مدحت باشا على بغداد (من مارت ١٢٨٥ الى مايس ١٢٨٨) .

ج ـ لم يرفع اليزيدية عريضتهم التي تحتوي على الموانع الشرعية لقبولهم التجنيد الى أمير الآلاي طاهر بك ، بل رفعوها الى المشير رؤف باشا الذي خلف مدحت باشـا في ولايته على بغداد ، وذلك في تاريخ ١١ آذار ١٢٨٩ ـ ٢٨ شباط ١٨٧٢

١٥ـ وقال : « ولدى إمعان المراجع الايجابية نظرها في هذه العريضة التي رفعت مع كمية كبيرة من الدراهم ، قبلت هذه المعاذير وأعفتهم عن التجنيد ، فباتوا في مأمن من هذه الجهة ، وهم يقدسون حتى الآن اليوم الذي قبلت فيه عريضتهم ويحترمونه » .

لم تعف الحكومة هذه الطائفة عن التجنيد بوقت من الأوقات ، وكانوا طيلة هذه المدة يستعطفونها لقبول البدل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وكانت ترفض طلبهم وتعدهم مسلمين ولا فرق بينهم وبين الدروز والبكتاشية والقزلباشية وغيرهم ممن كان يسري عليهم قانون التجنيد . فاذا علمنا ذلك اتضحت لنا درجة صحة الخبر الذي ساقه حضرة الكاتب عن اعطائهم كمية كبيرة من الدراهم وقبول معاذيرهم وعفوهم عن التجنيد وثم تقديسهم حتى الآن اليوم الذي قبلت فيه عريضتهم واحترامهم له .

١٦ـ وقال : اختلف المؤرخون في أصل الشيخ عدي الذي تنتمي اليه الطائفة اليزيدية اختلافاً بيناً ، وأورد نبذاً من اقوال طائفة من الكتاب والمؤرخين عن نسبه ونهجه وسلوكه تمهيداً لابداء رأيه فيه ، وخلاصة ما قاله :

(أ) ان الشيخ علي الشرقي النجفي وجماعة من المسيحيين فيهم انستاس الكرملي والقس سليمان الصائغ اعتمدوا على صحة الرواية التي جاءت في مخطوطة الراهب النسطوري في تعريف نسب الشيخ عدي رئيس الطائفة اليزيدية .

(ب) ان الشيخ عدياً الذي احتل دير الرهبان ـ اذا صح ما جاء في المخطوطة ـ هو غير الشيخ عدي الذي أتى من بيت فار في (بعلبك) وسكن جبال الهكارية . وأن الأول كردي تيرهي قتل عام ١٢٢٣م ، والثاني عربي توفي عام ١١٦٠م ويجوز أن يكون الشيخ عدي الأموي قد اتخذ زاويته في مقام الشيخ عدي الكردي الذى احتل الدير ودفن فيه بعد مقتله .

(ج) لم ير من الكياسة أن يناقش احمد تيمور باشا فيما يراه عن تصوف الشيخ عدي بن مسافر وكونه من متصوفي زمانه ، ولكنه يرى إشكالا في ارجاعه اليزيدية الى الصوفية بعد ان استدل على أن أصلهم من عشيرة مجوسية وقد تمسكوا بعقائدهم بعد أفول نجم المجوسية بدلائل تكاد تمسك باليد .

هذه هي النتائج التي توصل اليها هذا الكاتب اللوذعي في نتيجة ابحاثه عن اصل الشيخ عدي الذى تنتمي اليه الطائفة اليزيدية وأودعها رسالته (اليزيدية ـ أو عبدة الشيطان) وليس من شك في ان روح بادجر والراهب راميشوع ستطيب اليها وهي في رمسها

ويتمنى بأدجر المعلوم وراميشوع المجهول ان يكون على غرار هذا الكاتب ، كتاب آخرون كثيرون ينسجون على منواله ، ويؤيدونها فيما قالاه عن أصل هذه الطائفة وعن شيخها الأموي .

وهنا نبين الاخطاء التي أتى بها هذا الكاتب ونترك للقارىء الحكم في هل انه أتى بها خطأ وجهلا أم قصداً والتزاماً :

أولا - استشهد بالشيخ علي الشرقي النجفي والراهب الكرملي والقس الصائغ على صحة ما روته المخطوطة المنسوبة الى الراهب النسطوري عن الشيخ عدي ونسبه ونشأته ، بينما لم تتكلم المخطوطة عن الشيخ عدي ونسبه ونشأته حتى يظهر هؤلاء الكتاب الثلاثة اعتمادهم عليها ولذلك فهم لم يعتمدوا ولم يشهدوا ، وعلى فرض صحة ما قاله عنهم فاعتمادهم لا يغير وجه حقيقة تاريخية متفق عليها .

ثانياً - لقد قصرت المخطوطة أبحاثها على الشيخ عدي الثاني وعدته تيرهياً في نسبه ، مجوسياً في عقيدته ولم يكن تعرضها للبحث عن الشيخ عدي بن مسافر الا عرضاً وهو لم يكن المقصود لديها بالأصل والذات . فوضع الكاتب عديا بن مسافر بمحل عدي الثاني ووصفه بالأوصاف التي وصفته بها المخطوطة خطيئة لا تغتفر .

ثالثاً - جوز ان يكون الشيخ عدي بن مسافر الأموي المتوفي عام ١١٦٠ اتخذ زاويته في مقام الشيخ عدي الكردي التيرهي الذي احتل الدير وقتل عام ١٢٢٣م ودفن فيه بعد مقتله، الأمر الذي يدل على ان التاريخ بنظره يمشي الى الوراء لا الى الأمام .

رابعاً - لا يرى من الكياسة ان يعارض احمد تيمور باشا الكاتب المصري في عده (عدياً) من متصوفي زمانه وارجاعه اليزيدية الى الصوفية لأنه استدل على صدق نظريته بدلائل تكاد تلمس باليد وليست هذه الدلائل غير مخطوطة الراهب التي أملاها عليه بغضه لهذا البيت ورماهم فيها بكل ما يشينهم ويحط من قدرهم وكرامتهم معرضاً عما قاله مؤرخو الاسلام كابن الأثير وابن خلكان والامام ابن تيمية والتاوفي الجنبلي وغيرهم عنه .

ان الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ ناشيء من اقتصاره البحث على مخطوطة هذا الراهب ولو راجع كتب الاسلام ووقف على ما كتبوه عن عدي وشيعته اليزيدية لأنصفهم

وأنصف التاريخ ، ورفع عنه اعتداء الاجانب واعتداءه نفسه . ولا حاجة لأن نشير الى مؤلفات الاسلام الكثيرة ويكفي ان ندله على الوصية الكبرى للامام ابن تيمية التي خاطب بها جماعة الشيخ عدي بعد ان وجد الفساد يدب فى عقيدتهم ، وأراد إصلاحهم ، ففيها ما يعطيه قناعة بان هذه الجماعة كانوا زمناً من خيرة الاسلام ، وكانوا يعملون بالسنة والحديث ويقرأون القرآن ويجادلون فيه وكان يرجو اصلاحهم .

ان هذه الوصية هى من أهم الوثائق التي تبطل ادعاءات الاجانب الكاذبة وتفضح نواياهم التى تحمل سماً زعافاً للاسلام ، فقد خاطب صاحبها الامام رضي الله عنه هذه الطائفة « بالمسلمين المنتسبين الى السنة والجماعة المنتمين الى جماعة الشيخ العارف القدوة ابي البركات عدي بن مسافر الأموي رحمه الله » وأشار فيها الى من كان «فيهم من أهل الصلاح والتقوى ، وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثلهم في طوائف المبتدعين ، وفيهم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية ، وله المكاشفات والتصرفات وفيهم من الاولياء المتقين من له لسان صدق فى العالمين » وما على من يريد الوقوف على حقيقة أمر هذه الطائفة وما كانت عليه في بدء أمرها من التمسك باهداب الدين الاسلامي وما آل اليه اخيراً أمرها من الابتعاد عن هذا الدين إلا ان يقرأ هذه الوصية وهناك يظهر له فساد رأي الكتاب الاجانب ومن أتبعهم من كتابنا المسلمين .

ولننظر الآن فيما قاله عن لسان اليزيدية بان قبر الشيخ عدي خرافة اكثر منه حقيقياً وهذا نوع من البراعة في تحريف الحقائق، فاليزيدية لم يقولوا به، ويعدون من يقول به كافراً والذي قاله (بادجر) ليدل به على ان القوم اتخذوا عدياً رمزاً عن ذات الله عندما أردا نفي وجوده ، وقد أخذه عنه ورواه عن لسان اليزيدية بالوقت الذي لم يتيسر له الحديث مع واحد منهم عدا «القوال رشيد» الذي زعم انه دله على معلومات عن حقيقة المذهب اليزيدي لقاء جنيهين أعطاها له . وقد أجاد فى إصاغة هذه الرواية بان عزها فى خبر آخر وهو ظهور ملك صالح عليهم وإدخاله فى عقولهم بان هذا القبر هو قبر الشيخ عدي ثم صاروا يحجون اليه ، على ان خرافة الملك الصالح ، او الراهب الفار من دير (القوش) او (الشيطان) تروى بشكل آخر وقد مزجها برواية (بادجر) وأوردها كحقيقة راهنة .

❁ أولياء جلبي وابحاثه عن اليزيدية ❁

نقل صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نحلتهم عن « أولياء جلبي » السائح التركي اخباراً عن يزيدية سنجار في سياحته اليهم عام ١٠٦٥ هـ ليس فيها ما ينطبق عليهم في الحال الحاضر ، وقد تعمد المبالغة فيها ليقال انه أتى باخبار طريفة لم يسبقه أحد فيها .

وأوليا جلبي لم يكن ذا مكانة علمية وثقافة عالية بل كان في أول نشأته مؤذنا عند أحد الوزراء ثم صار إماماً وجاب بلاد الأناضول والشام ومصر والعراق وذهب الى ايران وعلى عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥١ - ١١٠٤هـ) رافق هيئة السفارة التي ذهبت الى (فينه) ومن هناك طاف بلاد الألمان والفلمنك ، والدانيمارق ، والسويد ، والبولون ، والروس ، وعاد الى اسطنبول من طريق القريم ووضع سياحته المشهورة التي قال شمس الدين سامي بك في قاموس أعلامه عنها انها لا تخلو من مبالغة .

ومما قاله عن يزيدية سنجار : « انهم وسخون وفي رؤوسهم القمل والصواب واكثرهم قصيرو القامة ، وليس لهم رقاب واضحة ، فكأن رؤوسهم خرجت من اكتافهم ، وان الأكراد هناك يسمونهم باهل الشوارب الثمانية إشارة الى ان لهم حاجبين وشاربين وشعراً يخرج من أنوفهم وآخر من آذانهم ، جلدهم اسمر غامق وأسنانهم كأسنان الخيل، وولدهم أمرد لحد العشرة من عمره ، فاذا تجاوزها كان كابن العشرين أشعر ، وان نساءهم لا لا يضعن اولادهن قبل مرور سنة كاملة ».

والحق ان أحداً غير « اوليا جلبي » لم يستطع ان يصم أحداً بهذا الشكل اللاذع وهو بارع في هذا الفن وله اليد الطولى فيه.. أما انهم وسخون وفي رؤوسهم القمل والصواب يجوز ان يكون صحيحاً . وأهل القرى والبوادي أكثرهم على هذا الوصف ، والنظافة هي من مميزات أهل الحواضر والمدن . إلا ان وصفه لهم بقصر القامة ، وأنهم ليس لهم رقاب واضحة ، وكأن رؤوسهم خرجت من أكتافهم ، فهو تشنيع واختلاق، وكل من عرفهم ينكر عليهم هذا الوصف . وقد يتميزون عن شعوب الأكراد قاطبة بضخامة جثثهم ، واعتدال أقومتهم ، وطول أعناقهم : حتى شبههم نوري باشا في كتابه « عبدة ابليس » بالأرمن الذين في وان وبدليس . وهم على غاية من الصباحة والملاحة . وقد

انتهت في شبابهم الرشاقة واللطافة ، وقد يتخذ « الجوانا » منهم غدائر يرسلونها على أكتافهم فتزيدهم ملاحة وسحراً . فأين هذا من نعتهم بذوي الشوارب الثمانية ، وإن ولدهم أمرد لحد العشرة من عمره ، فاذا تجاوزها كان كابن العشرين ؟

ولسنا نعلم ماذا قصد بقوله : أن نساءهم لا يضعن أولادهن قبل مرور سنة كاملة ؟ واذا كان يريد ان يدل على نقص فى خلقتهن وضعف فى بنيتهن ، فلا يكون ذلك سبباً فى تغيير سنة الله في مدة الحمل وجعل المرأة في مصاف البقر والحمير ، ولكن أين له ان يعلم ان المرأة اليزيدية في سنجار قد لا تنقطع عنها العادة الشهرية إلا في سن الخمسين والخامسة والخمسين ؟ وذلك لاعتدال صحتها وقوة بنيتها ولم يوال ولاة بغداد والموصل حملاتهم على سنجار إلا قصد سبي نسائه وفتياته للاستمتاع بهن لما عرفن به من الجمال البارع والحسن الساحر .

قال : « وللكلاب عندهم حرمة ، فاذا وضعت المرأة أرضعت إبنها بحليب كلبة سوداء ، واذا ضرب أحدهم كلباً يخشى عليه ان يقتل ، وفي كل بيت خمسة كلاب الى عشرة . وفى باديء الأمر يقدمون الأكل الى الكلاب ثم يأكلون فضلاتهم . وتنام الكلاب معهم . وقد تبلغ قيمة الكلب الأسود عندهم ألف قرش او عشرة بغال . فاذا ولدت الكلبة يتخذ لها مهرجان ، واذا مات كلب أسود يغسلونه بماء البصل ويكفنونه ويذهبون به الى المقبرة فيدفنونه ويتخذون له مأتماً ، ويطعمون خيرات لروحه كباباً (مشوياً) يوزعونه على الكلاب الباقية ، وكل من يموت يوضع في كفه شعر الكلب .. »

وهذا منتهى الغلو فى التشنيع ، ولا نخال أن قوماً أظهروا مثل هذه الحرمة لكلابهم مهما بلغ بهم التوحش ، ولا ينكر أن القبائل التي تعيش فى البراري ورؤوس الجبال يعطفون على الكلاب بصفتهم الحراس الأمينين لهم ، ولا يرضى أحد ان يمس آخر كلبه بأذى وسوء ، إلا انهم يقدمون أولا الطعام الى كلابهم وثم يأكلون فضلاتهم ، واذا مات كلب يغسلونه بماء البصل ويكفنونه ويدفنونه ، ويتخذون له مأتماً ويطعمون لروحه خيرات كباباً مشوياً ، واذا وضعت المرأة ترضع إبنها بحليب كلبة سوداء ، وكل من يموت يوضع فى كفه شعر الكلب ، واذا ضرب أحد كلباً يخشى عليه من القتل ، فذلك

لم يقع منذ خلق الله البشر وخلق الكلاب ... فاذا كانت حرمتهم للكلاب على هذا الوصف هي عقيدة دينية ، فكيف ومن أين دخلت عليهم هذه العقيدة ولا نجد لها أثراً بينهم ؟ واذا كانت عادة جروا عليها وحدهم ، فلا احتمال لذلك ، وهم قوم ذوو شمم وإباء ولا يرضون لأنفسهم مثل هذه الحطة والمعرة ؟

قال : « وللبصل والجبن عندهم حرمة كبيرة ، وذلك أنهم يحملون البصل والجبن غذاء لهم . ومن ضرب أمامهم البصل بجمع فكسر رأسه يخشى عليه ان يقتل ويعرد رأسه كما فعل بالبصل . وأغرب ما عندهم أن الغني لو مات يغسل بماء البصل ، ويغرس البصل فى قبره .. »

إن اتخاذهم البصل والجبن غذاء لهم ، ليس فيه ما يعابون عليه ، وجميعنا نأكل الجبن والبصل ، وحتى أوليا جلبي نفسه . وإن من ضرب أمامهم البصل بجمع فكسر رأسه يخشى عليه ان يقتل ويعرد رأسه كما فعل بالبصل ، فهو خبر مختلق لا أصل له . وقد أجريت هذه العملية فعلا أمامهم فى ولائمهم التي حضرتها أكثر من مرة ، فلم أجدمنهم من يستنكرها . ثم ما هى البركة التي يجدونها في البصل حتى يستخرجوا ماءه ويغسلون أمواتهم الأغنياء فيه ؟ أم لرائحته العطرية الطيبة ؟

وقد توهم عندما رأى بصلا مغروساً فى قبر وظنه من ذلك البصل الذي يخشى على من كسر منه رأساً بجمعه ان يقتل ويعرد رأسه وهو ان يكون على الغالب من بصل السوسن او النرجس الذي يزرع فى القبور عادة ، كما نشاهده في مقابر المسلمين في الجبال .

وهذا كله ما يدلنا على ان أوليا جلبي قد تعمد اختلاق هذه الأخبار عن يزيدية سنجار ، وقد نقلها صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نحلتهم عنه وأشار الى أنه بالغ كثيراً فيها . وقد نقل عنه حديث الحية (ص ٧٠) بعد ان ألقاها نوح فى النار وأحرقها ، وهو لا يقل سخافة عن بقية أخباره .

﴿ الشيخ علي الشرقي النجفي وأبحاثه عن اليزيدية ﴾

ترجع معرفتي بالشيخ علي الشرقي الى سنة ١٩٢٤ عندما كنت قائمقاماً فى قضاء الشطرة في لواء المنتفق .

والشيخ علي الشرقي معروف بأدبه الجم وعلمه الغزير وفكاهته الحلوة ، وهو مع ذلك ولوع بالبحث والتنقيب عن الديانات الشرقية ومنها اليزيدية التى كثرت رغبة البحث عنها . وكنا نتداول البحث عن تاريخ هذه الطائفة ومسائلها الدينية ، وقد حصل لديه مجموعة معلومات عنها .

وقد أودع معلوماته الثمينة فى مقال نشره فى الجزء السادس من المجلد الحادى عشر من مجلة العرفان الغراء سنه ١٩٢٦ شباط (١٣٤٤ شعبان) تحت عنوان (اليزيديون او البازيدية) وتكرم وأهداني منها نسخة مما أوجب مزيد شكري وامتناني له .

فبعد ان ذكر فى مقاله اجتماعه بي فى مدينة (الشطرة) التى بلغها فى اصطيافه فى ضواحي نهر الغراف المبارك وما دار بينى وبينه من السمر الأدبي الذى كان الموضوع البكر منه تاريخ اليزيديين ومسائلهم الطائفية ، انتقل الى البحث عن اجتماعه ببغداد بالفاضل البحاثة الاستاذ يعقوب نعوم سركيس من بيوتات المسيحيين المنوه بها والقديمة في العراق ، ووقوفه لديه على كتاب مأخوذ بالتصوير الشمسي في تاريخ اليزيدية أهم ما وجده فيه من فصول كتابهم المقدس كتاب (الجلوة) المحظور قراءته حتى على اكثر الخاصة منهم ، وعثوره على مستند تاريخي يتعلق بتاريخ (الشيخ عدي) ونشأته الأولى في مجلة وضيعة دار السلام عدد ٣١ المجلد الثالث عن مخطوط قديم باللغة الأرمنية نقل الى الفرنسوية ومنها الى العربية ثم قال : وتصفحت شيئاً من تاريخ الملل الاسلامية وما جاء في كتب الآداب والنحل ، وقرأت شيئاً من آراء المستشرقين فى هذه الطائفة مثل ما كتبه الموسيو بورتوكاليان ، والسر مارك سايكس وكثير من أمثالهم .

والخلاصة التي توصل اليها فى نتيجة تتبعاته ودراساته ، حصرها في مقاله الذى نحن بصدد البحث عنه ، يحتوي على خمسة فصول لم تستغرق اكثر من سبع صفائح .

الفصل الأول : (اسم هذه الفرقة):

يقول فيه : « اشتهرت هذه الفرقة باسم (اليزيدية) فقيل انه نسبة للأموي يزيد بن معاوية ، وانهم يقدسونه . ويمكن ان يكون هذا وهماً نشأ بين جماعة من الكتاب ومنشأه أن هذه الطائفة تقدس الشيخ عدياً وهو أموي كما تنسبه النسخة التي بأيدينا ، فوهم

بعض الكتاب أن عدياً أحدث طريقة تقدس أشياخهم ومنهم يزيد » .

أقول : ان نسبة (اليزيدية) الى يزيد بن معاوية الأموي ليس فيها شيء من التوهم، وقد اتضح ان الشيخ عدياً الذي تقدسه هذه الطائفة أموي ، واذا لم تكن طريقته مبنية على تقديس الأشياخ الأمويين ومنهم يزيد ، فالذين أعقبوه من أهل بيته وتولوا الارشاد بعده كانت طريقتهم مرتكزة على تقديس هؤلاء الأشياخ وتأليههم ومنهم (يزيد) الذى اعتقدوا بألوهيته . وفي هذه النسبة من الوجاهة ما يجعل القول بنسبة هذه الطائفة وديانتهم تارة الى (يزيد بن أنيسة الخارجي) وتارة الى مدينة (يزد) فى فارس ، او الى كلمة (يزدان) التى تطلق على البارى تعالى بعيد عن الاصابة .

وبعد ان نفى الاستاذ إمكان إصابة هذه الاقوال جميعها ذهب في تسمية هذه الطائفة مذهباً على جانب من الغرابة وهو تسميتها بازيدية (بالباء) بدلا عن يزيدية وذلك لاعتبارات ثلاثة وجدها مبررة لهذه التسمية . وهى أولا - عثوره في النسخة القديمة المأخوذة بالتصوير الشمسي على لفظ بازيدية (بالباء) اكثر من ٢٠٠ مرة ، ثانياً - ذكر هذه النسخة بلادهم القديمة حسب ترتيب سناجقهم ، وجعل سنجقهم السابع على مملكة وان وبايزيد وحكاري حيث لم يكد يشك بنسبتهم الى (بايزيد) . ثالثاً - عدم وجود تطبيق حقيقى لنسبة يزيدية غير تصادم ظنون وشكوك ، يقول : وقد نحت اسم (بازيدية) وتحرف الى (يزيدية) ، ولذلك فهم بازيدية (بالباء) لا يزيدية ، على أننا اذا وافقنا الاستاذ على توجيهه هذا يجب ان نسميهم (بايزيدية) لا (بازيدية) لتصح النسبة الى (بايزيد) معرضين عن جميع الاعتبارات التى تجعلنا نرفض صحة هذا التوجيه

ونحن مدينون بالشكر للاستاذ يعقوب نعوم سركيس صاحب هذه الرسالة فانه أزال الالتباس في هذه التسمية إذ ذكر في مقال له نشر في مجلة لغة العرب البغدادية في البحث عن هذا الكتاب ما هو بالحرف :

« وما اكثر غلطات هذا المخطوط فى الكتابة فضلا عن غيره ، فأنه كتب فى سطور (ص ١) (الأنبية) بمعنى (الأنبياء) والأولية (للأولياء) ونخاصمه (عند كلامه عن آدم وحواء) في (تخاصما) فمن كان على هذا الجهل فله ان يكتب (يازيدية) - بالياء

وليس بالباء - عن يزيدية » .

وفي الفصل الثاني عن (جنسيتهم) يقول :

« يظهر ان جنسيتهم كردية ، ويمكن ان يقال أنهم قوم كردي خاص باق على قدمه ، وأكثر عاداتهم وتقاليدهم عين العادات والتقاليد الكردية ، وقد أشير لهم في خريطة الألوان البشرية بلون غير اللون الكردي ، ولكن الخريطة التي أصدرتها جمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩١٠ تشير اليهم والى الاكراد بلون واحد ، إلا ان الاختلافات السياسية حول الموصل بناء على أساس القوميات إدعت أنهم يشكلون جسما مدمجاً من الأكراد والأتراك، وجاء في النسخة القديمة ان مباديء هذه الفرقة كانت معروفة قبل الشيخ عدي في قبيلة كردية من القبائل القاطنة شمال العراق وهي قبيلة ترهايا » .

أما انهم قوم كردي خاص باقي على قدمه فلا نخالفه فيه، وأما ان الاختلافات السياسية حول الموصل بناء على أساس القوميات إدعت انهم يشكلون جسماً مندمجاً من الأتراك والترك فلم يك وارداً ، ولم يندمج الأكراد بالترك يوماً، وهم آريون والترك طورانيون والسياسة التي اتبعها الأتراك مع الاكراد في العصر الأخير زادتهم بعداً عنهم .

وما جاء في النسخة القديمة من ان مباديء هذه الفرقة كانت معروفة قبل الشيخ عدي في قبيلة كردية من القبائل القاطنة في شمال العراق فهو المبدأ الذى نجاهر به. وكانت هذه الفرقة مجوسية ، وعندما أدركها الشيخ عدي هداها الى الاسلام . إلا انها لم تكن القبيلة المعروفة « بترهاية» إذ التاريخ لم يؤيد مجيء هذه الفرقة الى شمالي العراق. وسواء كانت هذه الفرقة هى التيرهاية « تيرهية » أم غيرها ، فالمباديء التي نجدها في اليزيدية الآن هي مجوسية لا غبار عليها .

وفي الفصل الثالث عن « إحصائهم ومواطنهم » يقول :

« عدد نفوس اليازيدية اليوم يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ الف نسمة » .

إن هذا العدد في لواء الموصل فقط ، وتقدر نفوسهم خارج العراق بنحو ٧٠ الى ٨٠ ألف نسمة .

يقول : « وكانوا أوفر من ذلك ، ولكنهم أتلفتهم الاضطهادات ، وقد هلكوا في

العصرين الثامن عشر والتاسع عشر فى المعارك التي نشبت بينهم وبين الترك وشم العرب وبالجزرة التي تلت ذلك ».

أقول : أن نفوسهم فى القرن السادس عشر والسابع عشر كانت تقدر بمليون نسمة ، والاضطهادات التي أشار اليها هى التي أوقعها أمير الصوران « محمد باشا » الراوندوزى عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) فى يزيدية الشيخان ، أهلك فيها منهم نحو ١٠٠ ألف نسمة .

يقول : « ولغتهم كردية ، وهي اللغة المقدسة عندهم ، ويعتقدون أنها لغة الله ، وبها تكلم مع آدم . ولكن تطرقت اليهم اللغة العربية من طريق الكتابة ، لأنه لا توجد لغة كتابية كردية . فاللغة العربية عندهم لغة اللاهوت ، والمؤسسون لطريقتهم عرب مثل الشيخ عدي ونخر الدين وشمس الدين وشرف الدين وأضرابهم » .

أما ان لغتهم كردية وهى مقدسة عندهم ، ويعتقدون أنها لغة الله وبها تكلم مع آدم ، فهو صحيح ، ولكنهم لا يمارسون القراءة ولا الكتابة حتى يمكن القول أن اللغة العربية تسربت اليهم من هذا الطريق . والذين يعرفون العربية هم أهل قرية بعشيقة وبحزاني وأصلهم عرب وفدوا من الشام على عهد الشيخ عدي كما هو متواتر ومعروف . وكذلك قليل من أهل الشيخان وأقل منهم في سنجار ، تعلموا العربية بواسطة مجاورتهم للعرب المسلمين .

واليزيدية لا يعرفون اللاهوت ، ولا يوجد بينهم لاهوتيون ، ويرتل القوالون في حفلاتهم الدينية بعض الأناشيد باللغة العربية ، ولكنهم لا يفهمون لها معنى . والشيخ « شرف الدين » لم يثبت له اشتراك في وضع هذا الدين وقد قتله المغول وهو في سن الثانية والعشرين كما سبق ذكره .

ونأخذ على الأستاذ إدخاله « عدياً » فى عداد مؤسسي طريقتهم ، وقد أراد طبعاً الديانة اليزيدية ، والشيخ عدي هو الذى هداهم الى الاسلام وطريقته لا مطعن فيها . وقد شهد جماعة من علماء الاسلام بصحتها . والمؤسس الحقيقي لهذه الديانة هو الشيخ شمس الدين الحسن الذى نوه بذكره المؤرخون .

وفي الفصل الرابع فى البحث عن « عقيدتهم » يقول :

« ولم تزل عقيدتهم رمزاً مقفلا في وجه الباحثين ، ويظهر أن فيها تلفيقاً كثيراً من المجوسية واليهودية والاسلامية ، ويمكننا القول ان (البازيدية) المعروفين بعبدة الشيطان ، لأنهم يقدسون الملك طاؤوس . ومعلوم ان طاؤوس الملئكة هو الشيطان ، و (البازيدية) لا تتلفظ بلفظ الشيطان ولا تتهجاه ، هم أولا من بقايا المجوس ، والمحافظ لهذه القبيلة ، هي القبيلة الكردية التي تلقبها النسخة اليزيدية بقبيلة ترهايا » .

ونحن نتفق مع الاستاذ على ان عقيدتهم كانت رمزاً مقفلا في وجه البـاحثين ، حتى انهم جهلوا حقيقة شيخهم الشيخ عدي بن مسافر ورموه بشتى المفتريات والأباطيل ، أما الآن فلا ! إذ ان كثرة الأبحاث والتتبعات أوصلتنا الى معرفة هذا الدين ، وحلت لنـا الرمز المقفل في وجه معتقداته ، وإن كان البعض لا يزال يضلل في البحث ويحيطه بسياج من الشكوك ، فهم قبل كل شيء مجوس ، ثم لحقتهم الثنوية المانوية ، وعنـدما ظهر الشيخ عدي بن مسافر دعاهم الى الاسلام ، فأسلموا وحسن اسلامهم ، وظهر فيهم علماء وحفاظ ومحدثون وغزاة ومجاهدون ، وأهل تقوى وصـلاح ، ثم دخلتهم عوامل الفساد فتسرب الشك اليهم وأخذوا تدريجياً يرجعون الى المجوسية التي يظهر ان مرشدهم الكبير عندما تولى أمرهم لم يستأصل جذورها منهم تماما وأصبحت ديانتهم ذات طابعين مجوسي واسلامي الا ان الطابع المجوسي فيها أصبح أوضح أثراً .

وما اعتقده ان ديانتهم ملفقة من المجوسية واليهودية والمسيحية والاسلامية يدل على انه يشك في اسلاميتهم ويعتقد انهم بنسبة ما أخذوه من الاسلامية أخذوه من النصرانية واليهودية على اننا اذا تعمقنا في هذا الدين ودرسناه درساً وافياً لم نجد فيه اي تلفيق من اي دين بل هو اسلامي صرف ، فتاريخه مضبوط ، والقائمون به رجال البيت العدوي ، وعلى يدهم ولد وتدرج حتى أخذ هذا الشكل ، فاذا كان فيه تلفيق من اليهودية والنصرانية فيجب ان يكون حصل على يد رجال هذا البيت . ورجال هـذا البيت لم يكن لهم مصلحة في تلفيق دينهم الذي وضعوه من هاتين الديانتين ، وغاية الذين اضلوهم إرجاع هذا الدين الى المجوسية القائمة على تأليه الأشياء والأشخاص ليحيوا في نفوس أصحابه هذه النزعة وينزلوا أنفسهم عندهم بمنزلة الآلهة وقد حصل لهم ما أرادوا .

إن أول من أوجد هذه النظرية ، اي نظرية اشتراك عناصر أديان مختلفة في هذا الدين وعمل على ترويجها الكتاب الأجانب أمثال براون ، وجوزيف ، وفرلاني ، وكابوت وتبعهم الدكتور رزيق فذهب الى هذا الرأي كتابنا الشرقيين كالعلامة المرحوم احمد تيمور باشا والعزاوي والشرقي ، ولو أحاط كتابنا إحاطة تامة بهذا الدين ، لما أتبعوا هذا الرأي وعملوا على ترويجه ، وسنزيد في هذا البحث ايضاحا عن ذلك .

يقول :« ثم نبغ بينهم من رجال الباطنية عدي بن مسافر الأموي فنظم مبدأهم ولفقه تلفيقاً » .

ان سلوك الشيخ عدي الديني وطريقته تنفي هذه المزاعم . وواحد من مؤرخي الاسلام لم يشر الى أنه كان باطنياً يقول بالأباحية ورفع التكاليف وغير ذلك من مستلزمات الباطنية وقد سار على نهجه الشيخ ابو البركات صخر بن صخر ، وولده عدي بن ابي البركات ولم يرو عنهما اعتراف او زيغ . وكان الناس يميلون اليهما ميلا عظيما ويحسنون الظن فيهما الى ان ظهر الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني بن ابي البركات ، وهناك وعلى يده تطورت هذه العقيدة وخرجت عن أصلها .

ان دعوى كون الشيخ عديا بن مسافر باطنياً وكونه نظم هذا المبدأ ولفقه تلفيقا قال به جماعة من الكتاب الاجانب ووافقهم عليه البعض من كتابنا الشرقيين والأخذ بأقوال هؤلاء الاجانب ونفي شهادات أعاظم الاسلام كالامام ابن تيمية والمؤرخ ابن الأثير وابن خلكان لا يدل على اصابة وعدل .

وما قال الاستاذ :« انهم يقدسون النار ويعبدون الشمس بالسجود لها في كل صباح ومساء» واستدلاله عليه :« بوجود علاقة متينة بينهم وبين المجوسية » فهو صحيح وقد قطع كل محجة لمن يريد إرجاع هذا الدين الى أصول مختلفة ويعللون ما يجدونه فيه من عادات وتقاليد وعقائد تعليلا غير صحيح ، إلا اننا لا نتفق معه على « ان الشيخ عديا جرهم الى الباطنية ، لأنهم يقولون بالباطن والظاهر والنسخ والحلول ، ولأنهم يحترمون عدد السبعة ، فالسناجق عندهم سبعة ، والملائكة المدبرون لهذا العالم سبعة ، وأيام التكوين عندهم سبعة ، ولأنهم يعبرون عن المسلمين بالاسماعيليين . فيظهر انهم من

الباطنية الممتازة ، ولعلها باطنية أسسها ذلك الشيخ الأموى مقابلة للباطنية التي أسسها العلويون ، ولأن سرهم ودينهم مكتوما ، والتقية عندهم اكيدة شديدة ، وهو مبدأ (محمد المكتوم) من الباطنية ، ولأنهم يحترمون كثيراً من مشائخ الطرق الباطنية كالشيخ الجيلاني ، والشيخ حسن البصري ومنصور الحلاج » .

ونرى فضيلته يميل كثيراً الى جعل عدي باطنياً ويدخله فى عداد المشائخ الباطنيين ، وانه هو الذي جر قومه الى الباطنية . واذا أردنا ان نطلب منه الدليل على ذلك فلا نظن انه يدلنا على اكثر مما يشاهد في اصحابه من العقائد الفاسدة التي تخالف ما جاء به الاسلام. على انهم اذا كانوا يقولون بهذه العقائد فليس معناه ان الشيخ عدياً هو الذى وضع بذرتها فيهم وهو الذى دلهم عليها . وقد شهد ابن تيمية بان : « طريقة قدس الله روحه كانت سليمة وليس فيها من البدع » فهل بعد هذه الشهادة محلا للشك في عقيدته وسلوكه ونهجه ؟ وشهادة ابن تيمية لها قيمتها وهو قريب عهد منه ، ومعرفته به أصح من معرفة « بادجر » وشهادته أقدم من شهادته .

أما ان الشيخ عدياً وضع هذه الطريقة مقابلة للشيعة الاسماعيلية التي أسسها العلويون وجر اليها قومه ، فلا نتفق وحضرة الاستاذ عليه . واذا كان قومه يقولون بسبعة آلهة ، وان ايام التكوين عندهم سبعة ، فذلك لا يعد دليلا على انهم يحترمون عدد السبعة وانهم قد ضاهوا الاسماعيلية فيه وهذا وقع من باب الصدفة والاتفاق .

ثم لم يكن القصد من تعبيرهم عن المسلمين « بالاسماعيليين » ارجاعهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق بل جعلهم من اولاد نبي الله « اسماعيل » ليميزوا انفسهم عنهم من الناحية العنصرية . وهم يدعون انهم من عنصر خاص غير هذا البشر ، وان أمهم « حورية » نزلت من الجنة . وقد عبر كتابهم « مصحف رش » عن الرسول الكريم بنبي الاسماعيليين.

ولم يكن لجعل سرهم ودينهم مكتوما علاقة بمبدأ « محمد المكتوم » وكل ما هنالك انهم جعلوا دينهم مكتوما كي لا يتسرب الفساد اليه . وهذا ما نجده فى كثير من الجمعيات السرية التي تقوم على مبدأ السياسة والدين فقد يحرصون على ان يحيطوه بالكتمان خوفاً من ذيوع أمره .

وما قاله عن عملهم بالتقية وانها عندهم اكيدة وشديدة ، فبوسعنا ان نطمئنه بأنهم لا يعرفون التقية ولا يعملون بها . والتقية عادة تلجأ اليها كل أمة ضعيفة ومضطهدة ، واليزيدية لم يكونوا كذلك .

واذا كانوا يحترمون كثيراً من مشائخ الطرق كالشيخ الجيلاني والحسن البصري والحلاج وغيرهم ، وأدخلوهم فى عداد آلهتهم ، فقد حصل لهم هذا الغلو فى هؤلاء المشائخ بعد ان فسدت عقيدتهم وآل أمرهم الى أناس أبعدوهم عن الاسلام .

يقول : « وعندهم شعار سنوي وهو تضحية العجل الأبيض وهذا يشبه مسألة العجل المهان عند الدروز » .

ان احترامهم العجل او الثور وتضحيته ، عادة كان يعمل بها كثير من الأمم السالفة . وكان الصابئة الحرانيون يذبحون فى اليوم السادس من عيد رأس السنة ثوراً لآلهتهم القمر ويأكلونه آخر النهار (١) ، واليزيدية يذبحون ثوراً فى «عيد الجماعية» ويأكلونه تبركا ولكن لا يشترط ان يكون أبيض .

يقول : « وهم يعتقدون في الشيخ عدي كما تعتقد النصيرية في الامام علي ».

أقول : قد يتفقون مع النصيرية ومع كثير من فرق الشيعة المتطرفة في كثير من معتقداتهم . ولكن لا يصح ان يقال انهم اقتبسوا هذه العقائد منهم . والمشاركة بمبدأ واحد لا يستلزم فيه الاقتباس ويجوز انهم والشيعة المتطرفة أخذوا هذه العقائد من منبع واحد .

يقول : « ويحترمون يوم الجمعة ويقدسون مكة وعرفات وزمزماً ، ولكنهم يدعون ان الشيخ عديا نقل الى بلاده بصورة معجزة مكة وعرفات وزمزماً » .

أقول : ان احترامهم يوم الجمعة هو مظهر من مظاهر الاسلام ، وكانوا الى قبل ثلاثة عصور - عندما لم تكن صبغة الاسلام قد زالت عنهم - يصلون صلاة الجمعة في مساجدهم وفى كتاب « الرد على الشيعة واليزيدية » لأبي فراس بن جميل الذى ذكره الاستاذ العزاوي فى كتاب « تاريخ اليزيدية » انهم كانوا قد اختلفوا فيما بينهم في فرضية صلاة

١) ابن النديم

الجمعة وعدم فرضيتها ، واذا كانوا قد تركوا صلاة الجمعة فيعدون يوم الجمعة من ايام اعيادهم ويحرمون الاشتغال فيه . ومن هذه المظاهر : الحج الى بيت الله . اذ عندما انقطعوا عن الذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج ، استعاضوا عنها « لالشا » ورمزوا عن « عرفات » بجبل يقع شرقي المرقد ، وعن « زمزم » بالعين البيضاء وهى عين هناك واعتقدوا ان ذلك من معجزات الشيخ عدي وكراماته . وقد ورد ذكر العين البيضاء في قصيدة ينسبونها الى الشيخ عدي بقوله :

وأنا الذى أجريت عينا ماؤها أحلى وأعذب من جميع الماء

يقول : « ان قضية البازيدية مظهر من تلك المظاهر ، فكانت ديانة متكونة من خليط الديانات ، وملفقة تلفيقا غريبا ، وفيها ادماج وتداخل عجيب لجميع العناصر ».

أقول : مر بنا القول ان هذا الدين ليس فيه ما يقال عنه تلفيقاً وإدماجاً وتداخلا من أي دين من الأديان ، عدا الأديان التى تقول بثنوية الآلهة . وهنا نكرر ما قلناه آنفاً عن بطلان هذه الدعوى ، إذ مما لا شك فيه ان الأستاذ عنى بقوله : « خليط الديانات » اليهودية والنصرانية وهما الديانتان اللتان يدعي الباحثون وجود أثرها في هذا الدين اكثر من أي دين آخر . فاذا رجعنا الى أول عهد هذا الدين والظروف التى كانت محيطة به ، نجد حياته الاسلامية كانت قصيرة جداً لم تبلغ المائة سنة ، وهذه المدة لا تكفي لأن تؤثر اليهودية والمجوسية فيه ، ويأخذ منها ، وهو متحمس لمبادئه منتهى التحمس وامتزاج وتلفيق كهذا يحتاج الى زمن طويل ، وبعد ان قطع علاقته عن الاسلام وظهر بمظهره الذى هو عليه الآن ، نراه قد حظر على نفسه الاختلاط مع كافة الأديان ، إسلامية كانت او يهودية او نصرانية وعاش في معزل عنها . فاذا علمنا هذا ففي أي دور من أدواره حصل له هذا التلفيق والادماج مع هاتين الديانتين ؟ واذا أعرضنا صفحا عن هذه الاعتبارات ونظرنا في العقائد التى يقال انها دخلت عليه بالطريقة التى يعنيها الاستاذ فلا نجد ما يحقق هذا الرأى . يقول الاستاذ « انهم أخذوا الخير والشر وعبادة الشمس من المجوس » وهذا صحيح ، والمجوسية هي الأصل لهذه الديانه قبل ان عرفت الاسلام . وأما قوله انهم «أخذوا السلم والنصيحة والتعميد من النصارى»

فلا نتفق وإياه عليه ، اذ لو كان دينهم يأمرهم بالسلم والنصيحة ، فمن الأحرى ان يأخذوها من الاسلام الذى أرضعهم أفاويقه وأنشأهم في أحضانه . ثم ما هم السلم وحياتهم كلها حرب وضرب وطعن وقتال ، وقد قتلوا من الاسلام وقتل الاسلام منهم مئات الألوف ، فهل نعبر عن هذا بالسلم والنصيحة ؟ أما التعميد فكذلك لا وجود له عندهم ، ولا يعرفونه ، وقد تكلم عنه كتاب النصارى وادعوا عملهم به وهو غير صحيح. وعندي ان احد الرواد الأجانب حضر المرقد المبارك ، ورآهم يطهرون اشياءهم التي مستها نجاسة في العين البيضاء وهكذا كانوا يفعلون في طفل صغير ولد لهم حديثا ليطهروه من دنس الولادة فظنه تعميداً وأذاعه ، فأخذه منه غيرهم من الكتاب النصارى ممن لاقى هوى في نفوسهم وجعلوه شريعة لهم .

وما يقوله عن انهم « أخذوا الحج والفقه عن الاسلام » فان عملهم بالحج معلوم وهو زيارتهم مرقد الشيخ عدى في اليوم التاسع من شهر ذى الحجة لكل سنة واقامتهم مناسك الحج فيه طبقا لما هو جارى في الاسلام ، وأما قوله اخذهم الفقه من الاسلام فلم نفقه القصد منه . فاذا كان قصد الفقه بمعناه المعروف ، فالقوم لا يفقهون من الدين شيئا حتى يخصهم به ..

ثم ما معنى تخصيص أخذهم الفقه والحج من الاسلام وترك بقية المظاهر الاسلامية التى نجدها فيهم كعملهم بسنة الختان ، وصيامهم ثلاثة ايام في كل سنة بدلا من صيام شهر رمضان وصلاتهم ليلة القدر في مرقد الشيخ عدي اعتقاداً منهم انها تجزى عن صلاة سنة كاملة ، وابتنائهم بأربعة نساء وعملهم بعادة عقد النكاح والطلاق ، وقراءة أسرة الشيخ حسن القرآن ، وتسميتهم أولادهم باسماء اسلامية وغسلهم أمواتهم وتكفينهم عند الدفن ؟ ولو تيسر له مخالطة يزيدية سنجار لرأى الطابع الاسلامي عليهم ظاهراً فآدابهم وتقاليدهم وما كلهم ومشاربهم اسلامية لا غبار عليها ، فهم يعملون بعبادة (السلام) كما هو جارى عند المسلمين ، ويقول أحدهم للآخر ويقولون للمسلم في حديثهم معه (رحمت البابيته) اى رحم الله أباك ، ويقولون لشارب الماء (عافيت بيت) اى عافاك الله ، ويقولون لمن يأتي من مكان بعيد (بخير هاتي) اى أتيت بخير ، ويغسلون

أيديهم قبل الطعام ، وان لم يعرفوا الطهارة ، ويجتنبون التبول وهم وقوف، الى غير ذلك من المسائل الكثيرة .

يقول : « وقد أخذوا من الشيعة خاصة التقية » .

والتقية كما قلنا آنفاً عادة يعمل بها الضعيف المضطهد عندما يشعر باعتداء يقع عليه ممن هو أقوى منه .. وهي سجية كامنة في النفس يعمل بها الانسـان بسائق الغريزة دون ان يجد حاجة لأخذها من غيره . واليزيدية لم يكونوا في سابق عهدهم ضعفـاء أذلاء حتى يعملوا بهذه العادة بل كانت القبائل المسلمة المجاورة لهم تعمل بها معهم .

يقول : «وقد أخذوا من اليهود تحريم كثير من المأكولات » .

وهذا ما يردده اكثر الباحثين وينزلونه بمنزلة الحقيقة ويعدون الكلام عنه فضولا .

على ان الأمر ليس كذلك ، وكل ما قيل ويقال عن هـذا لا نصيب له من الصحة . فاليهود الذين عاشوا في ذل ومهانة طيلة حياتهم لم يتصلوا بهؤلاء القوم حتى يصح القول ان عادة تحريم المأكولات سرت منهم اليهم . فاليهود يحرمون ثلثماية وستون نوعاً من المأكولات ولم يحرم اليزيديون واحداً منها . وكل ما هنـالك ان بعض الشيوخ منهم ، - وليس كلهـم - وقسم من مريديهم يجتنـبون أكل بعض المأكولات موافقـة لشيوخ طرائقهم ، فعلل بعض الباحثين دخوله عليهم من اليهود . فشيوخ الشيخ حسن يحرمون أكل لحم الغزال لعدهم إياه من غنم الشيخ شمس الدين وعيـونه تشـبه عيونه . ويحرم بيرة جروانة أكل لحم الديك لمشابهته بديك العرش . وشيوخ الشيخ فخر يحرمون أكل السمك لأن يزيداً عندما أراد ان ينصب خيمته في البحر ولم يجد ما يركز أوتادها عليه تطوع ومد عنقه له . ويحرم شيوخ شيخ سينا أكل لحم الأرنب لأن الشيخ سينا كان يتقزز من أكله ، ولأنه كان السبب في ذهاب الشيخ زين الدين الى مصر . ويحرم شيوخ الشيخ شرف الدين أكل لحم الحمام لأنه كان ينقل الرسائل بين الشيخ زين الدين يوسف والشيخ عدي في لالش . ويحرم شيوخ الشيخ فخر أكل اليقطـين لأن الشيخ فخر الدين زرعه في بستانه ، ويقال لأن النبي يونس استظل فيه عندما لفظته الحوت . ويحرم اهل سنجار أكل اللوبياء لأن الخنزير عطسها من أنفه وكذلك الفاصوليا لانهـا

واللوبياء من فصيلة واحدة . واليزيدية قاطبة يحرمون أكل الخس لنجاسته وزادوا عليه في السنين الأخيرة اللهانة . وأسرة الأمراء لا يحرمون من هذه المأكولات شيئاً مطلقا عدا الخس واللهانة . ونرى ان تحريم هذه المأكولات عند اليزيدية لم يكن عاماً بل يخص افراداً من الشيوخ ومريديهم لا يتجاوزون الواحد من المائة من مجموعهم، واباحته لا يعد إثماً يعاقب عليه كما لو تأخر عن زيارة الطاؤوس ، او أهان خرقة فقير ، او حلف كذباً بمزار ما .

يقول : « وقد أخذوا من الوثنية السجود للصور » .

والصحيح انهم يسجدون للتماثيل التي يرمزون بها عن الطاؤوس ، ويسجدون لقبور مشائخهم وأئمتهم وكل مكان شريف على زعمهم ، وهي عادات وثنية لا جدال فيها .

يقول : « ويحترمون النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والقرآن الكريم ، كما يحترمون المسيح والصليب ، ولا شك أنهم من الباطنية الفاسدة » .

ان احترامهم محمداً والقرآن الكريم لم يكن صحيحاً ، ويعدون محمداً أكبر أعدائهم ، لأنه - على زعمهم - عارض الديانة اليزيدية ولم يوفق . أما القرآن فقد ينكرونه وقد نهاهم الشارع عن التصديق به لأن أصحابه المسلمين بدلوا فيه وحرفوه عن مواضعه وإن كانت أسرة منهم تقرأه ، وفي فتوى الشيخ عبد الله الربتكي - سيأتي ذكرها - « وإن وقعت كتب الاسلام بأيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزقونها ويتغوطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا سترة عليه (١) » . وما يدور على الألسن من أنهم يحترمون المسيح والصليب فهو خطأ وقد أشاعه عنهم بعض دعاة المسيحية واعتقد الناس بصحته .

ورجال الدين اليزيدي - ونقصد بهم الشيوخ - يحملون احتراماً للأئمة العلويين - باستثناء الرسول - باعتبارهم إياهم قرشيون وهم والأمويون من أرومة واحدة ، وهذا أكثر ما نجده في سنجار . ويطعنون بالنصرانية وذلك لان رؤساءهم الروحانيين لم ينتسبوا الى سلالات معروفة ومعينة ، أي ان الصفة الروحية عندهم ليست وراثية ،

(١) لا وجود لهذه العادة فيهم الان ولعل انهم كانوا يعملون بها في العصر الذي كان صاحب الفتوى فيه.

وقد ينالها أياً كان من النصارى وهذا نقص كبير في نظرهم .

والآن ننظر فيما ذكره تحت عنوان« ترجمة الشيخ عدي ونشأته او دير ماريوحنان » وهو الفصل الخامس من كتابه :

يقتصر هذا البحث على المخطوطة التي يعزونها الى الراهب راميشوع من دير بيث عابي ، يقال أنه كتبها الى صديق له يدعى الربان هرمز في دير ميخائيل من أربل عام ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) وسنأتي عليها معربة من النسخة الكلدانية ونبحث عنها وعن الغاية المقصودة من وضعها . والأستاذ الشيخ الفاضل يعتقد بصحتها ويرى عليها مسحة تاريخية ، وقد أيد لي ذلك بحديث جرى لي معه . وحيث طال بنا الكلام عن مقال الشيخ الأستاذ فنكتفي هنا بهذا ونشير الى ما رأيناه من الأوهام في هذه المخطوطة :

جاء فيها : في سنة ٥٩٠ للهجرة (١١٩٣م) كان دير واقع في أعلا جبل من قرية عين سفنة بناحية الموصل - وفي النسخة الكلدانية: أن الدير كان مملوءاً بالرهبان سنة ١٥٠٩ يونانية الموافقة لسنة ١١٩٨ م - ٥٩٥ هـ .

وجاء فيها : وكان لهذا الدير ٣٠ قرية و ١٠٥٠٠ خروف وعدد وافر من البغال والبقر . وفي النسخة الكلدانية : وكان للدير أملاك نحو ٣٠ قرية وغنم تصعد الى زوزان وعددها ١٥٠٠ رأس من المعز .

وجاء فيها : وكانت في ذلك العهد قبيلة «زردنايا» تمت الى أمية ، وهذه القبيلة تسكن جبل زوزان وتتصل بآل عدي بلحمة النسب . والنسخة الكلدانية ليس فيها هذا الخبر .

وجاء فيها : وذهب الى خراسان وقابل قائد الجيوش المغولية وكان اسمه « اغاتول » . وفي النسخة الكلدانية « باتو » وفي الفرنسية « اغاتو » .

وجاء فيها : وأطلعوه على ان أبناء عدي دعار وقطاع طريق وانهم أصحاب جرأة وجسارة وهم على رأس ١٠٥٠٠ فارس . وفي النسخة الكلدانية : وتحت إمرتهم ١٥٠٠ فارس . الى غير ذلك من اختلافات ناشئة من سهو الكتاب والمعربين .

★

﴿ السائحة الانكليزية (مس روزيتا) وأبحاثها عن اليزيدية ﴾

نقتبس المقال الآتي من كتاب للسيدة (روزيتا) المتجولة الانكليزية التي جاءت العراق في الأعوام الأخيرة وكتبت عن أصحاب النحل والأديان الموجودة فيه ومنهم اليزيدية الذين لا يجوز لها ولغيرها من الرحالة الذين يجوسون خلال هذه الديار ان يمروا بهم مر الكرام ولم يبحثوا عنهم ، وهذا ما كتبته :

« اليزيدية وكما يطلق عليهم عادة (عبدة الشيطان) هم شعب غريب الأطوار يسكن في جوار الموصل ولا يعلم عن اعتقادهم الديني فى الحقيقة إلا الشيء القليل ، وليس بين الاوربيين من يعرف هل انهم يعبدون الشيطان حقيقة ام يخافونه ، وأكثر ميلهم الى الانكليز وذلك لأن الممثل الانكليزي كان قد ساعدهم قبل عدة سنوات . والمسلمون دائما على ضد معهم ، وقد يعاملونهم بكل ما فى استطاعتهم من قسوة قصد إبادتهم وقد قبض (الباشا) السابق على رئيسهم الكبير المسمى (الشيخ ناصر) ولكن تخلص بان وضع رجل آخر فى محله كان تحت سلطته ، وقد احتمل هذا الرجل العذاب دون ان أفشى أمر سيده . واليزيدية يثنون على المستر (رسام) الذي كان معاون القنصل في الموصل فانه أنقذ هذا الرجل بدراهم من عنده وقد دفع اليزيدية له هذا المبلغ اخيراً الأمر الذي أدى الى تقوية الصلات بين اليزيدية والانكليز منذ ذلك الحين ... وقد كان لليزيدية قلعتان احداها فى الجبال غربي الموصل ، والاخرى على مسيرة أربعة وعشرين ساعة شمالا ، وكان لهم قبيلة قوية جداً وقد نقص عددهم بنتيجة الغارات التى شنها الاكراد عليهم والمذابح التى أوقعوها فيهم بين حين وآخر حيث لم يبق منهم إلا الثلث . وبما ان المسلمين يقاومون بشدة أي دين غير سماوي فقد وقع اليزيدية الذين هم من هذا القبيل تحت رحمتهم وقاسوا منهم الاضطهاد عدة قرون . وقد استسلموا أخيراً لهذا القضاء ولم يروا أية فائدة من مقاومة المسلمين .

ويعتقد اليزيدية بوجود كائن أعظم ولكنهم لا يعبدونه مباشرة ، فاسم (الله) تسمعه دائما على شفاههم ولكنك لا تسمع اسم (الشيطان) منهم أبداً وهم يمتنعون عن ذكر اي كلمة تبتديء بحرف الشين كما انهم لا ينطقون اي كلمة فيها هذا الحرف ، بل يستبدلون

تلك الكلمات بكلمات اخرى غيرها . وقد ذكر (لايارد) في رحلته مثـلا لذلك وقد كان واقفاً وسط زحام من اليزيدية في عيدهم السنوي حينما رأى صبيا يتسلق شجرة وكان في حالة خطر حيث قال : بينما كنت أنظر الى فوق شـاهدت الخطر المحدق بذلك الصبي فنـاديت الرئيس ليستدركه ، إذ كان هذا الشيء .... وكنت على وشك ان أكمل الكلمة المستعملة غالبا في الشرق بحق الصبيان الخاطرين ولكنى تداركت نفسي سـريعا بعد ان خرجت هذه الكلمة من في . ويستمر بقوله : ان تأثير ذلك كان باديا على أوجه الجميع ، وكانوا يرمقونني بنظرات حادة ، ولكن لحسن الظن انه كان محبوباً لدى اليزيدية ولذلك سامحوه على تلك الهفوة ، إذ انهم يستاؤون جداً اذا استعمل أحد هـذا الحرف ، حتى انهم غالباً ما يقتلون مستعمليه تعمداً .

وحينما يريدون ان ينطقوا بكلمة (الشيطان) يقولونها بكل احترام (طاؤوس ملك) أو (الملك القادر) ورمزهم الديني له (طاؤوس ملك) وهو بطة محفوظـة لديهم بكـل احترام . ويقال ان (الشيطان) هو رئيس الملائكة وانه مزود بسبعة ملائكة يستوزرهم ولهم نفوذ على الأرض ، وهؤلاء هم : جبرائيل ، مكائيل ، رفائيل ، عزرائيل (عزازيل)، دبرائيل ، اسرافيل ، شمكيل . والمسيح ايضا لديهم في عداد الملائكة ، ولو انه ليس من هؤلاء السبعة . ويعترف بأنه تزيا بزي رجل وهم فى حضور الاسلام ولا يعتقدون بصلبه بل يصرحون بانه صعد الى السماء قبل الصلب . والبعض يقولون بان الملك جبرائيل أخذ محل اليسوع على الصلب . وآخرون يقولون بان « جودة » (؟) كان الضحية الحقيقية وهم ينتظرون قدوم المسيح وظهور الإمام وهذا الاعتقاد الأخير هو معتقد الاسلام .

وإمامهم (الشيخ عدي) المظنون انه عاش قبل محمد بعدة سنين ، ولا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل . وهم يقدسون الشمس ويقبلون الشيء الذي تسقط عليه أول أشعتها . وللنار ايضاً علاقة بعبادتهم ، وتلاميذهم دائما يمررون ايديهم خلال اللهب ، ثم يقبلونها ويمسحون وجوههم بها .

ولديهم اربع طبقات دينية وهى وراثية وتشتمل على البيرة والشيوخ والقوالين والفقراء(١)

---

١) لم تكن صفة الفقر وراثية ويحق لـكل يزيدى ان يكتسب هذه الصفة اذا نذر نفسه لحياة الزهد والفقر .

(١) البيرة : وهي كلمة مأخوذة من الفارسية ومعناها الرجل المعمر وهي تأتي بالاحترام بعد شيخهم الكبير او رئيس مذهبهم . ويعتقد بان لهؤلاء القوة بشفاعة مريديهم ولديهم القوة ايضا باشفاء المرضى والمجانين ، ويظن بأنهم يقودون الى حياة الطهر ولذلك يحترمهم الشعب كثيراً .

(٢) الشيوخ : ويأتون بعد البيرة فى المرتبة الدينية ويرجح بأنهم يعرفون من العربية قليلا لأن مصلحتهم تقضي كتابة تراتيل تنشد في المراسم الدينية ، وهم يحرسون قبر الشيخ عدي ويأتون بالوقود لحفظ النار المقدسة والمؤونة للذين يسكنون مرقد الشيخ عدي(١)

(٣) وهذه الدرجة ربما كانت اكثر الدرجات فعالية وهؤلاء يعرفون بالقوالين او الوعاظ ، وواجبهم التجول من قرية الى اخرى لتعليم المبادىء اليزيدية وكلهم موسيقاريون ويتعلمون هذا الفن منذ صغرهم وهم يعزفون على الدف والمزمار ، وكلتا هاتين الآلتين مقدسة لديهم وقد يقبلونها ويمررونها على الجمهور ليقبلها ايضا ، ويلبسون لباساً أبيض وعباءة سوداء بينما الشيوخ لا يلبسون إلا الأبيض . وهم رجال وقورون بلحى طويلة ويشتغلون كسفراء للشيوخ(٢) فيذهبون سنويا لجمع النذور والصدقات . وشعارهم الديني « صولجان » (٣) علامته بطة معدنية ، ويفاخرون بانه ليس فى مقدور أعدائهم اغتصاب هذا الشعار من أيديهم ، ويذكرون انه في حادثة حدثت لأحد القوالين وقد طارده العرب فى الصحراء ، وبينما هو فى مثل هذه الحالة ، وقف ثم ترجل وأخفى حقيبته التي كان فيها الرمز الدينى في الارض ، ثم وجد طريقه وهرب . وبعد مضي ستة اشهر تمكن من إرجاع تلك الحقيبة وذلك بمسيره ليلا الى الصحراء .

---

١) يعد الشيوخ بالدرجة الاولى في المراتب الدينية بصفتهم يرجعون بسلالاتهم الى البيت العدوي ، والبيرة يأتون بالدرجة الثانية ولا يشترط ان يعرفوا العربية وترتيل الاناشيد الدينية من اختصاص القوالين. وحراسة قبر الشيخ عدي تعود الى الفقراء والكواجك . وقطع الاحطاب ونقلها من اختصاص الكواجك ويعد اليزيدية النار عنصراً مقدساً ولكن لم يكن عندهم نار يحتفظون بها .

٢) والصحيح انهم ينوبون عن الامير فى جمع النذور والصدقات عندما يطوفون بالسنجق بين الملة في مختلف الانحاء ويجوز ان يقوم بهذه الوظيفة غير القوالين .

٣) ما اشد ولع الغربيين بجعل هكذا صولجان شعاراً لرؤساء هذا الدين والحقيقة انهم لا يعرفونه ولا يستعملونه .

والآن لماذا يضع اليزيدية هذه القيمة الكبيرة في هذا الشعار ؟ الحل الممكن له قدمه لي الدكتور القديس « كابرتسدال » الذي ذكرني بتقليد اسلامى قديم بان (الطاؤوس) هو الذي سمح للشيطان بدخول الجنة ، وهذا يقوي الظن القائل بان اليزيدية يعبـدون إله الشر حقيقة .

وآخر طبقة من رجال الدين يدعون (بالفقراء) وهؤلاء يلبسون خرقة خشنة سوداء أو سمراء قاتمة تصل حتى الركبة . ويقضي منصبهم عمل كل الاعمال الواطئة المرتبطة بمرقد الشيخ عدي من كنس البنايات وتنظيفها وترتيبها وايقاد المشاعل المقدسة (١) وهذه المشاعل يقدمها الحجاج الذين يزورون الضريح وقت الخطر او المرض ويتبرعون سنويا بما يلزم لهذه المشاعل (٢) وبما يقومون بأودهؤلاء الفقراء وتوقدهذه المشاعل بمدغروب كل شمس فتعطي منظر مجموعة من النجوم متألقة فى سفح الجبل ، اذ ليست هذه المشاعل توقد في الحرم وفي الصحن فقط بل هي منتشرة على الصخور وفى الزوايا المظلمة من الغابة وبينما يذهب الفقير من مشعل لآخر لايقاده يمرر الرجال والنساء أيديهم خلال اللهب ثم يمسحون بها وجوههم وجباهم . واذا كان لديهم اولاداً يفعلون بهم كذلك ايضا . وهذا يذكرنا بالفرس القدماء الذين يتشابهون معهم فى كثير من الوجوه... » الى آخر ما أوردته من الاخبار المعروفة والمتواترة عن هذه الطائفة معرضين صفحاً عن ايراد البقية منها ، اذ فيما اقتبسناه دلالة كافية لفهم الروح التي أوحت لهذه الكاتبة ما خطه يراعها ، وهي الروح الغربية التي تتحسس دائما بحس الكيد والعدوان عن الشرق والاسلام دون مراعاة لحقيقة او انتصار لحق .

* * *

ذكرت ان اليزيدية اكثر ميلهم الى الانكليز وذلك لأن الممثل الانكليزي في الموصل كان قد ساعدهم ماديا قبل عدة سنين ، وتوسعت في الكلام عن ذلك وأوردت قصة

١) ان تنظيف المرقد من الاوساخ هو من وظائف الكواجك . وفي ايام الزيارات يقوم بهذه الوظيفة التازيون اهل قرية بعشيقة وبحزاني .

٢) ويقبلون تبرع المسلم ، وكم من مرة تبرعت بكمية من دهن الزيت لمرقد الشيخ عدي وقبلوه مني بمزيد الارتياح .

انقاذ مستر رسام الذي كان معاوناً للقنصل الانكليزي في الموصل ، اليزيدي الذي وضعه الشيخ ناصر بدلا عنه في السجن عندما قبض (الباشا) السابق عليه حيث كان عمله هذا داعياً الى تقوية العلاقات بين اليزيدية والانكليز ذلك الحين .

والانكليز كانوا في الحقيقة يتصنعون العطف على اليزيدية منذ زمن بعيد ،وقد احتج سفيرهم لدى الباب العالي على المجازر التي كان ولاة الموصل وبغداد يوقعونها في جبل سنجار ، إلا ان هذا الاحتجاج كان المراد منه فتح باب للتدخل في سياسة الدولة عندما يلمسون ضعفاً منها وليس حباً بسواد عيون اليزيدية . وكانوا يظهرون مثل هذا العطف على دروز حوران ، والطياريين النصارى ، والأرمن ، ويدعون حمايتهم لهم ..

أما قضية انقاذ المستر رسام اليزيدي الذي وضعه الشيخ ناصر بدلا عنه في السجون ففيها نظر ، والشيخ ناصر لم يكن رجلا عادياً حتى يخفى أمره على (الباشا) الذي قبض عليه ، فينجو من السجن ويضع يزيدياً آخر بمحله ، واذا خفي عليه أمره فلم يكن ليخفى على رجال حاشيته وموظفيه .

وفي تاريخ الموصل نقلا عن (لايارد) ما يوضح حقيقة أمر الشيخ ناصر والقبض عليه وسجنه ، فقد جاء فيه :

« ثم حمل عليهم (اي يزيدية سنجار) كريدلي محمد باشا ١٨٤٥ (١٢٦١هـ) فأفحش فيهم قتلا والقى القبض على زعيمهم الشيخ ناصر ولم يطلقه حتى شفع به المستر رسام وكيل الدولة البريطانية في الموصل فاطلق سراحه على شرط ان يفديه اليزيدية ، ففدوه بمبلغ من المال » .

والمسلمون لم يكونوا على ضد مع اليزيدية ، كما إدعته الكاتبة الموهوبة وهم يحملون لهم مودة ورحمة ويعدونهم اخواناً لهم فيما مضى بالدين ويتمنون خروجهم من عزلتهم ليكونوا عضواً نافعاً في المجتمع ، وما تلك الاختلافات التي دامت لهم معهم دهراً طويلا إلا نتيجة لسوء الادارة التي كانت تتبعها معهم الحكومة . إذ هي التي كانت تحث العلماء على اصدار الفتاوي بعدهم كفاراً لتبرر أعمال العنف والقسوة التي تجريها بحقهم ، وهي التي كانت تحرض العشائر والقبائل المسلمة على قتالهم عندما كان يعجزها أمرهم . أما وقد

زال ظل تلك الحكومة من ربوع هذه البلاد وكف العلماء عن اصدار فتاويهم وانصرف المسلمون عن قتالهم ، زالت تلك العداوة من القلوب ووثق اليزيدي بصحبة المسلم واطمأن اليه وعاشره معاشرة ود وأخاء ، وركن اليه وقد قابله المسلم بعين هذه الروح وعطف عليه وواساه في محنته .

ونشك في صحة الرواية التي نقلها عن (لايارد) عندما رأى صبياً يتسلق شجرة وكان في خطر وجريان الكلمة الممنوعة على لسانه . إذ على فرض ان لايارد كان يحسن العربية فاليزيدية لا يعرفونها ويتكلمون بها ولايارد نفسه لا يعرف الكردية . واليزيدي يستاء من المسلم والنصراني اذا لفظ الكلمة الممنوعة أمامه قصداً وتعمداً ، اما اذا جرت على لسانه عفواً فلا عتب عليه ، ولم نقف على يزيدي قتل مسلماً لهذا الغرض .

واذا لم تكن السيدة قد حرفت هذا الخبر عندما نقلته عن لايارد كما حرفته في قصة وضع الشيخ ناصر يزيديا بدلا عنه في السجن ، فيجوز ان لايارد اصطنعه من نفسه .

وقد أخطأت في قولها :« والمسيح ايضاً لديهم في عداد الملائكة ولو انه ليس من هؤلاء السبعة - اي الملائكة السبعة المزود بهم طاؤوس ملك » .

وهي أكثر جرأة من الكتاب الغربيين الذين بحثوا عن ايجاد علاقة لليزيدية بالنصرانية وواحد منهم لم يجد في نفسه شجاعة لهذا التصريح . فمن أين عرف اليزيدية المسيح وما هي علاقتهم به حتى يدخلوه في عداد ملائكتهم ؟ ولماذا لم نجد منهم من يدور ذكره على لسانه ؟ واذا كانوا يعدونه من ملائكتهم فلماذا لم يقيموا له تمثالا كبقية أعزتهم ويقيم القوالون له حفلات يرتلون الأناشيد باسمه ؟ أليس هو من ملائكتهم ؟

أما ان اليزيدية لا يعتقدون في حضور الاسلام بصلب المسيح بل يصرحون بأنه صعد الى السماء قبل ان يصلب فليس هنالك سبب يحملهم على كتم هذه العقيدة عن المسلم حتى ولو كانوا يعتقدون بها صدقا ، وهم لا يهمهم أصلب المسيح ، أم صعد الى السماء قبل ان يصلب ولا يفكرون به . وما قالته عن انتظارهم قدوم المسيح كما ينتظر المسلمون (الشيعة) قدوم الامام المنتظر فهو ادعى الى الاشفاق عليها من السخرية وربما الى الحالتين معاً . ومتي عرف اليزيدية المسيح وما هي علاقتهم به حتى ينتظروا قدومه ؟

والصحيح أنهم ينتظرون قدوم « يزيد » ليعيد اليهم مجدهم الغابر ويخلصهم من الذل والهوان الذي حل بهم . وقد سرت اليهم هذه العقيدة من الشيعة الذين ينتظرون قدوم الامام المنتظر ، والشيعة أخذوا هـذه العقيدة من اليهود فانهم ينتظرون ظهور المسيح ليجمع شملهم من شتات الأرض ويعيد اليهم مجـدهم . والمسيح الذي ينتظرونه هو ليس السيد المسيح الذي يؤمن به النصارى بل ملك جبار كأحد ملوكهم الأقدمين .

تقول :« وإمامهم يسمى (الشيخ عدي) المظنون انه عاش قبل النبي بعدة سنين ولا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل » . وهذا الخبر أخذته من برسي بادجر الذي أراد ان ينفي صلة اليزيدية بالاسلام بقوله « واننا واثقون من انشيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد » فكأنه لم يكفها ما في كلام بادجر من مسخ وتشويه زادته من عندهـا مسخاً وتشويهاً وجعلت حتى تاريخ الشيخ عدي مجهولا ولا يعرف منه إلا الشيء القليل ، وما أدري ألكونها إمرأة أم لأنها جاءت متأخرة بنحو عصر عن زمن بادجر كانت اكثر جرأة واقداماً على قلب الحقائق فبينما يكتفي بادجر بأصعاد شيوخ هذه الطائفة - دون تسمية - الى ما قبل النبي بزمن بعيد نجدها تصعد (بالشيخ عدي) الى ما قبل النبي بعدة سنين وتضيف اليه بأنه لا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل ، والكتاب الغربيين يبيحون لأنفسهم في بحثهم عن تاريخ الشرق ورجالات الشرق كل قول باطل لاسيما اذا كان البحث له صلة بالديانة الاسلامية ولا يجدون في عملهم ما يعابون عليه ، ودعوى أصعاد الشيخ عدي الى ما قبل النبي أشبه بدعوى أصعاد ماريوس ونسطوريوس عند النصارى الى ما قبل المسيح بزمن بعيد او بعدة سنين مع وجود الفارق في هذا المثال .

أما حادثة مطاردة العرب أحد القوالين في الصحراء وهربه منهم بعد ان أخفى حقيبته التي كان فيها الرمز الديني (الطاؤوس) في الأرض ، واسترجاعه له بعد ستة أشهر بمسيره ليلا الى الصحراء لا أصل لها ، وقد كذبها عليها القوال الذي أراد ان يجعل نفسه بطل هذه الحادثة واعتقدت بها ، والرمز الديني - وهو السنجق او التمثال الذي يرمزون به عن طاؤوس ملك - ليس هو ملكا للقوال حتى يتصرف به كما يشاء ويتركه في الصحراء ويذهب ويأتي به أنى شاء ، بل يعود الى الملة بأسرها والملة تحافظ عليه

بأرواحها ودمائها ، واذا أرادوا ان يذهبوا به الى جهة ما يباركونه أولا بالماء المقدس في مرقد الشيخ عدي ويسيرون به تحت حراسة قوية من قبل أحد رؤساء العشائر الى ان يبلغوه مأمنه . وبعد ان يقضوا مهمتهم يعودون به بنفس الطريقة ويضعونه في المحل المخصص له في دار الأمير ويسمونه (خانه طاؤوس) وعيون الحرس ترصده .

وخلاصة ما نقوله ان هذه السيدة الفاضلة وقفت خلال مدة وجيزة قضتها بين هؤلاء القوم على أشياء مهمة عنهم واطلعت على معتقداتهم وطرق دياناتهم ودرست ما قاله الغير من الكتاب الأجانب عنهم إلا ان الذي أفسد عليها ، رغبتها فى خلق دعاية لقومها الانكليز بايجاد علاقة قديمة بينهم وبين اليزيديين وانهم كانوا يظهرون عطفاً عليهم ، ثم التدليل على عدم وجود صلة لليزيديين مع الاسلام وان دياناتهم ترجع الى ما قبل الاسلام حاذية بذلك حذو غيرها من الكتاب الأجنبيين حيث أساءت الى حقائق تاريخية كان عليها ان لا تتحداها .

﴿ تاريخ (ام العبر) للشيخ عبد السلام المارديني (مفتي ماردين) ﴾
﴿ الشوبي المعروف بابن المهدوب من علماء ﴾
(القرن الثالث عشر الهجري)

عرف السيد عباس العزاوي فى كتابه (تاريخ اليزيدية وأصل نحلتهم) ص ٧٩ تاريخ أم العبر بانه تاريخ عام يبحث عن الأنبياء والأئمة والمجتهدين ، والملوك الماضين وشتى الملوك ، وآل جنكيز ، وفيه نبذة عن أحوال تيمور ، وآل سلجوق ، وآل بويه ، والدولة الصفارية ، والدولة الفاطمية، والغزنوية ، وآل عثمان ، والأرتقية، والقره قوينلية، والآغ قوينلية ، وعن خروج الشاه اسماعيل ، وحكام ماردين ، وهو خاتمة الكتاب كما يستفاد من فهرسته . وفى خلال سطوره بحث عن ولاة بغداد ، وقال فى آخره : « وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب يوم الأربعاء غرة شعبان سنة ١٢٥٨هـ » وفى الكتاب بيان عن قبائل ماردين وفى هذا الفصل تكلم عن الأكراد وأوضح عن اليزيدية ونقل

عنه ما يتعلق باليزيدية ما نصه :

« وأكثر الأكراد من أهل السنة والجماعة .. ومنهم طائفة تعرف باليزيدية ظهروا في الشام في زمن بني أمية كالخالدية ، والدنبلية ، والمحمودية ، والطاسنية ، واليسافية ، والكشاغية ويعرفون الآن بالموسسان ، والشرقيان ، والسنجارية ونحوهم ثم عادوا الى بلادهم وأظهروا مذهبهم . ويعدون انفسهم من مردة الشيخ عدي بن مسافر وهو من سلسلة الخلفاء المروانية .. » .

نقول : وهذا نسخة طبق الأصل لما ذكره البدليسي في كتابه الشرفنامه ، إلا ان الاستاذ صاحب تاريخ أم العبر زاد من عنده اربعة قبائل اخرى غير التي ذكرها البدليسي وهم الأخيرين ، ونعده له مهارة فائقة . ولم نعلم كيف ثبتت له ظهور هذه القبائل الثمانية في الشام على زمن بني أمية وعرفوا باليزيدية ؟ وكيف تحقق عنده انهم بعد ان عادوا الى بلادهم أظهروا مذهبهم ؟ وما هي المآخذ التي استند عليها ؟ وهل لديه مستمسك غير تاريخ البدليسي الذي مسخ ما نقله عنه ؟ على انه لو عرف غير هذه القبائل الثمانية لضمها اليها وادعى كذلك انها ظهرت في الشام على زمن بني أمية وعادت الى بلادها وأظهرت مذهبها .

ولكن كم هي الحقيقة مظلومة وليس من يرحمها ؟!

ان الابحاث التي قام بها المفتي الشوبي عن النحلة اليزيدية لا تدل على انه عالماً حصيفاً مدققاً يستقصي الأخبار ويضعها بعيدة عن النقد والمؤاخذة ، بل عالم تقليدي لا يعنيه البحث ولا يلزم نفسه به . فانه بعد ان ذكر : « انهم ينكرون الكتب السماوية ويبغضون علماء الظاهر وكتبهم ، ولهم كتاب يسمى بالجلو (وصحيحه الجلوة) ويزعمون انه من مؤلفات الشيخ عدي ، وهو بريء منه ، وقد أحل لهم فيه الخمر والزنا اذا كان عن تراض ، وحرم عليهم الصوم والصلاة ، وان الواجب طهارة القلب لا غير ، ويحرمون الحج ، ويمكنون شيوخهم من ازواجهم لأن يرزقهم اولاداً ، ويستحلون ذلك ، ويفتخرون به ، ويصفون الله بالأكل والشرب والنوم وغيرها » قال : « ومذهبهم يشبه الحلولية ويحبون النصارى ويستحسنون بعض عقائدهم ويظهرون الاسلام » .

وهذا ما أخذه من الأفواه ونقله عن فتوى الشيخ عبد الله الربتكي وهو المأخذ الوحيد الذى اعتمد عليه ولم يقم بالبحث والتحقيق عن واحدة من هذه المسائل ليتأكد صحتها . أما الشيخ الربتكي في كلامه عن حب اليزيدية للنصارى واستحسانهم بعض عقائدهم يقول: «والظاهر ان مذهبهم على ما استقرأت وتفحصت يؤول الى الحلول ويوالون النصارى ويستصوبون بعض عقائدهم » ونحن لا نجادل في ان مذهبهم يؤول الى الحلول وهو من أساسات دينهم قبل ان اتصلوا بالاسلام، وأما موالاتهم النصارى واستصوابهم بعض عقائدهم فالربتكي غير مصيب فيه . والفحص والاستقراء يكون بالملازمة الدائمية والاتصال الوثيق وهذا لم يتيسر له وقد عاش منقطعاً فى بيته وكان بيته مدرسته . واليزيدية قد لزموا العزلة فى مواطنهم ولم يتقربوا من أحد أصلا . وقد ثبت ان كثيراً من المسلمين من أهل الحاظرة لم يكونوا قد شاهدوا يزيدياً في ذلك العصر ، إذن كيف كان الفحص والاستقراء الذى إدعاه الربتكى لنفسه؟ فاذا كان من طريق السماع وما أخبرت به الكتب فقد إدعى به آخرون غيره ولم يصيبوا .

ومما قاله : « أنهم ينطقون بالشهادتين وذلك جائز عندهم لدفع الشر » فقد أخذه كذلك من الشيخ الربتكي ، فقد جاء في فتواه « أنهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقية لمذهبهم » واليزيدية قطعوا علاقتهم من الاسلام ولم يصلوا ويلفظوا الشهادتين منذ كتب الربتكى فتواه بنحو عصرين ، فمن أين أتى بهذا الخبر؟ ثم يأتي العلامة المفتي الشوبي بعد مائة عام ويأخذه منه ويرويه ؟ وعلى فرض أنهم كانوا فى العصر الذى كان فيه الربتكي يصلون ويلفظون الشهادتين لدفع الشر ، فأي شر دفع عملهم هذا عنهم وكانت تراق دماءهم وتنهب أموالهم وتسبي نساءهم دون حساب ؟

قال : « واليزيدية على أربع فرق . منهم : من يفضل الشيخ عدياً على يزيد . ومنهم بالعكس . ومنهم من يزعم أن الشيخ عدياً هو الله تعالى . ومنهم من يدعي أنه نبي وأنه أفضل من الأنبياء » ثم ألحق بهم فرقة خامسة وقال : «ومنهم من يزعم أنه بمنزلة الوزير عنده ، لا يصنع الله شيئاً إلا بمشورته ويسمونه الشيخ هادي » .

واليك ما جاء في فتوى الشيخ الربتكي :« ثم اني سمعت غير واحد ممن استكشف

مضمرات صدورهم الخبيثة يقولون أنهم ثلاث فرق : (إحداها) غلاتهم الذين قالوا أن عدياً ابن مسافر هو الله . و (ثانيها) الذين يقولون أنه ساهم الله في ألوهيته فحكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيده . و (ثالثها) هم الذين يقولون أنه ليس الله ، وليس شريكا له ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير لا يصدر من الله أمر من الأمـور إلا برأيه ومشورته » .

وترى ان المفتي الشوبي زاد من عنده فرقتين أخريين وهو اكثر من الربتكي براعـة واليزيدية ليس فيهم هذا الانقسام ولا يعرفونه حتى في الأعصر التي سبقت «الشوبي» و « الربتكي » وكل ما لديهم تشكيلات طرائقية يرجعونها الى شيوخهم يراد بهـا جعل الطبقة التي يسمونها بالمريدين ، وهم سواد الشعب ، تابعـة لشيخ يضمن لها النجاة من الأرزاء التي تصيبها لقاء أعطيات يفرضونها عليهم ، وهم جميعاً يعملون بعقيدة واحدة ولا فرق بينهم . وينقسم يزيدية سنجار الى قسمين رئيسيين وهما «الجوانا» و«الخوركان» وهذا الانقسام قبيلي لا صلة له بالدين .

قال « ويفضلون أبليس على الملائكة حتى ان من ذكره بسوء فهو كافر عندهم . ويفضلون يزيد بن معاوية على سائر الأنبياء ، ويبغضون الحسن والحسين ومن هم من أولاد الأشراف ، ويبغضون أهل العلم ، ويحبون المشائخ والأولياء ومن ينتسب اليهم من الصوفية وأهل الطرق ، ويسجدون لكل مكان شريف » وهذا ايضاً لم يكن نتيجة بحثه واستقرائه بل أخذه من الشيخ الربتكي . وقـد أخطأ في قوله عن بغضهم الحسن والحسين ، ومن هم من أولاد الأشراف ، ويجوز ان قد كان ذلك في عهدهم بالاسـلام وبعد ان دخلوا اليزيدية نسوا الحزبية وتساوى بنظرهم كل من يسمى مسلماً . إلا انهم خصوا آل البيت بالكرامة بصفتهم قرشيون ويكثرون من التسمي باسم الحسن والحسين وعلياً واكثرهم استعمالا لهذه الاسماء الامراء (١) .

قال :« وفي لالش عين تسمى (عين البيض) وهي بمنزلة ماء زمزم » .

---

١) نذكر منهم ثلاثة في الحياة وهم : حسين بك بن ميرزا بك وابنه علي وحسن بك بن حسين بك بن حمزة بك، ومن الاموات : علي بك حسين بك بن علي بك بن حسن بك واربعتهم أمراء وحسن بك بن حسين بك وهو الذي قتله اخوته وعمه في قرية خطارة .

والصحيح « عين البيضاء » وبالكردية تسمى « كاني اسپي » وتفيد عين المعنى .

قال :« ولهم علم في لالش (وصححه الاستاذ العزاوي بعالم) يخرج الى من يحب في كل سنة ومعه شيء من الذهب على صورة العجل ، ويجمع له الأموال ، وكل من لم يكرمه ويسجد له فهو كافر عندهم » .

والخبر فيه من الخلط والخبط ما أبعده عن المعنى المقصود . وأراد الاستاذ العزاوي ان يصححه فزاده تشويشاً وابهاما . ولأجل ان نفهم ما أراده « الشوبي » نرجع الى فتوى الشيخ الربتكي الذى أخذ هذا الخبر عنها فنجده يقول : « ومنهم انهم يسجدون للالش ولكل مكان شريف على زعمهم ، وخصوصا لعلم (سنجق) عدي فانهم يدعون ان من لم يسجد له كافر » والسنجق يطلقونه على التمثال الذى يرمزون به عن الطاؤوس وهي كلمة تركية يراد منها الناحية او الكورة او الصقع فيقال : « سنجق سنجار » و « سنجق حلب » و «سنجق بايزيد ووان» والسناجق بعرفهم سبعة ولكل سنجق طاؤوس خاص . فوهم الشيخ الربتكي وسماه علماً ظنا منه انه يراد به العلم ثم جاء الشوبي ووافقه عليه ، وجعل مكانه لالش ، وأنه لا يخرج إلا لمن يحب في كل سنة ومعه شيء من الذهب على صورة العجل - وان لم يجعل له خوار - وما أدرانا ان لو وقف أحد هواة الاخبار عن هذه النحلة على هذا الخبر لما تلقاه بعين الجد وبحث عنه وعلق عليه وتصدى صاحب رسالة (اليزيدية او عبدة الشيطان) وادعى انه وقف عليه في سياحته ونفحه بشيء من الدراهم ، وسارع « الكرملي » - لو كان حيا - ونشر عنه المقالات تحت عنوان « اكتشافات جديدة حول الاسرار اليزيدية » ؟ .

قال : « والحاصل أنهم لا مال لهم ولا دين ، وهم كافرون بالاتفاق يحل للسلطان ما لهم ودمهم حتى يرجعوا عما فيه من الضلال كما أفتى بذلك محمد البرقعلي وغيره من العلماء ، وهم احدى الفرق الضالة من الاسلام » .

ولنسلم ان اليزيديين لا مال لهم ولا دين وهم كافرون بالاتفاق ويحل مالهم ودمهم للسلطان حتى يرجعوا عما فيه من الضلال ، فكيف جاز للبرقعلي ان يصدر هذه الفتوى ويترك العمل فيها لأهل القبائل والعشائر دون موافقة وعلم من السلطان ؟ والبرقعلي وإن

لم نكن لنعرفه ونعرف العصر الذي كان يعيش فيه ، ودرجة علمه ، وأهليته للافتاء ، وعلاقته بالموضوع ، فهو واحد من العلماء الذين اعتادوا التدخل في شؤون الحياة العامة تحت ستار الدين دون ان يفكر فيما سيكون لفتواه من أثر سيء على حالة المجتمع، وقد وافقه « الشوبي » فى هذا الحكم ولا حاجة تدعوه اليه لمجرد ان يثبت له قدماً فى الافتاء صحيحة كانت أم عرجاء .

﴿ كتاب (اليزيدية قديماً وحديثاً) للدكتور قسطنطين زريق ﴾
احد اساتذة التاريخ الشرقي فى جامعة بيروت الأمريكية

قرأت هذا الكتاب في سحابة يوم لما كان لي من الشغف في الاطلاع عليه. والدكتور زريق لم يأت بشيء من عنده سوى مقدمة مقتضبة صدر بها رسالة نسبها الى «اسماعيل بك جول» أمير اليزيدية فى سنجار (١) وبعض تعليقات عليها . وقد أعطى لهذه الرسالة أهمية عظيمة ، ونظر الى صاحبها نظرة إجلال وإكبار لما اعتقده فيه من السلطة الواسعة في ادارة الشعب اليزيدي ، والى انه من الرجال الأفذاذ الذين لم تنجب هذه الملة مثله. وهذه الدعاية تدلنا على أحد أمرين : إما ان الدكتور أخطأ في معرفة هذا الرجل ، وإما انه عرفه وأراد ان يموه على الغير معرفته ووصفه بهذا الشكل .. والدكتور زريق لم ينشر هذه الرسالة عن حسن نية بعد ان وقف على ما فيها من سقطات شنيعة وعورات مفضوحة.. واذا كان يحمل رغبة في وضع مؤلف عن اليزيدية الذين أصبح البحث عنهم من واجبات الظرف والاناقة فتحت متناوله من المصادر والوثائق ما يغنيه عن هذه الرسالة.

ولكن من هو مؤلف هذه الرسالة ؟ أصحيح ما يدعيه الدكتور زريق انه اسماعيل بك نفسه ؟ واسماعيل بك رجل أمي جاهل لا يفرق بين التين والعجين ويعجز عن الكلام وإفهام المرام ، ام غيره من اصحاب الالمعية واللباقة ، وقد كتبها بهذا الاسلوب الركيك ليوهم الناس بان كاتبها لم يكن غير اسماعيل بك بطل الموقف ؟

---

١) لم يلقبه احد بجول غير الدكتور زريق . والامير الشرعي لليزيدية هو سعيد بك بن علي بك، ويشمل نفوذه جميع اليزيدية الذين تحت الشمس . ولا يجوز تجزأة الامارة حتى يكون اسماعيل بك أميراً على سنجار .

يقول الاستاذ العزاوي في تاريخه اليزيدية وأصل نحلتهم ص ١٦٩ : « وعلى كل حال هذه الرسالة المنشورة باسم اسماعيل بك خرجت من معمل التبشير » ولكن أين هو هذا المعمل ؟ أفي العراق ، أم في بيروت ؟ فاذا قلنا في العراق ، فليس في العراق من يساعد اسماعيل بك على بث هكذا دعايات سخيفة ويرضى لنفسه ان يسب محمداً ودين محمد حباً بلحيته ، وهو منبوذ من جميع الأوساط ولا يحبه أحد ، واذا قلنا في بيروت، فاللهجة التي كتبت بها هذه الرسالة ، والكلمات الدخيلة التي جاءت فيها لا تدل على ان كاتبها سوري . ولذلك فالذي نراه ان الكاتب عراقي يشتغل في معمل التبشير في بيروت تحت إشراف اساتذة ماهرين يعرفون طرق التبشير وأساليبه .

يقول الاستاذ زريق : (ص. ر) : « ثم ما نجده من الموافقة بين اقسام هذا الفصل (الفصل الثاني من الرسالة) وبين ما نشر وترجم عن اليزيدية . فان الشبه بينهما ظاهر للعيان . ويكاد يكون في بعض الأحيان تاماً وحرفياً . فاذا قابلنا هذا الفصل بالفصول التي نشرها براون ، وكابوت ، وجميل ، وجوزيف ، وغيرها من النصوص العربية والسريانية وجدنا كلها تتفق في مواضع كثيرة لفظاً ومعنى ، مما يدل على انها ترجع الى مصدر واحد او مصادر متشابهة .. » ا . ه.

والاستاذ زريق جدير بالشكر على إماطته اللثام عن حقيقة أمر هذه الرسالة اذ هو ايضا يسلم معنا بانه لا يوجد لدى الاستاذ اسماعيل بك مكتبة تحوي مصنفات لهؤلاء الكتاب أو مؤلفات لكتاب آخرين يرجع في تأليف رسالته اليها عدا حصيراً باليةوفراشاً قذراً رثاً وقصعةمكسورة ومنخلاوجراباً فيه شيءمن الدقيق فيروومن دقيق الشعير. واذا كانت هذه المؤلفات توجد ، فتوجد في مكتبة الاستاذ أو في مكتبة الجامعة التي هو استاذ فيها وهي تحت متناوله .

اني يا سيدي الدكتور أعرف منك باسماعيلوك (١) ان كان رجلا عبقريا يحمل بين جنبيه روحاً وثابة الى حب الجاه ونيل الزعامة ، وعلي فصولا شائقة في سيرته الرائعة التي تفسر لنا بطولته الفذة ، وفصولا في تاريخ اليزيدية وعقائدهم ويبلغ صدى اعماله آذان

---

١) هذا هو الاسم الذي يعرف به بين اليزيدية وليس اسماعيل بك جول .



في الوسط اسماعيل بك وفي يمينه الخوري هرمز وفي يساره حمو شيرو

الكتبة الاوربيين ويدونون ذكر اعماله ، أوكان جاهلا منحطاً وقد أصبح آلة مسخرة بيد جماعة المبشرين الذين هم محرومون من طهارة الذمة ونقاوة الضمير ..

عرفته يا سيدي في قصر الامارة في « باعذرة » وهو صبي يعيش على فتات مائدة الأمير علي بك الذي تولى تربيته منذ طفولته .. وعرفته لما هرب « بروشى » بنت حسن فقير (١) وذهب بها الى قرية « مامزدينا » والتجأ بطاهر اغا بن عبو مصطو وأردت أن أقبض عليه وأنا اذ ذاك مدير لناحية المزورية فهرب .. وعرفته في مرقد الشيخ عدي

(١) ان تهريب الفتيات عمل قبيح لا يقدم عليه الا المنحطين ، لا سيما اذا كانت للفتاة التي يقع عليها التهريب صلة قرابة مع من يقدم على تهريبها . والامير المزيف لم يكتف بتهريب روشى بنت حسن فقير التي تمت اليه بصلة القرابة ، فقد هرب ابنة عمه عمشة بنت حمزة بك كما اعترف في رسالته .

في عيد الجماعية وكان قد جاء حديثاً من بلاد الروس وقد لبس معطفاً محلى بالقصب وفى رأسه قبع ايراني عليه ريشة طاؤوس . ويحمل قامة محلات بالفضة ومسدساً من نوع (برونيك) وقد أرغمته على مغادرة المرقد لما ظهر لي من انه كان يقصد إثارة فتنة مع الأمير علي بك فى ذلك الجمع الحافل ، وكنت لا أزال مديراً لناحية المزورية .. وعرفته بخاصمته الشديدة مع علي بك ثم مع ولده سعيد بك على الخيرات والصدقات التي تجمع باسم الطاؤوس وهو لم يكن له فيها أقل حق .. وعرفته ايضا باتصاله بالانكليز في سامراء وعرضه الاخلاص لهم ومقابلة الانكليز له بعد أن تم لهم احتلال الموصل بالنفي الى بغداد سنتين ونصف سنة بعد ان ظهرت لهم سوء نواياه.. (١). وعرفته ، نعم وعرفته عندما كان يتردد الى بيروت لزيارة بنته « ونسة » في الكلية الأمريكية ويتصل بكم وبغيركم من رجال الصحافة فيبيع عليكم أسراراً مفضوحة فتأخذونها منه بأثمان غالية وتنشرونها بعد ان تحوروها كما تشاء مصلحتكم ..! أهذا هو الرجل العبقري الذي تعنونه يا حضرة الدكتور ؟

لم يكن ذهاب اسماعيل بك الى حلب فالأناضول فبلاد الروس للقيام باصلاحات دينية بين اليزيديين وجمع شملهم وتوطيد علاقتهم بالحكومة وبالشعوب المجاورة كما ادعيتم ، بل قصد الاستجداء من يزيدية تلك البلاد كما يذهب اليهم الكواجك والقوالون كل سنة، وسيرته التى كتبها ، او كتبتموها له مجموعة اكاذيب لا ظل لخبر واحد منها من الحقيقة وليخجل الانسان عندما يقرؤها لا سيما اذا كان يعرف هذا الرجل، ويعرف ما انطوى عليه من حقارة فى النفس .

ويؤسفني أن تصبح هذه الرسالة يوماً مصدراً من مصادر التاريخ ويستقي منها الكتاب الأجانب الأخبار ويرفعون من قيمة مؤلفها الأمي البارع ويمدونه شيئا ..! وهذا منتهى الخزي والعار ، وأنتم وحدكم مسؤولون عنه وسيسجل عليكم التاريخ تبعة هذه الملفات .

قلنا ان هذه السيرة مجموعة اكاذيب لا ظل لها من الحقيقة أصلا. وبيان هذه الأكاذيب

---

١) را : اليزيدية قديما وحديثا ص ٧١

يحتاج الى مؤلف يستغرق مئات الصفحات ، ولذلك نكتفي باقتطاف فقرات منها وهي تكفينا دلالة لمعرفة الروح التى أملتها عليه ، والغاية التي كان يتوخاها من ورائها :

جاء في صحيفة ٢٣ : « وصباحا جاء أمر الملك الساعة الثالثة عربية ركبنا مع المطران في (پايتون) فاخر ورافقنا ايضا جماعة من أكابر الأرمن بست عربات الى قصر الملك . وقبل دخولنا الدار خرج لاستقبالنا ختن الملك الذي هو ياوره .. وأخذنا الى داخل القصر .. وأدخلونا الى غرفة مربعة ومستطيلة (كذا) مبسوطة بحجر شيح الكهرب ملون من الأصفر والأحمر واللازوردي .. ووسط الغرفة خوان عليه من أنواع الجوهرات والأنتيكات .. وبعد ان جلسنا حضرت الملكة مع خمس بنات وسلمن علينا بهز الأيدي ، وقدمن لنا أولا السيكاير وبعده جاي مع بسكويت . بعد ذلك حضر الملك وكان له من العمر نحو خمس وخمسين سنة وعليه سيف مذهب ورأسه مكشوف . وبعد ان سألنا عن أحوالنا وديانتنا فأجبناه ليس يوجد فرق كبير بيننا وبين المسيحيين وهكذا نحب ان تجعلونا فرقة من المسيحيين (١) فأوقفهم جميعاً ووضع لي كرسياً وأخذ صورتي بينهم أربع مرات، وقال هذه الصور أريد ان أرسلها الى أخي الكبير (نيقولا) في بطرسبرج .. » اه .

وجاء في ص ١٨ : « وأعطى أمراً تلغرافياً في جميع النقط الموجود فيها يزيدية بأن أين ما يروني متوجهاً لازم ان يحترموني بالسلام ويعاملوني معاملة رؤساء الدين ... وهكذا صار أين ما كنت أحضر ويصير خبر عند القومندان (البكباشي) فحالا يطلعون بالسلام مع صف العسكر . وعندما أقترب اليهم كل نفر عسكر يرمى ثلاث طلقات من بندقيته (٢) وهكذا في جميع الأماكن التي كنت أحضر بها .. » اه .

وجاء في عين الصحيفة : « وفي تلك الساعة ٢ من الليل ، أتانا رجل من أشراف اليزيدية وبعد ان قبل يدي طلب مني سؤالا ، وقال لا يصعب عليك اذا ممكن قد حضر القائمقام الذي عزلته وهو بالباب مع أناس أكابر ويريد مواجهتك ويطلب الدخالة لعل

---

١) كان طبيعياً يرجح ان يكون من الاورثودكس الذين ولد ابنه عبد الكريم صباح عيد ميلادهم ولكن لم نعلم هل ان صديقه الدكتور زريق يرضى منه بذلك أم يريد أن يجعله مارونياً على مذهبه ؟

٢) علمنا انهم استعاضوا عن المدافع بالبنادق لانها كانت محتاجة للاصلاح .

بواسطتكم يصير له وظيفة فما قبلنا مواجهته .، » اﻫ .

وجاء في ص ٢٧ : « وجلست في غرفـة الدور أعـني المسافرخانه وأرسلت كارت الى الصدر الأعظم مع ياوره وبجلوسنا بتلك الغرفة كان جملة وزراء وولاة منتظرين مواجهة الصدر الأعظم فجلست معهم وأحضروا لنا جاي ومشروبات وسكاير . وبينما نحن جالسون بتلك الغرفة سألني أحد الجلاس ، وقال من أنت وما هو مذهبك ؟ فأجبته بحمـد الله يزيدي . وقال أنا كنت في وقت الفريق والي بالموصل وأنا والفريق عمر باشا أمرنا ان لا يبقى اسم يزيدي بالعالم . وكان هذا نوري باشا (١) وبعد خمس دقائق أتى الياور وقال الصدر الأعظم يدعوك . ولما دخلت على الصدر الأعظم كنت لابساً قامة مفضضة على صدري . فحالما رآني قام لاستقبالي وأجلسني بجانبه وأمر لي بسيكارة وقهوة وسألني أنت شيخ اليزيدية ؟ أجبته نعم ! فسألني كيف حالكم وحال حكومتكم ؟ أجبته : بخـير وراحة بحمد الله .. » اﻫ .

وفي صحيفة ٢٨ : « ولما دخلت غرفة الرئيس (رئيس مجلس النواب) ما كان حاضراً لكن السكرتير خاصته إحترمني وأكرمني وأمر لي بسيكارة وقهوة وجاي، وقال ان الرئيس الآن بالجلسة ، فالآن تنتهي الجلسة ، فعندما انتهت الجلسة حضر الرئيس فقمت لاستقباله وسلمت عليه.. وهو كان مبعوث أزمير رجل رومي واسمه « ارسليدي باشا »(٢) وقال لي : « لازم تحضر في كل يوم اثنين وخميس تتفرج على المبعوثان وحوادثهـم ، وأعطاني كارت من يده وشرح عليها بأن شيخ اليزيدية يرخص ان يحضر الجلسـات بدون مانع .. » اﻫ

وجاء في صحيفة ٢٩ : « فتوجهت الى بيت شيخ الاسلام نهار الجمعة وواجهته بداره وعندما رآني احتفل بي وأمرني بالجلوس وأمر لي بسيكارة وقهوة .. » اﻫ

وجاء في صحيفة ٣٠ في البحث عن زيارته للشيخ عبد القادر رئيس مجلس الأعيـان

---

١) من أين لهذا الجاهل ان يعلم ان الفريق عمر وهبي كان ماموراً للاصلاحات في العراق قبل تعيـين نوري باشا والياً على الموصل بعشر سنين ، فقد كانت مهمة الفريق في الموصل من سنة ١٣٠٨ الى سنة ١٣٠٩ وولاية نوري باشا من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٠ﻫ

٢) لعله قصد ارستيدي باشا ولكنه جهل انه لم يكن رئيسا لمجلس النواب العثماني.

- وهو الشيخ عبد القادر الكردي - « أشير عليك أبق هنا عندي ، أدخلك سنة واحدة بالمكتب وتعلم قراءة وكتابة قليلا وأنا أخطب لك إبنة أحد الوزراء ، وأحصل لك معاش من الدولة ما أقل من خمسين ليرة شهرياً ، وبعد ذلك نعطيك رتبة وتذهب الى أولئك الجهلاء الكلاب وتعمل ما تشاء . فجاوبته ما أرى موافقاً لسعادتكم ان تنطقوا بكذا كلام مع مثلي ولازم حضرتكم ان تحثوا الناس ان يتمسكوا بديانتهم . فأجاب وكأنه أحس بغلطه : أنا أعمل لطافة معك فلا تتكدر من كلامي (١) .. » اه

على هذا المنوال كان اسماعيل جول اليزيدي يملي سيرته على فرسان مكتب التبشير وهم يسجلونها له . والانسان مهما يكن أحمقاً ومغفلا لا يرضى ان يسجل على نفسه هكذا أكاذيب . ولكنه رضي بذلك بعد ان وضع فرسان المكتب عقله تحت تصرفهم لكثرة ما كانوا يعطونه من المخدر حتى كان يرى نفسه في غرفة مربعة ومستطيلة وقد نظمت فيها المقاعد من حجر الكهرب الأصفر والأحمر واللازوردي فيأتي ملك الروس وزوجته ويصافحونه ويأمر الملك باخراج حرس شرف له أينما ذهب وحل ويضربون البنادق تكريماً له . ثم يرى نفسه في اسطنبول فيزور الصدر الأعظم وشيخ الاسلام ورئيس مجلس النواب والأعيان فيقومون إجلالا وتكريماً له ويجلسونه بجانبهم ويحادثونه ويحادثهم ويقدمون له الجاي والقهوة والسجاير والبسكويت في كل مجلس ، ويكلفه رئيس مجلس الأعيان بتزويجه ببنت أحد الوزراء ، فتأخذه العزة في الدين ويرد عليه فيحس رئيس مجلس الأعيان بخطأه فيأخذ يعتذر منه .

وهنا يضعف فيه مفعول المخدر فيعطيه الفرسان جرعة قوية تجعله يمعن في الهذيان فيقول في ص ٣ و ٤ : « ورأيت نفسي في بيت قسيس .. وأن ذلك القسيس ألبسني قميصاً طويلا على طول بدني والى الأرض ، وكان القميص من الكتان ، وفوق القميص ألبسني لباس الرهبان النصارى ، وتحت قميص الكتان قميص مقصب بالذهب (٣) » .

١) كنت اقرأ هذه الفصول على احد اليزيديين وكان يصغي لي باهتمام. قلت له : ما تقول في اقتراح رئيس مجلس الاعيان العثماني على اسماعيل بك بتزويجه بابنة احد الوزراء . فامتعض كثيراً وقال: حقاً لقد كان بائساً في حياته وفي مماته ، وما جنى عليه غير اسرافه على نفسه . قلت له : كيف كان ذلك ؟ فتقرب مني وهمس باذني : ألم تعلم انه صار قرداً ؟ وهذا ما يعتقده الكثير من اليزيدية فيه .

وفي صحيفة ٣٥ يقول : « وأتى معي أخو (كلي افنديهرمز) و (اسكندر افندي بن يوحنا افندي سفر) الي دائرة القائمقام ووصلنا اليه بالعز وقدم لنا سيكاير وقهوة (كم كنت حقير النفس يا صاحبي وتهتم بالسيكاير والقهوة التي تقدم اليك) ... وان القائمقام كان رجل سوري وكان عنده القاضي .. وسألوني الى اي ملة تميلون أزيد ، ألالأسلام ام النصارى؟ فأجبتهم ان الاسلام أصدقاؤنا ومحبين لنا ، لكن النصارى - ما يتعرضون لديانتنا ولا الى أعراضنا ، ولهذا نميل الى المسيحيين » (١) .

وفي صحيفة ٣٦ يقول :« وكان بالحبس حاجو اغا ، وأغوات أومريان وأغوات ملية والخلجة وخلف أغا من المحلمية . وبهذه الأيام ان يوسف اغا وأحمد اغا آغوات الأومريان كانا يمران أمامي ويسبان دياتي وطاؤوس ملك فمن ضيقتي أنا ايضاً سببت دينهم ، وقلت لا ، هذا جميعه نبيكم عمله .. » اه

وفي صحيفة ٤٦ يقول :« وبقيت عشرين يوم بالحبس وان واحداً من بيت كشمولة اسمه (شوفتلي) وآخر اسمه سيد عبد ، كل وقت يسبون مذهبي وطاؤوس ملك أمامي وغير ذلك من إهانات دياتي ، فلما انحصرت كثيراً أنا ايضا سببت دياتهم وكفرت بجد السادات جميعهم ..» .

وفي صحيفة ٦١ في حلم رآه يقول :« وهناك ايضا رأيت امرأة صدرها مكشوف وثديها اليمين على كتفها الشمال وثديها الشمال على كتفها اليمين وبيدها حجرين وهي تضرب على صدرها وتصرخ بأعلى صوتها . فسألت الذي يضرب الطنبورة من هذه الامرأة ؟ فقال : أما تعرفها ؟ هي والدة محمد ، وهي تضرب على صدرها لأن الاسلامية بادت وانمحت ... فانتبهت وأنا مفكر بهذه الرؤيا ، فقلت بقلبي انشا الله تكون دلائل خير وان تكون هذه الرؤيا حقيقية » .

فهل بعد هذا حاجة لفهم الأسباب التى حدت بالدكتور زريق لاظهار اهتمامه الشديد

١) تفسيره يا كريتي العزيز انك ستصبح باذن الله راهباً كبيراً وستكون لك سلطة دينية واسعة بعد ان حرمك اليزيدية سلطتك التى لا حق لك فيها ، وسيخصص لك راتباً ضخما على حساب معمل التبشير ، وستنال ثروة واسعة حيث تلبس القميص المذهب تحت لباس الكهنوت . وأقسم انك كنت تحلم بهذا في اليقظة فضلا عن النوم ..

بهذه الرسالة وكيله المدح والثناء لصاحبها اليزيدي المأفون وجعله من النوابغ الأفذاذ الذين قلما أتى الدهر بمثلهم ؟ وهو لم يحسن له بقدر ما أساء اليه إذ جعله سخرية بين الناس وكشف عن حطته وضعة نفسه . واسماعيل جول لا يمكن ان يكون خيراً من هذا

ان الدكتور زريق الذي استطاع ان يصرح على لسان صاحب هذه الرسالة ميل اليزيدية الى النصرانية وجعله يذهب بدعواه الى أنه لا كبير فرق بين اليزيدية والمسيحيين ويجب ان يكونوا فرقة منهم ، وجعله يتهجم على الاسلام ويسب ديانتهم ويكفر بجد ساداتهم جميعاً لقد أصبح مطمئناً من نجاحه فى مهمته وأن الأمر بسيط للغاية ولا يحتاجه الى اكثر من نفح هذا اليزيدي قبضة من الدراهم واشباع بطنه ، وهو فوز عظيم لم يكن من نصيب أحد غيره ، ولكن فاته ان هذا اليزيدي قد هزأ به ، وضحك عليه فى سره وعلانيته وهذا هو دأبه مع كل من يتصل به من المسلمين والنصارى ، واسماعيل جول هو يزيدي صميمي قح يتعصب لديانته أكثر من اي يزيدي آخر وما يبيعه من الأخبار لا يعد سراً من الأسرار الدينية اليزيدية المحظور إفشاؤها وكل ما قاله معلوم لدى كل أحد واذا اجتمعت اليوم بأي يزيدي لأباح لك بهذه الأخبار بدون ثمن ولكن مهما أجزلت له بالعطاء لا يبوح لك بأسرار عبادة « سمايي » التي يقيمونها ليالي عيد الجماعية فى المرقد المبارك ، ولا يكشف لك عن أسرار صلاة ليلة القدر ، والأدعية التي يرتلها القوالون فى حفلات المآتم ، وتلقين الميت عند الدفن عليه . وهكذا اسماعيل جول .

* * *

والآن لننظر في الفصل الثاني من هذه الرسالة فى عادات اليزيدية ومعتقداتهم :

ان العادات والتقاليد والمعتقدات التي يتبعها اليزيدية معروفة ، وقد خبط فيها الاستاذ زريق خبط عشواء ، وأضاف اليها اشياء من عنده ، ووجهها توجيهاً سيئاً . من ذلك ما جاء فى صفحة ٩٤ قوله :

« فاليزيديون يأخذون الصوم والتضحية والعماد من النصارى ، والفهم من الاسلام ، وأصول الديانة من الملائكة والأولياء ، وتحليل الخاطيء من الشيوخ والأمراء » وزعم ان هذا الخبط ينطبق على نظرية براون ، وتايوت ، وجميل ، وجوزيف ، ويتفق معها

لفظاً ومعنى ، وعزاه الى البطل اليزيدي ، وعده دليلا على ألمعيته وعبقريته . والقـول بامتزاج عناصر أديان كثيرة فى الديانة اليزيدية قاله آخرون غير الذين ذكرهم، وهو قول خاطيء منشؤه عدم الاحاطة والالمام بمعتقدات هذه الطائفة ، ولو علموا ان قسما من هذه العناصر ـ وبالأخص تحريم المأكولات ـ دخل عليهم بتأثير ظروف خاصة لا علاقة له بالدين ، وقسما ما هو اسلامى صرف ، والبقية أخذوه من المجوسية ديانتهم القديمة ، لما اتبعوا بحقهم هذه الفكرة ، ولما سارع الدكتور الفاضل الى استغلالها وأدخـل على هذه الديانة ـ على لسان اسماعيل جول ـ عناصر جديدة لم يكن احد قد تكلم فيها ، ولم ير للاسلامية ـ التي سبها وسب نبيها على لسان هذا الأرعن ـ نصيبا من هذه المظاهر اكثر من « الفهم » وجعل « الصوم » عنصراً نصرانياً ، والصوم عند اليزيدية إسلامي بجميع مظاهره ، وقد تكلم الباحثون عن صورة جعلهم الصيام ثلاثة ايام بدلا من ثلاثين يوما . و « العماد » الذي يتخذه دعاة النصرانيـة أقوى مستمسك لجعـل صلة لليزيدية بالنصرانية لم يكن عماداً بالمعنى المفهوم لدى النصارى . وقد بينا خطأهم فيه في مواضع كثيرة ولا حاجة الى تكراره ، وقوله : أخذهم أصول الديانة من الملائكة والأولياء « لا يعبر عنه باكثر من هذيان محموم بلغ درجة الاربعين . فاذا كان عندهم أوليـاء وقد أخذوا منهم أصول ديانتهم فأين لقوا الملائـكة وأخذوا منهم ؟ وقوله : أخـذهم السجود من الوثنيين ، فعندما لم يكن للمسيحيين سجود فى صلاتهم ، وبخـل على المسلمين ان يكون هذا السجود أخذ منهم ، قال انهم أخذوه من الوثنيـين ، وما درى ان الوثنيين لم يكن لديهم سجود على الشكل المعتاد فى الصلاة عند المسلمـين . ولو اعلمه اسماعيل جول بان لليزيدية صلاة يقيمونها ليلة القدر فى مرقد الشيخ عدي طبقا لمـا هو جار في الاسلام ، ويصلون ويقرأون القرآن ويكثرون من السجـود ، لما تورط في هذا القول . ولم نعلم القصد من قوله : أخذهم المخالفة من الرافضيين ، ولعله جرى على قلمه عفواً دون تفكير وتأمل . أما أخذهم ذبح الاشخاص من الجاهليين فهو كلام يدعو الى السخرية والاستهزاء معا . فاذا كان ذبح الاشخاص من خصائص الجاهليين فما هم والجاهليون حتى يأخذوا هذه العادة منهم ؟ وقوله : أخذهم عادة تحليل الخاطيء

من الشيوخ والأمراء فهو هراء ، ومتى كان الشيوخ والامراء يحللون الخاطيء وهي عادة نصرانية ، فما منعه ان يقول انهم أخذوها منهم ؟

وقد اختار الاستاذ زريق هذا العناء والتكلف فى ارجاع كل عقيدة وعادة وجدها فى هؤلاء القوم الى احدى الديانات ليدل على عدم وجود صلة لهذا الدين بالاسلامعدا أخذه « الفهم » منه . ولسنا من الغباوةوقلة الفهم بالدرجةالتي نعتقد ان صاحبالنظرية هو اسماعيل جول والاستاذ بعيد عنها ، واسماعيل جول الأمي الغبي لا يصلح ان يكون اكثر من راعي ابقار وليس له من العقل والفهم ما يوصله الى هكذا مباحث..

﴿ الامام الشيخ تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ﴾
﴿ الدمشقي المتوفي عام ٧٢٦ هـ ﴾
﴿ ووصيته الكبرى الى أصحاب الشيخ عدي بن مسافر الأموي ﴾

يعده مؤلفوا الاسلام مجدد القرن السادس الهجري وقد حصر حياته المملوءة بجلائل الأعمال في الرد على المبتدعة وأصحاب النحل والأهواء الضالة من الاسلام . وهو شديد الوطأة على أصحاب الطرق التصوفية والتنديد بهم ، وربما كان يذهب الى تكفير البعض منهم . وفي العصر الذي عاش فيه ظهرت الحركة الانقلابية التي قام بها رجال البيت العدوي فى الموصل في الدين والسياسة ومرت من جانبه حوادث خطيرة عنهم فى الشام وفي مصر ووقف على كل ما يخصهم ويتعلق فيهم . وكان من المتوقع ان يكتب ما يزيح الستار عنحقيقة أمرهم وهو الذي كتب فى كل موضوع ، وبحث عن كل نحلة، وتكلم عن كل عقيدة وأوسعها نقداً وتعريضاً وتجريحاً ، إلا ان ما كتبه عنهم لم يخرج عن كونه مجموعة نصائح أراد به إصلاح ما فسد من عقائدهم وقد رأى عوامل الفساد أخذت تنخر فيهم وتبعدهم شيئاً فشيئاً عن الاسلام ، ولم نجده أظهر فى مؤلفاته الكثيرة تسامحاً مع أهل نحلة بقدر ما أظهره مع اصحاب هـذه النحلة وعطف على آل عـدي القائمين بأمرهم ، وتألم لمصاب الشيخ حسن وقتله على أثر الفتنة التي قامت بينه وبين الحزب الشيعي فى الموصل ، ونعتقد ان لو كان أمرهم مع غير الشيعة لما انتصر لهم ، إلا

انه يمقت الشيعة ويكرههم .

أن مجموعة هذه النصائح التي وجهها الى أصحاب طريقـة الشيخ عدي والتي سماها (بالوصية الكبرى) تفيدنا أشياء كثيرة عن هذه الطائفة ، (منها) : عراقتهم بالاسـلام ، وأن شيخهم «الشيخ عدي بن مسافر الأموي » لم يكن بالرجل الذي يطعن بدينه ويشك في عقيدته ، وقد بقيت طريقته محفوظة ولم يطرأ عليها فساد الى ان ظهر الشيخ حسن . و (منها) ان الفساد الذي دخل عليهم كان تدريجياً وقد بقي العلم موجوداً فيهم بعد ان مضى على الشيخ حسن نحو ثمانين سنة ، وكان لديهـم علماء يقرأون الفقـه والحديث والتفسير ويجادلون في المسائل الاعتقادية ، وهذا يبطل ما يقال أن العلم رفع من بينهم وفرضت عليهم الأمية على عهد الشيخ حسن إلا من أهل بيته . و (منها) نفي الخـبر الذي يدعيه دعاة الشيعة عن عدائهم لأهل البيت العلوي ، وانهم كانوا يحملون لهم كراهية ومقتاً وكانوا يطعنون بعلي وأولاده . و (منها) أن هذا الدين لم يكن قد ظهر بشكله الحاضر حتى القرن التاسع الهجرى وكانت صبغة الاسلام لا تزال باقيـة عليه ، والمظاهر الوثنية التى نجدها فى أصحابه من عبادة إله الشر والسجود للشمس واتخاذهم أرباباً لهم من مشايخهم وعدائهم للاسلام وكفرهم بكل ما هو إسلامي، وإتباعهم(الجلوة) بدلا من (القرآن) جميعها دخلت عليهم بعد ان غربت شمس القرن الثامن الهجرى . ولم نكن مخطئين اذا ادعينا أن التشكيلات الطرائقية التى نجدها فيهم الآن والتى يرجعونها الى مشائخهم من رجال البيت العدوي لم تكن موجودة قبلا وقد ظهرت اخيراً .

أن وصية الامام ابن تيمية رضى الله عنه على جانب كبير من الأهمية ، وهى تبطـل جميع الآراء والنظريات التي أتى بها الكتاب والباحثون عن هذه الديانة وتؤيد لنا بطلان دعوى (برسي بادجر) التي أراد ان يجعل منها ديانة نصرانية صرفة ويقطع ما لهـا من علاقة بالاسلام ، وتسفه رأي الذين يذهبون الى انها مزيج من عناصر أديان مختلفة لفقها لهم شيوخهم ، وبالأخير تدل على خطأ الذين يريدون ان يشوهوا سمعة آل عدي وينكرون عليهم نسبهم ويطعنون بعقيدتهم .

ولم نكن نحن أول من انتبه الى هذه الوصية، فقد انتبه اليها ايضا الأستاذ العزاوى،

والعلامة المرحوم احمد تيمور باشا وغيرهم ممن لم يقعدوا عن إنصاف رجال البيت العدوي وتنزيه طريقتهم . ولكنهم لم يوفوها ما تستحقه من الدراسة، ولو فعلوا لدرأوا الأوهام والشبهات عن رجال هذا البيت وعن طريقتهم .

تشتمل هذه الوصية على خمس وخمسين صحيفة من مجموعة رسائل الامام ابن تيميـة ، وهي السابعة منها عدد فيها وجوه الفساد والزيغ الذى طرأ على هذه الطائفة في عقائدهم وأراد معالجته لا بطريقة الاستدلال العقلي والحجج المنطقية بل بالآية والحديث حيث وجد مفهومها أقرب الى عقولهم وتأثيرها أشد في نفوسهم وهم لا يزالون متمسكين بالاسلام ويرجو إصلاحهم .

فبعد ان أورد آيات كثيرة تدل على بعث النبي الكريم بالهدى ودين الحق ، وان الاسلام الجامع لأقصى الكمالات الانسانية هو أصدق الأديان وأقومهـا ، وينهي عن الفحشاء والمنكر ، والشرك بالله ، ويأمر باجتناب الطاغوت ، واتبـاع ما فرضه الله على عباده من الأعمال الصالحة أخذ (ينهاهم) عن قتل النفس بغير حق، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم بغير الحق ، والكلام فى الدين بغير علم مع ما يدخل فى التوحيد من إخلاص لدين الله ، و (يأمرهم) باتباع الشرائع التي هدى الله بهـا نبيه الكريم وأمته من الصلوات الخمس والركوع والسجود واستقبال القبـلة ، وفرائض الزكوات ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت الحرام ، والحدود التي حددها لهم الشرع والسنن التي سنها لهم الرسول فى أحكام المعاملات والعادات وحبب لهم الايمـان وزينه في قلوبهم ، و (ينهاهم) عن الاختـلاف ويأمرهم بالجماعة والائتلاف عمـلا بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا » وقوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الى غير ذلك من الآيات التي تنهي عن الاختلاف والتفرقة وتحث على الاتفاق والاتحاد (ويدلهم) على ان الفرقة الناجيـة من الاسلام أهل السنة وهم وسط في النحل ، كما ان ملة الاسلام وسط في الملل ، ولم يغـل الاسلام في انبياء الله ورسله وعباده الصالحين كما غلت النصارى فاتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، ولاجفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبيـاء

بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، بل المؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى: « وما كان لبشر ان يؤتيه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد ان أنتم مسلمون » ، (ويوجب) عليهم الاستمتاع بالطيبات التي أحلها لهم دين الاسلام وينهاهم عن تحريم ما أحل الله ، (ويحذرهم) عن توصيف الله بصفات المخلوق الناقصة كاليهود الذين قالوا عن الله هو فقير ونحن اغنياء ، وقالوا يد الله مغلولة ، وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت ، (وينهاهم) عن التفضيل بين صحابة رسول الله (كالغالية) الذين يغالون في علي رضي الله عنه ويفضلونه على أبي بكر وعمر ، ويعتقدون انه الامام المعصوم، وان الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الأمة بعدهم ، وربما يجعلونه نبياً ، او (كالجافية) الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ، ويستبيحون دم علي وعثمان ونحوهما ، ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته (ويحذرهم) عن متابعة الشيطان لأنه أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها حتى مرقوا عن الاسلام كما يمرق السهم من الرمية (ويجنبهم) عن إتباع الظن والهوى الذي هو أصل كل ضلال (وينهاهم) عن الغلو في بعض المشائخ او في كل من يعتقد به الصلاح كعلي وعدي حتى جعلوا فيهم نوعا من الألوهية ويفهمهم ان ذلك شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل (وينهاهم) عن ان يدعوا مع الله إلهاً آخر او يعبدوا القبور ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، او يقولون هم شفعاؤنا عند الله (وينهاهم) عن الاستغاثة بها والسجود عندها والتمسح بالأحجار وتقبيلها (ويدلهم) على ان من أله بشراً ، او دعا ميتاً ، او طلب منه الرزق والهداية والنصر ، وتوكل عليه ، او سجد له يستتاب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه ، ومن فضل أحداً من المشائخ على النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقد انه استغنى عن طاعة رسول الله فيستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه

ومن اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فانه يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه (وينهاهم) عن تضليل غيرهم وتكفيرهم واستحلال عرضهم ودمهم ومالهم وربما يكون الصواب معهم ، او يكونون قد اخطأوا في شيء من الأمور وليس كل من أخطأ يكون كافراً او زنديقاً (ويحذرهم) عن التمييز والتفريق بين الامة والانتساب والتحيز الى أحد دون الآخر ويدعوهم الى التراحم (ويوجب) عليهم الاعتدال والاقتصاد في أمر الصحابة والقرابة رضى الله عنهم وعدم التحيز لأحد (ويفهمهم) ان القرآن كلام منزل غير مخلوق وهو كلام الله لا كلام غيره منه بدأ واليه يعـود ، وان الشكلة والنقطة هما ليستا داخلتين فيه (ويأمرهم) ان لا يكونوا فى باب أسماء الله وآياته وصفاته من أهل التعطيل الذين يلحدون في أسمـاء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حيث يشبهونه بالعدم والموات ، ولا من أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات بل ان يتبعوا أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكـييف وتمثيل .

هذا ملخص ما جاء فى الوصية الكبرى للامام ابن تيمية التي خاطب بها جماعة الامام القدوة العارف الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، ولم يدع نصيحة إلا وأسداها لهـم ، ولا عملا منكراً إلا ونهاهم عنه . وقد وجهها الى جماعة من العلماء من هذه الطائفة لا الى الطغام والرعاع الذين لا يفقهون قولا ولم تؤثر فيهم موعظة او نصيحة . وكـان ذلك بالوقت الذى اشتد الخصام بينهم حول المسائل الاعتقادية وأخذ بعضهم يكـفر بعضاً ، وقامت بينهم فتنة شعواء كادت ان تودى بهم الى الهلاك . ولو ظهرت هذه الفتنة على زمن « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل الذى عرف بمناوأته لهذا الدين لاستغل الموقف وأنزل ضربته المميتة فيهم وقضى عليهم ، ولكن من حسن حظهم ان ظهرت على عهد الملوك الايلخانيين ، والايلخانيون لم يعيروا هكذا اختلافات اهتماماً ، وكـل ما فعلوه ان قبضوا على البعض من اصحاب هذه الفتنة وألقوهم فى السجن .

فما هي التأثيرات التي أحدثتها هذه الوصية في نفوس هؤلاء القوم ؟ وهـل أوجدت

شيئاً من الاصلاح فى عقائدهم ؟ إننا اذا اتبعنا سير الحوادث نرى ان ابن تيمية جـاء بوصيته هذه اليهم متأخراً ، والفساد الذى دخل عليهم في عقائدهم أبعدهم عن قبـول أي اصلاح ولم يكاد ينفع فيهم عذل عاذل او نصح ناصح ولم يدخـل القرن التـاسع الهجرى إلا وتم كل شيء وظهر هذا الدين للوجود ، وأخـذ على ممر الأيام يزداد قوة وانتشـاراً .

لقد بقى هذا الدين فى دور التكوين عصراً ونصف عصر ، وسببه استنكار النفوس منه ومقاومته بشتى الوسائل ، ثم الاختلافات التي ظهرت بين أصحابه ، وقد بقى في مد وجزر وقبول وإنكار ، الى ان تم ظهوره على هذا الشكل وتحققت أماني الشيخ حسن التي ذهب ضحية فى سبيلها ولكن بعد حين. أما وصية ابن تيمية التى نحن بصدد البحث عنها فقد اصبحت وثيقة تاريخية يرجع اليها لمعرفة هذا الدين وظهوره والتطورات التى أصابته في سيره .

﴿ فيما أصدره علماء الاسلام من الفتاوى بحق الطائفة اليزيدية ﴾
(وما تركته من أثر على الحالة الاجتماعية فى هذه البلاد)

لقد أخذت الفتاوى التي أصدرتها جماعة من علماء الاسلام دوراً هاماً خطيراً فى حياة هؤلاء القوم وألقتهم في حروب طاحنة دامت اكثر من ثلاثةعصور وهم يتحملون كل أنواع الألم والعذاب ولم يظهروا يوما استسلاما. ولو سألنا هؤلاء العلماءالأسباب التي دعتهم الى إصدار هذه الفتاوي التى القت هذه البلاد في فوضى واختلال طيلة هذه المدة لأجابونا : هو الدين . وكأن الدين تصدعت جوانبه وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الشرذمة القليلة من زيغ فى عقائدها وأرادوا حفظه من الضياع والتدهور وليس من يغار عليه غيرهم .

إن أول فتوى صدرت بحق هذه الطائفة هي فتوى ابو السعود العمادي (١) (٨٩٦-٩٨٢هـ) الذي أشغل منصب الافتاء ثلاثين سنة على عهد السلطان سليمان القانوني والسلطان سليم الثاني . والفتاوى التي صدرت أخيراً جميعها مأخوذة منها . والمفتي العمادي اذا كان أصدر هذه الفتوى بحكم وظيفته ومنصبه الرسمي ، وبأمر السلطان فبقية العلماء أصدروا فتاويهم نزولا عند رغبة أمير او زعيم ليبرروا أعماله من الناحية الشرعية وهم ليسوا مكلفين باصدارها ، وسنرى ما أحدثته هذه الفتاوى من اضطرابات وقلاقل في حالة البلد وما كان لها من تأثير سيء على المجتمع .

ان المفتي أبا السعود العمادي بصفته اكبر علماء عصره وله شهرته العظيمة فى عالم الافتاء فلا شك ان يكون لفتواه قيمة كبيرة، ومنها يمكننا ان نفهم حالةهذه الطائفةالدينية،ودرجة الانحراف الذي أصابها في عقائدها في أول عصر ظهورها ، إلا انه مع الاسف اصبحت

---

١) اسمه احمد وأبوه مصطفى من اكراد العمادية : ولد فى اسطنبول وسلك طريقة العلم ودرس في امهات المدارس وارتقى منصب الافتاء سنة ٩٥٢هـ وتوفي عن عمر بلغ (٨٧) سنة، وله من التآليف التفسير على القرآن المجيد وحاشية على كتاب البيوع وكتاب الفتاوى المعروف باسمه وحاشية على تفسير سورة الفتح للكشاف واشعار كثيرة فى العربية والفارسية والتركية وله قصيدته الميمية المشهورة ومطلعها :

أبعد سليمي مطلب ومرام ودون ذراهـا موقف ومقـام

ان تكون مفقودة ، وقد بحثنا عنها في كل خزانة وحتى في خزانات اسطنبول العامة بواسطة معارفينا هناك ولم نعثر عليها . وقد دلنا البحث على نسخة لها في مكتبةالمرحوم الحاجي امين بك الجليلي ، ولكننا لم نقطع في كونها هي فتوى العمادي نفسه وان كان كاتبها أشار في أولها الى أنها له ، وذلك لما نجده فيها من أغلاط وأخطاء لا يصح صدورها من عالم جليل مثل العمادي .

فبعد ان صدر الكاتب الفتوى بهذه الكلمة :« وقد أفتى شيخ الاسلام ، ومرجع الخاص والعام ، العالم العلامة ، والحبر الفهامة ابو السعود افندي رحمه الله وأرضاه بحق الطائفة اليزيدية المرتدة لعنهم الله ودمرهم واستأصلهم بأمر السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان » قال : « وهذه صورة الفتوى » :

« ما قول أئمتنا الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، وما جوابهم عن عسكر المسلمين اذا غزوا هؤلاء الطائفة الطاغية وقتلوهم ، او قتل أحد من المسلمين بأيديهم ، هل يكون قاتلهم غازياً ، ومقتولهم شهيداً ؟ أفتونا مأجورين مثابين :

الجواب والله أعلم بالصواب : يكون قاتلهم غازياً ، ومقتولهم شهيداً لأن جهادهم وقتالهم جهاد أكبر ، وشهادة عظمى . وفي هذه الحالة سبب حل قتلهم ، وسبب حل سبي نساءهم وذراريهم ، او السبب بغضهم لحضرة الامامين الهمامين الكاملين التقيين النقيين الشهيدين النسيبين الامام ابي محمد الحسن السبط ، والامام ابي عبدالله الحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وعداوتهم المقتضية لاستحلال قتلهم وقتل أولادهم من أهل بيت النبوة إغاضة لجدهم ارسول عليه الصلوة والسلام ، او السبب في ذلك بغضهم لحضرة قدوة الأولياء مدينة العلم الخليفة الرابع علي المرتضى ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم المقتضى بغضه بغض الله ورسوله ، وتحقير علمه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او لسبب استحلالهم قتل العلماء الفاضلين ، او استحلال قتل المشائخ الكاملين ، وقتل رؤساء الدين المبين ، والاستهزاء بكلام الله المجيد . وبالكتب الشرعية والتفاسير والأحاديث، وإنكار يوم القيمة والحشر والنشر ، وإنكار أركان الدين الخمسة ، او السبب الموجب لقتلهم اعتقادهم في (عدي بن مسافر) الأموي انه الشريك الأغلب

لحضرة رب العزة جل شأنه ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، او السبب محبتهم التامة مع الشيطان اللعين واعتقادهم فيه أنه طاؤوس الملائكة مشافقة لأخبار الله عز وجل ، او السبب في وجوب قتلهم قطع طريق عباد الله وإخافة أبنـاء السبيل بسفك الدماء ونهب الأموال على الدوام بلا انقطاع أخذاً من قوله عز وجل «انمـا جزاءالذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف»الآية، او السبب : إباؤهم عن عقود أنكحتهم من نفسهم وإنما يفوضون عقودهم الى رأي رئيسهم الفاجر ، او السبب في ذلك غير هذه الوجوه المذكورة أفتونا الجواب الصحيح تكونون مأجورين .

الجواب : نعم أسباب حل قتالهم هي جميع الوجوه المذكورة ، وهم أشد كفراً من الكفار الأصليين ، وقتلهم حلال فى المذاهب الأربعة ، وجهادهم أصوب وأثوب من العبادات الدينية ، وتشتيت شملهم ، وتفريق جموعهم ، والمباشرة في قتلهم وقتل رؤسائهم من الواجبات الدينية ، وحكام الوقت والولاة الذين يرخصون في قتلهم ، ويحرضون على قتالهم ويرغبون فى سبيهم شكر الله سعيهم وأعانهم وساعدهم على مقاصدهم وأيدهم عليهم بنصره العزيز . فلهم ان يقتـلوا رجالهم ويستأسروا ذريتهم ونساءهم ويبيعوهم في أسواق المسلمين كأسارى سائر الكفار ، ويحل لهم ايضاً التصرف في أبكارهم وزوجاتهم بعد الاستبراء بملك اليمين على ما عليه الفتوى ، من القول الأقوى . فتحقق حينئذ كفرهم وجـواز لعنهم . فأما امتناع الامام الشافعي رضى الله عنه عن لعن (يزيد) لعنه الله فليس بثابت كرواية عنه ، ولئن سلم ثبوته عنه ، فامتناعه انما كان لأجل عدم كون ذلك اللعين من عبدة الأوثان ، لا لأجل كونه عنده مؤمناً ، لأن بعض الأوليـاء المقربين ، أخذوا عنه الخبر بحسب المعنى من روحه الشريفة ، ومن مرقده العالي . وقد أخـذوا ايضاً في عالم الرؤيا أخباراً صحيحة في تجويز اللعن على يزيد ، وقد قال الامام نعمان بن ثابت ابو حنيفة الكوفي عليه رحمة الوفي فى يزيد : ملعون ، ووقع هذا اللعن منه فى جواب الامام ابي يوسف عليه الرحمة وهذه الطائفة الطاغية ليسوا من الأثنـين وسبعين فرقة من الفرق الاسلامية بل هم مرتدون عن الاسلام خارجون عن الملل كلها لأنهم مرتكبون

في الدوام الفسق والفجور ، ومبيحون الأعمال القبيحة والجور ، ومعتـادون على قطع السبيل على عباد الله وعلى سفك دمائهم وغصب أموالهم ، ومجموعهم من قبيل أولاد الزنا وأيضاً باجماع علماء الامصار كلهم كعلماء اليمن وقرهباغ وعلماء التاتار أفتوا بحل قتلهم ، واسترقاق وسبي نسائهم وذريتهم بالتأكيد البليغ وبينوا ان قاتلهم ينال ثواب الدارين ، وداخلا جنات النعيم حتى مولانا الامام فخرالدين الرازي في أماكن متعددة من تفسيره الكبير أثبت جواز اللعن على يزيد مستدلا على الجواز بدلائل عقلية ونقلية وأثبت حل قتلهم ، وحصول أجر الغزاة لقاتلهم ، وثواب الشهداء لمقتولهم ، وأثبت حل التصرف بملك اليمين في أبكارهم وزوجاتهم وإباحة أسر نسائهم وذراريهم وجواز بيعهم شـرعاً ، وقال ذلك في تفسير بعض السور القرآنية ، وكذلك الامام احمـد ، والامام ابي الليث السمرقندي ومولانا عبدالرحمن الجامي ، أفتوا كلهم بجواز التصرف بهم حتى ان مولانا المذكور كتب في الاباحة المذكورة رسالة فتوى واني رأيتها عيـانا بخطه ، ولاسيما سعدالدين التفتازاني في شرح عقـائده صرح بجواز اللعن على يزيد وعلى أنصاره وأعوانه وكذلك السيدالشريف الجرجاني، وأكثر العلماء صرحوا بجواز اللعن على يزيد وبالتعجيل على قتالهم من غير إمهال وعدوا إمهال قتالهم مذموماً ولاسيما حضرةالشيخ عبدالقادر الجيلي قدس الله سره العزيز فقد قال في وعظه الشريف في بغداد : اسمعوا يا معاشر العلماء والصوفيين ان يزيد بن معاوية ملعون ، وعمله باطل ، وأعوانه ضالون وأنصاره باغون ، يدخلون النار معه بأشياعهم ، قال ذلك على منبره خطيباً مصرحا بتحقيق موته على الكفر وقال : إلا ان أولياء الله وأحبائه ، وصالحي خلقه أعداء هذا اللعين وباغضوه . نقل ذلك القول عنه محققو أصحابه في كتابه المسمى بالوعظي ، حتى قال ان قتال هذه الطائفة الضالة أهم من قتال الكفار الاصليين لسراية اضرارهم للناس حتى يروى عن علي كرم الله وجهه انه لما رجع من قتال الخوارج منصوراً قال يا أيها الناس ان كل من عادى أولادي ، وأهل بيتي الطاهرين وأهانهم فكأنما بغض رسول الله وأهان الخلفاء الكرام وهو عند الله فاجر ملعون، ومن بعد: فكل من كان مؤمناً موحداً لا ينبغي له ان يتردد في إهانتهم وقتالهم واستحلال أطفالهم وأموالهم . والاهانة لهؤلاء

الخذلة إكراما للأنبياء والأولياء والخلفاء وتفريج يلحق بروحي بعدي . إذ قطع فسادات هذه الطائفة عن وجه الأرض من الواجبات الشرعية فلأجل ذلك حررت هذه الفتوى وأثبتها نقلا وشرعاً واجتهاداً وسلمتها بأيدي أهل الجهاد والتقوى حتى تصل اليهم الغيرة على كتاب الله المبين ، وتحصل لهم النخوة على الدين المبين . ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . انتهت .

ان صاحب هذه الفتوى سواء أكان المفتي العمادي نفسه او من انتحل اسمه أوجب هذه الأحكام بحق هذه الطائفة في وقت كانت فيه من رعايا الدولة ، ورعايا الدولة مهما أتوا من الأعمال المخالفة لحكم الشرع والنظام وخرجوا عن الطاعة لا يجوز أسر نسائهم وذراريهم وبيعهم في الاسواق والتصرف في أبكارهم . وهذا يجوز بحق أهل الكفر الذين هم خارجون عن الاسلام ويكونون في حالة حرب مع المسلمين ، ويكون للاسلام قوة وشوكة لا ترهبه قوة أعدائه في الخارج والمفتي العمادي لا يجهل ذلك ، وطالما لا يجهله فبعيد عليه ان ينحط الى إذاعة هكذا أراجيف لا تتفق ومكانته العلمية .

وقد أرجع مؤلف هذه الفتوى هذا الدين الى يزيد بن معاوية الأموي وأتى بأقوال طائفة من العلماء بتجويز لعنه بينما لم يكن ليزيد علاقة بهذا الدين ، ولم يكن هو الذي وضعه ليتحمل تبعته ، وشأنه منه شأن الأئمة العلويين من طوائف الشيعة المغالية الذين وضعوهم بالألوهية وعدوهم لهم آلهة . واذا كان يزيد استحق اللعنة فقد استحقها لأسباب اخرى معلومة .

وجاء فيها ان علماء اليمن وقرهباغ والتتار أفتوا بحل قتلهم واسترقاق نسائهم وذراريهم وان قاتلهم ينال ثواب الدارين . وان الامام احمد (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) والامام أبا الليث السمرقندي (٠٠٠ ـ ٣٧٣ هـ) أباحا التصرف بهم ، وأن الامام فخر الدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) أثبت حل قتلهم ، والتصرف بملك اليمين في أبكارهم وزوجاتهم وإباحة أسر نسائهم وذراريهم .

وهنا يرد احتمالان : إما ان تكون هذه الطائفة عرفت قبل الشيخ عدي او بعده . فان كانت عرفت قبله فلم يثبت لها شرك وعبث بالأنفس والأرواح ، وبتشريك عدي في ذات

الله ، وقطعهم الطريق ، وإخافتهم أبناء السبيل حتى يقرر هؤلاء الأئمة والعلماء هـذه الأحكام بحقهم . واذاكانت عرفت بعده كيف يسوغ لعلماء اليمن وقرهباغ والتتـار والرازي والسمرقندي والامام احمد ان يفتوا بحق من جاء بعدهم . والكلام يدور حول اليزيدية أتباع الشيخ عدي بن مسافر لا حول أعوان يزيد وأتباعه .

ان هذه الفتوى تدلنا على ما وصلت اليه الحالة الشعورية والنفسية من حماس في الاسلام ضد هذه الطائفة في العصر الذى كتبت فيه ، وهى من صنع رجل جاهل أحمق - حاشا ان يكون المفتي العمادي - وقد كان شرها وبيلا وخطرها شديداً على الحياة العامة في المملكة ، إذ تدعو الى ثورة عامة جامحة تهدم هـذا الكيان وتدمره تدمـيراً . وكان الولاة الذين يأتون من عاصمة الملك الى العراق يأتون وهم مزودين بفتوى أبى السعود - أكانت هذه الفتوى بعينها ام غيرها - وقد نقلت الى التركية ليسهل فهمها عليهم . وقد وقفنا على ترجمة لها بالتركية صدرها كاتبها بالعبارة الآتية :

« بغداد قاضيسي عبـد المؤمن افنديك مجموعه سندن حضـور لرنده نقل اولنوب موصل محافظه سنده مأمور اولان سعادتلو وزير مكـرم طيار محمد باشا مجموعه سنه نقل اولندى » .

ومعناها : نقلت من مجموعة قاضي بغداد عبد المؤمن افندى وفى حضوره الى مجموعة صاحب السعادة الوزير المكرم طيار محمد باشا والي الموصل . وطيار باشا هذا كان والياً على الموصل سنة ١٢٦٣ هـ وله حملة مشهورة على سنجار .

***

أما الفتاوى التي وضعت على غرار الفتوى المنسوبة الى المفتي العمادي فكثيرة ، وما منها إلا وترك أثراً سيئاً فى حياة هذه الطائفة . وللشيخ عبد الله الربتكي المعروف بالمـدرس (١٠٦٠ - ١١٥٩ هـ) فتوى كتبها عام ١١٣٧ هـ على جانب من الأهمية ، خالف فيها فتوى العمادي بجعل اليزيدية من أعوان « يزيد » بن معاوية وأنصاره وعـدهم مرتدين وأجرى حكم المرتد بحقهم . والشيخ عبد الله الربتكى هو من قرية ربتكة (بتقديم الباء على التاء) في جبال المزورية وسكن الموصل ودرس وكان عالماً فاضلا فقيهاً ورعاً ونشك

ايضاً في نسبة هذه الفتوى اليه ونرجح ان يكون واضعها غيره وعرفت باسمه .

وقد وجدنا هذه الفتوى في مجموعة تبتدأ بقوله : « واليزيدية هم كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ... » ولكن ظهر لنا أنها جزء من الفتوى المنسوبة الى الشيخ الربتكي والجزء الآخر وجدناه فى كتاب «اليزيدية ومنشأ نحلتهم» لأحمدتيمور باشا ، ذكر أنه لخصه من كتاب (حسن التصرف) لعلاء الدين القنوى فى (شرح التعرف لأهل التصوف) للكلاباذى . والفتوى بكاملها في مجموعة للدكتور داؤد الجلبي وهي تعزى الى الشيخ حسن الشيفكى (١) لا الى الربتكى ، وهذا ما يجعلنا نتردد فى إرجاعها الى الشيخ الربتكي . إلا ان الأستاذ العزاوى نسبها فى كتابه (تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم) اليه وقال أنه وجدها فى (المكتبة السليمانية) فى فروق ، وان نعيم بك آل بابان كان أهداها الى اسماعيل حقي الأزميرى وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي »

أللهم ألهمنا الصواب وفصل الخطاب وجنبنا العي والغي والارتياب، وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . أما بعد فهذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية وحكمهم وحكم الأموال الكائنة بايديهم .

أعلم انهم متفقون فيما بينهم على أباطيل من عقائد وتأويل كلها مما يوجب الكفر العتيد والضلال البعيد .

(فمنها) : انهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون انه كذب، وان مثل هذيانات الشيخ فخر هي المعول عليها والتي يجب التمسك بها . ولذا يعادون علماء الاسلام ويبغضونهم ، بل ان ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل كما وقع غير مرة ، وان وقعت كتب الاسلام بايديهم يلقونها فى القاذورات بل يمزقونها ويتغوطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا سترة عليه .

(ومنها) : إنهم يحلون الزنا اذا جرى بالتراضي . أخبرني من أثق به انه رأى ذلك

١) شيفكي « بالفاء الفارسية » : قرية تقع فى حوضة نهر الكومل قريباً من قرية خنس اهلها اكراد .

مسطوراً في كتاب لهم يسمونه « جلوة » ينسبونه للشيخ عدي (١) .

(ومنها) : انهم يفضلون عدياً على النبي (ص) بمراتب بل يقولون انه لا مناسبة بينهما.

(ومنها) انهم يصفون الله بصفات الأجسام كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها.

(ومنها) انهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله وعدي تشتمل على ذكر تذلل الله ورسوله بين يدي عدي وعلى تحقير شأنهما ، والاستهزاء بهما ، وتضجره من ترددهما اليه ، واستغنائه عن صحبتهما وملاقاتهما وغير ذلك مما يوجب تنزيه شأن الله ورسوله عنه .

(ومنها) : انهم يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك بل يعتقدون به خيراً (٢) .

(ومنها) : انهم يصرحون بان لا فائدة في الصلاة ولا بأس في تركها ، وهي ليست واجبة ، بل الواجب طهارة القلب وصفاؤه .

(ومنها) : انهم يعتقدون ان « لالشاً » أفضل من الكعبة ، وانه لا فائدة في زيارتها لمن يقدر على زيارة لالش .

(ومنها) : انهم يسجدون للالش ولكل مكان شريف بزعمهم ، وخصوصاً لعلم (سنجق) عدي فانهم يدعون أن من لم يسجد له فهو كافر . ومعلوم ان هذا السجود كالسجود للصنم والشمس لا كالسجود للأمراء والعلماء والمشائخ ، فانه يحتمل وجهين دون هذا . وان كان هذا مكابرة ظاهرة .

(ومنها) انهم يعتقدون ان عدياً يجعل امته في طبق يوم القيامة ويحمله على رأسه ويذهب به الى الجنة رغم الله والملائكة .

---

١ و ٢) لم يكن الذى أخبر الشيخ بانه رأى هذا الخبر مسطوراً في كتابهم « الجلوة » صادقا. والجلوة ليس فيه ما يجيز لهم هذا العمل . وان كان كثيراً من المؤرخين أيدوا عملهم به. من ذلك المقريزى المتوفي عام ٨٤٦هـ فانه ذكر في كتابه « سير الملوك » في البحث عن ذرية حسن البواب خادم الشيخ عدي من انهم يبالغون فى اكرام ذرية « الشيخ عدي » بدرجة انهم يقدمون بناتهم الى من قدم عليهم ، فيخلو بهن ويقضي الوطر ، ويرى أبوها وأمها أن في ذلك قربة من القرب التى يتقرب بها الى الله تعالى . وهذا افتراء محض ولا صحة له . واليزيدي اذا طاوعته نفسه ورضي بتمكين أحد الروحيين من زوجته او ابنته ، فحال علي احد الروحيين ان يضع لذته الجنسية فيمن يعده غاية في الرجس ، وهو لديه كفر ليس اعظم منه .

فهذه هي بعض أقوالهم الفضيحة وأعمالهم القبيحة وقد تواترت عنـدي ممن خالطهم واستخبر أحوالهم .

ثم اني سمعت غير واحد ممن استكشف مضمرات صدورهم الخبيثة يقولون انهم ثلاث فرق :

احداها : غلاتهم الذين قالوا أن عدياً هو الله نفسه .

وثانيها : الذين يقولون انه ساهم الله في الألوهية ، فحكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيـده .

وثالثها : هم الذين يقولون ليس هو الله ، وليس هو شريكا له ، ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير ، لا يصدر من الله أمر من الأمور إلا برأيه . فكلهم متفقون على الكفر الشديد والضلال البعيد .

والظاهر أن مذهبهم ـ على ما استقرأت وفحصت ـ يؤول الى الحلول ، ولذلك يوالون النصارى ويستصوبون بعض اعتقاداتهم ، ولا خفاء في ان هذه المذكورات جميعها ، مما تستوجب أشنع الكفر وأقبحه . فهم اذن كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسب الى أصل المذهب فانه نقل عن كتاب (المتفق والمختلف) ان الظـاهر من مذهب مالك انه اذا ظهر احكام الكفر في بلد تصير دار حرب وهو مذهب الشافعي وأحمد (ر.ع) واتفقوا على انه تغنم اموالهم .

وفي الصغير عن أبي حنيفة أن البطن الأول مرتدون، والبطن الثاني إما كفار أصليون وإما مرتدون بارتداد آبائهم الأولين وبقوا على ذلك قرنا بعد قرن . ومن لم يكفرهم إلا لجهله بحالهم فمعذور : وشفاء العي السؤال ، وإما لعدم التمييز بين اسباب الكفر والايمان او لخوفه منهم ، أو لطمع بما في أيديهم ، أو لرضاه بمذهبهم ، أو لمراء جبل عليه فأمره أن يخفي حالهم في قانون الشرع .

ثم انهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقية وستراً لمذهبهم عند أهل الحق ، فهم يصيرون بمجرد ذلك مسلمين ويعصمـون دماءهم ام لا بد من الرجوع عما اعتقدوه من الأباطيل كلها والندامة عليها والاقرار ببطلانها ؟

والجواب : أن الظاهر من عبارة الفقهاء في باب توبة المرتد واسلام الكافر اعتبارها وعدم قبول التوبة دونها .

قال في الأنوار : « توبة المرتد واسلام الكافر أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويتبرأ من كل دين يخالف الاسلام ويرجع من كل اعتقاد هو كفر »هذا ومعلوم انهم لو أجبروا وأكرهوا وأوعدوا بكل مكروه لم يتبرأوا عن معتقدهم في عدي ويزيد ولالش وغير ذلك من شيوخهم . ومنه رأيهم على انهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجهه « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم » . الآية .

وفي الصغير : وعليه مالك وأحمد وأبو حنيفة في أحد روايتيه . قال في الروضة قال الروياني في الحلية : والعمل على هذا .

وفي التقديرين لا نزاع في حرمة مناكحتهم وأكل ذبيحتهم وتقريرهم في البلاد الاسلامية بالجزية وغيرها ،ومباشرة انكحتهم وفي وجوب قتلهم وقتالهم حيث لهم شوكة وفي اهدار دمائهم وغير ذلك .

وأما حكم الأموال الكائنة في أيديهم ، فان قلنا انهم كفرة أصليون فعلى ما نقل من المتفق والمختلف (انها غنيمة) ، وان قلنا بارتدادهم فما تلقاه صغيرهم عن كبيرهم بالموت فهو فيء ، اذ لا توارث بينهم كما لا يخفى ، وما اكتسبوه بالمعاملات من البيع والشراء والاجارة وغيرها وبالغصب والنهب والسرقة ونحوها ، فان كانت هذه التصرفات صادرة منهم مع بعضهم فهو تصرف إما بالفيء وإما في المال الضائع ، إذ ما في أيديهم لا يخلو من هذين القسمين كما سينكشف وليس لهم التصرف فيها ، وان كانت صادرة منهم مع المسلمين والذميين فما عرف المأخوذ منه وجب رده اليه عند القدرة لفساد معاملاتهم كما تقرر في باب الردة ، وان لم يعرف المأخوذ منه فهو من الأموال الضائعة .

فعلم انه لا يتصور لهم مال في الغالب ويحتمل ان يجعل موقوفا على رجوعهم أو قتلهم.
وأما ما اشتهر في الكتب من ان مال المرتد يكون موقوفا فذلك يتصور في مرتد كان مسلماً زمناً وحصل بيده حال اسلامه مال هو له بحكم اليد والمقابلة ثم شقي او قطع الاسلام

فان تاب استمر ملكه ، وان مات أو قتل على كفره صار فيئاً او ضائعاً .

وأما الذين نحن بصددهم فليسوا كذلك ، فانه لو فرض اسلامهم وحسن حالهم كان حكم الأموال الكائنة بايديهم على ما ذكر ، فكيف حكم حال اصرارهم على كفرهم ، وهذا ما لا ينبغي أن يناقش فيه عند الانصاف وترك المراء .

وان قيل صبيانهم محكوم عليهم بالاسلام فما حصل لهم حال صباهم يجب ان يكون موقوفا فلم قلت لا يتصور ان يكون لهم مال موقوفا ؟ قلنا القول باسلام صبيانهم مرجوح زيفه صاحب الروضة وجزم بانهم ايضا مرتدون كآبائهم . وبتقدير التسليم تكون تصرفاتهم ايضا باطلة لكونهم غير مكلفين ولا ولي لهم يمكنهم من التصرفات ويتصرف لهم او يقبل لهم شيئاً بالايهاب والوصية وغير ذلك ، وحال أرثهم كما ذكر فلا يتصور لهم ايضا مال يجعل موقوفا كالبالغين .

وأما القول بانه يحتمل أن يكون فيهم من ليس منهم من المسلمين والذميين ، أو يكون مال مسلم بغصب أو لسبب غير ذلك ، ومال الفيء والغنيمة يجب قسمته والمال الضائع يجب ان ينتظر فيه الامام فسلم لا ينكره أحد لكنه غير مختص بما في أيدي هؤلاء ولا ما يؤخذ منهم ، اذ يتصور ذلك في سائر الكفار الحربيين ، مثلا يمكن أن يكون في الكرج مسلم أو يكون بايديهم مال مسلم بل هو واقع ، فان أوجب ذلك الكف عنهم وعما بايديهم ، أوجب الكف عن الحربيين وعما بأيديهم ، ولا قائل به . على ان الكلام فيمن علم انه منهم . ووجوب قسمة الغنيمة ووجوب نظر الامام في المال الضائع ان أوجب الاعراض عما بأيديهم ، أوجب الاعراض عن الاموال المأخوذة من أهل الذمة في زماننا هذا ، فانها إما مال ضائع أو مال فيء ، مع انه لا يقع فيه قسمة أصلا ولا ينظر الأئمة فيها كما هو حق النظر .

ثم انها تؤخذ بالباطل بل مع انواع الظلم . وأكثر فقهاء النواحي لا يتحاشون عن تعاطيها ولا يبحثون عنها كيف أخذت وممن أخذت وعلى أي وجه أخذت ، بل لا يتطرق ببالهم شبهة في ذلك فضلا عن الحرمة . واذا سئلوا عن حكم هذه الأموال وأموال أمثالهم من المشركين ، فتارة يقولون انهم مسلمون ويتكلمون بالشهادتين وتارة

يقولون اموالهم موقوفة على قتلهم الى غير ذلك من الاعتذارات الباردة من غير تأمل وأعمال روية . والحال إنا مأمورون بأن نقول الحق أنى كنـا ولا نخاف فى الله لومة لائم ، وفقنا الله لما يحب ويرضى . (انتهت) .

ان هذه الفتوى كتبت بأسلوب علمي محض ، ولم يأت صاحبها فيها من سخف القول وسقط الكلام ما أتى به مؤلف فتوى أبي السعود . وقد خالفه فيها بأن عدهم مرتدين وأجرى حكم المرتد بحقهم وهم لا يعدون مرتدين والردة تشمل البطن الأول فقط والأنسال الآتية لا تشملهم . والصحيح انه كان يجب عدهم مسلمين شذوا في عقائدهم ، فالحكم الذي يترتب عليهم هو عين الحكم الذي يترتب على الفرق الضالة من الاسلام وهم لا يفرقون عنهم .

وقد أكثر العلماء من هذه الفتاوى ، وما أصدر أحدهم فتوى إلا كان لها أشد وقع على حياة هؤلاء القوم القبلية والاجتماعية ونودي عليهم بالموت ، فاستجاب هذا النداء حتى الذين لم يعرفوهم ولم يكن لهم أي اتصال بهم من الأماكن النائية وحاربوهم وأوقعوا فيهم . وقد نقص عددهم بنتيجة هذه الحروب نحو ثمانين بالمائة وهم لا يزالون على قوتهم وشوكتهم . وكان اعتداؤهم على علماء الاسلام باعتبار كونهم المؤيدين لهذه الفتنة اكثر ، وكانوا أينما ظفروا بهم قتلوهم أشنع قتل - كما دل عليه الربتكي - وهكذا بينما كانوا في موقف الذود والدفاع اصبحوا فى حالة هجوم وتعرض ، ولو لم يفعلوا ذلك لطمع كل أحد فيهم حتى العشائر الضعيفة المستكينة .

***

ويروى للشيخ حسن الشيفكي فتوى جاء فيها :

« واليزيدية مرتدون لأنهم قائلون بما يدل على تضليل الأمة . فلا يجوز أكل أموالهم ما داموا أحياء ولا سبي نسائهم . نعم لو توارثت المتأخرة المتقدمة ، وانتقلت الأموال من الأموات الى الأحياء فللمسلمين أخذها لأنهم لا توارث بينهم وأموالهم فيء للمسلمين » .

فأي حافز للطبقة الجاهلة والرعاع من المسلمين فى إباحة أموالهم فى هذه الوثيقة الشرعية

وكيف يقوى الصعلوك من المسلمين على ان يرى جاره اليزيدي يتمتع بمال وفير ولم يبادر الى نزعه منه ويرى نفسه أحق منه به وهو فيء له ؟ وكيف يرضى اليزيدي ان ينزع المسلم ماله من يده ولم يبادره بالقتال الى آخر رمق من حياته ؟ وفي حالة كهذه كيف لا تسود الفوضى ويعم الفساد في البلاد ، وصاحب الفتوى يعتقد انه قام بواجب ديني ينتظر عليه الثواب ؟

***

وهكذا بينما نرى اكثر العلماء قد اتفقوا على إرتداد هذه الطائفة عن الاسلام وأفتوا باباحة دمائهم وسبي ذراريهم واسترقاق نسائهم وجعل أموالهم فيئاً للمسلمين ، نجد عالماً من علماء الاكراد وهو الشيخ عبد الرحمن الجلي (بفتح الجيم وهي قرية من نواحي كويسنجق) يذهب الى انهم كفار أصليون وحكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم فقد وقفت على رسالة عند احد العلماء في أربل جاء فيها :

« ثم سأل ذلك الأخ العزيز من الحقير عن احوال الداسنية (أراد بهم اليزيدية) وأحوال اموالهم فأجبته بأنهم مرتدون وحكمهم وحكم أموالهم حكم المرتدين على ما ظننت لأني رأيت من منقول مكتوب على ظهر كتاب من ان الداسنية مرتدون، وأني ظننت ان الاسلام يحصل بقول لا إله إلا الله (باهمال كلمة) أشهد منها . ولكن لما نظرت في كتب الفقه والعقائد وفي بعض شروح كتب الحديث المعتمد عليه للعالم والعابد ابن حجر في كتابه فتح المبين وكذا حاشيته للمدابغي رجعت عن الجواب الأول وحكمت بأن الداسنية كفار أصليون أغلظ من الفرنجيين وحكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم على ما بين في كتب الفقه .. » الى آخر ما قاله .

ويفهم من عرض كلامه انه قد أساء الفهم في حقيقة أصل هذه الطائفة حيث ذهب الى انهم كفار ولم يدينوا بالاسلام مع كونهم يلفظون الشهادة باهمال كلمة (أشهد) منها وأفتى بأن حكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم وذلك عطفاً على ما جاء في الفتح المبين لابن حجر وحاشيته للمدابغي. وسواء أكان اليزيدية كفار أصليين - أغلظ من الفرنجيين - ام مرتدين ، فالافتاء بجعل حكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم قاعدة

مضى وقت العمل بها .

***

وفي رسالة لمحمد امين العمري ابن خير الله العمري كتبها سنة ١١٩٩هـ تحوي أبحاثاً شتى في مختلف العلوم ورد فيها عن اليزيدية ما نصه :

« وأعلم ان في بلادنا طائفة يقال لهم الداسنية واليزيدية يسكنون في القرى والبراري ويكونون في ناحية حلب والشام وغيرها يسجدون للشمس ويعبدون الشيطان ويعتقدون في الشيخ عدي الألوهية ويبيحون الزنا ، ومنهم قطاع طريق يخيفون ويحيفون وقد كثر شرهم ونما ضرهم . ومن مذهبهم سب الحسن والحسين وشتم آل البيت وبغضهم لهم وإباحتهم قتل المسلمين ونسبتهم الى يزيد بن معاوية ، ووجدت بعضهم يقولون أنهم منسوبون الى (يزيد بن أنيسة) وما أدري من هو . وعلى كفرهم يزعمون انهم مؤمنون بالله ورسوله ولا يصومون ، وهم مشركون بلا شبهة وقد أقر المسلمون آباءهم (كذا) على ردتهم فتوالدوا وكثروا وهم أشد كفراً من الرفضة لاشراكهم بالله وعبادة الشمس والشيطان . والجواب فيهم كالجواب في الرفضة ، فيقتلون او يسلمون ، ولا يسترقون ، ولا يجوز ان يقروا على ردتهم بين المسلمين » .

ثم انتقل الى البحث عما ورد من الأحكام الشرعية بحقهم وقال :

« وقد وجدت فتوى للعالم الوحيد والسيد المجيد مفتي الروم أبي السعود رحمه الله تعالى فحواها إباحة قتلهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم واسترقاق نسائهم وانهم يجرى عليهم أحكام الحربيين ونقل ذلك عن عدة من العلماء والفحول وجمهور أهل النقول . فان كانوا مسلمين وقد ارتدوا ، فالجواب فيهم كالجواب في نظائرهم من أهل الردة ، وإن كانت أصولهم كفاراً (كالمزدكية) ولكن خالطوا المسلمين ووافقوهم في بعض أعمالهم فالجواب فيهم كما ذكره مفتي الروم . وعلى كل تقدير فقتلهم مباح بل واجب خصوصاً منهم قطاع الطريق كأهل سنجار ويمكن ان يكون دارهم دار حرب لظهور أحكام الشرك فيها على قولها . ولم نتحقق ان أصولهم كانوا مسلمين فارتدوا او هم كفار أصليون فالواجب في المسلمين ان يتعاونوا على غزوهم وقتالهم وقطع دابرهم وقلع شأفتهم . واما

الذين في قرايا الموصل تحت طاعة الولاة ونظائرهم ، فان كانوا كفاراً أصليين جاز أخذ الجزية منهم ، وإن كانوا مرتدين فالواجب إجراء أحكام المرتدين بحقهم » .

ان واضع هذه الفتوى ، وهو ملا ياسين العمري ، لم يكن من العلماء البارزين الذين يحق لهم الخوض في هكذا مسائل وقد أدلى دلوه مع الدلاء وأتى بهذه الفتوى . وأكثر العلماء لم يصدروا فتاويهم تحت واجب ديني ، بل شأنهم كمن يبحث عن مسئلة فقهية لا تخرج من اختصاص اي عالم . وليس شيء أضر من تدخل العلماء في سياسة الدولة وتوجيههم مقدرات الأمة حسب أهوائهم ورغائبهم ، وهم لم يخلقوا للسياسة ، بل للعلم وتثقيف العقول ، والتفريق بين الحلال والحرام . ولو أحصينا الأضرار التى لحقت بالمسلمين نتيجة هذه الفتاوى لما كانت أقل مما لحق باليزيديين .

ورب قائل : لو لم تكن هذه الفتاوى هل كان من المحتمل ان يسود الأمن وتزول الفتن بين الجانبين ؟

والجواب : اننا لا ننفي وقوع هذه الفتن بالمرة الواحدة لو لم تكن هذه الفتاوى ، بل كانت تقع بشكل محدود وفي نطاق ضيق كما تقع بين عشيرة وأخرى .

هذه الفتاوى هي التي شددت أسباب التخاذل والتناكر وأوسعت شقة الخلاف بين الجانبين وجعلت التفاهم بينهم مستحيلا إذ يجعلها المسلم يعتقد بان جهاد هؤلاء القوم أصوب وأثوب من عباداته الدينية ، واذا قتل أحداً منهم يكون غازيا ، واذا قتل يكون شهيداً ، وان عرضهم ومالهم مباح له ، والمرأة التي تقع في سبيه إن شاء تسراها وإن شاء باعها فى الأسواق ، كل ذلك مما زاده إغراء بمواصلة غزوهم ، حتى نجد أحد زعماء الزيبار المدعو « حاجي رجب » يقوم بستماية مقاتل من جبال الزيبار ويلتحق بـ « علي باشا » والي بغداد للاشتراك معه فى غزو يزيدية جبل سنجار ، ويقوم زعماء راوندوز مع خلق كثير من عشائرهم وعشائر الزيبار ويقطعون الفيافي والقفار ويذهبون الى جبل سنجار لغزو سكانه اليزيديين . أليست هذه الفتاوى هى التي أوجدت فيهم هذه الروح المتعطشة الوثابة الى هذه الغزوات ، فيتجشمون الصعاب ويقتحمون الأخطار لينالوا ما يطمعون به من متاع الدنيا وثواب الآخرة ؟ والغزو هو من شأن أصحاب النفوس المتمردة

العابثة التي لا تخضع لنظام ، ودأبها ايقاع القلق والاضطراب في المجتمع ؟

وقد يقال ان المبرر لهؤلاء العلماء في إصدارهم هذه الفتاوى بحق اليزيديين هو ايقاعهم الأذى بالمسلمين ، وقطعهم الطرق وعبثهم بالأمن وقتلهم كل من يقع بيدهم من المسلمين وهذا صحيح ، وكانوا في أبان ثوراتهم يوقعون أعظم من هذا ولكن يجب ان نعلم انهم لم يقوموا بهذه الاعمال المستنكرة إلا بعد ان وجدوا هذه الفتاوى قد قضت عليهم بالحرمان من حق الحياة ، وأباحت للمسلم دمهم وعرضهم ومالهم ؟ فهل بعد هذا ينتظر منهم ان يستسلموا لهذا الحكم الشديد القاسي ويتلقونه برضى وقبول وأن لا يثوروا على المجتمع وينتقموا لأنفسهم بكل ما أوتوه من قوة وقدرة ووحشة وقسوة ؟

اننا لا نريد ان نتكلم عن هذه الفتاوى من الناحية الدينية ، وننظر فيما رموهم فيه من كفر وإلحاد ، وصحة الحكم الذي أصدروه بحقهم فهذا لم يكن من واجبنا ، إلا ان الذي نريد ان نقوله : ان هؤلاء العلماء لم يكونوا على اصابة في اصدارهم هذه الفتاوى ووضعها محل العمل والتنفيذ ، والفتوى التي تقضي بابادة شعب يبلغ مليون نسمة - في ذلك العهد - واباحة حرماته ، يجب ان تصدر من مرجع ديني رسمي مسؤول ويصادق السلطان عليها ، وما لم تكن حائزة على هذه الشرائط فلا قيمة شرعية لها ولا يصح العمل بها . وتقع تبعتها على عاتق صاحبها ، ويكون مسؤول عن الاعمال التي تنجم من ورائها .

ثم من هم اولئك الذين قاموا بتنفيذ هذه الفتاوى ؟ أليسوا هم الامراء أصحاب الزعامات ومن تبعهم من أعوانهم وأهل العصابات الذين عاثوا فساداً في الارض ؟ وهؤلاء لم يكونوا أقل خطراً على كيان الدولة من هؤلاء اليزيديين ، وكانت الحكومة تحشد العساكر لاجل اخضاعهم ودعوتهم الى الطاعة . واليزيدية يأتون بالدرجة الثانية بالنسبة اليهم ، فتوديع تنفيذ حكم هذه الفتاوى اليهم معناه معالجة الشر بالشر ودره العدوان بالعدوان والقاء المملكة في فوضى تقضي على سلامتها .

وخلاصة ما نقوله : ان هذه الفتاوى كانت مضرة بصالح المسلمين واليزيديين ، مضرة بصالح الدين والحكومة ، وقد اشعلت نار فتنة جامحة دامت أكثر من ثلاثة عصور

حرمت فيها هذا الشعب البائس من حياة هادئة مستقرة، وأنزلته أحط دركة من الشقاء والبؤس وقللت من نفوسه ، وجعلته في عزلته التي اختارها له وحشاً ضارياً لا يعرف سوى العدو والافتراس . والحكومة القائمة بالأمر إذ ذاك تزيده إرهاقا بحملاتها عليه مظهرة العزم على إبادته ، نزولا عند حكم هذه الفتاوى التي لم تجد سبيلا لمخالفتها .



باب مرقد الشيخ مند فى بعشيقه

القسم التاريخي

في تاريخ يزيدية الشيخان

كانت الموصل حتى القرن التاسع الهجري مسرحاً لعبث الغزاة الفاتحين. فمن غائلة المغول الايلخانيين ، فالجلايريين ، الى غارة (تيمورلنك) ، فالقرەقوينليين ، والآق قوينليين والصفويين ، وأخيراً العثمانيين ، فقد فيها الأمن وعمها الظلم وانتشر فيها الفساد من قتل ونهب وإجلاء وتشريد ، ونكبت في علومها وآدابها وعزتها وقوميتها ، ولم يقدر لها زعيم قوي يرفعها من الوهدة السحيقة التي سقطت فيها .

كان من أهم الحوادث التي منيت بها الموصل في هذه الفترة وأشدها خطورة ،ظهور البيت العدوي الذي يتصل بنسبه اتصالا قريباً بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين في غربي جبل هكار على بعد مرحلة من الموصل ، وكان هؤلاء في بدء أمرهم اصحاب طريقة صوفية اشتهرت بنسبتها الى مؤسسها « عدي بن مسافر » الذي وفد من بعلبك من قرية « بيت فار » ثم أخذت تتحول الى عصابة ثورية نزاعة الى الملك ، جاعلة الطريقة سلماً للبلوغ الى أمانيها . في حين ان تطلع رجال هذا البيت الى الحكم وبحثهم عن ملكهم الضائع وعزهم المفقود لم يكن شيئاً مستنكراً ، وهم أحق به من غيرهم ممن ملكوا البلاد من الدخلاء ، لا سيما عدوهم اللدود « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل الذي لم يكن في أول أمره سوى مملوك أرمني بيع بدراهم بخسة معدودة، وهم أحفاد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد ظهر من هذه السلالة أربعة عشر ملكا امتدت سلطتهم من حدود الصين شرقا الى ساحل البحر الأطلنطي غربا . ثم انتقل ملكهم الى بلاد الأندلس وحكم منهم هناك أحد عشر ملكا .

غير أن الوسيلة التي تذرعوا بها للوصول الى أمانيهم كانت غير صالحة ، وهي التي أدت الى إخفاقهم وإحلال النكبة بهم . وتلك الوسيلة هي دعوتهم الدينية التي أنكرها عليهم المسلمون كافة ، ووجدوا فيها خطراً على الجامعة الاسلامية وروح الاسلام فلو كانت

دعوة خالصة بعيدة عن البدع والأضاليل ، لكان الاقبال عليها عظيما ولوجدوا من ساعدهم عليها .

ماذا كان الفرق بين دعوة البيت الأردبيلي الذين أسسوا دولة قوية الشكيمة عزيزة الجانب في ايران وبين دعوتهم ؟ ألم تستمد كلتا الدعوتين القوة من الدين ، وكان الناصرون لها ، الأشياع والمريدون ؟ إلا ان البيت الأردبيلي أصابوا فنجحوا ،والبيت العدوي أخطأوا ففشلوا .

إن أول من جالت في رأسه فكرة الملك من البيت العدوي هو(الشيخ حسن) الذي عبر عنه بعض المؤرخين بالمتأله ، ومن سوء حظـه ان أظهر هذه الفكرة قبل ان يعد لها العدة وتختمر . فانتبه له (بدر الدين لؤلؤ) صاحب الموصل وانتهز فرصة مجيئـه مرة الى الموصل ، وكان يكثر التردد اليها وقد اتخذ له زاوية فيها ، وقبض عليـه وقتله ، ثم هاجم زاويته في مرقد الشيخ عدي وهدمها ونكل بمريديه وقبض بالمئات عليهم وأماتهم ومثل بهم . واذا كان بدر الدين قام بهذه الأعمال القاسية ضد الشيخ حسن وخرب زاويته ونكل باصحابه وشردهم ، فشيء واحد لم يتم له وهو توقيفه سير مذهبه والحيلولة دون توسعه وانتشاره . وسنرى كيف أصبح معضلة خطيرة استطـار شرها في معظم بلاد الأكراد مدة بضعة عصور وعانت الحكومة العثمانية مصاعب جمة للقضاء عليه ولم تتمكن ، ولا تزال آثاره باقية حتى يومنا هذا .

والحق انمعالجة بدر الدين لؤلؤ أمر الشيخ حسن بالسيف غير مجرى حوادث خطيرة في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية في هذه البلاد ولولاها لكانت الكلمة تبقى لهذا الدين ويستفحل أمره وتنهزم بقيه المذاهب وتختفي من أمامه .

ان حادثة قتل الشيخ حسن كان وقعها شديداً جداً على أهل البيت العدوي وقدقضت على أمانيهم وأضاعتهم فرصة كانوا يترقبونها منذ زمن بعيد ، فلم يبق لهم إلا انيغادروا هذه البلاد ويذهبوا الى حيث يأمنوا على حياتهم ويقوموا من جـديد بتجربة اخرى امامهم يجدون فيها ضالتهم . وهم ليسوا ممن يتحملون اعتداء هذا المملوك الأرمني ويسحق كرامتهم تحت أقدامه . ويجوز انهم أرادوا الهجرة الى بلاد اخرى لنشر دعوتهم الدينية

بعد ان أخفقوا فيها فى هذه البلاد وليس لهم سوى بلاد الشام ومصر التى تحفظ لهم ذكرى عهود ذهبية سبقت لهم فيها .

***

لم يذكر المؤرخون ان كان للشيخ حسن غير ولد واحد وهو شرف الدين محمد وقد خلف أباه وانتقل الى «لالش» مقر دعوتهم الدينية ثم تركها واتصل بخدمة السلطان « عزالدين كيكاوس بن السلطان غياث الدين السلجوقي » وقد قتله المغول سنة ٦٥٥ للهجرة ، وهاجر ابنه « الشيخ زين الدين يوسف » الى الشام وكان رجلا عظيما يمثل النبل والشرف الأموي ، ونال حرمة وافرة عند جميع طبقات أهل الشام ، وأنعمت الحكومة عليه بأمرة كبيرة فتركها واختار الاقامة فى قرية « بيت فار » موطنهم القديم وظهر بمظهر الملوك ، ثم خاف على نفسه فترك ولده « عزالدين » ودخل القاهرة وأقام فيها . وقد أشيع عنه انه يريد سلطنة مصر ، فاعتقل ودام اعتقاله نحو ثلاث سنين ثم أفرج عنه وتوفي سنة ٦٩٧هـ .

أما ولده « عزالدين » فقد أمر بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ثم ترك الامارة وآثر الانقطاع وأقام بالمزة ، وكانت الأكراد تأتيه بصفوة أموالها تقربا اليه . وقيل أنه أراد الخروج على السلطان وكان يريد سلطنة مصر ، وقيل بل كان يريد ملك اليمن فقبض عليه واعتقل حتى مات .

وهكذا فشلت دعوة هذا البيت للمرة الثانية فى الشام وفى مصر ، ولم تساعدهم الأيام على تحقيق أمانيهم التي كثيراً ما سعوا وراءها وكلفتهم ثمناً غالياً .

هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية الدينية فقد ثابروا على نشر طريقتهم فى الشام وكثر مريدوهم وأسس « زين الدين » له زاوية فى القاهرة ومال اليه الناس وبالغوا فى تعظيمه ، وكان الناس في شك من أمره فمنهم من ذهب الى انه ينزع الى مذهب جده الشيخ حسن ، ومنهم من يرى فيه الصلاح والبعد عن المنكرات .

وهاجر من البيت العدوي رجال آخرون الى الديار الحلبية ونشروا مبادئهم بين قبائل الأكراد هناك فأقبلوا عليهم وأخلصوا لهم ووصلت دياناتهم الى « انطاكية » وتولى أحد

شيوخهم أمارة القصير وهو « عزالدين يوسف الكردي » الذي أصبح أميراً للواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة السليمية « العثمانية » وتوفي عام ٩٤٨هـ .

وعزالدين هذا ينتمي الى بيت « الشيخ مند » الذي عرف بحلب بهذا الأسم وكان لهم جاه كبير ومنزلة رفيعة . والشيخ مند هو من أساطين البيت العدوي ولا تزال شيوخهم موجودين في الشيخان وسنجار ولهم مريدون يقدمون لهم خيراتهم ونذورهم .

أما ما آل اليه أمر البيت العدوي في الموصل بعد نكبته بقتل الشيخ حسن وقتل ابنه « شرف الدين محمد » من قبل المغول وهجرة « زين الدين يوسف » وولده « عزالدين » الى الشام فلم يتكلم أحد من اصحاب التاريخ عنه . ونظراً لما نستدل عليه من الأخبار والحوادث والتقليد الجاري ، انه كان للشيخ حسن أولاد آخرون غير شرف الدين ، وهم الذين انتقلت الزعامة الدينية اليهم بعد قتل أبيهم ويعرفون الآن ببيت الشيخ حسن كما ان ذرية الشيخ شرف الدين لم تنحصر في الشيخ زين الدين يوسف ، بل كان له أولاد آخرون ويعرفون في سنجار والشيخان باسمه . وقد عاش هؤلاء وغيرهم من البيت العدوي، حقبة من الزمن بحالة لم تكن سارة ومرضية الى ان لموا شعثهم وظهروا للوجود ثانية . وكان ظهورهم في هذه المرة من الناحية الدينية البحتة . وبينما كانت المجادلات تدور بين علمائهم حول بعض المسائل الاعتقادية بعنف وقوة ، كان مذهبهم ينتشر في المناطق الكردية ويتقدم بخطى سريعة وثابتة .

أن أول محل انتشر فيه المذهب اليزيدي كان جبال جزيرة ابن عمر ثم امتد شرقاً وشمالا الى ديار بكر وسعرد واستقر في حوضة نهر « البوطان - بهتان » وبعد ان تم انتشاره في البلاد الحلبية امتد على خط مستقيم ووصل الى ويران شهر فاردين ونصيبين فجزيرة ابن عمر واتصل بمنبعه الأصلي في الشيخان . وهكذا كلما كثر أتباعه ازداد آل الشيخ حسن القائمون على حراسته قوة ونفوذاً وأصبح كبير هذا البيت الذى عرفناه تارة بشيخ هذه الطائفة وتارة برئيسها وأميرها أشبه بملك غير متوج تجبى اليه الضرائب من جميع الأقطار التي توجد فيها اليزيدية باسم الخيرات والصدقات وتساق اليه العطايا والهبات ، وأخذ يتمتع بسلطة واسعة تستمد قوتها من الآلهة والكل يدينون

بالطاعة له . وهذا ما جعل أحد السواح عندما اجتاز جبل مقلوب ورأى رئيس هـذه الطائفة ظنه ملكاً .

***

كان انتشارهذا الدين بهذه السرعة العظيمة - بعد توقف دام نحو عصر ونصف عصر - مما يحار له العقل . فهل كان له دعاة من البيت العدوي او من أتباعهم جابوا هذه البلاد ودعوا الناس اليه ؟ وهذا لم يتكلم أحد من المؤرخين عنه. ولو كان شيء من ذلك لرأينا على الأقل ذكراً لأحد رجال هذا البيت بين يزيدية تلك الجهات ، او نصباً أقاموه له كما هو شأنهم مع رجال دينهم . والأغلب انه انتشر بواسطة العشائر والقبائـل الرحالة الذين حملوه من منطقة الشيخان الى تلك الأماكن، فلاقى هوى فى نفوس بعض القبائل من الاكراد وسارعوا الى إعتناقه والاسلام لم يكن قد رسخ فى قلوبهم ولا يوجد بينهم علماء يرشدونهم وكانت أقل دعوى تؤثر عليهم . ولماذا نذهب الى بعيد وأمامنا عشائر الزيبار الاكراد وهم يعيشون فى عصر المدنية والحضارة ، فلسبب بقائهم فى الجهـل ، وفقدان علماء بينهم يقومون بتهذيبهم ويعلمونهم وجائب دينهم ، كيف انقـادوا الى دعوة مشائخهم البارزانيين ومثلوا عين الدور الذى قام به أتباع المشائخ العدويين وكاد ان يكون لهم مثلهم نوبة تعم بلاد كردستان بأسرها لو لم تخنق دعوتهم وهي طفلة في مهدها.

وترى ان الظروف والعوامل التي كونت دعوة آل عدي فى جبال الهكارية هي عين الظروف والعوامل التي كونت دعوة أبناء « تاجدين » (١) في جبال الزيبار ، والهدف واحد . إلا ان دعوة أبناء « تاجدين » ظهرت في عصر لم يكن يسمح برواج أشيـاء خرافية كهذه ، فقبرت على عجل . ودعوة آل « عدي » التى ظهرت قبـل سبعة عصور نجحت من ناحية الدين ولكنها فشلت من الناحية السياسية .

***

ان أول من سارع الى التدين بهذا الدين من قبائل الأكراد كانت عشيرة «الدنبلي» و « المحمودي » ذواتي الشهرة الواسعة في تاريخ الأكراد . وهما من سكان جبال البوطان

---

١) اقرأ التعليق فى الصفحة التالية ☜

القريبة من جزيرة ابن عمر . وعلى ما رواه البدليسي ان هاتين العشيرتين بعد ان ضاقت عليهما مواطنهما عمدتا الى الهجرة فذهبت الاولى الى « اذربيجان » واستوطنت « خوي » و « سكمن » وتولت الحكم على كثير من الثغور والقصبات على زمن الملوك الصفويين . وأما الثانية فقد اتصلت بمؤسس الدولة القرهقوينلية ، ثم انخرطت في سلك أمراء الشاه اسماعيل الصفوي ووصلت كذلك الى أذربيجان واقتطعت حصونا ومعاقل كثيرة. وعلى زمن الدولة العثمانية نالت اقبالا عظيما .

فهاتان العشيرتان الكبيرتان اذا لم تكونا قد تعمدتا نشر الديانة اليزيدية بين العشائر والقبائل التي اتصلت بها او حكمتها وفرضتها عليها فرضاً ، فهذه العشائر والقبائل أخذتها منها بسائق المخالطة ، وقد رأت فيها من صنوف الاباحة والتسامح ما رغبتها فيها . وهكذا أخذت الرغبة في الدخول بهذا الدين تزداد من يوم الى آخر حتى دخلت بعض بلاد ايران والقوقاس واستقرت في حوضة نهر « الكر » .

ومن أهم الأماكن التي انتشرت فيها بكثرة في هذا العصر مدينة « قلب » على ضفة نهر « البوطان - بهتان » وأصبح لها فيها مركز مهم حتى عقد المؤرخ البدليسي في كتابه « شرفنامه » فصلا عن إمارة يزيدية سماها « قلب وبطمان » زعم أن أناساً من البيت الأموي تولوا أمرها ، وأن القائمين بتأسيسها هم اولاد عبيد الله بن مروان الحمار بعد زوال دولتهم .

: هو جد أسرة المشائخ البارزانيين ، كان يسكن قرية « هفتكان » - ذات الينابيع السبعة - من قرى الزيبار . ثم جاء الى قرية (بارزان) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، وهي قرية نصرانية ويسكنها شرذمة من اليهود ، وأقام فيها بعد ان طرد اهلها منها . ويروى عنه دينا وصلاحا وله طلاب يقرأون عليه العلم . وفي ذهاب مولانا خالد النقشبندي صاحب الطريقة النقشية لزيارة شيوخ (نهري - نيرى) حل عليه ضيفاً وجعله خليفة له . توفي في العقد الثامن من القرن الثالث عشر وخلفه ابنه الشيخ عبد السلام ، وكان ايضاً صالحا دينا ، وعلى زمنه دب الفساد في عقيدة مريديه ووضعوا فيه الالوهية فأتت به الحكومة الى الموصل خوف الفتنة وكان ذلك على زمن ناظم بك والي الموصل. وبعد سنة او اقل أذنت له بالعودة الى محله فذهب ومات وخلفه ابنه الشيخ محمد ثم ابنه الشيخ عبد السلام وهو الذي قبضت الحكومة عليه وحاكمته في محكمة عسكرية وحكمت عليه بالشنق . وكان له اخوة اربعة وهم الشيخ احمد وهو الذى خلفه بالدعوة وملا مصطفى وملا صديق وبابو . وملا مصطفى اكثرهم فعالية وهو الذي قام بدعوى الخروج على الحكومة العراقية فنكلت به وبافراد عشيرته وطردته خارج العراق وقضت على فتنته بعد ان كلفتها تضحيات عظيمة .

كان انتشار اليزيدية في هذه المنطقة حدث مهم في تاريخ اليزيدية ، اذ أصبحت نقطة اتصال بين المواقع المأهولة باليزيدية من الشرق الى الغرب ، ومن الشرق الشمالي الى الجنوب ، وبسطت نفوذها على حوضة دجلة الشمالية من مصب نهر البوطان الى ديار بكر فالجزيرة ، وامتدت حتى مدينة زاخو فالموصل حتى نرى اكثر المواقع في هذه الحوضة مأهولة اليوم باليزيديين .

أما انتشارها في منطقة بلاد « السهران ـ الصوران » الكردية وكورة « إربل » الواسعة فكان أمراً طبيعياً لقربها من « الشيخان » مهد ظهورها . وكان انتشارها على ما نرجح في القرن العاشر الهجري ووصلت من القوة والنفوذ ان تولى أحد زعمائها ثلاثة امارات في وقت واحد .

***

كانت بلاد الأكراد « كردستان » بأسرها في ذلك العصر ترزح تحت ضغط حكومتين عاتيتين وهما الحكومة التركية « العثمانية » والحكومة الفارسية « الصفوية » فأصبحت ساحة حروب هائلة وسادتها الفوضى واختل فيها النظام وانعدم الأمن . فتحت تأثير هذه العوامل إذ ذاك كانت اليزيدية تسير بخطى ثابتة وقوية وليس من ينتبه لها ويهمه أمرها حتى رأينا كيف كان سلاطين الأعاجم الذين هم على المذهب الشيعي يقطعون رؤساء عشيرة الدنبلية والمحمودية الاقطاعات الجسيمة ويزيدون في نفوذهم ، وكان المسلمون ينظرون اليهم كما ينظرون الى بقية الفرق الضالة الاسلامية كالبكتاشية والقزلباشية « على اللهية » وغيرهم .

والحقيقة ان هذا الدين عند بدء انتشاره لم يكن بالشكل الذي يخشى خطره وكانت صبغة الاسلام لا تزال باقية عليه . وكان اليزيديون يعيشون والمسلمين جماعة واحدة وهم على صفاء ومودة بينهم . حتى ان العشيرة الواحدة فيها من هو مسلم ومن هو يزيدي ولم يكن ينكر أحدهم على الآخر عقيدته ، ثم أخذت تتطور الحالة وكثر اليزيديون وظهروا بمظهر القوة ، وسرعان ما ظهر التجافي بينهم وبين المسلمين وخذل بعضهم بعضاً ونشب الخلاف وتعصب كل فريق لدينه فاشتد الحماس ، وانفجرت براكين الكيد

والعدوان وتحرجت الحالة وازدادت خطورة .

والسبب المهم الذي نجده لظهور هذا الاختلاف بين اليزيديين والمسلمين - وإن لم يكن لدينا ما يؤيده سوى الحدس والتخمين - هو ان اليزيديين بعد ان كثروا وقويت عصبيتهم لم يرضوا ان يبقوا تحت حكم الزعماء الاكراد الاقطاعيين الدكتاتوريين حيث يستخدمونهم في مصالحهم ، ويوجهونهم الى حروبهم مع أصحاب الاقطاعيات الاخرى فيقاتل أحدهم الآخر في سبيل زعيمه فرفضوا طاعتهم وخالفوهم وجاهروا بانحيازهم عنهم فكانت هذه البادرة مقدمة لاختلافات شديدة دامت بضعة قرون ولم يخمد أوارها فاخذ المسلمون يرمونهم بالكفر ويعدونهم مرتدين مارقين ، وطائفة العلماء يحللون دماءهم وأموالهم واستباحة أعراضهم في فتاويهم التي يصدرونها بحقهم ، وجاهر اليزيديون بعدائهم الكامن في نفوسهم للمسلمين منذ عهد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الذي قتل عميدهم وأخذوا ينتقمون منهم ، فكانت حروب في الشيخان وسنجار وطور عابدين والجزيرة وماردين وحوضة نهر البوطان سفكت فيها الدماء واستبيحت الأموال والأعراض وفقد الأمن وباتت الأرض والجبال تشكو ربها من هول المصاب الذي أحله هذا الانسان الغاشم الظلوم عليها .

كان الجهل المستولي على عقل كثير من الناس الذى ساقهم في تلك العصور المظلمة الى الخطأ في الحكم جعلهم يوجهون تبعة أعمال هذه الطائفة الى شيخهم « عدي بن مسافر » الأموي ، كأنما هو الذى أضلهم عن دينهم . ولذلك كلما أرادوا بهم سوءاً ولم ينالوا منهم أو نالوا منهم وأرادوا بهم المزيد ، نازلوا شيخهم في قبره ونبشوه وأخرجوا رفاته وأحرقوها . وكان بدر الدين لؤلؤ أول من قدم على هذا العمل المقوت الشائن ، فانه لما قتل الشيخ حسناً ونكل بأصحابه ذلك التنكيل المريع ، أمر بنبش عدي من قبره وإخراج عظامه وإحراقها . وبعد مضي نحو مايتين وخمسين سنة أى في سنة ٨١٧ هـ ، أحرق قبر هذا الرجل المسلم الصالح للمرة الثانية وانتهكت حرمته ونكل بأصحابه . فقد ذكر المؤرخ المقريزى فى حوادث تلك السنة في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) هذا الخبر ، ولكنه لم يذكر من هم الذين قاموا به والأسباب التي دعتهم اليه .

فانه بعد ان أشار الى إحراق قبر الشيخ عدي أخذ يبين ما كانت عليه هذه الطائفة بالكلام الآتي :

« قد تجمع هؤلاء على قبره وقد سموا بالعدوية فاتخذوه قبلة لهم ، وهم كثيرون هناك وصار يتهافت الناس لزيارته ، وهؤلاء عقبوا سلوك هذا الشيخ وصار محل اعتقادهم واحترامهم ، وبعد مدة غلوا في اتباعه لدرجة انهم صاروا يعتقدون فيه أنه يرزقهم ، وانهم لا يقبلون رزقاً من سواه . ويحكون ان عديا جلس مع البـاري تعالى وأكل معه خبزاً وبصلا وأسقط عن أتباعه الصلوات الخمس ، وأباحوا الزنا . ويحكون عن خادمه (حسب البواب) ويزعمون انعديا حينما وافته الوفاة قال له الصق ظهرك بظهري وبهذه الصورة انتقل نسله لنسله ومنح ذريته لحسن البواب » .

وقال :« ومن ثم صار أولاده وأحفاده يعدون عدوية ويحترمونهم حتى انهم يزوجون بناتهم من ذرية حسن المذكور ويعدون ذلك قربى لهم » .

وللمرة الثالثة وقع اعتداء على قبر هذا الشيخ الجليل فكان صارخاً جداً واعتدى على أصحابه فكان قاسياً ومراً ، إذ كان أحد فقهاء ايران وهو « جلال الدين محمد بن عز الدين يوسف » الحلواني الشافعي قد أغرى بعض أمراء الأكراد بهم ودعاهم الى محاربتهم ، فأجابه كل من حاكم جزيرة ابن عمر الأمير عزالدين البختي وجماعة من الأكراد السندية مع حاكم شرانش ، والأمير توكل الكردي ، وأرسل حاكم (حصنكيفا) جيشاً لمساعدتهم ، والتحق بهم ايضاً الأمير شمس الدين محمد الجردقلي ، وبهذه القوة هاجموا جبل هكار وقتلوا الكثير من أصحاب الشيخ عدي وأسروا جماعة منهم ممن يسمون (بالصحبتية) ثم جاؤوا الى قبر الشيخ عدي لأجل هدمه فوصلوا قرية (لالش) فهدموا قبته وحفروا القبر وأخرجوا عظامه وأحرقوها بمرأى من الأسرى (الصحبتية) وقالوا لهم أنظروا عظام من تدعون ألوهيته كيف تحترق ولا يستطيع ان يمنعنا ، وغنموا غنائم كثيرة . ولما عادوا من النهب اجتمع الصحبتية فعمروا القبة من جديد وعادوا الى ما كانوا عليه من عاداتهم القديمة ، وعادوا كل فقيه من جراء هذا الفعل .

ونحن نكتب هذا الحادث والألم يحز في نفسنا لما حل « بعدي » العظيم من إهانات

فادحة على أيدي أناس ينتهكون حرمة الدين باسم الدين نفسه ، ولا ذنب لهذا الرجل يستحق عليه هذه الاهانة وهو نائم في قبره . ومن هو هذا الفقيه الحلواني ، وماذا ناله من الجور والعناء على يد عدي حتى يغري أمراء الاكراد على مهاجمة زاويته ويهدم قبته ويحتفره من قبره ويخرج عظامه ويحرقها برأى من جماعته ؟ وكيف علم ان هذه العملية الشنعاء ، إحراق عظام عدي ، تردع أصحابه عن أعمالهم ؟ ثم من منا يعلم ما كان هذا الفقيه يحمله من عقيدة زائغة وقد خدع الناس بها ؟ نقول هذا ونحن في شك من ان هذا الفقيه ورفاقه عثروا على شيء من عظام عدي عندما احتفروه من قبره وقد مضى على وفاته مايتان وسبعون سنة ، وقد سبقهم « بدر الدين لؤلؤ » في إحراقها - على ما يقال - في حادثة قتله الشيخ حسناً . والظاهر ان مهمتهم كانت مقتصرة على اغتنام الأموال الكثيرة ، وهو الهدف الوحيد الذي كان يرمي اليه هذا الفقيه وأعوانه الأمراء من هذا الغزو .

وهنا يرد سؤال ، وهو هل أن هذه الأعمال القاسية أوجدت أثراً من الاصلاح في هؤلاء القوم وغيرت شيئاً من عقائدهم ؟ والجواب : أن هذه الأعمال ليس من شأنها ان تؤدي الى إصلاح من أي نوع كان ، إذ هل يمكن إصلاح قوم بنبش شيخهم ومعتقدهم وقدوتهم وإخراج عظامه وإحراقها وسلب أموالهم من أيديهم وقتالهم وقتلهم؟ أن ذلك بالعكس من شأنه ان يزيدهم عتواً واستكباراً فيصبون نقمتهم على المجتمع ؟ ثم ان هؤلاء لم يكونوا من الضعف بالدرجة التي يعجزون عن مقابلة هذا الاعتداء وقد بلغوا من القوة ما أرهبوا بها الناس وجعلوهم في حالة وجل دائم منهم . ولذلك فالذي نرجحه أن هذه الاعتداءات التي وقعت عليهم كانت من قبل الغزو المباغت ، وقد عاد الحلواني وعصابته بعد ان منوا بخسارة عظيمة في الأنفس ، لكنهم عوضوها بالغنائم .

***

كان العصر التاسع والعاشر الهجرى عهد قوة ومنعة لأصحاب الشيخ عدي في كل قطر وجدوا فيه . ففي سنجار ظهروا بشكلهم المرعب المخيف حيث قضوا على الأديان والمذاهب الموجودة فيه واحتلوا مكانهم . وفي أنطاكية والجومة والقصير من أعمال

حلب أوجدوا لهم أمارة قوية تولى أمرها أمراء من بيت الشيخ « مند » من آل عدي وأصبح لهم نفوذ واسع في حلب . وعلى ضفاف نهر « البوطان - البهتان » كانت لهم إمارة قوية عرفت بامارة « قلب وبطهان » شمل نفوذها كثيراً من القبائل المسلمة وكان لهم رهبة وهيبة عظيمتين . وفي منطقة إربل وجبال « الصوران - السهران » إتسع نفوذهم وقوي جانبهم حتى أن السلطان سليمان القانوني فوض الى أحد أمرائهم في سفره الى بغداد سنة (٩٤١ هـ) ثلاث امارات في آن واحد . وفي الموصل ضربوا الرقم القياسي في الاستئثار بالقوة حيث تقلد أحد رجالهم وهو « ميرزا باشا » الداسني البعشيقي منصب ولاية الموصل (١) (١٠٦٠ - ١٠٦١ هـ) ، وتولي يزيدي بعشيقي الحكم في الموصل يدل على ما كان لهذه الطائفة من النفوذ والقوة في ذلك العهد .

انطوى القرن العاشر الهجري وانطوت معه آمال وأمان لليزيدية طالما كانت تختلج في نفوسهم . إذ أخذوا يضيعون قوتهم شيئاً فشيئاً وينحدرون أمام الحوادث التي تقع لهم في مختلف الميادين ولم تبق لهم تلك الشوكة والقوة .

ففي خلال هذا العصر أوقعت الحكومة العثمانية فيهم في جبل سنجار على يد واليها في ديار بكر « احمد ملك باشا » بشكل مرعب جداً كان بمثابة انذار شديد اللهجة بانقضاء عهد عزهم الذي تمتعوا به زمناً وكانت النفوس تهابهم ، والأيدي تقصر عنهم ، ولم ينسلخ هذا العصر إلا بعد حروب شعواء قامت في وجههم في مواضع مختلفة في الجزيرة وديار بكر وفي حوضة نهر البوطان حيث كان يكثر سوادهم وتقوى عصبيتهم .

أما ناحية الشيخان مهد ظهور اليزيدية وقبلتها الدينية فلا تزال في عزتها ومنعتها ولم

---

١) هذا ما ايدته التقاويم الرسمية لولاية الموصل . وفي الآثار الجلية لياسين العمري ما يخالف هذا ، فقد جاء فيه :

« سنة ١٠٥٧ و ١٠٥٨ سافر الى اسلامبول رجل من اليزيدية من بعض قرى الموصل اسمه (ميرزا بك) ودخل الى السراي وتوصل الى رجال الدولة وطلب له منصب الموصل او غيره فلم يتيسر له ذلك ، وخرج من اسلامبول مغاضباً ، وحرضه الشيطان على العصيان . فجمع الاشرار وجعل يقطع الطريق وينهب القوافل . فجمع العسكر والي وان (شمسي باشا) وخرج من وان لقتال اليزيدية وكانوا آمنين وقد اطلقوا خيولهم ترعى فكبسهم شمسي باشا بمن معه وقتل اكثرهم وقبض على (ميرزا بك) بعدما اظهر شجاعة وكان راكبا فرسا بغير سرج ولجام واثخنوه بالجراح وقيدوه وحملوه الى اسلامبول فأمر السلطان بقتله . وقيل كان قتله في ايام السلطان محمد بن ابراهيم في اول ايام سلطنته من ١٠٥٨ الى ١٠٩٩هـ »

يصبها أذى لا من الحكومة ولا من رجال القبائل . وكانت رقعتها قد اتسعت اتساعا عظيما وعبرت نهر الزاب شرقا وخابور الحسنية غربا وتمدت سلسلة جبال العقر - دهوك - زاخو ، وشملت جانباً كبيراً من منطقة بهدينان الكردية . وكان القائم بشؤون هذه المنطقة العظيمة وله الكلمة العليا والقول الفصل هو (أمير اليزيدية) الجامع بشخصه السلطة الدينية والزمنية على اليزيدية قاطبة ولم يكن للحكومة سلطان عليه وهو غريب عنها وهي غريبة عنه . وقد أراد أحد الولاة وهو (عبدالباقي باشا) الجليلي ان يقوم بتجربة مع سكان هذه المنطقة اليزيدية وعزم على تأديب عشيرة (الدنادية) وهي لا تتجاوز اربعين بيتاً وسار اليهم بجيش عدده الف مقاتل ، ونازلهم في عقر دارهم وتمكن منهم وهزمهم ، الا ان رئيسهم المدعو نمر اغا كان قد كمن له مع خمسة فوارس ، ولما رأى العساكر قد تفرقوا وأخذوا بالنهب والسلب هجم عليه وقتله وأخاه ومائة نفر من عسكره واستولى على أثقاله ومهماته (١) . وقد ذكر صاحب (زبدة الآثار الجلية) هذه الحادثة فآثرنا نقلها وهذه هي :

« وفيها (اي في سنة ١٢٠٠هـ) خرج والي الموصل الحاج عبدالباقي باشا الجليلي (٢) بالعساكر وعبر الجسر ومعه خلائق من أهل الموصل وتوجه الى محاربة (الدنادية) واسم مقدمهم (نمر شيخو) فهربوا الى الجبل وتركوا بيوتهم خالية ، فطمعت العساكر بالنهب وكان شيئاً قليلا فنهبوا مثل الغربال والمنجل والبسط الخلقة والقدح وقصعة وجراب

---

١) وقعت هذه الحادثة في قرية (سميل) المعروفة . وقصر نمر اغا الذى وقعت فيه لا يزال موجوداً وهو فوق رابية تشرف على القرية نفسها . وفى العهد العثمانى اتخذته الحكومة داراً للبرق والبريد .

اما نمر اغا فهو رئيس عشيرة الدنادية وقبيلته تسمى « قردا » فنيت في حادثة (كور محمد باشا)ولم يبق منها سوى بيت واحد يسكن قرية (قصر يزدين) و (سميل) الان قرية اسلامية .

٢) لقد وهم صاحب تاريخ جودت عندما جمع بين (عبد الباقي باشا) الذي اغار على (العمادية) ونهب وسلب وقتل ، وبين (عبد الباقي باشا) الذي هاجم الدنادية في الشيخان وعدهما واحداً . وعنده ان الحادثتين وقعتا عام ١١٩٩هـ (را . ج٢ ، ص ٢٩٠) والصحيح ان الاول هو من ممـاليك والي بغداد وكان موصوفا بالظلم وكان والياً على الموصل . وقد قام بغارته على العمادية سنة ١١٩٣هـ ونهب وسلب وساق امامه كل من وقعت يده عليه من اهل العمادية وأجبرهم على الاقامة في الموصل (را : تاريخ الكرد وكردستان ص ٢٣١) ، والثاني: هو الحاج عبد الباقي باشا الجليلي الذى كان والياً على الموصل سنة ١١٩٩هـ وكان موصوفا بالصلاح والتقوى .

وبيت شعر خلق ورجعوا متفرقين . ووقف الوالي ومعه أخوه (عبدالرحمن اغا) وشرذمة قليلة من أتباعه فخرج (نمر اغا) عليهم ومعه خمسة فوارس ، وقيل ثلاثة وباقي أتباعه متفرقة في الأودية ، وهربت عساكر الموصل وتفرق كل يطلب النجاة كأن الموت خلفه . وهجم (نمر) ومن معه على الوالي ، فلم يتحرك ولا جرد سيفاً مع ما عنده من الشجاعة وذلك لأمر يريده الله ، فقتلوه وقتلوا أخاه (عبدالرحمن اغا) وابن عمه صالحاً ومحموداً وسلبوهم ثيابهم وهرب اتباعه وكثرت اليزيدية وأكثرهم من أهل القرى والقى الله الرعب في قلب أهل الموصل حتى كانوا كما قيل :

تفرق الكل حتى ان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا (٣)

ثم لما نظر اليزيدية الى هروب العساكر وتفرقهم في البر وضلوا الطريق وضعوا السيف بالمسلمين حتى قتلوا ما يزيد على مائة نفس وأخذوا سلاحهم وثيابهم ، ثم ان أهل القرى حملوا الوالي وأخاه وأتوا بهم الى الموصل ودفنوهم وأغارت أشرار الموصل المخنثين في البر على المسلمين فمن سلم من القتل سلبوه ثيابه ، ونهبوا القرى ، وأطلقوا المسجونين وهذا شيء لم يعهد به من لدن آدم (ع) خمسة فوارس تقاتل الف مسلم . أما الوالي فقد كان موصوفاً بالشجاعة حتى كان وحده في السابق يقاتل العشرة والعشرين ..»

ونحن لا نريد هنا أن نحلل الموقف من الناحية الحربية ، وكيف تمكن خمسة فوارس من هزيمة جيش مؤلف من ألف مقاتل ونهبهم أثقالهم وعتادهم وقتل مائة منهم وقتلهم الوالي الذي كان موصوفاً بالشجاعة حيث كان وحده يقاتل العشرة والعشرين ، إلا ان الذي نريد أن نبحث عنه هو ما أصبحت عليه الحالة في الشيخان بعد وقوع هذه الحادثة والى أية درجة بلغ الغرور في هؤلاء القوم وكيف أخذوا يوقعون الأذى بالمسلمين الذين يهزم منهم ألف مقاتل أمام « نمر شيخو » وفرسانه الخمسة ؟

إن آل عبد الجليل القابضين على زمام الحكم في الموصل لم ينبسوا ببنت شفة امام هذا الحادث الجلل ، وأمراء العمادية الذين يفرضون طاعتهم على الشيخان لم يحركوا ساكناً، وحكومة بغداد التي تجيش الجيوش على سنجار وتفتك بسكانه لسبب أو بدونه لم تبد

٣) البيت للمتنبي وأصله : « وضاقت الارض حتى ان هاربهم ...» وقد تصرف به ليطابق وقوع الحادث .

اهتماماً ، الأمر الذي يدلنا على ان الحكومة بمجموعها لم يكن ليهمها قتل هذا الوالي وتمزيق جيشه والأخذ بمعاقبة المجرمين ، ولأمر ما تركتهم ، وأبقت العشائر المسلمة تحت رحمتهم .

وفي عام ١٢٠٥هـ نجد حاكم العمادية « اسماعيل باشا » يتحرك بموكبه من العمادية ويطوف انحاء مملكته ، ثم يتقدم الى الشيخان وينزل ضيفاً على « تمر اغا » الذي كانت الافكار تترقب نيله العقاب على يده . وقد كان نزوله ضيفاً على هذا اليزيدي الجلف الذي لم تجف يده بعد من الدماء الزكية التي أراقها بالأمس ، وهو عظيم بادينان « بهدينان » فيه شيء كثير من الاستنكار ويعطي قناعة باشتراكه في هذه الحادثة المشؤومة وقد جرت تحت علمه ، واذا لم يكن ذلك فقد جاءت وفق أمانيه وهو لم يكن على وئام مع الجليليين فأراد أن يشمل « تمر اغا » بعطفه ونزل ضيفا عليه . ولعل اسبابا اخرى دعت الامير البهديناني الى ذلك . وهذه الأسباب نفهمها من مؤلف كتاب غرائب الأثر فانه يذكر في حوادث سنة ١٢٠٥ :

« نزل اسماعيل باشا من قلعة العمادية وطاف مملكته وتقدم الى قرى الشيخان ونزل في قصر « تمر اغا » واستدعى امير الشيخان « جولو بك » فقدم باثني عشر رجلا من أبناء عمه ودخل القصر ، وأغلقوا الباب وضربوه بالتفنكات وقتلوه وقتلوا أخاه وهرب من سلم . ونصب أميراً على الشيخان رجلا اسمه خنجر بك وعاد الى العمادية » .

وصاحب غرائب الاثر لم يدلنا على اسباب هذا القتل الذي أخذنا الآن نلمس درجة خطورته والاثر الذي أحدثه في المجتمع اليزيدي ، وكيف رضي تمر اغا بقتل زعيمه الديني في داره ؟ ولم يسبق في التاريخ اليزيدي مطلقا ان تآمر يزيدي مع مسلم على قتل زعيمه الديني ، وهو إلهه الذي يعبده .

ومع ما يلبس هذا الحادث من الغموض يجوز لنا القول ان أمير اليزيدية حيث لم يكن محبوباً من الشعب وكانوا يريدون استبداله ولم يكن في مقدورهم ، والأمير لا يعزل من منصبه حسب تقاليدهم الدينية ، رأوا خير وسيلة إغتياله على يد رجل مسلم ، فقام تمر أغا بهذه المهمة ودعى أمير العمادية الى قصره وأطلق يده في قتله ، وإلا لو لم يكن

لليزيدية رضى في ذلك لما قدر أمير العمادية ان يقتل أميرهم في عقر دارهم وعلى مرأى منهم مهما بلغ من القوة .

وفي السنة التالية عزل اسماعيل باشا خنجر بك وصادره وحبسه وعين حسن بك بن جولو بك بمحله .

عرف حسن بك هذا بالكوسة وكان ذا دهاء ومكر وخديعة ، وعلى زمنه توترت العلاقات بين اليزيدية والاكراد « المزوريين » (١) فمنع اليزيدية الاكراد عن النزول الى السهل لبيع محصولاتهم . فتألبت عشيرة « الألكوشية » (٢) المعروفة بقوتها وهاجمتهم في قرية « كابارة » وقتلت منهم مرة واحدة مائة رجل واستولت على مرقد الشيخ عدي واضطرت سدنته الالتجاء الى قرية « عين سفني » ومنعت مجيء الزوار اليه ، وبعد ثمانية أشهر صالح اليزيديون الاكراد واستعادوا المرقد .

***

وللمرة الأولى نجد الحكومة تتحفز لتأديب يزيدية الشيخان بعد مضي أربعة عشر عاماً على حادثة قتل الوالي الجليلي ، ففي سنة ١٢١٤ حملت عليهم بقوة كبيرة من العساكر الأنكشارية وعززتها بخلق كثير من العشائر والقبائل وأوقعت فيهم مقتلة عظيمة وسبت نساءهم وأطفالهم ، وهذا ما قاله مؤلف غرائب الأثر عن هذه الحادثة :

« وفيها (أي سنة ١٢١٤) قدم الموصل من بغداد عبد العزيز بك بن عبد الله بك الشاوي بالعساكر ومعه عرب العبيد والبو حمدان وطي ، فنزلوا خارج الموصل وتجهز بالعساكر بكر افندي كتخدا محمد باشا وتوجهوا مع العساكر غربي الموصل ، ولما دخل الليل رجعوا وخرجوا من باب الجسر وساروا الى قرية الشيخان فوصلوها صباحاً ، وهرب أمير الشيخان حسن بك بأهله وصعد الجبل ونهبت نحو خمس عشرة قرية وسبوا

---

١ و ٢) المزورية ناحية جسيمة من نواحي الاكراد ، تكثر فيها المياه والاشجار والكروم وفيها مرقد الشيخ عدي بن مسافر ومرقد الشيخ نور الدين البريفكاني ، ومواقع أثرية كثيرة ترجع الى عهد الاشوريين ، وقد سبق الكلام عن كون المزوريين هم بالاصل قبيلة آشورية كانت تسمى « ميسوري »وهم الان قبائل عدة يجمعهم هذا الاسم منهم الالكوشي والخازيا والبناني والشمكاني والشرفاني ، والالكوشيون اكثرهم عدداً وأشدهم قوة وبأساً ، ومن قراهم : مازدينا وخوركي وبالطة وبيرموس وشيخ حسن وجمان وكلي رمان .

النساء والأطفال وجميع ما لهم من الأموال والغلال ، والقرى كلها لأهل الموصل، وقتل من الشيخان خمسة وأربعون رجلا وحملوا رؤوسهم الى بغداد .. »

وفي تاريخ الموصل للخوري سليمان الصائغ (١ : ٢٩٤) أن يزيـدية الشيخان لما جاهروا بالعصيان وأخشوا في الأطراف نهباً وسلباً ، حتى قطعوا الطريق عن المسافرين وتجمعوا من النواحي البعيدة وأشهروا الحرب على الحكومة المحلية ، سار اليهم والي الموصل (نعمان باشا) الجليلي بعساكره وقاتلهم وأخضعهم وذلك عام ١٢٢٢ ﻫ » .

ومع هذه الاجراءآت لم تبدبادرة إصلاح فيالوضع الاداري فيالشيخان وقدانقطعت المواصلات واضطر أهل القرى المسلمة الى التحصن في منازلهم ، وامتنع أكراد الجبال عن النزول الى السهل لبيع محصولاتهم ، فعضهم الجوع واستولى عليهم اليـأس وعمت الفوضى (وتراخى الأمر حتى اصبحت هملا يطمع فيها من يراها) .

والحكومة بدلا من ان تأخذ باسباب الاصلاح ، وتعيد الأمن الى نصابه ، نجدهـا تأتي على عمل على غاية من الحطة ، اذ نجد والي بغداد يوعز الى أمير الشيخان حسن بك بنهب الأموال وتخريب القرى واحداث فوضى واسعة قصد اتهـام والي الموصـل الجليلي بسوء الادارة . يقول صاحب غرائب الاثر :

« أما حسن بك أمير الشيخان فلم يمتثل الأمر ، بل امتثله أخوه (عبدي بك)فجعل يطوف غالب قرى الموصل ويأخذ منها ما يمكنه أخذه من دراهم ودواب وثياب وبسط».

ثم يقول : « وقد طرد الامير حسن بك أخاه عبدي بك إرضاء للوالي الجليلي فذهب الى سنجار واستجار باهلها اليزيدية فأجاروه وأكرموه . ثم استدعاه (زبير باشا) حاكم العمادية وأبقاه عنده مراغمة لوالي الموصل الجليلي » . وهكذا نرى ادارة المملكة تصبح عرضة لاحتراصات الولاة والامراء فيضحون مصالح الامة على مذبح شهواتهم الأثيمة دون ان تأخذهم فيها رحمة .

* * *

كان منتصف العصر الثالث عشر الهجري مسرحا لحوادث جسيمة في هذه البـلاد لم يسجل التاريخ أروع وأفظع منها .

فبينما نرى الوزيرين العثمانيين محمد رشيد باشا وحافظ باشا يحملان على جبل سنجار ويغمرانه بالدم والنار ويبيدان ثلاثة ارباع نفوسه ، ويقوم بدر خان باشا (١) من جزيرة ابن عمر بجيش لجب جرار ويزحف على وادي آشوت ويذبح عشرات الألوف من سكانه النصارى النسطوريين حتى يروى ان عظامهم بقيت مكدسة في هذا الوادي بضع سنين نرى أمير راوندوز محمد باشا المعروف بـ (مير كورا ـ الأمير الأعور) يوقع مجزرة في يزيدية الشيخان تذهل من فظاعتها العقول وترتعد من هولها الفرائص . وتفصيل هذه الحادثة ـ على ما تناقلته الألسن وأيدته الأخبار ـ أن « علي بك » أمير اليزيدية ـ وهو ابن حسن بك بن جولو بك ـ كان يحمل ضغينة على « علي أغا » البالطي زعيم عشيرة الألكوشية ويكن له العداء الشديد . فدعاه الى « باعذرة » بحجة انه يريد أن يختن ولده في حجره (اي يجعله له كريفاً) . فجاء باعذرة ولم يكن معه اكثر من خمسة رجال ولم يعلم ما قد خبأه له القدر . وعندما استقر به المقام في دار الأمير دخل عليه جماعة من اليزيدية وضربوه بسيوفهم وخناجرهم وأماتوه . ثم حضر اربعون شخصاً من مقدمي

---

١) يقال انه من اسرة (عزيزان) التي ترتقي بنسبها الى (عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد) وكان عبد العزيز هذا قد وفد الى الجزيرة وأسس امارته التي عرفت باسمه وهذا زعم باطل . وقد ثبت ان خالد بن الوليد انقطع نسله بموت اولاده جميعهم في الطاعون.

تولى هذا الامير حكومة جزيرة (بوتان ـ بهتان) سنة (١٢٢٧هـ ـ ١٨٢٢م) وعلى رأي صاحب كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الاخيرة كان استقلاله سنة (١٢٦٣ هـ ـ ١٨٤٧ م) وهو لم يبلغ من العمر العشرين . وقد استفاد من ضعف الحكومة واشتغالها بالحرب مع الروس سنة (١٢٤٤هـ ـ ١٧٢٨م) وكذلك حربها مع الجيش المصري سنة (١٢٤٨هـ ـ ١٨٣٢م) وأخذ يتوسع في امارته وأوصل دائرة حكمه ـ على قول امين بك مؤلف تاريخ كرد وكردستان ـ الى حدود (وان ـ صابلاخ ـ راوندوز ـ الموصل) واستولى على قلاع (سنجار ـ سعرد ـ ويران شهر ـ سيورك) وامتد سلطانه الى قلعة ديار بكر وتمكن من الاستيلاء على بلدتي « اشنه » و « ارمية » وضرب النقود باسمه. وكان يفرض طاعته على سكان وادي « آشوت » النصارى الطياريين وسكان جبل سنجار اليزيديين باعتبار انهم من العنصر البوطاني ويقوم بحملات سنوية على جبل سنجار لاستحصال الضرائب منهم . ولامتناع سكان وادى آشوت النصارى عن تأدية الضرائب التي فرضها عليهم وقتلهم عامله الذي اقامه بينهم جرد حملة قوية ـ يقال ان عددها عشرة آلاف مقاتل ـ وأوقع فيهم مقتلة عظيمة كاد ان يقضى فيها عليهم.

وقد اقلقت بال الحكومة اعمال هذا الامير ، فطلبت حضوره الى الاستانة فأبى ، فجردت عليه حملة عسكرية كبيرة فهزمها . ثم جردت حملة اخرى تحت قيادة المشير (عثمان باشا) والي حلب فقبض عليه وأرسله الى اسطنبول سنة ١١٦٣هـ ـ ١٨٤٧م

اليزيدية وأغمد كل واحد منهم فيه خنجراً لتكون الملة باسرها مشتركة في قتله . أما رجاله الخمسة فقد قتل منهم ثلاثة وهرب اثنان (١) .

هاج « الألكوشيون » وماجوا عندما وقفوا على قتل زعيمهم وجمعوا قوتهم وأرادوا الهجوم على باعذرة ولكن أنى لهم ذلك وقد اجتمع في باعذرة ألوف الناس من اليزيديين للدفاع عنها وأصبحت على قول الشاعر :

فيا دارها بالخيف ان مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

كما أن أمير العمادية ، الذي كانت الشبهات تحوم حول تواطئه مع أمير الشيخان على هذا الحادث ، لم يظهر قبولا بهجوم المزوريين على الشيخان ، فكان ذاك وهذا سبباً لشل يد الألكوشيين عن الأخذ بثأر زعيمهم وجعلهم يترقبون الحوادث .

***

كان لعلي أغا ولد عم يشتغل بطلب العلم في العمادية يدعى « ملا يحيى » ـ وهو الذي اشتهر اخيراً بملا يحيى المزوري ـ يروى عنه كيساً ودهاء عظيمين، استنجد بامير العمادية « اسماعيل باشا (٢) » على أمير الشيخان الذي قتل ابن عمه ظلما وعدوانا . فلم يلق منه اذنا صاغية بل ألقى قتل علي اغا على « علي اغا » نفسه لتلبيته دعوة أمير الشيخان وذهابه اليه دون أن يحتاط للأمر ويفكر بالعواقب . فهجر « ملا يحيى » العمادية وذهب الى بغداد والتجأ الى الوالي « داؤد باشا » وبث اليه شكواه من قتل أمير اليزيدية ابن عمه بالخيانة والغدر وأوقفه على ما يعانيه المسلمون من الظلم والاعتداء على أيدي اليزيديين فيقال ان « داؤد باشا » اكتفى بتزويده بكتاب الى « محمد باشا » أمير راوندوز طلب فيه اليه تأديب اليزيديين وانصاف المسلمين منهم . وفي رواية أن « ملا يحيى المزوري » لم يذهب الى بغداد بل ذهب تواً الى راوندوز واستنجد بالامير محمد باشا على اليزيدية ومناه باشياء لاقت هوى في نفسه . فأجابه وأخذ يعد العدة لغزو يزيدية الشيخان .

---

١) كان هذان اللذان هربا من اهل قرية (مامزدينا) المسلمة ، وكان علي اغا يثق باخلاصهما، ولكن ظهر اخيراً ان لهما ضلعاً في هذه المؤامرة .

٢) هو ابن مراد باشا بن اسماعيل باشا الذي قتل امير الشيخان (جولو بك) عام ١٢٠٥هـ . تولى امارة العمادية بعد موت عمه (زبير باشا)

وكأنما لم يرد أن يكون قد أتى عملا يخالف الشريعة - وهو الذي يتظاهر بتمسكه الشديد باحكام الدين - فاستفتى عالمه « ملا محمد الختي (١) » بالأمر، ولا حاجة للقول ان الملا الختي أفتاه على الفور بهذا الغزو الذي عقد العزيمة عليه، وهو واحد من العلماء الذين يرون إباحة دماء هؤلاء القوم وأموالهم وأعراضهم بالفتاوى التي يصدرونها .

زحف الأمير محمد باشا بجيشه الذي كان يقدر بين الاربعين والخمسين ألف مقاتل من أكراد « الصوران » الأشداء من عاصمة امارته « راوندوز » في أول خريف سنة (١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢م) وبعد أن أجرى تصفية مع اليزيدية الذين في طريقه في منطقة إربل، عبر نهر الزاب الكبير من قرية « الكلك » وتسمى كلك الدواسن وسكانها يزيدية، وهي أول قرية تقع في طريقه الى الشيخان فقتل أهلها قتلا عاماً وأخذ يسير من قرية الى اخرى ويعمل فيها سيف الانتقام ويقضي على كل ذي روح فيها ..

كانت منطقة الشيخان تمتد من نهر الزاب الأعلى الى نهر الخابور الذي يمر من زاخو وهي متراصة بالسكان اليزيدية ونفوسهم تزيد على المائة الف نسمة. فأخذ الجيش الصوراني يهاجمها واحدة إثر واحدة ويبيد سكانها ولم يسلم من يده سوى النساء والفتيات اللاتي كن يجدن لهن شفيعاً من نضارتهن وطراوتهن، فقد كن يسبين ويرسلن الى بلاد السهران وهكذا استمر سيف البغي والعدوان يلعب في رقاب هؤلاء التعساء ويزيلهم من الوجود ولم يسلم منهم إلا الذين اختفوا في الأدغال والأحراش وهربوا الى رؤوس الجبال وهم لا يتجاوزون خمسة بالمائة .

وقصد منهم نحو عشرة آلاف نسمة الموصل للاحتماء بها، فأزاح والي الموصل « محمد سعيد باشا » الجسر عن دجلة خوفا من ان يتعقبهم الجيش الصوراني ويدخل الموصل ويعيث بها، فالتجأ اليزيدية الى « تل قوينجق » على بعد ميل من الموصل فأدركهم محمد

---

١) هو من قرية « ختى » من اعمال راوندوز تبعد ١٢ ميلا عن شقلاوة . تخرج على (ملا عبد الرحمن الروزبهاني) ثم تقلد منصب الافتاء لدى امير راوندوز بدلا من (ملا محمد بن آدم الروستى) ونال منزلة كبيرة لما عرف به من سعة العلم والصلاح والتقوى .

في سنة ١٩٣٢م ذهبت الى قرية « ختى » لأبحث عن الفتوى التي اصدرها فلم اعثر عليها ، وقيل لي ان الذي افتى الامير الراوندوزي بقتل اليزيدية هو (ملا يحي المزوري) لا الملاء الختي .

باشا وذبحهم جميعا ذبح النعاج ولم يترك منهم واحداً يفلت من يده .

ونجى الأمير « علي بك » من سيف الانتقام الذي كان أحق به وذهب الى جبال العقر واختفى فيها . الا ان شبح النقمة ظل ملازما له الى ان قبض على خناقه وقضى على أنفاسه بعد ان رأى بعين رأسه النكبة التي حلت بأهله وقومه جزاء غدره وخيانته .

إن أعمال النهب والتخريب التي أوقعها الجيش الصوراني لم تنحصر باليزيدية فقط بل شملت النصارى القريبين منهم ، إذ يحدثنا مؤلف تاريخ الموصل نقلا عن تاريخ ربان هرمزد :« ان جنود الأمير تقدمت الى القوش وبعدما نهبوها وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها حيث لم يسلم من يدهم إلا من هرب الى الجبال ساروا الى دير « ربان هرمزد » ونهبوا وقتلوا قسما من رهبانه فاختضبت الأرض بدماء الأبرياء .

لقد كانت الكارثة التي حلت بيزيدية الشيخان مؤلمة جداً لم يلاقوا أشد هولا منها منذعهد ظهورهم ، وهي لم تكن بنت يومها ، ولم يكن الباعث لها قتل زعيم الالكوشيين بل كانت الأيام مثقلة بها منذ زمن بعيد الى ان حان موعد ميلادها ، واذا أردنا ان نعطي حكما عادلا مجرداً عن التحيز في هذه الحادثة نجد ان اليزيدية بالدرجة الاولى مسؤولين عنها ، إذ بالوقت الذي كانوا يعلمون ما يجيش في صدور أهل الاسلام من عوامل الحقد عليهم ، وعلماؤهم لم يبرحوا من إثارة الرأي العام عليهم بفتاويهم ، كان عليهم ان يتقربوا منهم ويزيلوا الأحقاد والضغائن من قلوبهم ؟ ولكن لم يكن شيء من ذلك . فبينما يقتلون والي الموصل مع مائة نفر من جنده وينهبون أحماله وأثقاله بالأمس نجدهم اليوم يدعون زعيما كبيراً من زعماء الأكراد بالمكر والحيلة ويقتلونه أشنع قتل ، ولم يفكروا بأنهم محاطون بقبائل قوية من المسلمين وليس لهم ما ليزيدية سنجار حصونا تحميهم . فكان ما أضاعوه من النفوس لا يقل عن مائة الف نسمة وخربت مواطنهم وحلت الذلة والمسكنة فيهم .

وقد أدركوا هذه الحقيقة بعد ان أخذ بقية السيوف منهم يعودون الى أوطانهم . وأخذ المسلمون يكيلون لهم بعين الصاع الذي كانوا يكيلون لهم به .

***

والآن وبعد ان تم للعالم المزوري يحيي ما أراده وأشفى غليله من اليزيدية الكفار لم يبق عليه إلا ان يوجه سهام نقمته الى أمير العمادية الذي يقال ان له ضلعاً في قتل ابن عمه كبير الالكوشيين وأخذ يغري الامير الراوندوزي باحتلال مدينة العمادية وهي ملاصقة لامارته. وطالما يريد التوسع في ملكه فليس خيراً له من ان يتوسع على حساب هذه الأمارة.

تأسست أمارة العمادية البهدينانية على قول المؤلف البدليسي في مبادىء القرن الثاني عشر الميلادي وعلى قول « لونكريك » في أواخر القرن الرابع عشر وكانت تضم قضاء العقر والزيبار ودهوك وناحية المزوري ثم الحق بها قضاء زاخو وكان يشمل نفوذها ناحية النافكر (١) والشيخان وجبل مقلوب والسليفانيـة الى المنطقة التي تتكلم الكردية بأسرها وان كانت هذه النواحي تابعة من الناحية الادارية لحكومة الموصل . ويحد هذه الامارة من الشرق امارة « سهران ـ الصوران » وهي التي عرفت اخـيراً بامارة راوندوز ، ومن الشرق الشمالي أمارة الهكارية وتعرف بتواريخ الاكراد بأمـارة « شنبو » ، ومن الشمال الغربي أمارة « الجزيرة » ويعبر عنها بأمارة البوطان ، وسماهـا البدليسي بأمارة « عزيزان » وقد امتازت هذه الامارة بقوتها وشدة بأسها وقام فيها أمراء ذوي حنكة وروية رفعوا شأنها . ثم دبت روح الشقاق والتخاذل بين الأسرة الحاكمة فيها وأخذ يتآمر بعضهم على بعض ويورده مورد الهلاك حباً بالنفوذ والسيطرة والتغلب، والاستبداد بالحكم ، ففقدوا مكانتهم واستولى عليهم الضعف وخرجت القبائل المنضوية اليهم عن طاعتهم .

ويقال : ان امارة العمادية بعد ان أمست على مثل هذه الحـالة من الضعف ولم يبق في امرائها القدرة على ادارتها ، أغرى العالم المزوري أمير راوندوز بضمها الى أمارته ، ومن الجائز ان هذه الفكرة لم تدر في خلد العالم المزوري وكان يرى عكسها حرصاً على مصلحة قومه ووطنه من ان يدوسه الأكراد الصورانيون بأقدامهم ويعبثون فيه ، وان الأمير الراوندوزي هو الذي فكر فيها . وما حملته المشئومة على يزيدية الشيخان إلا من قبيل جس النبض ليعلم مبلغ قوة الأمراء البهدينانيين ومقدرتهم على الدفاع عن هذا الشعب

١) اصلها (ناف قور) ومعناه وسط الوحل لأن اراضيها موحلة وهي اشبه بمستنقع في كثير من الفصول .

الذي تربطهم به روابط تاريخية وقومية وتقليدية . أما وقد وجـد فيهم من الضعف ما أقعـدهم عن الذود عنهم ، فمن حقه ان ينزع هذا الملك من أيدي أصحابه الذين لم يستطيعوا المحافظة عليه ويضمه الى أمارته .

كانت حملته على العمادية سنة (١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م) اي في السنة التي تلت حملته على أمارة الشيخان اليزيدية ولكننا لم نعلم هل لاقى مقـاومة من العشائر البهدينانيين ، أم من بهم من الكرام ولم يتعرضوا له وكانوا يرحبون به ؟ وكلما نعرفه انه سار بجيشه الى «العمادية» وحاصر حاكمها « محمد سعيد باشا » وحاربه وكسره وعين أخاه « رسول بك » بمحله ثم استولى على قلعة العقر من يد حاكمها « اسماعيل باشا » واستولى كذلك على دهـوك وزاخو وهكذا سقطت مقاطعة « بهدينان » ذات المجد التاريخي بيده . يقول مؤلف تاريخ « كرد وكردستان » : ان الأمير الراوندوزي « بعد ان فرغ من الاستيلاء على العمادية ودهوك وزاخو عمد الى الأمور الادارية في هذه البلاد ونظمها أحسن تنظيم بواسطة رجاله واستتب الأمن في جميع بلاد بادينان استتبابا لم يسمع بمثله في تلك الجهات » وهذا القول ينـافي ما هو معروف عما أوقعه جيشه من أعمال التخريب في بهدينان واطلاقهم يد النهب والسلب فيه (١) حتى ثار أهل العمادية على حاكمهم الجـديد « رسول بك » وطردوه من بينهم وأعادوا « محمد سعيد باشا » الى محله . يقول مؤلف « تاريخ كرد وكردستان » : وقد ثارت ثائرة الباشا من جراء ذلك وزحف بجيش عرمرم على أطراف الموصل ، ثم توجه الى العمادية وحاصرها مدة ثلاثة أشهر حتى سقطت بيده وتسلم أميرهـا محمد سعيد باشـا وأخذ يصب على الأهالي جام غضبه فقتل منهم خلقاً كثيراً » (٢) .

إنما أثبتته الحوادث وأيدته الوقائع ان الأقوام التي تسير في حياتها على سنن وتقاليد قبلية خاصة لا ترضى بحكم الأجنبي مهما كان قويا وكانت ضعيفة ولا تقر له بالطاعة وكثيراً

---

١) الى زمن ادركناه غير بعيد ان المرأة الكردية في بهدينان اذا ارادت ان ترعب ولدها تقول له بالكردية : (صوراني هات) اي جاءك الصوراني .

٢) مما يتناقله الرواة من الاكراد انه سجن من اهل العماديـة ووجهائها مائة وخمسين شخصا وفي اليوم التالي اخرجوا من السجن جثثا هامدة .

ما حدث ان سولت لأمير نفسه وأراد ان يتوسع في إقطاعه على حساب اقطاعات الغير فباء بالفشل . وأمير الصوران لم يكن يجهل هذه الحقيقة إلا أنه كان يعتقـد ان القوة فوق كل شيء ولا سبيل للبهدينانيين من ان يخضعوا له .

* * *

كانت الحكومة العثمانية ، بالوقت الذي يتطاحن الامراء المتغلبون بينهم لغاية استيلاء بعضهم على ممتلكات البعض وقد بلغ فيهم القتال أشده ، قد أخذت في اعداد برنامج للقضاء على هؤلاء الامراء لما كانت تراه من الخطر في بقائهم على كيان الدولة ، وقد اختارت لذلك خيرة رجالها البارزين في السياسة والقيادة كالمشير عثمان باشا الذي حارب « بدرخان باشا » أمير البوطان وقبض عليـه ، وحافظ محمد باشا قائـد الجيش التركي في معركة « نزيب ـ نصيبين » مع الجيش المصري ، ومحمد رشيد باشا الصـدر الأعظم السابق والي سيواس وسرعسكر الشرق وغيرهم . ولما رأت في خروج الأمير الراوندوزي ما هالها أمره ، وان عمله لم يكن من قبيل الغزو العادي الذي اعتاده الأمراء الاقطاعيون أودعت أمره الى « محمد رشيد باشا » سر عسكر الشرق . فقام من ديار بكر يصحبـه اثنى عشر فوجاً من العساكر النظامية وجعل وجهته جبل سنجار ، وبعد ان ضرب أهله اليزيدية وجاء الى تلعفر وأخمد الثورات التي كانت قائمة فيها ، عبر دجلة من أسكى موصل (على ما يرجح) وجعل طريقه من حافة جبل (دهوك ـ العقر) وعبر الزاب الكبير ودخل منطقة قضاء أربل وخيم في صحراء « حرير » (١) وهناك اجتمع به كل من والي بغداد « علي رضا باشا » ووالي الموصل « اينجه بايرقدار محمد باشا » مع جيوشها وأخذوا يتداولون البحث في هذا الأمر المهم .

كان « محمد رشيد باشا » يرى دعوة الأمير الراوندوزي الى طلب الاستيمان وقـبول

---

١) جاء في خلاصة تاريخ كرد وكردستان (ص ٢٤٦) ان جيش محمد رشيد باشا وصـل الى الموصل عن طريق الجزيرة ـ زاخو واجتمع هناك بجيش (اينجه بيرقدار اوغلي) فتوجها معاً نحو راوندوز.. وفي اربعة قرون من تاريخ العراق الاخيرة (ص٣٠٧) ان رشـيد باشا بعد ان قمع الاضطراب في ماردين المشاغبة وو.. وأدب تلعفر ، سار عبر دجلة متوجها الى هدف اعظم،وقد آزر حملته البيرقدار في الموصل،، وعلي رضا باشا في بغداد .

دخالته أوفق لمصلحة الدولة من الدخول معه في حرب لم يعرف مداهـا ، واذا أصيبت عساكر الدولة بهزيمة يستفحل أمره ويعظم خطره ، وتصبح الدولة أمام معضـلة خطيرة تهدد سلامتها ، بينما كان « علي رضا باشا » و « اينجه بيرقدار محمد باشا » يريان عكس ذلك ويرجحان استيصاله بالقوة مهما كلف الأمر ولا يهم « علي رضا باشا » الهزيمة التي تحل بعساكر الدولة بعد ان يكون « محمد رشيد باشا » قد فشل في مهمته .

وقد أبدى « محمد رشيد باشا » تصلباً فى رأيه عندما علم ان الجيش الصوراني قد احتل مضيق (علي بك) وهو الطريق الوحيد الذي تسلكه الجيوش لدخول منطقـة رواندوز وان اجتياز هذا المضيق أصبح من الصعوبة بمكان ، وأرسل كتاباً الى الأمير محمد باشا يدعوه فيه الى طلب الاستيمان ، ويعطيه التأمينات القوية بالعفو عنه وإعادته الى محله . فحضر « محمد باشا » الى المعسكر العثماني وقدم طاعته ، فأخذه « محمد رشيـد باشا » وأرسله الى استانبول . ويقال ان « محمد باشا » لم يجنـح الى تقديم الطاعة إلا بعد ان عرض أحد علمائه في خطبة ألقاها يوم جمعة بعدم مشروعية قتال جيش خليفة المسلمين ، فأثرت هذه الخطبة في جيشه ورأى منهم فتوراً فى الاقدام على القتال فذهب الى المعسكر وقدم طاعته .

وكان لشفاعة « محمد رشيد باشا » بحق الأمير الرواندزي أثرها عند السلطان ، فعفا عنه وأمر برجوعه الى محله ، وصادف ان توفى « محمـد رشيد باشا » فى تـلك الآونة . فانتهز « علي رضا باشا » الفرصة وأرسل سراً الى الآستانة يقول انه اذا سمح « لمحمد باشا » بالعودة الى (رواندز) تعذر ضبط الأمور ونشر ألوية السلام في تلك الربوع فعدلت عن العفو عنه وأصدرت فرماناً يقضي باعدامـه . ولما كان قد غادر الأستـانة أرسل الفرمان فى أثره فأدركه فى مدينة (سيواس) - ويقال في رواية فى طرابزون - وهو ضيف على الوالي فنفذ حكم الفرمان فوراً ودفن فى مقبرة الغرباء وكان ذلك سنة (١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩ م) .

***

جرت هذه الحوادث ولم نقف على خبر (لعلي بك) أمير اليزيدية ، فهل اتصل (بمحمد

رشيد باشا) وبث اليه شكواه من النكبة الأليمة التي حلت به وبشعبه ؟ أم ظل هارباً مختفياً في جبال (العقر) ولم يجرأ على مواجهته ولا مواجهة أحد الوزيرين الآخرين ؟ أم كان قد عاد الى مقر أمارته وأخذ يبكي مجده الزائل وعزه الغابر ولا مجيب له ؟ لا ندري كيف كان أمره ؟ وكل ما نعرفه ما جاء في تقويم الموصل لسنة ١٣١٣هـ (ص٤٤٤) أن والي الموصل « اينجه بايرقدار محمد باشا » قبض عليه وقتله في موقع يسمى « كر محمد عرب » مع جماعة من أغوات الأنكشارية وزعماء الاكراد وقطع رأسه ورماه في نهر الكومل . والاينجه بايرقدار لم يقتل هذا الأمير التعس لخطر كان يخشاه منه ، وأي خطر يخشى من رجل منكوب فقد عزه وسلطانه وأضاع قومه وأصبح ذليلا حقيراً لا قيمة له في الحياة ؟ بل قتله لأن سياسة الدولة كانت تقضي برفع وجود أصحاب الزعامات وذوي النفوذ من أمراء الاكراد (١) وكان يرى أمير الشيخان واحداً منهم .

كان لعلي بك عندما قتل ولد صغير يدعى « حسين بك » فتغلب أحد أفراد هذه الأسرة عليه وهو « جاسم بك » بن صالح بك وغصب منه منصب الأمارة ، والشعب لم يكن له حق المداخلة في ذلك . وبعد ان كبر حسين بك ثار عليه وقتله في قرية (ايسيان) قريباً من «باعذرة» واستقل في الامارة. ويقال ان الذى عاون حسين بك في قتل جاسم بك خادم له اسمه « شيخ كوندور - أي الشيخ بطيخ » فكافأه بأن قتله بحجة أن من يغمس يده في دم أمير من غير هذه الأسرة لا يحق له البقاء في الحياة .

كانت الأمارة بعد هذه الحادثة قد ضعف شأنها ولم يبق للأمراء تلك المنزلة التي كانوا يتمتعون بها ، وانقطعت عنهم الهبات والخيرات التى يقدمها لهم الشعب ووقعوا في ضيق شديد . ومن المعلوم أن هذا المورد اذا انقطع عنهم ماتوا جوعاً وليس لهم مورد غيره. إلا ان هذه الحالة لم تدم كثيراً وسرعان ما جمع الشعب شمله وانصرف الى أعماله واستعاد

---

١) يروى ان الاينجه بايراقدار لما خيم في كر محمد عرب على نهر الكومل حضر لزيارته الشيخ طاهر البامرني شيخ الطريقة النقشبندية وهو جد الشيخ بهاء الدين افندي البامرني ، والشيخ نور الدين البريفكاني شيخ الطريقة القادرية ، او كان حضورهما عنده بدعوة منه وقصد تلك الليلة ان يغتالهما . فاعترضه رئيس ديوانه وهو من وجهاء الموصل ، ولم اتحقق من هو ، واعلمه ان عمله هذا يؤدي الى نشوب ثورة عظيمة بين الاكراد في الجبل لا يدرك لها مدى فعدل عن ذلك .

الأمراء مكانتهم . والذى ساعدهم على ذلك استقرار الوضع الاداري في المملكة وتعميم مبدأ الحرية والمساواة بين جميع العناصر دون النظر الى الاختلافات الدينية والمذهبية ، وذلك بمقتضى الفرمان الذى أصدره السلطان عبد المجيد والمسمى « كلخانه خط همايوني » ، وكف العلماء عن فتاويهم التي اعتادوا إصدارها والتى كانوا يثيرون الرأي عليهم . فباتوا في مأمن من الاعتداءآت التى كانت تعكر صفو حياتهم .

إن من أبرز الحوادث التى نراها فى حياة الأمير « حسين بك » اتصاله بالسيرهنري لايارد المنقب والبحاثة الانكليزى وصداقته الوثيقة معه وسفره الى اسطنبول ومثوله بين يدي السلطان عبد العزيز ونيله عطفه ، وبعد عودته من اسطنبول ظهور فتن واضطرابات في الشيخان فاتهمته الحكومة بها وقبضت عليه وألقته فى السجن ثلاث سنين .

ومن الحوادث المهمة أن سجن الأمير حسين بك لما طال ويئس أولاده من خروجه وهو رجل مسن ، أعلن ابنه الكبير هادي بك الامارة واتفق أخوه حسن بك معه واستولى على المقدسات والسناجق وأخذ يطوف بالسنجق فى الشيخان ويجمع الخيرات والنذور ، فلم يرق عمله لأهل بيت الأمارة فقاتله عمه عبدي بك بن علي بك وأخواه سليمان بك وعلي بك ولدي حسين بك وقتلوه هو وأخاه حسن بك وجماعة من أعوانه في قرية « خطارة » وأخرجوا المقدسات والسناجق من يده .

تدلنا هذه الحادثة على ان روح الطغيان والاستبداد لم يفارق هذا البيت على رغم النكبة الفادحة التى حلت بهم، ولو وجدوا مجالا لفعلوا أكثر من هذا ، إلا ان الظروف أصبحت غير مواتية لهم .

استمرت أمارة حسين بك على اليزيدية نحو اربعين سنة أظهر فيها من العزم والحزم ونفاذ البصيرة وأصالة الرأي ما جعله يجمع شمل شعبه المتبدد ويوجد له كيانا من جديد وإلا لما بقى لهذا الشعب أثر فى الشيخان ولتفرق الباقون منه في مختلف بقاع الأرض وضعف شأن اليزيدية وأخذوا بالزوال بعد ان يكون معبدهم قد خرج من أيديهم وحرموا من الوصول اليه .

وبعد ان قضى حسين بك نحبه خلفه بالامارة ابنه « ميرزا بك » ومن أهم الاحداث التي ظهرت على عهد أمارته الكارثة المروعة التي أحلها الفريق « عمر وهبي باشا » بالشعب اليزيدي في الشيخان وسنجار ودعوتهم قسراً الى الاسلام . وقد أسلم هو وأخوه بديع بك ، إلا ان اسلامهما لم يدم اكثر من ثلاثة أسابيع ثم عادوا الى يزيديتهم . وكانت وفاته حوالي سنة (١٨٩٤م) وخلفه بالامارة أخوه « علي بك » فكانت أمارته سبعة عشر عاماً مملوءة بصنوف المحن والمآسي فقد كان الشعب فقيراً وموارده أصبحت قليلة وموظفو الحكومة يسومونه الخسف والذل لسلب ما بيده من قوت ومال وهو لا يستطيع ان يدفع عنه . وأهم مشكلة لاقاها خلال مدة أمارته اصرار الحكومة على تطبيق قانون التجنيد بحق الشعب ، والشعب لا يرضى به بدعوى انه مخالف لديانته . فكان يجمع المبالغ الكثيرة لارضاء ذوي الشأن من موظفي الحكومة ولم يحصل على فائدة . ورسالة «عبده ابليس» التي وضعها والي الموصل نوري باشا كانت لغاية اقناع المراجع العليا في اسطنبول لرفع التجنيد عنهم وربطهم بالبدل العسكري لكنه لم يفلح . وكانت عاقبة هذا الامير ان اغتيل ليلا وهو نائم على فراشه وزوجته « ميان خاتون » بجانبه (سنة ١٩١٣م) وتولى الامارة ابنه « سعيد بك » ابن علي بك وله من العمر اثنتي عشرة سنة وأقيمت أمه ميان خاتون وصية عليه ، إلا أنه لم تحمد سيرته وقام في وجهه اختلافات شديدة في سنجار والشيخان وأرادوا إسقاطه من منصبه ولكن الحظ ظل ملازماً له الى ان قضى نحبه (سنة ١٩٤٤م) وخلفه بالامارة ابنه تحسين بك وهو في سن الثالث عشرة وأصبحت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت وصية على أبيه وهو الآن في سن السابعة عشرة . وقد تدل الظواهر على أنه سوف لا يكون خيراً من أبيه . وأسباب الترفه والرخاء متيسرة له اكثر منه ، وتعضده جدته بالاموال الكثيرة لتجعل منه نسخة طبق الاصل من ابيه الراحل بينما الشعب يظهر استعجالا لخروجه من الوصاية لينال الراحة على يده .

تاريخ اليزيدية في جبل سنجار

جبل سنجار - موقعه - وجه تسميته - أدواره التاريخية - ازدهار الحضارة والعمران فيه
انتقال اليزيدية اليه - حالته الحاضرة

يقع جبل سنجار وسط جزيرة ما بين النهرين (مهزوبوتامي) ويمتد من درجة ٣٥ الى درجة ٣٠ر٣٥ من العرض الشمالي ، وفي معجم البلدان أن عرض مدينة سنجار ٣٥ درجة وثلث ، وطولها ٣٠ درجة ، وهو ذو مياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، وتربته أغنى وأخصب بقعة فيما بين النهرين ، ويقال ان اسمه الحقيقي (سنغاره) .

ولمؤرخي الاسلام تعليل غريب في تسميته نعرض صفحاً عنه ، وفي معجم البلدان في كلمة سنجار نقلا عن حمزة الاصفهاني : ان سنجار تعريب (سنكارا) .

وفي المستدرك على معجم البلدان في مادة (آشور) أن سنغارا هي الآن سنجار وكانت من أهم مدن حكومة آشور .

نقول : ولا يزال سكان جبل سنجار اليزيدية الأكراد يسمونه (شنكاري) بامالة الياء.

***

ان هذا الجبل الممتاز بموقعه الجغرافي والحربي وسط هذه المنطقة الصحراوية - لا جدال في انه - غدا مسرحا لحوادث مهمة منذ فجر التاريخ على عهد الآشوريين والحيثيين والميتانيين والكلدان والفرس والرومان عندما كانت أثرة التنازع سائدة بينهم على هذه البلاد . ومن المؤسف اننا لم نقف على شيء من هذه الحوادث سوى نتف قليلة متفرقة في بعض المدونات مما لا تعطى فكرة صحيحة يمكن الباحث الاستفادة منها . وفي تقرير لبعثة (نلسون) للشرق الأدنى رفعته الى الحكومة العراقية عن اعمال المسح والتحري التي قامت بها في هذه المنطقة بالنيابة عن معهد « لفربول » لعلم الآثار والمحفوظ الآن في المديرية العامة للآثار القديمة في بغداد ما يفيد : « ان هذا السهل المنبت الخصب

الذي تنتشر فيه مرتفعات سنجار يؤلف جزءاً خطيراً من اراضي شعوب الامبراطوريات المتعاقبة منذ بدء التاريخ . وأكثر الظن انه كان لقمة شهية يسيل لها لعاب الآشوريين والحثيين ، مما كان يؤدي الى تنازعهم وقتالهم لامتلاكها . ومما لا ريب فيه ان هذه المنطقة قد أصبحت في حوالي منتصف الالف الثاني (ق.م) قسما من الدولة الميتانية التى كانت عاصمتها على نهر الخابور الأعلى . وكان السهل يسقى بواسطة الري الاصطناعي ، وكانت زراعته تمتد الى بقعة تبعد بعداً كبيراً عن حدوده الحالية في الجنوب ، كما ان مراكز الاستيطان الضيقة التى كانت فيها قبل التاريخ تجاور بلدي سنجار وتلعفر ، ثمت وأصبحت مجتمعات زراعية واسعة أقام ابناؤها لهم الابراج الحصينة والقلاع المتينة التى كان يهرع الناس اليها ويحفظون فيها ما امتلكت ايديهم عند نشوب الحروب او وقوع الأهوال .. » ا . هـ

على ان الآشوريين الذين كان يسيل لعابهم لمنطقة سنجار ملكوها فعلا ، ونشروا فيها مدنيتهم ، واتخذوا الجبل قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الحثيين الذين استمرت الحروب بينهم عصوراً طوالا . والآشوريون الذين كانوا يتبعون سياسة الفتح والاستعمار ووصلوا بغازيهم حتى سواحل البحر المتوسط ، وأوقعوا الفينيقيين زمناً تحت حكمهم ، لم يكونوا ليستغنوا عن جبل سنجار من جعله حصناً لهم يحمون به بلادهم ويتخذونه قاعدة دفاعية هجومية ضد الحكومات المعادية لهم . ولو واصلت بعثة (نلسون) تحرياتها في المواقع الأثرية التى عثرت عليها في سهل سنجار وفي الجبل نفسه لكشفت عن آثار ذات قيمة كبيرة تنبيء عن حالة هذه المنطقة الاجتماعية والعمرانية في ذلك العهد .

وبعد ان انقرضت دولة آشور عام (٥٣٨ق.م) على يد الفرس وأصبحوا هم الوارثون لها ، دخلت هذه المنطقة ايضا تحت حكمهم ، وكان من الطبيعي ان يهتموا في تحصين هذا الجبل ويتخذوه لهم معقلا قويا تجاه الرومانيين عندما كانت الحروب متصلة معهم على هذه البلاد . وفي (قاموس الأعلام) في مادة (سنجار) ما يدل على وقوع حروب مهمة بين هاتين الدولتين في هذا الجبل في ذلك .

وفي كتاب (كلدو وآثور) لأدي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الآثوري ان

ملك الرومان لما حمل على (الفرثيين) واستولى على عاصمتهم المدائن تعرض لملك سنجار واسمه (معنو) وهزمه عام ١١٥ م

وفى خلاصة تاريخ الكرد وكردستان نقلا عن تاريخ القرون الوسطى : « وفى سـنة ١٣٤٢ و٣٤٨م تقابل شابور ملك ايران بجيش الرومان بجوار سنجار فهزم (قسطنطينوس) قائد الجيش الروماني ، الجيش الايراني شر هزيمة وأسر ولي العهد الايراني .

وبعد هذه الحروب استولى الرومانيون على جبل سنجار وملكوه فعلا، ودام ملكهم فيه زمنا طويلا ، يدلنا على ذلك المسكوكات الرومانية التى يعـثر عليها فى هذا الجبـل بكثرة حتى يومنا هذا ، وهذه المسكوكات وان لم نعلم العـهد الروماني الذي ترجـع اليه بالضبط ولكن يكفينا ان نعلم انها مسكوكات رومانية .

ويعلم من هذا ان دولا مختلفة تناوبت الحكم فى هذا الجبل وقد تركت كل دولة فيـه أثراً من حضارتها ومعتقداتها وتقاليدها ، وبذلك اصبح مسرحا لمدنيـات ومعتقدات ولغات ذات ألوان كثيرة . ونظراً لموقعه الجغرافي كان نقطة اتصـال ذات أثر كبير من الوجهة الحربية بين حكومات الشرق والغرب والشمال والجنوب .

وبجانب ما ناله من تقدم من الناحيه العمرانية كان هدفاً لتخريب الغزاة الفاتحين وربما عمه الخراب حينا وازدهر العمران فيه حينا آخر .

﴿ النصرانية فى جبل سنجار ﴾

دخلت النصرانية جبل سنجار منذ ان أخذ المبشرون يبثون التعـاليم المسيحية على وجه الارض او بعد ذلك بزمن قليل وقد اتسع نطـاقها فى القرن الرابع وأصبحت تابعة من حيث التشكيلات الكنسية لمطرانية (بيت عربايي) على عهد المطران (يعقوب النصيبيني) الذي كان عضواً في المجمع النيقاوي (١) .

والتواريخ الكنسية لم تحدثنا عن كيفية دخول النصرانية جبل سنجار والحياة الطويلة

---

١) نسبة الى (نيقية) وهي المدينة المعروفة الان بـ (ازنيق) فى الجمهورية التركية. انعقد هذا المجمع سنة ٣٢٥م حضره (٣١٨) اسقفاً سنوا فيه القوانين الاساسية للدين المسيحى واجمعـوا كلهم على تثبيت الاناجيل الاربعة الموجودة ورفض ما سواها .

التي عاشتها فيه ، وكيف حافظت على بقائها وهى محاطة بشعوب وأقوام غريبة عنها وهي غريبة عنهم ، غريبة بالجنس واللغة والدين .. وكلما قاله كتاب النصارى وبحاثيهم عنها انه كان لها فى هذا الجبل مكتبة قديمة مكتوب اكثرها على رق غزال وأن اليزيدية يعتنون بها ، وينشرونها حيناً بعد حين ويحفظونها فى حرز مكين ، ولم يتكلموا عن هذه المكتبة وكيف آل أمرها الى اليزيديين . والذي عرفناه ان النصرانية عاشت فى هذا الجبل اثني عشر قرنا فيعزة ومنعة والذيساعدها على البقاء طيلة هذه المدة حصانة موقعها ووعورة المسالك المؤدية اليها . ولا نشك فى ان أصحابها كانوا يلاقون اعتداءات من الخارج ولكنهم كانوا يقاومونها بشدة ويصدونها ، وهم أشداء أقوياء بالفطرة وليس من السهل ان ينال أعداؤهم منهم ، وقد كثرت أديرتهم ومعاهدهم الدينية والثقافية وتخرج منهم علماء حفظ التاريخ الكنسي اسماءهم وأشاد بذكرهم . ثم تضافرت عليهم عوامل لم يكن فى مقدورهم التغلب عليها فبادوا وخلفتهم اليزيدية .

***

فما نوهت كتب النصارى يذكره من هذه المعاهد الدير الذى أسسه (جبرئيل السنجارى) (١) عام ٧٧٤ يونانية الموافقة لسنة ٤٦١ ميلادية ، و (دير بطورا) (٢) الذى أسسه الراهب (أبا يونان المسجوسي) خلال سنة ٨٩٢ ـ ٩٠٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨١ ـ ٥٩٦ ميلادية ، و (الديرالكبير) لمار أدي أحد حواريي المسيح، والدير المعلق او (ديرسرجيس) الذى عرف باسم النساك (سرجيس) و (زعورا) و (باعوث) ويقع على قلة الجبل القاحل فوق مدينة (البلد) في سنجار يظن بناؤه في المئة الخامسة للميلاد وأصبح من أهم مواطن التعليم النصرانية في القرن الثامن واستقاضت شهرته فى القرن التاسع ، وكان يدرس فيه علم اللاهوت والفلسفة وصنوف العلم وتخرج منه مفريانا وبعض أساقفة وصار كرسياً اسقفياً منذ سنة ١١٦٧ الى سنة ١٣٤٥ ثم انطمس

١) موجد المذهب الاوطيخي (اليعقوبى) اشتهر بالطب وكان طبيباً خاصاً (لفيروز) ملك الفرس. وفى اللؤلؤ المنثور انه كان يعيش فى القرن السابع الميلادي وقد وهم فيه .

٢) را : كتاب المجدل لعمر ابن متي الطيرهاني

خبره وعفا أثره (١) وهذا الدير هـو الذى يعرف الآن بدير عاصي . وكذلك (دير خنوشيا) ذكر في أواسط المئـة السادسة وقد تخرج منه المفـريان بولس عام ٧٢٢ م ، والأنبا داؤد بن بولس آل ربان (صدر القرن السابع) وكان يدرس فيه العلم اللاهوتي واللغة اليونانية (٢) .

وممن اشتهر من أحبار النصارى فى سنجار الأسقف ايليا السنجاري السرياني يروى انه كان عالماً نحريراً حكيما ونقل عدة مؤلفات من اليونانية الى السريانية وحضر مجمع منبج سنة ٧٥٨ وله آراء ونظريات فى علم اللاهوت .

وممن تخرج من دير مار سرجيس (مار موسى ابن كيفا) المتوفي سنة ٩٠٣ صاحب التآليف الكثيرة في الفلسفة واللاهوت وله اثنان وعشرون مؤلفاً (٣) .

وكانت قرية (كرسي) التى يسكنها الفقراء من اليزيدية الآن ـ واسمها الحقيقى كرسى بالألف المقصورة على وزن سكرى ـ كرسيا للمطارنة ، ولذا أطلق عليها هذا الاسم باللغة الآرامية .

وفى المعجم لياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م) فى كلمة (جدال) وهي القرية المعروفة الآن بجدالة ويسكنها طائفة من فقراء اليزيدية ايضاً : « انها قرية كبيرة وعندها خان حسن وأهلها نصارى » .

فمتى انقرضت النصرانية من جبل سنجار ، وما هي العوامل التي أدت الى انقراضها ؟ جاء في كتاب (عبدة ابليس) لنوري باشا والي الموصل السابق ان انقراضها وقع فى مبادىء القرن التاسع عشر الميلادي ، وفى (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) للمستشرق الفرنسي الموسيو (ف . نو) ما يدل على ان انقراضها وقع قبل هذا التاريخ بكثير وهذا تعريب ما قاله :

« أفاد العارفون بالتاريخ انه لما توفي مطران سنجار سنة ١٩٧١ يونانية الموافقة ١٦٦٠ مسيحية (١٠٧١هـ) اجتمع كبار النصارى وأشرافهم وزعماؤهم وذهبوا الى (القوش) لكي يقيم لهم مطرانا غيره البطريرك (ايليا) الذى كان يسمى (مار اوجين) حيث كانت كرسيه حينئذ هنـاك ، فرفض البطريرك طلبهم بدعوى ان نصب مطران لهم يحملهم عبئاً

(١ و ٢ و ٣) اللؤلؤ المنثور للبطريرك اغناطيوس افرام برصوم

ثقيلا وهم في غنى عنه . وزاد على ذلك أنه مستعد ليرسل اليهم قسوساً لكي يقوموا بحاجاتهم الدينية ، فعادوا الى محلهم دون ان ينجحوا في مسعاهم . وبعد ان مضت عدة سنين ولم يبق أحد من القسوس لديهم تشاوروا ملياً وانتخبوا اربعماية رجل من الأشداء مع اربعين شماساً وأرسلوهم الى (القوش) قصد ان ينصب البطريرك ثانية قسساً لهم . وحينما هم في الطريق فاجأتهم عصابة من العرب نهبت جميع ما معهم وقتلت البعض منهم وأثخنت الجراح في بقيتهم ، فعادوا الى سنجار دون ان يحصلوا على شيء من بغيتهم وبقوا زمناً طويلا دون مدبر ولا مرشد يهديهم الى دينهم . حتى انتهى ذلك الجيل ونسوا الأحكام التي كانوا متبعيها ، وما بقي أحد منهم يعرف دينه او من دين آخر شيئاً البتة . وفي أحد الأيام عندما كانت جماعة من القوالين مارين من بينهم ، سألوهم من أنتم وما هي ديانتكم ؟ أجابوهم : أننا نجهل كل ما تسألونه منا . فقالوا لهم : هل يوجد بينكم من العلماء او القسس أحد ؟ أجابوهم : البتة . فحينئذ علموا انه ليس لهم علاقة مع أي دين من الأديان ودعوهم الى اليزيدية وعلموهم مبادئهم الفاسدة وأحكامهم الباطلة (الموافقة للميل البشري) وقد نسي هؤلاء المرتدون جميع التعاليم والقوانين التي كانوا متبعيها ، سوى انهم يلفظون اسم الجلالة بـ (آلاها) كما هو مستعمل باللغة الكلدانية .. » انتهى .

هذا ما قاله المستشرق الفرنسي الموسيو « نو » عن انقراض المسيحية في جبل سنجار إلا ان التواريخ الكنسية الموجودة لم تتكلم عنه وكذلك الأخبار المنقولة عن ماضي الجبل وقد قامت الحكومة العثمانية بحملات متواصلة على جبل سنجار منذ القرن السادس عشر ولم يذكر انها عثرت فيه على أثر للنصرانية الأمر الذي يجعلنا نتردد في قبول صحة ماقاله المستشرق الفرنسي . ولكن مما لا شك فيه ان النصرانية عاشت قروناً طوالا في جبل سنجار وكان لها فيه أدوار زاهرة وكثرت أديرتها ومعاهدها الدينية والعلمية ثم قضى عليها بعد ان ظهرت اليزيدية وقامت بمحلها واحتل الطاؤوس مكان الصليب . أما متى كان ذلك وهل قدر لها البقاء اكثر من الاسلامية فذلك لم نتحققه .

***

﴿ جبل سنجار في عهد الاسلام ﴾

في عام ٢٠ للهجرة (٦٤٠ م) على عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب ، تم فتح الجزيرة على يد (عياض ابن غنم) أحد قواد (سعد ابن أبي وقاص) ، وعلى قول البلاذري أن عياض ابن غنم لما انصرف من (خلاط) وصار الى الجزيرة بعث الى سنجار ففتحها صلحاً ، وهكذا دخلت سنجار النصرانية في حوزة الاسلام وبقي أهلوها على نصرانيتهم بعد ان فرضت الجزية عليهم وأخذوا يعيشون والاسلام جنباً الى جنب متمتعين بحرية لم يكونوا يعرفونها من ذي قبل ، وبقوا على هذه الحالة تابعين لمجرى التطور الذي أحدثه الفتح الاسلامي في هذه البلاد .

كان العصر الأول والثاني للهجرة عهد هجرة لكثير من قبائل العرب الى سنجار لما لاقوه فيه من نعيم مقيم ، وخصب عميم ، ورخاء عظيم . فوفدت اليه قبائل شتى من بني قشير ونمير وعقيل وتغلب وكلاب واتخذوا السهل الفسيح (قبلي سنجار) موطناً لهم ، بينما اختص بسكنى الجبل النصارى سكانه الأصليون . وأصبح هذا السهل يعج بالسكان ونشطت فيه حركة العمران والتقدم الى ان انتقل الحكم الى أيدي العباسيين ، وفي العصر الثالث الهجري أخذت حالته تسيء بعد ان أمسى الحكم بيد الولاة الذين كانوا يقتطعون أجزاء المملكة ببدل معين من الخلفاء ويتاجرون فيها . وعندما استقل الحمدانيون وبنو عقيل والسلجوقيون في الموصل وما يتبعها من البلاد وفي ضمنها « سنجار » ازدادت سوءاً لسبب الضرائب الفادحة التي كان رجال الادارة يفرضونها على الأهلين لسد نفقاتهم التي يقتضيها بذخهم وترفهم وتمادي الفتن والحروب بينهم .

وفي تاريخ الموصل : « كانت سنجار في عهد الدولة الحمدانية كثيرة القرى والعمران ، ثم أخرجها (ارطغرل) السلجوقي لما أقبل الى الموصل في حوالي عام ٤٦٦ هـ فقتل من أهلها أربعة آلاف رجل وأجلى البقية حتى أصبحت قفراء ، ثم تراجع عمرانها في عهد الدولة الأتابكية حيث اصبحت أمارة مستقلة يحكمها أفراد من العائلة الأتابكية » (١) .

---

١) نقل المؤرخ هذا الخبر عن التاريخ السرياني لأبي الفرج ابن العبري وقد وهم فيه، اذ ان (ارطغرل) السلجوقي وهو ابن ميكائيل بن ارطغرل توفي سنة ٤٥٥ ، واذا كان قصد ارطغرل الثاني – وهو ثامن السلاطين السلجوقيين في ايران – فسلطنته من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٩ . وسلطنة ارطغرل الثالث من سنة ٥٧١ الى ٥٩٠ هـ

والحقيقة ان حكم الأتابكيين في هذه البلاد كان عهد تقدم ونجاح في مختلف النواحي العمرانية والعلمية ، وكانت سنجار أوفر حظاً من غيرها من بقية المدن في هذا المضمار ، حيث أخذت حركة الرقي والعمران تمشي فيها بخطى سريعة وأصبحت مثار الأطماع المائجة بين الملوك الأتابكيين قصد الاستئثار بها ، حتى غدت أمارة مستقلة استقلالا تاماً ناجزاً لا يعرف وصاية وحماية وإشراف وتدخل . وهذا ما حدى بأمرائها الى ان يبذلوا أقصى الجهود لرفع شأنها أدبياً ومادياً وإيصالها الى درجة يصح معها ان تكون عاصمة لملك له شأنه ومكانته .

وقد ساعد هؤلاء الأمراء على توسيع العمران في هذه البقعة الصغيرة من الأرض الفيوضات الجزيلة التي جادت بها الطبيعة عليها ، وطرق الأرواء الفنية المتقنة فيها فمدوا اليها يد التنظيم وأوجدوا كثيراً من القنوات في طول صحرائها الواسعة وعرضها ، وأصلحوا ما كان قد اندثر فيها ، وحولوه الى حدائق غناء لم يعهد لها نظير . وهذا عمل يتطلب همة قعساء لا توجد إلا في هؤلاء الأمراء الذين امتازوا بنشاطهم .

ومما يدل على ما كان لسنجار من الأهمية العظيمة على ذلك العهد ان « قطب الدين مودود » صاحب الموصل بعد ان توفي وتقاسم اولاده الملك ، استأثر (عماد الدين زنكي) في امارة سنجار وترك الموصل لأخيه (سيف الدين غازي) ، ثم قايض (عز الدين مسعود ابن قطب الدين) أخاه (عماد الدين) حلب بسنجار وانتقل اليها (في ١٣ المحرم ٥٧٨) .. ولما نزل السلطان الملك الناصر ابن ايوب على حلب وحاصرها سنة تسعة وسبعين وخمسماية وقع الاتفاق على ان يعوض صاحبها (عماد الدين زنكي) سنجاراً بدلا عنها ، فاستقل (زنكي) ولم يزل فيها الى ان توفي فيها سنة اربع وتسعين وخمسماية .

وقد أطنب المؤرخون في وصف مدينة سنجار وتعداد محاسنها ، من ذلك ما ذكره ياقوت في معجمه نقلا عن الأصفهاني انها : « مدينة طيبة في وسطها نهر جار ، وهي عامرة جداً ، وقدامها واد فيه بساتين ذات اشجار ونخيل وترنج ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة ايام . وقيل ان السلطان سنجر ابن ملكشاه ابن الب ارسلان بن سلجوق ولد فيها فسمي باسمها » .

ووصفها ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٨٠ هـ) فى رحلته بقوله :

« ثم وصلنا الى مدينة سنجار وهى مدينة كثيرة الفواكه والأشجار والعيون المطردة والأنهار مبنية في سفح جبل ، تشبه دمشق فى كثرة انهارها وبساتينها ، ومسجدها الجامع مشهور البركة ، ويذكرون ان الدعاء فيه مستجاب ، ويدور به نهر جار ويشقه. وأهل سنجار اكراد وفيهم شجاعة وكرم . وممن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشائخ الكبار صاحب كرامات ، لقيته برابطته بأعلى سنجار ، ودعى لي وزودني بدراهم ، ولم تزل عندي الى ان سلبني الكفار الهنود .. »

وفي دائرة المعارف للبستاني في مادة سنجار :

« هي مدينة طيبة ، وفي وسطها نهر جار ، وهي عامرة جداً ، وقدامها واد فيه بساتين ذات اشجار ونخيل وترنج ونارنج ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة ايام (وبعد ان ذكر ما قاله ابن بطوطة عنها) قال : وذكر القزويني : ما رأيت احسن من حماماتها ، وبيوتها واسعة جداً ، وفرشها فصوص ، وسقوفها جامات ملونة على وضع النقوش ، وبقربها قصر (العباس ابن عمر الغنوى) (١) والي مصر ، وكان قصراً عجيباً مطلا على بساتين ومياه كثيرة من أطيب المواقع وأحسنها ، وكانت الملوك تنزل به بعد العباس لطيب مكانه وحسن عمارته . وفى سنجار آثار أديرة وكنائس لا تزال باقية من زمن انتشار الدين المسيحي في تلك البلاد قبل الاسلام وبعده ، ومن جل ما يذكر الدير الكبير (لمار أدي) أحد حواريي المسيح ، وفيه مكتبة قديمة مكتوب اكثرها على رق غزال .. »

وقد ظهر في سنجار كثير من رجال الأدب والعلم نذكر منهم : أبا سعيد الأربلي السنجاري صاحب كتاب « الأبانة » فى علم الحديث المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ، وأبا سعيد احمد بن عبد الجليل محمد صاحب كتاب (الاختيارات وأحكام الاشارات) فى علم النجوم ،

---

١) ذكر صاحب مسالك الابصار انه يقع بين نصيبين وسنجار وكان مطلا على بساتين ومياه، وأشار ابن خلكان في حكاية اوردها فى كتابه وفيات الاعيان (٢ : ١٥١) الى ما كان لهذا القصر من شأن على عهد الملوك الحمدانيين . والعباس الغنوي هو الذي ارسله المعتضد بالله على رأس جيش لمقاتلة القرامطة لما اشتد أمرهم ، فأسره ابو سعيد القرمطى بين البصرة والبحرين وأسر جميع من معه من الجيش وكانوا عشرة آلاف وقتلهم بأسرهم وأحرقهم وأطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده ، وعلى قول ابن خلكان انه كان يتولى اليمامة .

وطاهر ابن ابراهيم السنجاري صاحب كتاب (الايضاح لبنية الاصلاح) فى حفظ الصحة ، وأبو الحرث معز الدين سلطان سنجار ابن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي، ونجم الدين السنجاري (١) ، وأبو السعادات البهاء السنجاري (٢) المتوفى سنة ٩٢٢هـ وهو صاحب القصيدة المشهورة :

وهواك ما خطر السلو بباله ولأنت أعلم فى الغرام بحاله

والامام العالم جمال الدين السنجاري ذكره ابن بطوطة وقال عنه وحيد دهره وفريد عصره وقد وزر للملك الصالح ابن الملك منصور سلطان ماردين ، والشيخ شجاع الدين أبي بكر السنجاري الامام المحدث المتوفى عام ٧٩٠ هـ ، وتاج الدين أبي محمد عبد الله السنجاري ابن علي ابن عمر المتوفى سنة ٨٠٠ تفقه بسنجار وماردين والموصل وإربل وقدم دمشق وأفتى ودرس وحدث وكان حسن الأخلاق لطيف الذات لين الجانب وله شعر حسن وغير هؤلاء ممن يضيق نطاق البحث عنهم .

ولسنجار شهرة كبيرة فى تعيين محيط كرة الأرض فى صحرائها المستويه ، إذ كان الخليفة العباسي عبد الله المأمون قدأرسل أولاد (موسى ابن شاكر) الثلاثة الاخصائيين في علم الهندسة والفلك والأرصاد اليها وأجروا عملية مساحة حققوا معها أن محيط كرة الأرض ٢٤ الف ميل كما قرره الأقدمون . وقد شرح ابن خلكان الطريقة التي إتبعها أولاد موسى ابن شاكر فى ذلك العمل العظيم في كتابه وفيات الأعيان (ج١ ص١٠٥).

***

الى هذه الذروة العليا من الحضارة والعمران واتساع دائرة الأدب والعلم ، وصلت سنجار فى ذلك العهد ، وهناك أفل نجم أمرائها وأدبر سعدهم وأخذت الدولة الأيوبية التي تأسست في الشام تنازعهم البقاء حباً بالأثرة وطمعاً بالتوسع وأتى الملك الأشرف

---

١) هو ابن سلامة بن شبيب النفيعى نسبة الى قرية النفيعية وهي من قرى سنجار وقريبة منها - كان فقيهاً فاضلا اديبا له شعر حسن . صنف كتابا في الجدل اصاب فيه . وقدم على حلب ومات فيها بعد الستماية . وله أخ اسمه مسلم كان ضريراً اديبا فقيهاً له معرفة تامة فى التفسير وقدم حلب مع اخيه .

٢) هو اسعد بن موسى بن منصور الشاعر احد المجيدين المشهورين ، كان اولا فقيها شافعياً ثم غلب عليه قول الشعر فاشتهر به وقدم عند الملوك وناهز التسعين .

واستولى عليها من صاحبها (فروخ شاه) آخر أمير فيها من البيت الأتابكي وانقرضت أمارتهم بعد ان عاشت ٩٤ سنة .

وفي عام ٦٣٨ انتزعها (بدر الدين) لؤلؤ الذي خلف بني أتابك في الموصل من (مؤيد الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل) الأيوبي ، وعند وفاته عام ٦٥٧ أخلفه عليها ولده (علاء الدين) إلا ان ملكه فيها لم يدم طويلا وقد غزت جيوش المغول في هذه السنة بلاد الجزيرة واستولت عليها . فدخلت سنجار تحت حكم الدولة الايلخانية (٦٥٧ ـ ٧٣٦ هـ) ثم الجلايرية ، وفي عام ٦٩٧ إنقض (تيمورلنك) على بلاد الجزيرة وجعل عاليها سافلها وخرب معمورها ، فكان نصيب سنجار من هذا الدمار والخراب اكثر من غيرها من البلاد الاخرى ولم يبق فيها ولا بيت واحد بعد ان كانت تحوي نحو (٣٥٠٠٠) بيت على ما حققه توفيق فكرت بك مؤلف تقويم الموصل لسنة ١٣١١ (ص ٢٩١) .

وقد زرت هذه المدينة اكثر من مرة ووقفت على طلولها الدارسة وربوعها الخالية ، وفكرت فيما كانت عليه من السؤدد والعظمة والمجد وما آل اليه اخيراً أمرها ، فكنت أبكي أهلها الذين أخنى عليهم الدهر بدموع غزار وأردد قول الشريف الرضي :

ولقد وقفت على ربوعهم ... وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب ... نضوى وعج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الديار تلفت القلب

* * *

﴿ انتقال اليزيدية الى جبل سنجار ﴾

رأينا ان جبل سنجار كان قبل ظهور الاسلام موطناً للنصرانية وبعد ان ظهر الاسلام هاجرت اليه قبائل عربية واستوطنت فيه . وقد اختار النصارى الاكراد سكنى الجبل لموافقته لطباعهم والجبال هي عادة سكنى الاكراد ، واختص العرب بسكنى السهول وهي اكثر ملاءمة لشكل حياتهم وأسباب معيشتهم . وقد مر بنا ما وصل اليه هذا الجبل من تقدم وعمران على عهد الحكومات الاسلامية الى ان دخل في حكم دول المغول وآخرهم

« تيمورلنك » الطاغيه فأنتابته المحن والشدائد وحل به الخراب كسائر البلاد الاسلامية

ظهر « تيمورلنك » من هضاب « سمرقند » في ما وراء النهر وانقض على هذه البلاد بجيشه البالغ ثمانماية الف من مختلف الشعوب والامم وقلبها رأساً على عقب وأوقع فيها الهلاك والدمار . فكان أهل البلاد يفرون من أمامه خوفاً على رؤوسهم من ان تقطع ويبني بها البروج والمآذن وأخذوا يبحثون لهم عن مأوى يعتصمون فيه . وكان جبل سنجار خير ملجأ لما امتاز به من حصانة ، فكان أول من التجأ اليه ـ على ما يروى ـ اربعماية أسرة من يزيدية الشيخان في الموصل ، ثم تبعهم خلق كثير من اصحاب هذا المذهب من الجزيرة ودياربكر وحوضة دجلة ومن بدليس وأماكن اخرى .

هذا هو بدء التطور الذي فوجيء به جبل سنجار ولم يبحث عنه أحد من المؤرخين ، وعن الأقوام التي وفدت اليه ومن أين وفدوا . وأول من تكلم عن ذلك ، الباحث الانكليزي « السر مارك سايكس » فانه ذهب الى ان هذه الهجرة وقعت من آسيا الصغرى ، واستدل على ذلك بما وجده من المظاهر الخلقية المشتركة بين هؤلاء اليزيديين ويزيدية آسيا الصغرى . ولو ساعدته خبرته لأرجع كل قبيلة الى القبيلة التي ظهرت منها في آسيا الصغرى وأثبت اتصالها بها من حيث القرابة والنسب .

ان هذا التطور في سنجار لم يتطلب زمناً طويلا ، فقد تم باقرب وقت ، ودخل المسلمون والنصارى ساكني الجبل الأصليون في دين اليزيدية سواء أكان عن طواعية ورضى ام عن جبر وإكراه .

***

ان الذي مكن هؤلاء الوافدين من الفوز في هذا الجبل هو أن سكانه الأصليين لم يكونوا من القوة والمنعة بدرجة يستطيعون معها الوقوف أمامهم وايقاف هجرتهم . والضعيف عندما يغلب كل أمره ولم يجد له ناصراً يحميه ، ينقاد لحكم القوي ويأخذ منه عاداته وتقاليده وعقيدته ويندمج فيه . والحكومة العثمانية التي ملكت هذا الجبل ملكته اسماً لا فعلا ، ولم توجد فيه تشكيلات ادارية منظمة حتى تنتبه لهذه الهجرة وتدرك مضارها وأخطارها وتحول دونها .

ان اليزيدية الذين نجدهم الآن في سنجار ليسو جميعاً ممن وفدوا من الخارج بل فيهم من المسلمين والنصارى سكان هذا الجبل الذين انصاعوا لهم وقبلوا دينهم . ففيهم من المسلمين عشيرة « الشهوانية » وهم فرع من تغلب ، ومن الشهوانيين من نزح الى الموصل ويسكنون الآن الحي المعروف باسمهم ، وكذلك « العزوي » وهم من عشيرة العزة و « الكاشي » وهم فرقتان من « المندكان » و « الهبابات » ويقال انهم من عشيرة « طي » اولاد من سمي « حباباً » و « آلدخي » وهم من عشيرة آلدخي العربية ويرجعون الى عشيرة « عبادة » وبيت « الشيخ عبد القادر » وكان لهم شأن عظيم في الجبل .

أما المسلمون الذي صعب عليهم التكيف بهذا المذهب ووجدوا أنفسهم غير قادرين على مقاومة تياره ، فقد فروا بدينهم الى مواقع اخرى بعيدة عن الجبل حتى نجد الآن في مدينة تلعفر بيت « الألآي ـ ألاي بكي » وهم عشيرة كبيرة ، وسكان محلة « سنجار » وعشيرة « الجبلية » في محلة « حسنكوي » . وفي الموصل عشيرة « السناجرة » و « الشهوان » و « الحياليين » وكثيراً غيرهم من اصحاب هذه الهجرة .

إن أول عمل قام به هؤلاء الوافدون هو انهم أرغموا المسلمين والنصارى على اعتناق دينهم ومثلوهم فيهم وتهجير من لم يتبعهم خارج الجبل . وهو عمل يدل على فطنة وبعد نظر ، ولو لم يفعلوا ذلك لما استقام لهم أمر وفشلوا . وديانتهم تأمرهم بان لا يختلطوا مع المسلم ويساكنوه ويتقربوا منه ويثقوا به كي لا يفسد عليهم دينهم .

وهكذا بعد ان تم لهم الاستئثار بالجبل ووجدوا انفسهم في حرز منيع تقصر عنهم الأيدي ، أخذوا في ارهاب العشائر المسلمة القريبة منهم . وهذه العشائر لم يكونوا ليطمئنوا لهم ويرون فيهم خطراً عليهم . فتنكروا لهم وعادوهم ، فأخذ بعضهم يحارب بعضاً ليأمن البقاء ، فكانت غارات ، وكانت مقارعات تتكشف على الأكثر بغلبة اليزيديين على المسلمين وذلك لكثرتهم وقوة عصبيتهم واجتماع كلمتهم وحصانة موقعهم ، فخربوا القرى والمساكن الى بعد مسافة يوم او يومين عن الجبل ، واضطروا اهلها الى الهجرة عنها ، ووصلوا بغزواتهم الى دجلة شمالا ، ونهر الخابور غربا ، وتعرضوا للقوافل وأخلوا بالأمن ..

على ان العشائر المسلمة لم تكن لتصبر على هذه الأعمال ، فكان الأمراء وأصحاب الزعامات القوية من الأكراد يهاجمونهم بحشود قوية في عقر دارهم ، ويوقعون النكال بهم .

﴿ الغارات على جبل سنجار ﴾

تدل الأخبار على ان الحالة فى جبل سنجار بعد ان وصلت الى هذا التحرج ، قام أحد زعماء الاكراد وهو « علي سيدي بك » وألف جيشاً من الاكراد وزحف عليهم سنة (٩٩٣ هـ) وقاتلهم قتالا شديداً وقتل منهم ستماية نسمة وسبى عدداً كبيراً من نسائهم وفتياتهم وذهب بهن الى محله .

وهذا هو أول ما دلتنا عليه الأخبار من هذه الغارات . و « علي سيدى بك » هو من أمراء الاكراد البوطان الذين يعدون يزيدية سنجار من العنصر البوطاني ويفرضون الأتاوة عليهم . وقد خالف هذا الأمير البوطاني العادات والقواعد المتبعة بين العشائر بسبيه نساء وفتيات اليزيدية بعد ان نال منهم وهو عمل يعاب عليه ولم يسبقه أحد فيه. واليزيدي يرضى لزوجه وفتاته الموت وان يقطعن أوصالا على ان يقعن بيد المسلم ، وهو يترفع عن ان يمس المرأة المسلمة بسوء ويعده نقصاً فى دينه وشرفه . وقد قدم هذا الأمير على هذا العمل الشائن بعد ان رأى علماء الدين قد أفتوا به ، وسنرى ان الحروب التي قامت بين اليزيدية والمسلمين ودامت اكثر من ثلاثة قرون كان سببها اتباع هذه القاعدة معهم .

مضى على حادثة غزو « علي سيدي بك » على سنجار زمن ولم نقف على ما جرى لهم فيه من حوادث . ومن المؤكد انه لم يمض بدعة وأمن وسلام . ويحدثنا اوليا جلبي في رحلته (٦ : ١٤٢) أن « ملك احمد باشا » (١) والي دياربكر حمل عليهم (سنة١٠٤٨)

---

١) هو صهر السلطان مراد الرابع . يقول صاحب خلاصة تاريخ كرد وكردستان عنه (ص٢١٧) : كان من اهم اركان السياسة التركية والمتحمسين لها . وكان لا تفوته الفرصة فى تطبيق هذه السياسة القاضية بكسر نفوذ الامارات الوطنية والامارات الكردية . وذكر غزوه على سنجار بقوله : وزحف على قلعة سنجار وضيق عليها الحصار وقتل من الاهالي خلقاً كثيراً ودمر البلاد تدميراً . كانت ولايته على ديار بكر سنة (١٠٤٨هـ ـ ١٦٣٨م) ثم عين والياً على ارضروم ، وصاهر السلطان مراد الرابع سنة (١٠٥٤هـ ـ ١٦٤٤م) وعين والياً على بغداد سنة (١٠٦٠هـ ـ ١٦٥٠م) ولم يذهب اليها ، وعين فى نفس هذه السنة صدراً اعظم وتوفى سنة (١٠٧٤هـ ـ ١٦٦٣م) عن عمر يناهز الستين سنة .

بجيش مؤلف من ثمانين الف مقاتل فقتل منهم ثلاثة عشر ألفاً وسبى اثـنى عشر ألفاً . وهذا الخبر اذا كان صحيحاً - ولا نخاله إلا صحيحاً - فيدل على قسوة متناهية في هذا الوالي . واليزيدية مهما بلغوا من البغي والعتو فالواجب الانساني لا يجـوز قتل وسبي هذا العدد العظيم منهم . و « ملك احمد باشا » الذي هو من الجنس الطوراني ويمت بصلة الدم الى « جنكيز » و « هلاكو » اللذان أبادا بضعة ملايين من البشر ، ليس ببدع اذا قدم على عمل كهذا تستنكره حتى الوحوش .

وفى تاريخ جودت فى حوادث سنة ١١١٩ هـ : أن زعماء راوندوز قامـوا بحشد خلق عظيم من عشائرهم وعشائر الزيبار وقطعوا الفيافى والقفار وغزوا جبل سنجار ، فقتلوا وحرقوا وسلبوا وعادوا مثقلين بالغنائم .

فما هو الذى دعا هؤلاء العشائر لغزو جبل سنجار مع بعدهم عنه ، ولا صـلة تربطهم به ؟ والجواب هو الدين ! أو ليس من يقتل يزيدياً يكـون غازياً ومن يقتل يكـون شهيداً ؟ والكردي الذي ينام على الطوى ولم يجد ما يقتات به كيف يصبر اذا علم أن هناك أموالا مباحة ولم يذهب ويأت بها ، وفتيات جميلات ولا يسبي واحدة منهن ويتسراها ؟

وهنا نرى والي بغداد « حسن باشا » (١) يأخذ العـدة لغزوهم ويقـوم بجيش لجب ويتوجه اليهم وينكل بهم تنكيلا مريعاً ويجري بحقهم من الأعمال القبيحة ما يخجل القلم من ذكرها ، فقد جاء في حديقة الوزراء للسويدي :

«وفي السنة المذكورة (١١٢٧هـ) ظهر طغيان أهـل سنجـار ، ونجم طغيانهم في الليل والنهار ، وهؤلاء يقال لهم اليزيدية ويحبون زيد بن علي (كذا) ويعظمون الشيطـان ويعضدونه ، وينهون النازلين بهم أن يشتموه أو يسبوه ، وهم مشهورون بالفجور

١) هو ابن مصطفى بك الذي كان سباهيا - جنديا خيالا - في جيش السلطان مراد الرابع ثم تدرج في المناصب الحكومية الى ان رفع الى مرتبة وزير في سنة (١١٠٩هـ - ١٦٩٧م) . وفى سنة (١١١٦هـ - ١٧٢٤م) خلف علي باشا في بغداد وامتدت ولايته نحو عشرين سنة الى ان وافاه اجله في « كرمانشاه » سنة (١١٣٦هـ - ١٧٢٣م) بعد ان اخذها من يد الفرس مع مدينة « اردلان » . وقد انعم عليه السلطان بعد وفاته بلقب فاتح همدان ونقلت جثته الى بغداد ودفن في جامع الامام ابي حنيفة .

والاصرار على قبائح الامور ، حتى أن الملا حيدر من علماء الاكراد كان يغزوهم بتلامذته وأهل قريته وشيعته، وهم متحصنون بذلك الجبل الشامخ معتقلون بمعقله الباذخ ولم يجر عليهم حكم حاكم ، ولا يتبعون قول عالم ، ينكرون الشريعة الغراء ، ويعتقدون المسلمين من جملة الاعداء ، وقد عجزت عنهم العمال ، وذلت من صولتهم الرجال ، فلما كثرت أضرارهم ، وزاد على نهب القرى إصرارهم، غزاهم الملك المظفر ، والاسد الغضنفر بعساكر كالسيل وجحافل رجال وخيل ، فلما قارب جبلهم ، وكاد أن يصرم من احتصانهم به حبلهم، ابتدروه بالقتال وقابلوه بالحرب والنبال وقاتلوه بالاحزاب والابطال ، فاشتعلت بينهم نيران الحرب ، وكثر بين الفريقين الطعن والضرب ، ولكن حزب الله هم الغالبون وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ففرت أعداء الله من بين أيديهم ، وولت هربا تاركين تليد أموالهم وطريف ذراريهم ، وصعد الدستور بنفسه الجبل بحماته ، وكثر الهرج والقتل فى أعداء الدين وعصاته ، فمن نجا منهم بعياله وخيله ورجاله ذهب الى قلعة صغيرة هناك يقال لها (الخاتونية) أهلها مسلمون ، وفيها المساجد العامرة على ماينقلون لكنها لما كانت فى تلك الناحية ، كانت تحت تصرف الفئة الباغية ، فتحصن من نجا فيها وحاصر بناديها ، فقابلها الوزير من جميع جهاتها ، وأرى العطب لمن كان فى ربوعها بالطوب المزعج والتفنك المرهج ، فخرج أهلها المسلمون باطفالهم ودخلوا على الدستور بعيالهم وأموالهم فآمنهم وآواهم وعذرهم على ما عولوا عليه .

ثم اولئك الانجاس البغاة الارجاس هلك أكثر خيلهم والرجال من بندق التفنك ورشق النبال ، فدخل القرية عنوة ومحقهم بسيف الانتقام ، وحصل بذلك للمسلمين الانتظام وأسر النساة والاطفال واغتنم الجند الاموال ، وأبتاعوا نساءهم وامتطوا بناتهم واماءهم وعاد الوزير منصوراً مؤيداً ، محبوراً مسدداً » .

وجاء فى زبدة الآثار الجلية :

« كثر ضرر أهل سنجار وهم اليزيدية عبدة الشيطان ، وقطعوا الطرق ونهبوا القوافل فتجهز والي بغداد حسن باشا بالعساكر وقدم الموصل وسار اليهم وحاصرهم مدة أيام ونهب بعض القرى فيه وقتل من اليزيدية خلقا كثيراً وغنم مالا جزيلا وملك أغنامهم وأسر

من أبطالهم ونسائهم وعاد منصوراً ، وأرخ بعض الفضـلاء في الموصل فقال : « غزاء حسن) » .

وجاء فى كلشن خلفاء :

« وفى هذه السنة علم الوزير حسن باشا أن طائفة من الاكراد تحصنت فى جبل سنجار وتمنعت هناك بلا حاكم يحكمها وبلا إجراء أحكام الشرع ويعرفون باليزيدية وهم من الاكراد من أجناسهم المختلفة ، وهؤلاء من مـدة مديدة وعهد بعيد لم يسيطر عليهم حكام وانهم التزموا رفع لواء البغي والفساد وصاروا يقطعون الطرق ويلحقون الأذى بالعباد والبلاد .

« إن الوزير المشار اليه علم من واجبه الاسلامي وغيرته الدينية ان يطفيء نيران مفاسد هذه الطائفة ويقوم بمصاريف باهضة لوجه الله تعالى واختار ان يعد المعـدات الوافرة والعساكر المتكاثرة فجهزها عليهم . وهذه الطائفة وإن كانت سارعت للمقابلة وقامت بالقتال ، إلا ان الوزير المشار اليه دام نصره ، دخل الجبل بنفسه ومعه خيالته ومشاته فخرض جنـده وساقه عليهم وحينئذ قتل أكثر الأعـداء بسيف قهره ، وثأر منهـم فانكسروا .

« ثم لجأوا الى قرية فى القرب من تلك الأنحـاء يقال لها « الخاتونية » وهذه فيهـا الجوامع والمساجد ويسكنها المسلمون ، ولكن هذه الطائفة استولت عليها وتحصنت بها وان هذه القرية محاطة بالمياه من سائر أطرافها ومساكنها فى وسط الجزيرة وليس لهـا إلا طريق واحد ينفذ الى القرية او يخرج منها .

« أما العساكر المنصورة فانها اتخذت المتاريس وخوفاً من ان ينجو الأعداء من الطرف الآخر قد اقتحموا بحر الخطر ، وفى هذه الأثناء هلكت نفوس كثيرة من الجانبين ، ثم إنه فى اليوم الثاني قد خرج المحصورون بأطفال المسلمين الفقراء ممن كان يسكن هناك فى تلك القرية من القديم ، وتوسلوا بطلب الأمان والعفو فأعطي لهم . وعلى هذا قتل كثير من مشاهيرهم وأسر آخرون وعاد الوزير منصوراً وجعـل حكومتهم ، وأمر إدارتهم الى شيخ طيء الذي هو بالقرب منهم وأوصاه بالقيام بشؤونهم .. »

أن اليزيدية الذين وقع عليهم هذا التنكيل - على ما نرجح - هم السموقيون والقيرانيون سكان شمالي سنجار لقربهم من بحيرة « الخاتونية » التي لجأوا اليها ، وكان تنكيلا قاسياً ومراً . على ان اليزيدية لم يبقوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا التنكيل ولهم من القوة والشجاعة ما ليس للجيش الحكومي وقد أشار مؤلف كلشن خلفاء الى أن نفوساً كثيرة هلكت من الجانبين . وفي اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث : ان كتخدا الوالي قتل في هذه المعارك . فكم إذن عدد الذين قتلوا من الجيش في هذه المعركة ؟ وقد أطرى الشعراء والكتاب هذا الغزو الناجح وأرخوه بـ « غزاء حسن » ووضعوا أكاليل الظفر على هامة هذا الوالي وهو فاتح همدان وكرمانشاه وأردلان . إلا اننا كنا نود ان لا نحط من قيمة هذا الغزو الرائع بما أجراه جنده من الأفعال الشنيعة مع بنات اليزيديين وإمائهم . ويشيد مؤلف حديقة الوزراء بهذه الشناعة ويعدها مفخرة من مفاخر الوزير واذا كان بقي ذكر هذه الحادثة في طيات التاريخ فاليزيدية لا يزالون يذكرونها في أغانيهم الشعبية ويتوجعون لها .

وبعد ان تمت هذه التنكيلات الصارمة المريعة لفاتح همدان وعاد منصوراً مؤيداً محبوراً مسدداً ويحمل معه من الأسلاب والسرايا ما لم يدخل تحت حساب . ما هو نوع التشكيلات التي اجدها في الجبل لمحافظة الأمن ومنع تكرر وقوع هذه الحوادث في المستقبل ؟ ان صاحب « كلشن خلفاء » يقول : جعل حكومتهم وأمر ادارتهم الى شيخ طيء الذي هو بالقرب منهم ، وهو عمل سخيف جداً ويدل على جهل هذا الوالي وعدم تقديره الوضع الاداري والعشائري في جبل سنجار . ومن يكن شيخ طيء حتى يجعل حكومتهم وأمر ادارتهم اليه ، وشيخ طيء نفسه بحاجة الى من يحافظه منهم ؟

وفي سنة ١١٦٧ هـ نجد والي بغداد « سليمان باشا » (١) يقوم بحملة كبيرة ويتوجه

---

١) هو احد مماليك حسن باشا والي بغداد ويرجع الى اصل كرجي من منطقة تفليس ، وقد ساعدته مزاياه الممتازة من احراز منصب ولاية بغداد بعد ان عين واليا على « اطنه » و « البصرة » . كان على جانب من الاضطلاع بالامور ، قويا حازما مهابا بعيد النظر في الشؤون الادارية . وقد تمكن من القيام بأعباء ولاية بغداد المترامية الاطراف ، الصعبة المراس ، بحكمه القوي وهيمنته الشديدة الناجحة ، ولم يعكر صفو مملكته اي عدو كان . وقد لقب « بأبي ليلة » لتخفيه في الليل وخروجه متنكراً للاطلاع على الحوادث التي تجري في الخفاء . وفي دوحة الوزراء انه كان يسمى (ابا سمرة) و (دواس الليل).

الى جبل سنجار . وسليمان باشا هذا رجل شديد البأس قوي البطش ، فكان لحملته أثر أشد وأقوى مما تركته حملة « حسن باشا » فى نفوسهم ، واليزيدية على بعد العهد يذكرونها. وهذا ما قاله مؤلف « الدر المكنون » عنها :

« إن والي بغداد « سليمان باشا » غزا جبل سنجار وحاصرهم واستولى على قراهم . ثم نزلوا يطلبون منه الأمان وأقاموا هناك ، فأمر العسكر فحملوا عليهم من كل مكان وقتلوهم عن آخرهم وكانوا اكثر من ألف رجل ومعهم بعض النساء وقتل من العسكر مايتان » .

وذكر « لونكر بك » فى مؤلفه هذه الحادثة بقوله : « وفي سنة ١١٦٧هـ (١٧٥٣م) استدعت غزوات اليزيديين وعنفهم في جبل سنجار تجريد حملة واسعة النطاق ، فقد جاء أبو ليلة (أراد به سليمان باشا) بقوة عظيمة الى الوصل ، فعاضده فى حملته هذه أمين باشا الجليلي بتجربته وإخلاصه » .

وفي الرسالة التى عزاها الدكتور قسطنطين زريق فى كتابه(اليزيدية قديماً وحديثا) الى اسماعيل بك اليزيدي ما يزيدنا وقوفا واطلاعا على هذه الحادثة ، ونعتقد انه أخذه من الأفواه ومن أغانيهم الشعبية التي يرددونها ، هذا نصها :

« فى ايام عمر اغا من عشيرة عمران الموجودة الآن في سنجار ، وامارة (بداغ بك) على اليزيدية ، ورياسة ولي محمود على المهركان ، ومندي محمود على سموقة وقيران وجميع اليزيدية الرحالة ، حضر (سليمان باشا) التركى ومعه عساكر كثيرة تزيد على خمسة طوابير ونفير عام لا يحصى له عدد ، ونزل بمحل يسمى (كوري كورك) قريباً من (شرف الدين) ولما أحس به اليزيدية انهزموا واختفوا فى الكهوف والمغارات وبقوا مختفين نحو ثمانية ايام . فأرسل (سليمان باشا) الى عشيرة (العمران) وبيت الخالة (أراد بهم بيت خالد) وهم نحو ألف بيت وكان محلهم يبعد عنه ساعة واحدة يدعوهم الى ان يعرضوا دخالتهم عليه على أن يحضروا هم وأولادهم ونساءهم وجميع اموالهم . فانصاعوا لأمره ونزلوا على المعسكر ، وبعد ان جردهم من سلاحهم أمر العساكر أن تحيط بهم ، ولم يمض ساعتان من الليل إلا وهجموا عليهم بالمدافع والسيوف والبنادق

وقتلوهم عن آخرهم . (يقول) : وكانوا ثلاثة فرق : الاولى في جهة الغرب ولم ينج منهم سوى ثلاثة اشخاص ، والفرقتان الاخريان في جهة الشمال وقد قتلوا على بكرة أبيهم ، والذين طلعوا الى الجبل نجا منهم اربعة عشر شخصاً فقط ، وقد سبت العساكر نساءهم وفتياتهم الجميلات وذهبوا بهن الى ديارهم ... »

وهذه الرواية أصح، وقد حفظتها الاناشيد الشعبية التي يرتلونها في نواديهم ومحافلهم(١) والحقيقة انهم جاؤوا بأمان من الوالي لكنه أمر العسكر فقتلهم جميعاً لا كما جاء في « الدر المكنون » انهم نزلوا يطلبون الأمان وقتلوا ، والفرق بين الخبرين واضح. وهذا لا يتفق مع كرامة الحكومة . وكان بوسع هذا الوالي الذي يسمونه « دواس الليل » ان يتعقبهم بقوته الكبيرة وينال منهم لا ان يدعوهم اليه بالأمان ويقتلهم بالخيانة والغدر. ويظهر ان قتله ألف رجل وامرأة من اليزيدية لاقى استحساناً من السلطان فأمر باهدائه فروة فاخرة كما دلنا عليه مؤلف اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث .

ولما دخلت سنة ١١٨١ هـ - على ما جاء في زبدة الآثار الجلية - جهز الوالي (محمد امين باشا) ، ولده سليمان باشا بالعساكر وأرسله الى قتال اهل سنجار اليزيدية فسار اليهم وحاصرهم ، فأرسلوا يطلبون الأمان ، وبعثوا النساء وبعض الرجال : فأمنهم على نفسهم وشرط عليهم أن يعطوه ألف رأس من الغنم وثلاثة رؤوس من الخيل ، فقبلوا الشرط ، وأرسلوا ثمانماية رأس من الغنم والخيل المذكورة وامتنعوا عن اداء الباقي ، فحاربهم سليمان باشا ساعة وقتل منهم سبعة أنفس ، وقبض على أميرهم وخمسة رجال منهم ، وقتل من العسكر أربعة أنفس وعاد الى الموصل وسجن الأسرى » .

وذكر في حوادث سنة ١١٨٧هـ :

« وفيها سار بالعساكر والي الموصل سليمان باشا ونازل جبل سنجار وقبض على ثلاثة منهم ، ثم سبي ثلاثة غلمان ونهب اغنامهم وعاد الى الموصل »

---

١) هذه الاناشيد هي من الشعر القصصي تتضمن اخبار الحروب وما نالوه من انتصارات او حل فيهم من محن ومآسي ، وفيها من اخبار الحب والغرام، ينشدونها في اداء شجي يحرك كوامن النفس ويهيج العواطف ، ومنها ما ينشدونه وقت الحروب فيثير فيهم الحماس .

وذكر في حوادث سنة ١١٩٣هـ:

« وفيها جهز والي الموصل سليمان باشا الجليلي العساكر وأرسلهم مع أخيه (محمدباشا) ونزل على جبل سنجار أواخر رمضان فأكلوا زروعهم وقبض على خمسة رجال منهم وعاد الى الموصل » .

***

وفي مطالع السعود :

« ولما دخلت سنة ١٢٠٦ هـ ، سير الوزير سليمان باشا (والي بغداد) مع لطف الله افندي جنداً لمحاربة من تحصن بالجبال من الأعداء ، فكروا عليهم كر أسود الغاب فما كان إلا هز العامل وسل القرضاب ، غنموا أموالهم بعدما حزوا الرقاب » .

أما المؤرخ جودت فقد ذكر أن هذه الحادثة وقعت عام ١٢٠٩ وذلك أن والي بغداد سليمان باشا أرسل حملة كبيرة تحت قيادة أحد رجاله المدعو (لطف الله افندي) وزوده بصلاحية واسعة لأجل تأديب أهل سنجار ، وبعد ان انضم اليه كثير من القبائل والعشائر هاجمهم من عدة مواضع في الجبل وأوقع فيهم القتل والنهب والأسر وأدخلهم حضيرة الطاعة والاستسلام ثم عاد الى بغداد .

يقول : وبعد عودة لطف الله الى بغداد عادوا الى سابق أعمالهم وأعلنوا عصيانهم ، فأخذت الحكومة تهتم بأمرهم من جديد وتواصل حملاتها عليهم .

وعلى ما جاء في زبدة الآثار الجلية في حوادث سنة ١٢٠٧ أن محمد باشا الجليلي والي الموصل سار بالعساكر أول يوم من رمضان (وهو آخر يوم من آذار) ونزل على أهل سنجار من جهة القبلة وملك منهم ثماني قرى وأحرقها بعدما نهبها وحصد زروعها ، وكانت اكثر من عشرين ألف تغار(١) وقتل منهم اثنين وأسر أربع عشرة امرأة ، ثم أطلقهن وعاد الى الموصل يوم الاحد ثاني شوال .

ويقول في حوادث سنة ١٢٠٨ : « وفيها : في أواخر رمضان سار من الموصل محمد

---

١) وهذا وهم منه ويزيديه سنجار بأسرهم سكان الشمال والقبلي لا يملكون هذه المساحة من الاراضي ولا عندهم بذور يملئونها ، ويحتاج حصدها الى ما لا يقل عن (٢٠٠) الف نسمة .

باشا بالعساكر ونزل على أهل مهركان من أهل سنجار وحاصروه فخرج منهم على غفلة من العسكر نفر وضربوا الرصاص فانكسرت أربع فرق من الينجرية وزعماء الموصل وثبتت فرقة منهم مع الوالي وخرجوا سالمين وقتل واحد منهم ومن تلك الفرق سبعة أنفس وثبت « محمد باشا » ومعه نفر يسير وعادوا سالمين » .

وفي غرائب الأثر :

« وفيها (اي سنة ١٢٠٨) خرج محمد باشا الجليلي من الموصل بالعساكر وتوجه الى سنجار ونزل على « مهركان » وأغار على أغنامهم وأكل عامة زروعهم وعاد الى الموصل ثم بعد أيام كر راجعاً الى سنجار في أواخر رمضان وحاصرهم وأغار العسكر على قراهم وتفرق العسكر بالأودية فخرج من المهركان جمع فانكسر عسكر الموصل وثبتت الفرقة منهم مع الوالي وقتل من المنهزمين سبعة وملك المهركان المدافع وعاد محمد باشا الى الموصل وصادر الينجرية المنهزمين » .

وهنا نجد ولاة الموصل الجليليين يكثرون من غزو اليزيدية في هذه الحقبة حتى يغزوهم « محمد باشا » مرتين في سنة واحدة كاد ان يذهب في المرة الأولى والثانية ضحية بيد المهركانيين وتحل به عين الكارثة التى حلت « بعبد الباقي باشا » الجليلي على أيدي يزيدية الشيخان سنة ١١٩٩ ، وهذه الغزوات أصبحت عادة مستأصلة في نفوس هؤلاء الولاة ولم يطيقوا صبراً على تركها ، والجليليون فى غزواتهم على سنجار أخف وطأة من ولاة بغداد ، ولم يسرفوا في الأسر والقتل ، ولم تتعد غزواتهم الجهة القبلية من الجبل ولو وجهوا حملاتهم الى جهة الشمال لعسر عليهم الأمر .

وفي الآثار الجلية فى حوادث سنة ١٢٠٩ ان الحملة التي أرسلها والي بغداد لقتال الحاج سليمان بك الشاوي سارت الى سنجار وأغارت على آفند مقدم « الكيبارية » و « الخركية » وكان قد أسلم وأظهر الاسلام فى عشيرته وقتلت منهم ٦٠ رجلا وأسرت ٦٠ امرأة وولداً وغنموا أموالهم وستة عشر الف رأس غنم وبقر وجمال وحمير ودواب وهرب من سلم الى الجبل وهو « آفند » بمن معه ، ويضيف الى ذلك قوله : « وكان اكثر الأسرى من العرب الساكنين في الجبل » .

وجاء ذكر هذه الحادثة في غرائب الأثر على الوجه الآتي :

« وفيها (اي سنة ١٢٠٩) أرسل والي بغداد سليمان باشا العساكر مع الأمير عبدالله بك أخي احمد كهية ، وعبدالرحمن باشا والي السليمانية وسيرهم لمحاربة سليمان بك الشاوي فرحل من أمامهم وسار الى الخابور ووصلت العساكر الى تكريت ، وساروا الى مدينة تلعفر وتوجهوا الى سنجار ، وأغاروا على الكيبارية والخركية عند الصباح فهرب مقدمهم « آفند » بمن معه ودخلوا الجبل وقد قتلوا منهم ستين رجلا وأسروا ستين امرأة وغلاما وجواري ابكارا وملكوا ستة عشر الف رأس من الغنم سوى الجمال والخيل والبقر والحمير » .

نقول : وهذا عمل فظيع جداً ، وعشيرتا الكيبارية والخركية اللتان حلت بها هذه الكارثة ، وإن لم يبق لها الآن ذكر في جبل سنجار ، نرجح أن تكونا أخذتا اسم « مندكان » باعتبار أن «آفند» او «هافند» الذي أسلم كان رئيس المندكان ، فالمندكان أكثرهم مسلمون وقد أسلموا بعد أن كانوا على اليزيدية . واذا كانت أعمالهم استدعت هذا النكال ونهب ما حوته أيديهم من ماشية ومال ، كيف يصح سبي (٦٠) امرأة وغلاما وجواري أبكاراً منهم وأكثرهم من العرب القاطنين في الجبل ؟ وأن الفتاوي التي أصدرها العلماء بحق اليزيدية - اذا صح العمل بها - هل يجوز تطبيقها بحق المسلمين ايضا فتصبح نساء المسلمين وفتياتهم مباحة لعلوج الانكشاريين ؟ أم ان هذا الجبل باعتباره يزيديا بدمه ولحمه وجب سبي كل امرأة او فتاة فيه دون تفريق بين عقيدة ودين ؟

وفي حوادث سنة (١٢١٥هـ) من غرائب الأثر أن عصابة من يزيدية سنجار نهبت قافلة كانت قادمة من ديار بكر في موقع جربارات (والصحيح جلبارات تقع على الحدود العراقية السورية) ومعها ستون حمل كتان سوى القماش ، فنزل عليهم «عمر باشا» الملي في عودته من بغداد وكان قد صار وزيراً وعين والياً على مدينة «اورفة» ، فحاصرهم وطلب منهم أموال القافلة فأعطوه ثمانين بغلا وفرساً وحماراً وبعض المال .

وفي هذه السنة سافر والي الموصل « محمد باشا الجليلي » الى سنجار وحاصرها وجرى له وقعات وعاد الى الموصل .

وفى حوادث سنة (١٢١٧هـ) من نفس المصدر : « أن علي باشا بعد أن عاد من قتال «البلباص»(١) ، نزل فى الخيام خارج الموصل وتوجه الى جبل سنجار وحاصره من جهته الشمالية ، وأمر العرب محاصرة قبلته ، ثم قدم الى الوزير «الحاجي رجب» ومعه ستمائة مقاتل حسبة لله من قبيلة الاكراد الزيبار وجرت لهم معهم وقوعات عديدة».

ولما دخلت سنة (١٢١٨هـ) وهم لا يزالون على جمعهم قال :

« شدد الحصار على جبل سنجار فأطاعته فرقة ودام القتال أياما وأمر بقطع أشجارهم وهدم قراهم ونهب أموالهم واخراج خباياهم ، فنزلوا وأطاعوا ، وشرط عليهم أن يعمروا قراهم أسفل الجبل فقبلوا ما أمرهم به ، ثم نصب عليهم أحد أمراء الجبل ، وكان قد أسلم ولعن الشيطان ، ورحل علي باشا » .

وفي «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بعد أن ذكر مسير «على باشا» لتأديب البلباص واذعانهم له من دون مقاومة قال : « ثم عبر الى الموصل فوجد مدة « محمد باشا » الجليلي الطويلة كانت على وشك أن تنتهي وعزز قوته بجيوش الباشوية هذه فسار للقضاء على لصوص جبل سنجار ، فأدت أساليب الحصار والضغط المتوالي الى طرد اليزيديين من كهوفهم والى اضطرارهم الى التسليم بشروط قاسية » .

وذكر المؤرخ التركى جودت في تاريخه هذه الحادثة على هذه الصورة :

في سنة ١٢١٧هـ جهز «علي باشا» والي بغداد حملة كبيرة وتوجه بها الى سنجار وعندما قرب منه أخذ اليزيدية يلوذون بالفرار ويتحصنون بالكهوف والمغارات واستعدوا لمقاتلته ، فشدد عليهم الحصار وخرب كرومهم واضطرهم الى التسليم وأجرى بعض الاصلاحات وعاد الى بغداد سنة ١٢١٨ هـ .

وفي تاريخ جودت أيضاً فى حوادث سنة (١٢٢٤هـ) أن «سليمان باشا» والي بغداد سار الى جبل سنجار بقوة كبيرة مجهزة بست بطاريات ومعه «محمد بك» أمير الكوي واحتل قرية لهم وأعمل السيف برجالها وسبى نساءها وأظهر من الشدة والصرامة ما ألقى الخوف والرعب فى قلوب اليزيديين، فتركوا أوطانهم واعتصموا برؤوس الجبال والتجأوا

---

١) عشيرة كردية قوية تسكن منطقة « اوشنو » فى ايران ، وراوندوز ورانية فى العراق وتنقسم الى ثلاثة شعب كبيرة وهم : بيراني ، ممش ، منكور ، ولكل شعبة فروع كثيرة .

الى الكهوف والمغارات واستعدوا للقتال ، وعندما أدرك « سليمان باشا » عجزه عنهم ترك الجبل وتوغل في تعقيب عشيرة « الظفير » التي كانت قد هربت الى « الرقة » .

جاء ذكر هذه الحادثة في مطالع السعود على الوجه الآتي :

« في هذه السنة (اي سنة ١٢٢٤هـ) غزا « سليمان باشا القتيل » ديار بكر بجيش عظيم لتأديب « الظفير » وقبيلة من « عنزة » كبيرهم « الدريعي » وكان خروجه في ٢٥ من المحرم ، فلما جاوز الموصل شن الغارة على أهل سنجار ، فصبح القرية المعروفة بـ « البلد » وغنم وسبي وتحصن من بقي من اهلها في ثنية من ثنايا سنجار . ثم لما لم يمكنه الوصول توجه الى الظفير والعنزيين » .

وفي غرائب الأثر : « ثم توجه الى سنجار ونهب مدينة البلد من اعمال سنجار . ثم نهب قرى المهركان وقلع اشجارهم وخرب ديارهم ، وأعمى آثارهم ثم نزل الى جهة الشمال من سنجار وحاصرها أياما ، ثم رحل وتوجه الى جهة الخابور فبلغ الظفير والدريعي خبر قدوم العسكر فهربوا » .

وهنا نقف متسائلين : هل كان ولاة بغداد والموصل على إصابة وحق في غزواتهم التي كانوا يقومون بها على جبل سنجار بهذا الحماس الشديد ؟ وهل كان اليزيديون مستحقين هذا الغزو المتواصل ؟

إن أحداً من المؤرخين لم يتعرض لهذه الناحية ، وكل ما قالوه لم يخرج عن ذكر ما كانت توقعه الحكومة من تخريبات في هذا الجبل وتناله من انتصارات وتكسبه من غنائم . ورب قائل أن هؤلاء الولاة لم يجيشوا الجيوش ويختاروا مشقة السفر الى سنجار ويعرضوا أنفسهم لشتى الأخطار والمهالك إلا بعد أن يكون قد تفاقم أمر هؤلاء اليزيديين وعظم خطبهم ! وهذا وان كان صحيحاً ، والأعمال التي أتوا بها مهما عظمت ، لا تستوجب واحدة من الحملات التي كان يقوم بها « حسن باشا » فاتح همذان، وسليمان باشا دواس الليل، وعلي باشا ، والباشوات الجليليين ، لا سيما حملة « ملك احمد باشا » التي قتل فيها ثلاثة عشر الفاً وأسر اثنى عشر الفاً ! وكثيراً من الأمراء الأقطاعيين الأكراد ، كانوا يأتون من الأعمال التي تعرض سلامة الدولة الى الخطر وتهددها في

استقلالها وتمام ملكيتها ، وهي تتغافل عنهم ، واذا أعياها الأمر تأخذ في تأديبهم ولكن سرعان ما كانت تعفو عنهم وتغمرهم بالانعامات وتزين صدورهم بالرتب والنياشين وتزيدهم في اقطاعاتهم . وكثيراً ما كانت توجه رتبة الوزارة الى أحد اللصوص وتطلق يده في أعمال الادارة وتعينه والياً ، وتأتي بالآخر وتعمله قائداً ، بينما يزيدية سنجار لم يتحسسوا بهذه الروح ، ويحملوا فكرة سياسية ترمي الى طلب الاستقلال . وكل ما كان منهم ان سلكوا طريق البغي والشقاوة لمخالفتهم المسلمين في عقائدهم واصرار الحكومة على الايقاع بهم في الوقت الذي كان بالامكان معالجتهم من طريق آخر أقل خطراً والحكومة ليس لها أن تنتظر منهم خضوعا وطاعة ، وقد أفتى علماؤها بوجوب قتلهم وقتالهم واستحلال أموالهم ونسائهم ، والولاة يطبقون احكام هذه الفتوى بحذافيرها بحقهم . ان هؤلاء اليزيديين الذين قصروا حياتهم على الحرب والضرب ومقارعة الأعداء ، والاستئثار بالقوة واحتقار الموت ، ويعبرون عن مواطنهم تارة (بمعقل الأسود) وتارة (بوكر الصقور) يصعب عليهم ان تختطف نساؤهم وفتياتهم من أيديهم ولا يثوروا على المجتمع ويصبوا نيران سخطهم ونقمتهم عليه . وكان على الولاة الذين يحملون مسؤولية المملكة ان لا يسرفوا في أعمال البطش والفتك بهؤلاء القوم ويكثروا من هذه الحملات عليهم وهي لا تولد سوى إثارة الضغائن وتشدد أسباب الكراهية والنفور .

وكأن القارىء يتهمني بموقفي هذا بالتحزب لليزيديين ، ويراني غير محق في توجيهي اللوم الى رجال الادارة في ذلك العهد ، ولكني ككاتب مؤرخ لم أر بداً من المجاهرة بالحقيقة . وإني على اعتقاد من ان رجال الادارة لو سعوا في اصلاح هذا الشعب من طريق آخر غير الطريق الذي سلكوه معهم ، لوجدناه اليوم من خيرة الشعوب وتقدم في مضمار الحضارة ونال اكبر نصيب من الحياة .

***

ان ما لاقاه هذا الشعب من الشقاء والبؤس على أيدي الولاة العثمانيين كان يلاقي أمر وأقس منه من أمراء البوطان ، إذ كانوا يفرضون طاعتهم عليه فرضاً ويجبون الضرائب منه بالقوة ، وكان آخرهم الأمير بدرخان . يقول الرحالة والمنقب الانكليزي السر هنري

لايارد وكان قد زار جبل سنجار في كلامه عن الأعمال التعسفية التي كان يجريها الأمير البوطاني باليزيديين : « كانت هذه الغزوات السنوية من جملة منابع واردات « بدرخان باشا » كما انه كان قد اعتاد لها باشوات الموصل وبغداد ايضاً ، والغرض منها إبادة هذا الشعب الذي سلك في دينه طريقاً همجياً لا ينطبق على الحكمة والعقل ، زد على ذلك اجراء الضغط عليهم لكي يبيعوا أولادهم ويتركوا أوطانهم ويهاجروا عنها » .

وأمراء البوطان يعدون يزيدية سنجار من شعبهم البوطاني وقد هاجروا من الجزيرة الى هذا الجبل في اول عهد ظهورهم فيه كما يعدون « الطياريين الآشوريين » من الشعب البوطاني ايضا باعتبارهم هاجروا الى هذا الوادي (١)منذ ثلثماية سنة وكان بدرخان باشا يستوفي الضرائب منهم .

يقول لايارد : « ولشدة ما أصابهم (يعني اليزيديين) من المظالم فقد شكلوا عصابات وهاجموا النواحي المجاورة لهم وأغاروا على القوافل ونهبوا كل من وقع بيدهم من الأكراد دون رأفة او رحمة ، حتى ألقوا الرعب في قلوب كثير من الناس ، وقد سببت أعمالهم هذه استياء الحكومة وغضبها عليهم . فأرسلت « محمد رشيد باشا » و « حافظ باشا » الواحد تلو الآخر وحملتهم ألوانا من العذاب » .

ان حملة « محمد رشيد باشا » على سنجار نرجح انها وقعت عام ١٢٥٢هـ (١٨٣٥م) عندما كان يقوم بمهمة الاصلاحات في كردستان والقضاء على الامارات الكردية الاقطاعية فانه بعد ان قمع الاضطرابات في « ماردين » المشاغبة ، وفصل تلك المنطقة فصلا نهائيا عن الموصل وألحقها بديار بكر ، وقبض على «صفوك» عظيم شمر وبعث به الى اسطنبول توجه الى سنجار وأوقع فيها . وأما حملة «حافظ باشا» فتصادف سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٤م) وكان هولها أشد من حملة « محمد رشيد باشا » واليزيدية لا يزالون حتى يومنا هذا يذكرونها ويذكرون ما لاقوه من هذا القائد من أهوال وشدائد بينما لم يذكر أحد منهم « محمد رشيد باشا » ويعرف شيئا عنه .

---

١) يدين سكان وادي أشوت المعروفين بالطياريين بالمذهب النسطوري وكانوا يسكنون قبلا جبال البوطان ، ولما اريد ادخالهم الكنيسة الكاثوليكية أبوا وفروا الى هذا الوادي وظلوا على نسطوريتهم الا انهم أضاعوا جنسيتهم واصبحوا اكراداً ـ هذا ما اراه .

ونستدل من الأخبار المنقولة عن هذا القائد انه كان جباراً مخيفاً جاء الجبل وهو عازم على قطع جذور هؤلاء القوم وإبادتهم لتكون آخر عملية تقوم بها الحكومة العثمانية في هذا الجبل وقد أظهر من الشدة والقسوة ما لم يفعله اي انسان يحمل ذرة من الشعور أما مقدار جيشه والحركات العسكرية التي قام بها ، وصورة احتلاله الجبل فلم نعلم شيئا عنه إلا ان الذى نعلمه أنه أباد ثلاثة أرباع نفوس اليزيديين . واذا فرضنا ان نفوسهم كانت اربعين الفا - كما قدره البعض - فيكون قد أباد ثلاثين الفا والباقون هربوا ، وبعضهم أسلم وكثير منهم من ظل على اسلاميته .

يقول لايارد : « عندما فاجأ الجبل « محمد رشيد باشا » و « حافظ باشا » التجأ اليزيدية الى الكهوف والمغارات قصد ان ينجو بأرواحهم ، إلا ان ذلك لم يفدهم شيئا بل اختنقوا بدخان النيران وقتلوا بالبنادق والمدافع وأبيد ثلاثة أرباعهم » .

ويظهر ان ترك « حافظ محمد باشا » هذه البقية من اليزيدية أحياء لم يرق لحكومة السلطان وعدت عمله ناقصا فأودعت إكماله الى الأينجة بايراقدار « محمد باشا » والي الموصل ، إذ يقول استيفن لونكريك في مؤلفه اربعة قرن من تاريخ العراق الحديث : « سحق اليزيديين في سنجار ثانية جند جاء من خارج العراق يقودهم حافظ باشا وتولى في سنة ١٨٣٨م - ١٢٥٤هـ الاينجه بايراقدار العمل غير الكامل فى كردستان ».

وفي تقويم الموصل لسنة ١٣١٢هـ أن والي الموصل الاينجه بايراقدار حمل على سنجار بعد أن أخضع تلعفر المتمردة وفتك فيهم وكان يقطع رؤوسهم ويضعها فى غرائر ويرسلها الى الموصل لأجل العبرة والأرهاب .

وفى عام ١١٦٠ هـ - ١٨٤٤م حمل « محمد شريف باشا » والي الموصل على سنجار وأجرى فيه من الدماء سيولا حتى يقال أن حملة الاينجه بايراقدار لا تعد شيئا مذكوراً بجانبها .

ثم أعقبتها فى السنة التالية حملة « محمد باشا » الكريدي ، وكان أشد الولاة هولا وأكثرهم رعباً وخوفا ، فافحش فيهم قتلا وتعذيباً ، وقبض على زعيمهم الديني « الشيخ ناصر » وألقاه فى السجن .

وفي عام ١٢٦٣هـ ـ ١٨٤٧م عين « طيار باشا » والياً على الموصل فذهب الى قرية « مهركان » في سنجار للتحقيق عن المظالم التي أجراها الوالي السابق محمدباشا الكريدي معهم ، فطلب حضورهم ، فلم يجيبوا وخافوا من أن يغدر بهم وهم لا يثقون بالمواعيد التي يعطيها الولاة لهم ، وهناك ظهر أموراً ليست فى الحسبان . وهذا ما ذكره هنري لايارد وقد شهد هذا الحادث فقال :

« ذهب طيار باشا الى سنجار قصد أن يقوم بالتفتيش بخصوص جمع الأموال الأميرية ويحقق عن المظالم التي أجراها الوالي الذي كان قبله فى الموصل بحقهم ، ودعا زعماء اليزيدية وكبارهم لمواجهته في مهركان . ومهركان من اكبر قرى اليزيدية في سنجار، وقد قاسى أهلوها أشد العذاب من محمد باشا وقتل كثيراً منهم ، فامتنعوا عن مواجهة طيار باشا خوفا من ان يعاملهم بالجور والجفاء وأصروا على عدم مقابلته رغماً على المواعيد التي وعدهم بها . وقد أرسل أحد قواده اليهم لكي يؤمنهم على حياتهم » .

يقول : « وقد رافقته أنا أيضا ، وعند وصولنا القرية أطلق اليزيدية بنادقهم علينا فاصيب فارسان وهرب الباقون ، فغضب الباشا وأمر العسكر ان يهجموا على القرية إلا ان الأهالي كانوا قد التجأوا الى مضيق كثير الكهوف واجتمعوا فيه ، ثم ان العساكر دخلوا القرية وقتلوا من وجدوا فيها من شيوخ وعجائز وأوقعوا فيها النهب وأحرقوها وجرت مقاتلات بين العسكر واليزيدية المتحصنين فى الجبل وقتل قاضي العسكر وكثير من الطرفين .

وفي الرسالة التي نشرها الدكتور زريق في كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) عن لسان اسماعيل بك اليزيدي جاء ذكر هذه الحادثة بشكل آخر ننقلها بتصرف :

« حضر طيار باشا سنجار بعد « خزندار باشا » ونزل بالصولاغ ـ نهر ينبع قريبا من قرية تبة ـ وأرسل رجلا اسمه « ممكي آدى » الى المهركان ليبلغهم اداء اربعة اكياس من الدراهم الى الحكومة فامتنعوا . وكان رئيسهم « عيسى آدى » ـ جد داود الداود و « علي نانخوش » ، فسار اليهم طيار باشا بعسكره وكانوا ألفاً ، فأرسلوا نساءهم وأولادهم الى الجبل وتحصنوا بمضيق « بيريني ـ بيرميني » واختفوا بين الأحجار

والصخور ، وهناك دارت رحى الحرب بينهم وأسفرت عن قتل مائتي نفر من عسكر طيار باشا ، ولما رأى انه مغلوب طلب الأمان من المركانيين ليدفن قتلاه فأذنوا له وعاد الى الموصل » .

ونرجح رواية لايارد لوقوفه على الحادثة بنفسه وهو شاهد عيان لها . و « خزنه‌دار باشا » لا نعرفه وهو قائد عسكري واليزيدية يذكرونه بخير .

***

لقد بقي الجبل - بعد حادثة طيار باشا - في نجوى من هذه الحملات نحو خمسين سنة ، وسببه ان الحكومة لم تكن لترى بعد هذا معالجة المشاكل الداخلية بالعنف والشدة ، وأخذت تميل الى اتباع سياسة عادلة ورشيدة ، وقد أدركت ان الظروف الحاضرة لا تسمح لها بعد هذا بعمل غير انساني ، والأجانب واقفون لها بالمرصاد ويحاسبونها على كل صغيرة وكبيرة تقع في بلادها ، والانكليز يظهرون عطفهم على اليزيديين منذ عهد « لايارد » وكان يوقفهم على الحوادث التي تقع لهم . واذا كان الجبل بقي هكذا زمناً بعيداً عن الغارات والغزوات التي كانت تشنها الحكومة عليه وكف العلماء عن اصدار الفتاوى بحقهم ، فالعداء بينهم وبين عشائر العرب،ما زال باقياً . فكانت عشائر شمر وطي والجبور والمكيدات يقومون بغاراتهم عليهم وينهبونهم ويقتلون من يقع بأيديهم منهم. ولكنهم لم يمسوا حريمهم بأذى وسوء ، واذا وقع بيدهم امرأة يزيدية يعيدونها الى أهلها بكل أمانة ، واليزيديون يقابلونهم في حروبهم بالمثل ، يخرجون اليهم بقوة كبيرة ويباغتون القرية او المجتمع الذي يقصدونه فيوقعون فيه القتل ويدمرونه تدميراً ويعودون . وكانت الغارات التي يقوم بها الجانبان على غاية من القسوة والصرامة لم يكن للشفقة والرحمة أثر فيها لا سيما اليزيديون ، فكانوا يجرون بالمسلمين طبق ما كانت تجريه الجيوش الحكومية بهم من قتل الشيوخ والعجائز والأطفال حتى الأجنة . وهنا نذكر لهم حادثتين من الحوادث الكثيرة التي جرت لهم مع المسلمين تدلنا على شدة روح الانتقام التي يحملونها في صدورهم لهم :

الحادثة الأولى : غزا أهل قرية « مهركان » قرية من قرى الكركرية تسمى « فقة »

تحوي اربعين بيتاً من قبيلة « الصادا » وهي تبعد نحو مرحلتين عنهم وكانوا لا يقلون عن مائتي رجل . ولما وصلوا القرية وكانت الشمس قد آذنت بالغروب حطوا رحالهم وراء أكمة تقع قريبة منها وأرسلوا اليهم حادياً لهم جاؤوا به ليغنيهم في الطريق ويعيد اليهم ذكريات الماضي ويثير فيهم شجونهم ، أرسلوه اليهم ليتجسس أحوالهم ، ويعرف قوتهم ، ويقف على دخائلهم . دخل الحادي القرية ولم يعرف أهلها من أين جاء وماذا يريد وهم ليسوا بحاجة الى ان يسألوه عن ذلك وظنوه ضيفاً وقدموا له عشاء وأكرموا وفادته ولم يعلموا ما تركه وراء الأكمة لهم .

كان الوقت ربيعاً والهواء رطباً عليلا والسماء صافية والقمر مبدراً فاجتمع أهل القرية رجالا ونساء صغاراً وكباراً في ساحة وسط القرية وأخذوا يرقصون ويغنون كما هي عادة أهل القرى في ليلة كهذه ، واشترك معهم الحادي وغناهم في أغانيه الشجية فطربوا له وأنسوا به . كان يغنيهم : (لننهب المسرات قبل ان يقلب الدهر لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك) . وبعد ان انتصف الليل وكانوا قد تعبوا تركوا اللعب والرقص وآووا الى منازلهم وناموا ملء جفونهم . فانسل الحادي وذهب الى رفاقه وأوقفهم على كل شيء من أمر القوم . وقبل ان يبزغ الفجر هجموا على القرية وأعملوا فيها السيف وقتلوا كل من فيها وما تركوا ذي روح يفلت من يدهم ولم يذيقوه الموت ونهبوا القرية وألقوا فيها النار وعادوا .

لقد كان وقع هذه الحادثة على « الكركريين » أليم جداً فبكوا لها وأنشدوا المراثي من أجلها ، فكنت تسمع في محافلهم ونواديهم حد انهم يرتلون هذه المراثي وهم منصتون لها بقلوب خاشعة والدموع تنحدر من مآقيهم . واليك تعريب النشودة سمعتها في محفل رئيس عشيرة الكركرية احمد اغا السعدون كان ينشدها حادي من هذه العشيرة ، يقول :

« مضى ثلثا الليل ، والشبان الاشاوس يرقصون أمام القمر ، وكان يصب أنواره عليهم صبا ، وهم يرتشفون القبلات الحارة من شفاه العذارى الجميلات .

مضى ثلثا الليل ، والدخيل الملعون يضرم نار الشوق في قلوبهم بأغانيه الشجية ، ويرتل لهم انشودته التي يقول فيها : ليلة ما أجملها ؟ فلننهب المسرات نهبا قبل ان يقلب الدهر

لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك .

لم يمهلهم الكافر الذي كمن وراء الأكمة من ان يأخذوا نصيبهم من النوم ، أجهز عليهم بعد ان اختفى القمر وراء الأفق وذبحهم على بكرة أبيهم .

خضب جثث العرائس بدمهن الأحمر القاني لأن المطار أبطأ فى إحضار الحناء اليهن .

مزق جثث الاطفال كيلا يبكون اللبن الذي كانت ثدايا أمهاتهم تدره عليهم دراً والآن لقد نضبت .

والدخيل الملعون يردد انشودته لهذا الجمع النبيل ، الانشودة التى تنذره بالموت .

طلعت الشمس من خدرها فلم تلق فى (فقة) غير جثث هامدة هنا وهناك فبكتهم بدموع حمراء ، واحتجبت وراء الدخان المتصاعد من أكواخ فقه المستعرة .

اجتاز طغات سنجار هضاب « البوغة » (١) والدخيل الملعون يرتل انشودته التي يقول فيها : ليلة ما أجملها ؟ لننهب المسرات قبل ان يقلب الدهر لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك » .

الحادثة الثانية : (٢) فى عهد أمارة « حسن بك » على الشيخان (٣) ، وكوجك ابراهيم الاختيار (٤) و « خوشي علي » و « حسو آلي » رئيس عشيرة نانخوش ، و « هافندي نعمت » رئيس عشيرة القيران والمندكان ، و « خليقى خان » رئيس الهبابات والمسكان غزا اربعماية رجل من عشيرة المهركان عشيرة « الميران » (٥) وكانوا قد حطوا رحالهم فى موقع يسمى « قره جوخ » من نواحي جزيرة ابن عمر . وكان رئيس الميران « حسو علي » فاشتبكوا بحرب معهم دامت من طلوع الشمس الى ما بعد العصر قتل منهم فيها سبعون رجلا وجرح آخرون ، فعادوا الى المحل المعروف بـ « شوري سيفاني » او « كرشور » ويعرف بـ « تل الهواء » (٦) وأخذوا يتفقدون رجالهم . وهناك اجتازت

---

١) موضع يقع على طريقهم من سنجار.

٢) اقتبسناها من الرسالة المعزوة الى اسماعيل بك اليزيدي بتصرف

٣) تولى الامارة سنة ١٢٠٦هـ ـ ١٧١٩م

٤) هو الشيخ الاكبر للملة اليزيدية من اسرة الشيخ فخر الدين ويعده اليزيدية صاحب اسرار وكرامات .

٥) عشيرة كردية اسلامية يسكن الان قسم منها داخل العراق وقسم فى الجمهورية التركية ورئيسها نايف بك بن مصطو باشا تمر ، وهى عشيرة قديمة ذكرها شرفخان البدليسي .

٦) مجموعة هضاب يتصل بعضها ببعض يبلغ ارتفاعه اربعين قدما ، لها سطح مستو تبلغ مساحته فدانات

بهم قافلة من الميران كانت آتية من الموصل ومعها سبعة وثلاثون بغلا محملة قمحاً مع أشياء اخرى وثلاثون رجلا ، فنهبوا البغال وقتلوا الرجال وعادوا الى أماكنهم .

وعلى أثر هذه الحادثة جمع رئيس الميران واسمه « بدر اغا » ما يزيد على ألفي رجل من العرب من زاخو والجزيرة وشرنخ ونزل على « وادي خنزير » وأرسل خبراً الى « حسين دوبلين » رئيس الجبل يقول له : « ان نساءنا قد ماتت ونريد منك أن ترسل لنا نساءك ونساء اليزيدية الحسان وفتياتهم الجميلات » .. فجمع « حسين دوبلين » اغوات الجبل وأوقفهم على الخبر ، فثارت فيهم عاطفة الغيرة وأجمعوا على غزو الميران ، ولم يمض يومان إلا واجتمع في قرية « زيروان » من قرى الجبل ألفا رجل من المشاة والخيالة وتحركوا في نصف الليل ، وعند أول الفجر وصلوا « وادي خنزير » حيث كان الميران ، فكمن النصف منهم وهجم الباقون فنهبوا سبعين قطيعاً من الغنم وقتلوا ثلاثة عشر راعياً ، والتحم الفريقان بالسيوف والخناجر فقتل من العرب والكوجر « الميران » ما يزيد على ألف رجل وانهزم الباقون واختفوا في احراش القصب في الوادي ، فأضرم اليزيدية النار عليهم وأحرقوهم عن آخرهم ، ولم يقتل من اليزيدية سوى رجل واحد اسمه « ممي كار » وهو أخ لحسين دوبلين (١).

هذه حادثتان تصور لنا ما وصلت اليه الحالة بين المسلم واليزيدي في تلك الآونة ، وكيف كان الانتقام مراً وقاسياً وهو لا شك من مخلفات الدور الماضي عندما كانت الفتاوى تجري مفعولها ، واذا كان العلماء عدلوا عن اصدار هذه الفتاوى ، فالفتاوي التي أصدروها قبلا لا يزال أثرها باقياً في النفوس .

كان الجبل يحتاج الى استراحة طويلة ليستعيد قوته ويضمد جروحه وقد لاقى أتعابا شديدة . وقد خلد فعلا الى الهدوء والسكينة ولم يبد منه ما يوجب النقمة عليه . وكان على الحكومة أن تستفيد من وضعه هذا وتأخذ بادخال الاصلاح عليه وتحسن ادارته

ـ واحداً وهو على واد عمقه ٨ ـ ١٠ أقدام وهي وسط صحراء مستوية تبعد عن « اعوينات » نحو ثلاثة اميال .

١) هذا ما يتحدث به اليزيدية . لكن الميران ليسوا اقل شجاعة من اليزيدية في الحروب حتى يقتل منهم هذا العدد الكبير من النفوس ولا يقتل من اليزيدية غير شخص واحد.

وتجعل منه شعبا طيعا منقاداً ولكنها لم تزل تنظر اليه كشيطان مارد ولم تطمئن اليه .
وفي أواخر القرن الهجري المنصرم عينت الى الجبل قائمقاما يسمى « احمد بك » جمع في نفسه من أعمال القبح والسوء ما لم يحويه سكان جبل سنجار اليزيدية بأسرهم . فقد كان لصا يقطع الطريق أكثر منه موظف دولة فأساء العمل مع اليزيدية وحرض بعضهم على بعض وأوقع بينهم الفتنة وكان ينهب ويسلب ويقتل ، فخافه اليزيدية وذلوا له حتى ان أحداً منهم لم يجرأ على ضرب زوجته وخادمه خوفاً منه ، اتفق مع رئيس الجبل «صفوق اغا» وأوقع بأهالي قرية « علي دينا » وشردهم . وقتل رئيسهم المدعو (حسين بكر) غدراً وهو في طريقه معه الى (صفوك) ونهب قطيعا من الغنم لأهل قرية مهركان وقتل راعيه فاسترجعه المهركانيون منه . وكان يستحصل الضرائب عشر أمثالها ولم يدخل خزينة الدولة فلسا واحداً منها .

ذهب الى قرية « مهركان » ونصب خيامه على قرب من البئر الذي يستقي منه أهل القرية ، فأتاه كبيرا القرية عيسى اغا وأبوه حسو اغا والتمساه ان يرفع خيامه من طريق النساء الى البئر خوفا من الفتنة وتعهدا له بثلاثين كيسا من الدراهم ، فأمر بالقبض عليهما فهاج المهركانيون وماجوا وحاصروه وقتلوه هو وعشرة أنفار من الدرك وضابطا لهم ، ونهبوا سلاحهم وخيولهم ومهماتهم .

يقول المثل الفارسي : (زنده بلا ، مرده بلا) اي بلاء للناس في حياته ومماته وهكذا كان هذا القائمقام ، فقد حضر أمير الالآي العسكري (عمر بك) ابي الرؤوس بعد قتله مع قوة ضخمة من دير الزور مع مدفعين ونفير عام من (طور عابدين) ونزل في مدينة البلد وأحضر (عيسى أغا) كبير مهركان بالأمان وقتله ، وأعطى أمانا لوجوه مهركان وأحضرهم وقتلهم ، وأعطى أمانا الى رئيس علي دينا (مراد حسو) مع جماعة من رفاقه وقتلهم ولكثرة ما قتله من اليزيديين وقطعه من الرؤوس عرف بأبي الرؤوس ، إلا انه عطف على صفوق اغا وزاد في نفوذه .

إن أهم ما يجب على الحكومة هو انتقاء موظفين أكفاء عرفوا بالحزم والمقدرة وحسن الادارة والنزاهة والعدل لهذا الجبل ، والموظف الذي تأتي به من قارعة الطريق او بطريقة

الرشوة او الجوسية او الالتماس لا يصلح إلا للهدم والتخريب ويولد لها مشاكل جمة .

وقد علل لي أحد رجال الترك البارزين ان الذى يشجع هـؤلاء الموظفين على سيء الاعمال هو بعد هذه البلاد عن عاصمة الملك ، وان سلوكهم وسيرتهم في البلاد الاخرى هو غير سلوكهم فيهذه البلاد . وعلل لي آخر ان لو كان هؤلاء الموظفون على غيرهذه الحالة ، اي لو كانوا أكفاء ذوى نزاهة لما رضوا ان يأتوا الى هذه البلاد ومعناه ان بعد هذه البلاد عن عاصمة الملك هو الذي يبرر للحكومة ارسال الحثالات من الموظفين اليها ، وأن هذه البلاد المنحطة بحضارتها ومدنيتها لا يصلح لها إلا موظفون منحطون بأخلاقهم ونزاهتهم .

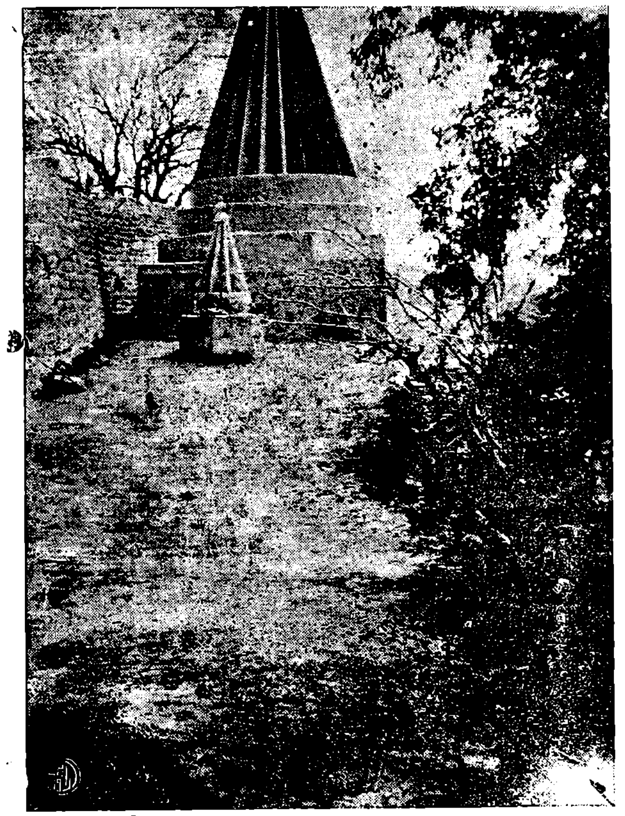
كانت معضلة اليزيدية في سنجار أهم ما لاقته الحكومة العثمانية خلال اربعة قرون من حكمها العراق ، وقد تحملت تضحيات عظيمة في سبيلها ولم تجد حلا لها . والتجارب التي قامت بها خلال هذه المدة الطويلة أثبتت لها ان الاصلاح لا يأتي بالحديد والنار ولكنها رغم هذه التجارب لم تحد عن هذه السياسة حتى النهاية .

ومما كانت تفكر فيه : إماتة هذا الشعب بالجوع ، أو جعله مضطراً للتخلي عن سكنى الجبل والنزوح الى اماكن اخرى ، وأرادت ان تضع عليه حصاراً تمنعه عن الاتيار من الخارج ، وهي كذلك فكرة خاطئة لا تؤدي الى نتيجة اكثر من سوق هذا الشعب الى العصيان والاخلال بالأمن .

ثم أخذت تسلك معه طريق النصح والارشاد وأرسلت اليه بعثات دينية ، وممن أرسلته ، مفتي ديار بكر مسعود افندي مع جماعة من العلماء سنة ١٨٩٧م فكانت هذه البعثات تأتى وتذهب دون أن يتم لها أمر وكان اليزيديون يحولون دون دخولهم بينهم وقد أرادت ان تقوم بآخر تجربة وقصدت دعوتهم الى الاسلام قسراً وأرسلت لهذه الغاية الفريق « عمر وهبي باشا » فكشفت هذه التجربة عن جهلها حقيقة أمر هذا الشعب طيلة هذه المدة المديدة .

وقد انتدبت لهذه المهمة الخطيرة هذا القائد وهو رجل عسكري جاف يغلب عليه الصلف والغرور والحماقة والجهل ، وهو محروم من الثقافة السياسية . وفي فور وصوله الموصل في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٠٩هـ الموافقة ٥ تموز لسنة ١٨٩٢م ، كان أول عمل

بدأ فيه ان فتح ابواب السجون على مصراعيها للقتلة والسفاكين وزج في محلهم الأعيان والوجهاء بدعوى أنهم هم اللصوص وقطاع الطرق ، وألقى الرعب في قلوب الناس ، وظهر بمظهر الجبابرة العتاة المستبدين .. وأحضر أمراء اليزيدية وشيوخهم ووجهاءهم ودعاهم الى الاسلام ، وتلى عليهم قاضي المدينة آية التوحيد . فكان منهم من أطاع ، وهم امير الشيخان ميرزا بك وأخوه الصغير بديع بك واثنان آخران من العوام والبقية جميعاً امتنعوا ، فزجهم في السجن وأخذ في تعذيبهم ، وأرسل بقيادة ابنه الملازم الأول « عاصم بك » قوة كبيرة الى الشيخان فنهب قصر الامارة واستولى على المقدسات والسناجق (١) وهدم قباب الأئمة والمشائخ ، وأجرى في مرقد الشيخ عدي من المنكرات والموبقات ما يكل عنه الوصف ، فهاج اليزيدية وماجوا وأخذون يفرون بدينهم



قبة الشيخ حسن التي هدمت في مرقد الشيخ عدي وأعيد بناءها

١) احتفظ بها في خزانة الجيش السادس في بغداد ثم أعيدت الى اصحابها عند اعلان المشروطية العثمانية

وارواحهم الى الأماكن البعيدة .

وقد كان من الطبيعي ان يكون لهذه الحوادث أثر في نفوس يزيدية سنجار وقد علموا من الذين هربوا اليهم من الشيخان ما فعله هذا الطاغية من المنكرات في مرقد الشيخ عدي واستيلاؤه على سناجقهم ومقدساتهم وهدمه أضرحة أوليائهم فأعلنوا الثورة وجاهروا بالعصيان . وعندما وقف على الخبر ذهب الى سنجار مستصحباً معه قوته العظيمة من الجيش ومثلها من القبائل والعشائر عازما على إنزال ضربته القاصمة فيهم كان اليزيدية قد تجمعوا في قرية « بكران » من قرى الجبل في الشمال . فأراد ان يهاجمهم من طريق « مهركان » اي ان يخترق الجبل من الجنوب الى الشمال ولكن ظهر له ان المرور من مضيق « بيريني - بيرمني » (١) أمر شاق جداً وهو محفوف بالأخطار وأقل قوة من اليزيدية تقضي على جيشه ، فاختار طريق الصحراء ووضع « الكولات » على يمينه واستدار الى الشمال وخيم في موقع يسمى « زوقايه » (٢) ويعرفه اليزيدية الآن باسم « كرعرب » وهو على مسافة أقل من ساعة عن « بكران » .

كانت قوته مؤلفة من عشرة أفواج من العساكر النظامية ، وكتيبتين من الخيالة وبطاريتين جبليتين عدا النفير العام من القبائل والعشائر . واليزيدية لا تزيد قوتهم على ثلاثة آلاف مقاتل ورئيسهم « صفوق اغا » كبير عشيرة « الموسقورة » وقد صنعوا المتاريس واستعدوا للقتال .

وفي صباح يوم ١٥ نيسان ١٨٩٣ هاجمهم بخيله ورجله وأمطرهم وابلا من قذائف المدافع ورصاص البنادق وأصبح على بعد مايتين متراً منهم ، فخرجوا من وراء المتاريس وقاتلوه قتال المستميت ودامت المعركة الى ما بعد العصر قتل فيها منهم خمسة عشر رجلا وقتل من الجيش مايتان جنديا وأربعون من العشائر فتركوا قتلاهم وانسحبوا الى محلهم

١) المضيق الذى يذهب الى قرية « مهركان » العتيدة ، عند نحو ساعة وثلث الساعة وهو وعر جداً وعلى جانبيه كهوف ومغارات صعبة المرتقى يأوي اليها اليزيدية عند الخطوب والشدائد ويتحصنون فيها . وقد أريقت في هذا الوادي دماء لو جمعت لضاق هذا المضيق بها . واليزيديدية يسمون هذا المضيق طريق علي شير كناية عن الامام علي.

٢) يوجد فيه آثار قديمة مهمة ولم تمتد حتى الان يد التنقيب اليه .

ودام الحرب ثلاثة أيام مع لياليها - إذ اليزيدية كانوا يهاجمون الجيش ليلا ويوقعون فيه الخسائر - ولم يبد للجيش أثر للانتصار وقد نفذت مؤونتهم وأخذوا يلوذون بالفرار وولى العشائر هاربون كما هو شأنهم في ساعة المحنة ، فأدرك الفريق «فشله» وفي اليوم الرابع قوض خيامه وعاد الى سنجار سالكاً عين الطريق الذي جاء به .

وقد عظم عليه الأمر وأخذ يحس بعظم المسؤولية التي سيلاقيها ، وقد أخبر الباب العالي بانتصاراته في الشيخان واسلام ثلاثين الف يزيدي ، وأنه سوف لا يترك أثراً لعبادة الشيطان في سنجار ، وأخذ يفكر في الأمر وأخيراً هداه خياله الى أن يعقد صلحاً مع اليزيديين ويدعوهم الى الاسلام بطريقة التفاهم ودعى اليه «صفوق أغا» رئيس الجبل بعد أن أعطاه العهود والمواثيق ، فحضر سنجار وأخذ يفاوضه في الامر وصفوق أغا يطيب نفسه ويوعده بمعسول الأماني ويوثقه بان اليزيدية يرغبون في الاسلام لو أنه جاءهم من طريق آخر غير طريق القوة ولأسلموا على يده ، وقد قال له ذلك عندما شعر بحراجة موقفه وإن حياته أصبحت مهددة بالخطر فيما إذا خالفه .

وبينما كان يفاوض «صفوق أغا» على هذا الوجه كانت الهيئة التحقيقية(١) التي أرسلها الباب العالي الى الموصل للبحث والتحقيق عن أعماله تصدر أمرها اليه بلزوم مغادرته الجبل والحضور أمامها فوراً للتحقيق معه، فسقط بيده وغادر الجبل ، وفي اليوم التالي حضر الموصل فأبلغته اللجنة بالسفر الى اسطنبول حالا ، فسافر في ٢٥ نيسان سنه ١٣١٠ وقامت اللجنة باعمالها .

أما اليزيدية فقد تنفسوا الصعداء وقدموا الى آلهتهم القرابين على هذا النصر المجيد ، وإحلالهم النكبة في عدوهم الذي اعتدى على شعب يزيد ودين يزيد ، وهتفوا باسم «السلطان عبد الحميد» الذي أخذوا يعدونه واحداً منهم وهو الذي دفع هذا الاعتداء عنهم وهو لا يرضى به .

وقد كان من الطبيعي أن تلعب نشوة هذا الظفر في رؤوسهم ويعتقدون أن الحكومة

---

١) كان قوامها كل من الفريق شاكر باشا أحد ياورية السلطان عبد الحميد ، وأمير اللواء كامل باشا من رجال المابين ، وصادق بك من كبار موظفي وزارة الداخلية ، وعبد الباقي بك المميز الاول لمكتوبي وزارة الخارجية .

هي أعجز من أن تنالهم بأذى وسوء ، فأخذوا ينتقمون من العشائر المسلمة التي عاونت القوة العسكرية عليهم ودلتها على عوراتهم - وهذا هو ما تفعله العشائر دوماً، إذ بالوقت الذي يكونون قد تحالفوا معهم على محافظة السلم سرعان ما ينكثون بوعودهم وينقضون مواثيقهم عندما يرون أن الحكومة تريد الوقيعة بهم فيتفقون معها ويكونون يداً واحدة عليهم - فشكلوا العصابات وهاجموا القرى والمنازل ، وأوقعوا في النفوس ، وأحرقوا الزروع ، ومنعوا سير القوافل ، وبات الجيش المرابط في «البلد» - وهو لا يزيد على فوج واحد - مهدداً بالخطر ولا يدري متى تهاجمه عصابات بكران ، ويوسفان ، وزيروان ، وسموقة ، والقيران وتوقع به ، فأودعت الحكومة أمر تأديبهم من جديد الى أمير اللواء بكر باشا وأمرته بالسير الى سنجار على عجل ، فسافر في غضون شهر مايس ١٣١١ على رأس قوة مؤلفة من ثمانية أفواج وكتيبتين من الخيالة وبطاريتين جبليتين ونحو الف نفر من العشائر .

كان اليزيدية قد تجمعوا في قرية بكران ويوسفان وعلى دينا ورئيسهم «صفوق أغا» واستعدوا للقتال ، فقسم أمير اللواء قوته الى شطرين : قسم سار به بنفسه من طريق الصحراء ، وهو عين الطريق الذي سلكه الفريق عمر وهبي باشا وخيم في «زوقاية» وشطر أرسله من طريق «بيريني» الذي اجتنب الفريق عمر باشا سلوكه . وفي آن واحد هجم الجيشان من الامام والوراء على القرى الثلاثة المذكورة وضرباها بالمدافع فهدما حصونها وفرقا جموعها وكبداها خسارات فادحة بالأنفس والأموال . وهناك أدرك اليزيدية عجزهم عن دوام القتال فطلبوا من القائد الأمان ، فأمنهم وأملى عليهم شروط التسليم فقبلوها وبات الامر الى صباح اليوم الثاني للتنفيذ ، ولكن في تلك العشية استلم القائد أمراً من مرجعه الأعلى يلزمه بتوقيف القتال وسحب الجيش والعودة الى سنجار وبينما كان اليزيدية في صباح اليوم الثاني يستعدون لتنفيذ أحكام شرائط التنفيذ ، كان الجيش يقوض خيامه يريد العودة الى سنجار .

***

كان عهد السلطان «عبدالحميد» في البلاد العربية عهد انحلال وتفسخ ، ولم تجد في ولايةالموصل بقعة ولا زاوية ، ولا تكية ، ولا سهلا ، ولا جبلا ، إلا وفيه زعيم ديني او قبيلي قد رفع لواء العصيان ، حتى تجد ذلك في المدينة نفسها . وعندما كان يتفاقم أمر زعيم وتخشى الحكومة خطره تجهز الجيوش وترسلها لأجل إخضاعه ولكنها وهي في نصف الطريق تصدر العفو عنه وتأخذ في أسباب إرضائه وتنعم عليه . ولدينا من الشواهد الكثيرة ما يؤيد ذلك فهذا الشيخ «عبدالسلام» البارزاني في اول خروجه على الحكومة كانت أرسلت اليه سنة (١٣٢٦هـ) قوة كبيرة تحت قيادة الفريق محمدفاضل باشا الداغستاني ووالي الموصل فهزمها وأباد أكثر من النصف منها ما بين قتيل وغريق في نهر الزاب ، وبعد مرور عام أو أقل تنيله العفو على طلب ناظم باشا والي بغداد وتمنحه الفين ليرة تعويضا للأضرار التي ألحقها به الجيش فيذهب القائممقام العسكري صفوت بك الى بارزان ويوصل اليه المال .

وفي السنة التي بعدها أنهى والي الموصل بالوكالة ، وقائد الفيلق الثاني عشر أسعد باشا الدرزي الى نظارة الداخلية منحه وساما من الصنف الثالث المجيدي بناء على اخلاصه وحسن خدماته فجاء الوسام إلا انه لم يسلم له (١) .

وهذا ما كان من أمر الحكومة مع اليزيديين . فلا هي تستعمل اللين في سياستها معهم ولا تسير الى آخر مرحلة في اعمال التأديب معهم . والرجوع من نصف الطريق لا يفسر بأكثر من شعور بالضعف ، وعجز عن القيام بالواجب ، وجعل ادارة المملكة معروضة لأنواع العلل والأسقام .

والسلطان «عبدالحميد» لم يكن ليسمح باستعمال القوة مع العصاة وأصحاب النفوذ والتغلب وكان يرى معالجة الأمور « بالتدابير الحسنة » و « اتباع الأساليب الحكيمة » و « تأجيل العمل الى وقت آخر » كما رأيناه في الحملة التي قام بها أمير اللواء بكر باشا

---

١) كان قد قبض على اربعين نفر من الجنود في موقع يسمى « كلي بالنده » في مزوري العليا وهم يقصدون الموصل في مجيئهم من لواء الحسكاري وسلبهم بنادقهم وعتادهم وسجنهم عنده ثم اطلق سراحهم بناء على التماس اسعد باشا عنده ، فعد ذلك له اخلاصاً وانهى الى وزارة الداخلية منحه هذا الوسام ، الا ان سليمان نظيف بك الذي خلف اسعد باشا رفض اعطاء الوسام له وأعاده الى اسطنبول وكان اعدامه على يده .

على سنجار . وهذه السياسة هي التى أخلت بأعمال الادارة وأحدثت الفوضى في المملكة وأخذ هذا الشعب يستخف بالحكومة ولم يقم لها وزنا ، فكنت ترى الحكومة في سنجار تعجز عن إحضار شخص واحد ما لم تعطه « الحظ والبخت » وتمر السنون ولم تستطع من تحصيل فلس واحد من الضرائب ، والقوة المرابطة فى « البلد » لا يمكنها الخروج من ثكناتها عندما يمسي عليها المساء ، واليزيدية يصطادون الجنود على ضوء المصابيح كما تصطاد العصافير وأصحاب القبعات الطويلة والذوائب المسدولة ، والأزيقة المدورة يجوبون المدينة ويلحقون شتى الأضرار بالأهالي المسلمة . ويتصدى « القزلكنديون » الى ضرب دار الحكومة بالرصاص في رابعة النهار ، والفوج المرابط في « البلد » لا يحرك ساكناً . واذا طلبت الادارة معاونته لطرد هؤلاء الأشرار يجيب القائد محمود اغا : « مقابله به أمر يوقدر نه يابهيم ؟ » - اي لم يكن بيدى أمر للدفاع فماذا أصنع ؟

ان رشق دار الحكومة بالرصاص في سنجار أصبح لليزيدية عادة مألوفة وهو كثير الوقوع . واكثر ما كان يجريه « القزلكنديون » وفي عهد ولاية اسعد باشا الدرزي بالوكالة أرسلت الحكومة فوجين من العساكر النظامية مع مدفعين جبليين تحت قيادة البكباشى محمود فائز افندي ، فباغتهم صباح يوم ٢٣ آب ١٣٢٨هـ وضربهم بالمدافع ودام القتال ثلاث ساعات انكشف عن هزيمة القزلكنديين وقتل الكثير منهم وقتل من الجيش ستة افراد . فكانت هذه الاجراءات الصغيرة سبباً لاستقرار الأمن فى سنجار مدة غير قصيرة .

وآخر حملة وداعية قامت بها على سنجار فى آخر ايام عهدها في العراق كانت تحت قيادة القائمقام العسكري الحاجي ابراهيم بك ، وكان يراد منها في الظاهر تحصيل الضرائب والتكاليف الحربية ، ولكن فى الحقيقة كان يراد منها التنكيل فيهم لايوائهم المسيحيين الذين هربوا الى الجبل من ماردين والجزيرة من المذابح التى أقامها الأتراك بوجههم ، ولما عرف من اتصالهم بالانكليز فى سامراء وعرضهم الطاعة لهم .

كانت هذه الحملة مؤلفة من فرقة بكامل عدتها وعددها ومجهزة بالمدافع الضخمة

والطيارات وأنواع الأسلحة الحديثة ، وقد انضم اليها حشد كبير من القبائل والعشائر وفى يوم ١٠ أيلول ١٩١٨م وصلت سنجار وخيمت « بالصولاغ » وهـو نهر في قرية « التبة » على بعد ميلين من « البلد » مركز سنجـار ، وأذاع قائدها بيـانا دعى فيه اليزيدية الى الطاعة والتسليم دون قيد او شرط وأمهلهم ثلاثة ايام . ولما لم يجبه أحد وهم يعلمون ما يحمله من نوايا السوء نحوهم ، وانه سوف لا يرحمهم اذا نال منهم ، بدأ في أعمال التنكيل والتخريب ، فضرب قرية « التبة » بالمدافع وجعلها ركاما . وتوجه الى « البلد » وأطلق فيها يد النهب والسلب واستولى العسكر على ما وقعت أيديهم عليه من مال ومتاع وجميعه للتجار الموصليين وموظفي الحكومة. ومن هناك ذهب الى قرية « حمي كوجك » السلمة و « قزلكند » و « جنعان » و « كابارة » و « قصركى » و « جـدالة » و « سكينية » ونهبها وأحرقها . ثم توجه الى جهة الشمال واحتل قرية « الحليقية » و « جفري » و « يوسفان » و « طرف » وأوسعها نهباً وتخريباً ووصل قرية « كرسي » وخيم فيها .

كان جبل سنجار قبل مجيء هذه الحملة منقسما الى حزبين معادين ، حزب يضم عشيرة « الدالكا » و « الهبابات » ورئيسهم « حجي ابن خضر كهية » وعشيرة « الجلكا » و « القيران » ورئيسهم « محمود ابن رفاعي » و « سموقة » ورئيسهم « مسطو لالو » و « آلدخي » و « بيت خالد » ورئيسهم « مراد هسو » ويرأس هـؤلاء جميعاً « حمو شيـرو » زعيم الفقراء ، والحزب الآخر يضم عشيرة « المنـدكان » و « البـو متيوت » المسلمين و « الهسكان » و « الموسقورة » ورئيسهم «حسين برجس» و « المهركان » ويرأس هؤلاء جميعاً « داود الداود » ، وكانت الحروب قائمة على ساق وقدم بينهم ولما داهمهم خطر هذه الحملة ورأوا انهم لا قبل لهم بمقابلتها وهم متفرقون ، نبذوا الاختلافات الموجودة بينهم جانباً ووحدوا صفوفهم واستعدوا للقتال . إلا ان الجوع كان قد أضر فيهم ، وليس لديهم من المؤونة ما يكفيهم فيما اذا اشتبكوا بالحرب لبضعة ايام . والجيش مجهز باحدث الأسلحة ومدرب خير تدريب وقد عاد حديثاً من جبهة الحرب ، فقر رأيهم على أن لا يدخلوا معه بحرب واعتصموا بالجبال وأووا الى المغاير والكهوف ،

ولكنهم لم يستطيعوا البقاء على هذه الحالة وقد عضهم الجوع وأشرفوا على الهلاك . فعرضوا دخالتهم على القائد ، فقبل منهم . وكان أول من حضر الى الدخالة « حجي بن خضر محمد كهية » رئيس الهبابات، و « داود الداود » رئيس المهركان و « حسين برجس » كبير بيت خالد ، وتخلف « حمو شيرو » وجماعة من الفقراء . وبقوا على تخلفهم الى النهاية .

ولما طال مكوث هذه القوة في الجبل ولم تحصل على نتيجة ، واليزيدية لا يملكون ما يؤدونه من المال ، وسئموا الحرب لم تبق عليهم شيئاً اكتفى القائد بأخذ شيء قليل منهم من المال مع عدد من الأسلحة غير الصالحة للاستعمال وعاد الى « البلد » عاصمة الجبل . وعند مجيئه أحضر كبير عشيرة البابوات المسلمة « زكر بن عبد العزيز » ورئيس عشيرة « المندكان » المسلمة « جردو اغا بن باشوك اغا » وطالبهم بمبلغ كبير من المال باسم التكاليف الحربية ، فاستمهلوه ثلاثة ايام فلم يكن منه إلا وأمر بقتل الأول رمياً بالرصاص والثاني أمر شرطياً يدعى عبد اللطيف (١) بقتله فقتله بضربة خنجر واحد أغمده في صدره .

***

كانت هذه الحوادث تجري مني على كثب ، وقد أتيت الجبل قبل مجيء هذه الحملة ببضعة ايام وأقمت في قرية « دهولي » عند صديقي « حسين برجس » كبير بيت خالد لتهمة سياسية ألصقت بي . ولما لم أطق صبراً على البقاء غادرت الجبل وذهبت الى عشيرة شمر عند الشيخ مطلق الفرحان ، ومن هناك عبرت دجلة من قرية « سيقباد » وذهبت الى جبل « كارة » في العمادية الى ان سقطت الموصل بيد الانكليز في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وعدت اليها بعد ان بقيت عاما وبعض عام أجوب الفيافي والقفار وألاقي المخاوف والاخطار ، واحتل البريطانيون جبل سنجار وعينوا « حمو شيرو » حاكما اداريا عليه .

---

(١) هو من اهل الموصل استخدمته الحكومة المحتلة شرطياً في سنجار ، وكان قد سرق خمسة عشر الف روبية كان مأموراً بايصالها الى الموصل وأراد بها الهرب الى سوريا فادركته الشرطة وقتلته واستحصلت الدراهم منه .

فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢	٩	الفرغ	القرغ
٤	١٧	شهدابن جرة	شيهد بن جره
١٣	١١	٢٨٣٦	١٨٣٦
١٣	١٤	صربخور	ضربخور
٢٠	٢٠	الى	اي
٢٤	٣	بن حسين بك	بن صالح بك
٢٥	٨	كذالة	كندالة
٣٣	١٢	مقترب	مغترب
٣٥	٧	جميم	جمع
٣٨	٤	المان	المهان
٥٨	٩	اسماعيل	سليمان
٦٣	١٤	٦٥صهران	١٥حزيران
١٠٣	٢٠	مجوس	محبوس
١١٦	٦	ابي الفضائل	ابي المفاخر
٨٦	١٤	البغيض	البغض
١٠٠	١٠	اخرخها	اخرجها
١١٩	٢٣	المونسيور	الموسنيور
١٢٦	٨	آخذ	أخذ
١٤٤	١٨	حياته	ويقصر حياته
١٤٨	٨	آله	إآله
١٥٠	٢٦	اكنسيفون	اكسنيقون
١٥٦	٩	المرتزقة	الزندقة
١٩٥	١٥	مشيرجاً	شيرجاً
٢٠٦	١٨	وما يدر بنا	وما يدرينا
٢٠٩	٧	وليت ليث	ولبث
٢١٥	١٠	يأمره	أمراً يأمره
٢٢٠	٤	بن سفر	بن مسفر
٢٢٤	١	من قبل	من قبيل
٢٢٦	١٦	خمسة	خمس
٢٢٧	١٦	ينظمون	ينضمون
٢٣١	٢١	واسرت	اسرت
٢٣٣	٢٠	ينظمون	ينضمون
٢٣٥	٦	قل	قتل
٢٣٥	١٢	قسطومي	قطومي
٢٣٧	٤	وفدها	وفدوا
٢٣٧	١٦	١٥٠٠	١٠٠٥
٢٤٢	١٥	راندوز	راوندوز
٢٤٣	٧	دوسكى	دوملي
٢٤٤	٨	الروحيون	الروحيين
٢٤٥	٧	شريخ	شرنخ
٢٦٨	٨	القرانيين	القيرانيين
٢٧٥	١٢	نراه	بينما نراه

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣١٦	٦	وبعض	بعض
٣٣٥	٧	افراد	من افراد
٣٣٨	٣	وبعد	قبل وبعد
٣٤٥	١	بتحقيق	تحقيق
٣٤٥	٣	ما نقله	على ما نقله
٣٤٦	١١	ومؤرخ	مؤرخ
٣٤٧	١٧	جنبائهم	جبنائهم
٣٤٩	١١	القوة	القسوة
٣٥٢	١٢	لقربة	لقربه
٣٧٥	١٢	هي قبله	قبيله
٣٨٣	١٨	أرادا	أرادوا

صحفة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٩٢	١١	اعتراف	إنحراف
٣٩٣	١٠	طريقه	طريقته
٣٩٤	١٠	الصائبة	الصابئة
٣٩٦	١١	بعبادة	بعادة
٤٠٤	٩	في السجون	فيالسجن
٤١٣	١٨	خير ومن	ومن
٤٢٧	١	اتبعنا	تتبعنا
٤٦١	٩	الشداء	الشديد
٤٦٥	٨	الى	اي
٥١٥	٥	وحقوقهم	وصفوفهم

***